

سيرة الأندلس

تأليف
أحمد الهاشمي

دار الفكر
طبعة الثانية والثلاثين

0161112

جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغت العرب

تأليف

أحمد الماشيني

الطبعة الثلاثون

الجزء الأول

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلى ما سبجت به بلابلُ الأقلام ، وأغلى ما انتظمت فيه عقودُ البلاغة
والانسجام ، وأشهى ما ينعت به جواهر الأدب ، حمدُ مولانا الذي شرف لغة
العرب ، وأرسل لنا نبياً عربياً منزهاً عن جميع الرّيب ، سيدنا محمداً صلى الله عليه
وعلى آله ومن صحب

(أما بعدُ) فهذا كتابُ سبّيته «جواهر الأدب» في أدبيات أمة
العرب «أودعته ما وقع عليه اختياري ، لا من زهري وأشماري ، فليس لي في
تأليفه من الافتخار ، أكثر من الاختيار ، واختيار المرء قطعة من عقله ، تدلّ
على تخلّقه وفضله ، وفضيلة هذا التأليف هي في جمع ما افترق ، ما تناسب
واتسق ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أحاديث نبوية ، ومكتابات أدبية
وحكم باهرة ، وأبيات نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار واردة ، ووصايا نافعة
ومواعظ جامعة ، ومناطرات مستظرفة ، ومقامات مستظرفة ، وأوصاف مليّة
وخطب اجتماعيّة ، والله سبحانه وتعالى هو الموفق للصواب ، إليه المرجع والمآب

المؤلف

أحمد الهاشمي

إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ

أَمَّا بَعْدُ حَفِظَكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطَكُمْ وَوَقَّكُمْ وَأَرْشَدَكُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمُكْرَمِينَ أَصْنَافًا وَإِنْ كُنَّا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً
وَصَرَفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمَحَاوِلَاتِ إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَبْوَابِ
أَرْزَاقِهِمْ . فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَةِ
وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ . بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مُحَاسِنُهَا وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا . وَبِنَصَائِحِكُمْ
يُصْلِحُ اللَّهُ لِلْخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ وَتَعْمُرُ بُلْدَانُهُمْ . لَا يَسْتَعْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ . وَلَا يَوْجِدُ
كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ . فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْتَعُونُ
وَأَبْصَارُهُمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ وَالْيَدَيْنِ الَّتِي بِهَا يَنْطَقُونَ وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا
يَبْطِشُونَ . ^(١) فَأَمْتَعَكُمْ ^(٢) اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا نَزَعَ عَنْكُمْ
مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعَةِ عَلَيْكُمْ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ إِلَى
اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمُحْمُودَةِ وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ

أَيُّهَا الْكِتَابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ فَإِنَّ
الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثْقُ بِهِ فِي مَهَمَّاتِ أُمُورِهِ
أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ مُقْدِمًا فِي مَوْضِعِ

(١) يَدَامُودُ (٢) أَبْقَاكُمْ

الإقدام محجماً في موضع الإحجام^(١) مؤثراً^(٢) للعفاف والعدل والإنصاف
 كتوماً للأسرار. وفيما عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضع الأمور
 مواضعها والطوارق في أماكنها. قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه
 وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به. يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه
 وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدُّ
 لكل أمر عدته^(٣) وعتاده^(٤) ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته. فتتأسفوا
 يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وأبدوا بعلم كتاب
 الله عز وجل والفرائض ثم العربية فأنها ثقاف^(٥) ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط
 فأنه حلية كتبكم وآروا الأشعار وأعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب
 والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو إليه همكم ولا
 تضيعوا النظر في الحساب فأنه قوام^(٦) كتاب الخراج، وأرغبوا بأنفسكم عن
 المطامع سنيها^(٧) وذنيها وسفساف^(٨) الأمور ومحاقرها فأنها مذلة للرقاب
 مفسدة للكتاب ونزها صناعتم عن الدناءة وآرباوا^(٩) بأنفسكم عن
 السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات. وإياكم والكبر والسخف والعظمة
 فأنها عداوة مجتلبة من غير إحتة^(١٠) وتحابوا في الله عز وجل في صناعتم
 وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل^(١١) من سلفكم
 وإن نبأ^(١٢) الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله
 ويثوب^(١٣) إليه أمره. وإن أقعد أحداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه

(١) التأخر (٢) مختاراً له (٣) ما أعدته لحوادث الدهر (٤) العدة (٥) تمديها
 (٦) نظام (٧) رفيها (٨) الرديء من كل شيء (٩) أعرضوا وافرأوا (١٠) اشتهار حقد
 وسبق عداوة (١١) الذكاء والتجاة (١٢) قصر وتر (١٣) يرجع

فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَاسْتَظْهِرُوا بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلِيَكُنَّ
الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ اخُوطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ
وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَحْمَدَةٌ فَلَا يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ . وَإِنْ عَرَضَتْ
مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْذَرْ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَالَ عِنْدَ تَغَيَّرِ الْحَالِ فَإِنْ
الْعَيْبُ إِلَيْكُمْ مَعَ شَرِّ الْكِتَابِ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى الْفِرَاءِ (١) وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ
لَهَا فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ
لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَقَائِهِ وَشُكْرِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَخَيْرِهِ
وَأَنْصِيحَتِهِ وَكَيْفَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ وَيُصَدِّقَ ذَلِكَ فِعْلُهُ لَهُ
عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْإِضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ ، فَاسْتَشْعِرُوا ذَلِكَ وَفَقِّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْحَرَمَانِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَتَنْقُصَتْ
الشَّيْئَةُ هَذِهِ بِمَنْ وَسَمَّ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ . وَإِذَا وَلَّى الرَّجُلُ
مِنْكُمْ أَوْ صُبِّرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ أَمْرٌ فَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُؤَيِّرْ طَاعَتَهُ
وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ
أَرْفَقَهُمْ بِعِيَالِهِ . ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْفَنِيِّ (٢) مُؤَفِّرًا
وَلِلْبِلَادِ عَامِرًا وَلِلرَّعِيَةِ مُتَالِفًا وَعَنْ أَذَاهُمْ مُتَخَلِّفًا وَلِيَكُنْ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا حَاجِمًا
وَفِي سَجَلَاتِ خَرَاجِهِ وَاسْتَقْضَاءِ حُقُوقِهِ دَقِيقًا وَإِذَا صَحِبَ أَحَدَكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ
خُلَاقَتَهُ فَإِذَا عَرَفَ حَسَنَتَهَا وَقَبِيحَتَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحَسَنِ وَاحْتَالَ عَلَى
صِرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقَبِيحِ بِالطَّفِّ حِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ
الْبَهِيمَةِ إِذَا كَانَ بَصِيرًا بِسِيَاسَتِهَا التَّمَسَّ بِمَعْرِفَةِ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رُمُوحًا لَمْ

يهجها اذا ركبها وان كانت شَبُوباً آتَقَاهَا مِنْ يَدَيِّهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُّوْداً
تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُوثاً قَمَعَ هَوَاهَا بِرَفْقٍ فِي طُرُقِهَا (١)
فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَظْفَهَا يَسِيْرًا فَيَمْسَسُ (٢) لَهُ قِيَادُهَا . وَفِي هَذَا الْوَصْفِ مِنَ السِّيَاسَةِ
دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ . وَالْكَاتِبُ لِفَضْلِ أَدَبِهِ
وَشَرِيفِ صَنَعَتِهِ وَلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُحَاوِلُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَظِّرُهُ وَيَفْهَمُ
عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ أَوَّلَى بِالرَّفْقِ لِصَاحِبِهِ وَمَدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِ مِنْ سَائِسِ
الْبَيْمَةِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ جَوَابًا وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا وَلَا تَفْهَمُ خَطَابًا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا
إِلَيْهِ صَاحِبُهَا الرَّكْبَ عَلَيْهَا ، أَلَا فَارْفُقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَأَعْمَلُوا مَا أَمَكُنْكُمْ
فِيهِ مِنَ الرُّوْبَةِ وَالْفَكْرِ تَأْمِنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ النَّبُوَّةَ (٣) وَالْأَسْتِثْقَالَ وَالْجَفْوَةَ
وَيَصِرْ مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَافَقَةِ وَتَصِيرُ أَمْنُهُ إِلَى الْمَوَاحَاةِ وَالشَّقَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَلَا يُجَاوِزَنَّ
الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةٍ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَخِدْمَتِهِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدْرَ حَقِّهِ فَانْكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ اللَّهُ مِنْ شَرَفِ صَنَعَتِكُمْ خِدْمَةِ
لَا تُحْمَلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ وَحِفْظَةٍ لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أَفْصَالُ التَّضْيِيعِ
وَالْتَنْذِيرِ وَاسْتَعِينُوا عَلَى أَعْمَالِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ وَقَصَصْتُمْ عَلَيْكُمْ
وَأَحْذَرُوا مَنَافَةَ الشَّرَفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ (٤) فَانْهُمَا يُقْبَابُ الْفَقْرِ وَيَذَلَّانِ
الرَّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا وَلَا سِيْمَا الْكِتَابَ وَأَرْبَابَ الْآدَابِ ، وَلِلْأُمُورِ أَشْبَاهُ
بَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدْلُوا عَلَى مُؤْتَفٍ (٥) أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبُكُمْ
تَمَّ أَسْلَكُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّنْذِيرِ أَوْضَحَهَا مَحَبَّةٌ وَأَصْدَقَهَا حُجَّةٌ وَأَحَدَهَا عَاقِبَةُ
وَأَعْمَلُوا أَنْ لِلتَّنْذِيرِ آفَةٌ مُتَلَفَةٌ وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ لِصَاحِبِهِ عَنْ انْفِذِ عِلْمِهِ

(١) فِي مَرَّةٍ مِنَ الْمَرَّاتِ (٢) وَفِي نَسْخَةِ يَسْلَسِ أَيْ يَنْقَادُ وَيَسْهَلُ (٣) اللَّقْبُ (٤) التَّنَمُّ

(٥) مَبْدَأُ

ورويته، فليقتصد الرجلُ منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليؤجز في
ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحةٌ لفعله ومدفعةٌ للشاغل
من إكثاره وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في
الغلط المضّر ببدنه وعقله وأديه فإنه إن ظنَّ منكم ظانٌ أو قال قائلٌ إن الذي
برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض
بحسن ظنه أو مقالته إلى أن يكلاه الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كافي
وذلك على مَنْ تأملهُ غير خافٍ، ولا يقلُّ أحدٌ منكم إنه أبصرُ بالأمور وأحلُّ
لعبٍ التدبير من مُرافقه في صناعته ومُصاحبه في خدَمته فان أَعقلَ الرجلين عند
ذوي الألباب مَنْ رَمَى بالعُجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أَعقلُ منه وأَجَلُ
في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله عليه جل ثناؤه
من غير اغترارٍ برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يُكثرُ على أخيه أو نظيره وصاحبه
وعشيرته، وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتسذُّل لعزته
والتحدثُ بنعمته وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل (مَنْ تَلَزَمَهُ التَّصَيُّحَةُ
بَلَزَمَهُ الْعَمَلُ) وهو (جواهر) هذا الكتاب وغرّة كلامه بعد الذي فيه من ذكر
الله عز وجل. فلذلك جعلته آخره وتممته به: تَوَلَّانا الله وإياكم يا معشر الكتّبة
بما يتولى به مَنْ سبق علمه بإسعاده وإرشاده فان ذلك إليه وبيده والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته:

عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ

تمهيد في مبادئ علم الأدب

الأدب عبارة عن معرفة ما يُحْتَزَّزُ به عن جميع أنواع الخطأ وهو قسمان طبيعي وكسبي فالطبيعي ما فُطِرَ عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم — والكسبي ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر وهو المقصود لنا في هذا الكتاب فحينئذ يعرف بأنه علمٌ صناعيٌ تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله : وهو المدعو بعلم الأدب

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته وغايته الأجدادة في قبي المنظوم والمنثور على أساليب العرب وتهذيب العقل وتذكية الجنان، وفائدته أنه يعصم صاحبه من زلة الجهل وأنه يروض الأخلاق ويُلين الطبائع وأنه يُعين على المروءة وينهض بالهَمَم إلى طلب المعالي والامور الشريفة

(وأركانها أربعة) الأول قوَى العقل الغريزية وهي خمسة

الذكاء (١) والخيال (٢) والحافظة (٣) والحس (٤) والذوق (٥)

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بمدغيبوية المادة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسماً تحكماً فيقتدر اذ ذاك على تحريك المواطف واستمالة القلوب ألا ترى أن الكلام العذب اذا حل في القلب حدث فيه حركة وهزة (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الحفية ونحصل بالمشاورة على الدرس والممارسة الكلام اللبغا وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وتنزيه العقل والقلب مما يفسد الاخلاق والآداب

الثاني معرفة الأصول وهي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنون الخطابة

وتنقسم هذه الأصول إلى قسمين عامة وخاصة (فالعامة) كالتأليف الأدبية من منظوم ومنثور في أغراض شتى (والخاصة) كالتأليف المفردة بالرسائل أو بالأمثال

الثالث مطالعة تصانيف البلغاء بالتأني والتبصر فيها ليدخر الكاتب كل لفظ مؤتي شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة وشروطها ثلاثة (الأول) أن يستقل المطالع ببعض علماء اللغة وأئمة الأدب فيقتصر على درسم حتى ينسج على منوالهم (الثاني) أن يطيل النظر في هذه المطالعة ويردد مراراً ما استحسنة من تصانيفهم كي يروض الذهن في حلبة^(١) سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تركيبهم (الثالث) أن ينتقي منها شيئاً مما استجاده^(٢) من اللفظ الحر والتراكيب الصحيحة والمعاني البليغة لتكون ذخراً لذكرائه ومهزاً^(٣) لقرينته

الرابع الارتياض وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأن تتوسع في شرح بعض المعاني فتيهه بأوجه شتى وتنمقه بأشكال البديع وبأن تجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة وأخرى تسرد مثلاً أو تسبك رواية إلى غير ذلك وأن تحذو حذو المتقدمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تحل النظم فتأتي به نثراً أنيقاً^(٤) وتعتقد الذر فتصوغه صوغاً رقيقاً^(٥)

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديقة تكون في مؤخر خف الرافض للمهر
(٤) ممجياً (٥) حسناً

﴿ مقدمة في علم الانشاء ﴾

أَلَا نَشَاءُ لُغَةَ الشَّرْعِ وَالْإِبْجَادِ وَالْوَضْعِ تَقُولُ أَنْشَأَ الْغَلَامُ يَمْشِي إِذَا شَرَعَ فِي الْمَشْيِ وَأَنْشَأَ اللَّهُ الْعَالَمَ أَوْجَدَهُمْ وَأَنْشَأَ فُلَانٌ الْحَدِيثَ وَضَعَهُ وَاصْطِلَاحًا عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ اسْتِنْبَاطِ الْمَعْنَى وَتَأْلِيفُهَا مَعَ التَّبَعِيرِ عَنْهَا بِلَفْظٍ لَائِقٍ بِالْمَقَامِ وَهُوَ مُسْتَمَدٌّ مِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكَاتِبَ لَا يَسْتَثْنِي صَنَفًا مِنَ الْكِتَابَةِ فَيَخُوضُ فِي كُلِّ الْمُبَاحَثِ وَيَتَعَمَدُ الْأَنْشَاءَ فِي كُلِّ الْمَعَارِفِ الْبَشَرِيَّةِ وَيَنْحَصِرُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ فِي ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ وَخَاتَمَةٍ وَمُلْحَقٍ

﴿ الباب الاول في أصول الانشاء ﴾

وهي أربعةٌ مَوَادُّهُ وَخَوَاصُّهُ وَطَبَقَاتُهُ وَمَحَاسِنُهُ
أَمَّا مَوَادُّهُ فَثَلَاثُ الْأُولَى الْأَلْفَاظُ الْفَصِيحَةُ ^(١) الصَّرِيحَةُ ^(٢) الثَّانِيَةُ الْمَعْنَى ^(٣)

(١) الْأَلْفَاظُ الْبَيِّنَةُ الظَّاهِرَةُ الْمُتَبَادِرَةُ إِلَى الْفَهْمِ وَالْمَأْتُوسَةُ الِاسْتِعْمَالِ لِمَكَانٍ حَسَنٍ
(٢) الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نَفْسِ الْمَطْلُوبِ بِحَيْثُ تَكُونُ كَقَالِبٍ لِمَعْنَاهَا وَيَتَوَصَّلُ إِلَى ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ الْمُرَادِقَاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَبْدَالِ (٣) بِحَيْثُ يَكُونُ الْمَعْنَى وَاضِعًا أَيْ سَهْلًا الْمَأْخُذَ خَالِيًا مِنَ اللَّبْسِ وَالْإِشْكَالِ كَقَوْلِ الْإِخْطَلِ

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذِّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذَخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَإِنْ يَكُونُ الْمَعْنَى سَدِيدًا أَيْ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ كَقَوْلِ لَبِيدٍ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
وَأَنْ يَكُونَ مُطَابِقًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ كَقَوْلِ أَبِي التَّمَامِيَّةِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزِدْ وَابْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْيَلَدِ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي

تَكَلَّمَ وَسَدَدَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسَّكُوتُ جَرَادٌ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادٌ
وَالْمُرَادُ بِمُقْتَضَى الْحَالِ الْأَمْرَ الدَّاعِيَ إِلَى التَّكَلُّمِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ أَيْ مَرَاةِ أَحْوَالِ الْمُتَكَلِّمِ

لثالثة إيرادُ المعنى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ ومرجعها الى الفصاحة وعلمي
المعاني والبيان

والمخاطب ومقام الكلام — والمعنى اما أن يكون مبتكراً أي مخترعاً كقول ابن النبيه
الناس للموت تكيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
وكقول آخر في وصف الشتاء

والنار فأكهة الشتاء فن برد أكل الفواكه شاتياً فليصطل
أو دقيقاً وهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عتير في فخر
الدين الرازي وكانت قد دخلت إلى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرتها
جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلعب من جناحي خاطف
من أنبا الورقاء أن محلكم حرم وأنتك ملجأ للعاقف
أو فطرياً وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا إعمال روية ودل على بعض السذاجة في قائله
كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بجرأ فأنشد

لا أركب البحر أخشى علي منه المخاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

وكقول الصياد

سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكة
أو ليناً وهو ما كان لطيف التعبير سلس الألفاظ دالاً على أشياء تطرب المسامع وتبهج
القلب كقوله

إن السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر
أو نافذاً وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول هنتره
وما دأبت شخص الموت إلا كما يدنو الشجاع من الجبان
أو جامعاً وهو ما افاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول سيدنا حسان رضي الله عنه
تراء إذا ما جشته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وكقول المتنبي

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا
أو متيناً وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي الفتح
لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب
والمعنى الموقل أو الايقال هو ما قن بسوءه القلب وسبي العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة.
كما قال قائل على لسان ربه

سألت عندي وانت في كنفى وكل ما قلت قد سمعناه

وأما خواصه فهي محاسنه السبعة وهي أولاً الوُضوح ^(١) بأن يُختارَ المفرداتُ
البيّنة الدلالة على المقصود وان يُعدلَ عن كثرة العوالم ^(٢) في الجملة الواحدة وان
يتحاشى عن الالتباس في استعمال الضامروا ان تسبك الجمل سبكاً جلياً بدون
تعقيد والتباس وأن يُتَحاشى عن كثرة الجمل الاعتراضية

وثانياً الصراحة بأن يكون الانشاء سالماً من ضعف التأليف وغبابة التعبير
بحيث يكون الكلام حراً مُهذباً تناسبُ ألفاظه للمعاني المقصودة كما قيلَ
تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظُهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي
ويكونُ الكلامُ صريحاً باتِّقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحرة الكريمة
وكذا بأصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه
وتأليفه . وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف
والاهتداء الى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها

وثالثاً الضبط وهو حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ كقول
قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م

أرى الموتَ لا يرعى على ذي قرابةٍ وإن كان في الدنيا عزيزاً بمقعد
لعمرك ما الأيامُ إلا معارةٌ فما اسطفت من معروفها فتزود

سلي بلا خشية ولا رهب ولا تخف إني أنا الله
واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص وإنما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء
وإعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذي يقصد وصفه ليستخرج منه المعاني الثلاثة
به وإنما يتجنى الأديب إلى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال
المتكلم ومقام المخاطب ومواقع الكلام (١) كقوله

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذي قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب
(٢) كقول بعضهم أقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم

ورابعاً الطَّبِيعَةُ بِأَنْ يَخْلُو الْكَلَامُ مِنَ التَّكْثُفِ وَالتَّصْنُوعِ كَمَا قَالَ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ
أَبِ الْعَتَاهِيَةِ الْمُتَوُفَّى سَنَةَ ٢١١ هـ

بَكَيْتُكَ يَا بُنِي بَدَمَعَ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٍ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً
وَذَلِكَ لِأَنْ مَنْ تَطَبَّعَ بِغَيْرِ طَبْعِهِ نَزَعَتْهُ الْعَادَةُ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى طَبْعِهِ كَمَا أَنَّ الْمَاءَ
إِذَا أَسْخَنَتْهُ وَتَرَكْتَهُ عَادَ إِلَى طَبْعِهِ مِنَ الْبُرُودَةِ . وَحِينَئِذٍ أَلْطَبِيعُ أَمْلَكَ
وَخَامِساً السَّهْلَةَ بِأَنْ يَخْلُصَ الْكَلَامُ مِنَ التَّعَسُّفِ فِي السَّبْكِ وَأَنْ يَخْتَارَ مَا
لَانَ مِنْهَا كَمَا قَالَ فِي الْأَشْوَاقِ بَهَاءُ الدِّينِ زَهْرُ الْمُتَوُفَّى سَنَةَ ٦٥٦ هـ
شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدٌ كَمَا عَلِمْتَ وَأَزِيدُ
فَكَيْفَ تَنْكَرُ حُبّاً بِهِ ضَمِيرُكَ يَشْهَدُ

وَأَنْ تُهَذَّبَ الْجُمْلُ وَأَنْ يَأْتَلَفَ اللَّفْظُ مَعَ اللَّفْظِ مَعَ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ فِي الْوَدَاعِ

فِي كَنْفِ اللَّهِ ظَاعِنٌ ظَمْنَا أَوْدَعَ قَلْبِي وَدَاعَهُ حَزْنَا
لَا أَبْصِرْتُ مُقَاتِي مُحَاسِنَهُ إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ بَعْدَهُ حَسَنًا

قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ أَحْذَرُكُمْ مِنَ التَّقْعِيرِ وَالتَّعَثُّقِ فِي الْقَوْلِ وَعَلَيْكُمْ بِمُحَاسِنِ
الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي الْمُسْتَخَفَّةِ الْمُسْتَمْلَحَةِ فَإِنَّ الْمَعْنَى الْمَلِيحَ إِذَا كُتِبَ لَفْظاً حَسَنًا وَأَعَارَهُ
الْبَلِيعُ مُخْرِجاً سَهلاً كَانَ فِي قَلْبِ السَّامِعِ أَحْلَى وَلِصَدْرِهِ أَمْلأُ قَالَ الْبُسْتِي
إِذَا انْقَادَ الْكَلَامُ فَقَدَهُ عَفْوَاً إِلَى مَا تَشْتَبِهُ مِنَ الْمَعَانِي
وَلَا تُكْرَهُ بَيَازُكَ أَنْ تَأْتِيَ فَلَا اكْهَرَاهُ فِي دِينِ الْبَيَانِ
وَسَادِساً الْأَنْسَاقَ بِأَنْ تَنْتَاسِبَ الْمَعَانِي كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ الْمُتَوُفَّى سَنَةَ ٣٤٦ هـ

وما زلتُ حتى قادني الشوقُ نحوه يُسائرني في كلِّ ركبٍ له ذكرٌ^(١)
 وأسكبرُ الأخبارَ قبلَ لقائه فلما التقينا صغرَ الخبرُ الخبرُ
 وسابعاُ الجزالةُ وهي إبرازُ المعاني الشريفة في معارضٍ من الألفاظ

الأنيقة^(٢) اللطيفة كقول الصابي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

لَكَ في المحافلِ منطقٌ يشفي الجوى^(٣) ويسوغُ في أذن الأديبِ سلافه^(٤)
 فكانَ لفظكَ لو لو متنخله^(٥) وكأنا آذاننا أصدافه

وأما عيوبه فسبعة الهجته بأن يكون اللفظ سخيماً والمعنى مُستقبِحاً كقوله

وإذا أدنيتَ منه بصلاً غلبَ المسكُ على ربحِ البصل
 والوحشية كونُ الكلام غليظاً تمجُّه الأسماعُ وتفرُّ منه الطباعُ كقوله
 وما أرضى لقلته بحلمٍ إذا انتبَهتَ توهمةً أبشاكاً^(٦)

والركاكة ضعفُ التأليفِ وسخافة العبارة كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

إن كان مثلكَ كان أو هو كأنٌّ فبرئتُ حينئذٍ من الإسلام
 والسَّهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبي يشبه ممدوحه

بالله تعالى (وهو كفر)

تنقاصرُ الأفهامُ عن إدراكه مثل الذي الأفلاكُ منه والدُّني^(١)

والأسهابُ الأطالة الزائدة المملة في شرح المادّة والمُدول الى الحشو كقوله

أعنى قتي لم تذر الشمس طالعة يوماً من الدهر الا ضرّاً أو نفعا

(١) خبر زلت يسائرني والركب جماعة الراكبين اي ما زلت اسمع ذكره في كل ركب
 صحبته حتى قادني الشوق الى زيارته والمتنبي يمدح عليا الانطاكي ومعنى البيت الثاني اني مازلت
 استعظم ما يذكر لي من اخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الاخبار بالنسبة اليه لاني
 وجدته اعظم مما وصفوا (٢) للمعجبة (٣) الحرة (٤) الخرة (٥) مصطفي ومختار (٦) يقول
 — وان حدثه حلم في نومه عن شكري له فلا ارضى به لعله يتوهمه كذبا . (٧) الدنيا

والجفاف الإيجاز والاختصار المحل كقول الحارث بن حزمرة المتوفى سنة ٥٣٣ هـ
والعيش خير في ظلال النوك^(١) ممن عاش ككدا^(٢)
ووحدة السياق التزام أسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من التركيب
بحيث تكون للأذهان كلالاً^(٣) وللقلوب ملالاً^(٤)

والكلام مغيوب^٥ كثيرة منها اللحن ومخالفة القياس الصرفي وضعف
التأليف والتعميد والتكرار وتتابع الإضافات الى غير ذلك من الأشياء التي
تكون ثقيلة على اللسان مخالفة للذوق والعرف غريبة على السمع^(٥)

وأما طبقاته فن ثلاث (الأولى الطبقة السفلى) ومرجعها الى الانشاء الساذج
وهو ما عرّا عن رقة المعاني وجزالة الألفاظ والتأنيق في التعبير فهو بالكلام
العادي أشبه بسهولة مأخذه وقرب مؤرده ويستعمل في المحافل العمومية لقرب
منال المعاني على جمهور السامعين وفي المقالات والتأليف العلمية لينصرف الذهن
الى أخذ المعنى وليس دونه حائل من جهة العبارة وفي المكاتبات الأهلية
والرحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك (الثانية الطبقة العليا) ومرجعها الى
الأنشاء العالي وهو ما شجن بغير الألفاظ وتعلم بأهداب المجاز ولطائف
التخييلات وبدائع التشايب فيقتن ببراعته العقول ويسحر الأبواب ويصلح في

(١) الحق (٢) تعباً (٣) سيئة (٤) سامة (٥) حكى عن الصفي الحلي ان بعض الفضلاء
بلغه انه اطلع على ديوانه وقال لا عيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فأجابه الصفي
أعيا الخبزبون والدرديس والطعنا والنقاخ والمططيس
لغة تنفر المسامع منها حبيب تروي وتشمز النفوس
وقبيح ان يسلك النافر الـ ووحشي منها ويترك المأوس
ان خير الالفاظ ما طرب الـ سامع منه وطاب فيه المجلس
ولتزيد الالفاظ مقناطيس :

الترسلُ بينُ بُلغَاءِ الكِتَابِ وفي المَجَالِسِ الأَدَبِيَّةِ وديباجة بعض التصانيف الى غير ذلك من المواضع التي من شأنها الزجر وتحريك العواطف والحماسة (الثالثة الطبقة الوسطى) ومَرَجعها الى الانشاء الأنيق ^(١) وهو ما توسط بين الأَنْشَاءِ العَالِيِ والسَّاذِجِ فيأخذ من الأول رونقه ورشاقته ومن الثاني جلالة وسلامته ويصلح في مُراسلات ذوي المراتب وفي الروايات المُتَمِّمَةِ والأوصاف المُسَهِّبَةِ وفي خُطَبِ المحافل وما أشبه ذلك ^(٢)

وأما محاسنه فهي أساليب وطرائق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميته لغرض أن يتمكن البليغ من ذهن السامع بما يورده من أساليب الكلام المُستَحْسَنَةِ فيحرك أهواء النفس ويثير كلامن حركاتها ، ولغرض أن يكون قوله أشد اتصالاً بالعقل وأقرب للأدراك بتصرفه في فنون البلاغة

﴿كيفية الشروع في عمل مواضيع الانشاء﴾

إذا عَنَ ^(٣) لك أو اقترح عليك انشاء موضوع فانت منوط ^(٤) اذا بأمرين التفكير أولاً والكتابة ثانياً فاذا أنعمت الفكر ملياً ^(٥) في أجزاء الموضوع بعد استيلاء الأحساس بها على قلبك وقلبتّها على جميع الأوجه الممكنة فيها تولد في

(١) المعجب (٢) الذي اشتهر بالانشاء الساذج السيوطي والماوردي والغزالي وابن الفرج الاصبهاني وابن الاثير وابو الفداء والذي اشتهر بالانشاء الانيق الشافعي وابن خلكان وابن خلدون والطبري والغزيري وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والسعدي والذي اشتهر بالانشاء العالي الحريري والهمذاني والمرعي والاختل وجبريل وابو تمام والبحراني والمتيني وابن خاقان والعتيبي والغارضي واعلم ان طبقات الانشاء كثيراً ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء في القطعة الواحدة اشياء من الطبقات الثلاث لا يميزها الا المتقصد البعير (٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة

خيالك لكل جزء عدة صور^(١) تتفاوت في تأديته كتفاوت صور المنظوم في الحسن والقبح فبعضها يستميل النفوس بتأثيره في الماوس وبعضها يوجب نفورها وبعضها بين بين، وإذا تشخصت الصور في الخيال يتخير العقل منها ماله المكانة الرفيعة في حسن تأدية الغرض المناسب للمقام فإن كان المقام للتحريض على القتال مثلاً آتتخب الصورة المهيجة للأحاساس المشجعة للنفس على اقتحام الأخطار وإن كان المقام مقام فرح وسرور آتتخب ما يشرح الصدور وتقر به العيون وتروق به الأرواح ويذهب عنها الحزن والأتراح^(٢)

وبعد تشخص الصور وتخير المناسب منها تعين أيها المُنشئ بحسن تأليف وترتيب ما تختيرته بأن تجمع الصور المناسبة التي يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف بحيث يكون المجموع منسجماً يمضي وحده مع النفس دون علاج وتعب في فهم الغرض منه وحينئذ يمكنك اظهار هذه الصورة المعقولة في صورته محسوسة بواسطة القلم

(١) اما اذا تساوت في حسن تأدية الغرض اخذ احدها فقط ولا يحسن جمعها (٢) الأحرار « تنبيه » يراعى حال المخاطب ومزجه قال ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي وما يناسب ذا الجدة لا يناسب الغزلي وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرهوس فتطلب كلا على قدر اهله وجلالته وعلوه وارتفاعه وقطنته ونباهته فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا مرحت وطير الكلمة بمبارها اذا صنعت فكلما انحلى الكلام وهذب وراق وسهلت مخارجه كان اسهل ولو جاني الاسماع واشتد اتصالاً بالقلوب وحف على الافواه ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤتى شريف ومما يراً بكلام هذب بدون تكليف ولا تعقيد فالعنى المعنى اشبه بالروح الخفي واللفظ الظاهر اشبه بالجثمان الظاهر والا تضاعف المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء في الامطار الرثة

﴿ أركان الكتابة ﴾

إعلم أن للكتابة أركاناً لا بُدَّ من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن . أولها أن يكون مطلع الكتاب عليه جدّة ^(١) ورشاقة فإن الكاتب من أجاد المطالع والمقطع . أو يكون مبنياً على مقصد الكتاب . الثاني أن يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة . الثالث أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوطة بكثرة الاستعمال . ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظاً غريبة فإن ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريباً يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس وهي مما في أيدي الناس . وهناك معتزك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها والأقلام شجاعته . وهذا الموضع بعيد المثال كثير الإشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وليس كل خاطر يراق الى هذه الدرجة (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ومع هذا فلا تظن أنها الناظر في كتابي أتى أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحتها من المعنى ما يماثله ويساويه فإنه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها الا أن صاحبها بليد أبله . والمراد ان تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسماً لمعنى شريف . على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها . ولقد رأيت كثيراً من

(١) صار جديداً مبتكراً وهو تقيض الخلق

الْجَهَالِ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الشُّوْقَةِ أَرْبَابُ الْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ وَمِنْهُمْ أَلَا مَنْ يَقَعُ لَهُ
الْمَعْنَى الشَّرِيفُ وَيُظْهِرُ مِنْ خَاطِرِهِ الْمَعْنَى اللَّعِيقُ وَلَكِنَّهُ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَرْوِجَ
بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ . فَالْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى هِيَ الَّتِي تُخَلِّبُ بِهَا الْعُقُولُ . وَعَلَى هَذَا فَالنَّاسُ
كُلُّهُمْ مُشْتَرَكُونَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْجَاهِلُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ عِلْمًا
مِنَ الْعُلُومِ أَنْ يَكُونَ ذَكِيًّا بِالْفِطْرَةِ . وَاسْتِخْرَاجُ الْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ بِالذِّكَاءِ
لَا بِتَعْلُمِ الْعِلْمِ

فَإِذَا اسْتَمَكَّتْ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَرْكَانِ وَاتَّيَتْ بِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بِلَاغِيَّةٍ
ذِي شَأْنٍ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ حِينَئِذٍ فَصِيلَةَ التَّقْدِيمِ وَوَجِبَ لَكَ أَنْ تَسْمِيَ
نَفْسَكَ كَاتِبًا

(عن المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية نظم الكلام ﴾

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْنَعَ كَلَامًا فَأَخْطِرْ مَعَانِيَهُ بِيَاكَ . وَتَنَقَّ لَهُ كِرَامَتَهُ اللَّفْظَ
وَأَجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرِ مَنْكَ لِقُرْبٍ عَلَيْكَ تَنَاوُلُهَا وَلَا يَتَبَعَكَ تَطَلُّبُهَا . وَاعْمَلْهُ
مَا دَمْتَ فِي شَبَابٍ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ الْفُتُورُ وَتَخَوَّنَكَ الْمَلَالُ فَأَمْسِكْ . فَإِنْ
الْكَثِيرَ مَعَ الْمَلَالِ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ مَعَ الضَّجْرِ خَسِيسٌ . وَالْخَوَاطِرُ كَالْإِنْيَاعِ
يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ فَتَجِدُ حَاجَتَكَ مِنَ الرِّيِّ وَتَنَالُ أَرْبَابَكَ مِنَ الْمُنْفَعَةِ
فَإِذَا أَكْثَرْتَ عَلَيْهَا نَضَبَ مَاؤُهَا وَقَلَّ عَنْكَ عَنَاؤُهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى
عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطُولُ بِالْكَدِّ وَالْمُطَابَلَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ وَالتَّكَلُّفِ
وَالْمَعَاوِدَةِ . وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ يَسْلُكُ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي

يستهلّك معانيك ويشين الفاظك . ومن أراد معنى كريماً فليلتبس له لفظاً كريماً فإن من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف . فاذا لم تجدر اللفظة واقعة موقعها صائرة الى مستقرها حالة في مركزها متصلة بسلكها بل وجدتها قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها فانك إن لم تتعاط قريض الشعر المنظوم ولم تتكاف اختيار الكلام المشور لم يعبك بذلك أحد . وان تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكمًا لشأنك بصيراً عابك من أنت أقل عيباً منه وزرى عليك من هو دونك فان لم تسمح لك الطبيعة بنظم الكلام في أوّل وهلة وتعصى عليك بعد إجلالة الفكرة فلا تعجل ودعه سحابة يومك ولا تضجر وأمله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك فانك لا تعدم الإجابة والمؤاتاة . فان تمنع عليك بعد ذلك مع ترويح خاطر وطول الإهمال فتحوّل من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك فانك لم تشتهها إلا وبينكما نسب . والشئ لا يحن إلا الى ما شاكاه

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاماً ولكل حال مقاماً حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين . على أقدار الحالات (عن كتاب الصنائع باختصار)

﴿ الطريق الى تعلم الكتابة ﴾

إنَّ الطريقَ الى تعلُّمِ الكتابةِ على ثلاثِ شُعَبٍ : الأولى أَنْ يتصفحَ الكاتبُ كتابةَ المتقدمينَ ويطلعَ على أوضاعهم في استعمالِ الألفاظِ والمعاني ثمَّ يحدِّثَ حذوهم وهذه أدنى الطبقاتِ عندي . والثانية أَنْ يمزجَ كتابةَ المتقدمينَ بما يستجدهُ لنفسه من زيادةٍ حسنةٍ أمَّا في تحسينِ الفاظٍ أو في تحسينِ معانٍ وهذه هي الطبقةُ الوسطى وهي أعلى من التي قبلها . والثالثة أَنْ لا يتصفحَ كتابةَ المتقدمينَ ولا يطَّاعَ على شَيْءٍ منها بل يصرفَ همه الى حفظِ القرآنِ الكريمِ وعدَّةٍ من دواوينِ فحولِ الشعراءِ ممن غلبَ على شعره الإِجادةُ في المعاني والألفاظِ . ثمَّ يأخذُ في الاقتباسِ فيقومُ ويقعُ ويخطئُ ويصيبُ ويضلُّ ويهتدي حتى يستقيمَ على طريقةٍ يفتنحُها لنفسه . وأخلقُ بتلكِ الطريقِ أَنْ تكونَ مبتدعةٌ غريبةٌ لا شركةَ لأحدٍ من المتقدمينَ فيها . وهذه الطريقُ هي طريقُ الاجتهادِ وصاحبها يعدُّ إماماً في فنِّ الكتابةِ لأنَّها مستوعرةٌ جداً ولا يستطيعها إلا مَنْ رزقه اللهُ لساناً هجاًماً وخاطراً رقاًماً . ولا أريدُ بهذه الطريقِ أَنْ يكونَ الكاتبُ مرتبطاً في كتابتهِ بما يستخرجه من القرآنِ الكريمِ والشعرِ بحيثُ إِنَّه لا ينشئُ كتاباً إلا من ذلك بل أريدُ أَنه إذا حفظَ القرآنَ وأكثَرَ من حفظِ الأشعارِ ثمَّ نقَّبَ عن ذلك تنقيبَ مُطلعٍ على معانيهِ مفتشٍ عن دقائقهِ وقلبهُ ظهراً لبطنٍ عرفَ حينئذٍ من أينَ تَوُكِّلُ كلَّ الكَتِفِ فيما ينشئه من ذاتِ نفسه واستعانَ بالمحفوظِ على الفريزةِ الطبيعيةِ

(المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه ﴾

تهذيبُ الكلام عبارة عن ترداد النظر فيه بعد عمله نظماً كان أو نثراً وتغيير ما يجب تغييره وحذف ما ينبغي حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه وتحرير ما يبدق من معانيه وإطراح ما يتجافى عن مضامير الرقة من غليظ ألفاظه لتشرق شمس التهذيب في سماء بلاغته وترشף الأسماع على الطرب رقيق سلاته . فإن الكلام إذا كان موصوفاً بالمهذب منعوتاً بالمنقح علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة . وكل كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم . أو لو تم هذا النقص بكذا أو لو تكلل هذا الوصف بكذا . أو لو حذفت هذه اللفظة أو لو أتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين . كان ذلك الكلام غير منتظم في نوع التهذيب

وكان زهير بن أبي سلمى معروفاً بالتنقيح والتهذيب وله قصائد تعرف بالحواليات . قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ويهذبها وينقحها في أربعة أشهر ويعرضها على علماء قبيلته أربعة أشهر . ولهذا كان الإمام عمر بن الخطاب مع جلالة في العلم وتقدمه في النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل أسود رقعة الجلباب
فإنه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات وتسكن
الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعاً ومرآة التهذيب فيه صقيلة تخلو الخاطر
وصفاء القريحة لا سيما وسط الليل

قال ابو عبادة البُخْتَرِيُّ : كنتُ في حدائتي أروى الشعرَ وكنتُ أرجعُ فيه الى طبعِ سليمٍ ولم اكنُ وقفتُ له على تسهيلٍ مأخذٍ ووجوهٍ اقتضابٍ حتى قصدتُ أبا تمامٍ وانقطعتُ اليه واتكلتُ في تعريفه عليه . فكان أولُ ما قال لي : يا أبا عبادة تخير الأوقاتَ وانتَ قليلُ الهمومِ صفرٌ من الغيومِ واعلمُ انَّ العادةَ في الاوقاتِ اذا قصدَ الانسانُ تأليفَ شيءٍ او حفظه انَّ يختارَ وقتَ السحرِ وذلكَ أن النفسَ تكونُ قد أخذتُ حظها من الراحةِ وقسطها من النومِ وخفتُ عليها ثقلُ الغذاءِ . واحذرَ المجهولَ من المعاني وآياك أن تشينَ شعركَ بالألفاظِ الوحشيةِ وناسبَ بين الألفاظِ والمعاني في تأليفِ الكلامِ وكن كأنك خياطٌ تقدِّرُ الثيابَ على مقاديرِ الأجسامِ . واذا عارضَكَ الضجرُ فأرخِ نفسك ولا تعملِ الا وانتَ فارغُ القلبِ ولا تنظمِ الا بشهوةٍ فانَّ الشهوةَ نعمَ المعينِ على حسنِ النظمِ . وجملةُ الحالِ انَّ تعتبرَ شعركَ بما سلفَ من اشعارِ الماضينَ فما استحسنَ العلماءُ فاقصدهُ وما استقبحوهُ فاجتنبهُ

(عن خزانة الادب وزهر الآداب باختصار)

﴿ محاسن الانشاء ومعايبه ﴾

انَّ للثغرِ محاسنَ ومعايبَ يجبُ على المنشيء أن يفرقَ بينهما مُحْتَزراً من استعمالِ الألفاظِ الغريبةِ وما يخلُ بفهمِ المرادِ ويوجبُ صعوبةً ولا بُدَّ من أن يجعلَ الألفاظَ تابعةً للمعاني دونَ العكسِ . لان المعاني اذا تركبتُ على سجيئتها طلبتُ لانفسها ألفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً . وأما جعلُ الألفاظِ متكلفةً والمعاني تابعةً لها فهو شأنٌ من لهم شغفٌ بإيراد شيءٍ من المحسنات اللفظية

فيمصرفون العناية اليها ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لافادة المعنى . فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الانشاء ان يكتب ما يراد لا ما يريد كما قيل في الصاحب والصابي: ان الصابي يكتب ما يراد والصاحب يكتب ما يريد

(عن آداب المنشاء ببعض تعرف)

﴿ فصاحة الالفاظ ومطابقتها للمعاني ﴾

فصاحة الالفاظ تكون بثلاثة اوجه : الاول مجانبه الغريب الوحشي حتى لا يمجته سمع ولا ينفر منه طبع . والثاني تنكب اللفظ المبتذل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصي ولا ينبو عنه فهم عامي كما قال الجاحظ في كتاب البيان : اما انا فلم أر قوماً أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب وذلك أنهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً عامياً . والثالث أن يكون بين الالفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة . اما المطابقة فهي أن تكون الالفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها . وأما المناسبة فهي أن يكون المعنى يليق ببعض الالفاظ إما لعرف مستعمل أو لاتفاق مستحسن حتى اذا ذكرت تلك المعاني بغير تلك الالفاظ كانت نافرة عنها وان كانت أفصح وأوضح لاعتياد ما سواها

(ادب الدين والدنيا باختصار)

﴿ حقيقة الفصاحة ﴾

اعلم أن هذا موضوعٌ مُتَعَذِّرٌ على الواجبِ ومسلَكٌ متوعَّرٌ على الناهجِ . ولم تزلِ العلماءُ من قديمِ الوقتِ وحديثهِ يُكثِرُونَ القولَ فيه والبحثَ عنه . ولم أبدُ من ذلك ما يعولُ عليه إلا القليلُ . وغايةُ ما يقالُ في هذا البابِ أنَّ الفصاحةَ هي الظهورُ والبيانُ في أصلِ الوضعِ اللغويِّ يقالُ : أفصحَ الصبحُ إذا ظهرَ . ثم إنهم يَقِفُونَ عند ذلك ولا يَكشِفُونَ عن السرِّ فيه . وبهذا القولِ لا تَتَبَيَّنُ حقيقةُ الفصاحةِ لأنَّهُ يُعْتَرَضُ عليه بوجوهٍ من الاعتراضاتِ . أحدها أنه إذا لم يكنِ اللفظُ ظاهراً بديناً لم يكنِ فصيحاً ثم إذا ظهرَ وتبينَ صارَ فصيحاً الوجهُ الثاني أنه إذا كانِ اللفظُ الفصيحُ هو الظاهرُ البتَّ فقد صارَ ذلك بالنسبِ والاضافاتِ إلى الأشخاصِ . فإنَّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ولا يكونُ ظاهراً لعمرو . فهو إذاً فصيحٌ عند هذا وغيرُ فصيحٍ عند هذا . وليس كذلك بل الفصيحُ هو فصيحٌ عند الجميعِ لا خلافَ فيه بحالٍ من الأحوالِ . لأنه إذا تحققَ حدُّ الفصاحةِ وعُرفَ ما هي لم يبقَ في اللفظِ الذي يختصُّ به خلافٌ . الوجهُ الثالثُ أنه إذا جيءَ بلفظٍ قبيحٍ يثبو عنه السَّمْعُ وهو مع ذلك ظاهرٌ بَيِّنٌ ينبغي أن يكونَ فصيحاً . وليس كذلك لأنَّ الفصاحةَ وصفٌ حَسَنٌ للفظٍ لا وصفٌ قبيحٌ

ولما وقفتُ على أقوالِ الناسِ في هذا البابِ ملكتني الميزةُ فيها ولم يثبتْ عندي منها ما أُعولُ عليه . ولكثرةِ مُلَابَّتي هذا الفنَ ومعاركتي إياهُ انكشفَ لي السرُّ فيه وسأوضحهُ في كتابي هذا وأُحقِّقُ القولَ فيه فأقولُ : إن

الكلام الفصيح هو الظاهر البين . وأعني بالظاهر البين أن تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة . وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوقة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم . وإنما كانت مألوقة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها . وذلك أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار الفاظها وسبروا وقسموا . فاختاروا الحسن من الألفاظ حتى استعملوه وعلموا القبيح منها فلم يستعملوه . فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها . واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها . فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن

فإن قيل من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الألفاظ حتى استعملوه وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه قلت في الجواب : أن هذا من الأمور المحسوسة التي شاهدها من نفسها . لأن الألفاظ داخلية في حيز الأصوات . فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن . والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح . ألا ترى أن السمع يستلذ صوت الببيل من الطير وصوت الشجرور ويميل إليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه . وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيل الفرس . . والألفاظ جارية هذا المجرى فإنه لا خلاف في أن لفظة المزنة والدائمة حسنة يستلذها السمع . وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع . وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر وهي تدل على معنى واحد . ومع هذا فانك ترى لفظي المزنة والدائمة ما جرى مجراهما مألوف في الاستعمال وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه

متروكا لا يُستعمل . وإن استعمل فأنما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير ذوق سليم . ولا جرم أنه ذمّ وقُدح فيه ولم يلتفت إليه وإن كان عربياً محضاً من الجاهلية الأقدمين . فان حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يُعرج على ما خرج عنها

(عن ابن الاثير باختصار)

﴿ الانسجام ﴾

الانسجام لغة جريان الماء وعند اهل البلاغة هو ان يأتي الناظم أو الناثر بكلام خال من التعقيد اللفظي والمعنوي بسيطاً مفهوماً دقيقاً الألفاظ جليلاً المعنى لا تكلف فيه ولا تعسف يتحدّر كتحدّر الماء المنسجم فيكاد له سهولة تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة . ولا يكون ذلك الا في من هو مطبوع على سلامة الذوق وتوقد الفكرة وبراعة الانشاء وحسن الأساليب . وإن تحول هذا الميدان ما اثقلوا كاهل سهولته بنوع من انواع البديع الالهمة الا ان يأتي عفواً من غير قصد . وعلى هذا أجمع علماء البديع في حذر هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيداً من التصنع خالياً من الأنواع البديعية الا ان يأتي في ضمن السهولة من غير قصد . فان كان الانسجام في النثر تكون اغلب فقراته موزونة من غير قصد وان كان في النظم فتكاد الايات ان تسيل رقة وعذوبة وربما دخلت في المطرب المرتقص

(بديعة العيان وبديعة الحموي)

﴿ حَلُّ الشَّعْرِ ﴾

حلُّ الأبيات الشعرية ينقسمُ الى ثلاثة أقسامٍ : الأولُ منها وهو أدناها مرتبةً أن يأخذَ النائرُ بيتاً من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادةٍ وهذا عيبٌ قاحشٌ . ومثاله كمن أخذَ عقداً قد اتّبنَ نظمه وأحسنَ تاليقه فأوهاهُ وبدّدهُ وكان يقومُ عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقداً الى صورةٍ أخرى مثله أو أحسنَ منه . وأيضاً فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهوراً السرقة فيقال هذا شعرُ فلانٍ بعينه لكونِ الفاظه باقيةً لم يتغير منها شيءٌ . وقد سلكَ هذا المسلكَ بعضُ العراقيينَ فجاءَ مستهجناتٍ كقوله في بعضِ أبياتِ الحماسةِ

وَأَلَدَ ذِي حَنْتِي عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عِدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
أَرْجِيئِهِ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكُوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِيٍّ

فقال في نثر هذين البيتين : فكم لقيَ ألكَ ذا حنقٍ كأنه ينظرُ الى الكواكبِ من علٍ وتغلي عداوةُ صدره في مِرْجَلِ فكواه فوق ناظره وأكبّه لغمه ويديه . فلم يزد هذا النائرُ على أن أزالَ رونقَ الوزنِ وطلاوةَ النظمِ لا غير .

ومن هذا القسمِ ضربٌ محمودٌ لا عيبَ فيه وهو أن يكونَ البيتُ من الشعر قد تضمنَ شيئاً لا يمكنُ تغييرُ لفظه حينئذٍ يُعذرُ نائره إذا أتى بذلك اللفظُ وكذلك الأمثالُ السائرةُ فإنه لا بدَّ من ذكرِها على ما جاءت في الشعرِ وأما القسمُ الثاني وهو وسطُ بينَ الأولِ والثالثِ في المرتبةِ فهو أن ينثر المعنى المنظومَ ببعضِ ألفاظه ويعبّرَ عن البعضِ بألفاظٍ أخرى . . هناك تظهر

الصُّنْعَةُ فِي الْمِثَالَةِ وَالْمِثَابَةِ وَمَوَاقَاةِ الْأَلْفَاظِ الْبَاقِيَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْمُرْتَبِلَةِ .
فَإِنَّهُ إِذَا أَخَذَ لَفْظًا لِشَاعِرٍ مُجِيدٍ قَدْ نَقَحَهُ وَصَحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بِمَا لَا يُلَاقِيهِ كَانَ كَمَنْ
جَمَعَ بَيْنَ لَوْ لَوْحَةٍ وَحِصَاةٍ . وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِتْنَابِ لِلْقَدَحِ
وَالِاسْتِهْدَافِ لِلطَّعْنِ . وَالطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَنْ تَأْخُذَ بِبَعْضِ بَيْتٍ
مِنَ الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تُمَازِلُهُ . وَسَأُورِدُ هَهُنَا مِثَالًا وَاحِدًا
لِيَكُونَ قُدْوَةً لِمَنْ تَعَلَّمَ فَأَقُولُ : قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَعْرِ أَبِي تَمَامٍ فِي
وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ

حَذَاهُ تَمَلُّ كُلِّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُدْرُ كُلِّ وَرِيدٍ
فَقَوْلُهُ (تَمَلُّ كُلِّ أُذُنٍ حِكْمَةً) مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا فِي
الْبَيْتِ . فَإِذَا ارْتَدَّتْ أَنْ تَنْتَرُ هَذَا الْمَعْنَى فَلَا بَدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ لَفْظِهِ بِعَيْنِهِ لِأَنَّهُ
فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ أَنْ تُؤَاخِيَهُ بِمِثْلِهِ وَهَذَا
عَسْرٌ جَدًّا وَهُوَ عِنْدِي أَصْعَبُ مِثَالًا مِنْ نَتْرِ الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلُوكٌ
ضَيِّقٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّبَرُّضِ لِمِثَالِهِ مَا هُوَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجُودَةِ . وَأَمَّا نَتْرُ
الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ فِيهِ نَائِرُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ
مُقَيَّدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يَضْطَرُّ إِلَى مَوَاقَاةِهِ . وَقَدْ نَتَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَشَارَ إِلَيْهَا
وَأَتَيْتُ بِهَا فِي جُمْلَةٍ كِتَابٍ فَقُلْتُ : وَكَلَامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَشْهَرَ
وَفَاقَ مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ الْمَعْرِفَةُ لَهُ عِلَامَةً
وَأَمِنْ مَنْ سَرَقَتْهُ إِذْ لَوْ سُرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْوَسَامَةُ . وَمِنْ خُصَائِصِ صِفَاتِهِ
أَنْ يَمَلَّ كُلِّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَيَجْمَلُ فَصَاحَةً كُلِّ لِسَانٍ عُجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ
نَفْسَاتُهُ فِي الْأَفْهَامِ قَالَتْ أَهْذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ .

فانظر كيف فعلت في هذا الموضع فاني لما اخذت تلك الكلمات من البيت الشعري التزمت بأن أواخيها بما هو مثلها او احسن منها فجتت بهذا الفصل كما تراه . وكذلك ينبغي ان يفعل في ما هذا سبيله

واما القسم الثالث وهو اعلى من القسمين الاولين فهو ان يأخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير الفاظه . وثم يتبين حذق الصانع في صياغته ويعلم مقدار تصرفه في صناعته فان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية والا احسن التصرف واتقن التأليف ليكون اولى بذلك المعنى من صاحبه الاول واعلم ان من آيات الشعر ما يتسع المجال لناثره فيورده بضروب من العبارات وذلك عندي شبيه بالمسائل السائلة في الحساب التي يجاب عنها بعدة من الاجوبة . ومن الآيات ما يضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر في هذه الصناعة ان لا يخرج من ذلك اللفظ وانما يكون هذا لعدم النظر فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول ابي الطيب المتنبي

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

وقد نثر هذا المعنى فمن ذلك قولي : لا تعذل المحب في ما يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه . ومن ذلك وجه آخر وهو اذا اختلفت العيان في النظر فالعذل ضرب من الهذر . وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل الفاظه فكقول ابي تمام

تردئ ثياب الموت حمرأفا أتى لها الليل الأوهي من سندس خضر

قصده ابراهيم المولخاة في ذكر لوني الثياب من الأحمر والأخضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذي أراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة .

وهذا البيت لا يمكنُ تبديل الفاظه وهو وامثاله مما يجبُ على النَّاثِرِ أَنْ يُحَسِّنَ الصَّنْعَةَ فِي فَكِّ نَظَائِمِهِ لِأَنَّهُ يَتَصَدَّقُ لِنَثَرِهِ بِالْفَاظَةِ . فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ تَصْرِفُ وَبَسْطَةَ عِبَارَةٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِهِ حَسَنًا رَاقِعًا . وَقَدْ قُلْتُ فِي نَثَرِهِ : لَمْ تَكْسُهُ الْمَنَآيَا نَسَجَ شِفَارَهَا حَتَّى كَسَتْهُ الْجَنَّةُ نَسِجَ شِعَارِهَا فَبَدَّلَ أَحْمَرُ ثَوْبِهِ بِأَخْضَرِهِ وَكَأْسُ حَامِيهِ بِكَأْسِ كَوْنِهِ

وإذا انتهى بنا الكلامُ إلى ههنا في التنبيهِ على نثر الشعرِ وكيفيةِ نثره وذكرُ ما يسهلُ منه وما يعسرُ فلنتبع ذلك بقولٍ كليٍّ في هذا البابِ فنقول : من أحبَّ أن يكون كاتبًا أو كان عنده طبعٌ محبوبٌ فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك . ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته . . وطريقته أن يبتدئَ فيأخذ قصيداً من القصائد فينثره بيتاً بيتاً على التوالي . ولا يستكشف في الابتداء أن ينثر الشعرَ بالفاظه أو بأكثرها فإنه لا يستطيع إلا ذلك ، وإذا مرَّنت نفسه وتدرَّبَ خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك فيكسوه ضرباً من العبارات المختلفة . وحينئذٍ يحصل لحاطره بمباشرة المعاني لقاحٌ فيستنتجُ منها معاني غير تلك المعاني

وسيله أن يكثرَ الادمانَ ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدَّةً طويلةً حتى يصيرَ له مَلَكَةٌ . فإذا كتب كتاباً أو خطب خطبةً تدقَّت المعاني في أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولةً وكان عليها حِدَّةٌ حتى تكاد ترقصُ رقصاً — وهذا شيءٌ خَبِرْتُهُ بِالتَّجَرُّبَةِ وَلَا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَبِيرِ

(عن المثل السائر باختصار)

﴿ التخلص والافتضاب في مواضيع الانشاء ﴾

التخلصُ هو أن يأخذَ مؤلفُ الكلام في معنى من المعاني فينبأ هو فيه اذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً اليه فيكونُ بعضه أخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكونُ جميع كلامه كأنما افرغ اِفرغاً وذلك مما يدلُّ على حِذق الشاعر وقوة تصرفه من اجل ان تطاق الكلام يَضيق عليه ويكون متبعاً للوزن والقافية فلا تواتيه الالفاظ على حَسَب ارادته. وأما النثر فانه مطلق العنان يمضي حيث شاء فلذلك يشقُّ التخلص على الشاعر أكثر مما يشقُّ على النثر. ومما جاء من التخلصات الحسنة قول المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ

خَلِيلِيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدُّوَلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض الآخر الى الخروج الى مدح الممدوح في هذه الأبيات كأنه اُفرغ في قالب واحد، والافتضاب أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح او هجاء او غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالاول كقول ابي نواس المتوفى سنة ١٩٨هـ في قصيدته النونية التي لم يكمل حنوها بالتخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضاباً فينبأ هو يصِفُ الحُرَّ ويقول

فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذْلِ كَرِهْتُ مَسْمُوعَةَ أَذْنِي
مِنْ كَمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٌ مَا سَلَسَلَتْ فِي بَدْنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ قَتِي فَدَرَى مَا لَوْعَةِ الْحَرَنِ

(حتى قال)

تَضَعُكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ
 سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَانَ الْبَخْلَ لَمْ يَكُنْ
 وَإِذَا لَمْ يَحْسُنِ التَّخْلُصُ بَانَ كَانَ قَبِيحاً مَمْسُوحاً فَلَا قَتَضَابُ أُولَى مِنْهُ
 فَيَنْبَغِي لِسَالِكِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنَّهُ التَّخْلُصُ حَسَناً
 كَمَا يَنْبَغِي وَالْأَفْلِدَعَةُ وَلَا يَسْتَكْرِهَهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا
 وَاعْلَمْ أَنَّ التَّخْلُصَ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ
 فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ (انتهى من المثل السائر بتصرف)

❦ كيفية افتتاح مواضيع الانشاء وختامها ❦

الافتتاحُ أَنْ تَجْعَلَ مَطْلَعَ الْكَلَامِ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَالاً عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ أَنْ كَانَ فَتَحاً فَفَتَحاً وَأَنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ عَزَاءً فَعَزَاءً وَهَكَذَا : وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ مِنْهُ فَإِذَا نَظَّمَ الشَّاعِرُ قَصِيدَةً فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحاً صِرَفاً لَا يَخْتَصُّ بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَتِحَهَا بِغَزَلٍ وَبَيْنَ أَنْ يَرْتَجِلَ الْمَدِيحَ أَرْتَجِلاً مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

إِنْ حَارَتْ الْأَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ فِي ذَا الْقَامِرِ فَعِذْرُهَا مَقْبُولُ
 سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهْمُ أَبْدَأْ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ
 وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ كَفَتْحِ مُقْفَلٍ أَوْ هَزْمَةٍ حَشَتْ

أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يُبدَأَ فيه بفزل ، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يُتَظَرُّ منه أو يُستَقْبَحُ : لا سيما إذا كان في التهانى فإنه يكون أشدَّ قبحاً : وإنما يُستعمل في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة : ومتى كان الكلام في المديح مُفْتَتِحاً بشيء من ذلك تَظَرُّ منه سامعه وإنما خُصَّتْ الإبتداءاتُ بالاختيار لأنها أول ما يطرقُ السَّمْعُ من الكلام فإذا كان الإبتداء لاثقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استعماله : والختام أن يكون الكلام مُؤَذِّناً بتمامه بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئاً بعده : فعلى الشاعر والنائر أن يتأنقا فيه غاية التأنق ويجوِّدا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع ويتردَّدُ صدهاء في الأذن ويعلق بحواشي الذِّكر فهو كَمَقَطْعِ الشَّرَابِ يكون آخر ما يَمُرُّ بالفم ويعرض على الذوق فيشعر منه بما لا يشعر من سواه : ولذلك ينبغي أن يكون الختام مُبْتَرَأً عن سائر الكلام قبله بِنُكْتَةٍ لَطِيفَةٍ أو أُسْلُوبٍ رَشِيقٍ أو معنى بليغ : ويختار له من اللفظ الرقيق الحاشية الخفيف الحمل على السمع السهل الورد على الطبع ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والثقل وغير ذلك ، وحكم الختام كما سبق أن يكون مؤذِّناً بتمام الكلام بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئاً بعده ، وإذا لم يكن المعنى دالاً بنفسه على الختام حَسَنَ أن يُدَلَّ عليه بكلام آخر يُذكر على عَقَبِ الفراغ من سياقة الأغراض السابقة ، وحكمه أن يكون منزعاً مما سبقه فيبقى به تقريراً لشيء من الأغراض أو اجمالاً لِمُفْصَلِهَا مُورِداً على وجه من وجوه البلاغة أو الكلام الجامع أو مُخْرِجاً مُخْرِجَ المثل أو الحكمة أو ما شاكل ذلك مما تعلقه الخواطر وتُعيدُه الأذهان كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

وما أَخْصَكُ في بُرءِ بَهْتَةٍ إذا سَلَمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قد سَلَمُوا
وكقول الرَّمَحْشَرِيِّ المتوفى سنة ٥٢٨ هـ في ختام إحدى مقالاته (ان الطَّيِّشَ
في الكلام يُترجمُ عن خِيفَةِ الأَحْلَامِ وما دَخَلَ الرَّفَقُ شَيْئاً إلا زَانَهُ وما زَانَ
المتكلمُ الا الرِّزَانَةَ) وأما في غير ذلك فلا كثرُ فيه أن يُضْمَنَ غرضاً آخر من
الدَّعَاءِ أو عَرَضَ النَّفْسِ على خدمةِ المَكْتُوبِ اليه أو تَوَقَّعَ الجَوَابَ منه أو غير
ذلك مما تَحْتَمِلُهُ مقاماتُ الكلامِ وَهَتَضِيهِ دواعي الحال : واكثر ما يَحْتَمِلُونَهَا في
النثر بعد الاغراض المذكورة بقولهم ان شاء الله : أو بِمَنِّ الله وفضله : وما أشبه
ذلك وكثيراً ما يَخْتِمُ النَّاتِرُ بقوله والسلام : أو بلا حَوْلٍ ولا قُوَّةَ الا بالله :
أو بقوله والله المستعان : أو بقوله والحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً . أو بقوله
والله اعلم : أو غير ذلك . وربما خَتِمَ بِمَثَلٍ كختم الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ
رسالته بقوله : ولقد سلك الأميرُ مِنَ الكَرَمِ طريقاً يَسْتَوْحِشُ فيها لِقَلَّةِ سَالِكِهَا
وَيَتَنَبَّهُ في قفارها لدُرُوسِ آثارها وانهدامِ منازلها أعانه الله على شُعُوبَةِ الطريق وقَلَّةِ
الرَّفِيقِ وألْهَمَهُ صَبْرًا يَهْوَنُ عليه اِحْتِمَالُ المَغَارِمِ وَيُقَرِّبُ عليه مَسَافَةَ المَكَارِمِ ،
فبالصَّبْرِ تَنَالُ العُلَا وعند الصباح يَحْمَدُ القومُ السَّري

ومن أَمَثَلِهِ في الشَّعْرِ قولُ ابنِ الوَرْدِيِّ المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

سلامٌ عليكم ما أَحَبَّ وَصَالِكُكُمْ وَغَايَةُ مَجْهُودِ القُلِّ سلامٌ

﴿ تقسيم الانشاء الى فنى النظم والنثر ﴾

اعلم أنَّ لسانَ العرب وكلامهم يدور على فئتين . فنَّ الشعر المنظوم وهو الكلام المُقَفَّى الموزونُ بأوزانٍ مخصوصةٍ . وفنَّ النثر وهو الكلام الغير الموزون فأما الشعرُ فنَّه المدحُ والمجاءُ والرسالةُ . وأما النثرُ فنَّه ما يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافيةٌ واحدةٌ ويسمى سجعاً وهو ثلاثة أقسام القسمُ الأولُ أن يكونَ الفصلانِ مُتساويين لا يزيدُ أحدهما على الآخر كقوله تعالى (فأما اليتيمَ فلا تقهرْ وأما السائلَ فلا تنهرْ) وهو أشرف السجع منزلةً للاعتدال الذى فيه : القسمُ الثانى أن يكونَ الفصلُ الثانى أطولَ من الأولِ لا طويلاً يخرجُ به عن الاعتدال خروجاً كثيراً فإنه يقبحُ عند ذلك ويُستكره ويُعدُّ عيباً فما جاء من ذلك قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مُقرئين دعوا هنالك ثبوراً ^(١)) فالفصلُ الأولُ ثمان لفظات والثانى والثالث تسع وتسع من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاث فقرَ فإنَّ الفقرتينِ الأولىينِ مُحسبان في عِدَّةٍ واحدةٍ ثم تأتي الثالثةُ فينبغي أن تكون طويلاً طويلاً يزيد عليهما وقد تكون الثلاثةُ مُتساويات كقوله (في سدرٍ ^(٢) مخضود ^(٣) وطلح ^(٤) منضود ^(٥) وظلّ ممدود) القسمُ الثالثُ أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أقصرَ من الأولِ وهو عيبٌ فاحشٌ ^(٦) وأما النثر

(١) وبلا (٢) شجر مروف (٣) مقطوع شوكة (٤) الموز (٥) مترام بعضه فوق بعض (٦) للسجع أربعة شروط اختيار المفردات النصيحة واختيار التأليف الفصيح وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لثلاث يصبح الكلام تطويلا معيبا

المرسلُ فهو ما يؤتى به قطعاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها وهو الذي يُطلقُ فيه الكلام إطلاقاً ولا يُقطعُ أجزاءً بل يرسلُ ارسالاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها (انتهى من المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية عمل الشعر ﴾

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً أوّلها الحفظ^(١) من جنسه (أى من جنس شعر العرب) حتى تنشأ في النفس ملكةٌ يذسج على منوالها ويُتخبرُ المحفوظُ من الحرّ النقيّ الكثير الأساليب وهذا المحفوظُ المختار أقل ما يكفي فيه شعرُ شاعر من فحول الاسلام مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذى الرمة وجبرير وأبي نؤاس وأبي تمام والبحتري والشريف الرضي وأبي فراس وأكثره شعر (كتاب الاغانى) لأنه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كلّها والمختار من شعر الجاهلية

ثم لا بدّ له من التخلوة واستجادة المكان المنظوم فيه باشتماله على مثل المياه والازهار وكذا استجادة المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور : ثم مع هذا كلّه فشرطه أن يكون على آجام^(٢) ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه : قالوا وخيرُ

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردى ولا يعطيه الرونق والحلاوة الاكثره المحفوظ فن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحن القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم الملكة وترسخ وربما يقال ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتجدي وسومه الحرفية الظاهرة اذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كانه منوال يأخذ في النسج عليه بمثلها من كلمات أخرى ضرورة (٢) الراحة

الافاق لذلك أوقات البكر^(١) عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر: وربما يكون من بواعثه العشق والانتشاء: قالوا فإن استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه: وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه يضعها ويبنى الكلام عليها الى آخره لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فربما تجيء نافرة قلقة وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق الا المناسبة فليختار فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد التخلص منه بالتقيح^(٢) والنقد ولا يضمن^(٣) به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخاص من الضرورات الانسانية فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة، وقد حذر أئمة اللسان على المؤلّد^(٤) ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى من الملكة ويجتنب ايضاً المعقّد من التراكيب جهده بحيث تكون ألفاظه على طبق معانيه ومعانيه تسابق ألفاظه الى الفهم ويجتنب ايضاً الخوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقي المبتذل فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة ايضاً فيصير مبتذلاً ويقرب من علم الافادة وفي هذا القدر كفاية

(عن ابن خلدون باختصار)

(١) جمع بكرة الصباح وزن غرفة وغرف (٢) بالتهذيب (٣) بفتح الصاد وكرهه لا يعقل (٤) هو من وجد بعد اختلاط المعجم بالعرب كالعباس بن الاحنف ومن بعده

﴿ الباب الثاني في فنون الانشاء ﴾

فنونه سبعة وهي المكاتبات والمناظرات والامثال والافصاف والمقامات والروايات والتاريخ

﴿ الفن الاول في المكاتبات والمراسلات ﴾

المكاتبة وتعرف أيضاً بالمراسلة هي مخاطبة الغائب بلسان القلم وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث انها ترجعان الجنان ونائب الغائب في قضاء أوطاره^(١) ورباط الوداد مع تباعد البلاد، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب اليه والنسبة بينهما^(٢) وخواصها خمس السذاجة والجلالة والايجاز والملاءمة والطلاوة^(٣) فالسذاجة تجعل الكلام فطرياً سائماً من شوائب التكلف منزهاً عن زخرف^(٤) القول بعيداً عن بهرجة^(٥) الكلام والجلالة هو العدول عن الكلام المغلق والتشايه المستبعدة والتراكيب الملتبسة الى الكلام المذهب الصريح والايجاز تنقيح الرسالة من حشو الكلام وتطويل الجمل فيبرزها وافية الدلالة على المقصود مقتصرة على

(١) الحاجات (٢) قال ابراهيم بن محمد الشيباني : اذا احتجت الى مخاطبة اعيان الناس او اوساطهم او سوتهم فخطب كلادى قدر ايمته وجلالته وعلمو مكاتته وانتباهه وفطنته : ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك : فلا يكتب لمن اصيب في ماله او في عياله كما يكتب لمن فرغ باله ووفر ماله : قال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام واوقاته ومراعاة احوال المخاطبين بالنسبة الى التسكيم وادلم ان لكل مقام مقالا (٣) بتثليث الطاء (٤) مزودة (٥) العدول عن الجادة المقصودة

المحسّنات القريبة المنال^(١): والملاءمة تنزّلُ الالفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب اليه فلا تعطى خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس خسيس الكلام على انها تجعل الرسالة وتعايرها مستعذبة الاوضاع حسنة الارتباط يأخذ بعضها بأزمة بعضي . والطلاوة تكسو الكلام رونقاً واشراقاً بجودة العبارة وسلامة المعاني وسلاسة الالفاظ^(٢) وتجعله بذلك أحسن موقفاً عند سامعه

﴿ أبواب الرسائل ﴾

تنقسم الرسائل باعتبار موضوعها الى ثلاثة أقسام الاول الرسائل الالهية والثاني الرسائل المتداولة والثالث الرسائل العلمية

﴿ الكلام على الرسائل الالهية ﴾

الرسائل الالهية وتُعرف برسائل الاشواق هي ما دارت بين الاقارب والاصدقاء وأسفرت^(٣) عن مكنون^(٤) الوداد وسرّات الفؤاد ولا حرج على الكاتب اذا بسط فيها الكلام على أحواله وأخفى السؤال في أحوال أصحابه ، وتنفرد هذه الرسائل بأن يُطلق الكاتب فيها العنان للاقلام ويتجافى عن الكلفة ويعدل عن الانقباض : وقد قيل . الأُنس يُذهب المهابة والانقباض يُضيّع المودة . هذا : ولا بد من مراعاة مقتضى الحال والاعتصام بركن الفطنة اخذاً بقول أبي الاسود الدؤلي

(١) ولا يعد مناقضاً للايجاز ما يستدعيه انقمام من البسط في الموضوع اما تعزيزاً للمعنى واما حذراً من الابهام او دلالة على عواطف القلب او رغبة في تفكيكه الخواطر قال الاقدمون خير الكلام ما قل ودل ولم يعمل (٢) سهولتها (٣) كشفت (٤) مستور

لا تُرسلن رسالةً مشهورةً لا تستطيعُ اذا مضت ادراكها
والى هذا الباب ترجعُ مكاتباتُ الاشواق والتعارُف قبل اللقاء والهدايا
والاستعطافِ والاعتذار وغير ذلك . ولندكرُ شذرات من أقوال الكتاب^(١)

﴿ الفصل الاول في الشوق ﴾

« كتب أبو منصور الثعالبي — المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

شوقى اليك رهين قلبي وقرين صدري والزعيم^(٢) بتعليق فكرى وتفريق
صبرى سَميرُ ذكرى ونديمُ فكرى زادى فى سفرى . وعتادى^(٣) فى حضرى
لا يستقلُّ به صدرى ولا يقوى عليه صبرى يكادُ يكونُ لزماً ويعدُّ غراماً لا
يرحل مقيمهُ ولا يُصرف غريمهُ استخفَّ نفسى واستفرَّها وحرك جوانحى وهزَّها
شوقٌ أخذَ بسمعِ خاطرى وبصره وحال بين مَورد^(٤) قلبه ومصدره^(٥) شوقٌ
قد استنفذَ جلدى^(٦) وملاكَ خَلدى^(٧) شوق برانى بَرى الخلال^(٨) ومحققى محقِّ
الهلل شوق تركنى حرصاً^(٩) وأوسعنى مضضاً^(١٠) أرانى الصبرَ حسرةً والوجد
يمنة ويسرة شوق يزيد على الأيام^(١١) توقداً وتأججاً وتضرماً وتوهجاً نار الشوق
حشواً ضلوعى وماء الصبابة ملء جفونى أنا من لواعج الشوق بين غمام لا تمطر
الا صواعقَ وسامٍ^(١٢) قد قدحت فى كبدى من الحرقه بهذه الفرقة ما يفوت

(١) قد أفردنا للرسائل الاهية كتاباً خاصاً أسميناه (انشاء المكاتبات العصرية والمراسلات
العربية) وطبعناه سنة ١٣٣٨ هـ فارجع اليه اذا شئت ولهذا نختصر فى هذا الكتاب ابواب
الرسائل ونذكر ما تمس اليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعدته لحوادث الدهر (٤)
موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضاً (١٠) وجعا
(١١) بضم الهزة وكسرهما الدخان (١٢) الريح الحارة

أيسره حدّ الشكايّة ويجوز أضعفه كُنّه الكناية . شوقُ الرّوض الماحل ^(١) الى
الغيث الهاطل

« وكتب في تشبيه الشوق »

ما الأعرابية حنّت الى نجد وأنّت من وجد بأشدّ مني كلفاً ^(٢) وأنتم مني
شغفًا . أنا في شدّة الشوق اليك كالعطشان كُشِفَ له عن ماء عذب ومُنِع منه
بمانع صعب شوق لو أُلقي على الكواكب بعضه لما سارت أو كُفّت الأفلّاك ثقله
لما دارت شوق لو فُرق على القلوب الخالية لاشتغلت ولو قُسم على الأكباد الباردة
لاشتعلت أنا أشتاقك مع كل صباح طالع وضياء شارق ونجم طارق ^(٣)

« وكتب في أثر الفراق »

وَجَدْتُهُ يَتَكَرَّرُ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ ^(١) وَيَسْتَعْرِقُ سَاعَاتِ الْمُلَوِّينِ ^(٢) قَدْ تَحَمَّلْتُ
مَعَ يَسِيرِ الْفَرْقَةِ عَظِيمِ الْحَرْقَةِ وَمَعَ قَلِيلِ الْبُعْدِ كَثِيرَ الْوَجْدِ قَدْ آتَنَيْتُ بِجِسْمٍ نَاحِلٍ
وَصِرْتُ مِنْ صَبْرِي عَلَى مَرَاحِلِ فَارَقْتَنِي فَأَرَقْتَنِي ^(٣) وَفَرَقْتَ جَمِيعَ صَبْرِي
وَأَسْتَصْجِبُ فَرِيقًا مِنْ قَلْبِي فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ عَيْنِي وَالرُّقَادِ ^(٤) وَجَنِبِي وَالْمِهَادِ ^(٥)
مَا أَعْوَلُ إِلَّا عَلَى الْعَوِيلِ ^(٦) لَوْ كَانَ يُغْنِي وَلَا أَسْتَنْصِرُ غَيْرَ الْوَجْدِ لَوْ كَانَ
يَجْدِي ^(٧) يَدِي لَا تُسَاعِدُنِي وَخَطِّي لَا يَشْبَهُ فِي الدَّقَّةِ إِلَّا بَدَنِي لَوْلَا حَصَانَةُ ^(٨)
الْأَجْلِ تَخَرَّجْتُ رُوحِي عَلَى عَجَلِ فَارَقْتَنِي فَتَفَرَّقَ عَنِّي شَمْلُ أَنْسٍ مُنْتَظِمٍ
وَتَمَكَّنَ مِنِّي بَرَحُ شَوْقٍ مُضْطَرَمٍّ فَارَقْتَنِي فَفَرَقْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ وَتَرَكْتَنِي

(١) المجدب (٢) كلفاً مصدر كلف من باب فرح التنخير (٣) الآتي ليلاً (٤) الليل
للنهار (٥) الليل والنهار أيضاً (٦) اسهرتني (٧) النوم (٨) مكان النوم (٩) وضع
الصوت بالكاء (١٠) ينقع (١١) حفظ

والتزعاع في قرن^(١) قد صرت حليف وحشة وان كنت ثأوياً^(٢) في وطن ،
 وقرين كربة وان كنت بين جيرة وسكن
 عسى الدهر يُديننا ويُدني دياركمو ويجمع ما بيني وبينكمو الشمل
 فأشكو تباريح الغرام اليكمو وحرّ جوى تبلى عظامي وما يبلى
 « وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ هـ »

قلبي بنار الهوى مُعذبٌ شوقاً الى حضرة المذهب
 شوقاً الى ماجد كرمٍ يخطر لي ذكره فأطربُ
 وبعدُ فالعبدُ ينهي من لواقع^(٣) شوقه ولو أفتح^(٤) توقه^(٥) الى شهود
 ذاتكم الجيلة ومشاهدة صفاتكم الجيلة لينشق عرفكم^(٦) الفائح ويخور عرفكم^(٧)
 'لفائح مدّ الله سبحانه وتعالى ظلّكم وأدرّ وبلّكم^(٨) وظلّكم^(٩)
 أحبّ الوعد منك وان تمادى وأقنع بالخيال اذا ألمّا
 عسى الايام تسمع لي بوصلي وتأخذني من الهجران سلماً
 والجناب منذ طوى عنا أبواب ملاقاته. وزوى منا أطيب أوقاته قبض
 العبدُ عنان مقالته وخفض لسان حاله
 شكوت وما الشكوى بثلى عادة ولكن تفيض العين عند امتلائها
 فجلس الفراق بعظيم حجاب. وألم عذابه. على ذروة^(١٠) عرشه. وأقترس
 بقوة بطشه. وصار للسرّ جاراً. وأوقد للحرب ناراً جهاراً
 طوعاً لقاض أتى في حكمه عجباً أفنى بسفك دمي في الحل والحرم
 (١) قرن مصدر قرن من باب فرح التقى (٢) مقيماً (٣) الرياح (٤) الرياح الحارة.
 (٥) الشوق (٦) الريح الطيبة (٧) نبت يقال له النمام طيب الرائحة (٨) المطر الكثير
 (٩) للندى (١٠) بغم الدال وكسرهما أملاء

وهذه حالته المفضح عنها مقالته
 إن الأمور إذا التوت وتعددت جاء القضاء من الكريم فخلها
 فلعل يسراً بعد عسر عليها ولعل من بعد العود يحلها
 فلعل غروس التقى قد أثمرت . وليالي الحظ قد أقرت
 سألت أحبي ما كان ذنبي أجابوني وأحشائي تذوب
 إذا كان المحب قليل تحظ فما حسنة إلا ذنوب
 فرعى الله إياماً لاحت^(١) فيها أقمار^(٢) غروزها . وفاحت فيها أطراز
 طروزها من بهاء سمائها . على منارضيائها . من ذات جلالها . وصفات دلالها . في
 جنات عواطفها . وحنات تعاطفها
 فان كنت لا أطرق^(٣) رَحْب^(٤) فَنَائِكُمْ^(٥) فمقد أطرق باب ثنائكم
 لئن غيبتني عن ذراك حوادث فليس ثنائي عن فَنَاكَ بغائب
 « وكتب عبد الرحمن بن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٤٣١ هـ »
 كتبت أعزك الله عن ضمير اندمج^(٦) على سر اعتقادك دُرّه . وتبلغ^(٧)
 في أفق ودادك بدره . وسال على صفحات ثنائك مسكه . وصار في راحتي
 سنائك^(٨) ملكه . ولما ظفرت بفلان حملته من تحيتي زهراً جنباً . يوافيك عزفه
 ذكياً . ويوالياك أنسه نجيأ^(٩) . ويقغي من حقت فرضاً مائياً^(١٠) . على أن
 شخص جلالك لي مائل^(١١) وبين ضلوعي نازل . لا يملّه خاطر . ولا يمسّه عرض
 دائر^(١٢) ان شاء الله عز وجل

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الاعصان من النوار (٣) آتي ليلا (٤) المسم
 (٥) بكسر الفاء مسمع البت (٦) خفي واستتر (٧) أضاء (٨) رفعتك (٩) مناجياً
 (١٠) آتياً (١١) متمثل (١٢) هالك

« وكتب أبو الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ »

قد قُرِبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مَحْلُوكٌ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ مُسْتَقَرِّكَ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ
الشَّوْقَ يُمِثِّلُكَ . وَالذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ . فَنَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى اقْتِرَاقٍ . وَفِي الْبَاطِنِ
عَلَى تَلَاقٍ . وَفِي النِّسْبَةِ مُتَبَايِنُونَ . وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ : وَلَئِنْ تَفَارَقَتِ الْأَشْيَاحُ
لَقَدْ تَعَانَقَتِ الْأَرْوَاحُ

« وكتب بدیع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ »

يَعِزُّ عَلَى أَطَالِ اللَّهِ بَقَاءَ مُوَلَايَ . أَنْ يَنْوُبَ فِي خِدْمَتِهِ قَلْبِي عَنْ قَدَمِي
وَيَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ وَصُولِي . وَيُرِدَّ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ
رِكَابِي : وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَاقِقُ جَمَّةٌ

(وَعَلَى أَنْ أَسْعَى وَلِيَسْ عَلَى ادْرَاكِ النَّجَاحِ)

وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبِلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْهَيْطَانِ وَلَكِنْ شَفَعْنَا
بِالْقُطَّانِ . وَلَا عِشْقُ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى السَّكَّانِ

أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ سَلَمِي أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَفَعَنِي قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَ

وَحِينَ عَدْتُ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمَلَيْتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى

مُوَلَايَ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرٍ وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ

أَنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكُنْ أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابًا

« وكتب أبو محمد عبد الله البطلاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ »

يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِمَادِي الْأَسْنَى وَحُسْنَةَ الدَّهْرِ الْحَسَنَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ
وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ لِفَضْلِ يُعْلَى مَنَارِهِ وَعِزِّهِ يُجْبَى

آثاره : نحن أعزك الله ننداني اخلاصاً وان تناءينا أشخاصاً ويجمعنا الادب وان
فرقنا النسب فلاشكال أقارب والآداب مناسب وليس يضر تنائي الاشباح
اذا تقاربت الارواح

نسيبي في رأيي وعلمي ومذهبي وان باعدتنا في الأصول المناسب

« وكتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ »

أراني أذكر « مولاي » اذا طلعت الشمس أو هبت الريح أو نجم النجم
أو لمع البرق أو عرض الغيث أو ذكر الليث أو ضحك الرّوض وأنّي^(١)
للشمس معيآه^(٢) وللريح رياه^(٣) وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه^(٤) وسناه^(٥)
وللغيث نداءه^(٦) ونداه^(٧) وفي كلّ صالحة ذكره وفي كلّ حادثة أراه فتي
أنساه واشدّة شوقه : عسى الله أن يجمعني وإياه

« وكتب الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

ما زلت أدافع النفس عما تتقاضاني من شكوى أشواقها وفي الشكوى شفاء
واستنزال أثر من لدنك تتعلّل به مسافة البين^(٨) الى أن يمن الله باللقاء ومن
دون اجابتها مشاده^(٩) قد شغلت الذرع^(١٠) وشواغل قد أفرغ من دونها
الوسع الى أن غلب جيش الوجد على معاقل الصبر وزاحم مناكب العدو
حتى ضرب أطنابه^(١١) بين الحجاب^(١٢) والصدر فالتحنت هذه الرقعة أزجيتها^(١٣)
اليك وفيها من وقر^(١٤) الشوق ما ينوء^(١٥) برسولها ومن رقعة الصباية ما يكاد

(١) أي من أين (٢) وجهه (٣) ريحة طيبة (٤) الرقعة (٥) بالقصر الضوء (٦) بضم
النون وكسرهما أشهر الصوت (٧) المطاء (٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبيل
يشد به سرادق البيت (١٢) لحة رقيقة بين الجنين (١٣) أرفها (١٤) بكسر الواو الحبل
ثقيل (١٥) يشغل به

يطيرُ بها : أو يخلفها فيصافحُ الاعتابَ قبل وصولها : راجيا لها أن تسَلِّقَ بماعُهدَ في
سيدي من الطلاقة والبشر وأن لا يَضُنَّ (١) عليها بما عودني من تمهيد العذر
ويصلاني من بعدها بأنبائه (٢) الطيبة عائدة عنه بما يكون للناظر قرة وللخاطر
مسرة : ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه

« وكتب أيضاً »

وَأفاني كتابك العزيزُ فأهلاً بأكرم رسول جاء بينات الاخلاص والوفاء
مصدقاً لما بين يديه من ذمة الوداد والإيحاء . يتلو على من حديث الشوق
ما شهد بصحته سُقْمِي . وهتَفَ مؤذنه في كل مفصل من جسمي ويذكرني من
عهدك ما طالما أذكرنيه البرقُ إذا لمعَ والبدرُ إذا طلعَ والقمرُ (٣) إذا سجعَ .
وانما عداني عنك ما أنا فيه من مجاذبة الشواغل ومساورة (٤) البلائل (٥)
وفي القلب ما في القلب من شجن الهوى تبدلت الحالات وهو مقيمُ
وأنا على ما بي من غلّ البنان (٦) وشغل الجنان (٧) ما زالت أنباؤك (٨) عندي
لا يخطئني بريدُها ولا ينقطع عني ورودها نُهَيئُ النفس منها بما تمنى لك من
سلامة لا يربث (٩) لها شعاع واقبال لا يعترضه باذن الله اذار
وقصارى المأمول في كرمك أن تعاملني بما سبق لك من جميل الصلة الى
أن يؤمن الله بالاجتماع ويفنى بالعيان عن السماع وما ذلك على الله بعزيز
« وكتب أبو العباس الفسائي المتوفى سنة ٤٩٨ هـ »

سِرُّ الى مجلس يكاد يسيرُ شوقاً اليك . ويطيرُ بأجنحةٍ من جواه حتى

(١) أى لا يغل (٢) اخباره (٣) طير من جنس الحمام يقال للاتى قرية ولذا ذكر ساق
احمر (٤) الموثبة (٥) الاحزان (٦) الاصابع (٧) القلب (٨) اخبارك (٩) لا يبلى

يحلّ بين يديك فلاله در^(١) كماله ان طلعت بدرأ بأعلاه ، وجمالِه ان ظهرت
غرة بمحيّاه . فهو أفق قدحوى نجومًا تتشوّق الى طلوع بدرها وقطر قد اشتمل
على أنهار تشوّق الى بحرها لتستمد منها ان مننت بالحضور والا فيا خيبة السرور

« وكتب صاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ »

مجلسنا يا سيدى مفتقر اليك معول في شوقه عليك ولقد تورّدت خدودُ
بنفسجه وفتقت فأرة^(٢) نارنجيه^(٣) وأطلقت السنُ الأوتار وقامت خطباء
الاطيار وهبت رباح الاقداح ونفقت^(٤) سوق الأنس والافراح وقد أبت
راحتهُ أن تصفو إلا ان تتناولها بمنّاك واقسم غناؤه لا طيب حتى تبعه اذناك .
ووجنات أترجة قد احمرت خجلاً لا بطائلك . وعيون نرجسه قد حدقت^(٥)
تأميلاً للقائك ونحن لغيتك كعقد ذهب واسطنه^(٦) وشباب قد أخذت
جذته^(٧) وإذا غابت شمس السماء عنا فلا أن تدنو شمس الأرض منا . فان
رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد ونحصل بك في جنة الخلد : فكن الينا
أسرع من السهم في تمره والماء الى مقره لئلا ينجث من يؤمى ما طاب ويعود
من تؤمى ما طار

« وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ »

كتّابى وأنا بما يبلغنى من صالح أخبار « السيد » مقتبط مسرور وبما يعرفه
الزمان وأهله من اعتضادى^(٨) به مَصون موفور والله على الاولى محمود وعلى
الاخرى مشكور ، التطفل وان كان محظوراً فى غير مواطنه فانه مباح فى أماكنه

(١) كلمة تعجب (٢) جلات المسك (٣) تمر مغرب باريك (٤) راحت (٥) تانت

(٦) الجوهرة التى فى وسطه وهى اجوده (٧) الطريقة (٨) استعانتى

وهو وان كان في بعض الأحوال يجمعُ عاراً ووزراً فإنه في بعضها يجمعُ فخراً وذخراً ورُبَّ فعلٍ يُصابُ بهِ وقتهُ فيكونُ ستهُ وهو في غير وقتهِ بدعةٌ وقد تطلعتُ على « السيد » بهذه الاحرفُ أخطبُ بها مودتهِ اليه وأُعرضُ فيها مودتي عليه وأسألهُ أن يرسم لي في لسانِي وقلبي رسماً ويختم عليهما ختماً فقد جعَلتهما باسمه وقصرتُهما على حكمِهِ وسأضُمهما تحت ختمه وبرئتُ اليه منهما وصيرتُ وكيله فبهما فهُما على غيرِهِ حِمَى ^(١) لا يُقَرَّبُ، وبُحيرة ^(٢) لا تُحَلَّبُ ولا تُركبُ ، ولَمَّا نظرتُ الى آثار السيد على الاحرار ونُشرت طراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوّار ورأيتُ نفسِي غفلاً ^(٣) من رِسْمه ^(٤) مودته وعظلاً ^(٥) من جمال عَشْرتهِ حَمِيَّتُها من أن يَمْنَى عليها ورَدّةٌ موزود ومُحسَر ^(٦) عنها ظلٌّ على الجميع ممدود : وعجبتُ من

سَحَابُ خَطَانِي جُودُهُ ^(٧) وهو صَيَّبٌ ^(٨) وبِحَرَّةِ عَدَانِي سَيْلُهُ وهو مُنْعَمٌ ^(٩) وبَذَرُهُ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرَباً ومَوْضِعُ رَجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ

« وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفي سنة ١٣٣٥ هـ »

مولاي : أَمَا الشَّوْقُ إِلَى رُؤْيَيْكَ فَشَدِيدٌ وَسَلَّ فَوَادِكَ عَنْ صَدِيقِ حَمِيمٍ ^(١٠) وَوَدَّ صَمِيمٍ ^(١١) وَخَلَّةٍ لَا يَزِيدُهَا تَعَاقُبُ الْمَلَوَيْنِ ^(١٢) وَتَأَلَّقَ ^(١٣) النَّيْرَيْنِ ^(١٤) إِلَّا وَتَوْفَاقِي الْعُرَى وَإِحْكَامًا فِي الْبِنَاءِ وَنَمَاءً فِي الْغِرَاسِ وَتَشْيِيدًا فِي الدَّعَائِمِ ^(١٥) وَلَا يَظُنُّ سَيِّدِي أَنَّ عَدَمَ أَزْدِيَارِي ^(١٦) سَاحَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَاجْتِلَائِي

(١) مَحْذُور (٢) الشَّاةُ الَّتِي إِذَا تَنَجَّتْ عَشْرَةُ أَبْطَانٍ شَقُوا أَذْنَهَا فَكَانَتْ حَرَامًا عَلَيْهِمْ لِحَمْلِهَا وَلِبْنِهَا وَرُكُوبِهَا (٣) مَنْ لَا عَلَامَةَ عَلَيْهِ (٤) الْعَلَامَةُ (٥) مَنْ لَا حِلِّيَّ عَلَيْهَا (٦) يَكْشِفُ (٧) الْمَطَرُ الشَّدِيدُ (٨) ذُو الْمَطَرِ (٩) الْمَتَلَّى (١٠) اقْرِبُ الَّذِي يَهْتَمُّ لَامَرِهِ (١١) الْخَالِصُ (١٢) الْإِيلُ وَالنَّهَارُ (١٣) الْإِمْعَانُ (١٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (١٥) الْأَرْكَانُ (١٦) زِيَارَتِي

طلعتُه المنيفة لتقلُّس^(١) أو تقصير فإن لي في ذلك معذرة اقتضت التأخير
والسيد أطال الله بقاءه أجدر^(٢) من قبل معذرة صديقه وأغضى عن
رئي^(٣) أستدعته الضرورة... وبعد فرجائي من مقامكم السامي أن
لا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن زيارتي: فلكم منماً طوقتموها ولكم فيها
فضل البداءة وعليّ دوام الشكران والسلام

« وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ »

كتابي إليك: وقد طال بي الأتظار وشوقي يجلب عن الكيف والانحصار
فشخصك دائم المثل^(٤) أمام إنساني^(٥) وعن سواك من الأخلاء أمانني
وأنساني فله أيام قضيناها وليال من الدهر آخلتسناها^(٦) كان السرور
فيها ضارباً خيامه والأنس ناشراً أعلامه طوي بساطها وكان الأمر ما كان
غير أنها زرعت بفؤادي شجرة الأشجان^(٧) لكن عودها حليف أوتبك^(٨)
وتجدد دهر رهن إشارتك فتى يقرب المزار وتنجلي سحب الأكداد فاضرب
لعودك أجلاً فالعود لا شك أحمداً وكتب بقربك وصلاً فالوصل أضمن
للعهد: وعهدي من خلقتك الوفاء وحسن الولاء فلا تجعل صفة^(٩) شوقي إليك
خسراً بل هبني بعد السر يسراً

« وكتب وفا افندي محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ »

أما بعد سلامي عليك فهذا كتابي إليك يُنبئك^(١٠) غني وعن شوقي
وعن ودي^(١١) ولا أزيدك علماً أني ما كتبتُه من دواة ولا أجريت عليه

(١) التأخير (٢) الحق (٣) البطء (٤) القيام منتصباً (٥) إنسان عيني وهو ما يرى في
السواد (٦) انتهزنا فرصتها (٧) الأثران (٨) رجوعك (٩) أصلها اعتد البيع (١٠) يخبرك
(١١) بقاءه

قلماً ولكنها دُموعٌ وشوقٌ سالتُ على القرطاس وجرتُ على حركات الخواطر
والأنفاس وهبتُ عليه حرارةُ كبدِي بالأشواق ووجدني بالفراق : فيينا
هي عقيقةُ حراءٍ إذ صارتُ فحمةً سوداء : ألا وإن كتابي هو قلبي ولساني
أما تراه على رقته وأطف عبارته وصدق طويته بين يديك مقبلاً عليك ينشره
الشوقُ ويطويه لا يخفي أمراً ولا يكتُمُ عنك سرّاً وتلك صفاتُ لساني وقلبي
معك : فما الذي أبتغيه بعدُ وقد بعثتُ اليك بالأصغرَيْن ^(١) وما أنا إلا بهذين
نعم أرجو بقاءك ممتعاً بنعمائك لا تكونَ على الدوام محلَّ نظرك والسلام

« وكتب مؤلف هذا الكتاب »

كتابي لديك يصفُ شوقي اليك ولا يخفي عليك فمذُ فارقَني فرقت بين
أنسي ونفسي بل بين روحي وجسمي ولا تعجب إذا كنتُ أغدو وأروح
فالطير يمشي من الالم وهو مذبح واني أشكو اليك من ألم الوحشة غراماً
لا يشمر به الا من ذاق حلو أنسك وعرفَ مقدار نفسك وشاهدَ جمال لطفك
ورأى كمال أدبك وظرفك ولقد أودعَ اللهُ في شخصك نوراً لعيني وفي
حديثك سروراً لفؤادي وفي صفاتك ترويحاً لروحي وفي كرم خلقك
تفريحاً لنفسي

إذا وصفَ الناسُ أشواقهم فشوقي لوجهك لا يوصفُ
فعندي لك من المحبة والشوق والتلف والتوق ما لا يصفه الوصفون ولا
يعبر عن حقيقته العارفون
الشوق فوق الذي أشكو اليك وهل تخفى عليك صباباتي وأشواق

فيا شوقي الى لُقياك ووالهني على جمال محياك قيدتْ أُملي عن سواك وبهرت
 ناظري بنظرة سنالك وكسرتْ جيش قراري وتركنتي لا أفرق بين ليلى ونهاري
 فؤادي والهوى سَلَمٌ وحربٌ وسُلُواني أقام على الحلياده
 وشوقي كاملٌ ما فيه نقصٌ فلستُ عابيه أطمعُ في الزيادة
 فليت شعري ماذا أصنعُ في شوقي أنا مدفوعٌ اليه من صادق حُبِّي بعمالٍ
 صادفتُ مني قلباً خالياً فتمكنتُ بالتعارف ولم تدع للسُلُوَان سبيلا
 عرفتُ هواهُ قبل أن أعرف الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا
 إي وربّي ان شوقي اليك شوقُ الظمان الى برد الشراب وحنيني لك حنين
 الشيخ الى زمن الشباب فما الأبلُ وقد حننتُ الى أعطينها والغرباء وقد
 أنت الى أوطانها بأعظم مني حنيناً ولا أكثر أنينا
 ولكنّ التفرُّق طالَ حتى توقّد في الضلُّوع له حريقُ
 فكلّما تخطرُ بيالي في أيّ وقتٍ من الأوقاتُ يُمثّلُ لي التذكّر منك محاسن
 ولطائف تجذّبي ميلاً اليك وتطرّبي شغفاً بك واغبتاطاً بإخائك فلا
 عجب أن كان شوقي لرؤيتك عظيماً لأنه كما قيل (من كرم الرجل حنينه الى
 أوطانه وشوقه الى اخوانه)

يا خلاص الأسير يا صحّة المدِّ نِف يا زورّة على غير وعدٍ
 يا نجاه العريق يا فرحة الأوبى يا قفلة أتت بعد بعدٍ
 أرض عني فدتك نفسي آتي لك عبدٌ أدلّ من كلّ عبدٍ
 ناشدك الله أن ترفق بحلي وتعيد وصالي واربع الود القديم وأبدل شقاء
 محبّك بالنعيم واعمد سيف ظلمك المسلولا وآوف بالعبد ان العبد كان مستولاً

❦ الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء ❦

« كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

نحنُ في الظاهرِ على افتراق وفي الباطن على تلاقٍ نحنُ نَتَنَاجَى بالضمائر
ونتخاطبُ بالسرائرِ إذا حَصَلَ القُربُ بالإِخلاصِ لم يُضِرَّ البُعدُ بالأشخاصِ
أنا أَنَا جِيك بِخِوِاطِرِ قَلْبِي وإن كَانَ قد غَابَ شَخْصُكَ عَنِّي أَن أخطأتُكَ يَدِي
بِالمَكَاتِبَةِ نَاجَاكَ سِرِّي بِالمُوَاصَلَةِ رُبَّ غَائِبٍ بِشَخْصِهِ حَاضِرٌ بِخُلُوصِ نَفْسِهِ
إن تَرَخِي اللِقَاءَ فَاتَنَا تَتَلَاقِي عَلَى البُعَادِ وَتَتَلَاقِي^(١) نَظَرَ العَيْنِ بِالفُؤَادِ

« وَكُتِبَ أَيْضًا »

أنا أَشْتَاقُكَ كَمَا تُشْتَاقُ الجَنَانُ وَإِن لَمْ تَتَقَدَّمْ لَهَا العَيْنَانِ أَنَا وإن كُنْتُ رَمَى
لَا يُسَعِدُ بِلِقَائِكَ فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَيَّ الأَنَسُ بِبِقَائِكَ والشَّوْقُ إِلَى مُحَاسِنِكَ الَّتِي
سَارَتْ أَخْبَارُهَا وَلا حَتَّ أَنْارُهَا لَا زَالَتِ الأَيَّامُ تَكْشِفُ لِي مِنْ فَضْلِكَ والأَخْبَارُ
تَعْرِضُ عَلَيَّ مِنْ عَقْلِكَ مَا يَشَوِّقُنِي إِلَيْكَ وَإِن لَمْ أَرَكَ وَبِزَيْدِنِي رَغْبَةً فِي وَدَّكَ وَقَدْ
سَمِعْتُ خَبْرَكَ

« وَكُتِبَ الشَّيْخُ حَمْزَةُ فَتَحَ اللهُ المَتَوَفَى سَنَةَ ١٣٣٥ هـ »

كَمَا أَنَّ شَغَفَ^(٢) الجَنَانِ^(٣) بِالْحَسَنِ وَالْأَحْسَانَ تَكُونُ دَاعِيَتُهُ المُشَاهِدَةُ
وَتَسْرِجُ الانْظَارِ فِي مُحْيَا الكَمَالِ وَمُجَنِّلِي الجَمَالِ فَتَرَى العَيْنُ مِنْ تِلْكَ الْغُرَّةِ
مَا يَمْلُؤُهَا قَرَّةٌ فَكَذَلِكَ السَّمْعُ يَسْتَدْعِي هَذَا الشَّغَفَ فَيَتَأَثَّرُ الْفُؤَادُ بِمَا يُشْنَفُ^(٤)
الْأُذُنُ مِمَّا تَهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ^(٥) الأَخْبَارِ حَتَّى كَأَنَّ حَاسِي السَّمْعِ وَالبَصَرِ

(١) تَتَدَارَكَ (٢) دَخُولُ الْحُبِّ فِي غِلَافِ الْقَلْبِ (٣) الْقَابِ (٤) بَزِينِ (٥) الْمُتَمَاعِدَةُ

في ذلك صَيَّوْنَانِ^(١) بل أَخَوَانِ في هَيْكَلِ هَذَا الْجُثْمَانِ^(٢) وقد يَعْلَمُ السَّيِّدُ
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ ارْتِقَاءَهُ أَنْ ذَلِكَ الْأَمْرَ (أي الشَّغْفَ بِالسَّمَاعِ) لَيْسَ
بِالْحَدِيثِ الْعَهْدِ وَلَا الْقَرِيبِ الْجُدَّةِ^(٣) بل هُوَ أَمْرٌ عُرِفَ قَدِيمًا أَنْ يَهْدِيَ السَّمَاعَ
إِلَى سُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ لَا عَيْجَ^(٤) الْحَبِّ سَعَرَهُ^(٥) مِنَ الْإِنْبَاءِ^(٦) عَرَفُ^(٧)
شَمِيمٌ^(٨) فَتَهِيمٌ^(٩) بِمَجَرَّدِ اسْتِنْشَاقِ ذَلِكَ الشَّمِيمِ^(١٠) حَتَّى يَقُولَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ
(وَالْأَذُنُ تَعَشَّى قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا) أَجَلَ^(١١) وَالْقُدُوءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَالْأَشْ^(١٢)
لِلَّذَلِكَ الْمُنْبَى قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنِّي لَا شَمَّ نَفْسٍ^(١٣) الرَّحْمَنُ مِنْ قَبْلِ
الْيَمَنِ) لَمَّا أَمَلَتْهُ الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ وَالْمَلِكُ الرَّوْحَانِيُّ عَلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ مِنْ نَبَأِ^(١٤)
الْقَرْنَى^(١٥) أُوَيْسَ^(١٦) وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهُ بَعْدُ

أَلْوَانِ مُحَاسِنِ السَّيِّدِ الْأَجَلِ لَمَّا سَارَتْ بِهَا الرِّكْبَانُ وَأَثْنَى عَلَيْهَا كُلَّ لِسَانٍ
مَا بَيْنَ أَخْلَاقِ أَهْلِ مِنَ الرِّوَضِ النَّضِيرِ^(١٧) وَأَعْرَاقِ أَشْهَى مِنْ عُذَيْبِ النَّمِيرِ^(١٨)
قَدْ احْتَلَّتْ مِنْ فَوَادِي لَا أَقُولُ مَنْزِلًا رَحِيًّا وَلَا وَادِيًّا خَصِيًّا بَلْ مَنْزِلَةً شَتَاءَ^(١٩)
وَدَارَةً^(٢٠) عَلِيَاءَ وَأَوْجَا^(٢١) بِطَوَالِهَا السَّعِيدَةَ يُسْعِدُ وَيُلَوِّحُ بِهَا مِنْ ذِكْرَاهُ
كُلَّ حِينَ فَرَّقَدَ^(٢٢) فَلَمْ أَنْشَبْ^(٢٣) أَنْ قَدِّمْتُ كِتَابِي هَذَا لِلْمَوْلَايِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِقْيَاءِ
عَلَّهِ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ وَتُسْقَرُ^(٢٤) عَنْهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ لِيُتَّحَ^(٢٥) لِي رِيَّ

(١) هما فرعا النخلة (٢) بالناء وبالسین الجسم (٣) الحظوة (٤) المتردد (٥) اوقده
(٦) الانبهار (٧) الریح الطيبة (٨) مضموم (٩) تنذهب (١٠) المرتفع (١١) حرف جواب
مثل نعم (١٢) الاصل (١٣) كناية عن الوحى (١٤) الخبر (١٥) نسبة الى قرن قبيلة
(١٦) هو سيد التابعين أویس بن عامر قتل في وقعة صفین مع علی کرم الله وجهه وخبره قوله
صلی الله علیه وسلم یأتیکم أویس بن عامر مع اعداد البین من مراد ثم من قرن کان به برص
فبری منه إلا موضع درهم وله والدته هو بها بار ولوا أنفسهم علی الله لآبره (١٧) الحسن (١٨)
الماء الزاکی (١٩) مرتفعة (٢٠) دارا (٢١) علوا (٢٢) النجم (٢٣) لم ازل (٢٤) تنكشف
(٢٥) يعطي

الفؤاد بما أرويه من حديث زيد الخيل الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقال له ما وُصف لي أحدٌ فرأيتُه إلا وجدته دون ما وُصف لي رسواك وان فيك خصّلتين يُحبُّهما الله (الحلم والأناة) مقتدياً بالأمام محمود جار الله في تقديم هذا الحديث الشريف على ما أنشده إياه الشريف ابنُ الشجري أوّل ما لقّيه وكان قد تحاباً بالسمع

كانت مُسألة الرُّكبان تُخبرنا عن جابر بن ربّاح أطيب الخبر حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بهري

« وكتب حقّي بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ »

يعلم الله ما عندي من الشوق إلى لقاء السيّد وإن لم يره البصر والشوق إلى شهوده وإن لم يكتحل بالثبّد^(١) محاسنه النظر والشغف بسماع الحديث منه كما سمعته عنه فقد سبقّت ذكرى محاسنه إلى السمع ووصل خبر لطائفه إلى النفس وما المرء إلا ذكره وما نره * وحسدت العين عليه الأذن وودت لو أنها السابقة إلى اجتلاء رقائقه وشهود حقائقه

* فللعين عشقٌ مثل ما يعشق السمع * لا جرّم أن ما تعارف من الأرواح ائلف وما تناكر منها كما قيل اختلف . ونحن وإن بُعدت بيننا الشقة^(٢) ولم يسبق لنا باللقاء عهدٌ فلحمة^(٣) الألب نجتمعنا ووحدّة الوجهة تضمنا وأحمة الألب أقوى من لحمة النسب وجامعة الوجهة فوق اجتماع الرُجوه وقد رأيت أن أزدلف^(٤) إليك بالمكاتب وأترسل إلى شرف التعرّف بالرأسلة حتى إذا لم يبق في الصبر على الافتراق مسكة^(٥) ولبيّ الجسم

(١) كل بالمدح (٢) بالضم والكسر الناحية (٣) قرابته (٤) أقرب (٥) قوة ولا عقل

دعوة الروح فاندفع الى طلب الاجتماع أكون قد مهدت له سبيلا
ووطأت ^(١) له طريقاً فلا تبهرني ^(٢) فرحة القيا ولا يغرني ^(٣) طرب الظفر
« فن فرح النفس ما يقتل ومن نشوة ^(٤) الرّاح ^(٥) ما يزهق الأرواح » فان
رأى السيد أن يكتب عبده ويعتقه من رقّ الفرقة عجلّ بجواب هذا الكتاب
ليعلم العبد أن نيقته صادفت ^(٦) قبولاً وأن وسيلته اتخذت الى سيده سبيلا
قرب الله زمن اللقاء وقصر أمد النوى ^(٧) حتى أنشد في الختام
تطابق الخبر في عليك والخبر وصدق السمع في أوصافك البصر

« وكتب احمد افندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ »

يعلم سيدي أن المودة لا تبُع ولا تُشرى وانما هي نتيجة الاجتماع
والتعارف وقد خلق الانسان مضطراً اليهما لان انتظام العمران عليهما
موقوفٌ ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بأرائه عرضة
للخطأ مظنة لهدم الثقة : بخلاف ما اذا كان الاشتراك في الفكر قاعدة للعمل
فلا بُدّ أن الصواب يتمحض منه لضعف الفرد وقوة الاجتماع اذ لا جرم
أن المرء كما قيل « قليل بنفسه كثير بأخوانه » وقد سمعتُ عن السيد وقرأت
من آثاره الماثورة ما حَبَّبه الى وشاقني للتعرف به لنشترك في منفعة تبادل
الأفكار فاني لا أكتفي بمجرّد السماع ولا أقول « إن الأذن تعشق قبل
العين » فانما هي جارحة صغيرة ولكن كلّي ميال اليه مُحِبٌّ لاستجلاء رآه
عالمٌ انى اذ دخلت الى مودته من باب التلاقي لا أجد دهري

يقرّب مني كلّ شخص كرهته ويُبْعِدُ عني مَنْ اليه اميل

(١) بالتخفيف والتشديد هيات (٢) لاتغابني (٣) لايلونني (٤) بفتح النون وكسرهما
السكر (٥) الحمر (٦) وجدت (٧) البعد

فان لم يتيسر أن يراني أو أراه فليُسعدني ببضعة أسطر تضمن لي رضاه عن هذه المعرفة الترسائية لتتراءى بأعين الطُّروس^(١) قبل أعين الرؤوس وتنجذب أحاديث المراسلة إن عزت المقابلة وقد وقفت عليه خالص ودِّي وأخترته من بين رجال العصر سعيًا لكسب المعالي بمعرفته فكلُّ امرئ بما كسب رهين^(٢) وليس للإنسان إلا ما سعى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرين بالمُقارن يقتدي

« وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفي سنة ١٣٢٩ هـ »

لم أكن فيما أكتبه لك إلا ساريًا في ليل التعارف على ضياء خيالاتك^(٣) التي أملاها عليَّ لسان المدح الذي شرَّق وغرَّب وطبَّق الأرض صيته وإني وإن لم أكن أسعدت من قبلُ باجتلاء طامتك الزاهرة واجتناء مُفاكتهك الغضة^(٤) فقد دلّني على الليث زئيره^(٥) وعلى البحر خريره^(٦) وعلى العقل أثره وعلى السيِّف أثره^(٧) ولئن لم تجمعنا لحمة^(٨) النسب فقد جمعنا حرقة الأدب أو لم يضمنا قبلُ مصيفٌ ومرتبِعٌ فالطيور على أشكالها تقع ورشبه الشيء منجذبٌ إليه وأخو الفضائل هو المعولُّ عليه : وهذه الرقعة وإن وصفت لك بعض ما أنا مطوىٌّ عليه من التهاوت على رؤيتك والميل إلى صداقتك فقلَّما تنوبُ عن المشافهة أو تقضي حاجات في النفس طالما تردَّد صداها : وفي ظني أن سيدي يودُّ ما أودّه وعمّا قليل يسفر صبحُ اللقاء وتنجذب أهداب المعرفة : وأرى من سيدي فوق ما توسَّعته وسمعته ويرى مني ما يرُضيه والسلام

(١) الصعائف (٢) مرهون (٣) مصادتك وإخائك (٤) اللينة (٥) صوته (٦) صوته

(٧) جوهره (٨) القرابة

« وكتب الشيخ طه محمود المتوفي سنة ١٣٢٥ هـ »

أيها السيد العزيز الجنب العزيز الآداب

قد علمت ولا أزيدك علماً زادك الله ولا نقصك أن الانسان كما اشتق اسمه من الأنس كذلك جبل عليه مسماه وأن المجتمع الإنساني عقد يتحل به صدر الزمان نظامه التألف وواسطته^(١) التعارف : فهذا الأمران هما قطب المدار في هذه الدار لهذا العالم من لدن آدم وليس إلا بهما يحسن الحال وينعم البال وتدرئ ضرور المنافع وتغجر عيون الفوائد ومن ثم كان أوفر الناس حظاً من مغمم الإنسانية من يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا ولا وناهيك بمخلوق امتن الله به على عباده إذ قال عز من قائل « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »

ذلك «أيها السيد» هو الذي بعثني أن أكتب اليك أستفتح باب مودتك بمفتاح الترسل وأستصبح في سبيل صحتك بمصباح التوسل لا أبالي بما ينسب إليّ ويستم عليّ ممن عسى أن يقول مالك ولهذا الفضول وكيف تتطفل على مادبة أدبية لم تدع إليها وهل هذا منك إلا أشبه بالتبرج^(٢) لغير خاطب : أيها المنتقد هوّن عليك ما تجد فلو علمت أن ظل الآداب شامل ودعوة المودة الجفلى^(٣) لا يذاد^(٤) عنها واغل^(٥) لأسرعت معي إلى الوغول^(٦) ولم تر في التودد إلى أهل الفضل من فضول وأى عيب على النكرة في التحلي بحلية المعرفة ومُصاحبة الاعلام أما سمعت قول القائل

(١) الجوهرة التي في وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهار المرأة زينتها لرجال (٣) العامة لجماعة (٤) لا يطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل

بصُحْبَتِكَ الْكِرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ وَتَأْمَنُ مِنْ مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ
 وَكَيْفَ أَضَعُ نَفْسِي بِمَحِثٍ يَقُولُ الْأَوَّلُ
 دَرَجَ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ إِبْقِيَّتَهَا ^(١) وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَامِي
 وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ رَجُلٌ يَهْوَى الْمَكَارِمَ وَبَيْنَهَا وَيَتَنَغَّى الْمَنَاقِبَ
 وَذَوِيهَا وَيَقِفُ نَفْسُهُ عَلَى مَسْئَلَةٍ يَعْلَمُهَا وَفَضِيلَةٍ يَتَحَلَّى بِهَا
 وَآخَرٌ يَبْذُلُ وَجْهَهُ الْمَصُونِ فِي مَلَأِ الْحَقَائِبِ ^(٢) وَالْبُطُونِ

هذا : وقد رجوتُ أن أكونَ الرَّجُلَ الْأَوَّلَ بِصُحْبَتِكَ « أَيُّهَا السَّيِّدُ » فَكَمْ
 رَوَى لَنَا مِنْ أَحَادِيثَ فَضَائِلِكَ الصِّحَاحِ وَتَلَى عَلَيْنَا مِنْ آيَاتِ شَمَائِلِكَ الْحُسَانِ
 مَا ^(٣) أَشْخَصَ إِلَيْكَ الْقُلُوبَ قَبْلَ قَوْلِهَا وَأَوْفَدَ عَلَيْكَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ أَشْبَاحِهَا
 وَأَعْجَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِهَذَا الرَّقِيمِ أَلْتَمَسُ بِالْتَعَرُّفِ إِلَى جَنَابِكَ الْكَرِيمِ
 مَا التَّمَسَّ الْكَلِيمُ مِنْ صَحْبَةِ ذِي الْوَجْهِ النَّظَرِ ^(٤) أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَضِرِ وَإِنِّي وَإِنْ
 كُنْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِمَّنْ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَلَيْسَ عِنْدِي فِي صِدْقِ هَذِهِ الْآيَاتِ مِرْيَةٌ ^(٥)
 وَلَا رَيْبَ : بَيِّدَ ^(٦) أَنْ لِلصَّحْبَةِ فَضْلًا لَا يُنْكَرُ وَالْمُوَاخَاةَ مَزِيَّةَ لَا يَتَمَارَى ^(٧)
 فِيهَا أَثْنَانِ

فَإِذَا وَرَدَ عَلَى السَّيِّدِ كِتَابِي هَذَا وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ « شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ » إِلَى
 إِجَابَةِ سُؤْلِي وَارْتَاحَتْ نَفْسُهُ إِلَى اصْطِنَاعِي كُتِبَ إِلَيَّ عَبْدُهُ بِمَا يَكُونُ آيَةً جَلِيلَةً
 عَلَى ارْتِيَاكِ لَتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ

حَتَّى أَقُولَ لَوْجَهَ آمَالِي ابْتِهَاجَ لَا وَلَيْتَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

(١) بكسر الباء الطلب وبضمها الحاجة (٢) الزكايب (٣) ما فاعل روى (٤) الحزن
 (٥) شك (٦) غير (٧) لا يختلف

« وكتب الاستاذ محمود بك أبو النصر »

إِنْسَانُ الْعَيْنِ وَعَيْنُ الْإِنْسَانِ

المودة « وصل الله بأجفان الأشواق أهدابها وفتح لنا أبوابها » أمر
عزيز المرتقى على مَنْ يَصْطَفِي صَدِيقَهُ وَيَرْعَى حَقُوقَهُ وَإِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ
بِرِسَالَتِي هَذِهِ وَعَهْدِي بِكَرَمِ سَجَايَاكَ أَنْ تُصَافِحَهَا بِرَاحَةِ الْقَبُولِ وَتَتَّخِذَهَا فَاتِحَةً
وَدَّ طَارَتْ بِهِ إِلَيْكَ رِيَّاحُ فَضْلِكَ بَعْدَ مَا مَثَلَتْ آيَاتُهُ لَكَ فِي الْقُلُوبِ مَعْنَى ظَهَرَتْ
فِي مِرَاةِ الْأَعْيُنِ صُورَتُهُ

فَإِنْ أُيِّنْتَ وَدَادِي غَيْرَ مَكْتَرٍ فَعَنْكَ مَا دُمْتُ حَيًّا لَا أَرَى بَدَلًا
وَحَاشَاكَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْإِثْبَاءِ وَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ تَحْظَ أَشْبَاخُنَا بِاللِّقَاءِ فَأَرْوَا حُنَا
مِنْ قَبْلِ جُنُودِ وَأَعْيُنِنَا شُهُودَ فَإِنَّ أَنْتَ مَنْحَتِي وَلَاءَ خَالِصًا وَإِخَاءَ صَادِقًا (وَالَا
فَهَبْنِي أَمْرًا هَالِكًا) وَلَا إِخَا لَكَ تَرْضَاهُ وَإِنْ كُنْتَ الْمُتَطَقِّلَ عَلَى مَائِدَةِ مَوَدَّتِكَ
فَلِي نَفْسٌ أَدِيبٌ لَا تَرَى الْعَزَّ إِلَّا فِي التَّرَامِي عَلَى ذُرَا السَّكَالِ لَا زِلْتَ عَلَى
مَرْقَى الْجَلَالِ وَالسَّلَامِ

« وكتب الفاضل السيد محمد البيلاوي »

سَيِّدِي إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيَ الْإِهْمَمِ مِمَّا تَسْتَرْقُ الْقُلُوبَ وَتَسْتَرْقُ
الْعُقُولَ وَتَمْتَلِكُ الْأَرْوَاحَ وَإِنْ لَمْ تَتَلَقَّ الْأَشْبَاخَ فَإِنِّي مَذْ سَرَى إِلَيَّ النَّسِيمِ
بِأَخْلَاقِكُمُ الْغُرَاءِ وَابْتَسَمَ لِي ثَغَرُ هَذَا الْعَصْرِ عَنْ آثَارِكُمُ الزَّهْرَاءِ وَتَوَاتَرَتْ
الْأَخْبَارُ بِحُبِّكُمْ لِلْفَضْلِ وَأَهْلِهِ وَارْتِيَا حُكْمَ الْعِلْمِ وَذَوِيهِ وَأَنَا مَشْغُوفُ الْفُؤَادِ
بِالتَّعَرُّفِ بِسَيَادَتِكُمْ مَشْغُولُ الْبَالِ بِالتَّوَسُّلِ إِلَى رِيَاضِ مَوَدَّتِكُمْ وَلِعِلْمِي أَنَّ
لِلصَّدَاقَةِ حَقُوقًا وَالْمُصَاحَبَةِ شُرُوطًا رُبَّمَا صَعِبَتْ عَلَى مَنْ حَاوَلَهَا وَعَزَّتْ عَلَى مَنْ

أراد الوفاء بها كنتُ أرى الوحدة أولى والانفرادَ بي أسلمَ ولكن ما زالتُ
تسمي (١) الي أحسن شمالك المشرقة وتواردُ على مسامعي بحسن سيركم
المطهرة فينمو الوجدُ ويزداد الشوق « والأذن تعشقُ قبل العين أحيانا »
وما كنتُ أجدُ سبيلاً للتعرف ولا سبباً للتودد ولا تجسرُ نفسي على المراسلة
ابتداءً الى أن رأيتُ سيدي قد اهتمَّ للأدب فأعلى مناره ونظر للإنشاء فرفع
مقداره ونصر دولته وأحيا صولته وأعاد شبابه وفتح لأدبائه هذا العصر بابَه
فعلتُ أن الدهر قد ساعدني والفرصة قد أمكنتني من مصالحة ما أملتُ
ومضافات ما أردتُ من اجتناء ثمار مودة سيدي والتعرف به والتمسك
بأهداب فضائله والتزود من آدابه فانَّ الأدبَ أحسن ما يُستصبحُ
بأنواره (٢) وأشرف ما يتسابق لاقطاف أثماره (٣) ويحمد التطفل على موانئه
ويمدح التنافس في التقاط فرائد قوائمه فجعلت طلب الانتظام في سلك أرباب
الأقلام وسيلةً لورود عذب وداده وتمجير (٤) التعرف به فان رأى سيدي
أن يعد نفسَ حُرٍّ في عداد معارفه ويقابل رسالته بما اشتهر من لطائفه حتى
يتمتع بالرؤية الأَبصار كما تمتعت المسامع بطيب الأخبار كنتُ مُدبِّمَ الشكر
لا فضاله مُستمرَّ الثناء على كماله

« وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ »

أما بعدُ فهذه أوَّلُ رسالةٍ أكتبها الى مَنْ لم تكن لي به جامعةً حسنية
ولم تضمني وإياه حفلةُ تعارف شخصية وهي وإن كانت في عرف غيري تعدُّ
هجومًا أو تحسُّ فضولا إلا أنني أعتقد أنها أوفدت على كريم يُكرم

(١) تزيد (٢) اضواءه (٣) ازهاره (٤) الزاكي

وَفَادَتْهَا وَيَسْتَقْبَلُ بِهِ مَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ مِنْ زَعِيمٍ تَحِيَّةٌ وَجَلِيلٌ أَجْلَالٌ وَيَحْتَلِي مِنْ خِلَالِهَا
الِرَادَةِ وَرَجَاءَ وَلَا وَبُغْيَةً فَضْلٌ وَرَغْبَةً فِي إِخَاءٍ فَيُحَلِّمَانَهُ مَحَلَّ الْقَبُولِ وَيَدْرَأُ^(١)
عَنْهَا وَصِمَةً^(٢) الْفُضُولُ : إِنَّ لِسَيِّدِي آثَاراً شَاهِدْنَاهَا فَاسْتَفَدْنَاهَا وَمَا تَرَّ سَمْعِنَاهَا
فَرَوَيْنَاهَا أَوْ تَنَاقَلْنَاهَا وَلَا مِرْبَةً^(٣) فِي أَنْ مَا غَابَ عَنْهَا مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا وَعَيْنَا وَأَوْفَى
مِمَّا سَمِعْنَا وَنَحْنُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ طَلَّابُ كَمَالٍ وَمُنْتَجِعُوا^(٤) أَفْضَالُ وَرُؤَادُ^(٥) مَا خَصَبَ
مِنْ فَيْحَاءِ الْعُلُومِ وَقَدْ تَوَسَّعْنَا^(٦) فِي السَّيِّدِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاهُ طَلَبْتَنَا وَوَجَدْنَا لَدَيْهِ
ضَالَّتْنَا فَخْتَنَّا إِلَى رِحَابِهِ مَطْيَةِ الْمُكَاتِبَةِ وَلَنَا أَمَلٌ كَبِيرٌ فِي نَوَالِ الْمَأْمُولِ لَعَلَّهُ
يَجْنَحُ^(٧) إِلَى مُقَابَلَةِ الْمَثَلِ بِالْمَثَلِ فَيَكْتُبُ لِأَخِيهِ بَعْضَ كَلِمَاتٍ يَعْرِفُ مِنْهَا أَنَّهُ
قَبْلَ الْإِخَاءِ وَمَالٌ إِلَى مُقْتَضَى طَبْعِهِ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِي أَقْرَبِ
مَا يَكُونُ مِنَ الزَّمَانِ فَإِنَّ الْأَرْوَاحَ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ كَمَا بَرَهَنَهُ الْأَصْحَابُ فِي
مَعَاشِرَاتِهِمْ خَلْقًا عَنْ سَأَفِ

وكتب مؤلف هذا الكتاب «

لقد سمعنا بأوصافكم لكم كُلمتُ قَسْرَنَا مَا سَمِعْنَاهُ وَأَحْيَانَا
مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْكُمْ نَلْنَا مَحَبَّتَكُمْ وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
سَيِّدِي وَمَوْلَايَ

لقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ما يدعوني لطلب ودك ويُرغِبني في
إِخَائِكَ وَيُجَبِّئِي فِي التَّوَسُّلِ إِلَى مَعْرِفَةِ جَنَابِكَ وَإِنْ لَمْ تَجْمَعْنَا جَامِعَةَ شَخْصِيَّةٍ وَلَمْ
تَضْمَنْهَا حَفْلَةَ تَعَارُفٍ ذَاتِيَّةٍ إِلَّا أَنْ أَحَادِيثَ فَضَائِلِكَ الصَّحَاحِ أَوْفَدَتْ عَلَيْكَ
الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَشْبَاحِ وَالْوِلَاءِ وَالْأَخْلَاصِ قَبْلَ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْخَاصِ وَلَا

(١) يدفع (٢) النار (٣) بضم الميم وكسرهما التذك (٤) طالبو معروف (٥) طالبون
له (٦) تفرسنا (٧) بثلاث النون مبدل

غَرَابَةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ يُؤَلَّفَ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَأَمْثَالِهَا وَإِنَّ
لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَسُوقُونَ الْأَشْكَالَ إِلَى أَشْكَالِهَا وَشَبَّهُ الشَّيْءُ مَنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَخُو
الْفَضَائِلِ هُوَ الْمَعُولُ عَلَيْهِ

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مَجْنُونَةٍ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَعْتَرِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ
فَلِذَا اصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي وَاخْتَرْتُكَ لِمَوَدَّتِي وَأُنْسِي نَدَانِي بِالضَّمَائِرِ وَتَخَاطَبَ
بِالسَّرَائِرِ وَإِنْ بَعْدُنَا فِي الظَّاهِرِ فَرَبٌّ غَائِبٌ بِنَفْسِهِ حَاضِرٌ بِمَخْلُوصِ نَفْسِهِ
فَإِنْ أَبَيْتَ وَدَادِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ فَعَنْكَ مَا دُمْتَ حَيًّا لَا أَرَى بَدَلًا
وَحَاشَاكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْأَبَاءِ وَالْهَجَرِ وَالْجَفَاءِ

لِكُلِّ أَمْرٍ شَكْلٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلُهُ وَكُلِّ أَمْرٍ يَهْوَى إِلَى مَنْ يُشَاكِلُهُ
نَاشِدُكَ اللَّهُ أَنْ تَقْبَلَ رَهْنِي الْإِخَاءَ وَتَضْمَنَ لِي الْوَفَاءَ وَأَنَا أَرْضَى بِكَ مِنَ الدُّنْيَا
تَصِيًّا وَأَخْتَارُكَ مِنَ الْعَالَمِينَ حَيًّا

﴿ الفصل الثالث في رسائل الهدايا ﴾

« كَتَبَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٠٥ هـ يَوْمَ النَّيْرُوزِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ »
أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بَزِيَادٍ مِنَ الْعُمُرِ مَوْصُولَةٍ
بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ
بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقَصِّرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوْفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ: أَتَى تَصَفَّحْتُ أَحْوَالَ الْإِتْبَاعِ
الَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهِدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالتَّمَسُّتِ التَّائِسِيَّ بِهِمْ فِي الْإِهْدَاءِ وَإِنْ
قَصَّرْتُ بِي الْحَالَ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أُنِّي

إن أهديتُ نفسي فهي ملكٌ لك لا حظَ فيها لغيرك . ورَميتُ بطريقي
إلى كرائمِ مالي فوجدتُها منك فإن كنتُ أهديتُ منها شيئاً فآتي أهدى ما لك
إليك . ونَزَعْتُ إلى مَوَدَّتِي فوجدتُها خالصةً لك قديمةً غيرَ مستحدثةٍ فرأيتُ
إن جعلتها هديتي آتني لم أجِدْ لهذا اليوم الجديد برأ ولا لطفاً ولم أُمِزْ منزلةً
من شكري بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكرُ مُقَصِّراً عن الحقِّ والنعمة زائدةً
على ما تبلغه الطاقة فجعلتُ الاعترافَ بالتقصيرِ عن حقِّك هديةً إليك
والإقرارَ بالتقصيرِ عما يجبُ لك برأ أو سَلَّ به إليك وقلتُ في ذلك
ان أهد مالا فهو واهبه وهو الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مرتين به جميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستغنى بسنة (١) الدهر

(وكتب حقيقي بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ)

الهدية في نظر الأصفياء جليمة وإن كانت في نفسها قليلة ومكانتها خطيرة
وإن كانت يسيرة وسنة حسنة اجتمعت على فضلها الألسنة
مضت الدهور وأمرها مستحسن وتعاقت بديحها الأيام
اللهم إلا أن ألبستُ جلبابَ (٢) الرياء وولجتُ (٣) أبواب الأرتشاء
ولا مراء (٤) إن الأوداء من ذلك برأه
لا يبتغون سوى الوفاء وما لهم غيرُ البقاء على الصفاء مرام
وما زالت الهدية شعار الأصدقاء وعنوان تدكار الولاء وكم جددت
بين الأصحاب عهود النحاب

(١) الوجه (٢) النيمس (٣) دخات (٤) جدال

وَتَعَمَّدَتْ وَدًّا فَعَادَ شَتَيْتُهُ^(١) وَلَشَمَلَهُ بَعْدَ الْبَدَادِ^(٢) نِظَامُ
 قَدْ وَصَلْتَنِي يَدُ الْعَصَا فَبَدَا الْأُهْدَاءُ وَأَهْلًا بِتِلْكَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ
 أَوَّلُ أَيَادِيكَ عَلَيَّ وَلَا أَكْبَرُ عَارِفَةٍ جَاءَتْ مِنْ نَادِيكَ إِلَيَّ وَقَدْ أُمِنْتُ بِهَا
 النَّوْبَ^(٣) وَاعْتَصَدْتُ^(٤) بِهَا عَلَى تَفْرِيقِ شَمْلِ الْكَرْبِ

فَإِذَا طَغَا^(٥) بِمَحْرِ الْهَمُومِ ضَرْبَتُهُ بِعَصَايَ فَاجْتَازَتْ^(٦) بِهِ الْأَقْدَامُ
 تَنْفَلِقُ بِهَا مِنَ الْأَيَّامِ صُخُورٌ فَتَنْجِسُ^(٧) مِنْهَا عَيُونَ السُّرُورِ وَتَلْقَفُ مَا يَضْمَعُ
 الْأَعْدَاءُ فَتَذْهَبُ بِسِحْرِ الْبَغْضَاءِ وَإِذَا اشْتَدَّ هَجِيرُ^(٨) الْوَحْشَةِ نَشَرْتُ
 ظِلَالُ أَنْسَاهَا أَوْعَصَى فِرْعَوْنَ الدَّهْرَ رَاعَتُهُ^(٩) بِيَأْسِهَا^(١٠)

فَكَأَنَّمَا أَوْصَى الْكَلِيمُ^(١١) لَنَايَا حَتَّى يَرَى آيَاتِهِ الْأَقْوَامُ
 وَقَدْ فَكَّرْتُ مَاذَا أَقَابِلُ بِهِ طُرْفَتَكَ^(١٢) وَأَتَلَقَى بِهِ تُحَفَّتَكَ إِلَى أَنْ هَدَانِي
 اللَّهُ أَنْ يَدَ الْمُنْعَمِ أَمَّا تُقَابِلُ بِالْأَفْوَاهِ لِيُعَزِّزَ الْقَبُولُ بِالْقَبْلِ وَيُؤَدِّي الرِّسْمُ
 بِاللَّشْمِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ فِي سِجَارَةٍ وَجَمَلَتِ لِهَذَا الْمَعْنَى إِشَارَةٌ وَقُلْتُ

مَوْلَايَ كَمْ فَاضَتْ يَمِينُكَ بِالنَّدَى^(١٣) حَتَّى غَدَوْتُ غَرِيقَ بَحْرِ الْأَنْعَمِ
 وَالشُّكْرِ أَوْجِبَ أَنْ أَقْبِلَ رَاحَهَا فَكَتَبْتُ عَنْ هَذَا بِإِهْدَاءِ الْقَمِ
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَنْظَرَ الْبَهِيحَ يَنْمُ بِالْتَدْيِجِ^(١٤) فَاخْتَرْتُ أَنْ يَكُونَ مَبْدُوهُ
 كَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ^(١٥) وَمُنْتَهَاهُ كَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ^(١٦) إِيذَانًا^(١٧) بِزَوَالِ
 الشُّرُورِ بِالسُّرُورِ وَرَمَرًا إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

(١) التفريق (٢) جمع نوبة المصيبة (٣) استمنت (٤) علا (٥) سلكت (٦) تنفجر
 (٧) حرما (٨) أعجزته (٩) بشدتها (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) احسانك
 (١٢) العطاه (١٣) التزين (١٤) أقبل بظلامه (١٥) اضاء (١٦) اعلاما

(وكتب الاستاذ محمود بك أبو النصر)
يأتها المولى الذى عمت أياديه الجميلة
إقبل هدية من يرى فى حَقِّكَ الدنيا قليلة
غرة وجه السعود وقرة عين الوجود الأمير الجليل
يا جليل الفضائل اليك توجه الآمال ويا جميل الشرائع بساحتك تحط
الرحال تلك هي الساحة الفيحاء ^(١) والشيمة ^(٢) الحسنة والهمة العليا واليد
البيضاء والأعمال التي تضرب بها الأمثال كم من نعم أسديتها ^(٣) ومكارم
أوليتها وعلوم أحيتها فانت المصدر والمورد والمقصد والموعود : اليك أقدم
تلك الهدية المرضية وأرفع ذلك الكتاب المستطاب مشفعا في قبوله كرم
سجايك وعظم مزايك واتى وان كنت أعلم أن مقامك العلى يحل عن أن
يرفع اليه مثله فقد عرفناك متواضعا فى علاك قريبا مع اعتلاك
ذنوب تواضعا وعلاوت مجددا فشأنك انخفاضا وارتقا
كذلك الشمس يبعد أن تسامى ^(٤) ويدنو الضوء منها والشعاع
وحاشاك أن أهدي للقمر نورا أو للشمس ضياء أو أبعث ببينة القطر ^(٥)
الى ذلك البحر ولكننى أحيت أن يحظى بلمن بنائك ^(٦) وينال من كرمك
وإحسانك وقد عهدت لك تهنئا للمكارم أهتزاز الصارم ^(٧) وترتاح لاسداء الجليل
كما يرتاح للكرم التزيل ولثقباء العليل وما هو إلا من نور فكرك مقتبس ^(٨)
فعمسا يحظى بالقبول فأبلغ غاية المامول والسلام

(١) الواسعة (٢) الخلق (٣) أعطيتها (٤) تفاخر (٥) المطر (٦) الاصابع
(٧) السيف القاطع (٨) مأخوذ

(وكتب الأستاذ عبد الله بك الأنصاري)
المولى أدام الله وجوده مُتمِّعاً بَهْدَايَا الأيام وتُحَفِ الأعوام طَلماً
أَوْفَدَ ^(١) من الرِّفْدِ ^(٢) إلى وُجْهِهِ من الخَيْرَاتِ مَا أَفْعَمَ ^(٣) يَدِي حَتَّى
أَصْبَحْتُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ أَجْرُ ذِيُولِ النِّعَمَاءِ ^(٤) عَلَى غَبْرَاءِ ^(٥) الْبِأْسَاءِ ^(٦)
وَأَجْتَلَى ^(٧) مَعَارِفَ السَّرَاءِ بِعَوَارِفِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي لَا يَوَازِيهَا ثَنَاءٌ وَحَدٌّ وَلَا
يُوَازِيهَا عَطَاءٌ وَرَفْدٌ وَلَا يُطَاوِلُهَا سَمَاءٌ وَبَحْرٌ وَلَا يُغَالِبُهَا بُؤْسٌ وَفَقْرٌ وَإِنْ لِي
مِنْ آلَاءِ ^(٨) السَّيِّدِ حَفْظُهُ اللَّهُ وَأَدَامَ عُلَاهُ مَا أَيْنَعَ وَأَزْهَرَ وَأَوْزَقَ وَأَثَمَرَ
حَدَائِقَ قَامَتْ لَشُكْرِهِ عِيدَانُهَا وَسَجَدَتْ لِفَضْلِهِ أَغْصَانُهَا وَتَرَنَّمَتْ طَرَباً
وَتَمَايَلَتْ عَجَباً بِنَفَحَاتِ هِيَ عَرْفُهُ ^(٩) وَبِرَكَاتِ هِيَ عَرْفُهُ وَلِي أَمَلٌ فِي جَنَابِهِ
وَأَنَا سَلِيلُ ^(١٠) نِعْمَتِهِ وَعَهْدِي بِأَخْلَاقِهِ وَأَنَا ابْنُ مَوَدَّتِهِ أَنْ يُجِئَ بِقَبُولِ مَا أَهْدَيْتُهُ
وَهُوَ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ وَثَمَرَةِ غَرْسِهِ (بِأَكُورَةِ تَفَاحٍ) يَرْفُهَا إِجْلَالٌ وَاعْظَامُ
وَتَصْجُبُهَا تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ

(وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)
الهِدْيَةُ غَمْرُكَ اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ تَبَسُّطُ يَدِ الْمَوَدَّةِ وَتَدْرِيهَا أَخْلَافُ ^(١١)
الْقُرْبِ وَتَعْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مِنَ الْإِثْلَافِ بِقَدَرِ مَا تَقَطَّعَ بَيْنَهُمَا مِنْ شَجَرِ
الْخِلَافِ وَمَا أَنَا فِيهِ أَهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَسْتَبْضِعُ ^(١٢) نَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْرٍ ^(١٣)
أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ وَالصَّوْءَ لِلْبَدْرِ وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَانَ ^(١٤) وَالْمَالَ لِقَارُونَ ^(١٥)

(١) أرسل (٢) العطاء والصلة (٣) ملاًهما (٤) بالفتح النعمة (٥) الأرض (٦) الداهية
(٧) انظر إليها مجلوة (٨) نعمة (٩) بالفتح الريح الطيبة (١٠) الولد (١١) جمع خلف بالكسر
للضرع (١٢) جاعله بضاعة (١٣) موضع بالحجاز (١٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام
(١٥) من قوم موسى عليه السلام أعطاه الله من الكنوز ما لم يمطه غيره

والحلم لأخنف^(١) والذكاء لأبياس^(٢) والتفسير لابن عباس^(٣) وما ذاك إلا كتاب كما تراه ضرباً في الأحكام بسهم ووعي من الأحكام ما خلت منه مفهمات^(٤) الأسفار^(٥) وموجزات الرسائل (فهو كما قيل) كل الصيد في جوف الفرا^(٦)

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائحات المعاني

على أني وإن تطفئت عليك وسقت لك هذا الكتاب مزداً لفاً^(٧) إلى جنابك الرّحّب ومقامك الأسنى فقد أصبت كبداً الصّواب ووضّته حيث يعرفه أهله ويتقبّله من باذله عالموه علماً بأنك عمادُ العلوم وأساس الفضائل لا تغادر^(٨) شاردة إلا وعيتها ولا نادرة إلا رويتها والا لو كان يُهدى عليّ قدرى وقدركو لكننت أهدى لك الدنيا وما فيها

(وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى استاذه الحكيم الشيخ محمد عبده)

سيدي ومولاي أطال الله بقاءك ورفع في الدارين علاك الهدية مفتاح باب المودة وعنوان تذكار المحبة يتسابق إليها كرام السجايا^(٩) ويتسارع إلى إحياء شعائرها عشاق المزايا حرصاً على حفظ عهد الوداد والتألف واذهاباً لوحشة التقاطع والتحالف

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا

(١) هو أبو بحر صخر بن قيس قابلي كبير يضرب به المثل في الحلم توفي سنة ٨٦٧ هـ
(٢) هو أبو وائلة بن معاوية بن مرة المزني يضرب به المثل في الذكاء توفي سنة ٨١٢٢ هـ (٣) هو أبو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن دم رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقي ياقيب ترجمان القرآن توفي سنة ٩٨ هـ (٤) مملوآت (٥) الكتب (٦) حمار الوحش ومعناه كل ما عدها دونه قاله النبي عليه الصلاة والسلام تطميناً لرجل خرج يصطاد مع أصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشي (٧) متقرباً (٨) لا تترك (٩) الاخلاق

وتزرع في القلوب هوى وودًا وتكسوك المهابة والجلالا
ولقد وجدتكَ امامًا حكيمًا وفيلسوفًا عليًا تَدُرُّ الأعمالَ حقَّ قدرِها وتضعُ
الاشياءَ في مواضعها سباقًا الى نشر العلوم والمعارف في المشارق والمغرب
يبقى الشَّاهِدُ وتنفدُ الأموالُ ولكل دهرٍ دولة ورجال
ما نالَ محمَّدةَ الرِّجالِ وشكرهم الا الصَّبور عليهم الفضال
فلذا اهديكَ كتابي ﴿جواهر الادب في بلاغة لغة العرب﴾ جمع فأنوعى
من الآداب والحكم ما خلت منه مفعيات الأسفار (١) فهو بلا شك ولا مراء
كلُّ الصَّيد في جوف الفراء

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائحات المعاني
على أنى وان تطفلت عليك ووضعت كتابي هذا بين يديك فقد ولجت
الأمر من الأبواب وأصبت كبد الصواب حيث يعرف الفضل من الناس
ذووه ويتقبله بقبول حسن عالموه
شكرًا وحمدًا ان قبلت هديتي وجعلت لى فضلًا على أقرانى
فتنازلك بقبوله يكون الأقبال عليه جليلاً ويمجز لسانى عن أن أشكرك
شكرًا جزيلًا والسلام

﴿ الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف والاعتذار ﴾

(كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

الكريم اذا قدرَ غفرَ واذا أوثقَ أطلقَ واذا أسرَ أعتقَ قد هربت منك اليك واستعنتُ بعفوك عليك فأدقني حلاوة رضاك عني كما أدقني مرارة انتقامك مني : الحر كريم الظفر اذا نال أقال ^(١) واللئيم اذا نال استطال ^(٢) قد هابك من استر ولم يُذنب من اعتذر تكلف الاعتذار بلا زلة ^(٣) كتكلف الدواء بلا علة مولاي يوجب الصّبح عند الزلة ^(٤) كما يلتزم البذل عند الحلة ^(٥) مولاي يوليني صفيحة صفحه ويؤتيني العفو من عفوه زلت وقد يزل العالم الذي لا أساويه وعترت وقد يعثر الجواد الذي لا أجاريه لا تُضيّقن عني سعة خلّقت ولا تكذرن عليّ صفوً ودك مالى ذنبٌ يضيّق عنه عفوك ولا جرمٌ يتجافى تجاوزك وصفحك : والسلام

(وكتب عبد الله بن معاوية المتوفى سنة ١٥٨ هـ الى ابي مسلم)

من الأسير في يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه (اما بعد) فقد أتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية والملك عدل القضية فانك مستودع الودائع ومولى الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عارية والصنائع مرعية وما التّم عليك وعلينا فيك بمنزور ندّاها ولا بمبلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك واتق الله ربك وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرفاة والأمن من المحافة فقد أنعم الله عليك بأن فوّض أمرنا اليك

(١) ترك (٢) تملك وتمسك (٣) بالنفع القطعة (٤) بالفتح الغلظة (٥) بفتح الحاء الحاجة والفقر

فأعرف لنا لين شكر المودة واعتقار مسرة الشدة والرضا بما رُضيت والقناعة بما
هويت فإن علينا من سلك الحديد وثقله أذى شديداً مع معالجة الأغلال وقلة
رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الغضاظة وإبرادهم علينا الغيوم وتوجيههم
إينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الأياسة فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى
ونشكو شدة البلوى فتى تمل إينا طرفاً وتولنا منك عطفاً تجدد عندنا نصحاً
صريحاً ووداً صحيحاً لا يضيّع مثلك مثله ولا ينفي مثلك أهله فارغ حرمة من
أذكرت بحرمته وأعرف حجة من فليجت بحجته فإن الناس من حوضك رواء
ونحن منه ظلماء يمشون في الأيراد ونحن نرجل في الأقياد بعد الخير والسعة
والخفض والدعة والله المستعان وعليه التكلان

(وكتب بدر الدين محمد بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ)

رفقاً بمن ملك الوجد قياده وعطفاً على من أذاب الشوق فؤاده
مقيم^(١) ألقه فرط صدودك ومغرم أغراه بحبك قول حسودك وسقيم لاشفاء
له دون مزارك ومقيم على عهدك ولو طالت مدة نفارك إلى م هذا التناي^(٢)
والنفور وعلام يا ذا القدر العادل تجور لقد تضاعف الأسف والأسى
وتطاول التعلل بعل وعسى

هبنى تخطيت إلى زلة ولم أكن أذنبت فيما مضى
أليس لي من بعدها حرمة^(٣) توجب لي منك جميل الرضا
ولست ألوذ إلا بباب نعمك ولا أعتمد في نحو الاساءة إلا على حلمك
وكرمك وما جل^(٤) ذنب^(٥) يضاف إلى صفحك ولا عظم جرم^(٦) يسند إلى
عفوكم ومثلك من يقل العثرات ويتجاوز عن الهفوات

(١) مستبعد ذليل (٢) التبعاعد (٣) ما عظم (٤) ذنب

وكنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رَضْوَى ^(١) نَزُولُ وَانْ وَدَّكَ لَا يَزُولُ
وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ لَهَا أَنْقِلَابٌ وَحَالَاتُ ابْنِ آدَمَ تَسْتَحِيلُ
طَالَمَا آتَسْتَنَى بِقُرْبِكَ وَدَنَوْتُ مِنِّي مَفَارِقًا ظَبَاءَ سِرْبِكَ وَأُنْجِزَتْ
وُعُودِي وَأَطْلَعْتَ نَجْمُ سَعُودِي

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَدْنَيْتُ مَجْلِسِي وَوَجْهَكَ مِنْ مَاءِ الْبَاشَاةِ يَقْطُرُ
فَنَ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَى بِهَا فِي سَالَفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ
قَدِمْتُ أُمْلَى عَنْ سُؤَالِكَ وَبَهَرْتُ نَظْرِي بِنَظَرَةِ سَنَّاك ^(٢) وَكَسَرْتُ جَيْشَ
قَرَارِي وَتَرَكْتُ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ لَيْلِي وَنَهَارِي أَحُومُ حَوْلَ الدِّيَارِ وَأَعُومُ فِي
بَحْرِ الْافْكَارِ وَأَتَحَسَّسُ بِعَطْفِ عَطْفِكَ وَأَتَمَلَّقُ بِأَذْيَالِ مَكَارِمِكَ وَلُطْفِكَ أَمَّا
عَلِمْتُ أَنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَإِذَا صَدَرَتْ مِنْ عَبْدِهِ زَلَّةٌ أَسْبَلَ عَلَيْهَا رِداً
الْعَفْوَ وَسَتَرَ وَأَنَّ شَفِيعَ الْمُذْنِبِ أَقْرَاهُ وَرَفُضَ خَطِيئَتِهِ عِنْدَ مَوْلَاهُ اسْتِغْفَارُهُ
وَمَنْ كَانَ ذَا عَذْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعَذْرِي أَقْرَارِي بَأَنَّ لَيْسَ لِي عَذْرٌ
لَهْفِي عَلَى عَيْشِ بَسَآلَفِ ^(٣) حَدِيثِكَ سَلَفِ وَأَوْقَاتِ حَلَّتْ ثُمَّ خَلَّتْ وَأُورِثَتْ
التَّلَفِ وَأَهَّا لَا يَأْمُ بِطِيبِ أَنْسِكَ مَضَتْ وَبِرُوقِ لَيْالٍ لَوْلَا قُرْبِكَ
مَا أُمَضْتُ ^(٤)

كُنْتُ أَعْرِفُ فِي الْهَوَى مَقْدَارَهَا رَحَلْتُ وَبِالْأَسْفِ الْمَبْرَحِ عَوَّضْتُ
كَيْفَ السَّيْلُ إِلَى إِعَادَةِ مِثْلِهَا وَهِيَ الَّتِي بِالْبُعْدِ قَلْبِي أَمْرَضَتْ
فَجِدْتُ بِالتَّدَانِي وَأَسْمَحُ بِنِيلِ الْأُمَانِي وَأَلْنُ قَلْبَكَ الْقَاسِي وَعُدُّنِي التَّنَاسِي
وَالْتَّنَاسِي وَأَرَعُ الْوُدَّ الْقَدِيمَ وَابْدُلْ شِقَاءَ مُحِبِّكَ بِالنِّعَمِ وَلَا تَعْدِلْ عَنْ مِنْهَا

المعدلة وسلم فقد أخذت حقها المسئلة واغمد سيف حيف^(١) صبرته مسلولاً وأوفر بالعهد أن العهد كان مسلولاً

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيح إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأمل الذى لا يكون إلا من نتاج حُسن الظن وإثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من الشاكرين فتكون خير مُعْتَبَر^(٢) وأكون أفضل شاكر وأمل الله يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الأناعم وهذا الأناعم سبباً للأقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم^(٣) فيكون لأعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسبب حسنة ومثلك من أنقلب به الشرُ خيراً والغم^(٤) غمًا^(٥) من عاقب لقاء أخذ حفظه وأتم الأجر في الآخرة وطيب الذكر فى الدنيا على قدر الاحتمال ونجس المرائر: وأرجو أن لا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعقلك وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه وأتم الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمه وان كان العفو العظيم مُسْتَطَرِقاً^(٦) من غيركم فهو تِلَادٌ^(٧) فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تَنَكَّلُونَ^(٨) ولا على سالف احسانكم تَنَدَمُونَ ولا مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بمبلاً من بنى اسرائيل الا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً فقال له شِعْمُونَ الصفا— ما رأيت كالיום كلما أسمعوك شراً أسمعهم

(١) الجور (٢) مسر بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم ادائه (٥) الغنيمة (٦) مستعدنا (٧) المال القديم (٨) تجنبون

خبراً فقال كل امرئ ينسفق مما عنده وليس عندكم إلا الخير ولا في أوعيتكم
إلا الرحمة * وكل أناه بالذي فيه ينضح .

(وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء)

نَبَتْ^(١) بي غرةُ الحداثة فردتني اليك التجربة وقادتني الضرورة ثقة
بإسراعك الي وأن ابطأت عنك وقبولك لذكرى وان قصرت عن واجبك
وان كانت ذنوبي سدّت علي مسالك الصّفتح عني فراجع في مجذك
وسؤدك^(٢) واني لا أعرف موقفاً أذل من موقفي لولا ان مخاطبة فيه لك ولا
خطة أدنا من خطقي لولا أنها في طلب رضاك والسلام

(وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ)

لو بغير الماء خلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
كيف يقدر أبق الله السيد على التوام من لا يهتدي الى أوجه الداء
وكيف يداري أعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الأعداء وكيف يعالج علة
القرحة العمياء أم كيف يسرى بلا داييل في الظلماء أم كيف يخرج الهارب من
بين الأرض والسماء: الكريم اذ قدر غفر واذا أوثق أطلق واذا أسر أعتق
واقدر هربت من السيد اليه وتسلحت^(٣) بعفوه عليه وأقيت ربة^(٤) حياتي
ومماتي بيديه فليذقني حلاوة رضاه عني كما أذاقني مرارة انتقامه مني
ولتلح^(٥) على حالي غرة عفوه كما لاحت عليها مواسم^(٦) غضبه وسطوه
وليعلم أن الحر كريم الظفر اذا نال أقوال وان اللئيم لئيم الظفر اذا نال استطال
وليقتنم التجاوز عن عثرات الأحرار ولينتهز^(٧) فرص الاقتدار وليحمد

(١) ابعدتني (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التي يربط بها والمراد بها الزمام

(٥) تظهر (٦) العلامات (٧) يقتنم

الله الذي أقامه مقام مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى وَرَكَّبَ نَصَابَهُ فِي رَتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ
وَمَجَّدَهَا فَنِيَّ وَأَخْلَقَ الْعَالَمُ وَذِكْرُهَا طَرِيٌّ وَلِيَعْتَقِدَ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مَنْ اسْتَرَى
وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِ مَنْ أَعْتَذَرَ وَأَنْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ إِلَى الشَّجَاعَةِ بَعْدَ
الْعَجَبِ وَأَخْرِجَ ذَنْبَهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ مِنْ سُنَّةِ الْهَقْنِ وَفَوْقَ اللَّهِ السَّيِّدِ لِمَا يَحْفَظُ
عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاجِمِ أَعْدَائِهِ

(وكتب بعضهم إلى رئيسه)

وَجَدْتُ أَسْتَصْغَارَكَ لِعَظِيمِ ذَنْبِي أَعْظَمَ بِقَدْرِ تَجَاوُزِكَ عَنِّي وَلَعَمْرِي مَا جَلَّ
ذَنْبٌ يُقَاسُ إِلَى فَضْلِكَ وَلَا عَظَمٌ جُرْمٌ يُضَافُ إِلَى صَفْحِكَ وَيُعَوَّلُ فِيهِ عَلَى
كَرَمِ عَفْوِكَ وَأَنْ كَانَ قَدْ وَسَّعَ حِلْمُكَ فَأَصْبَحَ جَلِيلُهُ عِنْدَكَ مُحْتَقَرًا وَعَظِيمُهُ
لَدَيْكَ مُسْتَصْغَرًا أَنَّهُ عِنْدِي لَنِي أَقْبَحُ صُورِ الذُّنُوبِ وَأَعْلَى رَتَبِ الْعُيُوبِ غَيْرِ
أَنَّهُ لَوْ لَا بُوَادِرُ (١) السُّفَهَاءِ لَمْ تُعْرِفْ فَضَائِلُ الْحُلَمَاءِ وَلَوْ لَا ظُهُورُ نَقْصِ بَعْضِ
الْإِتْبَاعِ لَمْ يَبَيِّنْ جَمَالَ الرُّؤَسَاءِ وَلَوْ لَا الْمَامُ الْمَلْسِينَ بِالذَّنْبِ لَبْطَلَتْ طَوَّلُ الْمُتَطَوِّلِينَ
بِالْصَّفْحِ وَآتَى لَأَرْجُو أَنْ يَمْنَحَكَ اللَّهُ السَّلَامَةَ بِطَلْبِكَ لَهَا وَيُقِيلَكَ الْعَثَرَاتِ
بِاقَالَتِكَ أَهْلَهَا وَمَا عَلِمْتُ أَنِي وَقَفْتُ مِنْكَ عَلَى نِعْمَةٍ أَتَدْبِرُهَا إِلَّا وَجَدْتُهَا تَشْتَمِلُ
عَلَى فَائِدَةٍ فَضْلُ تَتَبِعُهَا عَائِدَةٌ عَقْلُ

(وكتب فقيد اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م)

بِمِ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَعْرِ مِنْ عَثَمِكَ مَنْ
لَا يَسْتَطِيعُ لَذَنْبِهِ سِتْرًا بَلْ كِنَانًا مِنَ الْعَثَبِ تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهَا
مِنْ تَبِعَةٍ تَقْصِيرِي وَمَا حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ

تقصيري شيئاً أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمراً قَصِدْتُهُ وَلَكِنَّهَا الْإِيَّامُ أَنْ صَاحِبَتَهَا
لَمْ تَصْحَبْ وَأَنْ عَاتَبْتُهَا لَمْ تُعْتَبْ فَلَقَدْ عِبَرَتْ بِي هَذِهِ الْبُرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ
شَوَاغِلٍ لَا يَسْتَفْلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ ^(١) قَدْ اخْتَلَطَ حَابِلُهَا بِالنَّابِلِ فَتَنَازَعْتُهَا
هَذِهِ الثَّهْرَةُ ^(٢) الْيَسِيرَةُ أُجَدِّدُ فِيهَا التَّذْكَرَةَ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصَلَةِ الْحَبْلِ
وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ أَحْرَفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِيلُ بِهَا النَّظَرُ وَيَأْسُ إِلَيْهَا
الْحَاطِرُ مَتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَبْقَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُوراً وَالْأَيُّ يَكُونُ
عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئاً مَنْظُوراً وَأَنْ تَجْرِيَ بِي عَلَى عَادَةِ حُلُمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ
اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ ^(٣) عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ ^(٤) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ
(وَكُتِبَ أَيْضاً)

وَأَفَانِي كِتَابُكَ الْعَزِيزِ وَالنَّفْسُ نَازِعَةٌ ^(٥) إِلَى مَا يَزِيلُ نِفَارَهَا وَالْقَرِيبَةُ ^(٦)
ثَائِقَةٌ ^(٧) إِلَى مَا يَشْحَذُ ^(٨) غَرَارَهَا ^(٩) فَكَانَ رَوْضَةٌ بِاسْمَةِ ^(١٠) الْكَلَامِ ^(١١)
فَالْحَمْدُ النَّسَامُ قَدْ رَدَّتْ عَلَى النَّفْسِ انْبِسَاطُهَا وَأَحْيَتْ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَشَاطُهَا
فَأَنَا مِنْهُ مَا بَيْنَ وَشْيٍ ^(١٢) يَمْخِجُ طَرَاظَ الْعَبَثِيَّةِ ^(١٣) وَزُخْرُفَ ^(١٤) دُونِهِ
نَضْرَةٍ ^(١٥) السَّابِرَةِ ^(١٦) تَنَاجِيْنِي مِنْهُ رَشَاقَةٌ ^(١٧) الْفَاطِ تَفْضُحُ قُدُودَ ^(١٨)
الْحِسَانِ وَغَضَاضَةً ^(١٩) أَنْفَاسٍ يَفَارُ مِنْهَا وَرَدُّ الْحَيْنَانِ وَرِقَّةُ خُطَابٍ يَشِفُّ ^(٢٠)

(١) موم والحابل قيل ناصب الحباله لقصيد وقيل سدى الثوب — والنابل قيل صاحب
النابل وقيل لمة الثوب ولفظ المثل اختلط الحابل بالنابل وهو مثل يضرب في ارتباك الاسم
(٢) بضم النون لقرصة (٣) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقة (٦) اللكة التي يقتدر بها على
استنباط العلم بمحنة العليم (٧) مشتاقة (٨) يحده وأصله لحد السكين (٩) بكسر الفين والمراد
أن اللكة مشتاقة إلى ما يجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب
(١٣) تبلغ الغاية في الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رقيقة جيدة
وأصلها لدرع السابرة نسبة إلى ما يور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسفاً
(١٧) لطافة (١٨) جم قد اتقاة (١٩) الحسن (٢٠) يحكي

عن وترٍ صفىً ولطف خفىً^(١) وكرِّم وفيّ وعْتبٍ أعذب من الماءِ
القَرَّاحِ^(٢) وأرقّ من نَسَمَاتِ الصَّبَا في الصَّبَاحِ حتى لقد حَبَّبَ إلى تقصيري
وشفع عند نفسي في قبول معاذيري على أن ما عندي من الولاء لا يَعتريه معاذٌ
الله وهن^(٣) ولا يُخلِّقه^(٤) نَمَادِي زمن أوترامي وطَن ولكنَّ صُروفَ
الأحداثِ^(٥) قد قصَّرت الجُهدَ^(٦) وصرفت جواد العزيمة عن القصد والله يعلم
أنِّي لو نَزَلْتُ على حكم نوازل الدهر ولم أدافع طلائعها بما بقي من ساقَةٍ^(٧)
الصَّبْرِ لما كان في هِمَّتِي إلَّا كسرُ البراعِ^(٨) وهجرُ الحابرِ والرقاعِ^(٩) وحسبي
من العذر ما أعرَفُهُ من حِلْمِكَ المألوف وما أَلْفَتُهُ من كَرَمِكَ المعروف

والله أسأل أن يُبقيك لي من الدهر نصيباً ويمتحنى بلقائك قريباً بمنّة وكرمه

« وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ »

أما بعدُ فَنِعِمَّ البَدِيلُ من الزَلَّةِ الاعتذار وبئس العِوَضُ من التَّوْبَةِ الإصرارُ
فأنا لا عِوَضَ من إِيْثَانِكَ ولا خَلْفَ من حُسْنِ رَأْيِكَ وقد انتَقَمْتَ مِنِّي في
زَلَّتِي بِجَفَائِكَ فأطْلُقْ أَسِيرَ تَشَوُّقِي إلى لِقَائِكَ فَأَتْنِي بِمَعْرِفَتِي بِمَبْلَغِ حِلْمِكَ وَغَايَةِ
عَفْوِكَ ضَمَنْتُ لِنَفْسِي الْعَفْوَ من زَلَّتِهَا عِنْدَكَ وقد مَسَّنِي من الأَلَمِ ما لم يَشْفِهِ
غَيْرُ مَوَاصِلَتِكَ

« وكتبت زبيدة الرّشيد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ إلى المأمون »

كلّ ذنبٍ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وان عَظُمُ صَغِيرٌ في جنب عَفْوِكَ وكلّ إِسَاءَةٍ وان

(١) ظاهر فهو من الاضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لا يبايه (٥) كلاماً
مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضما الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاق بكسر الراء
مفرده رقعة يضمها القطعة من الورق التي تكتب

جَلَّتْ يَسِيرَةُ لَدَى حَلَمِكَ وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ أَطَالَ مَدَّتِكَ وَتَمَّ نِعْمَتُكَ
وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ عَنْكَ الشَّرَّ وَالضَّرَّ
وَبَعْدَ فَهَذِهِ رُقْعَةٌ الْوَلَعَى الَّتِي تَرْجُوُكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ وَفِي الْمَمَاتِ
لِحِلِيلِ الذِّكْرِ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفَى وَاسْتَكْنَتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَأَنْ تَصِلَ
رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا : فَاغْبِلْ — وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ
حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

« وَكُتِبَ إِلَيْهَا الْمَأْمُونُ جَوَابَ الْمَوَاسَاةِ الْآتِي »

وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَّةَ أَحَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَايَةِ ^(١) وَوَقَفْتَ عَلَيْهَا
وَسَاءَنِي (شَهِدَ اللَّهُ ^(٢)) جَمِيعَ مَا أَوْضَحْتَ فِيهَا لَكِنَّ الْأَقْدَارَ نَافِذَةٌ ^(٣)
وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّقَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى
دِفَاعِهَا ^(٤) وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ إِلَى شَتَاتٍ ^(٥) وَكُلٌّ حَتَّى إِلَى مَمَاتٍ وَالْغَدْرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ
الْإِنْسَانِ ^(٦) وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ

وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ وَلَمْ تَقْدِرْ تَمْنِ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ الْإِلَهِيَّةِ
وَوَجْهِهِ ... وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ ^(٧) وَالسَّلَامُ

« وَكُتِبَ بَعْضُهُمْ »

أَتَى وَإِنْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَخَرَجْتُ عَنْ حَدِّ الْأَدَبِ فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ
لِسَيِّدِهِ فَإِنِّي عَبْدٌ نِعْمَتُكَ وَصَنِيعُ إِحْسَانِكَ وَذَنْبِي وَإِنْ عَظُمَ وَضَاقَ بَابُ التَّوْبَةِ
عَنْ قَبُولِ الْمَعْدَرَةِ فَالْعَفْوُ عَنْهُ بَعْضُ حَسَنَاتِكَ الَّتِي فَطَرْتَ عَلَيْهَا وَالْإِغْضَاءُ عَنِّي

(١) يَعْنِي حِفْظَكَ اللَّهُ وَمَا نَكَ بِرِغَابَتِهِ (٢) جُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٍ بِقَصْدِ بَهَانٍ كَيْدٍ مَا يَقُولُ (٣) يَعْنِي
مَاقْدِرُهُ اللَّهُ لَا يَبْدُ أَنْ يَكُونَ (٤) يَعْنِي أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ مُسْتَلِمَةٌ لِأَحْكَامِ اللَّهِ وَأَقْدَارِهِ (٥) مَا لَهَا التَّفَرُّقُ
(٦) يَعْنِي أَنَّ الْبَغْيَ فِيهِ هَلَاكُ الْبَاغِي (٧) يَعْنِي أَقْوَمَ لَكَ بِجَمِيعِ مَا تَحْبِبُ زِيَادَةً

سرٌّ من أسراركَ التي تميلُ إليها فاجعل العفو عني قُرْبَةً إلى مولى الموالى وأترك
العبدَ عتيقَ مكارم الأخلاق والا فضع سيفَ نِقمتِكَ في نحر عبد نعمتِكَ
وأنتَ حِلٌّ من ديم أراقه أهله أو آل أمره إلى وارثٍ لا يسعه إلا التزول
عن المطالبة به : ألا وهو مقامُ جلالَتكم السامي

وحاشاك أن تُعدمَ الصادقَ في خدمتك بهفوة لم يقصدها وذنبٍ أفلح عنه
وعلى كلِّ فالعبدُ بين يديك وأمره منك واليك فقد ألقى إليك مقاليد
الأجل فافعل ما تشاء وأتق الله عزَّ وجلَّ

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)
أعاذكَ اللهُ من سوء الغضب ^(١) وعصمتِكَ من سرف ^(٢) الهوى
وصرف ^(٣) ما أعاركَ من القوَّة إلى حُبِّ الأنصاف ^(٤) ورجح في قلبك
إيثار ^(٥) الأثاة : فقد خفتُ أيديكَ اللهُ أن أكونَ عندك من المنسويين إلى
نزق ^(٦) السفهاء ومجانبة سبيل الحكماء

وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ
وانَّ امرأ أُمسى وأصبحَ سَلماً من النَّاسِ إلا ما جَنَى لَسَعِيدُ
وقال الآخرُ

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ دَمَّوْهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
فان كنتَ اجتَرأتَ ^(٧) عليكَ أصلحك اللهُ « فلم أجترئُ إلا لأنَّ دَوامَ
تغافلِكَ عني شبيهُ بالأهمال الذي يورثُ الاغفالَ والعفوُ المتتابعُ يؤمنُ من

(١) حفظك (٢) مجاوزة الحد (٣) وجه (٤) جملة راجعاً (٥) اختيار (٦) طيش
(٧) أقدمت وهجمت

المكافأة ولذلك قال عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ مُحْذِفَةَ لِعُمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ «عُمَرُ كَانَ خَيْرًا لِي مِنْكَ أَرْهَبَنِي فَأَتَّقَانِي وَأَعْطَانِي فَأَغْنَانِي» فَإِنْ كُنْتَ لَا تَهَبُ عِقَابِي «أَيْدِكَ اللَّهُ» لِلْخِدْمَةِ قَبْلَهُ لَا يَأْدِيكَ عِنْدِي فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النِّقْمَةِ وَالْأَفْعَلُ ذَلِكَ لِذَلِكَ فَمُذْ إِلَى حُسْنِ الْعَادَةِ وَالْأَفْعَلُ ذَلِكَ لِحُسْنِ الْأَحْدُوثَةِ وَالْأَفْعَلُ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ دُونَ مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ فَسَبِّحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُو عَنِ الْمُتَعَمِّدِ وَتَتَجَانَّى عَنِ عِقَابِ الْمُصْرِّ حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى مَنْ هَفْوَتُهُ ذِكْرٌ وَذَنْبُهُ نَسْيَانٌ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ هَجَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ — وَاعْلَمْ أَيْدِكَ اللَّهُ أَنَّ شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَرِّينَ صَفْحِكَ عَنِّي وَأَنْ مَوْتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ كَحَيَاةِ ذِكْرِكَ مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي بِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ فِطْنَةً عَلِيمٌ وَغَفْلَةً كَرِيمٌ وَالسَّلَامُ

﴿الكلام على الرسائل المتداولة﴾

هذه الرسائل تنفرع إلى ثلاثة أقسام باعتبار الغرض المقصود: فإما أن تقصد بها أمور الكاتب: وإما أمور المكتوب إليه وإما غرضاً ثالثاً فالأول يشمل على الرسائل التجارية والطلب والشكر والاعتذار والثاني على رسائل النصيحة والملامة والاختبار والتهنئة والتعزية والأجوبة والثالث على رسائل الوصاية والشفاعات

﴿ الفصل الثاني ﴾^(١) في رسائل الطلب ﴿

(كتب الى عبيد الله بن سليمان أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)
 اَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ أَنْ أُسْقِيَهُ رَاعَ^(٢) وَزَكَاَ وَإِنْ
 جَفَوْتَهُ ذُبُلٌ وَذَوَى^(٣) وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بِهَدِيرٍ وَاغْفَالٍ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى
 تَكَلِّمَ عَدُوًّا وَشَمِيتَ حَاسِدًا وَلَجَبْتَ بِي ظَنُّونُ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَاعِبًا وَلَهُمْ مُخْرَسًا:
 لَا تُنْهَى بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدٌ عَادَةً مُنْزَعُهُ

(وكتب الوزير الخطير عبد الحاق باشا ثروت)

إِلَيْكَ يَا مَنْ قَدْ اسْتَأْسَرَ النُّفُوسَ بِكَرَمِهِ وَاسْتَرْقَ الْأَحْرَارَ بِجَمِيلِ ضَمْنِهِ
 وَأَوَّلَى النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ وَأَسْدَى الْمَرْوَفِ وَالْمُبَرَّاتِ أَرْفَعُ كِتَابًا تَبَعْتُهُ إِلَى نَادِيكَ
 الْعَالِي عَوَامِلُ الْحَاجَةِ وَتَرْجِيهِ^(٤) إِلَى سَاحَتِكَ دَوْنِي الشَّدَّةَ أَدْلُ أَنْ يَكُونَ
 تَذْكَرَةً بِأَمْرِي وَالذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَذْكَرَةٌ بِحَالِي وَاللَّهُ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ فَقَدْ كَانَ سَيِّدِي رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَأَعْلَى مَرْتَبَتَهُ وَعَدَنِي وَمِثْلَهُ مَنْ يَتَمَسَّكَ
 مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعُرْوَةِ^(٥) الْوُثْقَى وَيَقْطَعُ حَبْلَ الْإِخْلَافِ بِسَيْفِ الْوَفَاءِ وَيَطْرُزُ خِلْعَةَ
 الْوَعْدِ بِوَشْيِ الْعَطَاءِ أَنْ يُرْسَلَ لِي مِنْ خَيْرَاتِهِ وَيُؤَيَّنِي مِنْ آلَائِهِ وَحَسَنَاتِهِ
 وَيُضَاعَفَ لِي مِنْ مَنَنْهِ وَيَزِيدَنِي مِنْ عَطَائِهِ مَا أَشَدُّ بِهِ أَرْزَى^(٦) عَلَى الزَّمَانِ
 وَأَطَاوَلُ بِهِ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ^(٧) فَقَدْ بَارَزَنِي اللَّتْهَرُ بِسُيُوفِهِ وَرَمَانِي بِسَهَامِهِ
 وَأَنَاخَ^(٨) عَلَى بَكْلَاكِ^(٩) وَقَدْ طَالَ الْأَمْدُ^(١٠) عَلَى حَاجَتِي عِنْدَ سَيِّدِي أَطَالَ

(١) والفصل الاول في الرسائل التجارية التي أغفناها في كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة
 بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد (٣) ذيل (٤) تدفقه (٥) من الجبل الوثيق المحكم
 (٦) ظهري (٧) جتمع الماء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر (٨) مال
 (٩) مصائبه (١٠) الناية

الله بقاءه حتى طار غراب شبابها وصاح بجانب ليلا خفيت أن تكون هبت عليها
ريح النسيان وعصفت^(١) بها عاصفة^(٢) الحيدان^(٣) فكتبت إلى سيدي
ومولاي تلك الرقعة أستعجل بها بره وأستدير بها ضرع عطائه علماً بأن
التمجيل يكبر العطية وإن كانت صغيرة ويكثرها وإن كانت يسيرة
فعسى أن يكون قد لاح نجم النجاح وهب نسيم الفلاح فيرسل سيدي إلى
سحاب كرمه ويمطرني من غياث فضله فتعرف^(٤) غصون آمالي بعد ذبولها
بعد عبوسها وأمل في ذلك فسيح فان سيدي من أكرم
ومثله جدير^(٥) بحفظ العهد وإنجاز الوعد: فان رأى
ساجة غنى ويرد ما سلبه الدهر منى بقطرة من بحر
بعض آلائه^(٦) ويجير ما كسره الفقر من جناحي ويرد
تفتأ^(٧) تتولأني عقدت لسانى على مدحه ووقفت نفسى
على شكره فيحرز من الله أجراً جزيلاً ومنى شكراً جميلاً - ان شاء الله بمنه وكرمه
« وكتب الفاضل أحمد بك رأفت »

السيد الكامل أدام الله علاه وأطال بقاءه وجعله مؤثلاً^(٨) الكرم
ومسدى النعم قد غمرني بنعمائه وطوقني بآلائه حتى قصرت حمدى عليه
وأمسكت لسانى عن الشكر إلا إليه وكان من مننه على وأياديه البيضاء لدى
أن وعدنى أنه يقدنى في أول العام وظيفة عالية ومرتبة سامية فاحضل^(٩)
روض الأمل بعد ذبوله وبزغ^(١٠) كوكبه بعد أفوله^(١١) وأتسع نطاقه^(١٢)

(١) اشتدت (٢) الريح (٣) حوادث الدهر (٤) تتلألا (٥) حقيق (٦) نعمة
(٧) نعمة (٨) تستمر (٩) ملجأ (١٠) صار ندياً (١١) طام (١٢) غيبته (١٣) ثوبه

واستبشَرَ القلبُ بنيلِ أمنيته والمصُولِ عَلَى رِغْبته واشتدَّ أُرْزَى ^(١) عَلَى
مُقَارعةِ كُتائب ^(٢) الزَّمانِ وَقَوَى جَنَانِي عَلَى صَدِّ جُيُوشِ الحِذَانِ وما زَالَتْ
بِي الأَيَّامُ حَتَّى خَانَ أَوَّلُ العَامِ وما تَحَقَّقَ الوَعْدُ أَوْ أَوْفَى العَهْدُ : ومثلُ السَّيدِ مَنْ
إِذَا وَعَدَ وَفَى أَوْ تَعَهَّدَ أَوْفَى

أَفِي دِينِ ذِي المَعْرُوفِ يَجْمَلُ أَنْتِي تَنْوِيهِ بِي البُؤْسِي وَيُنْقِلُنِي العُسْرُ
وَأَنْتِ الذِّي أَعْطَى المَكَارِمَ حَقَّهَا وَلَمْ يَحْكَ جَدُّكَ النَّسْحَابُ وَلَا البَحْرُ
فَعَجَلَ خَيْرُ البَرِّ يُحَمَّدُ عَاجِلًا وَأَوْفَى فَوَعْدُ الحُرِّ دِينَ بِهِ الحُرُّ
هَذَا وَلَكِنِّي رَجَعْتُ وَحَكَمْتُ العَقْلُ فَعَذَرْتُ السَّيِّدَ وَحَمَلْتُ ذَلِكَ عَلَى
أَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يُعْجَلْ بِإِنْجَازِ وَعْدِهِ وَإِيفَاءِ عَهْدِهِ إِلَّا لِتَقْلِيدِ عَبْدِهِ وَظَافَةِ أَسْمَى
وَمَرْتَبَةِ أَعْلَى عَلَيْهِ يَسْتَدْرِكُ مَا فَاتَ وَيُحْسِنُ إِلَى عَبْدِهِ فِيمَا هُوَ آتٍ

« وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد »

عَهْدِي بِالسَّيِّدِ الجَلِيلِ أَدَامَهُ اللهُ مَصْدَرًا لِلْمَكَارِمِ تُشْتَقُّ مِنْهُ صِفَاتُهَا
وَمُظْهَرًا لِلْفَضَائِلِ تَتَجَلَّى فِيهِ آيَاتُهَا سَبَاقًا إِلَى غَايَاتِ المَجْدِ دَرَجًا كَمَا لِمَطَالِبِ المَحْدِ
أُرِيحِيًّا ^(٣) لَا يَصْبُو ^(٤) إِلَّا إِلَى اسْدَاءِ ^(٥) النَّيْنِ جَوَادًا لَا يَطْمَعُ طَرْفُهُ فِي بَثِّ
عَوَارِفِهِ إِلَى ثَمَنِ مَا أُمِّمَ ^(٦) أُسِيرُ فَاقَةِ ^(٧) الْأَ وَالْفَى ^(٨) لَدَيْهِ كَهْفًا مَنِيعًا وَجَاهًا
رَفِيعًا وَمَا قَصَصَدَهُ ذُو حَاجَةٍ إِلَّا وَصَدَرَ ^(٩) عَنْ مَوْزِدٍ ^(١٠) فَضْلُهُ شَادِيًّا ^(١١) بَنَانُهُ
مُعَلَّنًا بِوَلَانِهِ وَإِنَّ لِي إِلَى السَّيِّدِ حَاجَةً أَنْ لَمْ يُسْعَفْ بِقَضَائِهَا فَيَاخْسِرَ نَفْسِي
وَطَوَّلَ شَقَائِهَا وَلَيْتَ هَذِهِ بِأَوَّلِ مَرَّةٍ أُسْتَمَحْتُ ^(١٢) فِيهَا عَالِي مَرْوَةٍ وَأَسْتَمَطَرْتُ

(١) ظهري (٢) الجيوش (٣) يرتاح للمطاء (٤) لا يميل (٥) احسان (٦) قصده (٧) فقر
(٨) وجد (٩) رجع (١٠) مكان الورود (١١) مترنماً (١٢) سأله العطاء

صَيَّبَ^(١) هَمَّهُ فَانهُ طَالَمَا طَوَّقَنِي فَلَا تَدَّ نِعْمَهُ وَأَرْسَلَ عَلَيَّ مَذْرَارَ^(٢) كَرَمِهِ
فَلِيَجْزِيَ فِي هَذِهِ أَيْضاً عَلَى عَادَتِهِ وَيُقَابِلَنِي بِمَا عَوَّدَنِي مِنْ كَرَامَتِهِ : وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
أَسْأَلَهُ مَا لَيْسَ فِي وَسْمِهِ أَوْ أَنْ أَسْتَقْضِيَهُ شَيْئاً يَحْرُصُ عَلَى مَنَعِهِ : وَلَكِنِّي
أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ^(٣) أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَقُوقِ الْعُلَمَاءِ قَبْلِي
وَالَّذِي يَكْفُلُ لِي تِلْكَ الْبَسْطَةَ أَنْ يُقَلِّدَنِي سَيِّدِي وَظِيفَةً مُنَاسِبَةً لِحَالَتِي حَتَّى
تَكُونَ لِي دِرْعاً أَتَّقِي بِهَا مَهَانَةَ الْفَقْرِ وَسَيْفاً أَكْفُ بِهِ عَوَادِي الدَّهْرِ وَمَالِي
وَالْأَقْسَامُ عَلَيْهِ فِي إِثْنَاتِي هَذِهِ الْبُغْيَةُ بِنَفْسٍ وَقَتْرَ قَضِيَّتِهِ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ وَاقْتِنَاءِ
أَبْكَارِهِ وَطَوِيلِ عَنَاءِ تَحَمُّلَتِهِ فِي مَزَاوِلَةِ^(٤) الْأَدَبِ وَاكتِشَافِ أَسْرَارِهِ وَنَفْسِي
ارْتَاضَتْ^(٥) بِالْفَضْلِ وَآثَرَتْ^(٦) غُصَّةَ الْفَقْرِ عَلَى مِنَّةِ الْبَذْلِ وَلَهُ مِنْ سَنِيَّاتِ^(٧)
الْفَضَائِلِ^(٨) وَعُلَيَّاتِ الْفَوَاضِلِ^(٩) وَجَلِيَّاتِ الْمَآثِرِ وَجَلِيلَاتِ الْمَفَاخِرِ مَا لَوْ أُقْسِمَ
بِهِ عَلَيْهِ فِي إِثْنَالَةِ أَعْزِ الْمَطَالِبِ لَا تُزِمُهُ كَرَمُ سَجَايَاهُ بِرَّ ذَلِكَ الْقَسَمِ وَاجَابَةُ دَوَاعِي
الهِمَمِ : وَأَنْتَ لِفَاعِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

« وَكَتَبَ فَقِيدَ الْأَدَبِ حَسَنَ أَفَنْدِي تَوْفِيْقَ الْمَتَوَفَى بَلَنْدَنْ سَنَةِ ١٣٢٢ هـ »

كِتَابِي إِلَى رَبِّ النِّعْمَاءِ وَالْيَسَدِ الْبَيْضَاءِ وَقَدْ أَصْبَحْتُ كَمَا قَالَ الْحَرِيرِيُّ
خَاوِيَّ^(١٠) الْوَفَاضِ^(١١) بَادِيَّ^(١٢) الْأَنْفَاضِ^(١٣) لَا أُمَلِّكَ بُلْغَةً^(١٤) وَلَا أَجِدُ
فِي جِرَانِي مُضْغَةً^(١٥) قَدْ التَّوَيَّ عَلَى أَمْرِي وَثَقُلْتُ مِنْ حَاجَتِي ظَهْرِي مَدَّةَ الْإِحْتِيَاجِ
إِلَى أَطْنَابِهِ^(١٦) وَسَرَّ بَلَنِي^(١٧) الْإِفْتِقَارُ إِهَابَهُ^(١٨) وَالْذُّنْيَا مَكْدَرَةً بِأَحْدَاثِهَا^(١٩)

(١) السحاب (٢) ما يدور بالمطر (٣) معاناته (٤) تمررت (٥) اختارت (٦) غاليات
(٧) جمع فضيلة الدرجة العالية (٨) فاضلة النعمة الجميلة (٩) خالي (١٠) بكسر الواو جراب
الزاد (١١) ظاهر (١٢) فناء الزاد والمال (١٣) يضم الباء المؤنة القليلة (١٤) انتهى كلام
الحريري (١٥) حبال الحيمه (١٦) البسليه قيصاً (١٧) جلده (١٨) مضائبا

وقصورها مُنْقَصَةٌ بأجداثها ^(١) نعيمها يَصْفُو ^(٢) ولكن لا يصفو وأنت كما أعلم
مُفَرَّجٌ كُرْبِيٌّ وَمُنْقَذِيٌّ مِنْ شِدَّتِي ، بِطُرْفَةٍ ^(٣) مِنْ طُرْفِ رِفْدِكَ ^(٤) وَلَمَحَّةٍ
مِنْ لِحَاتِ بَرِّكَ ^(٥) فَإِنْ اسْتَدْرَرْتُ ^(٦) حَلُوبَةَ ^(٧) مَا لَكَ فَقَدْ لَازِغِيْرِي
بِجَاهِكَ مَا يَمْتَمُّ ^(٨) غَيْرَكَ وَكَيْفَ يَقْصِدُ النَّهْرُ مِنْ جَاوِزِ الْبَحْرِ وَيَحْتَاجُ إِلَى
النَّجْمِ مِنْ يَسْرَى فِي ضَوْءِ الْبَدْرِ فَاسْتَهْزِ عِطْفَ ^(٩) جُودِكَ وَأَسْتَمْطِرْ سَحَابَ
كَرَمِكَ كَيْفَ وَأَنْتَ قَبْلَةُ الْمَعْرُوفِ : وَمِلَازُ الْمَلُوفِ إِلَيْكَ تُشَدُّ الرِّحَالُ وَبِكَ تُنَاطُ
الْأَمَالُ أَوْلَاوَاكَ مِنْكَ فِي ظِلِّ تَمْدُودٍ وَهَنَاءٍ وَسَعُودِ أَفَانَتِ الشَّمْسُ عَمَتْ بِالْأَشْرَاقِ
أَوْ الْغَيْثِ وَالْيَ الْإِنْدَاقِ — لَكِنْ

مَنْ قَاسَ جَدُّوَاكَ يَوْمًا بِالسَّحْبِ أَخْطَأَ مَدْحَكَ
فَالسَّحْبُ تُعْطَى وَتَبْكِي وَأَنْتَ تُعْطَى وَتَضْحَكُ
نَسَبُ الْكَرَمِ بِكَ عَرِيقٌ وَرَوْضُ الْمَجْدِ أُنِيقٌ أَصْلُ رَاسِخٍ وَفَرْعٌ شَامِخٌ
تَهْتَزُّ لِلْكَارِمِ اهْتِزَازَ الْخُصَامِ وَتَثْبُتُ أَمَامَ الشَّدَائِدِ بِثَغْرِ بَسَامٍ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
حَكَمْتَ الْآمَالَ فِي أَمْوَالِكَ وَاسْتَعْبَدْتَ الْأَحْرَارَ بِفَعَالِكَ يَنَایِعُ الْجُودُ
مِنْ أَنْامِكَ تَتَفَجَّرُ وَرِيْعُ السَّمَاحِ بِكَ ضَاحِكٌ لَا يَضْجَرُ فَلَا زَلَّتْ مَوْلَايَ
مِمَّةً بِشَرَفِ سَجَايَاكَ وَشَيْمِكَ مُسْتَمِدًّا الشُّكْرَ مِنْ غِرَاسِ نَعْمِكَ وَلَا زَالَتْ
الْأَنَامُ تَتَنَفَّعُ بِتِلْكَ الشَّيْمِ وَتَجْنِي ثِمَارَ ذَلِكَ الْكَزْمِ وَدُمْتَ لِلْكَارِمِ بَدْرَ نِمْ
لَا يَنَالُهُ خُصُوفٌ وَشَمْسٌ فَضْلٌ لَا يَلْحَقُهَا كُسُوفٌ : أَطَالَ اللَّهُ لَكَ الْبَقَاءَ كَتَطَوَّلَ
يَدِيكَ بِالْعَطَاءِ آمِينَ

(١) قبورها (٢) يكثر (٣) بنعمة (٤) عطائك (٥) احسانك (٦) استعطيت (٧) ما تحلب (٨) ما قصت (٩) جانب

الفصل الثالث في رسائل الشكر

« كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

الشكر تُرْجَانُ النِّيةِ ولسانُ الطَّوْبَةِ وشاهدُ الاخلاصِ وعنوانُ الاختصاصِ
عندى من انعامه وخاصّ برّه وعامّة ما يستغرق منه الشكر ويستنفد قوّة النّشر
شكر الأسير لمن أطلقه والملوك لمن أعتقه شكر كائنات النفاس الأحياء في
الأسفار أو أنفاس الرّياض غيب المطار

من بن وهب المتوفى سنة ٤٧٢ هـ

رفعته اليها أو تروّة أقدّرت عليها فان شكري لك
على مهجة أحييتها وحشاشة أبقيتها ورّمق أمسكت به وقومت بين التلف وبينه
فلكلّ نعمة من نعم الدّنيا حدّ تنتهي اليه ومدى تقف عنده وغاية من
الشكر لا يسمو اليها الطّرف خلا هذه النعمة انى فاقت الوصف وأطالت الشكر
وتجاوزت قدره (وأنت من وراء كلّ غاية رددت عنا كيد العدو وأرغمت
أنف الحسود) فنحن نلجأ منك الى ظلّ ظليل وكنف^(١) كريم فكيف
يشكر الشّاكر وأين يبلغ جهنّ المجتهد

(وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)

فأما الشكر الذي أعارني ردائه وقلّدني طوقه وسنائه^(٢) فهيّهات أن
ينسب الّا الى عادات فضله وافضاله أو يسير الّا نمت رايات عرفه^(٣)
وتواله^(٤) وهو ثوب لا يحلّي الّا بذكره طرازه وأسم له حقيقته ولسواه

(١) جانب (٢) رفته (٣) ممرّوه (٤) عطائه

هَبَّازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ مَلَكَ رَقِي بِأَيْدِيهِ وَأَعْجَزَ وَسْعَى عَنْ حَقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ خَلَّى لِي مَذْهَبَ^(١) الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يُجَاذِبْنِي زِمَامُهُ وَعَنَانَهُ لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَدَضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَطَلَعَ^(٢) وَلَكِنَّهُ يَأْتِي الْأَنْ أَنْ يَسْتَوْثِي عَلَى أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّمُ^(٣) ذُرًّا^(٤) الْغَوَارِبِ^(٥) مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ^(٦) فَلَا يَدْعُ فِي الْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا^(٧) وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا^(٨) سَاقِطًا لَتَكُونَ الْمَعَالَى بِأَسْرَافِهَا مَجْمُوعَةً فِي مُلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسَمِ وَشِرْكَهِ^(٩)

(وكتب أستاذي الحكيم الشيخ محمد عبده^(١٠) إلى حافظ بك إبراهيم)
لو كان بي أن أشكرك لظنّ بالغت في تحسينه أو أحمذك لرأي لك فينا
أبدعت في تزيينه لكان لقلمي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبهُ حَقُّكَ ويجري
في الشكر إلى الغاية كما يطلبهُ فضلك لَكِنَّكَ لَمْ تَقِفْ بِرُفَاكَ^(١١) عِنْدَنَا بَلْ
عَمَّتَ بِهِ مَنْ حَوْلَنَا وَبَسَطْتَهُ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ أَبنَاءِ لُغَتِنَا زَنَقْتَ إِلَى أَهْلِ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَذْرَاءَ مِنْ بَنَاتِ الْحِكْمَةِ الْعَرَبِيَّةِ سَحَرْتَ قَوْمَهَا وَمَلَكَتْ فِيهِمْ
يَوْمَهَا وَلَا تَزَالُ تُنَبِّئُهُ مِنْهُمْ خَامِدًا وَتَهْزُ فِيهِمْ جَامِدًا بَلْ لَا تَنْفَكُ نُحْيِي مِنْ قُلُوبِهِمْ
مَا أَمَاتَهُ الْقَسْوَةُ وَتُقَوِّمُ مِنْ نَفُوسِهِمْ مَا أَعْوَزَتْ فِيهِ الْأُسُوءَةُ^(١٢) حِكْمَةٌ أَفَاضَهَا اللَّهُ

(١) الطريق (٢) كلامهما الضعف (٣) يملو (٤) أعالي (٥) جمع غارب ما بين الظهر والعق
(٦) جمع كاهل ما بين الكتفين (٧) سابقاً (٨) كايلاً (٩) شاركته (١٠) هو الأستاذ الامام
المرحوم مفتي الديار المصرية سابقاً ولد سنة ١٢٥٨ وتوفي سنة ١٣٢٣ وكتب هذا المکتوب
شكراً لمرّجَم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة اثناء مرضه منها
ولست أبالي أن يقال محمد ابل أو اكتظت عليه المآثم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه أحاذر أن تقفني عليه المآثم
(١١) المعروف (١٢) بالكسر والضم القدوة

على رجل منهم. فهدى الى التقاطها رجلاً منّا فجرّدها من ثوبها الغريب وكساها
حُلّةً من نسيج الأديب وجلاها للنّاظر وحلاّها للطّالب بعد ما أضلّح من خاتمتها
وزان من معارفها حتى ظهرت مُحبّبة الى القلوب رشيقة^(١) الى مؤانسة البصائر
تمشّ^(٢) للفهم وتبشّ^(٣) للطف المذوق وتسايق الفكر الى موطن العلم فلا يكاد
يلحظها الوهم الا وهي من النفس في مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوقّف
العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق ووصل منهم فريق الى ما يحب من مقصده
ولكنه لم يُعْن بأن يُعيد الى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ويرد
اليها مأسليّة المعتدون عليها من متانة التّأليف وحُسن الصّيغة وأرتفاع البيان فيها
الى أعلى مراتبه — أمّا أنت فقد وفّيت من ذلك ما لا غاية لمريد بعده ولا
مطمع اطالب أن يبلغ حدّه . ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت الى أن
روح « ابن المقفع » كانت من طيّبات الأرواح . فظفرت لك اليوم في صورة
أبدع ومعنى أنفع ولعلك قد سنّدت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من
يحاوله بعد ظهور كتابك ويحملها الزّمان الى أبناء ما يُستقبل منه فتكون قد
أحسنّت الى الأبناء كما أجملت في الصّنع مع الآباء . وحكمت للغة العربية أن
لا يدخلها بعد من العُجْمة ما هو في الأسماء أسماء الأماكن والأشخاص
لا أسماء المعاني والأجناس: ومثلي من يعرف قدر الأُحسان ادا عمّ ويُعلّى مكان
المعروف اذا شمل ويتمثّل في رأيه بقوله

ولو أنّي حُبّيتُ الخلدَ فرداً لما أُحِبّتُ بالخلدِ انفراداً

(١) لطيفة (٢) بفتح التاء فصل اليه بسهولة (٣) بفتح الباء من البشاشة

فلا هطّلت علىّ ولا بأرضي سحائبُ ليسَ تنظّمِ البلادَ
فما أعجزَ قلبي عن الشكر لك وما أحقّك بأن ترضى من الوفاء باللقاء
« وكتب أيضاً في الشكر مع توثيق المودة الى بعض أصحابه »

لك في قلوبنا من المودة ما يزيكه سنأوك وفي مناطقتنا من الحمد ما يوجبُه
كما لك وفي صدورنا من الإجلال ما يرفعه يهاؤك وما يبتنا من المودة لا تحده
مُدّه ولا تخلُق له جدّه نعيذه من حاجة للتجديد واستدعاء للزبد فلا
المواصلّة تُربيّه ولا المجاهلة تُورّيه: نعم ان ما يحفظ لك في الأنس هو تجلّي فضلك
ومثال علائك وتلك وذلك الخالدُ بخلود الأرواح الباقي في تقاني الأشباح
وبعدُ فقد تلقيتُ منك كتاباً يوحُ بسرّ المحبة وينشرُ طي الصدقة فيه تبيان
وُجداً نكّمتاً وَجِدْنا وتأتّرك على ما فقدنا فكان نبأ عما نعلم وقضاً بما نحكم ولكن
شكرنا لك فضل المراسله وأريحية المجاملة والله يتمولى ايفاءك مشوبة تكافئ وفاءك
« وكتب أيضاً في الشكر لآخر »

لو كان في الثناء والأزمنة الدعاء وحفظ الجليل والقيام بالخدمة جهداً
المستطيع ما نهى بشكر من يفتح باب المحبة ويبدأ بصنائع المعروف لكنت
والحمد لله من أقدر الناس عليه ولكن أتى يكون في ذلك وقلاً والمحبة سرّ نظام
الأكوان والأحسان قوام عالم الأمكن والقائم على كنهه جميعه قيوم
السموات والأرض والمفتتحون لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه فليس
لي الا أن ألجأ الى الله في مكافأة فضيلتكم على ما كان منكم أيام الأقامة بينكم ثم
أسلّي نفسي عن عجزى بما أتخيل أن كرمكم سيروي :
سيكفي الكرم إخاء الكرم ويقنع بالود منه نوالاً

وبعد هذا أرجو عفوكم عن التقصير في المبادرة الى المكتبة لأنني شغلت بما
شغلني عن نفسي ولكن زالت العوارض والحمد لله: وفاتني لهذا العذر مهننتكم
بالعيد: وإنما للمؤمن في كل يوم بربه عيد فتمنئشكم برضاء الله عنكم وتقبله صالح
الاعمال منكم: وسلامي على نجلكم ومن ينتمي اليكم

❦ الفصل الرابع في رسائل النصيح والمشورة ❦

(كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

اسمع نصيحة ناصح - جمع النصيحة والنقمة^(١)

أياك واحذر ان تكون من الثقات على ثقة

صدق الشاعر وأجاد ولثقات خيانة في بعض الأوقات: هذه العين تريك
السراب^(٢) شرباً وهذه الاذن تستمعك الخطأ صواباً فاست بمحذوران وثقت
بمحذور وهذه حالة الواثق بعينه السامع بأذنه وأرى فلاناً يكثر غشيانك^(٣)
وهو الديني دخلته^(٤) الردي وجماعته السيئ وصلته الخبيث كلمته وقد
قاسمته في زرك^(٥) وجعلته موضع سرك فأرني موضع غلطك فيه حتى أريك
موضع تلافيه^(٦) أظواهره غرك أم باطنه سرك

يامولاي يورذك^(٧) نم لا يصدرك^(٨) ويوقعك نم لا يعذرک فاجتنبه
ولا تقربه وإن حضر بابك فاكئس جنابك^(٩) وان مس ثوبك فاغسل ثيابك

(١) المحبة (٢) ما تراه نفع النهار عند اشتداد الحر كالماء يلحق بالأرض وهو مثل في
الخداع والكاذب (٣) اتيانك (٤) بتثليت الدال نيته (٥) ثوام القاب (٦) تداركه
(٧) يوصلك الى مكان ورود الماء (٨) لا يبرجك (٩) القناء والتلحية

وان أصرق بجلدك فاسلخ إهابك ثم أفتح الصلاة بأمنه وإذا استندت بالله من الشيطان فأعنه ^(١)

« وكتب الاسكندر المقدوني الى استاذه الحكيم أرسطو »

(يستشير فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم)
 عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فإن الأفلاك الدائرة والعلل السماوية وإن كانت أسعدتنا بالأموال التي أصبح الناس لنا بها دائنين فأننا مضطرون الى حكمتك غير جاحدين لفضلك والاجتناء ^(٢) لرأيك لما بلونا من أجدا ^(٣) ذلك علينا وذقنا من جنى ^(٤) منفعته حتى صار ذلك وبنجوعه ^(٥) فينا وترسخه في أذهاننا كاللذاء ^(٦) لنا فما تنفك نؤول عليه ونستمد منه استمداد الجدول من البحار وقد كان مما سبق إلينا من النصر وبلغنا من التكاية في العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على الإيعان به وكان من ذلك أننا جاوزنا أرض سورية والجزيرة الى أرض بابل وفارس فلما نزلنا بأهلها لم يكن إلا ريشما ^(٧) تلقانا نفر منهم يرأس ملكهم هدية وطلبنا للحظوة عندنا فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة أروعائه وفاته ثم أمرنا بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوى الشرف منهم ، فرأينا رجالاً عظيمة أجسامهم وأحلامهم ^(٨) حاضرة ألبابهم وأذهابهم رائحة ^(٩) مناظرهم ومناطيقهم دليلاً على أن وراء ذلك مالم يكن معه سبيل الى غلبتهم لولا أن القضاء أدالنا ^(١٠) منهم وأظهرنا ^(١١) عليهم ولم نر بعيداً من الرأي

(١) اقصد (٢) الاختيار (٣) اعطاء (٤) ما يجني ويؤخذ من الثمر (٥) بتأثيره

(٦) بكسر اللين ما يتفديه (٧) مقدار ما (٨) جمع علم بكسر الحاء العقل ويضمها النام

(٩) رائحة (١٠) جعل لنا الكرة عليهم

في أمرهم أن نَسْتَأْصِلَ^(١) شَأْفَتَهُمْ^(٢) وَنَجْتَثَ^(٣) أَصْلَهُمْ وَنُلْحِقَهُمْ بِمَنْ مَضَى
من أسلافهم لِنَسْكُنَ القلوبُ بذلك إلى الأَمْنِ من جَرائِزِهِمْ^(٤) وبِوَأَثِهِمْ^(٥)
فَرَأَيْنَا أَنْ لَا نَعْمَلُ بِبَادِرَةِ^(٦) الرَأْيِ فِي قَتْلِهِمْ دُونَ الاسْتِظْهَارِ بِمَشُورَتِكَ فِيهِمْ ??
فَارْفَعْ الْيَنَارَ رَأْيَكَ فِي مَا اسْتَشَرْنَاكَ فِيهِ بَعْدَ صِحَّتِهِ عِنْدَكَ وَتَقَالِيكَ إِيَّاهُ
بِحَبْلِي أَنْظِرْكَ

والسلام على أهل السلام فليكن علينا وعليك

« وكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد سنة ٣٢٢ إلى الاسكندر المقدوني »

إِنْ لِكُلِّ تَرْبَةٍ وَلَا مَحَالَةٍ قِسْمًا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَإِنْ لِإِفَارِسٍ قِسْمًا مِنْ
النَّجْدَةِ وَالْقُوَّةِ وَإِنَّكَ إِنْ تَقْتُلَ أَشْرَافَهُمْ تُخْلَفَ الْوُضْعَاءُ مِنْهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ
وَتَوْرَثَ سَفَلَتُهُمْ^(٧) مَنَازِلَ عَلَيْهِمْ وَتَغْلِبَ أَدْنِيَاءُهُمْ هَلِي مَرَاتِبَ ذَوِي أخطَارِهِمْ
وَلَمْ تَبْتَلِ الْمُلُوكُ قَطُّ بِلَاءً هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَلْبَةِ السَّقَلَةِ وَذُلِّ الْوُجُوهِ
وَأَحْزَنُ الْحَزْرِ كُلِّهِ أَنْ تُمْكِنَ تِلْكَ الطَّبَقَةُ مِنَ الْغَلْبَةِ فَاتَّهُمْ إِنْ نَجِمَ مِنْهُمْ نَاجِمٌ
عَلَى جُنْدِكَ وَأَهْلٍ بِبِلَادِكَ دَهْمُهُمْ مَا لَا رَوِيَّةَ فِيهِ وَلَا مَنَفْعَةَ مَعَهُ فَانصَرَفَ عَنْ
هَذَا الرَأْيِ إِلَى غَيْرِهِ وَأَعْيِذْ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَحْرَارِ فَوَزَعْ بَيْنَهُمْ
مَمْلَكَتَهُمْ وَأَلْزِمَ أَسْمَ الْمَلِكِ كُلِّ مَنْ وَلِيَّتَهُ مِنْهُمْ نَاحِيَةً وَأَعْقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ
وَإِنْ صَفَرُ مَمْلَكَتِهِ فَانِ الْمُنْتَسَمِي بِالْمَلِكِ لَا زِمَ لَاسْمِهِ وَالْمَسْقُودَ لَهُ التَّاجُ لَا يَخْضَعُ
لِغَيْرِهِ وَلَا يَلْبِثُ ذَلِكَ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَ كُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَصَاحِبِهِ تَدَابُرًا وَتَغَالِبًا عَلَى
الْمُلُوكِ وَتَفَاخُرًا بِالْمَسَالِ وَالْجُنْدِ حَتَّى يَنْسُوا بِذَلِكَ أَضْفَانَهُمْ عَلَيْكَ وَتَعُودَ بِذَلِكَ

(١) تقطع (٢) هدأتهم (٣) تقتلع (٤) كناية عن شرورهم (٥) الدولهي (٦) ما يظهر
عند الغضب (٧) بفتح السين وكر الفاء السقاط من الناس وبعض العرب يخفف فينقل كسرة
الفاء إلى السين

حربهم لك حرباً بينهم ثم لا يزدادون بذلك بصيرة إلا أحدثوا هنالك استقامة لك فان دونت منهم كانوا لك وان تأيت عنهم تعززوا بك حتى يلب كل منهم على جاره باسمك وفي ذلك شاغل لم عنك وأمان لأحداً منهم بعدك (وان كان لا أمان للدهر) وقد أديت للملك ما رأيتُه حفظاً وعلى حقاً والمالك أبعده روية وأعلى عيناً في ما استعان بي عليه

والسلام الذي لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء فليكن على الملك

(ومن رسالة للإمام على المتوفى سنة ٤٠ هـ)

دع الإسراف مقتصدًا واذكر في اليوم غداً وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل^(١) ليوم حاجتك أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين أو قطع وأنت متمرغ في نعيم تنعمه الضعيف والأرملة أن يوجب^(٢) لك ثواب المتصدقين

وانما المرء مجزئ بما أسلف^(٣) وقادم على ما قدم : والبيان

« وكتب أيضاً كرم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما »

أما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوه فوت ما لم يكن ليذكره فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فات منها وما نلت من دنياك فلا تسكر فيه فرحاً وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعاً وليكن همك فيما بعد الموت

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال قدمه (٢) ان ومدخلها مجرور بحرف جر محذوف متعلق يتطعم (٣) قدمه في سالف أيامه

(وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ)
 لا حولَ ولا قوَّةَ الا باللهِ اشتبهَ المراقِبُ باللاه (١) واستبدلَ الخلوُ
 بالمرءِ وقدمَ الرقيقُ على الحرِّ وبيعَ الدرُّ بالخزفِ والخزُّ بالخشف (٢) وأظهرَ كلُّ
 لئيمٍ كبره إن في ذلكَ لعبرة: سمعاً سمعاً فالوشاة إن سمعوا لا يعقلوا ويحبون
 أن يحمَدوا بما لم يفعلوا فكيف تشترون منهم القار (٣) في صفة العنبر وقد
 بدت (٤) البغضاء من أفواههم وما تُخفى صدورهم أكبر وكيف تسمعُ الأُحباب
 لمن نهى منهم وزجرَ ولقد جاءهم من الأنبياء (٥) ما فيه مُزدَجَر (٦) عَجِبْتُ لَهُمْ
 وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يَرْكُضُونَ
 فقابلوهم بنبالِ الطرد في الأعناق حتى إذا اتَّخَنَتُموهم (٧) فشدُّوا الوِثاقَ (٨)
 أي دخلون بما لا ينفع في بيوت أذن الله أن ترفعَ سيعلمون مقام الهبوط والعروج (٩)
 يومَ يسمعون الصيحةَ بالحق ذلك يومُ الخروج ويقولون إذا لم يَجِدُوا ملاذاً
 ياولنا قد كننا في غفلةٍ من هذا فانهم عزموا على الإقامة مده ولو أرادوا الخروج
 لأعدوا لهم عدة (١٠) وأنت يا عزيز العالميا ووحيد الدنيا قد بينتُ لك فعلهم فبمأ (١١)
 راحة من الله أنت لهم ولكنهم طمعوا في غيم طَوْلِكَ (١٢) ولو كنتَ فقطاً (١٣)
 غليظَ القلب (١٤) لا نفَضُوا (١٥) من حولك أترامهم يعقلون كلامك أم يفهمون: لعمرك (١٦)
 إنهم لفي سكرتهم يعمهون (١٧) لهم قلوبٌ لا يدرُّون بها للحسد قرارا لو أطلعت

(١) باللامى (الذي يكون ملهاً) (٢) بفتح الحاء أو بضها الرديء من الصوف
 (٣) الوقت (٤) ظهرت (٥) الأخبار (٦) النهي بشدة (٧) أكثرتم القتل فيهم (٨) ما يربط به
 (٩) الطلوع (١٠) ما أعدّه الإنسان لحوادث الضر من المال والسلاح (١١) فبرجة وما
 لتوكيد وبالذلالة على أن لينة ما كان إلا برجة من الله (١٢) احسانك (١٣) شيء الخلق
 (١٤) قاسيه (١٥) لتفرقوا (١٦) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره تسمى
 (١٧) يتعجبون

عليهم لو كُتِبَ منهم فراراً وإنى قد شيدت^(١) لك بقلي حصناً^(٢) صعباً^(٣) فما استطاعوا أن يظهر^(٤)وه^(٥) وما استطاعوا له نقباً^(٦) نسيت بالعاذل^(٧) جميل الصوت^(٨) وأنكره ما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره^(٩) رَمِيتُ أَيُّهَا الْعَاذِلُ بسيف الغدر في نحرِكَ أَجِثْنَا لِمَخْرَجِنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ عَنِ السَّحَرِ وَفَعَلَهُ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ كَيْفَ يَسْعَى الْعَاذِلُ بَيْنَ النَّدِيمِ وَإِلَيْهِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلَفَهُ فَيَأْسِدُنِي دَعْوَانِي مِنَ الْمُعْجِبِ وَالْمُطْرِبِ أَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثَبَاتِكُمْ لِمُتَدَالِّ مَسْئُولَا وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا فَانْهَمُوا أَنْ قَالُوا كَذَبَ النَّدِيمِ أَوْ بَطَرِ سِيَعِهِمْ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشِيرِ^(١٠) وَهَذَا قَدْ صَارَ أَمْرُ الْحَزِينِ عِنْدَكَ جَلِيًّا أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا^(١١) أَتَنْظُرُ عَهْدَ الْعَاذِلِ عِنْدَ غَضَبِكَ لَا يُنْكثُ^(١٢) مِثْلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ نَحِمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ عَلَى أَنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ كَبِيرٌ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ أَيْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ فَإِنَّهُ جَمَعَ لِقِتَالِكَ الْأَوْلَادَ وَالْأَحْفَادَ^(١٣) وَآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ^(١٤) فِي الْأَصْفَادِ^(١٥) تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاشْتَغَلُوا بِمَا يَرْضُونَهُ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ: وَظَنَى أَنْ وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي أَنَّهُمْ يُطْرَدُونَ وَيُرْدَعُونَ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَيُعْجَبُكَ إِذَا مَشَى هَذَا إِلَهِ ثَانِي عَطْفُهُ^(١٦) لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ^(١٧) اللَّهِ وَإِنَّكَ وَإِنْ فَرِحْتَ بَعْلَمَ مَا يَجْهَلُونَ قَدْ نَعَلِمَ

(١) ذينت (٢) موضعاً حصيناً (٣) لا يقدر أحد أن يسخره والمراد المبالغة في تحصين المحنة (٤) لا يقدر أن يعملوا ظهره لارتفاعه وعلو منته (٥) خرقاً لصلابته وسمكه (٦) اللاتم (٧) الذكر الجليل ولا يستعمل الصوت بهذا المعنى إلا في الجليل (٨) أنساني ذكره (٩) المتكبر (١٠) مجلس القوم (١١) لا ينقض (١٢) أولاد الأبناء (١٣) مشدودين (١٤) القيود (١٥) لاوى عنقه تكبراً (١٦) عن دن الله

إنه ليحزنك الذي يقولون: فإن قلت إن اجتماعي بهم لأجل الصدقة أو شيء من هذا القليل إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين^(١) عليها والمؤلفة قلوبهم^(٢) وفي الرقاب^(٣) والغارمين^(٤) وفي سبيل الله^(٥) وابن السبيل^(٦) على أنه لا تحل الصدقة لذميم^(٧) همار^(٨) مشاء بنميم^(٩) وطبائعهم كما تعلم مُشْكِرَةٌ مُسْتَقْدَرَةٌ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ^(١٠) مُسْتَنْفَرَةٌ^(١١) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ^(١٢) وقد قال (وفائي) خاطبُ عزيزك هذه المرة وإن لم يعمل فيك فكرا وما يذريك لعله يزكي^(١٣) أو يذكركُ فتنبه الذي كرى فقال (لساني) إن الودَّ هو الرسول المأمون فأرسله معي ردِّها^(١٤) يصدقتني إني أخافُ أن يكذبون فقلتُ سيرُوا مع المحبة ذات الفتوة^(١٥) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة وقولوا له عند الغاية قد جئتكم بآية ولا تهابوا الجيش وإن كبر سيئهم الجمع ويولئون الدبر^(١٦) ولا تظنوا من ظاهر الأمر حلول البلوى إذ أنتم بالعدوة^(١٧) الدنيا^(١٨) وهم بالعدوة القصوى^(١٩) بل قاتلوهم قتال المستشهدين وانجدوا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين وإذا اشتبك القتال فليدب كل منكم على مولاه^(٢٠) وإن جصعوا^(٢١) للسلم^(٢٢) فاجنح لها وتوكل على الله ... فسيرُوا ودعُوا الأولاد والجنة^(٢٣) وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

(١) السادة الذين يقبضون الصدقات بأمر الحاكم (٢) أشرف من العرب كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفهم للإسلام (٣) المكاتبون من المييد (٤) من تحملوا الدين (٥) الفقراء في الجهاد (٦) المسافر المنقطع عن ماله (٧) القبيح والمراد قبيح القتال ذميم الحال (٨) حباب يصيب الناس (٩) ساع بالجمجمة والفساد (١٠) جمع حمار (١١) نائرة (١٢) الأسد (١٣) يتطهر من القنوب (١٤) معينا (١٥) الكرم (١٦) الظهر (١٧) يضم العين وكسر هاء جانب الوادي (١٨) القرن (١٩) البعدي (٢٠) صاحبه (٢١) مالوا (٢٢) الصلح (٢٣) المراد بها هنا للنساء وصلها لا تقطي بها المرأة وجهها

ولا تسألوا عن الميرة ^(١) من أصله وإن خِفْتُمْ عَيْلَةً ^(٢) فسوف يُفْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنَارَكُمْ ^(٣) لِقِتَالِ الْعُذَّالِ الْعَائِينَ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ ^(٤) فَيَقْبَلُوا خَاصِيَيْنَ وَاحِمًا وَعَالِيَهُمْ فَانْهَمُوا عَنْ طُعْنِهِمْ فِي جَنُوبِهِمْ رَضُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ^(٥) وَطَبَعَ ^(٦) اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَا تُدْبرُوا إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قُدَّامَكُمْ ^(٧) إِنْ تَنَصَّرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَإِنْ أَخَذْتُمْ أُسْرَى فِقَاتِلُوا أَنْصَارَهَا فَإِذَا مَنَّا ^(٨) بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ ^(٩) أَوْزَارَهَا ^(١٠) فَإِنْ أَطْعَمْتُمْ رُفَعْتُمْ وَأَصْلَحَ اللَّهُ بِالْكَمِّ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ وَسَأْتِلُوا فِي خُطْبَتِكُمْ عِنْدَ قُدُومِكُمْ سَالِمِينَ فَقُطِعَ دَابِرُ ^(١١) الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

« وكتب أستاذي الأمام الحكيم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ عَرْضَ لِي مَا مَنَعَنِي مِنْ قِرَاءَةِ الْجَرَائِدِ نَحْوَ أُسْبُوعٍ وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِيهِ بِمَحَادَثَةِ (مَيْتِ غَمْرٍ) مِنْ بَعْضِ الْأَقْوَامِ أَظَنُّهَا مِنَ الْحَوَادِثِ الْمُعْتَادَةِ وَقَوَّعَهَا حَتَّى تَمَكَّنْتُ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْجَرَائِدِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الْمَاضِي فَاذَا لَهَبُ ذَلِكَ الْحَرِيقِ بِأَكْلِ قَلْبِي أَكَلَهُ الْجَسُومَ أَوْلَتْكَ الْمَسَاكِينُ سَكَانَ (مَيْتِ غَمْرٍ) وَيَصْهَرُ ^(١٢) مِنْ فُؤَادِي مَا يَصْهَرُهُ مِنَ لَحْمِهِمْ حَتَّى أَرَقْتُ ^(١٣) تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَلَمْ تَغِيضْ عَيْنَايَ إِلَّا قَلِيلًا وَكَيْفَ يَنَامُ مَنْ يَبِيتُ يَتَقَلَّبُ فِي نَعْمِ اللَّهِ وَلَهُ هَذَا الْعَدَدُ الْجَمُّ مِنْ إِخْوَةٍ وَأَخَوَاتٍ يَتَقَلَّبُونَ فِي شِدَّةِ الْبَأْسَاءِ ^(١٤) فَأَرَدْتُ أَنْ أَبَادِرَ بِمَا أَسْتَطِيعُ مِنَ الْمَعُونَةِ

(١) جلب الطعام (٢) فقرا (٣) نشركم (٤) يهزمهم وينلهم (٥) النساء (٦) كناية عن
أصنام بصائرهم (٧) سابقكم (٨) تمنون عليهم بأطلاقتهم من غير شيء (٩) أهل الحرب
(١٠) أمتاها من سلاح وغيره (١١) اهلكوا عن آخرهم (١٢) يذيب (١٣) سهرت
(١٤) الضرر والفقر

وما أستطيعه قليل لا يغني من الحاجة ولا يكشفُ البلاء ثم رأيتُ أن أدعُو
 جمعا من أعيان العاصمة ليشاركوني في أفضل أعمال البرِّ في أقرب وقت وكان
 ذلك يوم السبت فحضر منهم سابقون وتأخر آخرون وكتب بعضهم يعتذرون
 فشكر الله سمي من حضر وجزى خيرا من اعتذر وغفر لمن تأخر.. على أنه
 ليس الحادثُ بذى الخطب اليسير فالصابون خمسة آلاف ويضع^(١) مئتين
 منهم الأطفال الذين فقدوا عائلتهم^(٢) والتجار والصناع الذين هلكت
 آلاتهم ورؤوس أموالهم ويتعذر عليهم أن يتدنوا الحياة مرة أخرى إلا
 بمعونته من إخوانهم والآن أصبحوا متلصصين أو سائلين والذين فقدوا بيوتهم ولا
 يجدون ما يأوون إليه ولا مال لهم يُقيمون ما يؤويهم من مثل بيوتهم المتخرَّبة
 لهذا رأيتُ ورأى كلُّ من تفكَّر في الأمر أن يُجمَع مبلغٌ وافرٌ يتمكن به من
 تخفيف المصاب عن جميع أولئك المنكوبين

« وكتب أيضاً في الغرض المذكور »

قد بلغكم ولا ريبَ من أخبار الجرائد ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعد
 الحريق الذي أصاب مدينتهم فهم بلا قوتٍ ولا ساترٍ ولا مأوى فليتصور
 أحدُكم أن الأمرَ نزلَ بساحته أفما كان يتمني أن يكونَ جميعُ الناسِ في
 معونته فليطالب الآن كلُّ منَّا نفسه بما كان يطالبُ به الناسُ لو نزلَ به
 مانزلُ بهم وليخفق مما له ما يدفعُ اللهُ به عنه مكروهَ الدهر... فأرجو من همتم
 أن تدفعوا شيئا من مالكم في مساعدة إخوانكم وأن تبدلوا ما في وسعكم لبحث
 من عندكم على مشاركتكم في هذا العمل: والسلام

(١) بكسر الباء أو بفتحها مابين الثلاث آل السح (٢) من يتفقون عليهم

﴿ الفصل الخامس في رسائل الملامة والعتاب ﴾

« كتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ »

لَيْتَ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّني أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ^(١)
الْأَمِيرُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ فِي حَالِي بَرَّهُ وَجَفَّاهُ مُتَفَضِّلٌ فِي يَوْمِي إِدْنَاهُ
وإِنْعَادُهُ مُتَطَوِّلٌ وَهَنِيئًا لَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا يَحْمِلُهُ^(٢) وَمِنْ عُرَاتِنَا مَا يَحْمِلُهُ^(٣) وَمِنْ
أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ : بَلَفَنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ اسْتِزَادَ^(٤) صَنِيعِهِ^(٥) فَكَنْتُ
أُظَنِّي مَجْنِيًا^(٦) عَلَيْهِ مُسَاءٌ إِلَيْهِ قَادَا أَنَا فِي قَرَارَةِ الذَّنْبِ وَمَشَارَةِ^(٧) الْعُتْبِ وَلَيْتَ
شَعْرِي^(٨) أَيْ مُحْظُورٍ^(٩) فِي الْعَشْرَةِ حَضَرْتَهُ أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِصْمَةِ
رَفَضْتَهُ^(١٠) أَوْ وَاجِبٍ فِي الزِّيَارَةِ أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ الْأَضْيَقُ أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ^(١١)
شَايِعٌ^(١٢) وَأَدَّاهُ أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحْدَاهُ^(١٣) فَضْلٌ وَإِنْ قُلْتُ وَهْدَاهُ رَأَيْتُ وَإِنْ ضَلَّيْتُ
لَمْ يُلْقِ الْأَيُّ فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ^(١٤) وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ جِلْدُهُ وَلَمْ يَنْظُمِ إِلَّا فِيهِمْ
شِعْرُهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ : ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صُحْبَةُ الْأَدْنَى مَهَانَةٌ وَلَا زَادَتْ
حُرْمَةُ الْأَقْصَى صِيَانَةً وَلَا تَضَاعَفَتْ مَنَّةُ الْإِتْرَاجَةِ مَنْزِلَةٌ وَلَمْ تَزَلِ الصِّفَةُ
بِنَا حَتَّى صَارَ وَابِلٌ^(١٥) الْأَعْظَامِ قَطْرَةٌ وَعَادَ قَيْصُ الْقِيَامِ صُدْرُهُ^(١٦) وَدَخَلْتُ
مَجْلِسَهُ وَحَوَّلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَتِيبَةً^(١٧) فَصَارَ ذَلِكَ التَّقْرِيبُ أَرْزُورَارًا^(١٨) وَذَلِكَ

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر المشهور بابن الدمينه من قصيدة والخطاب
لمؤت (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه واحسانه (٦) المؤاخذه بمجانيته (٧)
مكان الثوران (٨) ليتني اشعر واخبر بالحقيقة والواقع (٩) ممنوع (١٠) أبطلته (١١) مصدر
حيي بمعنى البعد (١٢) البعيد (١٣) ساقه ودفقه (١٤) ما يأخذه المسافر من لاثات وحوائح
السفر (١٥) المراد به الكثير من الانعام وأصله المطر الكثير (١٦) ثوب يلبس فيغطي الصدر
(١٧) جماعة (١٨) انحرافاً

السَّلام اختصاراً والاهتزاز إيماءً والعبارة إشارةً وحين عاتبته أَمَلُ إعتابه ^(١) وكتبته أنتظر جوابه وسألته أرجو إيجابه أجاب بالسكوت فما ازددت له إلاً ولأه عليه ثناءً ولا جرم ^(٢) إني اليوم أبيض وجه العهد واضح حُجَّةُ الوِدِّ طويلُ لسان القول رفيعُ حكم العذر وقد حملتُ فلاناً من الرسالة ما تنجاني القلمُ عنه والأُميرُ الرئيس أطال الله بقاءه يُنعمُ بالأصفاء لما يُورده موقفاً ان شاء الله عز وجل

« وكتب أيضاً الى القاسم الكرجي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ »

أنا أطال الله بقاء سيدي ومولاي وان لم ألقَ تطاولُ الاخوان الأُ بالتطوُّل وتحمُّلُ الأحرار الا بالتحمُّلُ أحاسبُ مولاي أيده الله على أخلاقه ضناً ^(٣) بما عَقَدْتُ يدي عليه من الظنِّ به والتقدير في مذهبه : ولولا ذلك لقلت في الأرض مجالاً ان ضاقت ظلالُك ^(٤) وفي الناس واصلٌ ان رثتُ ^(٥) حبالُك وأأخذهُ بأفعاله : فان أعارني أذنًا واعيةً ونفساً مُراعيةً وقلباً متعظاً ورُجوعاً عن ذهابه ونزوعاً ^(٦) عن هذا الباب الذي يقرعه ^(٧) ونزولاً عن الصعود الذي يفرعه ^(٨) فرشتُ لمودته خوَّان ^(٩) صدرى وعقدتُ عليه جوامعَ خصرى ومجامعَ عُمرى ^(١٠) وان ركب من التعالى غير مركبه ^(١١) وذهب من التعالى في غير مذهبه ^(١٢) أقطعتُه خُطَّةً ^(١٣) وأخلاقه ووليته جانب إعراضه

(١) ازالة عتبه وملاته (٢) كلمة كانت في الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة لمرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا (٣) بكسر الضاء وفتحها حرصاً (٤) اما الظل (٥) بليت وذابت (٦) اشتهاء وتركها (٧) يده يده لفتح له (٨) يصده ويصلوه (٩) بضم الخاء أو يكسرهما ملئ كل هذه الظلم ومراده تمكين مودته من صدره (١٠) مراده التمسك بمودته من خيالاته (١١) مراده ان تمكيد (١٢) طريقته (١٣) الطريقة مراده انه يتركه وان أخذ في غير طريق طباعه

ولا أذود^(١) الطير عن شجر قد بلوت المر من نمره
فاني وان كنت في مقبل السن والعمر قد جلبت شطري الدهر^(٢)
وركبت ظهري البر والبحر^(٣) ولقيت وفدى^(٤) الخير والشر وصاغت
يدى النعم والضر وضربت إبطي العسر واليسر وبلوت طعنى الحلو والمر
ورضعت ضرعى العرف والنكر^(٥) فأتكاد الأيام ترينى من أفعالها غريباً
وتسمعنى من أحوالها عجيباً ولقيت الأفراد وطرحت الآحاد^(٦) فما رأيت
أحداً إلا ملأت حافى^(٧) سمعه وبصره وشغلت حيزى^(٨) فكره ونظره
وأثقلت كنفه في الحزن وكفته في الوزن وودّ لو بادر القرن^(٩) صيفى^(١٠)
أو لقي صفيحى^(١١) فالى صغرت هذا الصغر في عينه وما الذى أزرى^(١٢) بي
عنده حتى احتجب وقد قصده ولزم أرضه وقد حضرته
أنا أحاشيه^(١٣) أن يجهل قدر الفضل أو يحدد فضل العلم أو يمتطى^(١٤) ظهر
التيه^(١٥) على أهليه وأسأله أن يختصنى من بينهم بفضل إعظام إن زلت بي مرة
قدم فى قصده وكأنى به وقد غضب لهذه المخاطبة المجهقة^(١٦) والرثبة المستحيقة^(١٧)
وهو فى جنب جفائه يسير فان أقلع^(١٨) عن عادته ونزع عن شيمته^(١٩) فى
الجفاء فأطال الله بقاء الأستاذ الفاضل وأدام عزه وتأيدته

(١) لأطرد (٢) مراده مر به من خبره وشره وجرب قمه وضره (٣) مراده انه جرب
الامور في البر والبحر (٤) الوفد الجماعة التي ترد على الامير أو غيره ومراده انه عرف الخبر والشر
(٥) المعروف والنكر ضده (٦) هذا والذي قبله كله بمعنى انه جرب الايام واختبرها من أوله
نشأته (٧) جاني (٨) ناحيتي (٩) المقارن الكنف عند ملاقة الابطال (١٠) كتابي
(١١) وجي مناه بمعنى لقا في (١٢) حط من قدرى وشأني (١٣) ازهه (١٤) يركب
(١٥) الكبر والعجب (١٦) من الاجعاف وهو الذهاب بالشئ (١٧) من التحييف وهو الظلم
والجور (١٨) رحمه (١٩) خلقه

« وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ »
والله يا قليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة^(١) وروحي مجروحة
لساجلتك^(٢) هذه القطيعة وما ددتك جبل المصارمة^(٣) وأرجو أن الله تعالى
يدبل^(٤) صبري من جفائك فيردك إلى مودتي وأنف القلي^(٥) راغم فقد طال
العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء والسلام

« وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ »

كتابي وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء^(٦) وبروز
البدر من الظلماء وقد فارقتني المحنة^(٧) وهي مفارق لا يشاق إليه وودعتني وهي
مودع لا يبكي عليه والحمد لله تعالى على محنة يجليها ونعمة ينيلها ويوليها
كنت أنوقع أمس كتاب مولاى بالتسلي واليوم بالتهنية فلم يكتبني في أيام
البرحاء^(٨) بأنها غمته ولا في أيام الرخاء بأنها سرته وقد اعتذرت عنه إلى نفسي
وجادلت عنه قلبي فقلت أما إخلاله بالأولي فلا نه شغل الاهتمام بها عن
الكلام فيها وأما تغافله عن الأخرى فلا نه أحب أن يوفّر على مرتبة السابق
إلى الابتداء ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء لتكون نعم الله سبحانه على
موفورة من كل جهة ومحفوفة بي من كل رتبة فإن كنت أحسن الاعتذار
عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب إلي بالاستحسان وإن كنت
أسأت فليخبرني بعذره فإنه أعرف مني بسرّه وأبرّض مني بأنّي حاربت عنه

(١) مجروحة (٢) معناه قطابتك (٣) المقاطعة (٤) الثلبة والنصر (٥) صاحب البفض
(٦) صقله بآلة ما عليه حتى يري له لسان (٧) البلية (٨) شدة الازدي

قَلْبِي واعتذرتُ عن ذنبه حتى كأنَّه ذنبي وقلتُ يانفسُ اعْذِرِي أخاك وخُذِي منه ما أعطاك فمع اليوم والعودُ أحمدُ

« وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ »

أما بعدُ فقد عاقبني الشكُّ في أمرِك عن عزيمة الرأى فيك وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خِبرة ثم أعقبته جفاءً من غير ذَنْب فأطمعني أولُك في إخالِكَ وأيأسني آخرُك من وفائِكَ فسُبُحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأى في أمرِك عن عزيمة الشكِّ فيكَ فاجتمعنا على ائتلاف واقترقنا على اختلاف والسلام:

« وكتب صديق الأوفى زعيم الوطنية الشيخ عبد العزيز جالوش »

سيدى — مالى أراك كمن نسيَ الخليط ^(١) وتجرد في الصَّحْبَةِ عن المحيط والمَخِيط فاذا ما صادفتُك ^(٢) صدقتَ ^(٣) أو أنصفتُك ما نصفت ^(٤) أَتَظُن أنى قَعِيدَةُ بيتك ^(٥) أو رهين كَيْتِكَ وذَيْتِكَ ^(٦) فوحقك اذا آنستُ ^(٧) من يدى مللاً أو من قدسى كلاً ^(٨) لنَجِزَها ^(٩) البتات ^(١٠) وكَلَّتْ بنقصها الذات ولو أنى آنستُ من الزاد فترة ^(١١) أو من الشراب عشرة أظُعمت الطوى ^(١٢) وأسقيتُ الجوى ^(١٣) فكيف أداعبُ ^(١٤) وتُصاعبُ وأُحالف وتُخالفُ وأواصلُ وتُفاصلُ وأُجالِبُ وتُجانبُ لبُئستُ مطيتك التى اقتدَعْتَ ^(١٥) وشِرعْتَكَ ^(١٦) التى شرَعْتَ ^(١٧) فوالله لولا أن الحبَّ حادثٌ لا يتقى بالتُّرُوس ومعنى لا يدبُّ إلا في النفوس وسهامٌ لا تُرمى الا من قَمِيٍّ

(١) صاحب (٢) وجدتك (٣) أعرضت (٤) كلاماً بمعنى ساعدتك وأعتك (٥) المرأة التي في البيت (٦) كلاماً بمعنى كذا وكذا والمراد أنى لست رهين قولك أفضل كذا وكذا (٧) عمك (٨) أعياء وضغفاء (٩) قضيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضغفاء وثقة (١٢) الجوع (١٣) الحرة (١٤) أمازح (١٥) دفت (١٦) مكان الماء (١٧) دخات

الحواجب ونحو أوله المعية وآخره الجوازم لما اقترست الظباء الصيّد الأسود^(١)
ولا ملكتي الأحرار العبيد ولولا أنني كَرَعْتُ^(٢) من صابه^(٣) والتَّحَفْتُ^(٤)
ببردة أوصابه^(٥) لتعوذتُ منك بِسُورَةِ الْفَلَقِ - وَبِذَلِكَ^(٦) نَبَذَ الرِّدَاءَ
الْخَلْقُ^(٧) ولهان على أن أدعك أو أسمعك

تَمْرُونَ الدِّيَارَ وَلَنْ تَعُوجُوا^(٨) كَلَامَكُمْ عَلَى إِذَا حَرَامٌ
غَيْرَ أَنْ لِي نَفْسًا شَبَّتْ عَلَى الْحَبِّ فَلَمْ أَفْطِمْهَا وَتَقَادَعْتُ^(٩) عَلَى نَارِهِ فَلَمْ
أَعْصِمَهَا حَتَّى يَلْغِ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ^(١٠) وَتَبَدَّدَتْ^(١١) النَّفْسُ أَيْدِي سَبَا^(١٢) الْإِ
حْشَاشَةِ غَفَلَ عَنْهَا الْوَجْدُ وَبَقِيَّةُ رَمَقِ الْفَيْتِهَا^(١٣) مِنْ بَعْدِ وَكَلَّمَا رَأَيْتُ مِنْكَ
الشَّطَطَ^(١٤) وَاعْتِسَافَ^(١٥) الْخَطَطِ^(١٦) عَمَدْتُ إِلَى أَنْ أَتَى^(١٧) مِنْ رَسْنَهَا^(١٨)
وَأَذُودَ^(١٩) عَنْ عَطْنِهَا^(٢٠) وَشَخَصْتُ إِلَى الْمَكَافِخَةِ وَالْمَكْفَاةِ وَأَنْ لَا أَكِيلَكَ
إِلَّا مَثَلًا وَلَا أَسْقِيكَ إِلَّا وَشَلًا^(٢١) وَلَا أَزِيدُكَ إِلَّا فَشَلًا

ولست أجزيك الجزاء الذي على وفاء الصُّنْعِ لَا يَخْصُهُ
وَلَيْسَ يَكْفِي صَاحِبًا مَنْ إِذَا أَهْمَنَ لَا يَكْفِي عَلَى نَفْسِهِ
عَلَى أَنِّي بِالرَّغْمِ أَصْبِحُ فِي نَهَارٍ أَحْلَكَ^(٢٢) مِنْ لَيْلٍ وَأَمْسِي فِي لَيْلٍ أَشَقَّ عَلَى
النَّفْسِ مِنْ وَيْلٍ

(١) دفنت (٢) بكسر الراء وفتحها شربت بغمي (٣) مائه المر وأصله عمارة شجر مر
(٤) أمراضه (٥) وميتك (٦) القديم الليالي (٧) لن تقيموا (٨) تسابقت (٩) مثل يضرب
لما جاوز الحد (١٠) ذهبت وهو مثل يقال تبددوا أيدي سبأ وأيدي سبأ معناه ذهبوا متفرقين
(١١) هم الذين ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله في القرآن قال لقد كان لسبأ في آخر
الآيات (١٢) وجدها (١٣) تجاوز الحد (١٤) المالى عن الطريق للألوف (١٥) لأمور
(١٦) أرد (١٧) زمامها (١٨) أمتنع (١٩) مكانها (٢٠) الماء القليل في هذا الموضع والماء
الكثير في غيره (٢١) أشد سواد

وليل كموح البحر أرخى سدوله^(١) على بأنواع الهوم ليبتلى^(٢)
 فان تخلصت من لثائك فإلى الشقاء وإذا لجأت من عسفك فإلى العناء وإذا
 استجرت بفراقك فقد استجرت بالنار من الرمضاء^(٣) وكأذك لم تدبر أن
 دولة الحسن سريعة التقويض^(٤) وأنه لا بُد من هبوط القمر الى الحضيض
 ولسوف تبلى بمرض^(٥) يبد^(٦) أنه غير مطر وبساعة مقبلتك فيها مذبر
 وستصبح عما قريب قد عفت^(٧) رسومك^(٨) ولم تجد في سوق الصعبة من
 يسومك والعاقل من لا يختال بنفسه ولا يبنى على غير أس^(٩) فانك
 ما نضت^(١٠) لؤلؤة ميسمك ولا نضرت^(١١) صورة معصمك^(١٢) ولا
 شئت مخالفت كما تشاء ولا آخذت عند الله عهداً وهذا الوفاء ولكن مثلك
 من أفرغه الله في القالب الذي آختر وجعله مرقع النفوس ومسرح الأبصار
 واتي أيها العزيز قد تقدمت إليك

ولى أمل قطعت به الليالى أراى قد قنيت به وداماً

فلا تحرمنى من سائق العفو وسائفه ولا تجعلنى كباسط كفيه الى الماء ليبلغ
 فاه وما هو بباله

فأشد ما أقيت من ألم الجوى^(١٣) قرب الحبيب وما اليه ووصول
 كالعيس^(١٤) في البيداء يقتلها الظما^(١٥) والماء فوق ظهورها محمول
 فاعمل في يومك لعديك واستعجز غيرك ببسط يدك ولا تأخذني بحرم الجاني

(١) استار (٢) ليختبرني (٣) الارض الحارة (٤) التفرق (٥) السحاب الذى يمتزج في
 الافق (٦) غير أنه (٧) درست وذهبت (٨) أثارك (٩) أسسه (١٠) ما ظهرت (١١) لا
 حلت (١٢) موضع السوار من اليد (١٣) الحزن (١٤) ابل البيض يخالط بيضها شقرة
 ظلمة شقية (١٥) العطش

الْمُلْبَسُ وَلَا تَبْتَغِ مَنَى صَحِيفَةِ الْمُتَلَتِّسِ ^(١) يَدِ آتَى أَنْشَدُكَ الَّذِي بَلَى الْعَاشِقَ
بِالْمَعشُوقِ وَكَلَفَهُ فِي الْحَبِّ بَيْضَ الْأُنُوقِ ^(٢) وَسَهَّدَ ^(٣) طَرْفَهُ بِنَوَائِيسِ الْعُيُونِ
وَنَحْوَلِ ^(٤) لِلْحُسْنِ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا قَرَنَ الْهُوَى
بِالنَّوَى ^(٥) وَالْقَلْبَ بِالْجُويِ ^(٦) وَقَفَّى عَلَى الْمَحَبِّ وَنَشَرَ الْعَشْقَ فَلَمْ يَحْتَجِبْ
مَا الَّذِي أَغْرَى بِكَ إِلَى الْاِعْتِيسَافِ وَعَدَمِ الْأَنْصَافِ أَلَيْسَ الْأَعْطَافُ أَمْ
فُتُورُ ^(٧) الْأَجْفَانِ أَمْ تَكْثُرُ الْكَلَامُ أَمْ هَيْفُ الْقَوَامِ ؟

لَقَدْ شَدَدْتَ أَزْرَكَ ^(٨) وَاللَّهِ بِضِعَافٍ وَاسْتَسَمَنْتَ تِلْكَ الْعِجَافَ وَهَلْ
حَدَا ^(٩) إِلَى قَطِيعَتِي بِكَ آتَى خَشَنَ الْمَلَسِ رَثُّ الْمُلْبَسِ وَلَمْ أُمْنَحْ ^(١٠) كَمَا مُنِحْتَ
نَضْرَةَ ^(١١) وَلَمْ أَلْبَسْ مُرْتَقِعَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ نَظَرْتَنِي بِعَيْنِ الرِّضَا
وَرَحِمْتَ فَوَادًا يَتَقَلَّبُ مِنْكَ عَلَى بَحْرِ الْغَضَا ^(١٢) فَسَتَجِدُنِي صَدِيقَكَ الَّذِي لَا يُبْطِرُهُ
الْوَقَاءُ وَلَا يَنْشِيهِ الْجَفَاءُ أَمْلَأُكَ لَكَ مِنْ لِسَانٍ وَأَطْوَعُ لَأَمْرِكَ مِنْ بَنَانٍ : أَكْتُبُ
فَإِنْ لَعَبْدَ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ قَلَمِي وَأَشْعُرُ فَإِنْ الشَّعْرَاءُ إِلَّا تَحْتَ عَلَيٍّ وَأَبْذُلُ
فَإِنْ حَارِثٍ ^(١٣) مِنْ كَرَمِي وَأَحْلُمُ فَإِنْ أَحْتَفُ ^(١٤) مِنْ حُلِيِّ

وَحَسْبُكَ فَخْرًا أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَغَبٍ مِنْ لَيْسَ يَأْمَلُ فِي الشُّكْرِ
وَمَنْ يَحْتَمِلُ فِي الْحُبِّ مَا فَوْقَ كَاهِلِي ^(١٥) فَحَسْبُكَ حَلَمًا أَنْ يُقِيمَ عَلَى الْهَجَرِ
فَإِنْ أَصَحَّتْ ^(١٦) إِلَى الدَّاعِيَةِ ^(١٧) وَوَعَيْتَ كَلِمَاتٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاقِيَةً ^(١٨)

(١) الطالب مرة بعد أخرى (٢) الأنوق العتاب ولفظ المثل (هـ) اعز من بسى الأنوق
مثل يضرب له حال أو لا لا سبيل إليه (٣) أسهره (٤) ملكه (٥) البعد (٦) الحرة (٧)
ذبولها (٨) طهره (٩) ساقى إلي (١٠) أعطى (١١) حسناً (١٢) شجرة خشبة فيه صلابه
(١٣) أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وبه يفرب المثل في الكم من شعراء الجاهلية
(١٤) تقدم تاريخه (١٥) ما بين الكنفين (١٦) استنعت (١٧) مراده الواسي العاذل (١٨)
الفتور من الكلام

قال لك الجزاء وعلى الوفاء والآن فالفرار الى الموت أمرٌ يسير والقبرُ للمشاق
قليلٌ من كثير

« وكتب المرحوم حقى بك ناصف الى سباحة السيد توفيق البكرى »
كتابى الى السيد السند ولا أجسمه^(١) الجواب عنه فذلك ما لا أنتظره
منه وانما أسأله أن ينشط الى قراءته ويتنزل الى مطالعته وله الرأى بعد ذلك أن
يحاسب نفسه أو يزكياها ويحكم عليها أو لها

فقد تنفع الذى ذكرى اذا كان هجرهمو دلالا فأما إن مالا فلا نفعا
زرت السيد ويعلم الله أن شوقى الى إيمانه كحرصى على بقاءه وكلنى بشهوده
كشغفى بوجوده فقد بعد والله عهد هذا التلاق وطال أمد الفراق وتصرم الزمان
وأنا من رؤيته فى حرمان فسألت عنه فقبل لى إنه خرج لتشييع^(٢) زائر وهو عما
قليل حاضر فانتظرت رجوعه وترقبت طلوعه ولم أزل أعد اللحظات وأستطيل
الأوقات حتى بزغت الأنوار وارتجى صحن الدار وظهر الاستبشار على وجوه
الزوار وجاء السيد فى مركبه وجلالة محبته^(٣) ومنصبه فقمنا لاستقباله
وهينمنا^(٤) بكاله فرى يعرف وجوه القوم حتى حازانى وكبر على عينه أن يرانى
فغادرنى^(٥) ومن على يسارى وأخذ فى السلام على جارى وجرى السلام الكلام
وتكرر القعود والقيام وأنا فى هذه الحال اومهم جارى أتى فى دارى وأظهر للناس
أن شدة الألفة تسقط الكلفة ومَر السيد بعد ذلك من أمامى ثلاث مرات
ومن الغريب أنه لم يستدرك مافات

تمرّون الديار ولن تعوجوا كلا مكمو على إذن حرام

(١) لا اكلفه (٢) لتوديع (٣) اصله من جهة النسب (٤) تكلمنا بصوت خفى (٥) تركنى

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ وَأَنْ عَهْدِي لَدَيْهِ لَا يُخْفَرُ ^(١)
خَافَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعَبْرِ ^(٢) وَلَا فِي النَّفِيرِ ^(٣) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ وَذَهَابُ
صَاحِبِهِ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ

وَمَنْ مَدَّتِ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٌ لَدَيْهِ صَغِيرٌ
وَلَا أَدْعِي أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ صَانَهُ اللَّهُ فِي عُلُوِّ حِسْبِهِ أَوْ أَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ
أَوْ أَقَارِبِهِ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتْبَتِهِ أَوْ أَكْثَرِهِ فِي فَضْلَتِهِ وَذَهَبِي وَإِنَّمَا أَقُولُ يَنْبَغِي لِلْسَّيِّدِ
أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَارِ وَشُهُودِ الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ
الْإِفْطَارِ وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ
يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخِلَاصِ وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ وَأَنْ لَا يَشْتَبِهَ
عَلَيْهِ طُلَّابُ الْفَوَائِدِ بِطُلَّابِ الْعَوَائِدِ وَقُنَّاصُ ^(٤) الشَّوَارِدِ ^(٥) بِتَقْبَاءِ الْمَوَالِدِ
وَرُؤَادِ الطَّرَفِ ^(٦) بِأَرْبَابِ الْحَرْفِ

فَمَا كُلُّ مَنْ لَقِيََتْ صَاحِبُهُ حَاجَةً وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلَتْ سَائِلُكَ الْعُرْفَا ^(٧)
فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْفِرَ عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُغْفَرَ
عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَالْأَلَمَازِيُّ يَطُوفُ عَلَى بَعْضِ الضُّيُوفِ وَيُحَيِّتُهُمْ بِصُفُوفٍ مِنْ
الْمَعْرُوفِ وَيَتَخَطَّى ^(٨) الرِّقَابَ « لَصْرُوفٍ » ^(٩) وَيُخْتَرِقُ لَأَجَلِهِ الصُّفُوفَ فَإِنْ
زَعَمَ السَّيِّدُ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِتَصْرِيفِ الْأَقْلَامِ فَلَيْسَ بِأَقْدَمَ هَجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَإِنْ رَأَى
أَنَّهُ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى إِطْرَائِهِ ^(١٠) فَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَنْ يَتَّخِذَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ

(١) لَا يَنْقُضُ (٢) الْجَمَاعَةُ (٣) الْجَمَاعَةُ أَيْضًا (٤) جَمْعُ قَنَاصٍ يَفْتَحُ الْقَنَافَ الصَّامِدَ
(٥) الْمُتَفَرِّقَاتِ وَالْمُرَادُ طَالِبُوا مُتَفَرِّقَاتِ الْعُلُومِ (٦) جَمْعُ طَرَفَةٍ وَهِيَ مَاتَرِي مَلِيعَةٌ وَالْمُرَادُ أَهْلُ
الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ (٧) لِلْمَعْرُوفِ (٨) يَتَجَاوَزُ (٩) هُوَ الدَّكْتُورُ يَعْقُوبُ صَرْفُ أَحَدِ أَصْحَابِ مَجْلَةِ
الْمُقْتَطَفِ وَجَرِيدَةِ الْمُقَطَّمِ الْفَرَاوَتَيْنِ (١٠) التَّنَالُ عَلَيْهِ

ولا أُرؤمُ بحمد الله منزلةً غيري أحقُّ بها مني إذا راماً
 وإنما أصونُ نفسي عن المهانة والضعفة ولا أعرّضها للضيّق وفي الدنيا سعة
 وأكرمُ نفسي اتّني إن أهنتها وحقّك لم تكرم على أحد بعدى
 فلا يُصعّر^(١) السيد من خذه فقد رضيتُ بما الرّمني من بعده ولا
 يَغُضُّ^(٢) من عينه فهذا فراقٌ بيني وبينه وليتخذني صاحباً من بعيد ولا يكلمني
 إلى يوم الوعيد

كلّانا غيٌّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدُّ تَفانياً
 ومنّي على السيد السلام على الدوام ومُباركٌ إذا لبسَ جديداً وكلُّ عام وهو
 بخير إذا استقبلَ عيداً ومرّحى^(٣) إذا أصاب وشيعته^(٤) السّلامة إذا غاب
 وقدوماً مباركاً إذا آب^(٥) وبالرفاء والبنين^(٦) إذا أعْرَسَ^(٧) وبالطّالع
 المسعود إذا أتجب^(٨) ورحمه الله إذا عطس ونوم العافية إذا نَعَسَ وصبح نومه إذا
 استيقظ وهنيئاً إذا شرب وما شاء الله كان إذا رَكِبَ ونعيم صباه إذا أنفجرَ
 الفجر وسدّ مَسَاوِهُ إذا أذن العصر وبخَّ وبخَّ^(٩) إذا نثر ولا فُضَّ^(١٠) فوه
 إذا شعر^(١١) وأجاد وأفاد إذا خطبَ وأطربَ وأغربَ إذا كتب وإذا حج
 البيت فحجاً مبروراً وإذا شيعَ جنازتي فسعيّاً مشكوراً: والسلام

(١) لا يميل خذه كبراً وخيلاء (٢) لا يغمض (٣) كلمة تقال لمن تزوج معناها بالالتئام وجمع الشماثل
 للمصيب (٤) ودعته (٥) رجع (٦) كلمة تقال لمن تزوج معناها بالالتئام وجمع الشماثل
 (٧) زوج (٨) ولده (٩) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو عند الفخر والمدح وكررها
 للمبالغة (١٠) لا كسرت أسنانه (١١) قال الشعر

الفصل السادس في رسائل الشكوى

« كتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

إنما أشكو إليك زماناً سلب ضعف ما وهب وفجع بأكثر مما متع
وأوحش فوق ما آنس وعنف في نزع ما ألبس فانه لم يذقنا حلاوة الاجتماع
حتى جرّعنا مرارة الفراق ولم يمتعنا بأنس الالتقاء حتى غادَرنا ^(١) رهْن
التلفّ وبالأشتياق والحمد لله تعالى على كل حال يسوء ويسر ويحلو ويمرّ
ولا أيا من رُوح ^(٢) الله في إباحة صنع ^(٣) يجعل ربه ^(٤) مناخي ^(٥)
ويقصر مدّة البعاد والتراخي فالأحظ الأزمان بعين راض ويقبل إلى حظي يعد
إعراض وأستأنف ^(٦) بعزته عيشاً عذب الموارد ^(٧) والمناهل ^(٨) مأمون
الآفات والغوائل ^(٩)

(وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ إلى أهله وهو منهزم مع مروان ^(١٠))
أما بعدُ فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفةً بالكره والشُرور فمعن
ساعده الحظ فيها سكن إليها ومن عَصَتْه ^(١١) بنايها ذمّها ساخطاً عليها وشكاها
مُسْتزيداً لها وقد كانت أذائقنا أفاريق ^(١٢) استَحْليناها ثم جَمَحَتْ ^(١٣) بنا
نافرة ورَمَحَتْنا ^(١٤) مَوْلِيَةً فُلِحَ عَذْبُهَا وَخَشَنَ لِينُهَا فَأَبْعَدَتْنا من الأوطان

(١) تركنا (٢) من رحمة الله (٣) المروف (٤) دار (٥) مكان النوم ومراده انه لا يأس
من معروف يحظى به مدة حياته (٦) أجدد (٧) أمكنه اتيان الماء (٨) المواضع التي فيها الماء
والمراد انه يجدد عيشاً هنيئاً لا حزن معه (٩) الدوامي (١٠) ابن محمد مروان بن الحكم بن
أبي العاص الاموي آخر ملوك بني أمية المروف بالجعدى قتل سنة ١٣٢ (١١) كناية عن
تسلطها عليه بنواتبها ومصائبها (١٢) البائها والمراد نعيمها وخيراتها (١٣) أسمرت غالبه أيانا
(١٤) طعننا برمحها والمراد مصائبها

وفرقنا عن الإخوان فالدار نازحة ^(١) والطير بارحة ^(٢) وقد كتبت والأيام
تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً فان تميم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد
بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل
الإسار ^(٣) والذل شرُّ جار نسال الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء أن
يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار أمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان
فانه رب العالمين وأرحم الراحمين

«وكتب استاذي الحكيم الشيخ محمد عبده وهو مسجون بسبب الحوادث العراقية»
تقلدتني الليالي موحى مذبرة كائن صارم في كفة مهزيم
عزيزي (هذه حالتي) اشتد ظلام الفتن حتى تجسم بل تحجر فأخذت
صخوره من مركز ^(٤) الأرض الى المحيط ^(٥) الأعلى واعتضت ما بين
المشرق والمغرب وامتدت الى القطبين ^(٦) فاستحجرت في طبقاتها طباع
الناس اذ ثقلت طبيعتها على المواد الحيوانية أو الانسانية فأصبحت قلوب
الثقلين ^(٧) كاللحجارة أو أشد قسوة فتبارك الله أقدر الخالقين انتشرت نجوم
الهدي وتدهورت ^(٨) الشمس والأقمار وتغيبت الثوابت النيرة وفر كل
مضيئ مهزوماً من عالم الظلام ودارت الأفلاك دورة العكس ذاهبة بنيرانها
الى عوالم غير عالمنا هذا فولّى معه آلهة الخير أجمعين وتمحضت السلطة لآلهة

(١) بعيدة (٢) البارج من الطير ما يمر من اليمن الى الشمال والعرب تنشام به وذلك
انه كان من عادتهم اذا ارادوا امرأ عمدا الى الطير فطاروها فان طارت شمالا يتشاءمون
ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يمينا تفاءلوا باليمن ومضوا في امرهم وتسمى سانحات
(٣) الاسرهو للقبض على الرجل واخذ اسيراً (٤) وسط دائرتها (٥) الدائرة المحيطة بالكرة
الارضية (٦) الشمال والغربي وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمي الذي تدور
عليه الارض من المغرب الى المشرق لتتاء حركتها (٧) الانس والجسم (٨) ادبرت

الشرّ فقلّبوا الطّباع وبدّلوا الخلقَ وغيّروا خلقَ الله وكانوا على ذلك قادرين رأيتُ نفسى اليومَ فى مَهْمَةٍ ^(١) لا يأتى البصرُ على أطرافه فى ليلةٍ داجيةٍ ^(٢) غُطِّي فيها وجهُ السّماءِ بعمامٍ سوءٍ فتكاثفَ ^(٣) رُكُومًا رُكُومًا ^(٤) لا أرى إنسانًا ولا أسمعُ ناطقًا ولا أنوهمُ مُجيبًا أسمعُ ذئابًا تعوى وسباعًا تزار ^(٥) وكلابًا تنبح ^(٦) كلّها يطلبُ فريسةً واحدةً هى ذاتُ الكاتبِ والتّفِ على رجلٍ تثنين ^(٧) عظيمان وقد خويّت ^(٨) بطون الكلّ وتحكمُ فيها سلطانُ الجوع ومن كانت هذه حاله فهو لاريبَ من الهالكين

تقطعُ الأملُ وانفصمت ^(٩) عُرْوَةُ الرّجاءِ وانحلتِ الثّقةُ بالأولياءِ وضلّ الاعتقادُ بالأصفياءِ وبطلَ القولُ باجابة الدّعاءِ وانفطر ^(١٠) من صُدْمَةِ الباطلِ كَبِدُ السّماءِ وحقّتْ على أهل الأرض لعنةُ الله والملائكة والأَنْبياءِ وجميعِ العاملين سقطتِ الهِمَمُ وخربتِ الدّيمُ وغاض ^(١١) ماء الوفاءِ وطُمستْ معالمُ الحقِّ وحرّفتِ الشّرائعُ وبدّلتِ القوانين ولم يبقَ إلّا هوى يتحكمُ وشهواتٌ تُقضى وغيظٌ يُحْدِمُ ^(١٢) وخشونة تُنفذُ « تملكُ سُنّةُ القدرِ » والله لا يَهْدِي كيدَ الخائنين ذهبَ ذُوو السّلطةِ فى بُحُورِ الحوادثِ الماضِيةِ يَخُوضون لطلبِ أصدافٍ من السّبَبِ ومقذوفاتٍ من التّهمِ وسواقطٍ من اللّئمِ ^(١٣) لِيُموّهوها ^(١٤) بمياهِ السّفْسطةِ ويُغشوها بأغشيةٍ من معادنِ القوّةِ يُبرزوها فى معرضِ السّطوةِ ويُغشوها بها أعينُ النّاظرين لا يطلّبون ذلكَ لغامضٍ يُبينونه أو لمستور

(١) مغارة بيّدة (٢) مظلمة (٣) كثرت وتراكم (٤) السحاب المتراكم (٥) يفتح عينه أو بكسرهما تصوت (٦) يفتح عينه أو بكسرهما تصوت (٧) تهيئة تزيّن الحيلة العظيمة (٨) خلت (٩) انقطعت (١٠) انشقى (١١) ذهب (١٢) يتحرك ويشتد (١٣) المتقارب من مائة ثوب والهم أيضاً طرف من الجنون (١٤) من التمويه وهو التلبيس

يَكْشِفُونَهُ أَوْ لِحَقَّ خَفِيَ فَيُظْهِرُونَهُ أَوْ خَرَقَ بَدَا فَيَرَقُّونَهُ أَوْ نَظَامٍ فَاسِدٍ
فَيُصْلِحُونَهُ كَلَّا : بَلْ لِيُثَبِّتُوا أَنَّهُمْ فِي حَبْسٍ مِنْ حَبَسُوا غَيْرُ مُخْطِئِينَ ، وَقَدْ
وَجَدُوا لَذَلِكَ أَعْوَانًا مِنْ حُلَفَاءِ الدَّيْنَاءَةِ وَأَعْدَاءِ الْمُرُوءَةِ وَفَاسِدِي الْأَخْلَاقِ
وُخْبَاءِ الْأَعْرَاقِ ^(١) رَضُوا لَا تُفْسِدَهُمْ قَوْلُ الزُّورِ وَإِقْتِرَاءُ الْبَهْتَانِ وَاخْتِلَاقُ
الْإِفْكَ ^(٢) وَقَدْ تَقَدَّمُوا إِلَى مَجْلِسِ التَّحْقِيقِ بِتَقَارِيرٍ مُحْشَوَةٍ مِنَ الْبَاطِلِ
لِيَكُونُوا بِهَا عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ تَأْخُذْنِي فِيهِ دَهْشَةٌ وَلَمْ تَحُلْ قَلْبِي
وَحْشَةً بَلْ أَنَا عَلَى أَيْمٍ أَوْصَافِي الَّتِي تَعَلَّمْتُهَا غَيْرُ مُبَالٍ بِمَا يَصْدُرُ بِهِ الْحُكْمُ أَوْ
يُنَزِّلُهُ الْقَضَاءُ ، عَالِمًا بِأَنَّ كُلَّ مَا يَسُوقُهُ الْقَدَرُ وَمَا سَاقَهُ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ نَتِيجَةٌ
ظَلَمَ لَا شُبُهَةَ لِلْحَقِّ فِيهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ كَمَا أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِي بَرِيٌّ مِنْ كُلِّ
مَا رَمَوْنِي بِهِ ، وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ لَوَلَّيْتَ مِنْهُ رُعبًا وَكُنْتَ مِنَ الضَّاحِكِينَ
نَعَمْ حَنَقْتِي النِّعَمَ وَأَحْيَيْتِي فُؤَادِي الْهَمَّ وَفَارَقْتِي النَّوْمَ لَيْلَةً كَامِلَةً عِنْدَ مَا رَأَيْتُ
أَسْمَكَ الْكَرِيمِ وَأَسَمَ بَقِيَّةِ الْأَبْنَاءِ وَالْأَخْوَانِ الْمَسَاكِينِ تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ أَعْمَالٌ لَمْ
تَكُنْ وَأَقْوَالٌ لَمْ تَصْدُرْ عَنْهُمْ لِقَصْدِ زَجْهِمْ فِي الْمَسْجُونِينَ
لَكِنْ اطْمَأَنَّ قَلْبِي وَسَكَنَ جَانِبِي ^(٣) عِنْدَ مَا رَأَيْتُ تَوَارِيخَ التَّقَارِيرِ مُتَقَادِمَةً
وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَصِلْكُمْ شَرُّ الشَّرِّ فَرَجَوْتُ أَنَّ الْحُكُومَةَ لَمْ تَرُدَّ أَنْ تَفْتَحَ أَبَابًا
لَا يَذَرُ ^(٤) الْأَحْيَاءَ وَلَا الْمَيِّتِينَ

قَدْ مِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ تَقْرِيرَيْنِ جَمَلًا فِيهِمَا تَبَعَاتِ الْحَوَادِثِ الْمَاضِيَةِ عَلَى عُنْتِي
وَلَمْ يَتَرَكَ شَيْئًا مِنَ التَّخْرِيفِ إِلَّا قَالَاهُ وَذَكَرَا أَسْمَاءَكُمْ فِي أُمُورِ أَنْتُمْ جَمِيعًا أَبَدُ
النَّاسِ عَنْهَا ، لَكِنْ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا فَإِنِّي أَرَاهُمَا مِنَ الْمَجَانِينَ ، وَلَمْ أَتَعْجَبْ مِنْ

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لا يدع ولا يترك

هذين الشخصين اذ يعملان مثل هذا الذنب القبيح ويرتكبان هذا الجرم (١)
 الشنيع ولكن أخذني العجب « كلّ العجب غاية العجب بالغ ما شئت في
 عجبى » إذ أخبرنى المدافع عني بتقرير قدمه فلان الذى أرسلت اليه السلام
 وأبلغته سرورى عند ما سمعت باستخدامه ، وأنا فى هذا الحبس رهين
 الى هذا الوقت لم يصلني التقرير ولكن سيصل الى انما فيما بلغنى أنه
 شهادة بأقبح شيء لا يشهد به إلا عدوّ مبين — هذا اللئيم الذى كنت أظن
 أنه يألم لألمى ويأخذُه الأسف لحالى ويبدّل وسعته إن أمكنه فى المدافعة عني
 فكيف قدّمت له نفعاً ورفعت له ذكر او جعلت له منزلة فى قلوب الحاكمين : كم
 سمعنى أقاوم هجاء الجرائد وأوسع محرّريها لوماً وتقرّيعاً وأهزأ بتلك الحركات
 الجنونية وكان هو علىّ فى بعض أفكارى هذه من اللامعين — كان ينسب فلاناً
 لسوء القصد أتباعاً لرأى فلان وأعارضه أشدّ المعارضة ، ثم لم أنقض له عهداً
 ولم أنجس له ودّاً وحقيقة كنت مسروراً لوجوده موظفاً فما باله أصبح من
 الناكثين — آه ما أطيّب هذا القلب الذى يملئ هذه الأحراف ، ما أشدّ
 حفظه للولاء ، ما أغيرة على حقوق الأولياء ، ما أثبتته على الوفاء ، ما أرقه على
 الضعفاء ، ما أشدّ اهتمامه بشؤون الأصدقاء ، ما أعظم أسفه لمصائب من
 بينهم وبينه أدنى مودة ، وان كانوا فيها غير صادقين ، ما أبعد هذا القلب من
 الأيذاء ولو للأعداء ، ما أشده رعاية للوّد ، ما أشده محافضة على العهد
 ما أعظم حذرّه من كلّ ما توتج عليه الذم الطاهرة ، ما أقواه على العمل
 الحق ، والقول الحق ، لا يطلب عليه جزاء ، ولم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها

غافلين، هذا القلب الذى يؤلمونه بأكاذيبهم هو الذى سرّ قلوبهم بالترقية وملاها
فرحاً بالتقدم ولطف خواطرهم بحسن المعاملة وشرح صدورهم بلطف المجاملة
ودافع عنهم أزماناً « خصوصاً هذا اللثيم » أفشّرح الصدور وهم يخرجون ونشقى
القلوب وهم يؤلمون ونفّر حُها وهم يحزنون؟؟؟ تالله قد أضلوا وما كانوا مهتدين،
هذا القلب ذاب معظّمه من الأسف على أنما يلم بالهيئة العمومية من مصائب
هذه التقلبات وما ينشأ عنها من فساد الطباع الذى يجعل العموم فى قلق
مُسْتديم — وما بقى من هذا القلب فهو فى خوفٍ على من يعرفهم على عهد
مودّته، فان تسألوا جميعاً بمثل هذه الأعمال أصبحوا من مودّته خالين وأخذوه
وقاية لهم من المضرة وجعلوه ترساً يعرضونه لتلقى سهام النوائب التى يتوهمون
تفويقها اليهم كما اتخذوه قبل ذلك سهماً يُصيبون به أغراضهم فينالون منها
حظوظهم فقد أراحوا تلك البقية من الفكر فيهم « والله يتولى حسابهم وهو
أسرعُ الحاسبين » — آه ما أظن أن تلك البقية تستريح من شغل الفكر فى
شؤون الأُحبة وان جاروا فى تصرّفهم

إن طبيعة هذا القلب لطيفة ناعمة الخبز إذا اتصل بذى الودّ وإن كان خشناً
فصعبٌ أن ينفصل ولو مزّفته خشونته، وإن هذا القلب فى علاقةٍ مع الأوداء
كالضياء مع الحرارة أيما حادث يحدث وآيما كجأوى يُدقق لا يجد للتّحليل
بينهما سبيلاً، وأظنك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحقّقين

« وكتب حافظ بك إبراهيم الى الأستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده »
كتابى الى سيّدى وأنا من وعده بين الجنة والسلسيل ^(١) ومن ربي ^(٢)

به فوق النثرة ^(١) والإمكيل ^(٢) وقد تعجلت السرور وتسَلَّقتُ الحبور ^(٣)
وقطعتُ ما بيني وبين النوائب

وبشرتُ أهلي بالذي قد سمعته فما مِنْحَتِي ^(٤) إلا ليالٍ قلائل
وقلت لهم للشيخ فينا مشيئةٌ فليس لنا من دهرنا ما ننازلُ ^(٥)
وجمعتُ فيه بين ثقة الزُّيدِيِّ ^(٦) بالصَّصَّامة ^(٧) والحارثِ بالنَّعَامة ^(٨)
فلم أقل ما قال الهذلي ^(٩) لصاحبه حين نسي وعده ^(١٠) وحجب رفده ^(١١)
« يادار عاتكة التي أتفرزل » بل أناديه نداء الأخيذة ^(١٢) في عُمُورِيَّة ^(١٣)
شجاع الدولة العباسية وأمدُّ صوتي بذكر احسانه مدَّ المؤذن صوته في آذانه
وأعتمدُ عليه في البعد والقرب اعتماد الملاح ^(١٤) على نجمة القطب ^(١٥)
وقال أصفهاني وقد هالني النوى ^(١٦) وهالهم أمرى متى أنت قافل ^(١٧)
فقلت إذا شاء الأمام فأوْبَتِي ^(١٨) قريبٌ وربعي ^(١٩) بالسَّعَادَةِ أَهْلُ
وهأنا تماسكٌ حتى تنحسر ^(٢٠) هذه العمرة ^(٢١) وينطوي أجلُ تلك

(١) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر (٢) من منازل القمر أربعة أنجم مصطفة (٣) الفرح ومعنى تساق تسور أي أتى الفرح من غير باب (٤) عطيتي (٥) تضارب لألـالشيخ كفانا صدمات الدهر (٦) أبو ربيعة عمرو بن معدى كرب ينتهي نسبه إلى قحطان صعباني من شعبان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة إلى زبيد بضم الزاي قوم من اليمن (٧) اسم سيف عمرو (٨) ضم فراس الحارث ابن عباد شيخ من العرب (٩) نديم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي كان لا يكلم الخليفة إلا جواباً (١٠) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلي هذه دار عاتكة التي يقول فيها الشاعر — يا دار عاتكة الخ فمجب الخليفة كيف بداه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك في قصيدة الشاعر فوجد فيها (وارك تفعل ماتقول) فتذكر الخليفة الوعد (١١) عطاءه (١٢) الاسيرة يريد بها امرأة من بني هاشم اسرها الروم فنادت وامتنعها تمنى المتعم من خلفه بني العباس فوصل الخبر إلى المتعم فخارجه وخلصها (١٣) بلدة من بلاد الروم (١٤) صاحب السفينة (١٥) كوكب في السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر إليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التي هو قاصدها (١٦) البعد (١٧) راجع (١٨) رجعتي (١٩) داري (٢٠) تتكثف (٢١) الشدة

الفترة^(١) وينظرُ لى سيدى نظرةً ترفعنى من ذات^(٢) الصدع^(٣) الى ذات^(٤) الرّجّع^(٥) وتردّنى الى وكرى^(٦) الذى فيه درجت^(٧) ردّ الشمس قطرة المزن^(٨) الى أصلها وردّ الوفىّ الأمانات الى أهلها

فان شاء فالقربُ الذى قدرجوته وإن شاء فالعزُّ الذى أنا آملُ
والأفانى قافُ روبة^(٩) لم أزل بقيد النوى حتى تقول الفوائل
فلقد حلت السّودان حلول الكليم^(١٠) فى التابوت^(١١) والمغاضب^(١٢)
فى جوف الحوت بين الضيق والشدة والوحشة والوحدة : لا — بل حلول
الوزير^(١٣) فى تنور العذاب والكافر فى موقف الحساب بين نارين نار
القيظ^(١٤) ونار الغيظ

فناديت باسم الشيخ والقيظ بجره يذيب دماغ الضّب والعقل ذاهل
فصيرت كاني بين روض ومنهل تدب الصبا فيه وتشدو والبلا بل
واليوم أكتب اليه وقد قعدت همه النجمن وقصرت يد الجديدين^(١٥)
عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد فلقد نما ضب^(١٦) ضفته^(١٧) على
وبدرت^(١٨) بواذر^(١٩) السوء منه الى فأصبحت كاسر العدو وساء الحميم^(٢٠)
والأيمى كأنها جلود أهل الجحيم كلما نضج منها أديم تجدد أديم^(٢١) وأمست

(١) يريد المدة التي بينهما (٢) الارض (٣) الشق (٤) السماء (٥) صوت الرعد (٦) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٧) مشيت (٨) المطر (٩) رجل من العرب كان أكثر روى اراحيزه على القاف الساكنة (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) الذي وضعته أمه فيه والفته في البحر (١٢) سيدنا يونس بن متى عليه السلام (١٣) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنوره الذي اصطنعه لتعذيب من يأمر به نديه (١٤) شدة الحر (١٥) الليل والنهار (١٦) بكسر الصاد القيظ (١٧) حقه (١٨) أسر عت (١٩) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٠) القريب الذي بهم لأمره (٢١) الحلد

وملك آمالى الى الزوال أسرع من أنرا الشهاب فى السماء ودولة صبرى الى
 الاضمحلال أحت^(١) من حجاب^(٢) الماء فنظرت فى وجوه تلك العباد وانى
 لفارس العين والفؤاد فلم تقف فراستى على غير بابك
 وانى أهديك سلاماً لو امتزج بالسحاب واختلط منه بالأعاب لأصبحت
 تهادى^(٣) بقطره الأكليرة^(٤) وأمست تدخير منه الرهبان فى الأديرة
 ولا غنى ذات الحجاب عن الغالية^(٥) والملا^(٦) ولا يدع إذا جاد السيد
 بالزدي فقد يرى وجه المليك فى المرآة وخیال القمر فى الاضائة وإن حال حائل
 دون أمنية هذا السائل فهو لا يدم يومك ولا يياس من غدك فانت خير
 ما تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً : والسلام

﴿ الفصل السابع فى رسائل العيادة ﴾

« كتب ابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ الى بعضهم »

أذن الله فى شيفائك وتلقى داءك بدوائك ومسح بيد العافية عليك ووجه
 وقد السلامة اليك وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك

« وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ »

وصل كتابك يا سيدى فسررتى نظرتى اليه ثم غنى اطلاعى عليه لما تضمنته
 من ذكر علتك جعل الله أولها كفارة وآخرها عافية ولا أعدمك على الأولى
 أجراً وعلى الأخرى شكراً : وبودى لو قرب على متناول عيادتك فاحتملت عنك

(١) أسرع (٢) ما يرى على وجه الماء من الفتايق (٣) نجمه هدية (٤) الملوك (٥) الطيب

(٦) الزعفران

بالتعهد والمساعدة بعضَ أعباء^(١) عِلَّتِكَ فلقد خَصَّنِي من هذه العلة قِسمٌ
كقِسْمِكَ ومرض قلبي فيك لمرضِ جِسْمِكَ .. وأظن أني لو لقيتك عليلاً
لأنصرفت عنك وأنا أعلُّ منك فاني بحمد الله تعالى تجلّد^(٢) على أوجاع
أعضائي غير تجلّد على أوجاع أصدقائي شفاك الله وعافاك

﴿ الفصل الثامن في رسائل التهاني ﴾

« كتب في التهنية بالأولاد أبو منصور الشعالي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »
أهلاً وسهلاً بمقيلة^(٣) النساء وأُمّ الأبناء وجمالية الأَصهار والأولاد الأَطهار
ولو كانَ النساءُ كمثل هَذِي لفضّلتِ النساءَ على الرّجالِ
فما التّأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيْبٌ ولا التذكّرُ فخرٌ للهِلالِ
والله يُعزِّزُكَ البركةَ في مَظَلِّها والسّعادةَ بموقِعِها فالدُّنيا مُؤنّثة والنّاسُ
يُخدَمُونها والدُّكُورُ يَعْبُدُونها والأَرْضُ مُؤنّثة ومنها خُلِقَت البريّةُ وفيها كَثُرَت
الدَّرِيّةُ والسّمَاءُ مُؤنّثة وقد زينت بالكواكبِ وحُلِيت بالنّجومِ الثّواقِبِ^(٤)
والنّفْسُ مُؤنّثة وهى قِوامُ الأبدانِ ومِلاكِ الحيوانِ والحياةُ مُؤنّثة ولولاها لم
تَتَصَرَّفِ الأجسامُ ولا تَحْرُكَ الأَنامُ والجَنّةُ مُؤنّثة وبها وُعدَ المتقونَ وفيها تنعمُ
المرسلونَ فهنيئاً هنيئاً ما أُولِيتَ وأوزَرَ عَكَ^(٥) اللهُ شُكْرَ ما أُعطيتَ وأطالَ بقاءَكَ
ما عُرِفَ النّسلُ وما بَقِيَ الأَبَدُ

« وكتب بدیع الزمان الحمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى الداوردی بهنیه بمولود »
حقاً لقد أنجز الأقبال وعَدّه ووافقَ الطّالعُ سَعْدَه وأنّ الشّأنَ لفيما بعدَه

(١) جمع عبء الثقل (٢) شديد (٣) كرمتمن (٤) المصائب (٥) اقدرك

وحبذا الأصلُ وفرعهُ وبورك الغيثُ وصوبه ^(١) وأينع الأرضُ ونوره ^(٢)
وحبذا سماءُ أطلعت فرقداً وغابةً ^(٣) أبرزت أسداً وظهراً وافق سنداً وذكر
يبقى أبداً ومجد يُسمى ولداً وشرف لُحمةً وسدى ^(٤)

أنجب ^(٥) كلُّ من والديه به اذ نجلاه فنعيم ما نجلا
فألفياه ^(٦) شهاب ذكاء وبدّر علاء

ووجداهُ ابن جلا ^(٧) أبيض ^(٨) يدعى الجفلى ^(٩)
لمثله أولى فلا اذا الندى ^(١٠) احتفلا

« وكتب في التهنة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

أهتئ سيدى ونفسي تطيب بما يسر الله من قدومه سالماً وأشكر الله على ذلك
شكراً دائماً جعل الله قدومك مقروناً بالخيرة التامة العامة والكفاية الشاملة الكاملة
غنية المكارم مقرونة بغنيته وأوبة النعم موصولة بأوبتك : فوصل الله
قدومك من الكرامة بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة وهناك يا يابك
وبلغك غاية محابك ما زلت بالنية معك مسافراً وباتصال الذكر والفكر ملاقياً
إلى أن جمع شمل سرورى بأوبتك وسكن نافر قلبى بعودتك
(وكتب أيضاً في التهنة برمضان)

ساق الله إليك سعادة إلهاله وعرفك بركة كماله لقاءك الله فيه ما نرجوه
ورقاك إلى ما تحب في ما تلوّه جعل الله ما يطول من هذا الصوم مقروناً بأفضل

(١) مطره وهو هنا كناية عن الولد (٢) زهرة الشجرة وهو كناية عن الولد أيضاً (٣)
موضع الاسد الذي يألفه والمراد أصوله (٤) كلاهما من لمة الثوب وسدها وهو كناية عن العرف
وظاهراً وباطناً (٥) ولدها كرمياً (٦) وجداه (٧) واضح الامر (٨) نقي المرض شريفاً (٩)
دعاهم بجماعتهم وعامتهم (١٠) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع « أي لمثله نصوص
التهاني أولى فلا يحسن ان تضاع لغيره »

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا وكركب المجد في أفق الملا صعدا

الْقَبُولُ مُؤَذَّنًا بِدَرْكِ الْبُغْيَةِ وَنَجَحِ الْمَأْمُولِ وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ بَرٍّ مَرْفُوعٍ وَدَعَاءِ
مَسْمُوعٍ قَابِلِ اللَّهِ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ وَبِعَظِيمِ الْمُثُوبَةِ تَهْجِدَكَ وَقِيَامَكَ أَعَادَ اللَّهُ إِلَى
مَوْلَايَ أُمَثَالَهُ وَتَقَبَّلَ فِيهِ أَعْمَالَهُ وَأَصْلَحَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَحْوَالَهُ وَبَلَغَهُ مِنْهَا أَمَالَهُ
سَعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِهَذَا الشَّهْرِ وَوَفَّاهُ فِيهِ أَجْزَلَ الْمُثُوبَةِ وَالْأَجْرِ

« وَكَتَبَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٣٩٨ هـ تَهْنِئَةً »

سَيِّدِي : أَيْدَهُ اللَّهُ — أَرْفَعُ قَدْرًا . وَأَنْبِيءُ ذِكْرًا وَأَعْظُمُ نُبْلًا وَأَشْهَرُ فَضْلًا
مَنْ أَنْ تَهْنِئَتَهُ بِوَلَايَةِ وَإِنْ جَلَّ خَطَرُهَا وَعَظُمُ قَدْرُهَا . لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَتُهُ
الْأَعْمَالِ بِفَائِضِ عَدْلِهِ وَالرَّعِيَّةِ بِمَحْمُودِ فِعْلِهِ وَالْأَقَالِمِ بِأَثَارِ رِيَاسَتِهِ وَالْوِلَايَاتِ
بِسِمَاتِ سِيَاسَتِهِ فَعَرَفَهُ اللَّهُ بِمَنْ مَاتَ تَوَلَّاهُ وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرَعَاهُ وَلَا أَخْلَاهُ مِنْ
التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ وَالتَّسْدِيدِ فِيمَا يُبِيرُهُ وَيُبْخِضِيهِ

(وَكَتَبَ رَشِيدُ الدِّينِ الْوَطَوَاطُ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٥٧٣ هـ تَهْنِئَةً بِالْقُدُومِ مِنْ سَفَرِ)

بَلَقْنِي إِيَّابَ ^(١) سَيِّدِي زَانَهُ اللَّهُ بِصَنُوفِ ^(٢) الْمَعَالِي وَصَاتِهِ مِنْ صُرُوفِ ^(٣)
الْيَلَالِي مِنْ سَفَرَتِهِ الْمَيْمُونَةِ ^(٤) الَّتِي أَسْفَرَتْ ^(٥) عَنْ نَيْلِ الْمِرَادِ وَتَسْهِيلِ الْبُغْيَةِ ^(٦)
إِلَى دَارِ أَقَامَتِهِ وَمُسْتَقَرِّ كِرَامَتِهِ لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِ نَصَبُ السَّيْرِ وَعَنَاؤُهُ ^(٧) وَكَلَالُ السَّفَرِ
وَوَعْنَاؤُهُ ^(٨) فَبَلَغَ سُرُورِي بِذَلِكَ مَبْلَغًا يَضَاهِي ^(٩) مَا كُنْتُ بِصَدَدِهِ ^(١٠) مِنْ
الْجَزَعِ ^(١١) لَعْنِيَّتِهِ فَحَمَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا يَسَّرَ لَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى مَغَانِيهِ ^(١٢)
وَالطَّلُوعِ عَلَى بَلَدَةِ جَرٍّ فِيهَا ذُبُولُ أَمَانِيهِ ^(١٣) فَسَأَلْتُهُ عَظُمْتَ هَيْبَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا أَنْعَمَ

(١) مودة (٢) أنواع (٣) نوايب () المباركة (٥) كشت وظهرت (٦) المراد (٧) تعب
(٨) الكلال الالقاء والعناء المشقة (٩) يشابه (١٠) في مآثاته (١١) عدم الصبر (١٢)
المطاني جمع مطن وهو المنزل الذي غنى به أهله (١٣) قال مقاصده

به عليه من قرب الدَّار ودنوَّ المزار^(١) موصولاً بطول العمر والبقاء مقروناً بدوام العزِّ والعلاء^(٢) أَنَّهُ سميع الدعاء

(وكتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)
أى جهابذة^(٣) الكنانة^(٤) نبأَل الحُسَّانة^(٥) مِيَاه الأَجَانة^(٦) أبناء
تلك الأغنى صناديد هذه الوغى اليكم يُسَاقُ الحديثُ في القديم والحديث عن
هذا التَّبا العظيم والمجد الصَّميم مالى أَرى فى لغتنا الشريفة « ويعلمُ أولوا النهى آيةٌ
هى من اللغات أحقُّ بهذا النُّبر^(٧) أَنْ يُصَرَفَ إليها عند الإطلاق » هُبُوباً
غِبَّ خمول وثَّرة^(٨) بعد نُحول ونُوراً عَقِيبُ أَقول ونُوراً أثَرُ ذُبُول وصَبَا وراء
قَبُول وعدلاً ولا حَيْف^(٩) وقوَّة ولا ضعف وما يشاء المطَّرى^(١٠) فى هذا
القبيل من العطف

آمنتُ بأنقدِر المقدور والبَعث والنشور كذلك يُحْيى الله الموتى
أليس رجلٌ واحدٌ أسفرت^(١١) عنه عناية التوفيق فألقت إليه المقاليد^(١٢)
بلى^(١٣) ولكنه الواحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال
والناس ألفٌ منهم كواحدٍ وواحدٌ كالألف ان أمرنا^(١٤)
إى^(١٥) وربَّ تلك البَنية^(١٦) بارئ^(١٧) نَسَم البَريَّة إنه لرجلُ البلاد
رجلُ الحزم والسَّداد ألم ترَ جَنَانَه^(١٨) وحنَّانَه وبنَّانَه^(١٩) وبيانه عوامل رَفَع

(١) قرب المكان الذي يزار فيه (٢) العلو من على في المكان يعلى هلاء (٣) الحذاق ذوو
النقد (٤) مايوضع فيها السهام والمراد أنهم نقادون لمسائل (٥) يضم الجيم الترس التي يتقي بها
٦ الأجانة بالكسر اناء تفصل فيه الثياب وما حول الفراس شبه الاحواض جمع اجاجين (٧)
اللقب الرفيع (٨) امتلاء الجسم بالسمن (٩) الظلم والجور (١٠) المادح (١١) ظهرت (١٢)
المفاتيح (١٣) غلة جواب تثبت المنفى (١٤) اهم الناس وانتقمهم (١٥) جواب مثل نعم (١٦) بفتح
الباء وزن غنية السكبة (١٧) خالق (١٨) قلبه

لهذه اللغة لغة الفرقان ^(١) لغة الاوطان لا بل أمضى من العوامل حتى ظلت
آدابها فرائض وقد كانت وما بالمعهد من قدم نوافل ومن حليتها أجياد ^(٢)
اللهمجات عواطل اللهم إلا بقية نمد قد منبت ^(٣) صحفها الأود ^(٤)
ففقدت التلمذ والتجلى ^(٥) وبعد أن راج سوق الرطانة ^(٦) ونصب ^(٧) ماء
الإيالة وخبت ^(٨) أنوار البلاغة وزوت ^(٩) أنوار ^(١٠) النبغة وكسد البيان
وقوض ^(١١) منه البنيان وأصبحت العربية لقي ^(١٢) ملقاه وبضاعة مرزجاء ^(١٣)
فأتهذا البراع ^(١٤) لا أقل من نفثات في صوغ كليمات تقدر هذه النعمة
قدرها وتمننها ^(١٥) شكرها

ويحك ^(١٦) هب ^(١٧) من سينتك ^(١٨) في حليّة مقيك ^(١٩) وأنض ^(٢٠)
حسامك ^(٢١) وأشخذ كهامك ^(٢٢) وأنش ^(٢٣) كينانتك ^(٢٤) وأعمل بنانتك ^(٢٥)
وصغ إن استطعت تهاني غرا بل عقوداً ذراً بل أنجماً زهراً مشتاراً ^(٢٦)
من خلايا ذلك الأرى ^(٢٧) الشهي ^(٢٨) الندي الذي ما جرتست ^(٢٩) نخله
الشيخ ^(٣٠) والخزاعي ^(٣١) وأطايب الثمار وأزاهي الأزهار تهديهن أولئك
المصاقع ^(٣٢) شكر أنا لتلك النعم مجمياً لشواردها وتقيداً لأوابدها ^(٣٣) كماشبهها

(١) اتامل أصابه (٢) القرآن الشريف (٣) الاضاق (٤) اختبرت (٥) الاود السكد
والتمب ومراده اعنى الناس بهالا عن بذل جهد (٦) القوة (٧) كل لسان يخالف العربية (٨)
فار وذهب (٩) خفيت (١٠) ذبكت (١١) جمع نور بالفتح الزهر (١٢) تقض (١٣) بالقصر
مطروحة (١٤) قليلة (١٥) القلم (١٦) نعطيا (١٧) كلمة رجمة (١٨) استيقظ (١٩) نومك
(٢٠) محبتك (٢١) سله من نمد (٢٢) السيف القاطع (٢٣) شحنة حده والسكاهم بفتح
الكاف السيف الكليل (٢٤) استخرج ما فيها من النبال (٢٥) الجواب الذي توضع فيها النبل
والسهام (٢٦) اصبعك (٢٧) كثير الشراء (٢٨) الصل (٢٩) ما يشتهي (٣٠) أكلت واصله
جرس الشهي - جرسا لحسه بلسانه (٣١) نبت طيب الرائحة (٣٢) بغم الحناء نبت زهره أطيب الأزهار
(٣٣) جمع مصقع البليغ (٣٤) لغزاتها

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق وإشفاقاً عليها من الجراح^(١)
بعد ذلك الارتياح

فاليكم بنى هذه اللغة كتابي هذا تهنئة بتلك النهضة العربية في إبانكم
تعلمون وجهه مكفهر^(٢) وبدنه مقشعر وثناء على العناية التوفيقية والعزيمة الرباضية
على أن لهذا المولى الوزير سوى ذلك أيادي^(٣) مبرورة ومساعي مشكورة
أكسبت الوطن وأهليه تهضات وأقالته كثيراً من العثرات لكنتي آثرت^(٤)
تلكم النهضة العربية بتهنئتكُم بها — أي بنى جلدتي^(٥) وإخوان حرقتي
لكونها فيما إخال لا بل فيما أتيقن ويتيقن أولو الحجا^(٦) أعظم التهضات وأيمن
^(٧) ما اجتازهُ الوطن من العتبات ولو كان في نطاق الامكان زيادة البيان في
هذا الشأن لَأَسَهَيْتُ^(٨) وأوسعت وأطريت^(٩) وأطنبت ولو لم يكن في تلك
النهضة إلا أن حياة الأمة لغتيا فحسب لكفاك وشفاك وأغسالك وكان
ذلك قصارك^(١٠) وحماذك^(١١)

«وكتب الأستاذ محمود بك أبو النصر»

انسان عين الفضائل عزيزى فلان المحترم

نور على نور وشفاء لما فى الصدور شفاؤك أيها العزيز من ذلك الرمد: قد
أنجز الإقبال ما وعد وأبتهجت النفوس وتزيّنت الطروس واهتزت الأقلام
وأعانت بالسلام

(١) الذهاب بسرعة (٢) متمسك (٣) نعماً من ذلك الوزير الخطير مصطفي باشا وياض التوفيق
سنة ١٣٣١ هـ (٤) اخترت (٥) بنى عشيتي (٦) العقل (٧) أكثر بركة (٨) سلكه (٩)
لاكثر الكلام (١٠) مدحت (١١) معناه مبلغ جهك وغايتك (١٢) غابة ما محمد اليه

ولاح فجرُ التهاني . بالبشائرِ اذ حَيَّتْ فَأَحْيَتْ رُبُوعَ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
وكيف لا وأنتِ واحدُ الْكِتَابِ وَاِنْسَانُ عَيْنِ الْآدَابِ رَمِدَتْ فَرَمِدَتْ
وَشُفِيَتْ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَقَدْ كَانَ طَرَفُهَا كَلِيلًا وَفَوَادُهَا عَلِيلاً وَالْيَوْمَ زَالِ
الْعَنَاءِ وَحَقَّ الْهَنَاءِ وَوَقَى الشِّقَاءَ فَكَانَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى الْقُلُوبِ وَقِيصَ يَوْسُفَ
فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ

فَلَكَ الْهَنَاءُ بِصَحَّةِ مَيْمُونَةٍ أَبْدَأُ عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ تَدْوِمَ
وَإِنَّ اللَّهَ مَا قَضَى بِمَا قَدْ مَضَى إِلَّا لِيُتَرَفَّ سَيِّدِي مَكَاتِهِ مِنَ الْقُلُوبِ
وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَهَذِهِ حُلُلُ الْعَاقِبَةِ فَدَخَلْتَ عَلَيْكَ وَثِيَابَ السَّلَامَةِ
سَبَقَتْ إِلَيْكَ فَوَاقِي السَّرُورِ وَعَمَّ الْخَبِيرُ وَاللَّهُ يَلْفُكُ بِالصَّحَّةِ وَالْأَعْمَالِ
مَنْتَهَى الْآمَالِ وَالسَّلَامِ

« وَكَتَبَ الْوَزِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بَاشَا فِكْرِي الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٣٠٧ هـ فِي نَهْنَةِ الْعِيدِ »
هَذَا يَوْمٌ تَشَرَّ الْبَشَرُ فِيهِ أَعْلَامُهُ وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَأَزْدَانَتِ الْآفَاقُ بِبَهْجَةِ
هَذَا الْعِيدِ السَّعِيدِ وَأَخَذَ الْأَحِبَّةُ يَتَهَادَوْنَ رَسَائِلَ الْبَشَائِرِ فَبِمَا بَيْنَهُمْ وَكُلُّ حَزْبٍ
فَرَحُونَ بِمَا لَدَيْهِمْ بِمَا أَوْدَعَ فِيهِمْ مِنْ رَوَابِطِ الْحُبِّ وَعَوَامِلِ الْإِتِّحَادِ السَّارِيَةِ فِي
النَّفُوسِ — أَمَّا أَنَا فَعَيْدِي وَبَهْجَةُ نَفْسِي وَسُرُورُ فَوَادِي دَوَامُ إِقْبَالِ الزَّمَانِ
عَلَيْكَ بِوَجْهِ النَّصْرِ وَعَوْدُ أَعْيَادِ السُّرُورِ عَلَى جَنَابِكَ الرَّفِيعِ فَتَمْلِكُ تَشْرِيقُ
الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ وَتَفَرِّحُ الْأَعْيَادُ بِرُؤْيَتِهِ

وَأَرَى الْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ وَأَرَى الْوُجُودَ مُشْرِقًا بِوُجُودِهِ
لَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمُنَى لَاخْتَرْتُ طَوْلَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
أَعَادَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَخُ أَمْثَالَهُ وَأَمْثَالَ أَمْثَالِهِ فِي صَفَاءٍ وَهَنَاءٍ

❦ الفصل التاسع في رسائل التعازي ❦

« كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

خَيْرُ عَزٍّ عَلَى مُسْتَمِعِهِ وَأَثَرٌ فِي قَلْبِي مَوْقِعُهُ خَيْرُ تَسَاءٍ ^(١) لَهُ الْمَسَامِيعُ وَتَرْجِيحُ
مِنْهُ الْأَضَالَعُ خَيْرُ يَهْدٍ الرِّوَاسِي ^(٢) وَيَفْلُقُ الْحَجَرَ الْقَاسِي كَادَتْ لَهُ الْقُلُوبُ
تَطِيرُ وَالْعُقُولُ تَطْلُشُ وَالنُّفُوسُ تَطْيَحُ ^(٣) خَيْرٌ يُشِيبُ الْوَلِيدَ وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ
قَدْ كَادَ مِنْ الْحُزْنِ أَنْ تَنْقُبُضَ الْأَلْسُنُ عَنْ هَذَا النَّعْيِ الْفَادِحِ ^(٤) وَتُخْرَسَ
وَتَقْصُرَ الْأَيْدِي عَنْ التَّعْزِيَةِ بِهَذَا الرَّزَاءِ ^(٥) الْفَادِحِ وَتَيْبَسَ

(وكتب أيضاً في الأمر بالصبر على المصيبة)

مَاذَا نَصْنَعُ وَالْبَلَاءُ نَازِلٌ وَالْمَوْتُ حَكْمٌ شَامِلٌ وَإِنْ لَمْ نَعْتَصِمْ بِحَبْلِ الصَّبْرِ
فَقَدْ اعْتَرَضْنَا عَلَى مَالِكِ الْأَمْرِ عَلَيْكَ بِعَزِيمَةِ الصَّبْرِ وَصَرِيحَةِ الْجَلْدِ فَانْهَاجَ فِي الدِّينِ
حَقْمٌ وَفِي الرِّأْيِ حَزْمٌ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَيِّتَ لَا تَرُدُّهُ نَارُ تَلْهَبُهَا مِنَ الْهَمِّ عَلَى كِبْدِكَ
وَلَا يُرْجِعُهُ انْزِعَاجُ تَسْلُطِهِ بِالْحُزْنِ عَلَى جِسْدِكَ فَخَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَفْعَلَ
مَا يَفْعَلُهُ الذَّاكِرُونَ وَتَقُولَ (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ مَصَابِيئُهُ أَنَاخَ بِآخِرِينَا

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفَيْتُوا سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا أَقَيْنَا

أَحْسَنُ مَا فِي الدَّهْرِ عَمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ فَهُوَ يَدْعُو الْجَفَلَى ^(٦)
ذَا سَاءَ وَيَخْصُصُ بِالنِّعَةِ إِذَا سَاءَ فَلْيَفْكَرِ الشَّامِتُ : فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ ^(٧) فَلَهُ أَنْ

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك (٤) الذي يشغل الناس ويهمهم (٥) المصيبة

(٦) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم (٧) اطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر

يُشَمَّت: ولينظر الإنسان في التهرُّ وصُرُوفه والموتِ وصُروفه من فائحة أمره
إلى خاتمة عمره هل يجدُ لنفسه أثرًا في نفسه أم لتدبيره عونًا على تصديره أم
لعمله تقدماً لا مله أم ليحْيَيه تأخيرًا لأجله كلاً بل هو العبد لم يكن شيئاً
مذكوراً مُخلَقٍ مقهوراً فهو يَحْيَا جبراً وَيَمُوتُ صبراً وليتأمل المرء كيف كان
قبلاً فإن كان العدمُ أصلاً والوجودُ فضلاً فليعلم الموتَ عدلاً
والموتُ أطال الله بقاء مولاي خُطِبَ قد عَظُمَ حتى هان وأمرٌ قد خُشِنَ حتى
لأنَّ ولعلَّ هذا السهمُ قد صارَ آخرَ ما في كِنَانَتِهَا^(١) وأزكى^(٢) ما في خِزَانَتِهَا
ونحنُ معاشرَ التبَّعِ نتعلَّمُ الأدبَ من أقواله والجميلَ من أفعاله فلا نُحْمِهُ على
الجميل وهو الصبر ولا تُرْغِبُهُ في الجزيل وهو الأجر فليرَ فهما رأيه

« وكتب أيضاً »

ياسيدي—ألمُصابَ لَعْنِ الله كَبرٌ وأنتَ بالجزعِ جَدِيرٌ ولكُنْكَ بالصبرِ
أَجْدَرُ والعزَّاءُ عن الأعرَاضِ رُشدٌ كأنَّهُ النُّقى وقد مات المَيِّتُ فليَحْيِ النُّقى

« وكتب فقيده اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

أَشْبَاحُ تَرْوُحٍ وَنَحْيٍ وَأَجَالٌ تَمْسِي وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسٌ تَنْقَطِعُ مِنْ دُونِهَا
حَزَنًا وَأَسْفًا وَعَبْرَاتٍ تَنْفَطِرُ وَجَدًّا وَلَهْفًا وَمَا تَعَمَّدَتْ الْأَقْدَارُ إِلَى اسْتِزَافِ
مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتْ الْأَيَّامُ إِيْلَامَ مُوَجِّعٍ إِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ الْخَلْقِ كَوْنٌ لِيْلِهِ زَوَالٌ
وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْحِلَالٌ وَأَنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مُوقُوتًا وَإِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ سَبِيلٌ
مَقْدُورٌ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي
يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِيكَ لَوْلَا مَا يَفَالِبُنِي

(١) الجراب الذي توضع فيه السهام (٢) اطهر واغنى لانه لا يمزج الا ما كان قبيحاً

على العزاء من كبدٍ حرّتي ومقلّة شكرى وزفرة تبرى ثم وردت أن أستبكيك
لولا أنى بكيت حتى لم أدع فى البكاء من واد وأحييت ليالى بالنوح حتى
ما بالنجم سهاد ثم لم يزدنى البكاء على سقم جسدى ولم يزدنى النوح على صفر
يدى الآ من كبدى وإن الأفتار سهام إذا انطلقت لم تُرد وإن المتطالع الى
الفائت لطويل شقة السكمد وإن الخطوب لى هى وإنما تفاوتت عند الجاد
وإن الحصى عند الجزوع ثقيلة وضخم الصفا عند الصبور خفيف
والله المستول فى إطالة بقائك قرّة للعيون وجبراً لحاطر المحزون بمنه وكرمه

❦ الفصل العاشر في رسائل الأجوبة ❦

« كتب الوزير عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ »
سيدى سلمك الله وحيّاك وأسعدنى برؤية مُحَيّك وزاد عزك وعُليّك
وحرص دينك ودنياك وجمعنى على بساط المسرة وإيّاك ولا حرمنى دوام لُقياك
ولا يرح الدهر مُبتسم الثغر بمحاسن معاليك مُباهاً أعصار الأوائل بأيامك
ولياليك مُحلياً أجياد المفاخر بزواهر لآيك — ورد على كتابك الكريم مورد
إعزاز وتكريم قبل بعض مافى الجوانح من الصدى وأنعشنى ولا انتعاش الزهر
بمباكرة الندى وجلا على من البلاغة رَوْضاً غَضّاً وأدار لَدَى صَفْوَاً من
سُلاَف الحجة محضا وهزنى هزة النشوان شوقاً وطرباً واستفزنى بمعجز آياته
الحسان عجباً وعجبا ونثر على من محاسن لفظك الحرّ وكلماتك الفُرّ ما يُنجِلُ
الترارى ويفضّح الدُّرّ
كلام كسته بهجة الحُسن رَوْنَقاً هو السحر لابل جلّ قدراً عن السحر

« وكتب أيضاً وهو بالاستانة العلية في يوم برد كثير الأمطار »
 كتبتُ إليك والأمطارُ سَاجَةٌ ^(١) بَطَلَهَا ^(٢) وَوَبَلَهَا ^(٣) وَعَسَا كَر
 البرْد والبرْد هَاجِمَةٌ بِخَيْلِهَا وَرَجُلُهَا ^(٤) وَالسَّمَاءُ مُتَلَفَعَةٌ بِأَذْيَالِ السَّحَابِ وَكَانَ
 الشَّمْسُ خَافَتْ مِنَ الطَّلِّ فَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ وَالْجَوُّ مَسْكِيَّ الرَّدَاءِ عَنِ بَرِي
 الْأَرْجَاءِ كَأَنَّهُ وَعَلَيْهِ ثَوْبُ الْغَيْمِ مَزْرُورٌ قَدْ وَجَلَ ^(٥) مِنْ صَوْلَةِ الْبَرْدِ فَلَبَسَ
 فَرُوءَ السَّمُورِ وَالْغَامَ عَلَى الْأَفْقِ بِكَلَاكِلِهِ ^(٦) وَهَزَّ مِنَ الْبَرَقِ يَبِضُ
 مَنَاصِلَهُ ^(٧) وَنَشَرَ فِي الْجَوِّ طَرَائِقَ مَطَارِفِهِ ^(٨) وَجَادَ عَلَى الْأَرْضِ بِتَلِيدِهِ ^(٩)
 وَطَارِفِهِ وَثَقَلَ عَلَى كَاهِلِ الْهَوَاءِ كَالطَّيْرِ بَلَّ جَنَاحَهُ بِالْمَاءِ وَقَرُبَ حَتَّى كَادَ يُمَسِّكُ
 بِالْيَدَيْنِ وَيُعْتَصِرُ بِالرَّاحَتَيْنِ أَوْ كَأَنَّهُ مَرَّاةٌ مَذْهَبَةٌ تَبْدُو وَتُخْفَى أَوْ جَذْوَةٌ ^(١٠)
 مُتَلَبِّةٌ تُوقَدُ وَتُطْفِئُ وَالرَّعْدُ يُهْدَدُ بِزَوَاجِرِ زَمَاجِرِهِ السَّحَابِ فَيُبْسِكِيهَا وَالطَّيْرِ
 يَتَلَوُّ سُطُورَ التَّنْدِي فِي طُرُوسِ التَّرِي ^(١١) فَيُعَلِّمُهَا وَيُطَرِّبُ بِأَفْنَانِ ^(١٢) الْأَلْحَانِ
 أَفْنَانِ ^(١٣) الْبَانَ فَيُعَلِّمُهَا وَيُنْشِئُهَا وَيَقْرَأُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَغْصَانِ أَوْ رَادَهُ الْحَسَانَ
 فَيُقْرِئُهَا وَيَرْقِيهَا وَقَوْسُ السَّمَاءِ يَرْمِي بِسَهَامِ وَبَلَه ^(١٤) جَنُوبَ الشَّقَائِقِ ^(١٥) فَيُصْنَعُهَا ^(١٦)
 وَيَذْمِيهَا وَالرَّيْحُ تَمْسَحُ أَخْلَافَ ^(١٧) الْغَمَامِ فَتُحْمَرِيهَا وَتُرْضَعُ بِدُرِّهَا بَنَاتُ النَّبَاتِ
 فِي حُجُورِ أَرْضِهَا فَتُرَبِّيْهَا وَتُرْصَعُ بِدُرِّهَا تَبْجَانُ الْقَضْبَانَ وَتَارَةً تَجْعَلُهُ
 عَقُوداً فِي تَرَاقِيهَا ^(١٨) أَوْ دُمُوعاً فِي أَمَاقِيهَا وَكَانَ الْحَرُّ خَافَ مِنْ بَنَادِقِ الْبَرْدِ

(١) سائلة (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على أرجلهم (٥) حاف (٦) يجمعاته
 (٧) سيوفه (٨) ثواب من خبز مربعة والمراد إذا كثرت حتى غطى السماء (٩) الزلزال الذي يهز الأرض
 ضده والمراد كثرة مطره (١٠) بتثليث الجسيم الجرة (١١) الأرض (١٢) دهم من الذهب
 (١٣) الأغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان نبت أبيض (١٦) يربطها
 ومراده أنه يربطها بالمطر حتى ترهب فتحم (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع رزني الناقة يربطها
 إذا مسح ضرعها لتدر اللبن (١٨) أعناقها

ومدافع الرد ففرّ إلى مصر ونواحيها وأصبح نزير من فيها لكرم أهلها وكان
غيرها تملكت عليه فلم تقبله عندها ضيفاً أو غلطة الناس في حساب الفصول
فقطنوا شتاها ضيفاً

(وكتب المرحوم حقى بك ناصف الى الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)
وصل يا مولاي الى هذا الطرف ما خصصت به العبد من الطرف « قفص »
من عنب كاللؤلؤ في الصدف تتألق عناقيد كائنها من صناعة « النجف » ولعمري
الحق أنها تحفة من أحلى التحف لا يعثر على مثلها إلا بطريق « الصدف »
فقابلناه لثماً بالافواه ورشفاً بالشفاه واحتفينا^(١) بقدره كل الاحتفاء ولم
تفرط في حبه عند اللقاء بل حللنا له الحبي^(٢) وقلنا له أهلاً وسهلاً ومرحباً
وأوسعناه عضياً ولثماً وتناولناه تجميشاً^(٣) وضماً وحفظنا في صدورنا سره
المسكون وطويناه في غضون^(٤) البطون فطربت من تعاطيه الأرواح ولا
غرو فهو أصل الراح^(٥) وانتشينا^(٦) ولم نحمل وزراً وثمنا^(٧) ولم ندق
طعناً فهو كيارث مهديه سحره ولكنه حلال وأمي إلا أنه كحل فان
أكسبت الشمول شاربها قوة في الجنان ونفحت^(٨) ذائقها طلاقة في اللسان
فقد سرت في أجناسنا من جرارته شجاعة « ليثية » ودبت في كلامنا من
مذاقته فصاحة « علوية » وخلصت الينا منه فوائد لا يحيط بها العلم ونجمت^(٩)
عنه منافع ليس يصحبها إثم — فان زعم الأولون أن في الخمر معنى ليس في

(١) بالنسبة في اكرامه واطهرنا الفرح والسرور (٢) الجهال (٣) المنازلة والملاعبة
(٤) طبقات البطون (٥) الخمر (٦) سكرنا (٧) سكرنا أيضاً (٨) أعطت (٩) طهرت

العنب فقد تغير الحال في هذه الهدية وانقلب وانكشف للتأخرين حقيقة الأمر أن في العنب معنى ليس في الخمر وكان الأحرى بهذا العنب أن يُنَاط^(١) بالثُحُور أو تُزَيَّن به الصدور فما هو إلا الأوَّلُو لكنه سَلِمَ من سِجْنِ البحار وما هو إلا الدُّرُّ لكن ليس فيه صُغَار^(٢)

(وَمَنْ كُنْتَ بِحَجْرًا لَهُ يَا عَلِيَّ لَا يَلْقَطُ الدُّرَّ إِلَّا كِبَارًا)
وما ضره أن ضمه القفص حصّة من المحصص فان كريم الطير يُودَعُ في الأقفاص والقلب ليس له من حنايا الضلوع خلاص فلا بدع أن تستقلّ في حباته حبات القلوب وَيُسْتَمْلَحُ في جنب حلاوته رُضَابُ^(٣) المحبوب وكان الثريا لما أخذت شكله فقَرَّ^(٤) الهلال فاه لعنودها يُريد أكله فهو يطاردها في السماء ويأخذ عليها الطريق من وراء وهي تجري من الأمام مخافة الاتهام هذا المجرد تشابه في الشكل فكيف بالثريا لو أشبهته حلاوة ورياً^(٥) فله تلك العنايد ما أشدّ تألقها وأصفى ماها وأحسن رونقها من كل عنود نخاله عمود الصبّح أحاطت به الدّارارى أو غصن البان تعلقت به القمارى
فَسَقَى النَيْثُ أَرْضاً أَنْبَتَتْهُ وَلَا ثَلَّ^(٦) الدَّهْرُ عُرُوشاً حَمَلَتْهُ وَأَرْضاً عَرَفَتْهَا بِأثمارها حلاوة الجنة وأبرزت لنا لمحة من محاسنها المستكنة وأنسانا عنيها ذكرى دمشق^(٧) وأزمير وأنباناً غارسها أن مصر خير مُسْتَقَرٍّ وَلَا يُبْنِثُكَ مِثْلُ خَيْرٍ وَعُرُوساً كَالْعُرُوسِ تَقِيهِ^(٨) فِي الْحُلَى وَالْمَلْبُوسِ تَحْسُدُهَا الْمَجْرَةُ^(٩)

(١) يلق (٢) بضم الصاد المصخير (٣) ريقه (٤) فتح (٥) منظرأ حسناً (٦) لاهدم

تامضة الشام سميت باسم بانها دمشق بن كتمان (٨) تتبعته (٩) مجوم كثيرة لاتدرك

جرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بضاء

في السماء وتودّ لو تكون لها هذه البهجة والرّواء^(١) لا زال مولاي يهدى ويهدى وصنائه تُعيد في ثنائه وتبدي

(وأجابه المرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)

وبدّد فقد وصل كتاب القاضي الفاضل وأرج الأرجاء بلطيف فواضله وشريف الفضائل وما كنت أظن أن يحصل من زبينة خماره حتى رأيت الفاضل سبكه في قوالب شتى وصاغه وأتى بما أدهش اللب من أساليب البلاغة فتارة عقداً على الثجور وتارة في ميادين الطلب تطارد به البدور وآونة دراً مكبراً ومرة خراً مغنيراً وساعة دوالي « نجمه » وساعة غصناً تعلّق به الهزار^(٢) والله

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد
عجباً لك أيها الفاضل : هذا مع اشتغال بالك وإقبالك على مالديك من مراعاة عدلك واعتدالك فكيف لو تفرغت لهذا الأمر ولاراحة النفس اعتصرت من العنقود قلحاً من خر وأمتطيت^(٣) طرف اليراع منتهجاً مناهج الطرس ودبجت^(٤) ياض صفحاته بمحاسن حلّى النفس^(٥) فله أنت من بليغ بلغ ما يريد وقد فرأند آدابه كلّ جيد وأفاد السحر منشوراً في فواضله وأقام بعوامل أقلامه تثقيف عوامله وأوجب علينا الشهادة له بالسبق فأذعنا مسلمين والحق أحق — هذا ولولا أن يقال فلان جفاً وما احتفل بكتاب أخيه ولا أحتفى^(٦) وإن كان شيعي يلزمه ذلك كما أن شباب (اليك) يسلك به

(١) بفهم الرأى حسن المنظر (٢) بفتح الهاء طائر يقال له العنديل (٣) علوت (٤) قشيت (٥) بكسر النون الحبر (٦) ولا سأل

أقوم المسالك لَسْتَرْتُ عِيَّ وما أَشَرْتُ ورأيتُ طَبِي خيراً لِي مما نشرت
وجعلتُ كتابَ سَيِّدِي في عُنُقِي تَمِيمَةً ^(١) ورَوَّحتُ النفسَ تَيْمناً ^(٢) بمس-
آياته الكريمة وقلتُ كَفَانِي ما أحاط بالعنق من قلائده حيثُ العبدُ لا يبلغ في
الفخامة كمالَ سيِّده

وهبني قلتُ هذا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيْعِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ
لَا زَالَتْ بُرْدُ التَّرْسُلِ بَيْنَنَا مُسْتَمِرَّةً وَمُدَدُ التَّوَصُّلِ عَلَى جَنَاحِ انْتِقَابِ
مُسْتَقَرَّةٍ وَلَا بَرَحِ الْجَنَابِ فِي كُلِّ بَدَايَةِ يَتَرَفَّى كَمَا يَحِبُّ مِنْ غَايَةِ إِلَى غَايَةِ وَالسَّلَامُ

— الفصل الحادي عشر في رسائل الوصايا والشفاعات —

« من كلام له عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب في غزوة الفرس »
إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بَكْتَرَةٍ وَلَا قَلَّةٍ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ
الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي آعَدَهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حِشْماً طَلَعَ
وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ — وَمَكَانُ الْقِيَمِ
بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْحَزَرِ بِجَمْعِهِ وَيَضْمُهُ فَإِذَا انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْحَزَرُ وَذَهَبَ
ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَافِيرِهِ أَبَدًا

وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ
فَكُنْ قُطْباً وَأَسْتَدِرِ الرِّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارُ الْحَرْبِ فَإِنَّ
شَخْصَتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا حَتَّى
يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهْمٌ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ

(١) مَا تَكْتُبُ وَتَلْقَى فِي عُنُقِ الصَّبَاةِ لِلْحَزَرِ (٢) تَبَرُّكاً

إِنَّ الْأَعَاجِمَ اتَّقِ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ التَّوْبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحَتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ : وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّمَا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيهَا مَطْعَى بِالْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ

﴿ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَهَا بِصِيفَيْنِ ﴾

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوَلَايَةِ أَمْرِكُمْ وَلِكُمِ عَلَى مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا يَجْزِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَزَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْزِي عَلَيْهِ إِلَّا جَزَى لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْزِيَ لَهُ وَلَا يَجْزِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لَقُدْرَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَرَأْدِهِ فِي كُلِّ مَا جَزَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَقُّوقِهِ حَقُّوقاً اقْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَسْكَافاً فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَا يُسْتَوْجِبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَأَعْظَمُ مَا اقْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَقُّوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لَا تُفْتَنُ مِنْهُمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاجِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلالِهَا الشُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطَمَعُ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيُسْتَمَطَّعُ الْأَعْدَاءُ وَإِذَا غَلَبَتْ

للبرية واليهما وأجحف الوالى برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معلم
الجور وكثر الإذغال فى الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وغطلت
الأحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم
باطل فعمل فمناك تذلل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد
فعلكم بالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه فليس أحد وان اشتد على رضاء الله
حرصه وظال فى العمل اجتهد به بالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة: ولكن من
واجب حقوق الله على العباد القصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم
وليس أمرؤ وان عظمت فى الحق منزلته وتقدمت فى الدين فضيلته بفوق أن
يعان على ما حملة الله من حقه ولا أمرؤ وان صغرته النفوس وأقبحته العيون
بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه

فأجابه عليه للسلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثُر فيه الثناء عليه
ويذكر سمعه وطاعته فقال عليه السلام إن من حق من عظم جلال الله فى
نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وأن
أحق من كان كذلك لمن عظم نعمة الله عليه وأطف احسانه اليه فانه لم تعظم
نعمة الله على أحد الا ازداد حق الله عليه عظما وان من أسخف حالات
الولاية عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويضع أمرهم على الكبر وقد
كرهت أن يكون جال فى ظنكم أنى أحب الأبرار ولستماع الثناء ولست
بحمد الله كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه
عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء: وربما استحل الناس الثناء بعد
البلاء فلا تنهوا على بجميل ثناء لاخر أجي نفسى الى الله واليكم من التمية فى

حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بد من امضاها فلا تكلموني بما تكلم به الجبارة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادية ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استئقالاتي في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استشغل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان الحمل بهما أثقل عليه فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بمذل فاني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني فانما أنا رب غيري بملك مني مالا تملك من أنفسنا نحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا

ليه السلام وصي بها جيشاً بعثه الى العدو ﴿كم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف وسفاحكم رداءاً ودونكم مرءاً ولتكن مقاتلتكمكم رقباء في صياصي الجبال ومناكبهم العدو من مكان مخافة أو أمن : واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم وآياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً واذا غشيكم الليل فاجعلوا الزماح كفة ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضضمة

﴿ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ﴿إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا ترؤعاً مسلماً ولا تجتازن عليه كارهماً ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحي

فانزِلْ بِمَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَيْبَانَهُمْ ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى
تَقُومَ يَدُهُمْ فَدَسَّلَمَ عَلَيْهِمْ وَلَا تُخْذِجْ بِالْتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولُ — عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي
إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لَا خَذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ فَبَلِ اللَّهُ فِي أَمْوَالِكُمْ
مِنْ حَقِّ فِدْءِهِ إِلَى وَلِيِّهِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعْهُ : وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ
فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَيِّفَهُ وَتُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ
ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَا شِئْتَ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ
فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ وَلَا تُفَرِّقَنَّ بِهِمَةَ
وَلَا تُفَرِّقَنَّهَا وَلَا تَسُوْنَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَاصْذَعْ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرِهِ فَإِذَا اخْتَارَ
فَلَا تَعَرِّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ثُمَّ اصْذَعْ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرِهِ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا
تَعَرِّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ فَلَا تَزَالْ بِذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ
حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فَإِنْ أَسْتَقَالَكَ فَأَقْلَهُ ثُمَّ أَخْلَطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا
حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً
وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثَقَّ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى
يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِظًا
غَيْرَ مُعْتَفٍ وَلَا مُجْهِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُنْعِبٍ ثُمَّ أَحْدُرِ الْبِنَا مَا أَجْتَمَعَ عِنْدَكَ
نَصِيرَتُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ أَلِيَّهَا أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ
فَصِيلِهَا وَلَا يَنْصُرُ لِبَنِيهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلِيدَهَا وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا وَيَعْدِلُ بَيْنَ
صَوَاحِبِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا : وَلْيُزَفِّقْ عَلَى الْأَغْبِ وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِيبِ وَالظَّالِمِ
وَلْيُؤَوِّدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِ الطَّرِيقِ
وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ وَلْيُمِلِّهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِبَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ

بُذِنَا مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتَعَبَاتٍ وَلَا بِجُحُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لَا جُرْكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا — أيها الذَّامُّ لِلدُّنْيَا الْمُغَيِّرُ بِغُرُورِهَا الْمُخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ثُمَّ تَذُمَّهَا أَنْتَغَرُ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمَّهَا أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ مَتَى أَسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ أَمْصَارُ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى أَمْ بِمُضَاجِعِ أُمَمَائِكَ نَحْتِ الثَّرَى كَمْ عَلَّلْتَ بِكُمَيْتِكَ وَكَمْ مَرَضْتَ يَدَيْكَ تَبَعَى لَهُمُ الشِّفَاءُ وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْبَاءُ لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ وَلَمْ تُسَعِّفْ بِطَلَبِكَ وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ وَقَدْ مَنَّتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسُكَ وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعُكَ : إِنْ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقَ لِمَنْ صَدَّقَهَا وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فُهِمَ عَنْهَا وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّقَطَّ بِهَا مَسْجِدُ أَسْبَاءِ اللَّهِ وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَمُهْبَطُ وَحْيِ اللَّهِ وَمَتَجَرَّأُولِيَاءِ اللَّهِ اكْتَسَبُوا فِيهَا الرِّحَةَ وَرَبَّحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ فَمَنْ ذَا يَذُمَّهَا وَقَدْ أَذْنَتْ بَيْنَهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَتَلَّتْ لَهُمْ بِيَلَابِهَا الْبَلَاءُ وَشَوَقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ وَآتَتْكَرَتْ بِفَجْيَعَةٍ تَرْغِيًا وَنَزْهِيًا وَتَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا فَذَمُّهَا رِجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ وَحَمْدُهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَكَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا وَحَدَّثْتَهُمْ فَصَدَّقُوا وَوَعَّظْتَهُمْ فَاتَّقَوْا

« عهد الامام على المتوفى سنة ٤٠ هـ للمالك بن الحارث الاشتهر بالنخعي »

(حين ولاء مصر جبابة خرجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وطمرة بلادها)

اعلم يا مالك أني قد وجهتكَ الى بلاد قد جهرت عليها دُؤْلَى قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك كما كنتَ تقول فيهم وانما يُسَدَّلُ على

الصالحين بما يجرى الله لهم على السنة عبادته فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة
 العمل الصالح فأملاك هواك وشح نفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس
 الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت — وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم
 واللفظ بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتصم أسلهم فانهم صنفان إما
 أخ لك في الدين وأما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل
 ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي
 تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الأمر عليك
 فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك
 لحرب الله فانه لا يذني لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تدمن
 على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا
 تقولن إني مؤثر أمر فأطاع فان ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب
 من الغير واذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر الى
 عظيم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك
 يطامن اليك من طاحك ويكف عنك من غربك ويغنى اليك بما عزب عنك
 من عقلك وآياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل
 كل جبار ويهين كل محتال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن
 خاصة أهلاك ومن لك فيه هوى من رعييتك فانك إن لم تفعل تفلم ومن ظلم
 عباد الله كان الله خصمه دون عبادته ومن خصمه الله أدحض حجته وكان
 الله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل
 نقمته من اقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَاءِ الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَةِ يُجْحِفُ بِرِضَاءِ الْخَاصَّةِ وَإِنْ سَخَطَ الْخَاصَّةُ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَاءِ الْعَامَةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْثِقَةً فِي الرِّخَاءِ وَأَقْلَلُ مَعُونَةً فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنصَافِ وَأَسْأَلُ بِالْأَلْحَافِ وَأَقْلَلُ شُكْرًا عِنْدَ الْأَعْطَاءِ وَأَبْطَأُ عِذْرًا عِنْدَ الْمَنَعِ وَأَخْفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ : وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَةِ مِنَ الْأَمَةِ فَلْيَكُنْ صَفْوُكَ لَهُمْ وَهَيْلُكَ مَعَهُمْ : وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأُكُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا وَالْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ — أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عَقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ وَلَا تَعَجَّلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاضِحِينَ — وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَرِّ يَجْمَعُهَا سِوَهُ الظَّنِّ بِاللَّهِ : إِنْ شَرُّ وَزَرَائِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لِلْأَشْرَارِ وَزِيرًا وَمَنْ شَرِّكَهُمْ فِي الْإِتِّمَاعِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّالِمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدُهُ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لَا يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ أَوْلَتْكَ أَخْفَ عَلَيْكَ مَوْثِقَةٌ وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلَلُ لِنَعِيرِكَ إِنْفَاقًا فَاتَّخِذْ أَوْلَتْكَ خَاصَّةً خَلَّوْا نَفْسَكَ وَحَفَلَاتِكَ : ثُمَّ لَيْكُنْ آتِرَهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَاهُمْ لَكَ بِمُرِّ الْحَقِّ وَأَقْلَبَهُمْ مُسَاعِدَةً

فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع : والنصق بأهل الورع والصدق ثم رَضَهُمْ على أن لا يُطْرُوكَ ولا يُبْجَحُوكَ بباطل لم تفعله فان كثرة الأطراء تحدث الزهو وتذنى من العزة : ولا يكون المَحْسَن والمُسِيء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك تزهيذاً لأهل الاحسان فى الإحسان وتذريياً لأهل الإساءة على الإساءة والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه — واعلم أنه ليس شئ يادعى الى حُسن ظنِّ وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه ايامهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك فى ذلك أمر يجمع لك حُسن الظنِّ برعيته فان حُسن الظنِّ يَقْطَعُ عنك نصباً طويلاً : وان أحقَّ مَنْ حُسن ظنك به مَنْ حُسن بلاؤك عنده وإن أحقَّ من ساء ظنك به مَنْ ساء بلاؤك عنده ولا تَنْقُضْ سُنَّةَ صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثنَّ سنة تضرُّ بشئ مما مضى من تلك السنين فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها — وأكثَرُ مَدَارَسَةِ العلماء ومناقشة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمرُ بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك — واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الأنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومُسْلِمَةُ الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكلاً قد سَتَى الله سهمه ووضع على حده فريضة فى كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأئمة وليس تقوم الرعية إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يُخْرِجُ الله

تعالى لهم من الخراج الذى يَقْوُونَ به فى جهاد عدوهم ويمتدنون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قيوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من للقضاة والعمال والكتاب لما يُحْكِمُونَ مِنَ الْعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتِمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِهَا وَلَا قِيَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالْجَارِ وَدَوَى الصَّنَاعَاتِ فَمَا يَحْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاقِفِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّفَرُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُ رِفْقَ غَيْرِهِمْ: ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ رِفْقَهُمْ وَمَعُونَتَهُمْ وَفَى اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ: وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِىِ حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يَصْلُحُهُ وَلَيْسَ بِخَرَجِ الْوَالِىِ مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَوَطُّينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِهِ الْحَقِّ وَالصَّبرِ عَلَيْهِ فَمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ فَوَلِّ مَنْ جُنُودَكَ أَنْصَحَهُمْ فِى نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَأْمَكَ وَأَطَاهَرَهُمْ جَيِّباً وَأَفْضَلَهُمْ حِلًّا مَنْ يُبْغَى عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرْجِعُ إِلَى الْعَذْرِ وَيَرْأَفُ بِالضُّعْفَاءِ وَيَتَّبِعُوا عَلَى الْأَقْوِيَاءِ مَنْ لَا يُبَيِّرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضُّعْفُ ثُمَّ الصَّنِيعُ بِذَوَى الْمُرَوَّاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلَ التَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاةِ فَانْهَمِ جَمَاعٌ مِنَ الْكُرَمِ وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ — ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ لَوْلَا الدَّانُ مِنْ وَلَدِهَا وَلَا يَتَفَاقَنُ فِى نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتِهِمْ بِهِ وَلَا تَحْفَرَنَّ لُطْفًا تَتَمَاهَدُ بِهِ وَإِنْ قَلَّ فَانْهَ دَاعِيَةً إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ وَلَا تَدْعَ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْسَّيْرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ — وَلَيْكِنْ آتِرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَامَ فِى مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَدَّتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَّعَ مَنْ وَرَثَتِهِمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ تَمَامًا وَاحِدًا فِى بَيْتِهِمَا

العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك : وإن أفضل قوة عين الولاية
استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة
صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاية أمورهم وقلة استئثار دولهم
وترك استئثار مذهبهم فانفسح في آمالهم وواصل في حسن الشئاء عليهم
وتعديل ما أبلى ذور البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعلهم نهز الشجاع
وتحرض الزناكل ان شاء الله تعالى — ثم أعرف اسكل امرئ منهم ما أبلى
ولا تضيق بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعوك
شرف امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضمة امرئ أن تستصغر
من بلائه ما كان عظيماً : واردد إلى الله ورسوله ما يصلحك من الخطوب ويشتبه
عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم (يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى
الله والرسول) فالرذ إلى الله الأخذ بحكم كتابه والرد إلى الرسول الأخذ بشئته
الجامعة غير المفرقة — ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن
لا تضيق به الامور ولا تمنحك الخصوم ولا يهادى في الزلة ولا يمحصر عن
الني إلى الحق اذا عرّفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بأذى فهم دون
أقصاه أو قفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلهم تبرئاً بمراجعة الخضم
وأصبرهم على تكشيف الامور وضرهم عند اتضاح الحكم من لا يزدهيه
إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل — ثم أكره تعاقد قضائه وافسح له
في البذل ما يزيح غلته وتقل منه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا
يطمع فيه غيره من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك

نَظَرًا بَلِيغًا فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدَى الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى
وَتُظَلَبُ بِهِ الدُّنْيَا — ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّاكَ فَاسْتَعْمَلْهُمْ اخْتِبَارًا وَلَا تَوَلَّهِمْ
مُحَابَبَةً وَأَثَرَةً فَانْظُرْ جَمَاعَتَهُ مِنْ شُعَبِ الْجُورِ وَالْخِيَانَةِ وَنُوحٍ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرُّبَةِ
وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقِدَمِ فِي الْإِسْلَامِ فَانْظُرْ أَكْرَمَ أَخْلَاقًا وَأَصَحَّ
أَعْرَاضًا وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْتِرَافًا وَأَبْلَغَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا : ثُمَّ اسْبِغْ عَلَيْهِمْ
الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغْنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا نَحَتَ
أَيْدِيهِمْ وَحِجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ خَانُوا أَمَانَتَكَ — ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ
وَابْنِثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لَا مَورِمَ
حَدُودَهُ لَهُمْ عَلَى اسْتِمَالِ الْأَمَانَةِ وَالزَّفَقِ بِالرَّعِيَةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْإِعْوَانِ فَإِنَّ أَحَدًا
مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ا كْتَفَيْتَ
بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ
بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَدْتَهُ عَارَ التَّهْمَةِ — وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ
أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صِلَاحِهِمْ صِلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صِلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ
لَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلُهُ — وَلِيَكُنْ نَظْرُكَ عِمَارَةَ الْأَرْضِ أَبْلَغَ
مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ
الْخَرَاجَ بغيرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنْ
شَكُّوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَاءَةً أَوْ أَحَالَه أَرْضٍ اعْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ
أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ : وَلَا يَثْقُلَنَّ
عَلَيْكَ شَيْءٌ يَخَفُّتُ بِهِ الْمُؤُونَةُ عَنْهُمْ فَإِنَّ ذَخِيرَةَ عُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ
وَتَزْيِينِ وَلَايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حَسَنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ

مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عَنْدهُمْ مِنْ أَجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةُ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنْ الْأُمُورِ مَا إِذَا عُوِّلَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمُرَانَ يَحْتَمِلُ مَا حَمَلْتَهُ وَإِنَّمَا يَأْتِي خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ اغْوَاظِ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا يُغْوِزُ أَهْلُهَا لِأَشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ - ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتُبِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصَصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ تَمَّ لَا تَبْطُرْهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِكَ بِحُضْرَةِ مَلَأَ وَلَا تُقْصِرْ بِهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِبْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عَمَلِكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصُّوَبِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُكَ وَيُعْطَى مِنْكَ وَلَا يَضْعَفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ وَلَا يَجْهَلُ مِثْلَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلًا: ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ أَيَّامَهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحَسَنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحَسَنِ خِدْمَتِهِمْ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْإِمَانَةِ شَيْءٌ وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا تَوَلَّوْا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ فِي الْعَامَةِ أَنْتَ وَأَعْرِفْهُمْ بِالْإِمَانَةِ وَجَهًّا فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وَكَلْتَ أَمْرَهُ وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَلَا يَتَسَتُّ عَلَيْهِ صَغِيرُهَا وَهَمَّا كَانَ فِي كُتُبِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَايَيْتَ عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ ثُمَّ اسْتَوْصَ بِالشُّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصَ بِهِمْ خَيْرًا الْمُقِيمِينَ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِّ مِمَالِهِ وَالْمُتَرَفِّقُ يَبْدِنُهُ فَاتَهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمُرَافِقِ وَجَلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَنْبِكَ وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا فَاتَهُمْ سَلَامٌ لَا تُخَافُ بِأَثْقَتِهِ وَصُلَحٌ لَا تُخْشَى

غائله: وتفقّد أمورهم بحضرتك وفي حواشى بلادك واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات وذلك بابُ مضرّة للعامة وعيبٌ على الولاية فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه وأيسن البيع بيعاً سَمحاً بموازين عدلٍ وأسعارٍ لا تُجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فسنكّل به وعاقب فى غير إسراف — ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمى فان فى هذه الطبقة قانعاً ومعتزلاً واحفظ الله ما استحفّظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً فى كل بلد فانّ للأقصى منهم مثل الذى لا أدنى لمنك عنهم بطرّ فانك لا تعذر بتضييعك التافه خصّ همك عنهم ولا تُصعّر خدك لهم وتفقد ممن تقتحمه العيون وتحتقره الرجال ففرّغ لا ولتلك والتواضع فليترفع اليك أمورهم ثم أعمل فيهم بالأعذار بوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الأ نصاف من غيرهم وكلّ فاعذر إلى الله فى تأدية حقه اليه وتعهّد أهل اليشم وذوى الرقة فى السن من لا حيلة له ولا ينصيب للمسألة نفسه وذلك على الولاية ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعد الله لهم — واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجاسداً فتواضع فيه لله الذى خلقك وتقدم عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرطك حتى يكلمك متكلمهم غير مُتمتع فاني

سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطنٍ (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوى غير مُتَمَتِّع) ثم احتمل الخرق منهم والعبيّ وسنّح عنهم الضيق والآنف ييسط الله عليك بذلك أكتاف رحمته وبوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار — ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس يومَ ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك وامنض لكلّ يوم عمله فلن لكلّ يوم ما فيه : واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت وأجزّل تلك الأقسام وإن كانت كلّها لله اذا صلحت فيها النية وسلّمت منها الرعية — وليكن في خاصّة ما تُخلصُ لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة فأعط الله من بدّتك في ليلك ونهارك ووفّ ما تقرّبت به الى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مشلوم ولا منقوص بالغا من بدّتك ما تبلغ واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكون منفراً ولا مضيقاً فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجهني اليمن كيف أصلي بهم فقال (صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالموثمين رحماً) وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيّتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويتبع الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تُعرف بها ضررُوب الصدق من الكذب وانما أنت أحد رجلين إما أمرؤ سخّ نفسك بالبدل

فى الحق فقيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع: فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكوة مظلمة أو طلب انصاف فى معاملة — ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتناول وقلّة انصاف فى معاملة فاحسب مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ولا تقطعن لأشياء . . . حاشتك وخاصتك قطيعة ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر

لـ مشترك يحملون مؤونته على غيرهم
به عليك فى الدنيا والآخرة: والزيم الحق من
ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك
بما يثقل عليك منه فان مقبة ذلك محودة
فأصحّر لهم بذكرك واعدلّ عنك ظنونهم
ريضة منك لنفسك ورفقا برعيّتك وإعذاراً تبلغ به
على الحق ولا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك والله فيه
دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن

الحدّر كل الحدّر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربّما قارب ليتغفل فخذ
بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو
ألبسته منك ذمّة فحطّ عهدك بالوفاء وارزق ذمّتك بالأمانة واجعل نفسك
جنة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شىء للناس أشدّ عليه اجتماعاً
مع تفرق أهوائهم ونشئت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لازم ذلك
المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر فلا تغدرن

بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترى على الله إلا جاهل شقى وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحرماً يسكنون الى منعه ويستغيثون الى جواره فلا إذغال ولا مدالسة ولا خيداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمر ترجوا انفرجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك فيه من الله طلباً فلا تستقيل فيها دُنياك ولا آخرتك — إياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شئ أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لأن فيه قود البدن وإن ابتليت بخطأ وأفطرت عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فان فى الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى الى أولياء المقتول حقهم وإياك والأعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فُرس الشيطان فى نفسه ليحقق ما يكون من احسان المحسنين - وإياك والمن على رعيته باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدم فتتبع مؤعدك بخلفك فان المن يبطل الأحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه وتعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التسقط

فيها عند امكانها أو اللّجاجة فيها اذا تنكّرت أو الوهن عنها اذا استوضحت
 فضّع كلّ أمرٍ موضعه وأوقع كلّ عملٍ موقعه — وإياك والاستشار بما الناس فيه
 أسوةً والتغابى عما يُعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذٌ منك لغيرك
 وعما قليل تنكشف عنك أغطيّة الامور ويُنتصف منك المظلوم: أملك حمية
 أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكفّ
 البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من
 نفسك حتى تكثُر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك أن تتذكّر
 ماضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة أو سنّة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه
 وآله وسلم أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد
 انفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى
 دليلك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وانا أسأل الله بسعة
 رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوقني وإياك لما فيه رضاه من الاقامة
 على العذر الواضح اليه والى خلقه من حسن الثناء في العباد وجيل الاثر في البلاد
 ونعم النعمة وتضعيف الكرامة وان يحتم لى ولك بالسعادة والشهادة انا الى الله
 راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين

(وكتب أبو بكر الصديق المتوفى ٧ جمادى الثانية سنة ١٣ هـ الى بعض قوّاده)

اذا سرت فلا تُنفّ أصحابك في السير ولا تُغضبهم وشاور ذوى الآراء
 منهم واستعمل العدل وابعّد عنك الجور فانه ما أفاح قومٌ ظلموا ولا نصروا
 على عدوهم (وإذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ^(١) فلا تؤاؤهم الأذبار ^(٢)) ومن

(١) مجتمعين لكثرتهم يرحفون (٢) الهزائم

يُولَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّقًا ^(١) لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا ^(٢) إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِي مِنْ اللَّهِ — وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَيْهِمْ فَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا طِفْلًا وَلَا تَحْرِقُوا زَرْعًا وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا وَلَا تَذْبَحُوا بَهِيمَةً إِلَّا مَا يَلْزَمُكُمْ لِلْأَكْلِ وَلَا تَغْدُرُوا إِذَا هَادَنْتُمْ ^(٣) وَلَا تَنْقُضُوا إِذَا صَاحْتُمْ وَاسْتَمِرُّوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رُهْبَانٍ تَرَهَّبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا أَنْفَرُوا إِلَيْهِ وَأَرْفُضُوهُ لَا تُنْفُسِهِمْ فَلَا تُهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ) — والسلام

(ركتب عمر بن الخطاب المقتول في ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ إلى بعض قواده) أما بعدُ فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حال فإن تقوى الله أفضلُ العُدَّةِ على العدوِّ وأقوى المكيِّدةِ في الحربِ وأن تكونَ أنتَ ومن معك أشدَّ احتِراساً من المعاصي منكم من عدوِّكم فإن ذُنُوبَ الجَيْشِ أخوفُ عليهم من عدوِّهم ولولا ذلك لم تكن لِناسِهم قوَّةٌ لأن عدونا ليس كهدمِهم ولا عُدَّتنا كعدَّتِهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا في القوَّةِ (وإلاَّ نُصِرْ عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوَّتنا) واعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظَةُ مَنْ اللَّهُ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ — وَأَقِمَّ بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ مُجْمَعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُخَيُّونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ وَنَجِّ مَنَازِلَهُمْ عَنْ قَوَّيْ أَهْلِ الصِّلَاحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَثَقَّى بِهِ — وَلَكِنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَاغُ وَتُبَثَّ السَّرَايَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسُكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَقْظُ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدُكَ وَاللَّهُ وَلِيَّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيَّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ

(١) متعلِّقاً (٢) منضمّاً إلى جماعة يستنجد بهم (٣) صالحتهم

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى ابن أخته)
أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك والمدرسة مكانك والمجبرة حليفك
والدقر أليفك فان قصرت ولا إخالك فغيري خالك — والسلام

(ومن وصية ابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ لابنه وقد أراد السفر)
أودعك الرحمن في غربتك مرتقبا رُحاه في أوتبك
فلا تطلّ جبل النوى إنني والله أشواق الى طاعتك
واختصر التوديع أخذاً فإلى ناظر يقوى على فراقك
واجعل وصاتي نصب عين ولا تبح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التي حنكت في ساعة زفت الى فطنتك
فلتجاريب أمور إذا طالعتها تشخذ من غفلتك
فلا تنم عن وعيها ساعة فاتها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته في النوى إياك أن يكسر من هممك
فليس يُدرى أصل ذى غربة وإنما تعرف من يثلمتك
وأمش الهوينا مظهر عفة وابع رضا الأعين عن هيئتك
وانطق ببحث النغي مستقبح واصمت بحيث الخير في سكنتك
ورج على رزقك من بابه واقصد له ما عشت في بكرتك
وزف كلاً حقه وتسكن تبكسر عند الفخر من حدثك
وحيشاً خيمت فاقصد الى صعبة من ترجوه في نصرتك
والرزايا وبة مالها الا الذي تذخر من عدتك
ولا تقل أسلم لي وحدثي فقد تقاسى أذل في وحدتك

ولتجعل العقل محكاً وخد كلاً بما يظهر في نقدتك
 واعتبر الناس بالفاظهم واصحب أخاً يرغب في صحبتك
 كم من صديق مظهر نصحه وفكره وقف على عثرتك
 إياك أن تقر به انه عون مع الدهر على كرتك
 وأنم نمو النبت قد زاره غيب الندى واسم الى قدرك
 ولا تضيق زمناً منكناً تذكاره يذكى أظلى حسرتك
 والشرّ مهما استطعت لا تأتبه فانه جور على مهجتك
 يا بني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثله قد قدمت لك في هذا
 النظم ما أن أخطرت به بخاطرك في كل أو ان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله
 تعالى وان أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول
 يزين الغريب اذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
 وثانية حسن أخلاقه وثالثة اجتناب الريب
 واصح يا بني الى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر
 ولو أن أوطان الديار نبت بكم لسكنتم الأخلاق والآداب
 إذ حسن الخلق أكرم نزيل والأدب أرحب منزل ولتكن كما قال
 بعضهم في أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكانه معه ولد واليه
 قصد غير مستريب بدهره ولا منكر شيئاً من أمره واذا دعاك قلبك الى صجنة
 من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سُلماً وهُب في روض أخلاقه
 هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن
 لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك

ولا تُرَخِّصْ في جانبِهِ لِحَسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَةٍ أَوْ حَسُودٍ لَهُ يَفَارُ
لَتَجْمَلُهُ بِصُحْبَتِكَ وَمَعَ هَذَا فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا تَتَمَهَّدَ بِدَوَامِ رُقْدَةِ
فَقَدْ يُنْتَبِهُ الزَّمَانُ وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِيعَارًا
وَكَانَ كَالْمِرَاةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ — وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَةِ مِنْ سَبَقِكَ يَوْمَ فَقَدْ
سَبَقَكَ بِعَقْلِ فَاحْتِذْ بِأَمْثَلِهِ مِنْ جَرَبٍ وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَّدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جَهْدِهِمْ
وَتَعَبِهِمْ مِنَ الْأَقْوَالِ فَإِنَّهَا خُلَاصَةُ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عَقْلِكَ
فَإِنَّ النَّظَرَ فِيمَا تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولَ أَعْمَارِهِمْ وَابْتِغَاؤُهُ غَالِيًا بِتَجَارِبِهِمْ يُرَبِّحُكَ
وَيَقِيعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا — وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَرُءُوءَةٌ وَتَجْرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ
وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ فَإِنِ فِيمَا تَلَقَّاهُ تَلْقِيحًا لِعَقْلِكَ وَحِثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً وَلَيْسَ كُلُّ
مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا
لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ فَزَاعِ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَالْأَقَانِيذُ نَبَذِ النَّوَاةَ فَلَيْسَ لِكُلِّ
أَحَدٍ يُتَبَسَّمُ وَلَا كُلِّ شَخْصٍ يَكَلِّمُ وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعَمُّ بِهِ وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ

وَمَا لِيَ لَا أُوَفِّي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطَى مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدْرِ فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمَعَامِلَةِ الْكَفِّ
وَلَا الْكَفِّ بِمَعَامِلَةِ الْأَعْلَى وَلَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِيمَنْ يُبَالِغُكَ بِالْمَطَامِعِ وَبُثْبُثِكَ عَلَى
مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةٍ آجِلَةٍ وَلَا تَحْجِفِ النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ وَإِذَا كَانَ يَكُونُ ذَلِكَ
بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا جَفَاءٌ فَتَى فَارَقْتِ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَالَ الْأَوَّلُ (وَلَمَّا
مَضَى سَلَّمَ بَكَتُّ عَلَى سَلَمٍ) وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ

وكنْتَ اذا حَلَّتْ بدارِ قومٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
واحرص على ما جَمَعَ قول القائل ثلاثة تُبْقَى لك الوُدُّ في صدر أخيك
أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلامِ — وتوسَّع له في المجلس — وتدعوه بأحبِّ الأسماء إليه
واحذرْ كل ما يَبِينُهُ لك القائل — كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فاذا غرسه
يقطعك وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف أسدٌ مع القوة — وإياك أَنْ
تثبت على صحبة أحد قبل أَنْ تُطِيلَ اختبارَهُ ، ويحكى أَنْ ابن المقفّع خطب من
الخليل صُحْبَتَهُ فجابه أَنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ولا أضع رقى في يدك حتى أعرف كيف
ملككتك واستمعل من عين من تعاشره وتفقّد في فَلَائِتِ الألسن وصفحات الأوجه
ولا يحملك الحياء على السكوت عما يضرُّك أَنْ لا تُبينَهُ فَإِنَّ الكلام سلاح السُّلَمِ
وبالأنين يُعرف ألمُ الجرح واجعل لكل أمرٍ أخذت فيه غايةً يجعلها نهاية لك

وخذْ من الدهر ما أُنَاكَ به من قَرٍّ عَيْنًا يَبِيشُهُ نَفْعُهُ
اذ الأفكار تجلب المُموم وتضاعفُ الذُّموم وملازمة القُطوب عنوان
المصائب والخطوب يستريب به الصاحب ويشتت العدو والمُجانب ولا تغترَّ
بالوساوس إلا نفسك لأنك تنصر بها الدهر عليك — والله در القائل

إذا ما كنتَ للأحزان عَوْنًا عليك مع الزمان فنُ تلوم
مع أنه لا يردُّ عليك الغائب الحزن ولا يزعوى بطول حبك الزمان
ولقد شاهدتُ بفراطة شخصاً قد ألقته المُموم وعشقته المُموم ومن صغره
الى كبره لا تراه أبداً خلياً من فكرة حتى لُقِبَ « بصدر المم » ومن أعجب
ما رأيته منه أنه يُتَنَكَّدُ في الشدة ولا يتأل بأن يكون بعدها فرج ويتنكَّد
في الرِّخاء خوفاً من أن لا يدوم — وينشد

« نَوْعٌ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ » وينشد « وعند التَّسَاهِي يَقْصُرُ الْمُنْتَطَوِّلُ »
وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمُرُهُ محسورٌ يَمُرُّ
ضِيَاعًا — ومتى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ
وقصدًا لتَصْغِيرِ قُدْرِكَ عِنْدَكَ وتزْهيدًا لَكَ فِيهِ فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَزْهَدَ فِي
عِلْمِكَ وَتَرْكُنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِى مَدَحُوهُ فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِى أُعْجِبُهُ
مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ فَصَعُبَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَنَسَّاهُ
فَبَقِيَ مَخْبَلٌ الْمَشَى كَمَا قِيلَ

إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشَى مِشْيَةً فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
حَسَدَ الْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشَى مِثْلَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
فَأُضِلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مِثْلَهَا فَلِذَاكَ كُنَّوْهُ أَبَا مِرْقَالِ

وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذْمُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا
كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَامُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرَ
مَا يَكُونُونَ مِنْ تَحِبِّهِ الْحَرَمَانَ وَاسْتَحَقَّتْ طُلُعَتُهُ لِلْهَوَانِ وَأَبْرَمُوا عَلَى النَّاسِ
بِالسُّؤَالِ فَقَتَوْهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَاخُوا إِلَى
الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ وَأَقَامُوا الْأَعْذَارَ لَا أَنْفُسَهُمْ بَقَطْعَ أَسْبَابِهِمْ وَلَا تُزِلُّ هَذِينَ
الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ

لِنْ إِذَا مَا نَلْتَ عَزًّا فَأَخُو الْعَزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لَذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ وَذُوا الْبَصَرِ يَمْشَى عَلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ وَالْفُظُنُّ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِيلُ بِالْيَسِيرِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ
لَا رَبَّ سِوَاهُ

﴿ وصية هرون الرشيد لمعلم ولده الامين ﴾

يا أحمـرُ — إن أمير المؤمنين قد دَفَعَ اليك مَهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَصَيِّرْ
يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً فَكُنْ لَهُ بِمِثْلِ وَضْعِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ وَعَرَفَهُ الْأَخْبَارَ وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ وَعَلَّمَهُ السُّنَنَ وَبَصَّرَهُ بِمَوَاقِعِ
السَّكَّامِ وَبَدَيْهِ — وَامْنَعُهُ مِنَ الضُّعْفِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ بَنِي هَاشِمٍ
إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَرَفِّعْ مَجَالِسَ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ وَلَا تَمَرَنَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا
وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فَائِدَةً تَفِيدُهُ أَبَاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ فِتْمِيمَتَ ذَهَبِهِ وَلَا تُنَمِّنَ فِي
مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِيَ الْفِرَاقَ وَيَأْلُفُهُ وَقَوْمَهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَايِنَةِ فَإِنْ أَبَاهَا
فَعَالِيكَ بِالشَّدَةِ وَالْغَلْظَةِ

﴿ ومن وصية ابن شداد لابنه ﴾

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَلِيَكُنْ أَوْلَى الْأُمُورِ شُكْرَ اللَّهِ وَحُسْنَ النِّيَّةِ فِي
السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِيدُ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ وَكُنْ كَمَا قَالَ الْخُطَيْبَةُ
وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنْ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذَخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتِقِ مَزِيدٌ

ثم قال

أَيُّ بَنِي لَا تَزْهَدَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو ضُرُوفٍ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ
نَوَائِبَ عَلَى الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ فَكُنْ مِنْ رَاغِبٍ قَدْ كَانَ مَرْغُوبًا إِلَيْهِ وَطَالِبٍ أَصْبَحَ
مَطْلُوبًا مَالِدِيهِ : وَاعْلَمْ أَنَّ الزَّمَانَ ذُو أَلْوَانٍ وَمَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرَى الْمَوَانَ

ثم قال

أَيُّ بَنِي كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ . بِخَيْلٍ بِالْأَسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ

فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودُ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبَرِّ وَأَنْ أَحْمَدَ يُخْلِ الْحَرَّ الضَّنَّ بِمَكْتُومِ السِّرِّ
وَكُنْ كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ

أَجُودُ بِمَكْنُونِ التَّلَادِ ^(١) وَإِنِّى بِسِرِّكَ عَمَّنْ مَالِئِى لَضَمَيْنِ ^(٢)
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَانْه ^(٣) وَتَكْثِيرِ الْحَدِيثِ قَمَيْنِ ^(٤)
وَعِنْدَى لَهُ يَوْمًا إِذَا مَا أَتَمَمْتَنِ مَكَانَ بَسُودَاءِ ^(٥) الْفَوَادِ مَكَيْنِ

ثُمَّ قَالَ

أَيُّ بَنَى وَإِنْ غَلَبَتْ يَوْمًا عَلَى الْمَالِ فَلَا تَدْعِ الْحِيلَةَ عَلَى حَالٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ
يَحْتَالُ وَالذَّنَى عِيَالُ ^(٦) وَكُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ فِي الظَّاهِرِ حَالًا أَقْلَ مَا تَكُونُ
فِي الْبَاطِنِ مَا لَا فَانَ الْكَرِيمُ مِنْ كَرُمَتْ طَبِيعَتُهُ وَظَهَرَتْ عِنْدَ الْإِنْفَادِ نِعْمَتُهُ

ثُمَّ قَالَ

أَيُّ بُنَى وَإِنْ سَمِعْتَ كَلِمَةً مِنْ حَاسِدٍ فَكُنْ كَأَنَّكَ لَسْتَ بِالشَّاهِدِ فَإِنَّكَ
إِنْ أَمْضَيْتَهَا حَيَالَهَا رَجَعَ الْعَيْبُ عَلَى مَنْ قَالَهَا وَكَأَنَّ يُقَالُ الْأَرِيبُ ^(٧) الْعَاقِلُ
هُوَ الْفَطْنُ الْمُتَغَافِلُ

«وصية يعرض نساء العرب الى ابنها وقد أراد السفر»

قَالَ أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ وَكَانَ عَابِدًا مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ . شَهِدَتْ أُعْرَايَةُ
وَهِيَ تَوْصِي وَلَدًا لَهَا بِرِيدٍ سَفَرًا وَهِيَ تَقُولُ لَهُ

أَيُّ بُنَى إِيْجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى ^(٨)
عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ . قَالَ أَبَانُ فَوَقَفَتْ مُسْتَمْعًا لِكَلَامِهَا مُسْتَحْسِنًا لَوْصِيَّتِهَا
فَإِذَا هِيَ تَقُولُ . أَيُّ بُنَى إِيْيَاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغِينَةَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينِ

(١) المال القديم (٢) بخيل (٣) اظهار (٤) حبة القلب (٥) تقيل على غيره (٦) الحازم
(٧) أقبح

وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً^(١) وخليقاً^(٢) ألا يثبت الغرض على كثرة
السهام . وقلما اعتورت^(٣) السهام غرضاً إلا كلمته^(٤) حتى يهي^(٥) ما اشتد
من قوته . وإياك والجود بدورك والبخل بمالك . وإذا هزرت فاهرز كريماً
يلين لهزتك ولا تهزز اللثيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ومثل لنفسك مثال
ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء
لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودته بشرة وخالف ذلك منه فعله كان
صديقه منه على مثل الزنج في تصرفها — والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم
ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطها وسير بالها

الفصل الثاني عشر في رسائل التنصل والتبرؤ ❦

(كتب أبو الحسن علي بن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ الى القاسم بن عبيد الله)
ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً فوالله
اني لا أطلب عفو ذنبي لم أجنه والتمس الإقالة مما لا أعرفه لتهزاد تطوُّلاً وأزداد
تدلاً وأنا أعيد حالي عندك بكرمك من واش يكيدها وأحرسها بوفائك من باغ
يحاول إفسادها وأسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك ومحلي
من رجائك بحيث أستحق منك

(١) هدفاً برمي فيه (٢) تداولت (٣) جرحته (٤) يضيف

﴿ وكتب أبو الوليد بن زيدون المتوفى بأشبيلية سنة ٥٤٦٣ هـ ﴾

يا مولاي^(١) وسيدى^(٢) الذى ودادى له^(٣) واعجاذى^(٤) عليه واعتدأرى^(٥)
به وامتدأدى^(٦) منه ومن أبقاه الله ماضى^(٧) حدّ العزم^(٨) وأرى^(٩) زند^(١٠)
الأمل^(١١) ثابت^(١٢) عهد^(١٣) النعمة إن سلبتني^(١٤) أعزك^(١٥) الله لباس^(١٦)
نعمائك وعطفتني^(١٧) من حلى^(١٨) إيناسيك^(١٩) وأظلماتي^(٢٠) الى برود^(٢١)
إسعافك^(٢٢) ونفضت^(٢٣) بي كفّ حياطتك^(٢٤) وغضضت^(٢٥) غنى طرف^(٢٦)
حمايتك بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي^(٢٧) لك وسمع الأصم ثنائى^(٢٨)
عليك وأحسن الجاد باستجمادى^(٢٩) إليك

(١) المولى له معان كثيرة الالىق منها هنا السيد او المنعم ومنها العبد أيضاً قال أبو تمام

مولاك يا مولاي صاحب لوعة في يومه وصباية في أمسه
دق ييجود بنفسه حتى لقد أمني ضعيفاً أن يجود بنفسه

(٢) السيد من ساد على قومه ارتفع وهو اخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعفاف (٣) محبتي
(٤) انكالي (٥) عدني ليوم حاجتي (٦) مزيد خيري (٧) قاطع (٨) قوة الارادة أي
لا يزم على امر الا امضاه (٩) الورى خروج النار من الزند وقت الاقتداح (١٠) مقدحة
(١١) الرجاء (١٢) متمكن ومتوثق (١٣) ميثاق اي اي ان نعمته ثابتة ومحفوظة عليه
أبداً وان محبته مقصورة عليه وانه هو المتجأ اليه وانه يطلب من الله أن يقيه وعزمه سيف
قاطع وأمله نور لامع وخيره غيث متتابع وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال (١٤) انتزعت مني
(١٥) أعزك الله جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيد بالفرز والاشارة الى مايستلزمه سلب
اللباس من المذلة وتنبيهاً له على ذلك (١٦) ما يوارى الجسم أي جردتني من نعمك المحيطة بي
(١٧) العطل في الاصل خلوجيد المرأة من القلائد (١٨) ما يتحلى به (١٩) انسك — أي
أحرمتني من لذائذك (٢٠) أعطشتني (٢١) بارد (٢٢) انجادك (٢٣) طرحت (٢٤) احاطتلك
أي طرحتني من كف حوزك لي (٢٥) خففت (٢٦) نظر — أي خففت طرف وقايتك عني
فه كنني غرضاً لصائبات الحوادث (٢٧) التأمل أسر معنوي لا يشاهد واما ذلك مبالغة في شدة
التلبس والاتصاف به (٢٨) مدحى — مبالغة في انتشار مدحه (٢٩) حمدي مبالغة في تأنر
حمد بشير الى تصداد ما حل به من المصائب وأحرق به من كل جانب الا وهو تجريده من قسم
الامير المحيطة به احاطة الثياب وحرمانه من الانس بذلك الجنب واعطاشه الي سريع اغاثته

فلا غرور^(١) قد يَقصُّ^(٢) الماء شاربهُ ويقتلُ الدواءَ المُستَشفى به ويؤتى
الحذر^(٣) من مآمنه^(٤) وتكونُ مَنِيَّةُ^(٥) المتَحَنِّ في أُمْنِيَّتِهِ^(٦) والحين^(٧)
قد يسبقُ جهْدُ^(٨) الحَريصِ

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتي وتَهونُ شِيرَ شِمَاتِهِ^(٩) الحُسادِ
وانى لا تجلَّدُ^(١٠) وأرى للشامتين أنى لربِّ^(١١) الدهر لا أتضعضُ^(١٢)
فأقول هل أنا إلا يدٌ أذماها^(١٣) سِوَارُها^(١٤) وجينٌ عَضُّ به إكليله^(١٥)

واخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصاً بعد ان صير تأمله فيه جسماً مختصراً
ولذا رآه الأعمى وجلاً مدحه بما جذب اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمع الأعمى
وبذل قصارى جهده في حمد حتى كان مؤثراً في كل الكائنات ولذا ادركه الجداد وفيه من المبالغة
ما في قول المتنبي

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبي وأسمعت كلانى من به صمم
وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك ادل على توجعه وتأمله وأسرع لتلبية ندائه وأمكن
الجلب الصفاء وازالة الجفاء (١) فلا عجب الفناء واقعة في جواب انمن قوله ان سلبتي (٢) غصصت
بالماء أغص غصاً اذا شرقت به وأغصصته انا (٣) المتيقظ (٤) محل امته (٥) موت (٦) ما يتمناه
(٧) الملاك (٨) طاقة (٩) الفرح في بلية البغير يقول ان اشرعت مني ما أعطيت واحلت بي من
المصائب ما أحلت بعد غلوى في الثناء عليك والتجاني في كل الأمور اليك فليس ذلك بالأمر
العجيب ولا بالنادر الغريب بل كثير النظائر والأمثال فالله الذي به زوال النقص قد يكون هو
النقص وان الامنية قد تكون فيها اللنية وأنه يشير في عبارته الى قول بعضهم
قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملت والمرء يشرق بالزلال البارد
والى قول الآخر

تجري الأمور على وفق القضاء وفي طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرتني مابت أحذرهم وربما ساءني مابت أرجوهم
والبيت الذي ذكره لابن أبي عيينة (١٠) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب الددر نوابه
(١٢) أتزلزل هذا حل بيت لابي ذؤيب الهذلي وهو

وتجلى للشامتين أريهم أنى لرب الدهر لا اتضعض
(١٣) أسال دما (١٤) نوع من الحلي يلبس في الساعد (١٥) تاجه

وَمَشَرَنِي ^(١) أَلَصَقَهُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ ^(٢) وَسَمِعَرِي ^(٣) عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ ^(٤) وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبُ الَّذِي يَقُولُ
فَقَسًا لِيَزِدَّ جُرُؤًا ^(٥) وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحُمُ
هَذَا الْعَتَبُ ^(٦) مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ ^(٧) غَمْرَةٌ ^(٨) ثُمَّ تَنْجَلِي ^(٩)
وَهَذِهِ النَّكْبَةُ ^(١٠) سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ^(١١) وَلَنْ يُرِيَنِي ^(١٢) مِنْ سَيِّدِي
إِنْ أَبْطَأَ سَيِّدُهُ ^(١٣) أَوْ تَأَخَّرَ غَيْرُ ^(١٤) ضُنَيْنٍ غَنَاؤُهُ ^(١٥) فَأَبْطَأُ الدَّلَاءُ فَيَضَا ^(١٦)
أَمْلُؤُهَا وَأَثْقَلُ السَّحَابُ مَشْيًا أَحْقَلُهَا ^(١٧) وَأَنْفَعُ الْحَيَا ^(١٨) مَا صَادَفَ جَدْبًا ^(١٩)
وَالذُّ الشَّرَابُ مَا أَصَابَ غَلِيلًا ^(٢٠) وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

(١) سيف (٢) جاليه (٣) رمح (٤) مقومه (٥) يمتنعوا يخاطب نفسه ويسلمها ويضرب لها الامثال
وينبها ويسهل عليها ماتانيه ويحبها فيما تعاديه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته
حيث لم يستهجن فعله وعمله معه فقد نزل نفسه منزلة يد الحسنة التي أجرى دمها السوار والجبين
الذي أثر فيه تاج الانتصار والسيف الذي وضعه على التراب صاقله لصقله لالهوانه والرح الذي
وضعه على النار مثقفه لتعديله لا لأحراقه والعبد الذي قسى سيده رحمة به واحساناً لا استخفافاً
به وهو أن — والبيت لأبي تمام (٦) اللوم (٧) الجنوة (٨) شدة (٩) تنكشف (١٠) المصيبة
(١١) تقلع — يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الألفة والصفاء وإن هذه
الجنوة شدة وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول — يشير الى قول النبي
لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الاجسام بالعلل

والى المثلين العريين غمرات ثم تنجلين وسحابة صيف عن قليل تقشع والاول يضرب في
حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير (١٢) يجعلني شاكا (١٣) عطاؤه (١٤) غير
ضنين احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع مايتوهم من ان التأخير للإيقاع به
(١٥) نفقه (١٦) الفيض صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أي أبطأ الدلاء
صعوداً أكثرها امتلاء (١٧) أملؤها (١٨) المطر (١٩) الأرض التي لا نبات بها (٢٠) العطش
بحرارة — لما ذكر ان هذا العتب محمود العاقبة وإن ما حل به عن قريب يزول ورأى ان
تأخير الرحمة به وعدم انقاذه من ورطته ربما يؤهم الريية في محمدة العاقبة دفع ذلك معتذراً
عن سيده في هذا التأخير مملاً بقوله فأبطأ الدلاء أيضاً أملؤها وأثقل السحاب مشياً أحفلها
وغير ذلك مما يدل على أن في التأخير ماينعم البال ويقر الاعين ثم ختم بما عبارته هو أمثل في
للتسلية وأدعى للتصبر من حيث يقول : ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

له الحدُّ على اهتباله ^(١) ولا عتبَ عليه في اغتفاله ^(٢)
 فان يكن الفعلُ الذي ساءَ واحداً فأفعاله الآلئى سررنَ ألوفٌ
 وأعود فأقول ما هذا الذنبُ الذي لم يسعه عفوُّك والجهلُ الذي لم يأتِ
 من ورائه حلمُك والتطاوُلُ ^(٣) الذي لم يستغفره تطوُّك ^(٤) والتَّحاملُ ^(٥)
 الذي لم يفِ به احتمالُك ^(٦) ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك أو
 مُسيئاً فأين فضلكُ

إلّا يكن ذنبٌ فعذُّك واسعٌ أو كان لى ذنبٌ ففضلكُ أوسع
 فهبني مُسيئاً كالذى قلتَ طالباً قصاصاً ^(٧) فأين الأخذِ ياعزُّ ^(٨) بالفضل
 حنانيك ^(٩) قد بلغ السيلُ الزُّبى ^(١٠) ونالنى ما حسبى به وكفى وما
 أروانى إلا لو أمرتُ بالسُّجودَ لآدمَ فأيتُ ^(١١) واستكبرتُ

(١) اغتنامه (٢) تغافله وهو تركه على ذكر منه بعد أن اعتذر عن سيده بما اعتذر
 أخذ يمدحه على إيقاعه به وتغافله عنه علّه أن يرأف به ويعطف عليه والبيت للمتنبى (٣) الكبر
 (٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل إلا أنه في الامور العظيمة قال
 النابغة فحملت برأ واحتملت لجار (٧) عقاباً (٨) اسم امرأة — رجع بعد أن عود نفسه
 في مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التنت منه الى ما في ضميره من بقايا العتب فقال يستفهمه مريداً
 بذلك الزامه بالصبر عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول ما هذه الحركة التي زلزلت
 طودك وما هذه الجيفة التي عكرت بحرك ولم لا يشملني كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك
 أكبر شنيع للعاصي والمطيع — وذكر البيتين تأييداً لما قاله في نثره والاول للبحرني والثاني
 مأخوذ من قول الحماسي

هينى ظلوماً نلت بهساءة قصاصاً فأين الأخذ ياعز بالفضل

(٩) تنبيه حنان وهو الرحمة (١٠) جمع زية وهي حفرة تحفر لصيد الأسد في مكان مرتفع لا
 يعلمه الماء فإذا وصل اليه السيل كان مجحفاً — يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول
 له حنانيك أي رحمة بعد رحمة أطلبها منك فأن النل والهوان قد وصلا الى النهاية . والصغار
 والاحتقار قبلها الناية — وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربي يضرب في بلوغ الشيء غاية (١١)
 امتنعت — ولقد احسن كل الاحسان وتلف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما

وقال لي نوح اركب معنا فقلت سأوى ^(١) إلى جبل يعصني ^(٢) من الماء وأمرت ببناء صرح ^(٣) أعلّي أطّلع إلى إله موسى وعصفت ^(٤) على العجل واعتديت ^(٥) في السبت وتعاطيت ^(٦) فعقرت ^(٧) وشربت من

اجترح من جريته بأبلغ عبارة وأدق إشارة مبدعاً في وصف ما لاقاه من العقاب والكال وأنه لو قسم على ذوي الذنوب من الاولين والاخرين لكان كافياً لتكفير تلك الذنوب جزاءً وفاً ملمحاً الى ذوي الذنوب المشهورة ووقائع الآثام الماثورة فقال وما اراني الخ يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لا دم من حيث امره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١) سألبأ (٢) يحفظني — يشير الى ذنب ابن نوح وهو مخالفة لآييه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه « يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال سأوى الخ (٣) قصر — يشير الى ذنب فرعون وهو أنكاره الآله وادعاؤه أنه هو الاله الحقيقي وذلك حينما اتاه موسى عليه السلام بالايان بالله فقال فرعون « ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً » الآية (٤) واظبت يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر وقال لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعتموه من المصريين وبقي معكم يمد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأيه فيه فعملوا فأخذه وصاغه مجلاً ووضع فيه القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام قصار العجل يمشي وكأنه يخور فقال لبني اسرائيل هذا الهكم واله موسى نسيه وذهب ليطلبه فأقن به كثير منهم واتبعوه (٥) جاوزت يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك انهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تنطفي الماء ولا تأتي في غيره فتحيلوا بسل حيطان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان في الحيطان فيأخذونها يوم الأحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فخاق بهم العذاب (٦) تماطى قام على أطراف أصابع رجله ثم رفع يديه وضرب (٧) عقر البعير بالسيف فانقر أي ضرب به قوائمه يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام وذلك ان امرأته يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان وأخرى يقال لها صدوق بنت الحميا صاحب أولئهم كان زوجها أسلم وأتق ماله على صالح واتباعه وكاتتا من أشد الناس عداوة لصالح فدعت صدوق مصداً لنفسها على قتل الناقة ودعت عنيزة قداراً على ذلك أيضاً فذهبا وتبعهما أشقياء نمود وكن كل منهما في أصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فتد عليها قدار بيده فلبان عرقوها ثم نحرها

النهر الذي ابتلى^(١) به جيوش طالوت وقُدَّت الفيل لأبرهة^(٢) وعاهدت^(٣) قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت^(٤) في بيعة العقبة^(٥) واستنفرت^(٦) إلى العير بدر^(٧) وانخذلت^(٨) بثلك الناس يوم أحد^(٩) وتخلفت^(١٠) عن صلاة العصر في

(١) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اقترحوا عليه قتال الماء فقال لهم « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده » فخالقوا وشربوا الا قليلا منهم (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشي يشير الى ذنب ابرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك انه بني كنيسة في صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كناني ولوثها بالعدرة وأتى أقوام من تجار قريش واضرموا ناراً بجانبها فبیت الريح فأحرقها فغضب النجاشي لذلك وقام أبرهة واخذ الفيلة وفي مقدمتها فيل النجاشي المسمى محموداً لهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فابى فوجهه الى اليمن فقام مهزولاً وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل

(٣) أعطيتهم عهداً وميثاقاً — يشير الى ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ في الندو وأن حزة وعمر أسلما تماقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب وعلى قطع العلاقات بينهم تماماً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تأكيداً لذلك (٤) خالفت (٥) طريق وعمر في الجبل — يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها احد فذكره لها على سبيل الفرض أي هب أي خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعله أحد (٦) العير بالكسر الابل التي تحمل الميرة — يشير الى ذنب ضمضم الفناري وهو استنهاز قريش لابي سفيان وذلك ان ابا سفيان كان آتياً من الشام في عير فذهب عليه السلام لقتاله فشعر بذلك أبو سفيان فاستأجر ضمضاً المذكور ليخبر قريشاً فذهب وصرخ بيطن الوادي واقفاً على جبل قد جدعه وحول رحله وشق قميصه قائلاً يا معشر قريش اللطيفة اللطيفة أم والكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لأأرى ان تدركوها الغوث الغوث فتجهزوا جميعاً وذهبوا اليه وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بزوادة بدر الكبرى وفيها انتصر النبي عليه السلام انتصاراً باهراً (٧) خذله ترك عونه ونصرته (٨) أحد جبل بالمدينة يشير الى ذنب أبي بن سلول رأس المنافقين وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج الى أحد ومعه الف من أصحابه لقتال أعدائه كان من رأي أبي ان يمتك النبي في المدينة فأبى عليه السلام قبول رأيه موافقاً لمعظم الصحابة فرجع هو ومن معه من المنافقين وقال اطاعهم وعصاني (٩) تأخرت

بني قريظة ^(١) وجئتُ بالأفك ^(٢) على عائشة الصديقية وأنيت ^(٣) عن إمارة أسامة وزعمتُ أن خلافة أبي بكر كانت فلتة ^(٤) ورويت رُمحي من كتيبة ^(٥) خالد ومزقت ^(٦) الأديم ^(٧) الذي باركت يدُ الله عليه وضحيّتُ بأشمط ^(٨)

(١) طائفة من اليهود — يشير الى حادثة بني قريظة وذلك انه عليه السلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال من كان سبياً مطيعاً فليصل العصر في بني قريظة فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس والبعض الآخر رأى ان المقصود الاسراع فصلى في الطريق ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب تراضوا اليه عليه السلام فحكم باصابتها واذاً تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب (٢) الكذب — يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معها في مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه السلام — وذلك انه لما ذهب عليه السلام الى غزوة بني المصطلق كانت معه السيدة عائشة حيث كانت قرعتها — ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها فقلتها الركب ولم ينظروا في هودجها فرصفوا وكان قد تأخر لاسرما فاركبها بعيرهم وقاده فاشاعوا هؤلاء ما اشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات اليناث (٣) استكبرت يشير الى بعض الصحابة من حيث استكبروا على اسامة وذلك ان النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشاً ليذهب به الى الشام وقال له سر الى مقتل ايك فتكلم قوم وقالوا ياأمر هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب عليه السلام لذلك وخرج في مرضه عاصباً رأسه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال مامتناه لئن طعتم في اسامة فقد طعتم في أبيه من قبل وانه لاهل لها فاستوصوا به خيراً (٤) أي من غير احكام ولا روية — يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم ان علياً هو الاحق بالخلافة ومن سواه غاصب ويقولون ماتقدم وفي حديث عمر (أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وفي الله شرها) فقيل المراد بالفلتة الخلسة أي ان الامامة يوم السقيفة مالت الى توليها وكثر فيها التشاجر فانزعجها واختلسها ابو بكر اختلاساً ومثل هذه البيعة مهيبة للشر والفتنة فضم الله تعالى من ذلك ووقى (٥) جيش — يشير الى ذنب أبي شجرة السلمي وهو فتكه بجيش خالد في حرب الردة ويشير الى قوله في ذلك

ورويت رُمحي من كتيبة خالد واني لأرجو بعدها أن أعمرها

(٦) قطعت (٧) الجلد — يشير الى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه السلام وذلك أن أبا لؤلؤة طلب منه ان يخفف عنه جعل سيده فقال له انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد وأريد ان تصنع لي رحي فقال سأصنع لك رحي يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكن له حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير الى ما قاله بعضهم في رثاء

جزى الله خيراً من امام وباركت يد الله في ذاك الاديم الممزق

(٨) مختلط شعر الرأس — يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه السلام وذلك أنه وفد

عنوان السجود به وبذلت لِقَطَام^(١)
 ثلاثة آلاف وعبدٌ وقِيْنَةٌ^(٢) وضربُ عليٍّ بالحُسامِ المُسمَّمِ
 وكتبت إلى عمر بن سعد أن جعجع^(٣) بالحسين وتمثلت عند ما بلغني
 من وقعة الحرّة^(٤)

ليت أشياخي بيدٍ شهيدوا رجزع الخزرج من وقع الأسل
 ورجمت^(٥) الكعبة وصلبت المائد^(٦) على الثنية^(٧) لكان فيما جرى

عليه كثير من الجهات يشكون عماله فارضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر والياً على مصر فينبهاهم
 ذاهب إذ رأى عبداً على هجين يستحبه فأحضره وقتشه فوجد معه كتاباً من الخليفة إلى عامل
 مصر يقول فيه إذا أتاك محمد ومن معه فتعجل في اتلهم فرجع محمد وأعطى الجواب الخليفة فأقر
 بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبدته وهيمته وأنه لم يرسله فطلب منه أحد أمرين الاعتزال أو إعطاء
 كاتبه الحكم فابى فحصلت الفتنة وحاصروه إلى أن قتل ويشير إلى ما قاله بعض نفاة
 ضحوا باسمط عنوان السجود به يقطع الليل تديحاً وقرأناً
 (١) اسم امرأة (٢) جارية — يشير بذلك إلى ذنب ابن ملجم وهو قتل علي كرم الله
 وجهه — وذلك أن هذه المرأة أعجبت له لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت مافي البيت فقال لها
 لك ماطلبت وقال البيت وبعده

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
 (٣) ضيق — يشير إلى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين وذلك أنه أباي
 مبايعه يزيد وأراد الذهاب إلى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فآخبر يزيد عامله هناك عبيد
 الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطأ جهز له شراً وكتب عبيد الله له ما تقدم
 فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله رضي الله عنه (٤) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة
 بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة — يشير إلى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه
 أرسل عقبة بن مسلم إلى محاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام قتل وأسرف وأباح فلما بلغ
 يزيد ذلك قال بيت ابن الزبير المذكور مظهراً للسمية المستتر وهو كراهة الانتصار والمهاجرين
 (٥) رميت بالحجارة (٦) المتجي - (٧) طريق العقبة — يشير إلى ذنب الحجاج وهو رجمه
 الكعبة وصلبه عبد الله بن الرسر وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه إلى الكعبة فنصب
 الحجاج المنجنيق عليها ورجها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لا يزلها إلا إذا شغقت
 أمه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما أن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعاً وأزله

على^(١) ما يحتمل أن يكون نكالا^(٢) ويدعى ولو على المجاز عقابا
وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمتنا
فكيف ولا ذنب إلا نيمة^(٣) أهداها كاشح^(٤) ونبا^(٥) جاء به فاسق^(٦)
وهم الهمازون^(٧) المشاؤون^(٨) بنميم^(٩) والواشون^(١٠) الذين لا يلبثون^(١١) أن
يصدعوا^(١٢) العصا والغواة^(١٣) الذين لا يتركون^(١٤) أديما^(١٥) صحيحا والسعاة^(١٦)
الذين ذكروهم الأحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم
حلفت فلم أترك لنفسك رية^(١٧) وليس وراء الله للمرء مذهب
والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت^(١٨) عنك بعد الصاغية^(١٩)

ومن قولها لابنها يوم مقتله يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله
لضربة بالسيف في عز خير من ضربة بالسوط في مذلة فقال لها انما اخاف المثة قالت يا بني ان الشاة
لا يضرها سلخها بعد ذبحها (١) حصل لي (٢) عذاباً — يريد أنني لو أتيت بهذه الذنوب كلها
لكان ما حصل لي من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافياً لتحيص هذه الذنوب وكيف لا
وقد صرت في حالة يرثي لها المدو والحبيب والبعيد والقريب وذلك ادل على طلب الرحمة واحكم
في الاستعطاف — والبيت الذي ذكره للعتي (٣) نقل الكلام للافساد (٤) مضر العداوة
« أهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النيمة وأنه معتن بها كما يعتني بالبدية للأمر
(٥) خبر (٦) المتعاون (٧) التهاون (٨) الذين يزنون الحديث للافساد (٩) لبث بالمكان أقام
(١٠) يشقوا (١١) للضلون (١٢) جلدأ (١٣) المفسدون — يريد بذلك أنه بني الاهانة
والابعاد والصد والاعراض على أوهم الأسباب وأضعفها وهو سعي التهام وخبر الفاسق وتزيين
الغواة والذين يشقون عصا الالفه ويمزقون أعراض الناس ويلجح في عبارته الى قوله تعالى
« يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق نبأ فتبينوا » الآية والى قول كثير عزة

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا اذا هي لم يصب على البرى عودها

(١٤) شبهة — يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله من يصدق
القسم به حتى أقسم به وأذهب اليه — والبيت للناطقة الديان من أعتد اياته للنعمان (١٥) ملك
(١٦) الأصفاء

إليك ولا نصبت^(١) لك بعد التشيع فيك ولا أزمعت^(٢) يأساً منك مع ضمان
تكفّلت به الثقة عنك وعهد أخذه حُسن الظنّ عليك ففيم عبث^(٣) الجفاء
بأذمتي^(٤) وعاث^(٥) العتوق^(٦) في مَوَائِي^(٧) وتمكّن الضياع^(٨) من
وسائلي^(٩) ولم ضاقت مذاهبي^(١٠) وأكذت^(١١) مطالبِي وعلام رَضيتُ من
الركب^(١٢) بالتعليق^(١٣) بل من الغنيمة بالاياب^(١٤) وأثني غابني المذاب^(١٥)
وجر^(١٦) على العاجز الضعيف ولطمعتي^(١٧) غير ذات سوار
ومالك لم تمنع من قبل أن أقترس وتدركني ولما أمزق^(١٨)

(١) الناصبي في العرف من كان عدواً لعلي وهو ضد الشيعة (٢) خفت — يقول أقسم بالله
أني مقيم على النصح لك ثابت على الميل إليك ولم اتخذ مذهب الناصبية مذهباً ولم يستغزني اليأس
منك وتلعب بي أيدي الأهواء فازتني بك وحسن ظني فيك قدضمتني إذ أطرد اليأس بالرجاء
في عفوك. وهذا الكلام من الاستقصاء البديهي بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم
يبق لقائل قول لو ولا ليت استجلاباً للرحمة وطلباً للعفو (٣) لب وهزل (٤) حرمان (٥)
أفسد (٦) ضد البر (٧) وسائلي (٨) الهلاك (٩) ما اتقرب به (١٠) طرقي (١١) ردت
(١٢) الركوب (١٣) المراد تعليق الأمتعة (١٤) الرجوع (١٥) المغلوب مراراً (١٦) اجتراً
(١٧) ضربتني على وجهي براحتي (١٨) أقطع — يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما
قدمه من وسائل الرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنت عليه المطالب وحتى رضي من عظيم
الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالماً واجتراً عليه كل ضعيف. وغلبه من كان له غلاباً
وظلمه من لم يكن له كفواً وقد ضمن عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال « أولها »
أرض من الركب بالتعليق يضرب في القناعة بأدراك بعض الحاجة « وثانيها » رضيت من الغنيمة
بالاياب يضرب في القناعة بالسلامة — وهو مأخوذ من قول امرئ القيس
لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله أيضاً

فانه لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يفتلك مثل مغلب
وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وحامسها « لو ذات سوار لطمعتني » قاله حاتم حينما
لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحررة — والثلاثة تضرب عند المعجز والذلة — ويشير
الى قول المتنقب العبدى

أَمْ كَيْفَ لَا تَضْطَرُّمُ^(١) جَوَانِحُ^(٢) الْإِكْفَاءِ^(٣) حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ
بِكَ وَتَمْقُطِعُ أَنْفَاسُ^(٤) النَّظَرَاءِ^(٥) مُنَافَسَةً^(٦) لِي عَلَى الْكِرَامَةِ فَيْكَ وَقَدْ
زَانَنِي اسْمُ خِدْمَتِكَ وَزَهَانِي^(٧) وَسَمِ^(٨) نِعْمَتِكَ وَأُبَلَيْتُ^(٩) الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي
سَمَاطِكَ^(١٠) وَقَمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ

أَلَسْتُ الْمُوَالِي^(١١) فَيْكَ غُرَّةَ قَصَائِدٍ هِيَ الْإِنْجَمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجِمَا
ثَنَاءً يَظِلُّ الرُّوضَ مِنْهُ مَنُورًا ضُحًى وَيُخَالِ الْوَشْيَ^(١٢) فِيهِ مُنَمْنِمًا^(١٣)
وَهَلْ لِبَسِ الصَّبَاحِ الْإِبْرَدَا^(١٤) طَرَزْنَهُ^(١٥) بَفَضَائِلِكَ وَتَقَلَّدْتُ^(١٦) الْجُوزَاءَ^(١٧)
إِلَّا عَقْدًا فَصَّلْتُهُ^(١٨) بِمَا تَرَكْتُ وَاسْتَمَلِي^(١٩) الرِّبْعُ الْإِثْنَاءَ أَمْلَأْتُهُ فِي مُحَاسِنِكَ
وَبَثَّ^(٢٠) الْمَسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَذْعَتَهُ^(٢١) فِي مُحَامِدِكَ (مَا يَوْمُ حَلِيمَةٍ بِسِرِّ) وَإِنْ
كَنتَ لَمْ أَكْسِكَ سَلِيًّا^(٢٢) وَلَا حَلِينِكَ عَطْلًا وَلَا وَسَمْتِكَ غَفْلًا^(٢٣) بَلْ وَجَدْتُ

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلًا فَكُنْ حَيْرَ آكِلٍ وَلَا فَادِرَ كَنِي وَلِمَا أَمْرُقُ
وَفِي هَذَا الْاسْتِفْهَامِ تَحْضِيزٌ لَهُ عَلَى الْإِنْجَادِ وَسُرْعَةِ انْقِاذِهِ (١١) تَتَقَدُّ (٢) أَضْلَاعُ (٣) الْإِمَالِ
(٤) جَمْعُ نَفْسٍ (٥) جَمْعُ نَظِيرٍ (٦) رَغْبَةٌ شَدِيدَةٌ (٧) الرَّهْوُ الْكَبِيرُ (٨) عَلَامَةٌ (٩) جَرَبَتْ
(١٠) السَّمِطُ الصَّفْ مِنْ النَّاسِ (١١) لِلتَّابِعِ (١٢) ضَرَبَ مِنَ الْحَرِيرِ ذُو الْوَانِ (١٣) نَوْبٌ
مَوْشِي بِالْوَانِ فِيهَا الْبَيَاضُ لَقَدْ أَتَى أَنْ زِيدُونَ مِنْ كَلَامِ السَّحَرِ وَسَحَرِ الْكَلَامِ بِمَا يَكْبُو دُونَهُ قَلَمُ
الْبَلِيغِ — وَذَلِكَ مِنَ الْإِعْتِرَافِ لِسَيِّدِهِ بِأَنَّهُ قَدْ أَوْقَدَ النَّارَ فِي قُلُوبِ الْحَسَادِ وَالنَّظَرَاءِ بِتَعَمُّدِهِ نَهْ
بِالْأَنْعَامِ وَصَلَتْهُ بِالصَّلَاتِ حَتَّى أَنْطَقَ لِسَانُهُ فِيهِ بِالْمَدَائِحِ الَّتِي ظَلَمْتَ مِنَ اللَّيْلِ أَنْجِمًا وَالثَّنَاءِ الَّذِي
أَزْهَرَتْ بِهِ الرِّيَاضَ وَوَشَّيَتْ بِهِ حُلُلَ الْفَضْلِ — وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْبَحْرِيِّ يَمَاتِبُ بِهَا الْفَتْحُ بِ
خَاقَانَ (١٤) رَدَاءَ (١٥) عَلِمْتُهُ (١٦) لَبَسْتُ (١٧) بَرَجَ (١٨) تَفْصِيلُ الْعَقْدِ جَعَلَ خُرْزَةَ بَيْنَ
كُلِّ لَوْلُؤَيْنِ (١٩) طَلَبُ الْإِمْلَاءِ (٢٠) نَشَرَ (٢١) أَشْعَتُهُ — وَالْمَعْنَى إِنْ فَضَائِلِكَ الَّتِي نَشَرْتَهَا فِي
مِدَائِحِي ظَهَرَتْ لِلْعَيْنِ ظُهُورُ الصَّبَاحِ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَضُءَ إِلَّا بِسَبَبِهَا — وَإِنْ عَقَدَ الْجُوزَاءَ لَمْ يَحْسُنْ فِي
سَرَايِ الْعَيْنِ إِلَّا لِكُونِ فَصْلَتِهِ فِي مُحَامِدِكَ وَكَذَلِكَ الرِّبْعُ لَمْ تَتَضَوَّعِ الْأَزْهَارُ بِنَشْرِهَا فِيهِ إِلَّا
لِكُونِهِ اسْتَمَلِي مِنَ الثَّنَاءِ الْمَلُوءِ بِمُحَاسِنِكَ ثُمَّ أَثْنَيْتُ أَنْ مَا تَقْدَمُ حَقَائِقِي ثَابِتَةٌ بِقَوْلِهِ مَا يَوْمُ حَلِيمَةٍ
بِسِرِّ وَهُوَ مِثْلُ عَرْنِي يَضْرِبُ فِي فَتْوِ الْأَمْرِ وَاتِّشَارِهِ (٢٢) مَسْلُوبًا (٢٣) عَادِمُ الْعَلَامَةِ

أَجْرًا^(١) وَجِصًا^(٢) فَبَنَيْتُ وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمْعَةٍ فَقُلْتُ حَاشَا^(٣) لَكَ أَنْ
أَعْدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ^(٤) وَأَكُونَ كَالَّذِ بَالَةً^(٥) الْمَنْصُوبَةِ تُضَيُّ لِلنَّاسِ وَهِيَ
تَحْتَرِقُ^(٦) (فَلَاكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى^(٧)) وَهُوَ بِكَ وَبِي وَفِيكَ أَوَّلِي وَلَعَمْرُكَ^(٨) مَا جِئْتُ
أَنْ (صَرِيحَ الرَّأْيِ^(٩)) أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ وَ (نَبَا بِي الْمَنْزِلَ^(١٠))
وَأَصْفَحَ^(١١) عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فَلَا (أَسْتَطِيءُ الْعَجْزُ^(١٢)) وَلَا
أَطْمَئِنُّ^(١٣) إِلَى الْغُرُورِ^(١٤) . وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ — خَامِرِي^(١٥)
أُمَّ خَامِرِي^(١٥)

(١) الطين المحروق (٢) الجير — أراد دفع مايتوهم من أنه يتفضل عليه بإذاعة المحاسن
ونشر المدائح وأنه اخترع له هذه السجايا والحلال حيث يقول له أني لم أمدحك إلا بما هو فيك
من خصائص الخصال وجبل الحلال وإنما أنا صفتها في القالب الذي يلتفت الأنظار ويحلي صدأ
الافكار (٣) تنزيهاً لك (٤) من النصب وهو التعب (٥) الفتيلة (٦) الصفة العليا — بعد أن عمل
جهد المستطيع في الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليحمله فائدة ونتيجة فترده عن أن يجعل
مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعبوا في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى —
ويشير إلى قوله تعالى « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلي نارا حامية » الآية وإلى قول
العباس بن الاحنف

صرت كأنني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وبالغ في التلطف بقوله فلأك للثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح وأنت أولى من
صفح عن زلة المسيء وأنا أولى من أدخرت مودته بالصفح عنه وما أحسن قوله وهو بك الخ كأنه
يقول هو بك أولى وهو بي كذلك إذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما اللطف ما ينسب
إلى الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في الامام احمد بن حنبل

قالوا يزورك احمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زرتك فلفضله أو زارني فيفضله فالفصل في الحالين له

(٧) حياتك (٨) سديده (٩) نبأ بي المنزل لم يوافقني (١٠) أعرض (١١) أستطويء العجز
اجده لبنا سهلا (١٢) أميل (١٣) ما يفتقر به من متاع الدنيا (١٤) استرى (١٥) كنية الضبيع
يقسم بحياته سيده أنه ما جهل إن سديد الرأي وجوب التحول عن مقام الأمانة متى شعر بلحاقها
به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وأنه كان عليه

وإني مع المعرفة أن الجلاء ^(١) سياء ^(٢) والنقلة ^(٣) مثله ^(٤)
ومن يفترب عن قومه لم يزل يرى مصارعَ مظلوم مجرا ومسحبا
وتُدفن منه الصالحات وإن يسيئ يكن مأساء النار في رأس كبكبا ^(٥)
عارف أن الأدب الوطن لا يخشى فراقه والخليط ^(٦) لا يتوقع زياله ^(٧)
والنسب ^(٨) لا يخفى والجمال لا يخفى ^(٩)
ثم ما قران ^(١٠) السعد بالكواكب أبهى أنزا ولا أثنى خطراً ^(١١) من اقتران
غنى النفس به وانتظامها نسقا ^(١٢) معه فإن الحائر ^(١٣) لها الضارب بسهم فيهما
« وقليل ما هم » ^(١٤) أينما توجه ورد منهل ^(١٥) برّ وخط في جناب ^(١٦)

ان يرحل ولا يستعمل العجز ولا يميل الى الفرور ولكن خات آماله وانمكست احواله فكان
الفرور نصيبه والامل قائمه فاغتر كما اغترت الضبيع بقول القائل — خامري أم عامر . يشير الى
قول أبي تمام

وأن صريح الرأي والحزم بامرئ اذا بلغت الشمس أن يتحولا
والى المثل العربي « العجز وطئ » يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب
وقوله خامري الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلبها ثم يميل اليها ويفتر بها (١) الخروج عن
الوطن (٢) أسر (٣) الانتقال (٤) تشكيل (٥) جبل (٦) المخالط (٧) مفارقه (٨) ذوالنسب
(٩) لا يهجر — بعد ان بين لسيده أنه لا يجمل ان الصواب التحول أراد ان يبين له أنه يعزف
أيضاً ان الانتقال فيه التشلل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وان حسنات الغريب مهجورة
وسيثاته منشورة فقال أني مع معرفتي بان خروجي من وطني أسري ودفن لمحاسني وانتقالي
منه الى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما انا متحل به من العلوم والآداب والكمالات
تشكيل . محاسني وتضييع لبهجة كالاتي فيجعل قدرتي وتهضم حقوقي وتدفن مني الصالحات ونشاع
على قلبها السيئات غير أني لا اعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطني الذي أعول عليه انما هو
الادب وهو ملازم لي أينما حلت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سيمرى الملازم لي فلا أتوقع غيابه
وان النسب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من
الانتقال بأساً ولا من التحول ضيماً — والبيتان للاعشي . والنقلة مثله — مثل مولد (١٠)
مصاحبة (١١) قدراً (١٢) النسق من الكلام وغيره ما جاء على نظام واحد (١٣) الجامع
(١٤) قليل ما هم يريد بذلك التمريض لسيده بأنه لا نظير له في أخلاقه وآدابه (١٥) عين (١٦) ناحية

قبول وضوحك قبل إنزال رحيله وأعطى حكم الصبي على أهله
وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مميتٌ صالحٌ ومقبلٌ
غير أن الوطن محبوبٌ والمنشأ مألوفٌ واللييب يحنُّ إلى وطنه حين
التجيب^(١) إلى عطنيه^(٢) والكريم^(٣) لا يجفوا أرضاً بها قوايله^(٤) ولا ينسى بلداً
فيها مرأضه — قال الأول

أحبّ بلاد الله ما بين منيع^(٥) إلى وسلمى أن يصبّ سحابها
بلاد بها حلّ الشباب تمانى^(٥) وأول أرض من جلدى ترابها

بعد أن بين أن الأدب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطناً في الغربة وفرجة عند الكربة بين
أنه يكون أكبر نفعاً وأعظم جدوى إذا صاحبه غني النفس فإن المتحلي بحلاما القابض على زمامهما
أينما يم فالسعد قرينه والناس أهله يقولون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لأول وهلة
او مجرد نظرة ويعطونه حكم الصبي على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبد ويقولون له لقيت أهلاً
ونزلت مكاناً سهلاً واسماً رحباً فانس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فانت رب الدار . وقوله
ما قران السعد الخ اخذه من قول البيهقي

واتم الأشياء نورا وحسناً بكر شكر زفت الى صهرير

ما قران السعد بالحوت ابي منظرأ من قران ير وشكر

وقوله أعطى حكم الصبي الخ عبارته كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا عنده واحكرهم
واصل البيت المذكور — فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مميت صالح وصديق
(١) التجيب من الأبل الفعل الكريم (٢) مبرك الأبل حول الماء (٣) جمع قابلة وهي ما تلتقي
المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تيمية وهو ما يعلق للطفل حفظاً له — بعد أن
بين له أن سديد الرأي الانتقال وأنه لا يخاف عاقبة ذلك لادبه وغني نفسه اراد ان يبين له
السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف .

ما من غريب وان ابدى تجلده الا سيدكر عند الغربة وطنه

ولا غرو فهو اول ارض وجد بها واول تربة تضخ بها جسده واول بقعة نما فيها فكره
وأول جهة قضى فيها الشباب ما ربه مع اخوان واحباب وخلان وارتاب — فاذا تذكر هذه
الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى اغصان شبابه تמיד على تلك الأوطان وتمايل
مع النسيم تمايل البان فيحن إليها حين الغريب الى وطنه وانه ليس من كرم الأصل وشرف
لحشد ان يهجر الانسان قوايله ومرأضه لما لهن عليه من الخير العيم والفضل الجسم اثناء

هذا إلى مُقالاتي ^(١) بمقد جوارك ومُناقصتي ^(٢) بلحظة من قربك واعتقادي أن القلم في غيرك طبع ^(٣) والغنى من رسواك عناء والبذل منك أعور والعوض لَفَاء ^(٤) وكل الصيد في جوف الفراء ^(٥)

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني ضناً به نظري إلى الأمراء
وفي كل شجر نار وأستمجدُ (المرخ والغفار) ^(٦) فما هذه البراءة ممن
يتولاك ^(٧) والميلُ عن لا يميلُ عنك — وهلاً ^(٨) كان هواك ^(٩) فيمن هواه
فيك ورضاك فيمن رضاك لك

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلَّ شيء بعدكم عدم

الصنف فالواجب عليه أن يعملن في إبان الكبر حتى يجنين ثمرات اتعابن ويسرن بحسن معاملته
لهن — والبيتان لبعض الاعراب (١) مجاوزتي الحد (٢) رغبتني فيك على وجه الباردة
(٣) دنس (٤) خيس (٥) حار الوحش (٦) نوطان من الشجر سريعاً الوري . واستمجد
استفضل وقيل اقتدح على الهوينا — بعد أن بين محبة الوطن والله المنشأ وسبب ذلك الطبيعي
أراد أن يبين للأميران ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل لي على المكث بل انضم إليه ما هو
أشد منه تأثيراً وأعظم خطراً ألا وهو شدة محبتي لجوارك وحظوتي بقربك وانت أكرم من
حفظ الجوار حرمة ووضح محبته واعتقادي بأن الطمأنينة إلى غيرك غرور والثقة بخلافك
خذلان وعدم رضائي بسواك بدلاً ولا بقيرك عوضاً وكيف استبدل السمين بالفت والتعب بالراحة
أم كيف انظر إلى غيرك من الأمراء وغيرك فيك

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نعم وإن اشتركوا ملك في القلب إلا أنهم لم يشتركوا معك في كمال الأدب وفي كل شجر نار واستمجد
المرخ والغفار في ذلك من استمالة القلب ما يدهش القلب وقد جعت هذه العبارة من الأمثال ما يزري
بالآل — قالوا « رب طمع يجبر إلى طبع » وثانيهما « كل الصيد في جوف الفراء » وهو
يضرب لمن يفضل نفسه على أقرائه وثالثها « البذل منك أعور » يضرب لكل مالا يرتضي به
من الذاهب وأصله أن يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحاً
أعور قال الناس هذا بدل أعور — ورابعها « رضي من الوفاء بالفاء » يضرب لمن يرضى
بالقليل من الكثير — وخامسها « وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والغفار » يضرب في تفضيل
بعض المشتركين في صفة على بعض (٧) مصارع تولاه صار وليه (٨) كلمة تخفيف (٩) ميل

أعيزك ونفسي من أن أشبم ^(١) خائباً ^(٢) وأستمطر جهاهما ^(٣) وأكدم ^(٤) في غير مكدم وأشكو وشكوى الجريح إلى الغربان والزخم ^(٥) فما أبست ^(٦) لك إلا أنتدّر ولا حركت لك الحوار ^(٧) إلا لتحنّ ولا نبهتك إلا لأنام ولا سرّيت إليك إلا لأحمد المشرى ^(٨) لديك

وإنك إن سنيت ^(٩) عقد أمرى تيسرومتى أعذرت ^(١٠) في فك أنمرى لم يتعذر وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه ^(١١) يعود به صدقه

وإذا امرؤ أهدى إليك صديعة من جاهه فكأنها من ماله

النفس — بعد أن بين له أنه لا يرضى بما سواه وأنه يفضل جواره على ما عده وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل إليه رجح يتكر عليه ذلك بطريق الاستهزام كما هو الأدب من حيث يقول كيف تنبرأ مني وأنا أواليك وتميل عني وتهجرني وأنا لا أميل إلا إليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبي ^(١) شام البرق نظر إلى سحابته أين تمطر ^(٢) البرق لاغيث معه ^(٣) السحاب لأماء فيه ^(٤) أعرض ^(٥) طائر ضعيف ^(٦) الأيساس الرفق ^(٧) ولد الناقة ^(٨) السير ليل — يطلب منه أن يجعل لأعماله نتيجة يجني ثمرتها وإن يكون سيده غارس دوحها وإن لا يجعله كالستبيح الماء من الصخر والمستجير عند كربته بعمرو والمستمطر الجهاهم والناظر إلى البرق الخلبيل يرسل عليه عطفه مدراراً وإن يصل رحم الجوار بعد القطعة ويقر عيناً أضرها سهاد الجفوة وإن يحمد إليه سراه ويحسن عقابه ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها في قالب غريب المثال يشير فيها إلى قول ابن معد يكرب

لأمني بعد أكرامك لي فشديد عادة منتزعة

لا يكن برفك برقاً خلباً أن خير البرق ما ألغيث معه

والى المثل العربي « كدمت في غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئاً من غير أهله وإلى قول المتنبي ولاتشك إلى خلق قشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

والى الأمثال العربية « الأيساس قبل الأيناس » وهو يضرب في الرفق و « حرك لها حوارها تحن » وهو يضرب في استهزاء الهمة و « نه لها عمرأ ثم نم » يضرب فيمن يعتمد على غيره و « عند الصباح يحمد القوم السري » وهو يضرب عند حمد الماغبة ^(٩) سهلت ^(١٠) بالفت في طلب العذر ^(١١) التزلة — يقول لسيده أنني ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الأحوال ولا

لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا بَذْرَاكَ^(١) وَتَسْتَقَرَّ بَنَى النُّوَى^(٢) فِي ظِلِّكَ وَأَسْتَأْنِفَ^(٣) التَّأْدِبَ
بَأَدَبِكَ وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ^(٤) لِحُظِّهِ^(٥) وَلَا
أَدْعُ الْقَادِحَ^(٦) مَسَاغَ^(٧) لِفُظِّهِ

وَاللَّهُ مُبَيِّنٌ لِمَنْ أَطْلَبَ^(٨) بِهِذِهِ الطَّلَبَةَ^(٩) وَاشْكَاؤِي^(١٠) مِنْ هَذِهِ
الشُّكْوَى بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظُ مُسْتَوْدِعٍ حَسْبَمَا
أَنْتَ خَلِيقٌ^(١١) لَهُ وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ^(١٢) بِهِ وَذَلِكَ يَدِيهِ وَهَيْئَتِهِ عَلَيْهِ

بِمَعَانَاتِ الْأَحْوَالِ وَلَا يَمُدُّ نَجْمُ السَّمَاءِ وَلَا رَمَالُ الدَّهْنَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يَكْبُرُ فِي عَيْنِ سَائِلِهِ وَيَصْفُرُ
عِنْدَ بَازِلِهِ وَهُوَ فِي يَدِكَ وَقَبْضَتِكَ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَإِنْ سَهَكَ عَسِيرُهُ سَهْلٌ وَإِنْ التَّمَسَّتْ لِي الْمَعْدَرَةُ
إِنْتَفَتِ الصُّعُوبَةُ وَإِنْ تَعْلَمُ زَادَكَ اللَّهُ عِلْمًا أَنَّ النِّعْمَةَ شَجَرَةٌ ثَمَرُهَا الْمَعْرُوفُ وَإِنْ الْمَرْوَةَ مَالُ ذِكْلِهَا
الشِّفَاعَةُ وَشِفَاعَةُ اللِّسَانِ أَفْضَلُ زَكَاةِ الْإِنْسَانِ وَبَدَلُ الْجَاهِ رَفْدُ الْمُسْتَعِينِ وَأَيُّ ذَلِكَ بِالْبَيْتِ بَعْدَهُ -
وَقَوْلُهُ إِنْ سَنَيْتَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ بَشَارِ

فَبِاللَّهِ تَوَكَّلْ إِنْ عَزَّ مَا تَبْتَغِي وَقُلْ إِذَا اللَّهُ سَنِيَ عَقْدَ أَمْرِ تَبَيَّرَا

(١) كُلِّ مَا اسْتَرْتَبْتَهُ (٢) مَا يَتَوَيَّهُ الْمَسَافِرُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعْدَ (٣) ابْتَدِئْتُ (٤) جَالِ طَافَ (٥) نَظَرَهُ
(٦) الطَّاعِنُ (٧) سَاغَ الشَّرَابُ سَهْلَ مَدْخَلِهِ فِي الْحَلْقِ - يَقُولُ أَرْجُو مِنْ سَيِّدِي أَنْ يَغْفِرَ
عَنْ ذَنْبِي وَتَقْصِيرِي وَيُلِيَّ نِدَائِي هَذَا كَيْ أَسْكُنَ فِي ظِلِّكَ وَكَتَفِكَ وَلَا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِكَ وَتَكُونَ
غَايَةَ آمَالِي وَمُنْتَهَى أَسْفَارِي وَأَتُوبُ عَمَّا كُنْتُ مَرْتَكِبُهُ وَمَتَمَسِّكًا بِهِ مِمَّا لَا يَرْضِيكَ وَأَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِكَ
وَأَتَمَسَّكَ بِطَرِيقَتِكَ وَأَحْذَرُ حَذْرَكَ وَأَتَّبِعُ مَذْهَبَكَ وَبِذَلِكَ لَا يَجِدُ عَدُوِّي فِي مَدَارِ لِحْظِهِ وَلَا الطَّاعِنُ
مَا يَسُوغُ مِنْ لَفْظِهِ . وَقَوْلُهُ لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا لَعَلِّي أَلْقَى الْعَصَا

وَاللَّهُ مُبَيِّنٌ لِمَنْ أَطْلَبَ^(٨) بِهِذِهِ الطَّلَبَةَ^(٩) وَاشْكَاؤِي^(١٠) مِنْ هَذِهِ

(٨) أَسْأَلُكَ (٩) مَا أَطْلَبُهُ (١٠) إِزَالَةُ مَا أَشْكُوهُ (١١) جَدِيرٌ (١٢) حَقِيقٌ يَقُولُ لِسَيِّدِهِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لَكَ مَطْلَبِي وَأَسَاعَى وَإِزَالَةَ مَا أَشْكُوهُ مِنَ الْأَمِّ السَّجْنِ بِمَعْرُوفٍ تَبَدَّلَهُ لَاهِلُهُ وَتَحَفَظَهُ
عِنْدَ أَمِينٍ لَوْ قَتَلَهُ حَسْبَمَا يَقْتَضِيهِ كَرَمُ أَخْلَاقِكَ وَجَمِيلُ صِفَاتِكَ وَأَنَا أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ لِمُودَّتِي لَكَ وَأَخْلَاصِي
فِي وَلَائِكَ وَمَا ذَلِكَ عَلَيْكَ بِمُزَيَّرٍ

إِنْ الصَّنِيعَةُ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى تَصِيبَ بِهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ

﴿ مكاتبات متفرقة ﴾

(كتبت الدولة العلية العثمانية إلى إحدى الدُول الأربعة)

أيها الوزير الأتقىم — إن لفظة (تقسيم تركيا) إفاك لا يفوه به عاقل ولا يتصوره إنسان تكاد تنفطر له السماء دهشة وترنج له الأرض وحشة بل تخزونه الجبال وتنفك عنده الآمال كأن أوربا تستطيعه ولكنها لم تفعله: ولن تفعله ولو كان بعضهم ببعض ظهيرا فقل (اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) تقسيم تركيا كلمة ليست أكبر من أوربا فقط بل هي أكبر من منظومة هذا العالم الشمسى الذى تراه أو تسمع به ان كنت لا تراه فلا يليق أن يفوه به الا فم القدرة الالهية (القائم على كل نفس بما كسبت والله غالب على أمره) ولكن أكثر الناس لا يعلمون (تقسيم تركيا ربما يكون ولكن متى يكون ؟ يكون حينما يتحلّى وجه البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية يوم ترى الارض لابسة تلك الحلة الأرجوانية الثمينة حيث تمشى الدماء على فيروزج الفضاء محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق : لا أرض لمن تقل ولا سماء لمن تظل ولا قائم موجود ولا دائم مقصود — هنالك تتحدث شياطين الخيال فى أندية المحال بحديث ذلك التقسيم المشؤم ولا من سميع ولا من مجيب فالويل ثم الويل يوم ذلك التقسيم الموهوم والنُبُور ثم الثُبُور اذا تزلت السماء بقضاء ذلك الهول المقسوم : ان فى ذلك لبلاغا لقوم يتفكرون)

« وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ فى شكر صديق له على مراسلته اياه »
وصل ما وصلتني به ^(١) جعلني الله فداك ^(٢) من كتابك بل نعمتك التامة

(١) ورد الى كتابك الذي ربطتني به معك (٢) أي وضعني الله مكانك في كل مكروه حتى تخلص منه

وَمِثْلِكَ الْعَامَةِ ^(١) فَقَرَّتْ عَيْنِي بِوُرُودِهِ ^(٢) وَشَفَيْتْ نَفْسِي بِوُفُودِهِ ^(٣) وَنَشَرْتَهُ
فَحَكِي نَسِيمَ الرِّيَاضِ غَيْبَ الْمَطَرِ ^(٤) وَتَنَفَّسَ الْأَنْوَارَ فِي السَّحَرِ ^(٥) وَتَأَمَّلْتُ مُفْتَتِحَهُ
وَمَا اشْتَمَلُ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ كَلِمِكَ وَبِدَائِعِ حِكْمِكَ ^(٦) فَوَجَدْتَهُ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ فَنُونِ
الْبَرِّ عَنْكَ ^(٧) وَضُرُوبِ الْفَضْلِ مِنْكَ ^(٨) جَدًّا وَهَزَلًا ^(٩) مَلَأَ عَيْنِي وَغَمَّرَ قَلْبِي ^(١٠)
وَغَلَبَ فِكْرِي وَبَهَرَ لَبِي ^(١١) فَبَقِيْتُ لَا أَدْرِي أَسْمُوطُ دَرِّ خَصَصْتَنِي بِهَا ^(١٢) أَمْ
عُقُودُ جَوْهَرٍ مَنْحَنِيهَا ^(١٣) وَلَا أَدْرِي أَجَدُّكَ أَبْلَغُ وَالْطَفُّ أَمْ هَزَلُكَ أَرْفَعُ
وَأُظْرَفُ وَأَنَا أَوْكَلُ بِتَتَبِّعُ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ نَفْسًا لَا تَرَى الْحِظَّ إِلَّا مَا اقْتَنَتْهُ مِنْهُ ^(١٤)
وَلَا تَعْدُ الْفَضْلُ إِلَّا فِيمَا أَخَذْتُهُ عَنْهُ وَأَمْتَعُ بِتَأْمَلِهِ عَيْنًا لَا تَقَرُّ إِلَّا بِمِثْلِهِ تَمَّا يَصْدُرُ
عَنْ يَدِكَ وَيَرُدُّ مِنْ عِنْدِكَ وَأَعْطِيهِ نَظْرًا لَا يَمَلُّهُ وَطَرَفًا لَا يَطْرِفُ دُونَهُ ^(١٥) وَأَجْعَلُهُ
مِثْلًا لَأَرْتَسِمَهُ وَأَحْذَرُهُ ^(١٦) وَأَمْتَعُ خَلْقِي بِرُوحِهِ وَأَغْدِي نَفْسِي بِبَهْجَتِهِ وَأَمْزِجُ
قَرِيبِي بِرُوحِهِ وَأُشْرِحُ صَدْرِي بِقِرَاءَتِهِ وَلَكِنْ كُنْتُ عَنْ تَحْصِيلِ مَاقَلْبَتِهِ عَاجِزًا وَفِي
تَعْدِيدِ مَا ذَكَرْتُهُ مُتَخَلِّفًا لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنَ السِّحْرِ الْحَلَالِ

« وَكُتِبَ السَّيِّدُ تَوْفِيقُ الْبَكْرِي فِي سَفَرَتِهِ إِلَى الْأَسْتَاثَةِ الْعَلِيَّةِ »

كِتَابِي إِلَى السَّيِّدِ الْأَجَلِّ وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْهِ وَأَدْعُوهُ أَنْ يُدِيمَ النِّعْمَةَ وَالسَّلَامَةَ
عَلَيْهِ: وَبَعْدُ — فَلَمَّا اعْتَزَمْتُ عَلَى الرَّحْلَةِ هَذَا الْعَامَ إِلَى قُبَّةِ السَّلَامِ وَدَارِ خِلَافَةِ

(١) أي الذي ورد الي هو خطابك الذي أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميعك الشامل (٢) فاطمأن قلبي بوصوله الي (٣) وطابت نفسي بمجيئه الي (٤) ونشرته أي فتحت فحكي نسيم الرياض غيب المطر اي أشبه الريح الذي تهب من البساتين بعد ما نزل المطر عليها (٥) واشبه تفتح الازهار في اواخر الليل (٦) اي وتدبرت في مدمره وفي الكلمات اللطيفة التي اودعتها فيه والحكم البديعة التي نثرها فيه (٧) أي شاهدت منه أنواعا من الاكرام أثبتتها فيه (٨) واصنافا من الافضل دونها فيه (٩) من الامور الهامة الجدية والامور المفرحة المازحة (١٠) ملا عيني يعني صرفها عن النظر الى غير احسانك — وغمر قلبي اي لم يدعه منصرفا الى غير افضالك (١١) وغلب فكري اي استحوذ على عقلي وبهرلبي اي راع عقلي وسباه (١٢) اي عقود درقصرتها على (١٣) منحنيها اي اعطيتها (١٤) اكسبته (١٥) الطرف العين ويطرف يطبق جفنا على الآخر (١٦) ارسه في فكري واقتدي به

الأسلام وفارقت مصر وساكنها وأرباضها ^(١) ومواطنها رَكِبَتْ سفينة
عَدَوِيَّة ^(٢) الى الثُّغُورِ الفَرَنْجِيَّةِ فَجَرَّتْ فِي خِصَمٍ ^(٣) عَجَاجٍ مُلْتَظَمِ الْأَمْوَاجِ لَهُ
دَوِيُّ مِنْ جَرَجَرَةٍ ^(٤) الْأَذْيِ ^(٥) أَخْضَرَ الْجِلْدَ كَأَنَّهُ إِفْرَنْدٌ ^(٦) تَصْطَغِيبٌ ^(٧)
فِيهِ النَّيْنَانُ ^(٨) وَتَجْرَى فِي جَوْفِهِ الدَّعَامِصُ ^(٩) وَالْحَيْتَانِ إِذَا مَا زَجَّهَ الْأَصِيلُ ^(١٠)
بِالْعَشِيِّ رَحْلَتُهُ كَسُمِّرَتْ ^(١١) عَلَيْهِ الْخَلْيُ أَوْ مُزَجَّ بِالرَّحِيقِ ^(١٢) الْقَطْرُبِلَى ^(١٣)
وَأِنْ لَاحَتْ بِهِ نَجُومُ السَّمَاءِ خَلَّتْهُ صَفَاحٌ مِنْ فِضَّةٍ يَبْضَاءُ سُمِّرَتْ بِمَسَامِيرِ صَفَارٍ مِنْ
نُضَارٍ ^(١٤) وَأَخَذَتْ السَّفِينَةُ تَشْقُ عُبَابَهُ ^(١٥) وَتَقْلُقُ حَبَابَهُ ^(١٦) بَيْنَ رِيحِ رُخَاءٍ ^(١٧)
أَوْ زَعَزَعٍ ^(١٨) هَوَّجَاهُ ^(١٩) فَهِيَ تَارَةٌ فِي طَرِيقِ مُعَبَّدٍ ^(٢٠) وَرَمِيثٍ ^(٢١) مُسَرَّدٍ ^(٢٢)
وَطُورٍ أَوْفَقَ حَزْنٍ ^(٢٣) وَقَرَدَدٍ ^(٢٤) أَوْ عَلَى صَرْحٍ ^(٢٥) مُسَرَّدٍ ^(٢٦) — وَكَانَ مَعْنَا
فِي الْفُلْكِ رَهْطٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالتُّرْكِ فَكُنَّا تَتَوَارَدُ مَعَهُمْ فِي جَوَائِبِ ^(٢٧) الْأَخْبَارِ
وَطُرْفِ ^(٢٨) الْأَحَادِيثِ وَالْأَسْمَارِ ^(٢٩) مَا يُزْرَى ^(٣٠) بِالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ وَالْقَوْلُ
الرَّطْبُ إِلَى أَنْ يَمِيلَ مِيزَانُ النَّهَارِ وَتَغْرُقَ ذُكُلُهُ ^(٣١) فِي الْبَحَارِ وَيُسْمِيَ الْكُونُ
مِنَ السَّوَادِ فِي أَبُوسٍ ^(٣٢) حَدِيدٍ أَوْ لِبَاسٍ حِدَادٍ وَتَبْرُقُ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي أَكْنَافِ

(١) مساكنها (٢) نسبة الى قرية عدولي بالبحرين او نسبة الى صانها والمقصود انها اضغمت
سفينة (٣) البحر (٤) الصوت (٥) الموج (٦) جوهر السيف (٧) تختلط اصواتها (٨) جمع
نون الحوت (٩) جمع دمعوس دودة لها رأسان ترى في الماء اذا قل (١٠) الوقت بعد العصر
حتى تغرب الشمس (١١) ردت ووضعت (١٢) الحجر (١٣) بضم القاف وتسكين الطاء وضم الراء
وتشديد الباء الحجر المنسوب الى قطر بل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالحجر (١٤) الذهب
(١٥) بضم العين الموج (١٦) بفتح الحاء ما يبلو الماء (١٧) بضم الراء الريح اللينة (١٨) بفتح
الزايين الريح الشديدة (١٩) بفتح الهاء القوية تطلع الاشجار واليوت (٢٠) مذلل ومسهل
(٢١) جمع ميثاء الارض السهلة (٢٢) منتظم لاصموية فيه (٢٣) الارض الصعبة (٢٤) الارض
المرتفعة الغليظة (٢٥) القصر (٢٦) مرد البناء ملسه حتى صار ناعماً (٢٧) الاخبار الطارئة
(٢٨) المحاسن (٢٩) الاحاديث واصله لاحاديث الليل (٣٠) يسيب ويحقر (٣١) بضم الذال
ممنوعة من الصرف اسم للشمس (٣٢) بفتح اللام الدرع

الظلماء كأنها سلكك ^(١) دِلاص ^(٢) أو فلق رصاص أو عيون جراد أو جمر
في خلال رماد أو دُر في بحر أو ثقب في قبة الدنجور ^(٣) يلوح منها النور
ويبدو الهلال كأنه خنجر من ضياء يشق طيالس الظلماء أو قلادة أو دملج ^(٤)
غادة ^(٥) أو سينان ^(٦) لواه الضراب أو الليل فيل وهو ناب فتأخذ مجلساً
نسمه ^(٧) الكافور وأرضه عنبر مذور ^(٨) رُقيمت فيه زرابي مبثونات ^(٩)
ومنابد ^(١٠) وحسابات ^(١١) وأنماط ^(١٢) مفروشة وبُسْط منقوشة

بُسْط أجاد الرسم صانعها وزها عليه النقش والشكل
فيكاد يُقطف من أزهارها ويكاد يسقط فوقها النحل
وحوله شموع تزهو وأضواء تبهر ^(١٣) وقد دارت عليه سقاة ^(١٤) كجماع ^(١٥)
الثرى ^(١٦) بأقداح الحمى ^(١٧) وأكواب ^(١٨) الفانيد ^(١٩) المرووق وقوارير ^(٢٠)
الجلاب ^(٢١) المصقق ^(٢٢) ثم تبحى قينة ^(٢٣) في يدها ناي كأنه صور اسرافيل
يبحى الرفات ^(٢٤) ويُنشر ^(٢٥) الأموات حتى إذا بدا الضياء كابتسام الشفة
اللياء ^(٢٦) دخلنا المضجع تهجع وهلم جراً ^(٢٧) في أيامنا الأخرى الى أن

(١) جمع سك السمار (٢) بكسر الدال الذي يبرق ويلع (٣) الظلام (٤) بكسر الدال
وزن درهم أو بعضها مع ضم اللام حلي للنساء يلبسه في ايديهن (٥) المرأة الناعمة لينة الاعطاف
(٦) حديدة الرمح (٧) نسيه (٨) منشورا (٩) منشورات (١٠) جمع منبذة وزن مكنسة
الوسادة التي يتكأ أو ينام عليها (١١) جمع حساباة الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها ايضاً (١٢) جمع
نمط ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الالوان (١٣) تزهو وتهير كلاماً بمعنى
تضيء ويلبها منع (١٤) جمع ساق (١٥) بالضم ما جمع وانضم بعضه الى بعض ومراده القلمان
(١٦) سبعة كواكب منتظمة بعضها الى بعض (١٧) الحمر والمراد الشراب (١٨) جمع كوب
الكوز المستدير الرأس لاعروة له اولاً خرطوم (١٩) نوع من الحلوي فارسي معرب يانيد
(٢٠) جمع فارورة ما يوضع فيها الشراب من الزجاج (٢١) ماء الورد فارسي معرب (٢٢) المرووق
الصافي (٢٣) المنية (٢٤) الحطام البالي والمراد الاموات (٢٥) يحياها (٢٦) فيها لى وهو سواد
الشفة (٢٧) مناه اتصال الامر واستدامته

وطئنا ^(١) أرض القوم بعد ثلاثة أيام وبعض يوم فلما أضحت مرأى عين كبرنا
تكبير ابن الحسين

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق
ورأينا ما رأينا من عمران وحضارة ورُفْهِيَّة ^(٢) وشارَة ^(٣) وزراعة
وصناعة وتجارة وضخامة سلطان وعظم بُنيان وجواد كلاً وُدِيَّة بين الأطوَاد ^(٤)
وكأنما الناس في المدينة احتفلوا ليوم الزينة أو هم لكثرة الحركة منهزموا
مَعْرَكَة فهم غادون ورائحون زرافاتٍ ^(٥) ووحداناً إناثاً وذكراناً وقد لبئنا ^(٦)
في تيك البلدان هنيئة من الزمان تتقلب في جنباتها وتنتقل في أنحائها وجهاتها إلى
أن قدمنا القسطنطينية إبان الخلافة الإسلامية وعش الدعوة المحمدية فاذا النعيم
والملك الكبير والجنة والحرير واذا بقعة أطيب الأرضين رُقعة وأمرعها ^(٧)
نُجْمَة ^(٨) وقد اعتلت منائرهما في الفضاء وحلقت ^(٩) قصورها بالسما فلبست أردية
الغيوم وتقلدت عُنُقُود النجوم ولاحت مقاصيرها ^(١٠) البيضاء في أكتافها ^(١١)
الحضراء وجرى بينها خليج الماء فكانها النجوم والحجرة ^(١٢) والسماء واكتظت ^(١٣)
نواحيها بالآثار وحشدت ^(١٤) بالجوامع الكبار وناهيك « بأياصوفية » ^(١٥) وما
أدراك ما « أياصوفية » هو بنية ^(١٦) تعلوها شرافات ^(١٧) عليه وقبة ضخمة
جوفاء ^(١٨) كأنها قبة السماء وأرض تلك البنية كاللاوية ^(١٩) من مرمر ^(٢٠)

(١) دخلنا (٢) بضم الراء وفتح الفاء وسكون الهاء وكسر النون وتخفيف الياء الرفاهية وليان
العيش والنعيم (٣) الحسن والجمال (٤) الجبال العظيمة (٥) جمع زرافة الجماعة من الناس (٦) اقنا
(٧) أكثرها كلاً وعشياً (٨) بضم النون مساقط التيث (٩) ارتفعت (١٠) نواحيها
(١١) جوانبها (١٢) نجوم كثيرة تنشر ضوءها فيرى كأنه بقعة يضاء (١٣) امتلأت (١٤) ملكت
(١٥) جامع (١٦) البناء المرتفع (١٧) شرفات البناء مثلثات تبني متقاربة في أعلى القصر أو السور
(١٨) ذات جوف (١٩) للراة (٢٠) الرخام اللعابي

أَلَا ق^(١) ذِي بَصِيص^(٢) بَرَّاقٍ وَفِيهَا دَعَائِمُ كُلِّ دُعَاةٍ^(٣) كَالْحَقِّ اسْتِقَامَةً وَبِهَا
مَحَارِبُ وَحَنَائِيَا^(٤) وَأَقْبِيَّةٌ وَزَوَايَا وَمِنْهَبٌ كَأَنَّهُ أَرِيكَةُ^(٥) سُلْطَانٍ فِي
أَلْخَوَرَنَقِ^(٦) أَوْ غَمَدَانِ^(٧) هَذَا وَقَدْ نَزَلْتُ مِنْ كَنَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي دَارِ السَّعَادَةِ وَمَشْرِعِ الْفَضْلِ وَالْمَجَادَةِ وَمَطْلَعِ الْجُودِ وَفَلَكَ السُّعُودِ
وَحَظِيْرَةِ^(٨) النِّعَمِ وَمَشْعَرِ^(٩) الْهَمَمِ وَأَقَمْتُ ضَيْفًا عِنْدَ السَّيِّدِ السَّنْدِ الْهَزْبِيِّ^(١٠)
النَّضْدِ^(١١) تَاجِ آلِ مُحَمَّدٍ السَّيِّدِ فَلَانٍ فِي عِصَابَةِ^(١٢) مِنَ الصُّوَابَةِ^(١٣) لَا تَعِيبَ
فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَنْسُونَ الْغَرِيبَ وَطَنَهُ وَحَامَتَهُ وَسَكَنَهُ لَمْ أَعْرَاقُ عَرِيَّةً وَأَخْلَاقُ
هَاشِمِيَّةً وَحَمَاسُ^(١٤) وَسَمَاحُ^(١٥) كَلَمَاءُ وَالرَّاحُ - وَلَمْ أَكْذِبْ أَلْقَى الْعَصَا وَتَسْتَقَرُّ بِي النَّوَى -
حَتَّى جَاءَنِي سَلَامٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّتُهُ السَّلَامُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ
« أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ »

✽ وَكَتَبْتُ السَّيِّدَةَ وَرْدَةَ الْيَازْجِيَّةَ إِلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ تَيْمُورِ الْمَتُوفَةِ سَنَةِ ١٣٠٠ هـ ✽
سَيِّدَتِي وَمَوْلَاتِي - أَعْرَضَ أَتَنِي يِنْمَا أَنَا أَنَهْجُ بِذِكْرِ أَطَافِكِ السَّنِيَّةِ
وَأَتَنَسَّمُ شِدَا أَنْفَاسِكِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَأَتَرْقُبُ لِقَاءَ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكِ يَتَعَلَّلُ بِهِ الْخَاطِرُ
وَيَكْتَحِلُ بِإِنْمِدِّ مِدَادِهِ النَّظَرُ

وَصَلَّتْهُنَّ مَكَاتِبَتُكُمْ فَجَلَّتْ عَنْ الْعَيْنِ أَقْنَاءُهَا وَرَدَّتْ إِلَى النَّفْسِ صَفَاءُهَا
فَتَنَاوَلَتْهَا بِالْقَلْبِ لَا بِالْبَنَانِ وَتَصَفَّحَتْ مَا فِي طَيِّبِهَا مِنْ سِحْرِ الْيَبَانِ - فَمَاتَ

(١) كثيرا للمعان (٢) البرقي واللمعان (٣) بكسر الدال عماد البيت والجمع دعائم (٤) جمع
حنية القوس ومراده ما كان متخنياً على هيئة القوس كالقنطرة (٥) السير (٦) بفتح الحاء والواو
وتسكين الراء قصر بالعراق كان للنعمان الأكبر ابن امرئ القيس (٧) بضم الفين اسم قصر
بالبين (٨) المكان الذي يؤوى اليه (٩) ما يستظل به (١٠) بكسر الهاء وفتح الزاي وسكون الباء
للوحدة اسم من اسماء الاسد (١١) بفتح النون والضاد الشريف (١٢) بكسر العين الجماعة من
لرجال (١٣) بضم الصاد وتشديد الواو وفتح الباء الموحدة لباب القوم وخيارهم

هذا الكتاب الذي هام الفؤاد به ياليتني قلم في كَفَرِ كاتبه
ولعمري انه كتاب حوى بدائع المنشور والمنظوم ونحلى من دُرر الفصاحة
فأخجلت لديه درارى النجوم وقد تطلعت على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقاً
بتقصيرى وضمنته من مدح سجاياكم الغراء وما يشفع لدى مكارمكم فى قبول
معاذيرى لازتم للفضل معدناً وذخراً وللأدب كنزاً وفخراً
(وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ)
أستهل براءة سلامٍ حمل الشوقُ رسالته وتقلد الشفقُ ما نشقت ناشقة
عرّف الوداد كفالته ولو رَضيتُ المجال فى صدق المقال لنطق بخالص الوفاء مدادُ
حروفه وأقام بأداء التحية العاطرة قبلَ فضِّ ختام مظرُوفه ولعمري قد توجّه
أزهارُ الثناء بلائى غراء كللته زواهر الوفاء من خالص الوداد إلى حضرة من
لا تزال تستروح الأسماعُ بنسيم أنبائها صباح مساء — وتتشوق الأرواح إلى
استطلاع بدرِ إنسانها الكامل أطرافاً وآناء — وما زادني شوقاً إلى شوق حتى
لقد شبَّ فيه طفل الشفق عن الطوق اجتلاى حديقة « الورد » القدسية وناجحة
الأدب المسكية فيالها من حديقة رَمقتها أحداقُ الأذهان فاقبست نوراً ونوراً
وانتشقتها مَسامُ الآذان فتملت طرباً وسروراً ومُنذُ سرحتُ فى أرجاء تلك
اليانعة إنسانَ العيون وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك اللثَر المصون لم
أزل بين طرب أنوشج بوشاحه وأدب أتعجبُ من حن اختتامه وافتتاحه
وجعلتُ أغازلُ من نرجس تلك الرّوضة عيوناً ملكت منى الحواس وهصرتُ
من غصون ألفائها كلَّ ممشوقٍ أهيفُ مياس وأتأدبُ فى حضرة وردها خوفاً
من شوكة سلطانها وأن حاتى بجميل الالتفات ضاحكة عن نفيسُ جهانة

١ إذا بالياسمين الغضّر قد ألقى نفسه على التّرى ونادى بلسان الإفصاح هل لهذه
النّضرة نظيرة يا ترى فأشار المنشور بكفه الخضيب أن لا نفيّر لتلك العادة وأنطق
الزّنبق بلسان البيان لا تكتبوا الشهادة فعند ذلك صفق الخبير بأ كفّ الأجنحة
وبشر وجرى الماء لإذاعة نبأ السّرور فعثر بذيل النّسيم وتكسّر وتميلت
أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث وأخذت نسماتها العادرة في السّير الحثيث
إذاعة لتلك البشائر في العشائر ونشراً لهذه الفضائل التي سارت مسير المثل
السّائر فقلت بلسان الصّادق الأمين بعد تحقّق هذا النّبأ اليقين هكذا هكذا
تكون الحقيقة والأل — وكذلك كذلك لتكتب الفضائل وتُملي

وحدّثني يا سعد عنهم فزدني غراماً فزدني من حديثك يا سعد
فتحمل عني أيها الصّديق تحيةً إلى ربّة هاتيك الحقيقة واشرح لبيها حديث
شغفي بفضلها الباهر على الحقيقة وأعتذر عن كتابي هذا فقد جاء بمشي على
استحياء وكلماً حرّكه الشّوق يبطئه الحياء وكيف وقد حلّ في منيع الفضائل
والمقام الذي لم يدع مقالاً لقائل فكأنّني إنما أهدى الشّر إلى هجر وأمنح البحر
الخضم بالمطر أدام الله معالي تلك الحضرة وزادها في كل حال بهجة ونضرة
ما لاح جبين هلال وبلغ غاية الكمال

« وكتب السيد عبد الله النّديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ »

أستاذي وقدوتى وملاذى وعمدنى — ربّيت فأحسنّت وغذيت فأسمنت
مؤدّباً ليثاوانيت فسودّت ووجدت فعودت مهذباً غيثاً وعلمت فأفهمت وأشرت
فألهمت غرض سهمك وقد نلت ما أملت فيمنّ عليه عوّلت بحسن فهمك
غلامك الشّهير بالنّديم من صار في البيان كالنّسيم

وكيف لا يكون لسانى قوس البديع وكلامي السهم السريع وأنت بارية
ورامية أم كيف لا يكون مقامى الحصن المنيع وقذرى العزيز الرفيع وأنت
معليه وبانيه فوجه جمال العلم أنت غرته وإنسان عين العلم أنت قرته وحاليه
وجاليه وجبين العقل أنت طرته وكتاب الفضل أنت صورته وطاليه وناليه
على بابك العالى من الفضل راية على رأس أرباب المعارف تخفق
فعلامك جنات وحلمك جنة وكلك خبرات وعيشك معدن
أرى غصن من يدعوا الى الفضل نفسه من الفضل عريانا وغصنك مورق
إذا رمت إنشاء فعن صديق فكرة تهادى بأبكاء وغيرك يسرق
« وكتب أيضا فى التودد »

بينما أنا راكب لجة بحر الفكر مجد في طلب فريدة بكر تارة أغوص
ومرة أسبح وآونة أقف وطورا أصفح لا يقر لى قرار ولا يمكننى الفرار ولا
يقصر عن طرح شبا كى ذراع ولا يطوى لسفيتى شرع كلما أدركنى اللال
هاجت على رياح الأمل حتى دخلت فى بحر عجاج متلاطم الأمواج فاقنحت
هذا المركب الصعب ونهت بين الجزائر والشعب فتعلقت أفكارى بالسوارى
والجبال وبت بليلة نجومها كواحل لا يرى فيها بر ولا سواحل وقلت اشتداد
الأمر يستدعى ضده ولا يأتى الفرج إلا بعد الشدة — وعينيك ما سل سيفها
على مفرق مسأها حتى سمعت باسم الله مجراها ومرساها فكان من تمام حظى
وسعودى ان تركت لجة اليم واستوت على الجودى وانصرف خوفى وارتبا كى
وبادرت بطرح شبا كى فاذا هي قد ملئت بأصداف الجوهر وعلقت بها شجرة
العنبر فتفتح الصدف عن در يستخدم الأقار وفاح العنبر بما أذهب شذى الأزهار

وصيرت ما بينها كسرى الزمان له شمسٌ تُسَادِمُهُ في مجالس عطر
ونلت أقصي أمانٍ كنت آملها الأُنس في خلدِي والنُّور في نظري
ولما جلوتُ الطَّرفُ بما فيها من الظَّرف ووقعت عندى الموقع الحسن أردت
أن أسومها بثمرن فاذا هي دُرَّة يتيمة لا يَقْدِر لها أحدٌ على قيمة فاستهديتها من
رَبِّها لشغفى بحبِّها وجعلتُ القلب لها كنزاً والفؤاد لها حرزاً ألا وهي محبَّة العزيز
الحافظ أبدعُ مرثى وأبلغُ لافظ

(وكتب إبراهيم بك المويلحي المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ يعزى محمود باشا البارودى)
أنت يا فوق أن تعزى عن الأحبا ب فوق الذى يعزبك عقلا
وبألفاظك أهتدى فاذا عزا ك قال الذى له قلت قبلا
وقلت الزمان علماً فما به رب قولاً ولا يُجَدِّد فعلا
نعم إنك يا «محمود» الخصال و«سامى» الفعال لأنك الشهم المجرب
لصُروف الحِدَنان والعالم الخبير بأحوال الزمان قد أعددت أنوازل المقدور نزلاً
من الصبر المأجور وصرفت ضيف الشجون والمُوم الى قرى الفضائل والعلوم
وأخذت بسنة السلف الصالح فى مقابلة الخطوب الفواح وأنت لاشك عندنا آخذ
فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم بسيرة ذاك الفيلسوف الحكيم - بين هو جالس
يوماً فى الدرس بين تلاميذه اذ جاءه من أخبره بأن ابنه الوحيد مات وهو رطب
الشباب غضَّ العمر فلم يتولَّ الفزع ولم يظهر عليه الاضطراب ولم يبدُ على وجهه
الكدر وما زاد على أن استرجع واستمرَّ فى قراءة درسه كما كان فلما انتهى منه بادره
أحد الحاضرين من أصحابه بمن حبرتهم الدهشة فى أمره يسأله كيف لم يسأله الحزن
ثوب الثمات برهة عند مفاجأته بالخبر فقال له « لو فلجأتى النازلة على غرة منى

لجزعتُ وحزنتُ ولكني مازلتُ أقدرُ لابني منذُ يومِ ولادتهُ لحولِ أجله في كلِّ يومٍ من أيامِ حياته ولمثلِ هذا اليومِ كنتُ أعدّه من زمانٍ طويلٍ وكان كلما مضى عامٍ من أعوامه اعتبرتهُ خُلُصةً اختلاستها من الدهرِ حتى مضى على هذه العاريةِ عشرونَ عاماً فشكّرتُ اللهَ اليومَ على أن أبقاها في يدي طوّلَ هذه المدة يومٍ مقامِ الحُزنِ عندَ غيري لدى استدادها « وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم « إذا مات ولدُ العبدِ قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولدَ عبدِي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرةَ قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدِي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنُوا لعبدِي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد » وأنت يا محمود — صلواتُ الله عليك ورحمتهُ لقوله تعالى « وانبلونكم بشيءٍ من الخوفِ والجُوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفُسِ والثمراتِ وبشّرِ الصّابرين الذين إذا أصابهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون » — أولُ من يمثّلُ لحكم القضاء ويسترجعُ عند نزولِ البلاء ويعملُ بأدبِ الدين في النجدة والتّصبُّر ويأخذُ بسيرة الحكماء في التدبُّر والتّبصر

ومن كان ذا نفسٍ كنفسك حرّةً ففيه لها مغنٍ وفيها له مُلٌّ

الكلام على الرسائل العلمية

الرسالاتُ العلمية هي مقالاتٌ في المطالب العلمية أو المسائل الأدبية وأنما سُميت بالرسالات لأن أصحابها يُرسلونها إلى من اقترحها عليهم ويسلك فيها صاحبها منهجَ الاسترسال والمحاطباتِ البليغة وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكيم في منهج الأنشاء القويم » فارجع إليه إن شئت

﴿ الفن الثاني في المناظرات ﴾

للمناظرة ثلاثة شروط (الأول) أن يُجمعَ بين خصمين مُتضادين أو متباينين في صفاتهما بحيث تظهر خواصهما بالمقابلة كالريع والحريف والصيف والشتاء (والثاني) أن يأتي كلُّ من الخصمين في نُصرته لنفسه وتفنيد مزاعم قرينه بأدلة من شأنها أن ترفع قدره وتُحطَّ من مقام الخصم بحيث يميل بالسامع عنه اليه (والثالث) أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً وترتَّب على سياق مُحكم ليزيد بذلك نشاط السامع وتنمى فيه الرغبة في حلّ المشكل ولئذ كرك عليها شذرات من أقوال الكتاب فنقول

﴿ مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنوشيروان في شأن العرب ﴾

روى بن القطامي عن الكلبي قال: قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم — فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها: فقال كسرى وأخذته عزّة الملك يانعمان لقد فكّرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم — فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وإن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفهها ويقم جأها — ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها ونماها وعجيب صناعتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسيّتها وهمتها في آلة

الحرب وصناعة الحديد وان لها مَلَكاً يَجْمَعُهَا — والتَّركَ والخَزَرَ على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الرِّيف والثمار والحصُون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تَضُمُّ قَوَائِصَهُمْ وتَدِيرُ أُمُورَهُمْ — ولم أَرُ للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوَّة : ومع أن مما يدلُّ على مهاتمتها وذُلِّها وصغر هِمَّتِها مَحِلَّتُهُم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاريبها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لِنَقْلِها وسوء طعمها وخوف دلثها — وان قرى أحدهم ضعفاً عدَّها مكرمةً وان أطعم أسكَّةً عدَّها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هذه التَّنُوخية التي أسس جدى اجتماعها وشدت مملكتها ومنعها من عدوِّها فجري لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثاراً وابوساً وقرى وحصوناً وأموراً تشبه بعض أمور الناس يعنى اليمن) ثم لا أراكم تستكثرون على ما بكم من الذلَّة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس — قال النعمان أصاح الله الملك : حقُّ لأمة الملك منها أن يَسْمُوَ فضلها ويعظُمَ خطبها وتعلو درجتها إلا أن عندى جواباً في كل ما نطق به الملك في غير ردِّ عليه ولا تكذيب له فان أَمْنِي من غضبه نطقتُ به : قال كسرى — قُلْ فَأَنْتَ آمِنٌ : قال النعمان : أمَّا أَمْتِكَ أيها الملك فليست تُنازعُ في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبُحْبُوحَةِ عَزِّها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمَّا الأُم التي ذكرتُ فأني أمة تقرنها بالعرب إلا فضلها : قال كسرى بماذا :

قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوها وبأسها وسخلتها وحكمة ألسنها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها

فأما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصوئهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر — إذ غبرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور

وأما حسن وجوها وألوانها فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنخرقة والصين المنحفة والترك المشوّه والرؤم المقشرة

وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم الا وقد جهلت آباؤها وأصولها وكثيراً من اولها حتى ان أحدهم ليسئل عن وراء أيه دُنيا فلا ينسبه ولا يعرفه — وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أباً فأباً حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير أبيه

وأما سخاؤها فان أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريته فيطرقة الطارق الذي يكتفى بالفائدة ويبتري بالشرية فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دُنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدثوة وطيب الذكر

وأما حكمة أسننتهم فان الله تعالى أعطاهم في أشعارهم وروث كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشي من السنة الأجناس — ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم

أَعَفَتِ النَّسَاءُ وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ الْلبَاسِ وَمَعَادِيَهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَحِجَابُهُمْ جِبَاهُهُمُ
الْجَزَعُ وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفَرٌ

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا فَالْمَنْعَةُ بِحَقِّهَا حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نُسْكَهِ بَدِينِهِ
أَنْ لَمْ أَشْهَرُ أَحْرُمًا وَبَلَدًا مُحَرَّمًا وَبَيْتًا مُحْجُوجًا يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنْاسِكَهُمْ وَيَذْبَحُونَ
فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ فَيَلْقَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِيارِهِ وَإِذْرَاكَ
رَغْمِهِ مِنْهُ فَيَنْحَجِرُهُ كَرَمُهُ وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى

وَأَمَّا وَقَاؤُهَا فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَلْحَظُ اللَّحْظَةَ وَيُؤَمِّي الْأَيْمَاءَ فَهِيَ وَلَتْ (أَيَّ
عَهْدٍ) وَعُقْدَةٌ لَا يَحُلُّهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ وَإِنْ أَحَدُهُمْ يَرْفَعُ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ
فَيَكُونُ رَهْنًا بِدِينِهِ فَلَا يَفْلُقُ رَهْنَهُ وَلَا تُخْفَرُ ذِمَّتُهُ وَإِنْ أَحَدُهُمْ لِيَبْلُغُهُ أَنْ
رَجُلًا اسْتَجَارَ بِهِ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ نَائِيًا عَنْ دَارِهِ فَيُصَابُ فَلَا يَرْضَى حَتَّى يُقْنِي
تِلْكَ الْقَبِيلَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ أَوْ تَقْنِي قَبِيلَتَهُ لَمَّا أَخْفَرَ مِنْ جَوَارِهِ وَأَنَّهُ لِيَأْجَأَ إِلَيْهِمُ الْمَجْرِمُ
الْمُحْدَثُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا قَرَابَةٍ فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ دُونَ نَفْسِهِ وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ مَالِهِ
وَأَمَّا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَتَذَوَّنُ أَوْلَادَهُمْ فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ بِالْإِنَاءِ أَنْفَةً
مِنَ الْبَارِ وَغَيْرَةٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ أَفْضَلَ طَعَامِهِمْ الْحُمُومُ الْإِبِلُ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْهَا فَمَا تَرَكَوْا
مَا دُونَهَا إِلَّا احْتِقَارًا لَهُ فَعَمِدُوا إِلَى أَجْلِهَا وَأَفْضَلُهَا فَكَانَتْ مَرَاكِبُهُمْ وَطَعَامُهُمْ
مَعَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ الْبَهَائِمِ شُحُومًا وَأَطْيَبُهَا حُمُومًا وَأَرْقَاهَا أَلْبَانًا وَأَقْلَاهَا غَائِلَةً وَأَحْلَاهَا
مَضْغَةً وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ اللَّحْمَانِ يُعَالَجُ مَا يُعَالَجُ بِهِ لَحْمُهَا إِلَّا اسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ
وَأَمَّا تَحَارُّبُهُمْ وَأَكْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَتَرْكُهُمُ الْإِنْقِيَادَ لِلرَّجُلِ يَسُوسُهُمْ
وَيَجْمَعُهُمْ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ الْأُمَمِ إِذَا أُنِيتْ مِنْ نَفْسِهَا ضَعْفًا

وَنَحَوَّفَتْ نُهُوضَ عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزَّحْفِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ أَهْلٌ يُبَيِّتُ
وَاحِدٌ يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ فَيُلْقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ وَيَنْقَادُونَ لَهُمْ بِأَرْمَتِهِمْ
وَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِيهِمْ حَتَّى لَقَدْ حَاوَلُوا أَنْ يَكُونُوا مُلُوكًا
أَجْمَعِينَ مَعَ أَنْفَتِهِمْ مِنْ أَدَاءِ الْخَرَاجِ وَالْوَطْثِ (أَيِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ بِالرَّجْلِ عَلَى
الْأَرْضِ) بِالْعَصْفِ

وَأَمَّا الْيَمَنُ الَّتِي وَصَفَهَا الْمَلِكُ فَإِنَّمَا أَتَى جَدَّ الْمَلِكِ إِلَيْهَا الَّذِي أَنَاهُ عِنْدَ غَلْبَةِ
الْحَبَشِ لَهُ عَلَى مُلْكِهِ مُتَسَقٍّ وَأَمْرٍ مُجْتَمِعٍ فَأَنَاهُ مَسْلُوبًا طَرِيدًا مُسْتَضْرِحًا وَلَوْلَا
مَا وَثَرَهُ مِنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ لَمَالَ إِلَى مَجَالٍ وَلَوْ جَدَّ مَنْ يُحِيدُ الطَّعْنَ وَيَنْضَبُ
لِلْأَحْرَارِ مِنْ غَلْبَةِ الْعَبِيدِ الْأَشْرَارِ

قال فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال انك لأهل لموضعك من
الرياسة في أهل اقليمك ثم كساه من كسوته وسرجه الى موضعه من الحيرة
فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سيع من كسرى من تنقص
العرب وتهجين أمرهم بعث الى أكنم بن صيفي وجاجب بن زُرارة التميميين
والي الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين والي خالد بن جعفر وعلقمة
ابن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين والي عمرو بن الشريد السلمي وعمرو
ابن معديكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المرِّي - فلما قَدِموا عليه في الخورنق
قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من
كسرى مقالات تخوّفت أن يكون لها غور أو يكون أنما أظهرها لا أمر أراد أن
يتخذ به العرب خولا ككعبض طامطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل
بملوك الأمم الذين حوَّله - فاقتص عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه : فقالوا

أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما ردّدت وأبلغ ما حجّجته به فمرّنا بأمرك وأدّعنا إلى ما شئت

قال إنما أنا رجلٌ منكم وإنما ملّكتُ وعزّزتُ بمكانكم وما يُتخوّف من ناحيتكم وليس شيءٌ أحبّ إلى مما سدّد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزّكم - والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرّهط وتنطلقوا إلى كسرى - فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليُعلم أن العرب على غير ما ظنّ أو حدّثته نفسه ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مُتَرَفٍ معجب بنفسه ولا تنخزلوا له انخزال الخاضع الدليل وليكن أمرٌ بين ذلك تظهر به دماثة حلّوكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكنتم بن صيفي ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم إلى وضعنكم بها فإنا دعاني إلى التّقدمة اليكم علّني بميل كل رجل منكم إلى التّقدّم قبل صاحبه فلا يكون ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا فانه ملك مُتَرَفٍ وقادر مُسلّط ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك كل رجل منهم حلة وعمّته عمامة وختمه بياقوته وأمر لكل رجل منهم بنجّية مهريّة وفريس نجّية وكتب معهم كتابا

أما بعد فان الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم وأجبتّه بما قد فهم مما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجّج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجّزت دونه بمملكتها وحمّت ما يليها بفضل قوتها تبلغها من الأمور التي يتعرّز بها ذوو الحزم والقوّة والتدبير والمكيّة - وقد أوفدت إليها الملك رَهْطًا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليفهم

عن جفاء أن ظهر من منططقيهم وأيسكرني باكرامهم وتهجيل سراحهم وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائهم فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بيباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم - فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجاسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترمجان ليؤدي اليه كلامهم ثم أذن لهم في الكلام فقام أكرم بن صيفي فقال ان أفضل الأشياء أعاليها وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعمها نفعا وخير الأزمنة أخصبها وأفضل الخطباء أصدقها

الصدق منجاة والكذب مهواة والشر لاجاة والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء آفة الرأي الهوى والعجز مفتاح الفقر وخير الأمور الصبر حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي من فسدت بطانته كان كالفاس بالماء

شر البلاد بلاد لا أمير بها شر الملوك من خافه البريء المرء يعجز لامحالة أفضل الأولاد البررة خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته يكفيك من الزاد ما بلغك المحل حسبك من شر سماءه الصمت حكم وقليل فاعله البلاغة الأيجاز من شدد فقر ومن تراخي تألف فتعجب كسرى من أكرم ثم قال وبك يا أكرم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه قال أكرم الصدق يبنى عنك لا الوعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى قال أكرم رب قول أنفذ من صول ثم قام حاجب بن زرارة التميمي وقال وري زندق وعلت يدك وهيب

سُلْطَانُكَ — ان العرب أمة قد غَلُظَتْ أَكْبَادُهَا واستَحْصَدَتْ مَرَسَهَا ومُنَعَتْ دِرَّتَهَا وهي لك وامةٌ ما تَأَلَّفَتْهَا مُسْتَرْسِلَةٌ مالا يَنْتَهَا سامعة ما ساحتها وهي العَلَقَمُ مَرَاة وهي الصَّابُ غَضَّاضَةٌ والعسل حلاوة والماء الزَّلَالُ سَلَامَةٌ نَحْنُ وفودها اليك وألَيْدَتُهَا لَدَيْكَ ذِمَّتُنَا مَحْفُوظَةٌ وأحسابنا بمنوعة وعشائرنا فينا سامعة مُطِيعَةٌ إن نُوِبَ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا فَلَكَ بِذَلِكَ عُمُومٌ مُحَمَّدُنَا وَإِنْ نَذُمُ لَمْ نُخْصَ بِالذَّمِّ دُونَهَا — قال كسري يا حاجب ما أشبه حجر التلأل بالوان صخرها — قال حاجب بل زئير الأسد بصوتها — قال كسري وذلك

ثم قام الحارث البكري فقال دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلو سنائها — من طال رشاؤه كثر متعه ومن ذهب ماله قلَّ منعه تَنَاقَلُ الأَقْوِيلُ يُعَرِّفُ اللَّبَّ وهذا مقام سيوجب بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ونحن جيرانك الأذنون وأغوانك المعينون خيولنا جهة وجيوشنا فخمة إن استنجدتنا فغير رُبُضٍ وإن استطرفتنا فغير جهض وإن طلبتنا فغير غمض لا ننشئ لدعرو ولا نندسكرو لذهر ما حنا طوال وأعمارنا قصار قال كسري أنفُسُ عزيزة وأمةٌ ضعيفة قال الحارث أيها الملك وأتني يكون لضعيف عزة أو لصغير مرَّة قال كسري لو قصر عُمرُكَ لم تَسْتَوِلْ على لِسَانِكَ نَفْسُكَ قال الحارث أيها الملك ان الفارس إذا حملَ نَفْسَهُ على الكَتِيبَةِ مُغَرِّرًا بِنَفْسِهِ على الموت فهي مَنِيَّةٌ استَقْبَلَهَا وَجَنَانٌ استَدْبَرَهَا — والعرب تعلم أنني أبغث الحرب قَدُماً وأحبسها وهي تصرفُ بها حتى إذا جاشت نَارُهَا وَسَعَرَتْ لَفْظُهَا وكشفت عن ساقها جَعَلَتْ مُقَادَّهَا رُمْحِي وَبَرَقَهَا سَيْفِي وَرَعْدَهَا زَيْبِي ولم أَقْصِرْ عَنْ خَوْضِ خَضْخَضِهَا حَتَّى أَنْفَسَ فِي غِمَرَاتِ لُجْجِهَا وَأَكُونُ فَلَكُمَا

ففرسانى إلى مجبوحة كبشها فاستظهرها دما وأترك حمانها جزر السباع وكل
نمير قشعهم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أ كذلك هو قالوا فعالة أنطق
من لسانه قال كسرى ما رأيت كالיום وفدا أحشد ولا شهودا أو قد

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال أيها الملك نعم بالك ودأمت في السرور
حالك إن عاقبة الكلام متدبرة وأشكال الأمور معتبرة وفي كثير ثقلة وفي
قليل بلغة وفي الملوك سورة العز وهذا منطق لما بعده - شرف فيه من شرف
وخل فيه من خل لم نأت لضيحك ولم نقد لسخطك ولم نتعرض لرفدك إن
في أموالنا متعمدا وعلى عزنا متعمدا إن أوريثنا نارا أثقنا وإن أود دهرنا بنا
اعتدنا إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ولئن رامك كافحون حتى يجمد
الصدر ويستطاب الخبر قال كسرى ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ولا
مدحك بذك قال عمرو كفى بقليل قصدي هاديا وبأيمس إفراطى مخبرا ولم
يُلم من غربت نفسه عما يلم ورضى من القصد بما بلغ قال كسرى ما كل
ما يعرف المرء ينطق به - اجلس

ثم قام خالد بن جعفر الكلبي فقال أحضر الله الملك إسماعدا وأرشدته
إرشادا إن لكل منطق فرصة ولكل حاجة غصة وعي المنطق أشد من
عي السكوت وعثار القول أنكا من عثار الوعث وما فرصة المنطق عندنا إلا بما
تهوى وغصة المنطق بما لا تهوى غير مستساعة وتركي ما أعلم من نفسي ويعلم
من سمعي أتى له مطيق أحب إلى من تكلفى ما أتخوف ويتخوف منى وقد
أوفدنا إليك ملكنا النعمان وهو لك من خير الأعوان ونعم حامل المعروف
والأحسان أنفسنا بالطاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وأيدينا لك بالوفاء

رهينة قال له كسرى نَطَقْتَ بِعَقْلٍ وَسَمَرْتَ بِفَضْلٍ وَعَلَوْتَ بِذَنْبٍ

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال نَهَجْتَ لَكَ سُبُلَ الرِّشَادِ وَخَضَعْتَ لَكَ رِقَابَ الْعِبَادِ إِنَّ لِلْأَقَاوِيلِ مَنَاهِجَ وَاللَّارَاءِ مَوَالِجَ وَالْعَوِيصِ مَخَارِجَ وَخَيْرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَأَفْضَلَ الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ - إِنَّا وَإِنْ كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَحْضَرَتْنا وَالْوِفَادَةُ قَرَّبَتْنا فَلَيْسَ مِنْ حَضْرِكَ مَنَّا بِأَفْضَلٍ مِمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ بَلْ لَوْ قِيسَتْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَعِلِمَتْ مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ دُنْيَا أُنْدَاداً وَأَكْفَاءَ كُلِّهِمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٍ وَبِالشَّرَفِ وَالسُّودَدِ مَوْصُوفٍ وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْنافِذِ مَعْرُوفٍ يَحْتَمِي حِمَاهُ وَيُرَوِّى نَدَامَاهُ وَيَذُودُ أَعْدَاهُ لَا تَخْمَدُ نَارُهُ وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ مَنْ يَبِيلُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ فَاصْطَنَعَ الْعَرَبُ قَاتِلَهَا الْجِبَالُ الرُّوَاسِي عِزَا وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيَا وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شُرُفَا وَالْحَصَى عِدْدَا قَانَ تَعْرِفْ لِمَ فَضَّلَهُمْ يُعْزَوُكَ وَإِنْ تَسْتَصْرِخُهُمْ لَا يَخْذُلُوكَ - قَالَ كَسْرَى وَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ كَلَامٌ يَحْمِلُهُ عَلَى السَّخَطِ عَلَيْهِ حَسْبُكَ أَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرِاشِدَ وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ وَوَقَّاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ مَا أَحَقَّنَا إِذْ أَتَيْنَاكَ بِأَسْمَاعِكَ مَا لَا يُحْنِقُ صَدْرُكَ وَلَا يَزْرِعُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ لَمْ تَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمَسَامَاةٍ وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمُعَادَاةٍ وَلَكِنْ لِنَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعِيَّتُكَ وَمَنْ حَضْرِكَ مِنْ وَفُودِ الْأُمَمِ أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُحْجَمِينَ وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقْصَرِّينَ إِنْ جُورِينَا فَقِيرٌ مُسْبُوقِينَ وَإِنْ سَوْمِينَا فَقِيرٌ مَغْلُوبِينَ قَالَ كَسْرَى غَيْرَ أَنَّكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ غَيْرُ وَافِينَ وَهُوَ يُعْرِضُ بِهِ فِي تَرْكِهِ الْوَفَاءَ بِضَمَانِهِ السَّوَادَ - قَالَ قَيْسُ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا كُنْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَوَافٍ غَيْرَ بِهِ أَوْ كَخَافِرٍ أَخْفَرَ بِذِمَّتِهِ - قَالَ كَسْرَى مَا يَكُونُ لِضَعِيفٍ ضَمَانٌ وَلَا لِذَلِيلٍ خِفَارَةٌ

قال قيس أيها الملك ما أنا فيما أخفر من ذمتي أحقُّ بالزَّامِي العارِ منك فيما قُتِلَ من رَعِيَّتِكَ وأنتَ هُكَّ من حُرْمَتِكَ قال كسرى ذلك لأنَّ من اتَّعَمَنَ الخائنةَ واستنَّجَدَ الأثمةَ نالَهُ من الخطأ ما نالني وليس كلُّ الناسِ سواءَ — كيف رأيت حاجِبَ ابنِ زُرارةَ لِمَ يُحْكَمُ قُواهَ فيُبْرِمَ وَيُعْهَدَ فيُؤْفَى وَيَعْدُ فيُنَجِّزُ — قال وما آحقُّه بذلك وما رأيته إلا لي قال كسرى القومُ يُزَلُّ فَا فَضْلُهَا أَشَدُّهَا

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال كثيرُ فتون المنطق وليس القول أغنى من حِندسِ الظُّلَماءِ وإنما الفخرُ في الفِعالِ والعجزُ في النَجْدَةِ : والسُّودَدُ مُطَاوَعَةُ الْقُدْرَةِ وما أعلَمَكَ بِقَدْرِنَا وَأَبْصَرَكَ بِفَضْلِنَا وبالحِزْبِ إِنْ أَدَاكَ الْيَوْمَ وَنَابَتْ الْأَحْلَامُ أَنْ تُحْدِثَ لَنَا أُمُورًا لَهَا أَعْلَامُ — قال كسرى وما تلك الأعلام قال مُجْتَمَعُ الْأَحْيَاءِ من ربيعة ومضر على أمرٍ يُذَكَّرُ — قال كسرى وما الأمرُ الذي يُذَكَّرُ قال عامر مالي علم بأكثر مما خبَّرني به مُخَيَّرُ قال كسرى متى تكلمت يا ابن الطفيل قال لستُ بكاهن ولا كني بالرمح طاعن قال كسرى فان أذاك آت من جهة عَيْنِكَ العُوراءِ ما أنت صانع قال ما هَيْبَتِي في قَفايِ بَدُونِ هَيْبَتِي في وَجْهِهِ وما أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْنُ وَلَكِنْ مُطَاوَعَةُ الْعَيْثِ

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال إنما المرءُ بأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ ولسانه فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجدة الارتياح وعفو الرأي خير من استكراه العِكرَةِ وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتنب طاعتنا بلفظك واكتظيم بادارتنا يملك وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا فإننا أناس لم يؤقس صفاتنا قِراعُ منا قير من أراد لنا قضمًا ولكن منعنا حمانا من كلِّ من رام لنا هضمًا

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال ان من آفة المنطق الكذب ومن لؤم
الأخلاق الملق ومن خطل الرأي خيفة الملك المسلط فان أعلمناك أن مواجعتنا
لك عن ائتلاف وابقادنا لك عن تصاف ما أنت لقبول ذلك منا بخليق
ولا للاعتماد عليه بتحقيق ولكن الوفاء بالمهود وإحكام ولث العقود والأمر بديننا
وبينك معتدِل ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل — قال كسرى من أنت قال
الحارث بن ظالم قال ان في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك وأن تكون أولى
بالعذر وأقرب من الوزر قال الحارث ان في الحق مغضبة والسر التغافل ولن
يستوجب أحد الحِلْم إلا مع القدرة فلتشبه أفعالك مجاسك قال كسرى هذا
قبي القوم — ثم قال كسرى قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم
ولولا أتى أعلم أن الأذنب لم يثقف أودكم ولم يحكم أمركم وإني لست لكم ملك
يجمعكم فتنتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على
السياسة وغلِب على طباعكم لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به وإني لأكره أن
أجبه وفودي أو أحنق صدورهم والذي أحب من إصلاح مدبركم وتألف
شواذكم والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم وقد قبلت ما كان في منطقكم من
صواب وصفحتم عما كان فيه من خلل فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا موازرتهم والزموا
طاعته وادعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم وأحسنوا أديهم فإن في ذلك صلاح العامة
روى عن الكلبي أنه قال كان كسرى يحفل بالعرب ويستأنس بمشاهديهم
ويرغب في سماع محادثاتهم ومفاخراتهم ومناقراتهم ولم يدخر وسعاً إلا بذله
للحصول على ذلك (وبما اتفق له) أن الثيمان بن المنذر كان بمجلسه يوماً فقال له
هل في العرب من قبيلة تشرف على قبيلة . قال نعم . قال فبأي شيء قال من كانت

له ثلاثة آباء متوالية رؤساء وأتصل ذلك بِمِزِيَّةٍ رابعة فينته أشرف بيت واليه تنسب القبيلةُ وبه تملو علي غيرها . قال أحضر من هذه صيقتهم فطلبهم النعمان فلم يصبهم إلا في آل حذيفة بن بدر وآل ذى الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فأحضرهم في جملة من عشائرتهم . فعقد لهم كسرى مجلساً عامّاً حضره الحكام والعدول والأعيان . ثم قال ليتكلم كل منكم بما أثر قومه وليصدق

فانتصب حذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الأعظم . فقيل له لِمَ ذاك يا أخا فزارة قال ألسنا الدعائم ^(١) التي لا ترام والعز الذي لا يُضام . فقيل له صدقت ثم قام شاعرهم فقال

فَزَارَةُ بَيْتُ الْعِزِّ وَالْعِزُّ فِيهِمْ فَزَارَةُ بَدْرِ حَسْبُ بَدْرِ نِضَالِهَا ^(٢)
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ ^(٣) وَالْحَسْبُ الَّذِي بِنَاهُ لِبَدْرِ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا
فِيهِمَاتٌ قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ مَا تَرُ بَدْرٌ بِمَجْدِهَا وَفِعَالُهَا
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ مَدَّ يَوْمًا بِكِفَّةٍ إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالُهَا
فَلَنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحُ لَذَاكَ جَمِيعُنَا وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدُ عَلَى النَّاسِ حَالُهَا

ثم قام الأشعث بن قيس فقال لقد علمت العرب أنا نُقَاتِلُ عَدِيدَهَا الْآ كَثْرَ وَنَقْهَرُ جَمْعَهَا الْآ كِبَرُ وَأَنَا غِيَاثُ اللَّزْبَاتِ ^(٤) وَبُنَاةُ الْمَكْرُمَاتِ . فقيل له لِمَ يا أخا كندة . قال لَأَنَا وَرَثْنَا مُلْكَ كِنْدَةٍ فَاسْتَظَلَّلْنَا بِأَفْيَائِهِ وَتَقَلَّدْنَا مَنَكِبَهُ الْأَعْظَمَ وَتَوَسَّطْنَا بِجُبُوحِهِ ^(٥) الْآ كَرَمُ . ثم قام شاعرهم فقال

إِذَا قِيسَتْ آيَاتُ الرِّجَالِ بَيْنَتِنَا وَجَدَتْ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ يَفَاخِرُ

(١) الأركان (٢) محامتها ودفاعها (٣) الرفة صدها (٤) بتسكين الزاي الشدائد (٥) وسطه

فمن قال كلاً أو أنا بخطّة يُنافرنا يوماً فنحن نُخاطرُ
تعالوا فعدّوا يعلم الناس أيننا له الفضل فيما أوزنته الأكابر
ثم قام بسطام بن قيس فقال قد علمت العربُ أنا بُناةُ بيتها الذي لا يزول
رَمَرسُ عزها الذي لا يحول . فقيل له ولم - يا أخا شيان . قال لأننا أدركهم
للثأر وأضرُّ بهم . اللهم الجبار وأقوالهم للحقّ وألدهم للخصم

ثم قام شاعرهم فقال

لعمري بسطامٌ أحقُّ بفضلها وأولُ بيت العزِّ عزُّ القبائل
فسائلُ أينت^(١) اللعن عن عز قومها اذا جدَّ يوم الفخر كلُّ مناضِل^(٢)
فيخبرك الأقوامُ عنها فانها وقائعُ جدِّ لا ملاعبُ هازل
ألسنا أعزُّ الناس قوماً وأسرّةُ وأضرُّهم للكِبش يوم التخاذل
وقائعُ عزِّ سكّها ربعيةٌ تذِلُّ لهم فيها رقابُ المحافل
اذا ذُكرت لم ينكر الناس فضلها وعادَ بها من شرِّها كلُّ قاتل
وإنّا ملوكُ الناس في كلّ بلدةٍ اذا نزَلت بالناس إحدى النوازل
ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال قد علمت العربُ أنا فرعُ دعامتها
وقادةُ زحفها . فقيل له ليمَ ذلك يا أخا بني تميم . قال لأننا أكثرُ الناس عديداً
وأنجِبُهم طراً وليداً وأعطاهم للجزيل وأحملهم للثقل

ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناءُ خندفٍ أنّنا لنا العزُّ قدماً في الخطوب والأوائل

(١) اللعن بغضته ومنعته واللعن انك لا تفعل ما يوجب لئلك بل تفعل ما تمجد وتمجد عليه

(٢) المجادل (٣) نسبة الى ربيعة قبيلة

تَسْكُنَ إِلَى كَفِّهِ وَتَأْنِسَ بِعَفْوِهِ وَتَتَّقِ بِحِلْمِهِ فَإِذَا وَقَعَتِ الْاُقْضِيَّةُ الْاَلْاَزْمَةُ وَالْحَقُوقُ الْوَاجِبَةُ فَلَيْسَ عِنْدَهُ هَوَادَةٌ وَلَا إِغْضَاءٌ وَلَا مِدَاهَنَةٌ أَثَرَةُ لِلْحَقِّ وَقِيَامًا بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ فَدَعَا أَهْلَ خُرَاسَانَ الْاِغْتِرَارُ بِحِلْمِهِ وَالثَّقَّةُ بِعَفْوِهِ أَنْ كَسَرُوا الْخُرَاجَ وَطَرَدُوا الْعُمَّالَ وَسَلُّوا مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ثُمَّ خَلَطُوا احْتِجَاجًا بِاعْتِذَارٍ وَخُصُومَةٍ بِأَقْرَارٍ وَتَنْصُلًا بِاعْتِلَالٍ - فَلَمَّا انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِ خِلَائِهِ وَبَعَثَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ لُحَمَتِهِ وَوُزَرَائِهِ فَأَعْلَمَهُمُ الْحَالَ وَاسْتَفْهَمَ لِلرَّعِيَّةِ ثُمَّ أَمَرَ الْمَوَالِيَّ بِالْاِبْتِدَاءِ وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ «أَيَّ عَمٍّ» تَعَقَّبَ قَوْلَنَا وَكُنْ حَكَمًا يَبِينُنَا وَأَرْسَلَ إِلَى وَلَدَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ فَأَحْضَرَهُمَا الْأَمْرَ وَشَارَكَهُمَا فِي الرَّأْيِ وَأَمَرَ مُحَمَّدُ ابْنَ اللَّيْثِ بِحِفْظِ مُرَاجَعَتِهِمْ وَاثْبَاتِ مَقَالَتِهِمْ فِي كِتَابِ

فقال سلام صاحب المظالم

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً اسْتَفْرَغَتْ رَأْيَهُمْ وَاسْتَغْرَقَتْ أَشْغَالَهُمْ وَاسْتَنْفَدَتْ أَعْمَارَهُمْ وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ وَلِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي جَعَلْتُنَا فِيهَا غَايَةَ وَطَلَبْتَ مَعُونَتَنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانَ الْمَزَاهِرِ وَآخِوَانَ التَّجَارِبِ وَأَبْطَالَ الْوَقَائِعِ الَّذِينَ رَشَّحَتْهُمْ سَجَالُهَا وَفَيَّأَتْهُمْ ظِلَالُهَا وَعَضَّضَتْهُمْ شِدَائِدُهَا وَفَرَمَتْهُمْ نَوَاجِدُهَا فَلَوْ عَجَمْتَ مَا قَبْلَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا عِنْدَهُمْ لَوَجَدْتَ نَظَائِرَ تُوَيِّدُ أَمْرَكَ وَتُجَارِبَ تُوَافِقُ نَظْرَكَ وَأَحَادِيثَ تُقَوِّي قَلْبَكَ فَأَمَّا نَحْنُ مَعَاشِرَ عُمَّالِكَ وَأَصْحَابِ دَوَاوِينِكَ فَحَسَنَ بَنَّا - وَكَثِيرٌ مِنَّا أَنْ نَقُومَ بِثِقَلٍ مَا حَمَلْتُنَا مِنْ عَمَلِكَ وَأَسْتَوْدَعْتُنَا مِنْ أَمَانَتِكَ وَشَغَلْتُنَا مِنْ أَمْنِضَاءِ عَدْلِكَ وَانْفَازِ حُكْمِكَ وَإِظْهَارِ حَقِّكَ فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ أَنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً وَفِي كُلِّ حَالٍ

وَأَنَا كَرَامٌ أَهْلُ مَجْدٍ وَثُرَّةٍ وَعِزٌّ قَدِيمٌ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ
فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ أَغْرَتْ نَجِيبِ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلِ
فَسَائِلُ آيَتِ اللَّعْنِ عَنَّا فَإِنَّا دَعَايُكُمْ هَذَا النَّاسُ عِنْدَ الْجَلَائِلِ
ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ السَّعْدِيُّ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمَ هَؤُلَاءُ أَنَا أَرْفَعُهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ
وَأُثْبِتُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ . فَقِيلَ لَهُ لِمَ ذَلِكَ يَا أَخَا بَنِي سَعْدٍ . قَالَ لَا تَنَا أَدْرِكُهُم لِثَارِ
وَأَمْنِهِمْ لِلجَارِ لَا تَكُلْ إِذَا حَمَلْنَا وَلَا نُزْكَمْ إِذَا حَلَلْنَا . ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ
لَقَدْ عَلِمْتَ قَيْسُ بْنُ وَخْدِفٍ أَنَّا وَجُلُّ نَيْمٍ وَالْجَمُوعُ الَّتِي تَرَى
بَأَنَا لِيُوثُ الْبَاسِ فِي كُلِّ مَازِقٍ إِذَا جَزَّ بِالْبَيْضِ الْجَاحِمُ وَالطَّلِي
وَأَنَا إِذَا دَاعٍ دَعَانَا لِنَجِدَةٍ أَجَبْنَا سِرَاعًا فِي الْعَلَامِ مَنْ دَعَا
فَهِيَهَاتِ قَدْ أَهْلَا الْجَمِيعَ فَعَالُهُمْ وَفَاتُوا يَوْمَ الْفَخْرِ مَسْعَاةً مِنْ سَمَى
فَقَالَ كَسْرَى حِينَئِذٍ لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا سَيِّدٌ يَصْلَحُ لِمَوْضِعِهِ
وَأَعْظَمُ صَلَاتِهِمْ أَجْمَعِينَ وَرَدَّهُمْ إِلَى أَقْوَامِهِمْ مَعْظُمِينَ

﴿ مناظرات المهدي لأهل بيته ومشاورته لهم في حرب خراسان ﴾
هَذَا مَا تَرَجَّعَ فِيهِ الْمَهْدِيُّ وَوُزَرَاؤُهُ وَمَا دَارَ بَيْنَهُمْ مِنْ تَدْبِيرِ الرَّأْيِ فِي حَرْبِ
خُرَاسَانَ أَيَّامَ تَحَامَلَتْ عَلَيْهِمُ الْعُمَالُ وَأَعْنَقَتْ فَحْمَلَتُهُمُ الدَّالَّةُ وَمَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ
الْمَكَاثَةِ عَلَى أَنْ نَكَّشُوا بَيْعَتَهُمْ وَنَقَضُوا مَوثِقَهُمْ وَطَرَدُوا الْعُمَالُ وَالتَّوَلَّوْا بِمَا
عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَرَاجِ وَحَمَلَ الْمَهْدِيُّ مَا يُحِبُّ مِنْ مَصْلَحَتِهِمْ وَيَكْرَهُ مِنْ عَنَتِهِمْ عَلَى
أَنْ أَقَالَ عَنَتَهُمْ وَاعْتَفَرَ زَلَّتِهِمْ وَاحْتَمَلَ دَائَتَهُمْ تَطَوُّلاً بِالْفَضْلِ وَارْتِسَاعاً بِالْعَفْوِ
وَأَخْذاً بِالْحُجَّةِ وَرَفَقاً بِالسِّيَاسَةِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَزَلْ مُدَحِّمَهُ اللَّهُ أَغْبَاءَ الْخِلَافَةِ وَقَلَدَهُ
أُمُورَ الرِّعْيَةِ رَفِيقاً بِمَدَارِ سُلْطَانِهِ بِصِيراً بِأَهْلِ زَمَانِهِ بِاسِيطاً لِلْمَعْدَلَةِ فِي رِعْيَتِهِ

تدبيراً يُبْطِلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزِمَانِنَا وَتَدْيِيرِ سُلْطَانِنَا
 قَالَ نَعَمْ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ أَنْتَ مُتَّبِعُ الرَّأْيِ وَثَبِيقُ الْعُقْدَةِ قَوِيُّ الْمُنَّةِ بَلِغِ الْفِطْنَةِ
 مَعْصُومِ النِّيَّةِ مَحْضُورِ الرُّوِيَّةِ مُؤَيَّدِ الْبَدِيَّةِ مُوَفَّقِ الْعَزِيمَةِ مَعَانٍ بِالظَّفَرِ مَهْدِيٍّ إِلَى
 الْخَيْرِ - إِنْ كَهَمْتَ فِي عَزْمِكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ وَإِنْ اجْتَمَعَتْ صُدُوعُ فَعْلِكَ مُلْتَبَسِ
 الشُّكِّ فَأَعِزِّمْ يَهْدِيَّ اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ وَقُلْ يُنْطِقِ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ فَإِنْ
 جُنُودُكَ جَمَّةٌ وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ أَنَّ الْمَشَاوِرَةَ وَالْمُنَازِرَةَ بَلَاءٌ رَحْمَةٌ وَمِفْتَاحٌ بَرَكَةٌ لَا يَهْلِكُ
 عَلَيْهِمَا رَأْيٌ وَلَا يَتَغَيَّلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ فَاشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ فَاتَّيْنِي مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَتَوَفَّقْ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ

قَالَ الرَّبِيعُ . أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ تَصَارِيفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَثْبَةٌ وَإِنَّ الْإِشَارَةَ
 بِبَعْضِ مَعَارِضِ الْقَوْلِ بِسِيرَةٍ وَلَكِنْ خَرَّاسَانُ أَرْضٌ بَعِيدَةٌ الْمَسَافَةِ مُتَرَاخِيَةٌ الشُّقَّةِ
 مُتَّفَاوِتَةٌ السَّبِيلِ فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْبِيرِ وَمُبْرَمِ التَّقْدِيرِ وَأُبَابِ الصَّوَابِ
 رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ وَلَا دُونُهُ مُعَلَّقٌ
 لَخُصُومَةٍ عَائِبٌ ثُمَّ أَجَبْتَ الْبُرْدَ بِهِ وَأَنْطَوْتَ الرِّسْلَ عَلَيْهِ كَانَ بِالْحَرَمِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ
 إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ فَمَا أَيْسَرَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرِّسْلَ وَتَرُدَّ
 عَلَيْكَ الْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ فَتَحْدِثَ رَأْيًا غَيْرَهُ
 وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ وَقَدْ انْفَرَجَتْ الْحُلُقُ وَتَحَلَّتِ الْعُقْدُ وَاسْتَخْرَجِي الْحِقَابَ وَامْتَدِّ
 الزَّمَانَ ثُمَّ لَعَلَّكَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ كَصَدْرِ الْأَوَّلِ وَلَكِنْ الرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَفَقَكَ
 اللَّهُ أَنْ تَصْرِفَ أَجَالَهُ النَّظَرَ وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ فَمَا جَمَعْتُمَا لَهُوَ اسْتِشْرَاؤُهُ فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ
 الْحَرَمِيِّ وَالْحِيلِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ وَعَقْلٍ كَامِلٍ وَوَرَعٍ

واسع ليس موصوفاً بهوى فى سواك ولا مُتُهَمّاً فى أثره عليك ولا ظَنِيناً على دُخْلِهِ
مَكْرُوهة ولا مَذْهُوباً الى بدعة محدورة فيقدح فى مِلْكِكَ ويربض الأُمُورَ لغيرك
ثم تُسند إليه أمورهم وتفوض اليه حربهم وتأمره فى عهدك ووصيتك إِيَّاهُ بلزوم
أَمْرِكَ ما لَزِمَهُ الحَزْمُ وخلافَ نَهْيِكَ اذا خالفه الرأى عند استحالة الأُمُور واشتداد
الاحوال التى يَنْقُصُ أَمْرُ الغائب عنها وَيَثْبُتُ رَأْيُ الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك
فوائب أَمْرِهِم من قريب وسقط عنه ما يأتى من بعيد نَمَتِ الحيلة وقويت المَكيدة
ونفذ العمل وأحيدَ النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس

أيها المهدي ان ولىّ الأُمُور وسائس الحروب رُبما نَحَى جنودَه وفرق أُمُوالَه
فى غير ما ضيق أَمْرَ حَزْبِهِ ولا ضَغْطَةَ حالٍ اضْطَرَّتْهُ فيقعده عند الحاجة اليها
وبعد التَّروُّقَ لها عديمها منها فاقداً لها لا يثِقُ بِقُوَّةٍ ولا يَصُولُ بِعُدَّةٍ ولا يَفْرُغُ الى
ثِقَةٍ فالرأى لك أيها المهدي وفقتك الله أن تُعقَى خَزَائِنُكَ من الانفاق للأُمُوالِ
وجنودِكَ من مُكابدة الأسفار ومُقارعة الأخطار وتغدير القتال ولا تُسرع للقوم
فى الاجابة الى ما يطلبون والعطاء لما يسألون فيفسد عليك أَدْبَهُمْ وتُجَرِّئُ من
رَعِيَّتِكَ غَيْرَهُمْ وليكن أغْرُزُهم بالحيلة وقَاتِلُهُم بالمَكيدة وصارِعُهُم باللِّين وخَاتِلُهُم
بالرَّفَقِ وأَبْرِقْ لَهُم بالقول وأَرْعِدْ نَحْوَهُم بالفعل وابعث البُعُوثَ وجند الجنود
وكتب الكتائب واعقد الأَلُويَةَ وانصِبِ الرِّايَاتِ وأظْهِرْ أَنَّكَ مُوجَّهٌ اليهم الجيوش
مع أحْنَقِ قُوداك عليهم وأسوِّهِمْ أثراً فيهم ثم ادسُّ الرُّسُلَ وأبْثُ الكُتُبَ
وَضَعْ بَعْضَهُمْ على طَمَعٍ من وَعْدِكَ وِبَعْضاً على خَوْفٍ من وعيدِكَ وأوقد بذلك
وأشباهه نيرانَ التَّحاسدِ فيهم واغْرِسْ أشجارَ التَّنَافُسِ بينهم حتى تملأ القلوب من

الوحشه وتَنطَوِي الصدور على البَغْضَةِ ويدخل كلاً من كلِّ الحَذَرِ والهِيبَةِ فان
مرَّامَ الظَّفَرِ بالغَيْلَةِ والقتال بالحيلة والمُنَاصِبَةِ بالكتب والمُكَايَدَةِ بالرُّسُلِ والمُقَارَعَةِ
بالكلام اللطيف المُدْخِلِ في القلوب القويِّ المَوْقِعِ من النفوس المَعْقُودِ بالحُجَجِ
المُوصُولِ بالحِيلِ المَبْنِي على اللين الذي يستميل القلوب ويسترقُّ العقول والآراء
ويستميل الأهواء ويستدعي المواتاة انفذ من القتال بظُبَاتِ السُّيُوفِ وأَسِنَّةِ الرِّمَاحِ
كما أنَّ الوالي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحيل ويفرِّق كلمةَ عَدُوِّهِ بالمُكَايَدَةِ أَحْكَمَ
عَمَلًا وأَلْطَفَ مَنَظَرًا وأَحْسَنَ سِيَّاسَةً من الذي لا يَنَالُ ذلك الا بالقتال والاتلاف
للأموال والتغريب والخطار — وليعلم المهدي انه إن وَجَّهَ لِقَاتِهِم رَجُلًا لم يَسِرْ
لِقَاتِهِم الا بِجُنُودٍ كَثِيفَةٍ تَخْرُجُ عن حال شديدة وتُقدِّمُ على أسفار ضيقة وأموال
مُتَفَرِّقَةٍ وقُوَادٍ غَشِشَةٍ ان اتَّمتَّعَ مِنْهُمْ اسْتَنْفَذُوا مَالَهُ وان اسْتَنْصَحَ مِنْهُمْ كانوا عليه لا له
قال المهدي هذا رأى قد أسفر نوره وأبرق ضوؤه وتمثل صوابه للعيون ومجدد
حقه في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم ثم نظر الى ابنه علي فقال ما تقول
قال علي: أيها المهدي ان أهل خراسان لم يَخْلَعُوا عن طاعتك ولم يَنْصُبُوا
من دونك أحداً يقدِّح في تَغْيِيرِ مَلِكِكَ وَيُريضُ الامور لفساد دولتك ولو فعلوا
لكان الخطبُ أيسرَ والشأنُ أصغرَ والحالُ أدلَّ لأن الله مع حقِّه الذي لا يَخْذِلُهُ
وعند مواعده الذي لا يُخْلِفُهُ ولكنهم قوم من رعيته وطائفة من شيعته الذين
جعلك الله عليهم والياً وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً طلبوا حقاً وسألوا انصافاً
فان أُجِبتَ الى دَعْوَتِهِمْ وَنَفَسَتْ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَلاحَمَ مِنْهُمْ حالٌ أو يَحْدُثَ مِنْ
عندهم فَتَقُ أَطْعَمَ أَمْرَ الرَّبِّ وَأَطْفَأَتِ نَارَةَ الْحَرْبِ وَوَفَّرَتِ خَزَائِنَ الْمَسَالِ
وَطَرَحَتِ تَغْيِيرَ الْقِتَالِ وَحَمَلَ النَّاسَ مَحْمَلِ ذَلِكَ على طيبة جودك وسجية حلمك

وَأَسْجَاعَ خَلِيقَتِكَ وَمَعْدَلَةَ نَظَرِكَ فَأَمَنْتَ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضَعْفٍ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
فِيمَا بَقِيَ دُرْبَةً وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْنِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوا اعْتَدَلْتَ بِكَ وَبِهِمُ الْحَالُ
وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مِيدَانِ الْخُطَابِ فَمَا أَرَبُ الْمَهْدِيُّ أَنْ يَعْبُدَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقَرَّرِينَ
بِمَمْلَاكَتِهِ مُذْنَعِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ قُدْرَتِهِ وَلَا يُبَرِّئُونَهَا مِنْ عِبُودِيَّتِهِ
فَيُمَثِّلُكُمُ أَنْفُسَهُمْ وَيُخْلَعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفُ عَلَى الْحِيلِ مَعَهُمْ ثُمَّ يَجَازِيهِمُ السُّوءَ فِي
حَدِّ الْمُنَازَعَةِ وَمِضْمَارِ الْمُخَاطَرَةِ — أَيْرِيدُ الْمَهْدِيُّ وَقَعَهُ اللَّهُ الْأَمْوَالَ فَلَعَمْرِي
لَا يَنَالُهَا وَلَا يَظْفُرُ بِهَا إِلَّا بِانْفَاقٍ أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يَطْلُبُ مِنْهُمْ وَأَضْعَافَ مَا يَدْعَى
قَبْلَهُمْ وَلَوْ نَالَهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِخَرَائِطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَجَافَى لَهَا عَنْهَا وَطَالَ
عَلَيْهِمْ بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ وَبِهِ يُعْرَفُ مِنَ الْجُودِ الَّذِي طَبَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَمَلَ
قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةَ نَفْسِهِ فِيهِ فَاِنْ قَالَ الْمَهْدِيُّ هَذَا رَأْيُ مُسْتَقِيمٍ سَدِيدٍ فِي أَهْلِ الْخُرَاجِ
الَّذِينَ شَكَّوْا ظُلْمَ عَمَالِنَا وَتَحَامُلُ وَلَا تَنَا فَأَمَّا الْجُنُودُ الَّذِينَ تَقَضُّوا مَوَائِقَ الْعُيُودِ
وَأَنْطَقُوا لِسَانَ الْإِرْجَافِ وَفَتَحُوا بَابَ الْمَعْصِيَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ الْفِتْنَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ
أَنْ أَجْلَسَهُمْ نِكَالًا لَغَيْرِهِمْ وَعِظَةً لِإِسْوَاهِمُ فَيَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ أَنَّهُ لَوْ آتَى بِهِمْ مَغْلُوبِينَ فِي
الْحَدِيدِ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ثُمَّ اتَّسَعَ لِحْقَنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ وَلَا إِقَالَةَ عَثَرَتِهِمْ صَفْحُهُ
وَأَسْتَبْقَاهُمْ لِمَا فِيهِ مِنْ حِزْبِهِ أَوْ لِمَنْ بَارَاهِمُ مِنْ عَدُوِّهِ لِمَا كَانَ بَدْعًا مِنْ رَأْيِهِ
وَلَا مُسْتَنْكَرًا مِنْ نَظَرِهِ — لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ عَفْوًا
وَأَشَدَّهَا وَقَعًا وَأَصْدَقَهَا صَوْلَةً وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاضَمُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَكَاوَدُهُ صَفْحٌ وَإِنْ أَعْظَمَ
الذَّنْبَ وَجَلَّ الْخُطْبُ فَالْرَأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَقَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةُ الْغَيْظِ بِالرَّجَاءِ
لِحُسْنِ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَأَنْ يَذْكُرَ أَوَّلَى حَالَاتِهِمْ وَضِيْعَةَ عِيَالَتِهِمْ بِرَأْيِهِمْ
وَتَوْسِعًا لَهُمْ فَانْهَمُ اخْوَانِ دَوْلَتِهِ وَأَرْكَانِ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسِ حَقِّهِ الَّذِينَ بَعَزَتْهُمْ يَصُولُ

وبحجَّتْهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطورا فيه عن اجابته ومثله في قلة ما غير ذلك من رايه فيهم أو ثقل من حاله لهم أو تغير من نعمته بهم كمثّل رجلين أخوين متناصرين متوازيين أصاب أحدهما خبلٌ عارضٌ وهو حادث فتمض الى أخيه بالاذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزد أخوه إلا رقة له ولطفاً به واحتياطاً لِمُدَاوَاةِ مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه وبراً به ومرحمة له

فقال المهدي أما على فقد كوى سمّت اللبان وفضّ القلوب في أهل خراسان ولكلّ نبأ مستقر فقال ما ترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه فقال موسى

أيها المهدي لا تسكن الى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم الحال من القوم يُنادى بمضمرة شرّ وخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترأ واتخذوا العلل من دونها حجاً بآ رجاء أن ينافعوا الأيام بالتأخير والأمر بالتطويل فيكسروا حيل المهدي فيهم ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم وتتلاحق مادّتهم وتستفحل حربهم وتستمرّ الأمور بهم والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمانة قد فتر لها وأنس بها وسكن اليها ولولا ما اجتمعت به قلوبهم وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والاضمار للبراء عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة وغبّ سكون الأمور فليشدّ المهدي وفقه الله أزره لهم ويكتب كتابه نحوهم ويضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم وليوقن أنه لا يطمئنه خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة الى فسادهم وقوة على معصيتهم وداعية الى عودتهم وسبباً لفسادهم بحضرته

من الجنود ومن يبابه من الوفود الذين أقرهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الأرب ولم يترح في فتق حادث وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ولا تستقيم به دنيا وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة واستمرار الدربة لم يصل الى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة والمؤونة الشديدة والرأى للمهدي وفقه الله أن لا يُقيل عنهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف ويستحز بهم القتل ويحقق بهم البلاء ويُطبق عليهم الذل فإن فعل المهدي ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم وهزيمة لكل بادرة شر فيهم واحتمال المهدي في مؤونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة

قال المهدي قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل

فقال العباس بن محمد

أيها المهدي أما (الموالي) فأخذوا بفروع الرأى وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أمورا قصّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجارهم عليها - وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تنفق والجنود أن لا تفرق وبأن لا يعطى القوم ما طلبوا ولا يُبذل لهم ما سألوا وجاء بأمر بين ذلك استصغارا لأمرهم واستهانة بحزبهم وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها وأما (علي) فأشار باللين وإفراط الرفق وإذا جرد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحثا والخير محضاً لم يخلطها بشدة تعطف القلوب عن لينه ولا بشرى يحبسهم الى خيره فقد ملكهم الخلع لعذرهم ووسع لهم الفرجة لثني أعناقهم فإن أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرتهم ولا شدة قزوة في رؤوسهم يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ويستصرخون بها رأى المهدي فيهم وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصراح فذلك ما عليه

الظن بهم والرأى فيهم وما قد يشبه أن يكون من مثليهم لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والمملك الكبير ما لا يحيط على قلب بشر ولا تذكركه الفكر ولا تعلمه نفس ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها فلو لا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا وأما (موسى) فأشار بأن يعصوا بشدة لا لين فيها وأن يرموا بشر لا خير معه وإذا أضمر الولى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفردا والشر مجزءا ليس معها طمع ولا لين يثنيهم اشتدت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تدخلهم الحمية من الشدة والآنفة من الذلة والامتعاض من القهر فيدعوهم ذلك إلى التماذى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام للموت وإما أن ينقادوا بالكراهة ويدعوا بالقهر على بغضة لازمة وعداوة باقية تورث التناق وتغيب الشقاق فاذا أمكنهم فرصة أو نابت لهم قدرة أو قويت لهم حال عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشد مما كان

وقال فى قول الفضل

أيها المهدي أ كفى دليل وأوضح برهان وأبين خبر بأن قد أجمع رأيهم وحزم نظرهم على الإرشاد ببيعة الجيوش إليهم وتوجيه البعث نحوهم مع إعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم إلى ما سألوه من العدل
قال المهدي ذلك رأى

قال هارون ما خلطت الشدة أيها المهدي باللين فصارت الشدة أمر فظام لما تكبره وعاد اللين أهذى قائد إلى ما تحب ولكن أرى غير ذلك
قال المهدي لقد قلت قولاً بديماً وخالفته فيه أهل بيتك جميعاً والمرء مؤتمن

بما قال وظنين بما ادعى حتى يأتى بيينة عادلة وحجة ظاهرة فانخرج عما قلت
قال هارون

أيها المهدى ان الحرب خدعة والأعاجم قوم مكة وربما اعتدلت الحال بهم
وانفق الأهواء منهم فكان باطن ما يُسرُّون على ظاهر ما يُعلنون وربما افتقرت
الحالان وخالف القلب اللسان فانطوى القلب على محبوبة تُبطن واستسر
بمدخولة لا تُعلن والطبيب الرفيق بطب البصير بامر العالم بمقدم يده وموضع
ميسمه لا يتعجل باللواء حتى يقع على معرفة الداء فالرأى للمهدى وفقه الله أن يفر
باطن أمرهم قر المسينة وبمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمناجاة الكتب ومظاهرة
الرسل وموالاته العيون حتى تهتك حجب عيونهم وتكشف أغطية أمورهم فان
انفرجت الحال وأفضت الأمور به إلى تغير حال أو داعية ضلال اشتملت الأهواء
عليه وانتاد الرجال اليه وامتدت الأعناق نحوه يدين يعتقدونه وأنهم يستحيلونه
عصبيهم بشدة لا لين فيها ورامهم بعقوبة لا عفو معها وان انفرجت العيون
واهتمصرت السُّور ورُفعت الحجب والحال فيهم مريعة والأموال فيهم معتدلة
في أرزاق يطلبونها وأعمال يُنكرونها وظلّامات يدعونها وحقوق يسألونها بماتة
سابقهم ودالة مناصحتهم فالرأى للمهدى وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى
لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ما صدعوا ويرتق من فتنهم ما قطعوا ويؤلى
عليهم من أحبوا ويدأوى بذلك مراض قلوبهم وفساد أمورهم فانما للمهدى وأمه
وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المجرب الذى
يحتال لمرأى بض غنمه وضوال رعيتة حتى يُبرئ المريض من داء علتها ويرد
الصحيحة الى أنس جماعتها - ثم ان خراسان بخاصة الذين لهم دالة محمولة وماتة

مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدي دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الْأَضْطِغَانِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْمُواخَذَةَ لَهُمْ وَلَا التَّوْغِيرَ بِهِمْ وَلَا الْمَسْكَافَةَ بِأَسَاءَتِهِمْ لِأَنَّ مِبَادِرَةَ حَسَمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى وَمُحَاوَلَةٌ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَيْئِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ الْحَزْمُ فِي الرَّأْيِ وَأَصَحُّ فِي التَّدْيِيرِ مِنَ التَّأْخِيرِ لَهَا وَالتَّهَانُ بِهَا حَتَّى يَلْتَمِ قَلِيلُهَا بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعُ أَطْرَافُهَا إِلَى جُمْهُورِهَا قَالَ الْمَهْدِيُّ مَا زَالَ هَارُونُ يَقَعُّ وَقَعَ الْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقِدْحِ مِنَ الْمَاءِ وَأَنْسَلَ أَنْسَلَ السَّيْفِ فَمَا ادَّعَى فِدَعَوْا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ نَهْهُ الرِّأْيِ وَثَنِي بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مَنْ لَا عَنَّةَ الْخَيْلِ وَسِيَاسَةَ الْحَرْبِ وَقَادَةَ النَّاسِ إِنْ أَمَعْنَ بِهِمُ اللَّجَاحُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمُ الدَّلَالَةُ

قال صالح

لَسْنَا نَبْلُغُ أَثْمَارَ الْمَهْدِيِّ بِدَوَامِ الْبَحْثِ وَطُولِ الْفَكْرِ أَذْنِي فِرَاسَةٍ رَأْيِكَ وَبَعْضَ لَحَظَاتِ نَظَرِكَ وَلَيْسَ يَنْخَفِضُ عَنْكَ مِنْ يُؤْنِتُ الْعَرَبَ وَرِجَالَ الْعَجَمِ ذُو دِينَ فَاضِلٌ وَرَأْيٌ كَامِلٌ وَتَدْيِيرٌ قَوِي تَقْلُدُهُ حَرْبُكَ وَتَسْتَوْدِعُهُ جُنْدُكَ مَنْ يَحْتَمِلُ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلَعُ بِالْأَثْبَاءِ الثَّقِيلَةِ وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ مَبَارَكُ الْعَزِيمَةِ مَخْبُورُ التَّجَارِبِ مَحْمُودُ الْعَوَاقِبِ مَعْصُومُ الْعَزَمِ فَلَيْسَ يَقَعُّ اخْتِيَارُكَ وَلَا يَقَعُّ بَطْرُكَ عَلَى أَحَدٍ ثَوَلِيهِ أَمْرُكَ وَتُسْنَدُ إِلَيْهِ ثَغْرُكَ إِلَّا أَرَاكَ اللَّهُ مَا يُحِبُّ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تَرِيدُ قَالَ الْمَهْدِيُّ إِنِّي لَا رَجُوُ ذَلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ اللَّهِ فِيهِ وَحُسْنِ مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنْ أَرْحَبُ الْمَوَافَقَةَ عَلَى الرَّأْيِ وَالْإِعْتِبَارَ الْمُشَاوَرَةَ فِي الْأُمُورِ الْمُهْمِ

قال محمد بن الليث

أَهْلُ خُرْسَانَ أَثْمَارُ الْمَهْدِيِّ قَوْمٌ دَوَّوْ عِزَّةً وَمَنْعَةً وَشَيَاطِينُ خُدْعَةٍ زُرُوعِ

الحِمْيَةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ وَمَلَابِسُ الْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ فَالرَّوِيَّةُ عَنْهُمْ عَازِيَةٌ وَالْعَجَلَةُ عَنْهُمْ
حَاضِرَةٌ تَسْبِقُ سَيُولُهُمْ مَطَرُهُمْ وَسَيُوفُهُمْ عَذَلُهُمْ لِأَنََّّهُمْ بَيْنَ سَفَلَةٍ لَا يَعْدُو مَبْلَغُ
عُقُولِهِمْ مَنَظَرُ عِيُونِهِمْ وَبَيْنَ رُؤُسَاءٍ لَا يُلْجَمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا يُفْطَمُونَ إِلَّا بِالْمَرْ
وَإِنْ وَلَّى الْمَهْدَى عَلَيْهِمْ وَضِيعًا لَمْ تَنْقُذْ لَهُ الْعُظَاءُ وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلُ عَلَى
الضُّعْفَاءِ وَإِنْ أَخَّرَ الْمَهْدَى أَمْرَهُمْ وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَشِهِ
وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أَبِيهِ نَاحِيًا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَرِثَّةٌ تَجْتَمِعُ لَهُ أُمَلَاؤُهُمْ
بِلَا أَنْفَةٍ تَلْزِمُهُمْ وَلَا حِمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيْبَةٍ تُنْفِرُهُمْ تَنْفَسْتَ الْأَيَّامَ بِهِمْ
وَتَرَاخَتْ الْحَالُ بِأَمْرِهِمْ فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ وَالضُّيَاعِ الْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَفَاهُ
صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ جَدَّ وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهَدَ إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرِّ
كَبِيرٍ وَلَيْسَ الْمَهْدَى وَفَقَهُ اللَّهُ فَاطْمَأَنَّ عَادَاتُهُمْ وَلَا قَارِعًا صِفَاتُهُمْ بِمَثَلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ
لَا نَالَتْ لَهَا وَلَا عَدَلَ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا — أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مُوَصَّلٌ بِسَمْعِكَ
وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ لِعَيْنِكَ وَصَخْرَةٌ لَا تُزَعَّزِعُ وَبُهْمَةٌ لَا تُشْنَى وَبَازِلٌ لَا يُفْرِغُهُ صَوْتُ
الْجُلْجُلِ نَقِيَّ الْعَرَضِ نَزِيهَ النَّفْسِ جَلِيلُ الْخَطَرِ قَدْ اتَّضَعَتْ الدُّنْيَا عَنْ قَدْرِهِ وَسَمَا
نَحْوِ الْآخِرَةِ بِهَيْمَتِهِ فَجَعَلَ الْعَرَضُ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نَصْبًا وَالْعَرَضُ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ
مَوْطِنًا فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ وَأَنْصَحَ بَنِي أَيْيِكَ
رَجُلٌ قَدْ غَذَى بِلَطِيفِ كَرَامَتِكَ وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ وَنَشَأَ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ
فَإِنْ قَلَدَتْهُ أَمْرُهُمْ وَحَمَلَتْهُ ثِقَلُهُمْ وَأَسْنَدَتْ إِلَيْهِ ثَقَرَهُمْ كَانَ قُفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ وَبَابًا
أَغْلَقَهُ نَهْيُكَ فَجَعَلَ الْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَالْإِنصَافَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا وَإِذَا
حَكَّمَ الْمُنْصَفَةَ وَسَلَكَ الْمَعْدَلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ غَرَسَ فِي الذِّمِّ
لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ لَكَ فِي السُّوَيْدَلَةِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِيخَةَ الْعُرُوقِ

باسِقةَ الفُروعِ مُتَمَائِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَاقِمِهِمْ مُتَمَسِّكَةً مِنْ قُلُوبِ خَوَاصِثِهِمْ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا نَفْوُهُ وَلَا يُلْزِمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا أَذْوُهُ وَهَذَا أَحَدُهَا وَالْآخَرُ عَوْدٌ مِنْ غَيْضَتِكَ أَوْ نَبْعَةٌ مِنْ أُرُومَتِكَ قَتَى السِّنُّ كَهْلُ الْحِلْمِ رَاجِحَ الْعَقْلِ مَحْمُودُ الصَّرَامَةِ مَأْمُونُ الْخِلَافِ يَجْرَدُ فِيهِمْ سَيْفُهُ وَيَسْطُ عَلَيْهِمْ خَيْرُهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ وَهُوَ فَلَانُ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ — فَيَسْلُطُهُ أَعَزُّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَجْهُهُ بِالْجِيُوشِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَمْنَعُكَ ضَرَاةُ سِنِّهِ وَحَدَاثَةُ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ الْحِلْمَ وَالثِّقَّةَ مَعَ الْحَدَاثَةِ خَيْرٌ مِنَ الشُّكِّ وَالْجَهْلِ مَعَ الْكُهُولَةِ وَإِنَّمَا أَحْدَاثُكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاخْتَصَّكُمْ بِهِ مِنْ مَكَلَمِ الْإِخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْفِعَالِ وَتَحَاسُنِ الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْيِيرِ وَصَرَامَةِ الْأَنْفُسِ كِفْرَاحِ عِنَاقِ الطَّيْرِ الْمُحْكِمَةِ لَا تَخْذُ الصَّيْدَ بَلَا تَذْرِبُ وَالْعَارِفَةُ لَوْ جُوهَ النَّفْعِ بَلَا تَأْدِيبُ فَالْحِلْمُ وَالْمَلَمُ وَالْعَزْمُ وَالْحَزْمُ وَالْجُودُ وَالتَّوَدُّدُ وَالرَّفَقُ نَابِتٌ فِي صُدُورِكُمْ مَزْرُوعٌ فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَحْكَمٌ لَكُمْ مُتَكَمِّلٌ عِنْدَكُمْ بِطَبَائِعٍ لَازِمَةٍ وَغَرَائِزٍ نَابِتَةٍ

قال معاوية بن عبد الله

فَتَاهُ أَهْلُ بَيْتِكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ وَأَهْلُ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عَزٍّ عَلَى مَا وُصِفَ — وَلَكِنْ أَنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتُ فِي الْحُرُوبِ وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ الْأُمُورِ وَلَا بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِأَجْيُوشِ وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ الْأَعْدَاءَ يَغْتَمِزُونَهَا مِنْهُ وَيَحْتَقِرُونَهَا فِيهِ وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ فِي النَّهْضِ بِهِ وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ وَالتَّكْشِفِ إِحْوَالِهِ وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ وَالْأَمْرِ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُومُ إِذَا لَمْ يَحْتَبَرُوا مِنْهُ الْبَأْسُ

والنجدة ولم يعرفوه بالصيت والهيئة انكسرت شجاعتهم وماتت نجاتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختيارهم ووقع معرفتهم وربما وقع البوار قبل الاختيار—ويباب المهدي وفقه الله رجل مهيب نبيه خنيك صيت له نسب زالك وصوت عال قد قاد الجيوش وساد الحروب وتآلف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالقة وثقوا به كل الثقة فلو ولاه المهدي أمرهم لكفاه الله شرهم قال المهدي جانبت قصد الرمية وأبيت إلا عصية اذ رأي الحداث من أهل بيتنا كراي عشرة حلماء من غيرنا ولكن أين تركتم ولي العهد

قالوا: لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جدّه ونسيج وحده ومن الذين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وستر دون عباد عليم ما تختلف به الأيام ومعرفة ما تجرى عليه المقادير من حوادث الأمور ورئب التمنون المختومة لحوالي القرون ومواضي الملوك فكرهنا شسوءه عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الإمامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ومعدن الجود ومجمع الأموال التي جعلها الله قطبا لدار الملك ومصيصة لقلوب الناس ومثابة لآخوان الطمع وثوار الفتن ودواعي البدع وفرسان الضلال وأبناء الموت — وقلنا إن وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدي أن يعقبهم بغيره إلا أن ينهد اليهم بنفسه وهذا خطر عظيم وهول شديد إن تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتى يقع عوض لا يستغنى عنه أو يحدث أمر لا بد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً وأجل خطراً له تبعاً وبه متصلاً

قال المهدي

الخطب أيسرُ مما تذهبون اليه وعلى غير ما تصيرون الا مر عليه نحن أهل البيت
نَجْري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ومحتوم من الأمر
قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل وقد تناهى ذلك بأجمعه اليئنا وتكامل
بمخدا فيره عندنا فيه نذرٌ وعلى الله نتوكل انه لا بد لولي عهدي وولي عهد عقي
بعدي أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود أما الأول فانه يقدم
اليهم رسله ويعمل فيهم حيله ثم يخرج نشيطا اليهم حنقا عليهم يريد أن لا يدع
أحدا من إخوان القن ودواعي البدع وفرسان الضلال الا توطأه بجر القتل
والبسه قناع القهر وقلده طوق الذل ولا أحدا من الذين عملوا في قص جناح
الفتنه واختاد نار البدعة ونصرة ولالة الحق إلا أجرى عليهم ديم فضله وجد أول
نهله فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه لم يسر إلا قليلا حتى تأتبه أن قد عميت
حيله وكدحت كتبه ونفذت مكايده فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائفة
الأنواء واجتمع عليه المختلفون بالرضى فيميل نظرا لهم وبرأ بهم وتعطفوا عليهم الى
عدو قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حجاجهم بيت الله الحرام وسلب
تجارهم رزق الله الحلال وأم الآخرفانه يوجه اليهم ثم تعتدله الحجة عليهم باعطاء
ما يطلبون وبذل ما يسألون فاذا سمحت الفرق بقراباتنا له وجنح أهل النواحي
بأعناقهم نحوه فأصغت اليه الأفتدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود
قصد الأول ناحية نجحت يطاعتها وألقت بأزميتها فألبسها جناح نعمته وأنزلها
ظل كرامته وخصها بعظيم حباه ثم عم الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا
تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية إلا دخلت عليها بركة وصلت اليها

مَنْفَعَتُهُ فَأَغْنَى فَقِيرَهَا وَجَبَرَ كَسِيرَهَا وَرَفَعَ وَضِعَهَا وَزَادَ رَفِيعَهَا مَا خَلَا نَاحِيَتَيْنِ
 نَاحِيَةً يَغْلِبُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ وَتَسْتَمِيلُهُمُ الْأَهْوَاءُ فَتَسْتَخِفُّ بِدَعْوَتِهِ وَتُبْطِلُ عَنْ
 إِجَابَتِهِ وَتَتَنَاقَلُ عَنْ حَقِّهِ فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يَبْعَثُ وَأَبْطَأَ مَنْ يُوجِبُ فَيَصْطَلِّي عَلَيْهَا
 مَوْجُودَهُ وَيَبْتَغِي لَهَا عِلَّةً لَا يَلْبَثُ أَنْ يَجِدَ بِحَقِّ يَلْزَمُهُمْ وَأَمْرٌ يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَأْجِمُهُمُ
 الْجِيُوشُ وَتَأْكُلُهُمُ السُّيُوفُ وَيَسْتَحَرُّ بِهِمُ الْقَتْلُ وَيُحْبِطُ بِهِمُ الْأَسْرُ وَيَفْنِيهِمُ التَّبَتُّعُ
 حَتَّى يُخْرِبَ الْبِلَادَ وَيُوتِمَ الْأَوْلَادَ وَنَاحِيَةً لَا يَبْطُلُ لَهَا أَمَانًا وَلَا يَقْبَلُ لَهَا عَهْدًا
 وَلَا يَجْعَلُ لَهَا ذِمَّةً لَا تَنْهَمُ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفُرْقَةِ وَتَدْرِعُ جُلُوبَ الْفِتْنَةِ وَرَبِضَ
 فِي شَقِّ الْعَصَا وَلَكِنَّهُ يَقْتُلُ أَعْلَامَهُمْ وَيَأْسِرُ قَوَادِمَهُمْ وَيَطْلُبُ هُؤُلَاءَ بِهِمْ فِي الْحُجَجِ
 الْبَحَارَ وَقُلُلَ الْجِبَالِ وَحَمِيلَ الْأَوْدِيَةِ وَبَطُونَ الْأَرْضِ تَقْتِيلًا وَتَغْلِيلًا وَتَسْكِيلًا
 حَتَّى يَدْعَ الدِّيَارَ خَرَابًا وَالنِّسَاءَ أَيَامَى — وَهَذَا أَمْرٌ لَا نَعْرِفُ لَهُ فِي كُتُبِنَا وَقَتْنَا
 وَلَا نَصَحَّحُ مِنْهُ غَيْرَ مَا قُلْنَا تَفْسِيرًا أَوْ مَا «مُوسَى وَلِيَّ عَهْدِي» فَهَذَا أَوْ أَوْ
 تَوَجَّهَ إِلَى خِرَاسَانَ وَحُلُولِهِ بِجُرْجَانَ وَمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ مِنَ الشُّخُوصِ إِلَيْهَا وَالْمَقَامِ
 فِيهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَغَبَّةً لَهُ بِأَذْنِ اللَّهِ عَاقِبَةً مِنَ الْمَقَامِ بِحَيْثُ يَغْمُرُ فِي الْحُجَجِ بِجُورِنَا
 وَمُدَافِعِ سَيُولِنَا وَمَجَامِعِ أَمْوَاجِنَا فَيَتَصَاغَرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ وَيَتَدَابَّرُ مَشْرِقُ نَوْرِهِ وَيَتَقَلَّلُ
 كَثِيرُ مَا هُوَ كَاثِنٌ مِنْهُ فَمَنْ يَصْحَبُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَيَخْتَارُ لَهُ مِنَ النَّاسِ

قال محمد بن الليث

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنْ وَلِيَّ عَهْدِكَ أَصْبَحَ لَا تُمَتِّكَ وَأَهْلَ مِلَّتِكَ عَلِمَا قَدْ تَمَنَّتْ
 نَحْوَهُ أَعْنَاقُهَا وَمَدَّتْ سَمَتُهُ أَبْصَارَهَا وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جَوَارِهِ لَكَ
 عُطْلُ الْحَالِ غُفْلُ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْعُذْرِ فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى
 تَدْيِيرِهِ فَإِنْ مِنْ شَأْنِ الْعَامَةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ

وَتَسْأَلُ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بَرِّهِ وَمَرْحَمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ وَتَدْيِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ
وَوُزَرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكُ الْأُمُورِ بِهِمْ
وَالزَّمَامُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدُّهَا اسْمَالَةً لِرَأْيِهِمْ وَعَظْفًا لِأَهْوَائِهِمْ فَلَا يَفْتَأُ الْمَهْدِي وَفَقَهُ
اللَّهُ نَظْرًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى عَمْدُ تَمْلِكْتِهِ وَيُسَدَّدُ أَرْكَانُ وَلَايَتِهِ وَتَسْتَجْمَعُ رِضَاءُ أُمَّتِهِ
بَأَمْرِهِ أَوْ زَيْنُ الْحَالَةِ وَأَظْهَرُ لِحَالِهِ وَأَفْضَلُ مَغَبَّةٍ لَأَمْرِهِ وَأَجَلُ مَوْعِدًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ
وَأَحَدُ حَالًا فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغُ فِي
اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ مَرَحْمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ
وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ وَإِنْ يَخْتَارُ الْمَهْدِي وَفَقَهُ اللَّهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَقْوَامًا
تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْنَسُ الرِّعِيَةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا ثُمَّ تُسَهِّلُ لَهُمْ عِمَارَةَ
سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَتَفْتَحُ بَابَ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ فَتُحِلُّ لَهُ وَسَهِّلُ عَلَيْهِ

قال المهدي صدقت ونصحت ثم بعث في ابنه موسى فقال

أَيُّ بُنْيٍّ أَنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسْتُ وَجْهَ الْعَامَةِ نَصْبًا وَلَمْ تُشْنِ أَعْطَافِ الرِّعِيَةِ
غَايَةً فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَاحْتَمِلْ
سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِيكَ مِنْ
أَسْخَطِهِ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسَخِّطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ
سِوَاهُ — ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ نَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةٌ مِنْ رِسَالِهِ وَبَقَايَا مِنْ صِفْوَةِ خَلْقِهِ
وَبُخَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ يُجَدِّدُ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ وَيُشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ
وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا وَعَلَى أَقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا يَسُدُّونَ الْخُلُلَ وَيُقِيمُونَ الْمِيلَ
وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفَسَادَ وَإِنَّ أَهْلَ خِرْسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا وَسُيُوفُ
دَعْوَتِنَا الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ بِطَاعَتِهِمْ وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْعِظَامِ بِمَنَاصِحَتِهِمْ

وَنُدَافِعَ رَيْبَ الزَّمَانِ بَعَزَاتِهِمْ وَنُزَاحِمَ رُكْنِ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ فَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ
 إِذَا أُرْجِفَتْ أُلُفُّهَا وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا وَحَصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتْ
 الْحَالُ بِهَا قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ أُخْمِدَتْ نِيرَانُ الْفِتَنِ
 وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ الْبِدْعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا
 مَعَ رِيحِ دَوْلَانَا رَاقِمُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا وَاعْتَصَمُوا بِجِبِلِّ طَاعَتِنَا الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا
 ذَاتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَهُمْ وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ
 الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذُّلِّ وَقِنَاعِ الْخَوْفِ وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ وَمُحَافَاةِ الْأَسَى وَجَهْدِ الْبَأْسِ
 وَالضَّرِّ فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كَرَامَتِكَ وَأَنْزِلُهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ثُمَّ اعْرِفْ لَهُمْ
 حَقَّ طَاعَتِهِمْ وَرُوسِيْلَةَ دَائِهِمْ وَمَائَةَ سَابِقَتِهِمْ وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ
 وَالتَّوَسُّعَةِ عَلَيْهِمْ وَالْإِنَابَةِ لِمُحْسِنِهِمْ وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ - أَيْ بُنَى ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ فَاسْتَدْعِ
 رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا بِالْإِنْصَافِ لَهَا وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ
 وَتَوَقَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ وَاجْعَلْ عُمَالَ الْعُذْرِ وَوُلَاةَ الْحُجَجِ مُقَدِّمَةً بَيْنَ عَمَّاكَ
 وَنَصَفَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ
 يَخْتَارُوا لَا أَنْفُسَهُمْ رَجُلًا تُؤَلِّيهِ أَمْرَهُمْ وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَإِنْ
 أَحْسَنَ حُمِدَتْ وَأَنْ أَسَاءَ عُذِرَتْ هَؤُلَاءِ عُمَالَ الْعُذْرِ وَوُلَاةَ الْحُجَجِ فَلَا يَسْقُطَنَّ
 عَلَيْكَ مَا فِي ذَلِكَ إِذَا انْتَشَرَ فِي الْآفَاقِ وَسَبَقَ إِلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ انْعِقَادِ أَلْسِنَةِ
 الْمُرْجِفِينَ وَكَبَتْ قُلُوبُ الْحَاسِدِينَ وَإِطْفَاءُ نِيرَانِ الْحُرُوبِ وَسَلَامَةُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ
 وَلَا يَنْفَكَنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا وَبِعُرَى حَبْنِكَ مُتَعَلِّقًا رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا
 كَرِيمَةٌ مِنْ كِرَائِمِ رِجَالِ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُ بَيُّوْنَاتِ الشَّرَفِ لَهُ أَدَبٌ فَاضِلٌ وَحِلْمٌ
 رَاجِحٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ وَالْآخَرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ مَغْمُوزٍ وَمَوْضِعٌ غَيْرُ مَدْخُولٍ بِصِيرٍ

بَتَقْلِيْبِ السَّكَّالِمِ وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ وَأَنْجَاءِ الْعَرَبِ وَوَضْعِ الْكُتُبِ عَالِمَ بِحَالَاتِ
الْحُرُوبِ وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ يَضَعُ آدَابًا نَافِعَةً وَأَنَارًا بَاقِيَةً مِنْ مَحَارِسِنِكَ وَتَحْسِينِ
أَمْرِكَ وَتَحْلِيلَةِ ذِكْرِكَ فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ فَرَجُلٌ أَصْبَتْهُ
كَذَلِكَ فَهُوَ يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَرْعَى فِي خَضْرَى جَنَانِي وَلَا تَدْعُ أَنْ تَخْتَارَكَ
مِنْ فَقَهَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ جِيرَانَكَ وَسُؤَارَكَ وَأَهْلَ
مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُوْرِدُ وَأَصْحَابَ مُنَاطَرَتِكَ فِيمَا تُصَدِّرُ فَمِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ أَصْحَابَكَ
اللَّهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ وَهَادِيًا يُنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانَكَ
﴿ وَغُودَ بَكَّارَهُ الْهَلَالِيَّةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ﴾

اسْتَأْذَنْتَ بَكَّارَةَ الْهَلَالِيَّةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَأُذِنَ لَهَا وَهُوَ يَوْمُئِذٍ
بِالْمَدِينَةِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ أَسْنَتْ وَعَشَى بِصَرِّهَا وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا تَرَعَشُ بَيْنَ
خَادِمِينَ لَهَا فَسَلَّمَتْ وَجَلَسَتْ فَرَدَّ عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ السَّلَامَ وَقَالَ كَيْفَ أَنْتِ يَا خَالَةَ
فَقَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ غَيْرُكَ الدَّهْرُ قَالَتْ كَذَلِكَ هُوَ ذُو غَيْرٍ مِنْ عَاشِ
كَبِيرٍ وَمَنْ مَاتَ قُبِرَ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

يَا زَيْدَ دُونَكَ فَاحْتَقِرْ مِنْ دَارِنَا سَيْفًا حُسَامًا فِي التَّرَابِ دَفِينَا

قَدْ كُنْتَ أَذْخَرُهُ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ فَلَا أَنْ أَبْرِزَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أَتَرَى أَبْنَ هِنْدَ لِلْخِلَافَةِ مَالِكَا هِيَهَاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ

مَنْتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخِلَاءِ ضَلَالَةً أَغْرَاكَ عَمْرُو لِلشَّقَا وَسَعِيدُ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ

قَدْ كُنْتَ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ أَمِيَةٍ خَاطِبًا

فالله آخر مُدَّتِي فمطاوت حتى رأيت من الزمان عجائباً
 في كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائباً
 ثم سكتوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتى أنا والله قائلة
 ما قالوا وما خفى عليك منى أكثر فضحك وقال ليس بمنعنا ذلك من برك - اذكرى
 حاجتك : قالت أما الآن فلا

« مناظرة السيف والقلم لزين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة ٥٧٤٩ هـ »
 لما كان السيف والقلم عُدَّتِي أَعْمَلُ وَالْقَوْلُ . وَعَمْدَتِي الْأَوَّلُ فَإِنْ
 عَدِمَتْهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ . وَرُكْنِي إِسْنَادُ الْمَلِكِ الْمَعْرِيِّ عَنِ الْمُحْفُوزِ
 وَالْمَرْفُوعِ وَمُقَدِّمَتِي تَتَبِجَةُ الْجَدَلِ الصَّادِرِ عَنْهُمَا الْحَمُولُ وَالْمَوْضُوعُ فَكُرْتُ
 أَيُّهَا أَعْظَمُ فَخْرًا وَأَعْلَى قَدْرًا فَجَاسْتُ لَهُمَا مَجْلِسَ الْحُكْمِ وَالْفَتْوَى وَمَثَلَهُمَا فِي
 الْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى وَسَوَّيْتُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ فِي الْإِكْرَامِ وَاسْتَنْطَقْتُ أَسَانِ
 حَالَهُمَا لِلْكَلَامِ (فَقَالَ الْقَلَمُ) بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا وَالتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ
 إِذَا يَغْشَاهَا أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ بَارِئِ الْقَلَمِ وَمُشْرِفِهِ بِالْقَسَمِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ
 وَجَعَلَ الْوَرَقَ بَعْضَهُ كَمَا جَعَلَ الْقُصْنَ بِالْوَرَقِ وَالصَّلَاةَ عَلَى الْقَائِلِ جَعَتِ
 الْأَقْلَامُ فَإِنَّ الْقَلَمَ قَصَبُ السِّبَاقِ وَالْكَاتِبُ بِسَبْعَةِ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْكِتَابِ
 فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ جَرَى بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَنَابَ عَنِ الْأَسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ طَالَمَا
 أَرَبَنِي عَلَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ فِي ضَرَائِبِهَا وَطَعَانِهَا وَقَاتَلَ فِي الْبَعْدِ وَالصُّوَارِمِ فِي
 الْقُرْبِ مِلءُ أَجْفَانِهَا وَمَاذَا يُشَبُّ الْقَلَمُ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ وَمَشْيِهِ لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ
 (قَالَ السِّيفُ) بِسْمِ اللَّهِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
 وَمَنَافِعُ أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ آيَةَ السِّيفِ فَعَظَّمَ بِهَا حُرْمَةَ الْجُرْحِ وَآمَنَ

خيفة الحيف والصلاة على الذي نفذ بالسيف سُطور الطُّروس، وخدمته الأَقلام
 ماشية على الرؤوس وعلى آله وصحبه الذين أزهفت سيوفهم وبنيت بها على
 كسر الأعداء حرُوفهم فإن السيف عظيم الدولة شديد الصولة محمًا أسطار
 البلاغة وأساع ممنوع الأساعة من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب
 وكيف لا وفي حده الحد بين الجد واللعب فإن كان القلم شاهداً فالسيف قاضي
 وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعه السيف بفعل ماضى به ظهر الدين
 وهو العدة لقمع المعتدين حملته دون القلم يد نبينا فشرف بذلك في الأمم
 شرفا بيتا الجنة تحت ظلاله ولا سيما حين يسئل قترى وذق اللثم يخرج من
 خلاله زينت بزينة الكواكب سما غنمه وصدق القائل (السيف أصدق
 أنباء من ضده) لا يعذب به الحامل ولا يتناول كالقلم بأطراف الأنامل ماهو
 كالقلم المشبه بقوم عروا عن لبوسهم ثم نكسوا كما قيل على رؤوسهم فكان
 السيف خلق من ماء دافق أو كوكب راشق مقدرا في السرد فهو الجواهر
 الفرد لا يشرى كالقلم بثمن بخس ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس كم اتقاه
 المنتظر من أثر في عين أو عين في أثر فهو في جراب القوم قوام الحرب ولهذا جاء
 مطبوع الشكل داخل الضرب (قال القلم) أو من ينشأ في الحلية وهو في
 الخصام غير مبین يفاخر وهو القائم عن الشمال وأنا الجالس على اليمين أنا المخصوص
 بالرأي وأنت المخصوص بالصدى أنا آله الحياة وأنت آله الردى ما لبست إلا
 بعد دخول السعير وما حدثت إلا عن ذنب كبير أنت تنفع في العمر ساعة
 وأنا أفنى العمر في الطاعة أنت للرهب وأنا للرغب وإذا كان بصرك حديداً
 فبصرى ما ذهب أين تطيدك من اجتاهدي . وأين نجاسة دمك من تطهير

مِدَادِي (قَالَ السَّيْفُ) : أَمِثْلُكَ يُعْبَرُ بِمِثْلِي بِاللَّيْمَاءِ فَطَلَمَا أَمَرْتُ بِعُضِّ فِرَاحِي
وَهِيَ الْيَتَكِينُ . فَأَصْبَحْتَ مِنَ النَّفَّاثَاتِ فِي عُقْدِكَ يَا مَسْكِينُ . فَأَخَلْتَ مِنَ الْحَيَاةِ
جُحْمًا نَمَكَ . وَشَقْتَ أَنْفَكَ وَقَطَعْتَ لِسَانَكَ . وَيَا إِنْ كُنْتَ لِلدِّيَّانِ فَخَاسِبٌ
مَهْمُومٌ . أَوْ لِلْإِنِّشَاءِ فَنَادِمٌ مُخْدُومٌ . أَوْ لِلْبَلِيغِ فَسَاحِرٌ مَذْمُومٌ . أَوْ لِلْفَقِيهِ فَنَاقِصٌ
فِي الْمَعْلُومِ . أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلٌ مُحْرَمٌ . أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفٌ مَسُومٌ . أَوْ لِلْمُعَلِّمِ
فَالْحَيُّ الْقَيُّومِ . وَأَمَّا أَنَا فَبِالْوَجْهِ الْأَزْهَرُ . وَالْحَلِيَّةِ وَالْجَوْهَرُ . وَالْهَيْمَةُ إِذَا
أَشْهَرُ . وَالصُّعُودُ عَلَى الْمَنْبَرِ . شَكْلِي الْحَسَنُ عَلَى . وَلَمْ لِأَحْمَلِكِ الْحَطَبَ بَدَلِي .
ثُمَّ إِنِّي مَمْلُوكٌ كَمَا لَكَ . فَأَنْتَ كَنَاسِكَ . أَسَاكَ الطَّرَائِقَ وَأَقْطَعُ الْعَلَائِقَ .
(قَالَ الْقَلَمُ) : أَمَّا أَنَا فَابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَأَلِيفُ الْقَدِيرِ وَحَلِيفُ الْمَهْوَاءِ . وَأَمَّا
أَنْتَ فَابْنُ النَّارِ وَاللُّدْخَانِ . وَبَاتِرُ الْأَعْمَارِ وَخَوَّانُ الْإِخْوَانِ . تَفْصُلُ مَا لَا يُفْصَلُ .
وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ . لَا جَرَمَ شَعَرَ السَّيْفِ وَصَقْلَ قَفَاهُ . سُقِيَ مَاءُ
حَمِيمًا فَقُطِعَ مِعَاهُ . يَا غَرْبَ الْبَيْتِ . وَيَا عُدَّةَ الْخَيْلِ . وَيَا مُعْتَلَّ الْعَيْنِ . وَيَا ذَا
الْوَجْهِينِ . كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ . . وَأَرْمَلْتَ وَأَيْثَمْتَ (قَالَ السَّيْفُ) : يَا ابْنَ
الطَّيْنِ . أَلَسْتُ ضَامِرًا وَأَنْتَ بَاطِنٌ . كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ . وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ ،
وَزَوَّرْتَ وَحَرَّفْتَ ، وَنَكَّرْتَ وَعَرَّفْتَ ، وَسَطَّرْتَ هَجَوًا وَشَمًّا ، وَخَلَّدْتَ
عَارًا وَذَمًّا ، أَبْشِرْ بِفَرْطِ رَوْعَتِكَ ، وَشِدَّةِ خَيْفَتِكَ ، إِذَا قَسَتْ بَيَاضُ
صَحِيفَتِي بِسَوَادِ صَحِيفَتِكَ ، فَأَلِنْ خَطَايَاكَ فَأَنْتَ فَصِيرُ الْمُدَّةِ ، وَأَحْسَنُ
جَوَابِكَ فَعِنْدِي حِدَّةٌ ، وَأَقْلَلُ مِنْ غِلْظَتِكَ وَجَبْهِكَ ، وَاشْتَغِلْ عَنْ دَمٍ فِي
وَجْهِهِ بِمُدَّةٍ فِي وَجْهِكَ ، وَإِلَّا فَأَدْنِي ضَرْبَةً مَنَى تَرُومُ أَرْوَمَتِكَ ، فَتَسْتَأْصِلُ
أَصْلَكَ وَتَجْتَثُّ جُرُومَتَكَ ، فَسَقِيَا لِيْنُ غَابَ بِكَ عَنْ غَايِكَ ، وَرَعِيَا لِمَنْ أَهَابَ

بانت لسلخ إهابك . (فلما رأى القلم) السيف قد احتد ، ألان له من خطابه
الشد ، وقال : أما الأدب فيؤخذ عني ، وأما اللطف فيكتسب مني ، فإن
يئس ليئت ، وإن أحسنت أحسنت ، نحن أهل السمع والطاعة ، ولهذا نجمع
في التوازة الواحدة منّا جماعة ، وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف ، ولهذا لم
تجمعوا بين سيفين في غلاف . (قال السيف) : أمكراً ودعوى عيفة ، لا أمر
ما جدع قصير أنفه — لو كنت كما زعمت ذا أدب ، لما قابلت رأس
الكتاب بعقدة الذنب ، أنا ذو الصيت والصوت ، وغراري لسانا مشرفي
يرتجل غرائب الموت ، أنا من مارج من نار ، والقلم من صلصال كالفضار ،
وإذا زعم القلم أنه مثلي أمرت من يدق رأسه بعلي . (قال القلم) : صه
فصاحب السيف بلا سعادة كأعزل . (قال السيف) : مه فقل البليغ بغير
حظ مغزل . (قال القلم) : أنا أزكى وأطهر . (قال السيف) : أنا أبهى وأبهر
فتلا (ذو القلم) لقله : إنا أعطيناك الكوثر . فتلا (صاحب السيف) لسيفه :
فصل لربك وانحر . فتلا (ذو القلم) لقله : إن شئت لك هو الأثر . (قال)
أما وكتابي المسطور ، ويأتي المعمور ، والتوراة والانجيل ، والقرآن ذي التبجيل ،
إن لم تكف عني غربك ، وتبعد عني قرارك ، لأكتبنك من الصم البكم ،
ولأسطن عليك بقلبي سجلاً بهذا الحكم . (قال السيف) : أما ومتى
المتمين ، وفتحى الممين ، ولساني الرطبين ، ووجهي الصلبيين ، إن لم تغب عن
يأسر سوادك : لم مسح وجهك بمدادك ، ولقد كتبت من الأسد في الغابة ،
تدفع الدين والصلابة ، مع أني ما ألوتك نصحا ، أفضرب خنكم الذر
صمحا . (قال القلم) سلم إلى مع من سلم ، إن كنت أعلى فأنا أعلم ، وإن كنت

أحلى فأنا أحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوى فأنا ألوم، أو كنت أطرى فأنا أطرب. أو كنت أغلى فأنا أغلب، أو كنت أعسى فأنا أعتب، أو كنت أقضى فأنا أقضب (قال السيف) : كيف لا أفضلك والله الفلاني شاد أزرى . (قال القلم) كيف لا أفضلك وهو عز نصره ولى أمرى
(قال الحكم بين السيف والقلم) : فلما رأيت الحجتين ناهضتين. والبينتين بيتين متعارضتين. وعلمت أن لكل واحد منهما نسبة صحيحة إلى هذا المقر الكريم . ورواية مسندة عن حديثه القديم لطفت الوسيلة . ودقت الحيلة حتى رددت القلم إلى كنهه . وأعمدت السيف فنام مل جفنه . وأخرت بينهما الترجيح . وسكت عما هو عندي الصحيح . إلى أن بحكم المقر بينهما بهله . ويسكن سورة غضبهما الوافر ولجاجها المديد يبسط حله

﴿ مناظرة بين صاحب أبي تمام وصاحب البحتري للامري ﴾

(صاحب أبي تمام) كيف يجوز لقائل أن يقول إن البحتري أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ وعلى حذوه احتذى ومن ممانيه استقى حتى قيل الطائي الأ كبر والطائي الأصغر

(صاحب البحتري) أما الصحبة له فما صحبه ولا تلمذ له ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ولا رأى قط أنه محتاج إليه ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعها وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثوري وقد دخل عليه البحتري بقصيدته التي أولها ه أفاق صب من هوى فافيق ه وأبو تمام حاضر فلما أنشدها علق أبو تمام منها أبياتاً كثيرة فلما فرغ من الانشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال أيها الأمير ما ظننت أن أحداً يقدم على أن يسرق شعري ويُنشده بحضرتي حتى

اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة فبهت البُحتري ورأى أبو تمام الأي نكار في وجه أبي سعيد فحينئذ قال له أبو تمام أيها الأمير والله ما الشعر إلا له وأنه أحسن فيه إلا إحسان كله وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف له الجائزة فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أبا تمام جدير به أن يستغنى عن أن يصحبه أو يقتله ذلك أو لغيره من الشعراء على أن لا أنكر أنه استعار بعض معاني أبي تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحتري من شعره وليس ذلك بمقتضى أن يكون أبو تمام أستاذ البُحتري ولا بمانع أن يكون البُحتري أشعر من أبي تمام فهذا كثير قد أخذ من جميل واستقى من معانيه فما رأينا أن أحداً قال إن جيلاً أشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل (صاحب أبي تمام) أن البُحتري نفسه يعترف أن أبا تمام أشعر منه فقد سئل عنه وعن أبي تمام فقال أن جيده خير من جيدي وجيد أبي تمام كثير

(صاحب البُحتري) أن كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبُحتري لا عليه لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلم علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً وأن البُحتري يعلم بتوسط ولا يسقط ومن لا يسقط ولا يسف أفضل ممن يسقط ويسف

(صاحب أبي تمام) أرأيت أبا تمام انفراد بمذهب اخترعه وصار فيه أولاً وإماماً متبوعاً وشهره به حتى قيل هذا مذهب أبي تمام وطريقة أبي تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا أثره وهي فضيلة عري عن مثلها البُحتري

(صاحب البحتري) ليس الأمرُ على ما وصفت وليس أبو تمام صاحب هذا المذهب ولا بأول فيه ولا سابق إليه بل سلك فيه سبيل مُسلم بن الوليد واحتذى حذوه وأفرط في ذلك وأسرف حتى زالَ عن التهج المعروف وسُنن المؤلف بل إن مُسلماته غير مُبتدع له ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ البديع مُتفرقة في أشعار المتقدمين فقصدَها وأكثر في شعره منها ولكنه حرص على أن يضعها في مواضعها ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه حتى قيل إنه أول من أفسد الشعر فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف فسلك طريقاً وعراً واستكره الألفاظ والمعاني استكراهاً ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه إليه — وكل ما في المسئلة أنه استكثر منه وأفرط فكان إفراطه فيه من أعظم ذنوبه وأكبر عيوبه. أما البحتري فإنه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سبباً في إجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته واضطلاع به بما يلائم الأذواق ويلامس القلوب من أساليب الكلام ومنهجها

(صاحب أبي تمام) إنما أعرض عن شعر أبي تمام ممن لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه أما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره وإذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضُرّه طعن من طعن بعدها عليه

(صاحب البحتري) لا يستطيع أحد أن ينكر منزلة ابن الأعرابي وأحمد بن يحيى الشيباني ودُعبل بن الخزاعي من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب وقد

علمتم مذهبهم في أبي تمام وازدراءهم بشعره حتى قال دُعبل إن ثلث شعره محال^(١) وثلثه مسروق وثلثه صالح وقال ما جعل الله أبا تمام من الشعراء : بل شعره بالخطب والكلام المنشور أشبه منه بالشعر — وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل وهذا محمد بن يزيد المبرّد ما علمناه دون له كبير شيء (صاحب أبي تمام) إن دُعبلًا كان يشنأ أبا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهور فلا يُقبل قول شاعر في شاعر وأما ابن الأعرابي فكان شديد التعصب عليه لغرابته مذهبه ولا أنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه فكان إذا سُئل عن شيء منها يأنف أن يقول لا أدرى فيعدل إلى الطعن عليه ولا مانع أن يكون جميع من تذكرونه على هذا القياس

(صاحب البحتري) لا عيب على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام إلى الخطأ والأحالة — والعيب في ذلك يلحق أبا تمام إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابي وأمثاله من المضطلمين بالسليقة العربية (صاحب أبي تمام) إن العلم في شعر أبي تمام أظهر منه في شعر البحتري والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم

(صاحب البحتري) كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً وكان الأصمعي شاعراً عالماً وكان الكسائي كذلك وكان خلف بن حيّان الأحمر أشعر العلماء وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء والتجويد في الشعر ليست علته العلم — والشائع المشهور أن شعر العلماء دون شعر الشعراء وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب

أما البحري فلم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان يعدّه فضيلةً ولا يراه علماً بل كان يرى أنه شاعره لا بدّ له أن يقرب شعره من فهم سامعه فلا يأتي بالغريب ألا أن يتفق له في اللفظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب له ولا حرص عليه . على أن هذا العلم الذي تؤثرون به أبا تمام لم ينفعه فقد كان يلحن في شعره لحناً يضيق العذر فيه ولا يجد المتأوّل له مخرجاً منه إلا بالحيلة والتّحمل الشديد

(صاحب أبي تمام) لسنا ننكر أن يكون صاحبنا قد وهم في بعض شعره وعدل عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه : وغير غريب على فكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد أن يلحقه الكلال في الأوقات والزّل في الأحيان بل من الواجب لمن أحسن احسانه أن يُسامح في سهوه ويُجاوز له عن خطائه وما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب . وكذلك ما أخذته الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ — واللحن أشهر من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندلّ عليه وما كان أحد من أولئك ولا هؤلاء مجهول الحق ولا مجرّد الفضل بل عفا إحسانهم على إساءتهم ونجّوهم على تقصيرهم

(صاحب البحري) أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة — أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدّة أبيات يكون فيها مفسداً أو مجيلاً أو عادلاً عن التسنن أو مستعيراً استعارةً قبيحة أو مخطئاً للمعنى بطلب الطباق والتّجنيس أو مبهماً يسوء العبارة والتّعقيد حتى لا يفهم ولا يوجد له مخرج

(صاحب أبي تمام) إنكم تنكرون على أبي تمام من الفضل ما يعترف به

البُحْثَرى نفسه فقد رثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره (صاحب البُحْثَرى) لم لا يفعل البُحْثَرى ذلك وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين وأخوين متصافيين يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب فليس بمنكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ويصفه بأحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه على أن الميث خاصة يُعطى في تأييده من التقرّظ والوصف وجمل الذِّكر أضعاف ما كان يستحقه

(صاحب أبى تمام) كيف كان الأمر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرُّواة والعلماء أن جيد أبى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله وإذا كان جیده بهذه المكانة وكان من الممكن اغفال رديئه وإطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب في أنه أشعر شعراء عصره والبُحْثَرى واحد منهم

(صاحب البُحْثَرى) إنما صار جيد أبى تمام موصوفاً ومذكوراً لنُدْرته ووقوعه في تضاعيف الردىء فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه : وجيد البُحْثَرى كجيد أبى تمام إلا أنه يقع في جيد مثله أو متوسط فلا يفاجئ النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه

﴿ مناظرة السفينة والوابور للمرحوم السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ ﴾
شمرت « السفينة » عن الذِّراع وسحبت طرفها ونشّرت الشِّراع وأعتدلت
ومالت وأبتدأت وقالت

حمداً لمن أسبغ على عباده جزيل الأنعام وسخَّ لهم من فضله السفن والأنعام
وجعلها مَطيَّتين لحمل الأرزاق والأثقال وحافظين للذِّخائر عند السفر والانتقال
وامتنَّ بهما على عباده وهو عليهم بما يصنعون فقال تعالى (وعليها على الفُلُك تُحمَلون)

وصلاةً وسلاماً على من أسفرت أسفاره عن عظيم أخلاقه فابفتح بتوجيهاته الشريفة باب السياحة بعد إغلاقه وآله وأصحابه الذين تحملوا في الغزوات مشاق البرد والحر وأقبحوا في نصر دينه عقبات البحر والبر « وبعد » فإن المخترعات في الدنيا كثيرة وقد صارت سهلة بعد أن كانت خطيرة ولكن من المعلوم لكل عاقل عارف بأحوال الأوائل ناقل أن شكلي أول غريب ابتدع وأحسن عظيم اخترع ماتقدمني سوى الحيوان والكواكب وضروريات الزرع وبعض آلات المعاطب وكان البحر قبلي ظلمة ما طلع لها فجر وأنشراح لها صدر بل غرضاً ما أصابه سهم ومعنى ما ترقى له وهم حتى أمر الله نبيه نوحاً بصنعي وعلمه تركيب ضلوعي عند جمعي فبذل في جهده وباشر عملي وحده وكلما مر عليه مالا من قومه سخروا منه قال (إن تسخروا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) فقال تعالى (وَأَصْنَعُ الْفُلَ) بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُّعْرِضُونَ) فاستمر حتى أتم عمله وحق رجاءه وأمله وأنزلني البحر عرُوساً وأطاب بي نفوساً فلتقاني البحر على رأسه وجريت بين رُوحه وأنفاسه وصار كل غريب حاضراً لذي وكما تلاطم البحر ضربته يدي لا ترهبني منه الأمواج ولا تردني عنه الأبراج أحمل الذخائر والأرزاق وأجمع الأحاب والعشاق ومع ذلك فإن أصلي معدين الثمر ونزّهة الأرقاء عند السم فمن له أب كأبي ومن قبلي صنعة نبي فمجدي شامخ ومجد غيري مهتدم والفضل كل الفضل للمتقدم

فالتهمت أحشاء (الوابور) بفحم الحجر وصعدت أنفاسه مشوبةً بشرر وزمجر وكفر وصاح وصفر وجرى حتى خرج عن « الشريط » وقال الشكوت على هذه من التفريط ثم كرّ بعجله وجال وابتدأ رداً عليها فقال

الحمد لله خالق كل موجود الذي شرقتي بالذِّكر قبل الوجود حيث امتن
على عباده بخلقها يُحْمَلُونَ ثم قال (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) وَيُسْتَأْنَسُ لِي بِقَوْلِهِ
(وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) وَلَا يَغْفِلُ عَنْ ذِكْرِي إِلَّا الْجَاهِلُونَ وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِالْمَغِيَّاتِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا التَّبَاسِ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ
(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ مَعْدِنِي
دُرُوعًا وَتِيجَانًا وَقَاتَلُوا بِهَا حَتَّى أَظْهَرُوا دِينَنَا وَأَرْضُوا دِيَانَنَا «وَبَعْدُ» فَالْوُقُوفُ
عِنْدَ حَدِّ النَّفْسِ إِنْصَافُ الْخُرُوجِ عَنْهُ قَبِيحٌ الْأَوْصَافُ: الْفَخْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ
كِبَرٍ أَوْ غَبَاةٍ وَهُوَ أَوَّلُ دَاعٍ لِلْحَرْبِ وَالْعَدَاوَةِ نَسْكَمُ أَنْارَ حَرْبًا وَأَضْرَمُ نَارًا وَكَمْ
هَدَمَ قَصْرًا وَأَبَادَ دَارًا وَلَكِنْ شَرُّ أَهْرٍ ذَانَبٌ وَكَوَّةٌ فُتِحَتْ بِهَا أَبْوَابُ فَاثِي مَا
كَنْتُ أَظُنُّ أَنَّ السَّفِينَةَ الْخَفِيرَةَ الْمُسْكِينَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْأَجْرَافِ وَتَرْفَعُ فِي وَجْهِ
الْمَجْدَافِ وَلَكِنْ قَدْ يَلْقَى الْإِنْسَانُ ضِدًّا أَمَلَهُ وَالْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَعْلِهِ وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ
الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ وَأُمُّ أَمْرِيكَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ فَاتْتَبِعْهُ فَقَابِلْ أَعْدَاءَكَ بِأَرْدَاِ الْحِجَارَةِ
وَأَيَّاكَ أَعْنَى فَاسْمَعِي بِاجَارَةِ فَاثِكَ وَإِنْ كُنْتَ أَوَّلَ عَمَلٍ لِلْخَلْقِ وَصَنَاعَةِ نَبِيِّ بُوْحَيٍّ
الْحَقِّ إِلَّا أَنْكَ حَمَالَةُ الْخَطْبِ قَرِيبَةُ الْعَطَبِ إِنْ هَبَّتْ عَلَيْكَ نَسَمَاتُ هَالِكٍ مَنْ فِيكَ
وَمَاتَ وَإِنْ كُتِبَتْ لَكَ سَلَامَةٌ فَلَا تُحِبَّ وَلَا كَرَامَةً وَإِنْ كَسَرَ ضِلْمُكَ فَارْعَلَا
فِيكَ الْمَاءَ وَفَارَ: بِمِ تَفْتَخِرِينَ وَأَنْتِ مُكْتَفَةٌ بِالْحِبَالِ وَخَدَمَتِكَ يُنَادُونَ بِالْوَبَالِ إِنْ
سَلَكْتَ طَرِيقَ الْأَمْنِ ارْتَجَفَتِ الْقُلُوبُ وَإِنْ سَاعَدَتْكَ الصَّبَا أَهْلَكَ كَتَكَ الْجُنُوبُ
تَفْرِقِينَ إِنْ زَادَ عَلَيْكَ «طَرْدٌ» وَتَهْلِكِينَ إِنْ نَزَلَ عَلَيْكَ «شَرْدٌ» فَإِنْ أَيْتَ السَّيْرُ
مَسْجُوكٌ عَلَى وَجْهِكَ وَإِنْ كَلُّوا تَرْكُوكُ وَبَاتُوا عَلَى قَلْبِكَ مَا أَقْبَحُ أَصْوَاتِ الْأَوْبَاشِ
حِينَ يَصْعَدُونَ لِسَحْبِ الْقَمَاشِ وَمَا أَفْظَمُ تِلْكَ الضَّجَّةُ إِذَا «شَحَطَتْ» وَسَطَّ

اللَّجَّةَ كَمْ عَقَتْ مَجْبَأً عَنْ حَبِيْبِهِ وَأَحْرَمَتْ تَاجِرًا مِنْ نَصِيْبِهِ وَكَمْ جَعَلَوْكَ مَطِيَّةً لِلْفَسَادِ
وَأَلَّةً لِهَلَاكِ الْعِبَادِ فَإِنْ كُنْتَ ذُكْرُوتَ فِي الْكِتَابِ صِرَاحَةً فَقَدْ ذُكْرُوتُ ضَمْنًا
وَإِنْ ظَهَرْتَ قَبْلِي لَفْظًا فَقَدْ كُنْتَ مَعْنَى مَا تَأْخُرُ لِتَاجِرٍ عِنْدِي سَبَبٌ وَلَا حُرْمٌ مَنْ
صَاحِبِنِي بُلُوغَ أَرْبِ طَرِيقِكَ مُعَوِّجٌ وَطَرِيقِي مُسْتَقِيمٌ لَا يَمَآئِي صَحِيحٌ وَلَا يَسَآئِمُنِي سَقِيمٌ
فَسَجَبْتَ السَّفِينَةَ « الْمَدْلَرَى » وَقَالَتْ لَهُ « بَارِي بَارِي » كَمْ تُعَرِّضُ وَتَصْرِحُ
« وَأَصْفَحْ وَأَصْلَحْ » وَلَكِنْ مَهْلًا يَا أَبَا لَهَبٍ فَقَدْ خَرَجْتَ عَنِ الْأَدَبِ وَلَا بَدَأَ مَا
« أَرْسَى » عَلَى بَرِّكَ وَأَحْرَقَكَ بِلَهَيْبِ جَمْرِكَ حُصِرْتَ بَيْنَ « عَجَلٍ وَقَضِيْبٍ » وَوَقَفْتَ
فِي جَحِيْمٍ وَلَهِيْبٍ وَتَغَذَّيْتَ « بِالْخَشْبِ وَالْفَحْمِ » وَتَفَكَّهْتَ « بِالزَّيْتِ وَالشَّحْمِ »
وَتَوَلَّعْتَ « بِالْمُسَاقَةِ وَالْكُهْنَةِ » وَتَحَايَيْتَ « بِالْهَبَابِ وَاللَّهْنَةِ » وَتَمَكَّنَ الْفَيْظُ فَيْكَ
وَانْحَبَسَ حَتَّى صَارَ فَيْكَ « نَفْسٌ » وَجِئْتَ تَقُولُ إِنِّي حَمَّالَةٌ الْحَطْبِ وَأَنْتَ حَمَّالُ النَّارِ
وَاللَّهْبِ وَإِنِّي قَرْيَةُ الْعَطْبِ وَأَنْتَ أَبُو الْبَلَايَا وَالْكَرْبِ إِنْ جَرَيْتَ فَضَحْتَ عَرَضُكَ
وَإِنْ وَقَفْتَ تَأْكُلُ بَعْضُكَ وَإِنْ صَدَمَكَ شَيْءٌ هَلَكْتَ وَوَقَفْتَ وَمَاسَكَتَ وَإِنْ
كُسِرَ « ذِرَاعُكَ » وَقَعْتَ وَقَلِيلٌ إِنْ طَلَعْتَ وَإِنْ دَخَلَ أَنْفُكَ تَعْمَى صَوْرَتُكَ
وَإِنْ ظَلَمْتَ يَوْمًا طَقَّتْ « مَا سُوْرَتُكَ » تَجْرَى فِي الْخَلَاءِ وَالْقِفَارِ وَتَقُولُ النَّارُ لَا الْعِلْمُ
مَا أَوْسَخَ رَجَالُكَ وَأَضْيَقَ مَجَالُكَ يَا مَفْرَقَ الْأَحْبَابِ وَمُفْزَعَ الرُّكَّابِ غَرِيقِي أَرْجِي
مِنْ غَرِيقِكَ وَبَحْرِي أَنْجَا مِنْ طَرِيقِكَ كَمْ هَرَسْتَ مِنْ إِنْسَانٍ وَطَعَنْتَ مِنْ حَيَوَانٍ
وَخَلَقْتَ رَاكِبًا وَتَرَكْتَهُ حَيْرَانٍ وَكَمْ جَعَلَ رَجَالُكَ النَّاسَ مَسْخَرَةً إِذَا لَمْ يَجِدُوا مَعَهُمْ
« تَذَكُّرَةً » وَكَمْ أَضَعْتَ عَلَى تَاجِرٍ فُلُوسَهُ إِذَا قُدِّدَتْ مِنْهُ « بُولِيْسُهُ » أَعْلَى غَيْرِ
« الشَّرِيْطِ » تَجْرَى فُضْلًا عَنْ لَجَى وَبَحْرِي أَدْخَلَ نَفْسَكَ فِي « مَخْزَنِ الْوَفْرِ »
(وَفَضْلِكَ مِنَ النَّفْخِ وَالصَّفْرِ) تَفْتَخِرُ عَلَى أَغْصَانِ الطَّعُومِ « وَأَنْتَ حَدِيدٌ يَامْشُومٌ »

ولئن سرت على « عجل » فقلوب أهلك في وجل أما علمت أن العجلة من الشيطان
وأن الباغى جزاؤه النيران شغلت بالأكل والتمشي ففانك الرفق والتأني
وبالجملة فاني سابقة هذا الميدان ولا ينتطح في ذلك عنزان

فتمحرك الوابور تحرك ناقد وتهمد تهمد حاقد وقطع (قطره) وأنى (شحنًا)
وقال أسمع جمعة ولا أرى طحنا أبعوض تطن في أذن فيل وصورة تعد في التماثيل
ولكني أبيت مخاطبتك وعفت وكرهت وجهك المدهون « بالزفت » فان حالاك
حال الخيران وصباحك صباح « القطران » وكيف أفلخر امرأة عقلها في « مؤخرها »
وهلاكها في تمزيق منزرها تقاد بحبل طويل وتنقاد لأذنى « عويل » يديرها
(شاغول) وفكرها مشغول تتبع هواها في السير ولها جناح كالطير أمة فيها (قاريه) ويد
عاجزة لها (باريه) نالقة العيرين في ذل (الوتد) جمالة الخطب في جيد هاجبل من مسد

﴿مناظرة بين الليل والنهار لمحمد افتدي المبارك الجزامرى﴾

لما أسفر النهار عن بياض الغرة قابله الليل بسواد الطرة ثم صار الهزل جدًا
واشتد النزاع بينهما جدًا فاستجد كل منهما أميره وأفشى له سره وضميره وإذا
بالليل حل على النهار فصبغ حمرة وردته بصفرة البهار وخطر يجر ذبول تيهه
وعجبه مرصعًا تيجان مفاخره بدر رشبه . ثم قال : (والليل اذا يغشى) . (إن
في ذلك لعبرة لمن يخشى) ففتح باب المناقشة في هذا الفصل وعقد أسباب المناقشة
بقوله الفصل (فان الحرب أولها كلام) ثم تنجلي عن قتيل أو أسير بكلام . ولما
بلغ الليل غايته بزغ الفجر ورفع رايته وقال إذ جال في معترك المنايا (أنا ابن
جلال وطلّاع الثنايا) فتقدم في ذلك الميدان وجلي تاليا قوله تعالى (والنهار اذا
نجلى) ثم استوى على عرش السنا والسناه وأطلع شمس ظلمته في الأرض والسماء

فَأَعْرَبَ عَنْ غَوَامِضِ الرِّقَائِقِ وَالْحَقَائِقِ وَأَعْرَبَ فِي نَشْرِ مَا انْطَوَى مِنَ الْأَسْرَارِ
وَالدَّقَائِقِ وَمَا انْجَدَرُ مِنْ مَنِيرِهِ حَتَّى أَتَيْدَ دَعْوَى خَبْرِهِ بِشَاهِدٍ مَخْبَرِهِ — فَاثْتَدَبَ
إِلَيْهِ « اللَّيْلُ » وَمَالَ عَلَيْهِ كُلَّ الْمِيلِ وَقَالَ أَحْمَدُ مَنْ جَعَلَنِي خَلْوَةً لِلْأَحْجَابِ وَجَلْوَةً
لِعَرَائِسِ الْعِرْفَانِ وَنَفَائِسِ الْأَدَابِ وَخَلَقَنِي مِثْوَى لِرَاحَةِ الْعِبَادِ وَمَأْوَى لِحَاصَةِ النَّسَاكِ
وَالْعُبَّادِ : وَلِلَّهِ دَرْ مِنْ قَالَ فَأَجَادَ

أَيُّهَا اللَّيْلُ طُلْ بِغَيْرِ جُنَاحٍ لَيْسَ لِلْعَيْنِ رَاحَةٌ فِي الصَّبَاحِ
كَيْفَ لَا أَبْغِضُ الصَّبَاحَ وَفِيهِ بَانَ عَنِّي نُورُ الْوُجُوهِ الصَّبَاحِ
أَتَرَدَّدُ عَلَى أَرْبَابِ الْمَجَاهِدَةِ بِنُفُوسِ الْغُرَائِبِ وَأَتَوَدَّدُ إِلَى أَصْحَابِ الْمَشَاهِدَةِ بَعِيُونَ
الرَّغَائِبِ تَدُورُ فِي سَاحَتِهِمْ بِدَوْرِ الْحَسَنِ وَالْبَهَاءِ وَتُدَارُ مِنْ رَاحَتِهِمْ كُؤُوسُ الْأَنْسِ
وَالْهَنَاءِ فَتُحْيِيهِمْ نَقَمَاتُ السَّمَرِ وَتُخَيِّمُهُمْ نَسَمَاتُ السَّحَرِ فَأُحْيَانُ وَصَلِي بِالْهَيْهَاتِ مُقَمَّرِهِ
وَأَفْنَانِ فَضْلِي بِالْأَمَانِ مُشْمَرِهِ وَحَسْبِي كَرَامَةُ أَنْتَى لِلنَّاسِ خَيْرُ لِبَاسٍ أَقِيمُهُمْ بِالْطَفِ
الْإِيْنِاسِ مِنْ كُلِّ بَاسٍ وَمَنْ وَاصَلَ الْإِدْلَاجَ وَهَجَرَ طَيْبَ الْكَرَى قِيلَ لَهُ « عِنْدَ
الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرَى »

وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا الْمَجْدُ مَطِيَّةٌ وَمِيدَانُ سَبْقٍ فَاسْتَبَقَ تَبْلُغَ الْمُنَى
فَفَتَنَ بِمَعَانِي بَيَانِهِ الْبَدِيعَ وَتَفَتَّنَ فِي أَفَازِنِ التَّضَرُّعِ وَالتَّرَضُّعِ ثُمَّ أَتَمَّ خُطْبَتَهُ
بِالْتَّمَّاسِ الْمَغْفُورَةِ وَالْعَفْوِ وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ دَوَاهِي الْغَفْلَةِ وَدَوَاعِي اللَّهِ فَوَثَبَ إِلَيْهِ (النَّهَارُ)
وَصَالَ عَلَيْهِ صَوْلَةً مَلَكٌ قَهَّارٌ وَصَعَدَ عَلَى مَنْبَرِهِ ثَانِيًا وَقَدْ أَضْحَى النَّيَةُ لِعَظْفِهِ ثَانِيًا
فَأَتَتْ عَلَى مَنْ تَجَلَّى ظُلْمَةُ الْحِجَابِ وَتَحَلَّى لَهُ بِاسْمِهِ النُّورُ وَتَوَجَّهَ بِسُورَةِ مِنَ الْكِتَابِ
وَزَانَهُ بِأَبْهَى سَرَّاجٍ وَهَاجَ فَأَوْضَحَ بِسَنَاهِ السَّيْلِ وَالْمَنْهَاجِ ثُمَّ صَاحَ أَيُّهَا اللَّيْلُ
هَلَا قَصُرَتْ مِنْ اعْجَابِكَ الذَّلِيلُ وَلَوْ أَنَّ دَرَاتِ رَحَى الْحَرْبِ وَاسْتَمَرَّتْ نَارُ الطَّعْنِ

والضرب فلا سبين مخدراتك وهي عن الوجوه حاسره وأنت تتلويومشد
 (تلك إذا كرتة خاسره) فما دعاك الى حلبة المفاضلة وما دهاك حتى عرّضت
 بنفسك المناضلة وهل دأبك إلا الخداع والمكر وترقب الفرصة وأنت داخل
 الوكر أما حصّ القرآن على التّعوذ برب الفلق وندب (من شرّ ما خالق ومن شرّ
 غاسق اذا وقب) فبرّيتي يستعاذ من شرك ويستعان على صنوف صروف غدرك
 وهب أنك تجمع المحبّ بالحبيب اذا جار عليه الهوى وحرار الطيب فكم يقاسى
 منك في هاجرة الهجر ويئنّ أنين التكلّي حتى مطلع الفجر

بيت كابات السليم مسهنا وفي قلبه نار يشبّ لها وقد
 فيساهر النجوم ويساور الوجوم وقد هاجت لواعج غرامه وتحركت سواكن
 وجده وهيامه : فأنشد وزفيره يتصعد

أَقِصِّيْ نَهَارِيْ بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِيْ وَالْهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
 نَهَارِيْ نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَيْلِيْ هَزَّتْنِيْ إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
 عَلَى أَنَّ الْعَاشِقُ الْوَالِدَ يَشْكُو مِنْكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فَكَمْ قَطَعَ أُنَاءُكَ بِمَوَاصِلِهِ أَنْ يَنْهَ
 مَتَمَلِّلاً مِنْ فِرَطِ شَوْقِهِ وَحَنِينِهِ فَلَمَّا أَنَّ حُظِّيَ بِالْوَصَالِ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ قَالَ
 اللَّيْلُ إِنِ اصْلَحْتُ كَاللَّيْلِ إِنْ هَجَرْتُ أَشْكُو مِنْ الطُّولِ مَا أَشْكُو مِنْ الْقِصَرِ
 وَلَيْتَ افْتَحَرْتُ بِدِرْكِ الْبَاهِرِ الْبَاهِي فَاتِمَّا تَبَارَى بِيَعُضِ أَنْوَارِي وَتَبَاهَى وَهَلْ
 لِلْبَدْرِ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ نَوْرٍ أَوْ اطَّلَاعِهِ حُسْنُهُ مِنْ خَدُورِ الْبَطُونِ ظُهُورِ وَمَنْ
 ادَّعَى أَنَّكَ تَسَاوَيْتَنِي فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ أَوْ زَعَمَ أَنَّ الشَّمْسَ تَقْتَبِسُ مِنْ مِشْكَاةِ
 الْبَدْرِ وَمَتَى اسْتَمَدَّتْ الْأُصُولُ مِنَ الْفُرُوعِ « وَمَا أَغْنَى الشُّمُوسُ عَنِ الشَّمُوعِ »
 فِي تَنْجَلِي مَحَاسِنِ الْمَظَاهِرِ الْكُونِيَّةِ وَتَحَنُّنِي بِجَوَاهِرِ الْأَعْرَاضِ اللَّوْنِيَّةِ وَأَنِّي بِنَحْفَى

حسنى وجمالى على مُشاهد أو يفتقرُ فضلى وكالى الى شاهد وعيرضى عارى عن العار
وجميعُ الحسن من ضيائى مُستعار

وليس يصحُّ فى الأذهان شئٌ إذا احتاج النَّهار الى دليل

أما كفاك بَيِّنَةٌ وزادك ذكرى وتبصرة قوله تعالى (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا
آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) (وهل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور)
وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور وإن كنتَ مَعْنَى الأُنس والأفراح
تفعل بعقول الناس فعل الرَّاح فهل حسبت أن السُّكون خير من الحركة وقد أجمع العالم
على أن « الحركة بَرَكَةٌ » فإن لى بكل خطوة خطوة وليس لجوادر كبوة ولا إصارى
نُبوة وإن صرحتَ بالذين يبيتون لربهم سُجداً وقياماً معرّضاً بكل غافل لاه فى كل
مجالٍ رجالٌ لا تسلمهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وأين من احتجبَ بظلمات
بعضها فوق بعض ممن أضحي ينظر بعين الاعتبار فى ملكوت السموات والأرض
وقد أنحفتى الله بالصلاة الوسطى فأتزُّ بها صلواتى وشرع فيها الأسرار لا سرار
اختصت بها أهل جلواتى وكفانى شرفاً (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن)
فما ترى مأثورةً فى القديم والحديث ومفاخرى منشورةً فى الكتاب والحديث
ومحاسنى واضحةً لأولى الأبصار وهل تخفى الشمس فى رائحة النَّهار فاكفُفْ
عن الجدال وأمنيك ولا تجعل يومك مثل أمسك وسالمٌ من آيس لك عليه قدرة
فقد قيل (ما هلك امرؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ) أقول قولى هذا وأستغفرُ الله من آفة
العُجب والكبرياء ولما أنهار رُكن النهار إنباهً (الليل) وتبرقعَ بالاكفيرار
فسد ما بين الخافقين بسواده وطفقَ يرمى بسهام جداله فى جلاده وقدّم بين
مجنّاه سورة القدر آية على ما حلّزه من كمال الرِّفعة والقدر وثنى بقوله تعالى (سبحان

الذي أسرى بعديه ليلاً) فأشار إلى الحبيب حين تجلّت له قرّة عينه ليلاً ثم قال
 سَحَقًا لَكَ أَيُّهَا النَّهَارُ فَقَدْ أَسَسْتَ بُنْيَانَكَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ تُنَاضِلُنِي وَرَمَى كَانَ
 انْسِلَاخُكَ وَظُهُورُكَ وَتُفَاضِلُنِي وَبِئْسَ أَرْخَتُ أَعْوَامُكَ وَشُهُورُكَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَخْشَعَ
 لِلذِّكْرِ فَتَعْتَرِفَ لِي بِرُبُوبِيَّةِ التَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ وَكَيْفَ تُعِيرُنِي بِلَوْنِ السَّوَادِ وَهَلْ يَقْبُحُ
 السَّوَادُ إِلَّا فِي الْفُؤَادِ أَمْ كَيْفَ تُعِينُنِي بِالْخُدَاعِ « وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ » وَلَيْسَ الشَّيْءُ فِي
 مَوْطِنِهِ بَغَرِيبٍ وَلَا بِدَعَةٍ أَمَا تَشْهَدُ الْعَوَالِمُ مِنْ هَيْتِي حَيَّارَى « وَتَرَى النَّاسَ
 سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى » فَكَمْ أَرَقْتُ مُلُوكًا أَكْاسِرَةً وَأَرَقْتُ دِمَاءَ أُسُودٍ
 كَاسِرَةٍ وَكَمْ أَوْرَيْتُ نَارَ الْوَعْيِ نَحْتِ الْعَجَاجِ وَقَدْ أَزُورَّتِ اللَّحَاطُ وَانْغَبَرَتْ
 الْعِجَاجُ فَأَنَا الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ الْمُتَوَرُّ بِثَارِهِ وَافْتِخَارُكَ
 عَلَى الصَّلَاةِ الْوُسْطَى لَيْسَ بِإِنصَافًا مِنْكَ وَلَا قِسْطًا وَهَبْ أَنْتَ أَنْفَرَدْتَ بِتِلْكَ
 الصَّلَاةِ الْجَمِيلَةِ فَأَيْنَ أَنْتَ مِمَّا أُوتِيَتْهُ مِنَ الصَّلَاتِ الْجَزِيلَةِ أَمَا كَانَ اقْتِرَاضُ الصَّلَاةِ
 فِي لَيْلَةِ الْعُرُوجِ فَمَا بِالْكَ تَدْعَى الْارْتِقَاءَ إِلَى هَذِهِ الْبُرُوجِ

وَمَا أَعْجَبَتْكَ قَطُّ دَعْوَى عَرِيضَةٍ وَلَوْ قَامَ فِي نَصْدِيقِهَا أَلْفُ شَاهِدٍ
 وَأَمَّا افْتِخَارُكَ عَلَى بِفَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَمَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ السَّبْعِ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ
 فَهَلْ صَحَّ لَكَ صِيَامُهُ إِلَّا بِبَدَأٍ وَخَتَامٍ وَقَدْ تَمَيَّزَتْ عَلَيْكَ بِفَضِيلَةِ إِحْيَائِهِ تَهَجُّدًا
 وَقِيَامًا عَلَى أَنِّي مَحَلُّ النَّبِيَّةِ « وَنِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ » لَا تُنْهَى بِمَثَابَةِ الرُّوحِ لَهُ وَبِهَا
 يَحْطَى الرَّاجِي بِبُلُوغِ أَمَلِهِ هَذَا وَإِنِّي أَتَكْفَلُ لِلصَّائِمِ بِمَدِيدِ الرَّاحَةِ وَوَافِرِ الْأَجْرِ
 حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ وَكَيْفَ تَفْتَخِرُ بِالنَّسَبِ
 الْمُنَزَّهِ فِي مَزَايَاهُ عَنِ الْمَشَارِكَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِيهِ « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ » وَهَلْ
 فِي مَطَالَعِ سُعُودِكَ أَشْرَقَتْ بِدُورِ الْعَبِيدِ أَمْ عَلَى جَنَاحِ جَنَحِكَ أُسْرَى بِنُورِ مَلَكَةٍ

الكونين ثم عُرج به عليه الصلاة والسلام الى منزلة قاب قوسين وهل في تجليات
أسحارك يقول الرب هل من سائل فيُنَاجيه العبد متضرِّعاً اليه بقلب خاشع ودمع
سائل ومما اختصصتُ به من الفضائل والمفاخر أنه في دولتي ولدتُ سيِّد الأوائِل
والأواخر وناهيك بليالي شهر الله رجب وكيف لا وفي طالعها السعيد حملت أمانة
بسيِّد العجَم والعرب « فطلع النهار » طلوع الأسد من غابه وكسرت جيوش الدُّجى
حين كسرت عن نابه وشمَّرت للحرب العوان غير ناكِل ولا وَّانٍ ناشراً في الأُفق
رايته البيضاء وأسنَّته لامعة بين الخضراء والغبراء وقال والذي كسانى حائل الملاحة
وأطلق لسانى بالبلاغة والفصاحة لا تُعجُون سطور الدُّجى من طُروس الوجود
ولأُثبتنَّ حسن أحوالى فى مقامات أهل الشُّهود فانى معروفٌ بالوفاء وصدق الخبر
موصوف بالصفاء الذى لا يشوب صفوه كدر كيف يُباهينى الليل بمكارم الأُخلاق
ومحاسن الشَّيم وأنا أتحدِّث بنعم الله وهو موسوم بكُفران النعم ألسنتُ مظهر الهداية
والدلالة وهو مظهر الغواية والضلالة فكُم أُرشدتُ من أضله وأعزَّزتُ من أهانه
وأذله وكُم أظهرتُ منه عيباً كان غيباً فانيَضَّ عَيْنُهُ حزناً « واشتعل الرأسُ شيباً »
وَمَنْ جَهِاتَ نَفْسُهُ قَدَرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وكيف يزعم هذا العبد الأبق أنه لسيِّده فى حَلبة الشرف سابق وقد قال
الواحد القهار (ولا الليلُ سابقُ النهار) إن هو وأئِمُّ الله إلّا كافر وبشموس أنوار
الشهادة غيرُ ظافر لو كان من السُّعداء لفاز بدار النعيم ولولا شقاؤه لما شابههُ سوادُ
طبقات الجحيم وماذا يُؤمله من الجزاء ويرجوه (يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه)
أما دري أن هيفته سوداء مظلمة ومحيق تَفصح عن نفس مؤمنة بالله مُسلِّة وآتى
يرزق كتابه إلى عِلَمين وهو من ظلمات الحجاب فى سَجَين ثم أقبل عليه وأشدُّ مشيراً إليه

يا مُشَبِّهاً في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمة
 خلقتك من خلقتك مُسْتَخْرَجٌ وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَةِ
 وقال كيف تدعى فوق حالك وأى فضل لمن مَنَظَرُهُ أَسْوَدَ حَالِكَ أما علمت
 أن الظاهر للباطن عُمُوانٌ كما أن اللسان عن الجنان تَرْجُمان : قال أفضل الخلق
 « ابْتَغُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حَسَنِ الْوُجُوهِ » وقال الشاعر

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ
 فإنا مفتاح خزائن الأرزاق وبني يُسْتَفْتَحُ بابُ الكَرِيمِ الرِّزَاقِ وكفائي دليلاً
 على الفضل والكمال « إن الله تعالى جميلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ » لقد سمعتُ أقاويلك
 التي قد متها بين يديك وزعمت أنها حجة عليك ولا جرم أن « لسانَ الجاهلِ
 مِفْتَاحُ حَتْفِهِ وَكَمْ مِنْ بَاغٍ قَتَلَ بِصَارِمٍ بَغِيَةً وَحِيْفَةً — أما انسلخى منك فمن
 أَمْلَحَ الْمَلَحِ لِي وَالْعَرَرُ وَهَلْ تَحَقُّقٌ لِأَصْنَافِ الْأَصْدَافِ أَنْ تُنَافِسَ نَفَائِسَ
 الدَّرَرِ أَلَيْسَتْ (تَلِدُ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا حَرَّةً نَحِيَّةً) وقد قالوا (إن الَّيَالَى حَبَالَى
 يَلِدْنَ كُلَّ عَجَبِيَّةٍ) وَأَمَّا تَقْدُّمُكَ عَلَيَّ فَمِنْ الْعَادَةِ تَقْدُّمُ الْخَدَمِ بَيْنَ يَدَيِ السَّادَةِ
 أَوْ مَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَاقَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ

على أنه (أوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ النُّورَ) كما ورد عن جابر في خبره المأثور
 وَأَمَّا تَحَلَّى صِفَوَاتِكَ بِتَجَلِّيِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي السَّحَرِ فَلَيْسَ إِلَّا لِمَنْ أَحْيَا أَحْيَانَكَ
 بِالْمُجَاهِدَةِ وَالسَّهْرِ وَأَمَّا زُهوكَ بِقِصَّةِ ظُهُورِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ مَقْدِمَاتِ
 الْكَوْنِ وَزُبْدَةُ الْعَالَمِ فَهَلْ وَقَعَ اتِّفَاقُ الرِّوَاةِ عَلَى ذَلِكَ وَأَنِّي لَكَ هَذَا وَصُبْحُ طَلْعَتِهِ بِمَحْوِ
 سَوَادِكَ الْخَالِكِ وَأَمَّا خَبَرُ الْإِسْرَاءِ فَعَنِّي رَوَتْهُ الْأُمَّةُ ثُمَّ بَاقَهُ الشَّاهِدُ لِلْغَائِبِ بَعْدَ أُمَّةٍ
 فَمَا لَاحَتْ أَسْرَارُهُ إِلَّا بِمِطَالَعِي وَلَا زَاحَتْ أَسْتَارُهُ إِلَّا بِطَوَالَعِي وَمَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ

بقية معانيك التي أضاعت بها في الخافقين نجومُ معاليك فانت أين من يوم عَرَفَه
الذي عَرَفَه بأبهى الخصائص مَنْ عَرَفَه وأين أنت من يوم عاشوراء الذي يَعْظُمُ
فيه الشكر والصبر على السراء والضراء وناهيك بِسُمُو شأن العيدين فما أجْلُهُما من
موسمين سعيدين وكيف تفاخرني بساعة تبدو منك مرة في كل عام ولى في كل
أسبوع أمدٌ تمتدُّ فيه موائد الجود والآنعام فأخبارُ أخيارى سارت بها الرُّكبان
وماست بنسيم رقتها معاطف البان وقدرى فوق ما تصفه الألسُن وعندي (ما تشبهه
الأنفُسُ وتَلذُّ الأعين) فدع عنك قول الزور والمين (فقد يُبَيِّنُ الصُّبحُ لذى
عَيْنين) ولما أفاض النهار في حديث يُفَضِّحُ الأزهار أبدع في كنياته وتلويحه وأعرب
في تعريضه وتصريحه (إبتدَرَ إليه الليل) وأجلب عليه بالرجل والحيل وامتطى
جواده الأدهم واعتَمَّ بعمامة سوداء وتلثم فأنسى بفتكاته عنترة بنى عبس حين
أمسى يتوعد عمارة بالقتل والرَّمس ثم نشرَ في الأفق ذوائبه السود وعَبَسَ
وبَسَرَ فَأَسْرَ بسطوته الأسود وقال (فلا أقسمُ بالشفق والليل وما وسق والقمر
إذا اتسق) لا سبيلَ رُؤى النهار ولا جعلته عبرة لذوى الاعتبار فلقد تزيَّيا
المملوك بزى المملوك وادعى مقام الوصول الى صاحب السَّير والسلوك أما كفاه
ازديرائى وتحقيرى حتى حكم بتضليلى وتكفيرى كم أسبلتُ على عوراته ذيل سترى
وهو لا يُبالى بهتك أستارى وكم أودعتُ مكنون سرِّه فى خزانة سرِّى وهو
يبوح بمصون أسرارى أف له من فاضح أما يكفيه ما فيه من المفاضح

أنتم بما استودعتم من زُجاجة يُرى الشئ فيها ظاهراً وهو باطنُ

كيف احتججَ لتقدُّمه بحديث جابر مع أن ما رواه إكمثرى أعظمُ جابر فانه
برهنَ على تقدُّمى عليه لو أدرك سرّاً ما أوما إليه وعلامَ جمل السواد على النقص

علامة وهو مُشْتَقٌّ من السُّودَدَ لَدَى كُلِّ عِلَامَةٍ أَمَا دَرَى أَتَى حُزْتُ مِنْ
 الْكَمَالِ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ حَتَّى تَحُلَّى بِبَدِيعِ وَصْفِي الْعَذْرُ وَالْمِسْكُ الْأَذْفَرُ
 إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَفَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ الْخَلْقِ إِنْ أَيْضَ الْخَلْقِ
 وَهَلْ يُزِيرِي بِالْخَالِ سَوَادُهُ الْبَارِعُ أَوْ يُغَرِّي بِالْبَرَصِ بَيَاضُهُ النَّاصِعُ وَفِي
 بَيَاضِ الْمَشِيبِ عِبْرَةٌ وَأَيُّ عِبْرَةٍ فَكُمُ أَجْرَى مِنَ الْآمِقِ أَعْظَمَ عِبْرَةٍ
 لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضُ نَاصِعٍ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
 وَمَنْ عَابَ نَعْتَ الشَّبَابِ وَفَضْلَ وَصْفِ الشَّيْبِ فَقَدْ غَابَ عَنْ شُهُودِ الْعَيْبِ
 وَعَالَمِ الْغَيْبِ (فَمَا كُلُّ بَيَاضٍ شَحْمَةٌ وَلَا كُلُّ حُمْرٍ لَحْمَةٌ) وَلَمَّا أَنْهَى مَقَالَهُ وَمَلَّ
 مَقَامَهُ شَمَّرَ لِلرَّحَلَةِ أَذْيَالَهُ وَقَوَّضَ خِيَامَهُ قَهْلًا وَجَهَ الصَّبَاحَ وَهَلَّلَ بِذِكْرِ فَالِقِ
 الْإِصْبَاحِ وَازْدَهَاهُ الشَّرُّورُ وَالْإِبْتِهَاجُ كَأَنَّهُ رَبُّ السَّرِيرِ وَالتَّاجِ
 فَكَانَ الصُّبْحُ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثُّرَيَّا
 مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ يُفْدَى وَيُحْيَا

وَبَرَزَ إِلَى الْمُبَارَاةِ مِنْ بَابِهَا إِذْ كَانَ مِنْ فَرَسَاتِهَا وَأَرْبَابِهَا فَسَلَبَ اللَّيْلُ لِبَاسَهُ
 وَأَذَاقَهُ شِدَّتَهُ وَبَاسَهُ وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَعْجَبُ بِنَفْسِهِ الْمَغْرِبِ فِي تَقَشُّهِ صَحِيفَةِ زُورِهِ
 بِنَفْسِهِ (مَا كُلُّ سَوْدَاءٍ تَمَرَّةٌ وَلَا كُلُّ صَهْبَاءٍ خَمْرَةٌ) أَلَمْ تَعْلَمْ أَتَيْنَا أَبْهَى مُحْيَا
 وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الثَّرَى وَالثُّرَيَّا أَيْنَ سَوَادُكَ مِنْ بَيَاضِي وَمَا زَهْرُ نَجْمِكَ إِنْ تَتَلَّأَلُ
 زَهْرُ رِيَاضِي وَكَمْ أَطْلَعْتُ بِدُورًا فِي مَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ فَأَضْحَتُ تَزْهَوُ بِجَمَالِهَا عَلَى
 الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَهَلْ لَكَ مِثْلُ الْغَزَالَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ فِي الْمَلَاخَةِ لَا مَحَالَةَ فَأَنَا
 الَّذِي ضَاءَ صَبَاحُ الصَّبَاحَةِ مِنْ مُحْيَاهِ وَضَاعَ عَبِيرِ الْعَنْبَرِ مِنْ نَشْرِ أَنْفَاسِهِ وَطِيبِ
 رِيَاهِ وَلَوْلَايَ مَا عُرِفَ الْحَسَنُ وَالْجَمَالُ وَلَا سَعَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِدَرِ الْكَمَالِ: فَوَجِمَ

(الليل) لبراعة تلك العبارة وبلاغة ما لاح له من الرمز والإشارة ثم وثب للقال كأنما أنشط من عقال وقال (رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ) ومظلوم خُيَّبَ الذَّهْرَ أَمَلُهُ فإلى متى يسومني النهار وحتى مَ يسومني عذاب النار طالما أعزته اذْ نَأْتَمَّاءَ وعَيْنَا عَمِيَاءَ وهو لا يَنْتَنِي عن المُقَابَلَةِ ولا يَرْعَى عن المَحَارَبَةِ والمُقَاتَلَةِ أَمَا تَعْلَمُ أَيُّهَا الْمُفْتَرِ بِيَاضِكَ أَنَّ السَّوَادَ حَلِيَّةُ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالصَّلَاحِ وَهَلْ يَسْتَرْقِ الْأَسْوَدُ إِلَّا سُودُ أَحْدَاقِ الْمَلَايحِ يَدُ أَنْ الْحَرُّ لَا يُبَالَى بِالْجَمَالِ الظَّاهِرِ وَأَمَّا يُبَاهَى بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَالْقَلْبِ الظَّاهِرِ فَإِنَّ تَفَاوُتَ الْمَرَاتِبِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْمَنَاقِبِ

وما الحسن في وجه القتي شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق
وكم أعددتُ للأنس مقاعد وفي الأمثال (رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ) فَإِنَّ ظِلِّي
ظليل ونسيمي عليلٌ بليل تهدي إلى الأنفاس وتسكن الأعضاء والحواس
(فقام النهار) يَعْشُرُ فِي ذَيْلِهِ وَقَدْ كَفَّكَفَ وَكَفَّ سَيْلُهُ فَمَا لَبِثَ أَنْ
تَنْفَسَ الصَّبَاحُ وَأَظْهَرَ مِنْ سَنَاءِ مَا أَخْفَى ضَوْءُ الْمَصْبَاحِ وَرَفَرَفَ بِجَنَاحِهِ الْإِيضُ
عَلَى الدُّجَى فَاقْتَنَصَهُ مِنْ وَكْرِهِ بَعْدَ مَا سَكَنَ وَسَجَا
فَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْأُفُقِ بَارِزٌ وَالدُّجَى بَيْنَ مِخْلَبَيْهِ غُورٌ
وَقَالَ تَبَّأُ لَكَ أَيُّهَا (الليل) فَلَقَدْ أُوتِيتَ مِنَ الْمَنِّينِ أَوْفَرَ نَيْلِ أَيُّ حَدِيثِكَ صَحِيحٍ
وَضَعْتُهُ وَأَيُّ حَقٍّ لَكَ صَرِيحُهُ

عليك بالصدق ولو أنه أَحْرَقَكَ الصَّدَقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَأَنْفَعُ رِضَا اللَّهِ فَأَبْغَى الْوَرَى مَنْ أَسْخَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدَ
نعم لك في السمر خبرٌ مرفوعٌ يَدُ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ فِي السُّنَّةِ مَوْضُوعٌ قَدْ اشْتَبَهَتْ
لَكِنْ بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ وَعَدَلْتُ لَكِنْ عَنْ سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْأَنْصَافِ تَكْتُمُ عَنْ الْمَرْءِ

مَا يُرَدِّيه (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) وَفِي الْمَثَلِ (اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ) فَا
أَصْعَبَ مَرَاهِكَ قَبْلَ افْتِرَارِ سُهَيْلٍ وَهَلْ يَتَرْتَمِ بِذِكْرِكَ إِلَّا غَافِلٌ وَأَتَى يَغْتَرِّ بِكَ
عَاقِلٌ وَنَجَّمَكَ آوَلٌ وَكَيْفَ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ وَأَنْتَ تَفْتَقِرُ إِلَيَّ وَلِمَا سَلَبَ النَّهَارُ بِأَسَالِيبِ
يَا نَهَ الْعُقُولِ « سَكَتَ اللَّيْلُ » مَلِيًّا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِمَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
كَيْفَ أَتَصَدَّى لِلْكَذِبِ وَأَتَرَدَّى بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَأَنَا الْمُنْعَوْتُ بِالْأَطْفِ وَالظَّافِ
وَالْمَوْسُومُ بِالصَّنْتِ وَغَضَّ الطَّرْفُ كَيْفَ أَوْرَثَ الْغُرُورَ وَأَوْرَثَ الْغَفْلَةَ عَلَى الْحُضُورِ
وَأَنَا الدَّاعِي إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَحَدِّهِ وَالسَّاعِي فِي رَدِّ الْكَثْرَةِ الْوَهْمِيَّةِ إِلَى عَيْنِ الْوَحْدَةِ
وَأَنَا الْمَوْصُوفُ بِالسَّيْرِ الْجَمِيلِ وَالْمَعْرُوفُ بِشُكْرِ الْمَعْرُوفِ وَالْجَمِيلِ وَهَلْ أَحْجَبُ الْبَصَرَ
عَنْ شُهُودِ عَالَمِ الْكَثَافَةِ إِلَّا لَأَكْشِفَ لِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ عَنْ عَالَمِ الْأَطَافَةِ وَبِذَلِكَ
يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ بِفَنَائِهِ عَنْ وُجُودِهِ فَيَمْدُهُ الرَّبُّ تَعَالَى بِسَرِّ بَقَائِهِ مِنْ خِرَافِنِ جُودِهِ
ثُمَّ قَالَ (النَّهَارُ لِلَّيْلِ) وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْهِ هَجُومُ السَّيْلِ أَيُّهَا الْمَدَّعِي مَقَامَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ
وَهُوَ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ عَنْ مَوْلَاهُ لَاهُ كَيْفَ تَسَنَّنْتَ ذُرْوَةَ هَذَا الْمُنْتَبِهِ كَأَنَّكَ تَكْتُبُ
بِالْيَسَارِ وَتَخْتَمُ بِالْعَنْبَرِ لَقَدْ أَطْلَتَ فِيمَا (لَا طَائِلَ تَحْتَهُ) وَلَا مَعْنَى فَكَمْ ذَا (أَسْمَعُ
جَمْعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا) فَلَوْ كُنْتَ مِمَّنْ آتَتْخَبُ غُرْرَ الشَّيْمِ وَأَتَنَقَّى لَا تَعَطَّتْ
بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلَا تُدْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ آتَى) فَتَنْبَهَ مِنْ غَفْلَتِكَ أَيُّهَا « اللَّيْلُ »
قَبْلَ أَنْ تَدْعُو بِالْثُبُورِ وَالْوَيْلِ وَإِلَّا فَرَّقَتْ طَلَائِعُ سَوَادِكَ أَيْ تَفْرِيقُ وَمَزَقَتْ
سَوَابِغَ ظِلَامِكَ أَيْ تَمْزِيقُ (فَمَا كُلُّ مَرَّةٍ تَسَامُ الْجَزَّةُ) فَاسُودَ وَجْهُ اللَّيْلِ وَانْقَلَبَ

(بِحَشْفٍ وَسُوٍّ كَيْلٍ) وندم على مُناضلة النهار ندامة الفرزدق^(١) حين فارَّق النّوار
(ولمّا سقط في يده) ورزى في عدّه وعدّده تردّى بالسّواد ولبس ثياب الحداد
ثم لاح هلاله للعين كمنجلٍ صبيغٍ من لُجَيْنٍ

أَنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَلَالٍ بَدَأَ بِجَلْوٍ سَنَا طَلْعِهِ الْخَنْدَسَا
كَمِنْجَلٍ قَدْ صَبِغَ مِنْ فَضَّةٍ يَحْصِدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى نَرْجَسَا
وقال مَنْ يَنْصَقِي مِنْ هَذَا الْجَائِرِ وَيَنْصَرُّ لِي فَأُبْنُهُ شَكْوَى الْوَالِهِ الْخَائِرِ
فَتَنَامَ أَعَانِي حَدَّ الظُّبَا (وقد بلغ السيل الزُّبى)

وكنْتُ كَلْتُمْنِي أَنْ يَرَى فَلَقَا مِنْ الصَّبَاحِ فَلَمَّا أَنْ رَأَاهُ عَمِي
فانتبه طرف (النهار) وأزدهر سراجُه أيّ أزدهار وشرع يتلو سورة النّور
بكمال الابتهاج والشمس تُرَقِّمُ آيَةَ جَمَالِهِ بِالذَّهَبِ الْوَهَّاجِ
وقابل الصُّبْحُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَارْتَسَمَتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي أَلْوَاكِهِ السُّودِ
ثم قال أبها «الليل» البهيم (تالله إنك لفي ضلالك القديم) كيف تدعى أنك
مظلوم وتشتكي من جورى وأنت الظّلم وهب أنى قاتلتك ظلماً فأنت البادي
وهل قابلتك الألبا واجهتني به في المبادى وهأنا برهنْتُ على فضلى بشهودٍ عُدُولِ
ليس للمُنْصِفِ عَنْ تَرْكِ كَيْفَةِ شَهَادَتِهِمْ عُدُولِ فَاسْتَقِلْ مِنْ دَعْوَى الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ فَقَدْ

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها في مجلس عبد الملك بن مروان وذلك ان الفرزدق
قال في المجلس وعنده جرير — النوار طالق ثلاثا ان لم أقل بيتاً لا يستطيع جرير ان ينقذه ابداً
فقال عبد الملك ما هو فقال

فاني انا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله
فقال جرير ام حرزة طالق منه ثلاثا ان اكن نقضته وزدت عليه فقال عبد الملك مات فانشد
انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك فضلك والله يا ابا فراس وطلق عليك

(حَصَّصَ الْحَقُّ) وَوَضَحَ الْفَجْرَ وَإِنْ أَيْتَ سُلُوكَ مَحَجَّتِي وَلَمْ تَتَضَحْ لَكَ أَدِلَّةٌ حَجَّتِي فَهَأُمُّ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ (وَلَا يُذَبِّكُ مِثْلُ خَيْرٍ) فَأَنْكَرَ اللَّيْلُ زَعْمَهُ التَّفَرُّدَ بِالْفَضْلِ وَادَّعَاهُ وَأَجَابَ فِي عَرَضٍ أَمْرَهَا عَلَى الْأَمِيرِ دُعَاهُ وَقَالَ « عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ وَعِنْدَ ابْنِ بَجْدَنَهَا حَطَطَتْ

﴿ وَكَتَبَ أَيْضًا مَنَاظِرَةً بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ﴾

جَالَتْ السَّمَاءُ فِي ذَلِكَ الْمِضَارِ وَصَالَتْ وَتَوَهَّتْ بِرُفِيعِ قَدَرِهَا وَقَالَتْ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَمَنْعَ أَشْرَفِ الْخَلْقِ إِلَى مَرْجَا وَقَدَّ مَنِي فِي الذِّكْرِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَشَرَفَنِي بِحُجْمَنِ الْقَسَمِ وَاتَّخَفَنِي بِأَوْفَرِ الْقِسَمِ وَقَدَّسَنِي مِنَ النِّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ وَأَطْلَعَنِي عَلَى الْغَوَامِضِ وَالْغُيُوبِ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الرَّبَّ يَنْزِلُ إِلَى كُلِّ لَيْلَةٍ فَيُوقِلِي مَنْ تَعَرَّضَ لِنَفْحَاتِهِ بِرَّهِ وَنَيْلِهِ فَيَأْخُذُ مِنْ تَحْفَةٍ جَلِيلَةٍ وَمِنْحَةٍ جَزِيلَةٍ يَحِقُّ لِي أَنْ أَجْرَ بِهَا ذُبُولَ الْعِزَّةِ وَالْإِفْتِخَارِ وَكَيْفَ لَا وَالْوَجُودَ بِأَسْرِهِ بِأَسْطَى أَيْدِي الذَّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ فِي الْعِزِّ الْبَاذِخِ وَالْمَجْدِ الْإِثِيلِ الشَّامِخِ لِنَفَرْدِي بِالرَّفْعَةِ وَالسُّمُوِّ وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ دُونَ غُلُوِّ فَقَالَتْ لَهَا ﴿ الْأَرْضُ ﴾ وَيَا لَكَ لَقَدْ أَكْثَرْتَ نَزْرًا وَأَوْرَثَكَبْتَ بِمَا فَهَتْ بِهِ وَزَرًّا أَمَا إِنَّهُ لَا يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ عَاقِلٌ وَلَا يَأْمَنُ مُكْرَ رَبِّهِ الْغَافِلُ وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ بِقَوْلِهِ أَوْ فَلَهِ فَمَا لَهُ كَمَا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَرَاكَ نَعْلَهُ وَقَدْ قِيلَ مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ وَقَوْلِكَ عِنْدَ حَدِّكَ وَمَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا سَاءَ وَمَا كَفَاكَ أَنْ خَطَرْتَ فِي مِيَادِينِ الْيَمِّهِ وَالْأَعْجَابِ حَتَّى عَرَّضْتَ لِسُتْمِي إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَهَلْ اخْتَصَّكَ اللَّهُ بِاللَّذِّ كَرَأَوْ أَقْسَمَ بِكَ دُونِي فِي الذِّكْرِ كَرَأَوْ آتَرَكَ بِالتَّقْدِيمِ فِي جَمِيعِ كَلَامِهِ الْقَدِيمِ حَتَّى تَرَدَيْتَ بِالسُّكْرِيَاءِ وَتَعَدَّيْتَ طَوْرَ الْحَيَاءِ

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
 وكيف تزدري أهلك بالذنوب والمعاصي وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنواصي
 فقابلتها **(السماء)** بوجهٍ قد قطبته ومجن قد قلبته وقالت لها في الحال أيتها القافعة
 بالمحال ما كنت أحسب أنك تجترئين على مبارزة مثلي وتشكرين على ما ترنمت
 به من شواهد مجدي وفضلي وهل خلت أن التحدث بالنعم مما يلام عليه مع أنه
 أمرٌ مندوبٌ إليه ومن أمثال ذوي الفطنة والعقل ليس من العدل سرعة العذل
 ولم جحدت ظهور شمس كمالى وهل لك من الفضائل والفواضل كما لى ولكن
 لك عندي عذراً جلياً وان كنت (لقد جئت شيئاً فرياً)

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ ويُشكر الفم طعم الماء من سقمٍ
 ولو رأيت ما فيك من المساوى عياناً لما نذيت الى حلبة المفاخرة عياناً فأتى
 تفوزين بأشرف الأقدار وأنت موضع الفضلات والأقدار وما هذا التطاول والإقدام
 ووجهك موطن النعال والأقدام ان هذا إلا فعل مكابر دعوى عريضة وعجز
 ظاهر وهل يحق للكشف أن يتعالى على اللطيف أم ينبغي للوضيع أن يتعالى على
 الرفيع فقالت لها (الأرض) أيتها المعتزة بطوالع أقمارها والمعتزة بلوامع أنوارها
 (ما كل بيضاء شحمه ولا كل حمراء لحمه) فيم تزعمين أنك أتقى منى وأنقى وما عند
 الله خيرٌ وأبقى وأنت واقفة لى على أقدام الخدمة جارية فى قضاء ما ربي بحسب
 الحكمة قد كفلك الحق بحمل مؤونتي وكلفك بمساعدتي ومعونتي ووكلك
 بإيقاد سراجي ومصباحي ووكلك الى القيام بشؤني فى ليلى وصباحي وليس
 علوك شاهداً لك بالرتبة العالية فضلاً عن أن يوجب لك مقام الأفضلية (فما كل
 مرتفع نجم ولا كل متعظم ذو شرف ومجد)

وإن علاني من دوني فلا عجبٌ لي أسوةً بانحطاط الشمس عن زحلٍ
فمن أعظم ما فقتُ به حسناً وجمالاً وكيدتُ بأخصمي أطاً الثرياً فضلاً وكلاً
تكوينُ الله مني وجود سيد الوجود فأفرغ عليّ به خلع المكارم والجود فهو
بدر السكال وشمسُ الجمال

وأجلُ منك لم ترَ قطُّ عينٌ وأكملُ منك لم تلِدِ النساءُ
خُلقتُ مبرءاً من كلِّ عيبٍ كأنك قد خلقت كما تشاء
فأكرم به من نبيٍّ أسرني به وأرضي كيف لا ولولاه ما خلقَ سماءٌ ولا أرضاً
وجعلني له مسجداً وطهوراً وأقرَّ به عيني بطوناً وظهوراً فأبرقت (السماء) وأرعدتُ
وأرغثُ وأزبدتُ وقالت إن لم تتخطَّ خطَّةَ المكابره وتتحلى عن هذه المشابره
لا غرقتك في بحار طوفاني أو أحرقتك بصواعق نيرانى وهل امتطيت السماكين
أو انتعلت الفرقدين حتى تفتخرى على وتشيرى بالذم إلى تلك شهادة لي
بالكمال ولقد صدق من قال

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملُ
أم حسبت أن لك في ذلك حجةً فخطرت بنفسك في رُكوب هذه اللجة
وكنت كالباحث عن حنقه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه
لكل داء دواء يُستطب به إلا الحماقة أعت من يدأويها
أما دعواك أنى واقفة لك على أقدام الخدمة فهي مما يوجب لي عليك شكر
الفضل والنعمة فلو تفكرت أن خادم القوم هو السيد والمولى وعرفت الفاضل
من المفضول أو تدبرت أن اليد العليا خير من اليد السفلى لاستقلت من هذا
الفضول فان في قيامي يشؤونك أوضح أماره - وأما قولك مني سيد الوجود ومن

اصطفاهم لحضرته الملكُ الودودُ فان كنت تفتخرين بأشباحهم الظاهرة فأنا أفتخرُ بأرواحهم الطاهرة أما علمتِ أنها في مَلِكوتِي تغدُ وترُوح وبوارِدِي بَسِطِي وقَبْضِي تشدُّو وتنوح فأنا أولى بهم وأحرى بالافتخار بجزئهم فلما سمعت (الأرض من السماء) مقالة تقطُرُ من خلالها الدِّمَاءُ أطرقت لمحةً بارقٍ خاطفٍ أو نَفْثَةً طائرٍ خائفٍ ثم قَنَعَتْ رَأْسُهَا وَصَعَدَتْ أَنْفَاسُهَا وَقَالَتْ لَقَدْ أَكْثَرْتُ يَا هَذِهِ مِنَ الْأَعْظَمِ وَمَا أَثَرْتُ الصَّبَابِ عَلَى الْغَلَطِ فَعَلَامَ تَهْزَيْنِ بِي وَتَسْتَخْفَيْنِ بِحَسْبِي وَنَسْبِي وَإِلَا مَ تَقْضِينَ عُرَى أَدَاتِي وَلَا تَعَامِلِينَ بَالَتِي وَحَتَامَ تُقَابِلِينَ بِأَنْوَاعِ التَّائِبِ وَلِمَ لَا تَقْنِي عَلَى حَقِيقَتِي بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّقْيِيبِ أَحْسَبْتِ أَنَّ الْجِسْمَ مَا خُلِقَ إِلَّا عَبَثًا وَلَا كَانَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ إِلَّا جَدْنَا وَفِي مِيدَانِهِ تَتَسَابَقُ الْفُجُومُ وَتُدْرِكُ عَوَارِفُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومُ وَبِهِ تَتَرَقَّى الْأَرْوَاحُ فِي مَرَاقِي الْفَلَاحِ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مَقْدَسًا مِنْ كُلِّ غِيٍّ وَمَيْنٍ وَهُوَ لَا يَفْتَرُّ عَنْ تَسْبِيحِ بَارِئِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَالْيَاسُ مَتَى أَنْتِ عَلَى مُتَحَامِلَةٍ وَعَنْ آيَةِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُتَحَامِلَةٌ وَأَنَا لَكَ أَسْمَعُ مِنْ خَادِمٍ وَأَطْوَعُ مِنْ خَاتَمٍ عَلَى أَنْ لِي مِنَ الْفَضَائِلِ مَا ثَبَتَ بِأَصْحَ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدْلَالِ أَمَا فِي بُقْعَةٍ مِنْ أَشْرَفِ الْبَقَاعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ لَضَمَّتْهُ أَعْضَاءُ مَنْ تَمَّمَ اللَّهُ بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَفِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ كَمَا أَفْصَحَتْ عَنْ ذَلِكَ أَلْسِنَةُ السَّنَةِ وَمَنَى الْكُفَّةِ وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ وَالْحَجَرُ وَزَمْزَمُ وَالرُّكْنُ وَالْمَقَامُ وَعَلَى بُيُوتِ اللَّهِ تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ وَيُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ وَأُخْرِجَ مِنِّي طَيِّبَاتُ الرِّزْقِ فَأَكْرَمَ بِهَا عِبَادَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا عِبَادَهُ وَنَاهَيْكَ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الرِّيَاضِ وَالغِيَاضِ ذَاتِ الْأَنْهَارِ وَالْحِيَاضِ الَّتِي تُشْفِي بِنَسِيمِهَا الْعَلِيلَ وَتَنْفِي يَبْرَدَ زُلَالِهَا حَرَّ الْعَلِيلِ

لَمْ لَا أَهْمٌ عَلَى الرِّيَاضِ وَطَيْبِهَا وَأَظْلُ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ صَافِي
وَالزَّهْرُ يَضْحَكُ لِي بَثْغَرٍ بِابِمْ وَالنَّهْرُ يَلْقَانِي بِقَلْبِ صَافِي
فَاسْفَرْتُ عَنْ بَدْرِ طَلْعَتِهَا (السَّمَاءُ) وَهِيَ تَزْهَوُ فِي بُرْدِ السَّنَا وَالسَّيِّئَةِ وَقَالَتْ
تُتَجَانِي نَفْسَهَا عِنْدَ مَا رَقَّ السَّمَرُ حَتَّى أُرِيهَا السَّهْوِ وَتُرِينِي الْقَمَرَ ثُمَّ عَطَفْتُ عَلَيْهَا
تَقُولُ وَهِيَ تَسْطُو وَتَصُولُ أَيُّهَا الْمُتَعَدِّيَّةُ لِمُفَاضِلَتِي وَالتَّصَدِّيَّةُ لِمُنَاضِلَتِي مَتَى قَيْسَ
التُّرْبِ بِالْعُسْجُدِ أَوْ شُبَّهَ الْحَصَى بِالزَّبْرِجَدِ إِنْ افْتَخَرْتَ بِشَرْفِ هَاتِيكَ الْبِقَاعِ
الَّتِي زَهَا بِهَا مِنْكَ الْيَفَاعُ وَالْقَاعُ فَإِنَّ أَنْتَ مِنْ عَرْشِ الرَّحْمَنِ الَّذِي تَعَكْفُ عَلَيْهِ
أَرْوَاحُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالْكُرْسِيِّ الْمَكْلَلِ بِالنُّورِ وَكَيْفَ
تَقْتَحِرِينَ عَلَى بَرُوضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَهِيَ عَلَى بَاسِرِهَا فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَمِثْلَهُ أَمْ
كَيْفَ تَزْعُمِينَ أَنَّهُ كُتِبَ لَكَ بِأَوْفَرِ الْحُظُوظِ وَعِنْدِي الْقَلَمُ الْأَعْلَى وَاللَّوْحُ
الْمَحْفُوظُ وَأَمَّا ازْدَهَاؤُكَ بِالْحِيَاضِ وَالْأَنْهَارِ وَالرِّيَاضِ الْمُبْتَهَجَةِ بِوُرُودِ الْوَرْدِ
وَالْأَزْهَارِ فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ حَوَيْتَ تِلْكَ الْمَعَانِي إِلَّا بِنَفْحَاتِ غِيُونِي وَأَمْطَارِي أَمْ
أَشْرَقَتْ مِنْكَ هَاتِيكَ الْمَغَانِي إِلَّا بِبَمَحَاتِ شَمُوسِي وَأَقْمَارِي فَكَيْفَ تَبَاهِنْتِي بِمَا
مِنْحَتِكَ إِيَّاهُ وَعَطَّرْتُ أَرْجَاءَكَ بِأَرْبَاجِ نَشْرِهِ وَرِيَّاهُ وَبِاعْجَبَا مِنْكَ كَلِمًا لَا حَ عَلَى
شِعَارِ الْحُزْنِ خَطَّرْتُ فِي أَبْهَى حُلَّةٍ مِنْ حُلِّ الْمَلَاةِ وَالْحُسْنِ وَإِنْ افْتَرَّتْ تُغُورُ
بِدُورِ أُنْسِي وَقَرَّتْ بِيَدَيْ جَمَالِي عَيْنِ شَمْسِي زَفَرْتُ زَفْرَةَ الْقَيْظِ وَكِدْتُ أَنْ
تُمَيِّزَنِي مِنَ الْغَيْظِ مَا هَذَا الْجَفَاءُ بِأَقْلِيلَةِ الْوَفَاءِ وَهَلْ صَفْتُ أَوْقَاتَكَ إِلَّا بِوُجُودِي
أَوْ طَابَتْ أَوْقَاتَكَ إِلَّا بِوَابِلِ كَرَمِي وَوُجُودِي وَلَوْ قَطَعْتُ عَنْكَ لَطَائِفَ الْأُمْدَادِ لَخَلَعْتُ
مَلَابِسَ الْإِنْسِ وَلَبِسْتُ ثِيَابَ الْحِدَادِ أَوْ حَجَبْتُ عَنْكَ الشَّمْسَ وَالْأَقْمَارَ لَمَّا بَيَّزْتَ
بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَهَلَّا كُنْتُ بِفَضْلِي مُعْتَرِفَةً حَيْثُ إِنَّكَ مِنْ بَحْرِ فَيْضِي مُعْتَرِفَةً

فَنَزَعَتْ (الْأَرْضَ) عَنْ مُقَاتَلَتِهَا وَعَلِمَتْ أَنَّهَا لَا قِبَلَ لَهَا بِمُقَابَلَتِهَا وَحِينَ عَجَزَتْ
عَنِ الْعَوْمِ فِي بَحْرِهَا وَاسْتَسَلَّمَتْ تَمَانِيَهَا إِسْحَرَهَا بِسَطَتْهَا بِسَاطِ الْعِتَابِ مُتَمَثِّلَةً
بِقَوْلِ ذِي اللَّطْفِ وَالْآدَابِ

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدَّ وَيَبْقَى الْوَدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ
ثُمَّ قَالَتْ أَعْلَمِي أَيْتَهَا الْمَوْسُومَةُ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ الْمَوْصُوفَةِ بِسُمُورِ الْمَنْزِلَةِ وَعُلُوقِ
الْقَدَرِ أَنَّ اللَّهَ مَا قَارَنَ اسْمِي بِاسْمِكَ وَلَا قَابِلَ صُورَةِ جِسْمِي بِجِسْمِكَ إِلَّا الْمُنَاسِبَةُ
عَظِيمَةٌ وَأَلْفَةٌ بَيْنَنَا قَدِيمَةٌ فَلَا تُشْمِقِي بِنَا الْأَعْدَاءَ وَتُسَيِّئِي لِالْأَحْبَاءِ وَالْأَوْدَاءِ فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الرِّزَايَا وَأَشَدِّ الْمِحَنِ وَالْبَلَايَا

كُلَّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَهَوْنٌ غَيْرَ شِمَاتَةٍ الْأَعْدَاءِ
أَلَا وَإِنَّ الْعَبْدَ مَحَلَّ النِّقْصِ وَالْخُلَلِ وَهَلْ يَسُوءُ لِأَحَدٍ أَنْ يُبَرِّئَ نَفْسَهُ مِنَ
الزَّلِّ وَمَنْ يَسْلَمْ مِنَ الْقَدَحِ وَلَوْ كَانَ أَقْوَمَ مِنَ الْقِدَحِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَّى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ فَضْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

هَذَا - وَإِنْ لِي مَفَاخِرٌ لَا تُنْكَرُ وَمَا تَرْتَجِلُ عَنْ أَنْ تُخْصَرَ كَمَا أَنَّكَ فِي الْفَضْلِ
أَشْهُرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَالَمٍ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُحْصَى ثَنَاءٌ عَلَيْكَ لِسَانُ الْقَلَمِ فَالْيَ مَنْ وَنَحْنُ
فِي جِدَالٍ وَجِلَادٍ نَتَطَاعَنُ بِأَسِنَّةِ أَلْسِنَةِ حِيَادٍ وَهَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَرَّ بَعْضُنَا عَلَى
بَعْضٍ ذِيلَ الْكِبَرِ وَالصِّلَفِ وَلَكِنْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَهَذِهِ لِعَمْرِي حَقِيقَةُ أَمْرِي
فَانظُرِي إِلَى بَعَيْنِ الرِّضَا وَاصْفَحِي بِحَقِّكَ عَمَّا مَضَى وَلَمَّا سَمِعْتَ (السَّمَاءُ) هَذِهِ
الْمَقَالََةَ الَّتِي تَجْنَحُ إِلَى طَلَبِ السَّلَامِ وَالْإِقَالَةِ قَالَتْ لَهَا مَا رَبُّ لَا حَفَاوَةَ وَهَشْرَبُ قَدْ
وَجَدْتُ لَهُ حَلَاوَةَ وَمَا نَدَبَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالْأَلْفَةِ فَلَا مَرَّ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ
وَلَوْ لَمْ تَلْقِي إِلَى الْقِيَادِ لَعَايَنْتِ مَنْ مَاتَ دُونَهُ خَرُطُ الْقَتَادِ وَلَكِنْ لَا حَاجَ عَلَيْكَ
وَلَا ضَيْرَ فَانْكِ اخْتَرْتِ الصُّلْحَ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَكَيْفَ جَعَلْتَ الْعِتَابَ شَرْطًا بَيْنَ

الأحباب أو ما سمعت قول بعض أولى الألياب
إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تُعائنه
وان أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
وهانا رادة إليك عوائد إحساني وموائد جودي وأمتناني فقرى عيناً وطبي
نفساً وتيهي ابتهاجاً وأنساً وبشرى ببلوغ الوطر وزوال البؤس والخطر فسجدت
الأرض شكراً وهامت نشوة وسكراً وتهلل وجهها سروراً وأملت طرباً وحجوراً

﴿ مناظرة بين فصول العام لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١ هـ ﴾

(قال الربيع) أنا شاب الزمان وروح الحيوان وإنسان^(١) عين الإنسان
أنا حياة النفوس وزينة عروس الغروس ونزهة الأبصار ومنطق الأطيّار عرفت^(٢)
أوقاني ناسم وأيامي أعياد ومواسم فيها يظهر النبات وتذشر^(٣) الأموات وترد
الودائع وتتحرك الطبائع ويمرح^(٤) جنب^(٥) الجنوب^(٦) وينزح^(٧) وجيب^(٨)
القلوب وتفيض عيون الأنهار ويعتدل الليل والنهار كلى عقد منظوم وطراز وشي
مرقوم وحلة فاخرة وحلية ظاهرة ونجم سعد يذني راعيه من الأمل وشمس
حسن تذهبنا^(٩) يا بعد ما بين برج الجدنى^(١٠) والحمل^(١١) عسا كرى منصوره
وأسلحتى مشهورة فمن سيف غصن مجوهر ودرع بنفسج مشهور ومغفر^(١٢) شقيق^(١٣)
أحمر وترس بهار يهز وسهم آس يرشق فينشق ورمح سوسن^(١٤) سينانه أزرق

(١) ما يرى في السواد (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينفط (٥) مجنوب والمجنوب ريح
تخالف الشمال مهما من مطلع سهيل الى مطلع الثريا (٦) ريح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب
جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب (٨) كثرة خفتانها (٩) تطلبنا (١٠) نجم الى جنب القطب
يدور مع بنات نقش تعرف به القبلة يقال له جدي الفرقد (١١) برج في السماء من البروج الربعية
(١٢) زرد بنسج من الدروع على قدر الرأس (١٣) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر
مبقع بنقطة سوداء كبيرة (١٤) نبات طيب الرائحة

تَحْرُسُهَا آيَاتُ وَتَكْتَنِفُهَا أَلْوِيَّةُ رَايَاتُ بِي تَحْمَرُّ مِنَ الْوَرْدِ خُدُودُهُ وَنَهْزُ مِنْ
الْبَّانِ قَدُودُهُ وَيَخْضَرُّ عِذَارُ الرِّيحَانِ وَيَنْتَبِهُ مِنَ التَّرْجَسِ طَرْفُهُ الْوَسْنَانُ^(١) وَتَخْرُجُ
لِجَايَا مِنَ الزَّوَايَا وَيَقْتَرُّ ثَغْرُ الْأَقْحُونِ^(٢) قَائِلًا أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا

يَنْ هَذَا الرَّيِّعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ يُضْحِكُ الْأَرْضَ مِنْ بَكَاةِ السَّمَاءِ
ذَهَبٌ حَيْثُمَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ حَيْثُ دُرْنَا وَفَضَّةٌ فِي الْفَضَاءِ

(وَقَالَ الصَّيْفُ) أَنَا الْخِلُّ الْمَوَافِقُ وَالصَّدِيقُ الصَّادِقُ وَالطَّيِّبُ الْحَاقِقُ أَجْتَهِدُ
فِي مَصْلَحَةِ الْأَحْبَابِ وَأَرْفَعُ عَنْهُمْ كُلْفَةَ حَمْلِ الثِّيَابِ وَأُخَفِّفُ أَثْقَالَهُمْ وَأَوْقِرُ أَمْوَالَهُمْ
وَأَكْفِيهِمُ الْمُؤُونَةَ وَأَجْزِلُ لَهُمُ الْمَعُونَةَ وَأَغْنِيهِمْ عَنْ شِرَاءِ الْفِرَا وَأَحَقُّ عَنْدهُمْ أَنْ كُلَّ
الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفِرَا نَصِيرَتُ بِالصَّبَا وَأَتَيْتُ الْحِكْمَةَ فِي زَمَنِ الصَّبَا بِي تَنْضَحُ
الْجَادَّةُ^(٣) وَتَنْضَحُ مِنَ الْفَوَاكِهِ الْمَادَّةُ وَيَزْهُو الْبُسْرُ وَالرَّطْبُ وَيَنْصَلِحُ مِرَاجُ الْعَنْبِ
وَيَقْوَى قَلْبُ الْلُوزِ وَيَلِينُ عَطْفُ التِّينِ وَالْمُوزُ وَيَنْعَقِدُ حَبُّ الرُّمَّانِ فِيَقْمِعُ الصَّفْرَاءُ
وَيَسْكُنُ الْخَفَّاقَانِ وَتَخْضِبُ وَجَنَاتُ التَّفَّاحِ وَيَذْهَبُ عَرَفُ^(٤) السَّفَرَجَلِ مَعَ هُبُوبِ
الرِّيَّاحِ وَتَسْوَدُّ عُمُونَ الزَّيْتُونِ وَتَخْلُقُ تَبَاجُجُ النَّارِجِ وَاللَّيْمُونِ مَوَاعِدِي مَنْقُودَةٌ
وَمَوَائِدِي مَمْدُودَةٌ الْخَيْرُ موجودٌ فِي مَقَامِي وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ فِي أَيَّامِي

الْفَقِيرُ يَنْصَاعُ^(٥) بِمَلَأِ مُدَّةِ وَصَاعِهِ وَالْغَنِيُّ يَرْتَعُ فِي رَنِّهِ مُلْكِهِ وَأَقْطَاعُهُ
وَالْوَحْشُ تَأْتِي زُرَافَاتُ وَوُحْدَانَا^(٦) وَالطَّيْرُ تَقْدُ بِخَاصَا وَتَرْوَحُ بِطَلَانَا^(٧)
مَصِيفٌ لَهُ ظِلٌّ ظَلِيلٌ عَلَى الْوَرَى وَمَنْ حَلَا طَعْمًا وَحَلَّلَ أَخْلَاطًا
يُعَالِجُ أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ مُبْدِيًا لِمَصْنَعِهَا حِفْظًا يُعْجِزُ بِقِرَاطَا^(٨)

(١) النِّسَانُ الْفُضْلَانُ (٢) الْبَابُونُ نَبْتُ طَبِيبِ الرِّيحِ إِحْوَالِيهِ وَرَقٌ أَيْضًا وَسُطَهٌ أَصْفَرُ

(٣) الطَّرِيقُ (٤) رَائِحَةُ الطَّيْبَةِ (٥) يَنْتَقِلُ رَاجِعًا مَرَّةً (٦) جَمَاعَاتُ (٧) تَذْهَبُ جَائِعَةً وَتَرْجِعُ

مَمْلُوءَةً (٨) بَقَرَاتُ الْحَكِيمِ الْيُونَانِي وَهُوَ لَفْظُ يُونَانِي مَعْنَاهُ مَالِكُ الصَّبْحِ

(وقال الخريف) أنا سائق الغيوم وكاسر جيش الغُوم وهازم أحزاب السُوم^(١)
وحادى نجائب السحائب وحاسرُ نقاب المناقب أنا أصدُّ الصدى^(٢) وأجود
بالندي وأظهرُ كلَّ معنى جلي وأسمو (بالوسمي^(٣) والولي) في أيامي تُقطفُ
الثمار وتصفو الأنهار من الأكدار ويترقُّ^(٤) دمع العيون ويتلَوْنَ ورَق
الغُصون طوراً يُحاكي البقم ونارة يشبه الأرقم وحيناً يبدُو في حُلته الذهبية
فيجذبُ إلى خُلته القلوب الأنيَّة وفيها يكفي الناس هم الهوام ويتساوي في لذة
الماء الخاصّ والعالم وتقدُّم الأطيَّار مطرَبةً بنشيشها رافلةً في الملابس المجددة
من ريشها وتُعصرُ بنتُ العنقود وتوثقُ في سجن الدِّن بالقيود على أنها لم
تُجَّاحِ إثمًا ولم تعاقبُ إلا عدوانًا وظلماً بي تطيبُ الأوقات وتحصلُ اللذات وترقُّ
النِّسبات وتُرمي حصَى الجمرات وتسكنُ حرارة القلوب وتكثرُ أنواع المطعوم
والمشروب كم لي من شجرة أكلها دائم وحملها النقع المتعدِّي لازم وورقها
على الدوام غير زائل وقدود أغصانها تُنجِّل كلَّ رُمح زابل

إن فصلَ الخريف وافى إلينا يتهدى في حُلَّة كالعروسِ

غيره كان للعيون ربيعاً وهو ما بيننا ربيعُ النفوسِ

(وقال الشتاء) أنا شيخُ الجماعة وربُّ البضاعة والمقابلُ بالسمع والطاعة
أجمعُ شمل الأصحاب وأسدلُ عليهم الحجاب وأنحفهم بالطعام والشراب ومن ليس
له بي طاقة أغلق من دونه اليا بأميل إلى المطيع القادر المستطيع المعتضد بالبرود
والفرَّ المتمسك من التينار بأوثق العرى ومن يعشُّ عن ذكرى ولم يمتثل

(١) الريح الحارة (٢) العطش (٣) المطر الذي يأتي في الخريف والولي المطر الذي يأتي بعده

(٤) ترقق الدمع في العين تحرك

أمرى أ جَفَّتْهُ بصوت الرعد وأُجِزَتْ له من سيف البرق صادق الوعد وسرتُ
إليه بعساكر السحاب ولم أقنع من الغنيمة بالإياب معروفى معروف ونيل نيلي
موصوف وثمار احسانى دانية القطوف كملى من (وابل) طويل المدى (وجود)
وافر الجدا (وقطر) حلا مذاقه (وغيث) قيد العفاة اطلاقه (وديمة) تطربُ
السمع بصوتها (وحيًا) يُحيى الأرض بعد موتها أيا مى وجيزة وأوقاتي عزيزة
ومجالسى معمورة بذوى السيادة معمورة بالخير والمير والسعادة نقلها يأتى من أنواعه
بالعجب ومناقلها تسمعُ بذهب اللهب وراحها تنعشُ الأرواح وسقائها بجفوفهم
السقيمة تفتن العقول الصّحاح ان رُدَّتْها وجدتَ مالا ممدوداً وان زُرَّتْها
شاهدتَ لها بنين شهوداً

✽ وكتب بعضهم مناظرة بين البر والبحر ✽

قال (البر) يا صاحب الدر ومعدن الدر أطرقت رياضى ومزقت حسورى
وأحواضى وأغرقت جُثى ودخلت جَنى وتلاطمت أمواجك على جَنى وأكلت
جزائرى وجروفي وأهلكت مرعى فصيلي وخروفي وأهزلت ثورى وحملى وفرسى
وحملى وأجريت سفنك على أرض لم تجر عليها ولم تمل طرف غرابها إليها وغرست
أوتادها على أوتاد الأرض وعزّست فى موطن النفل والفرض وجعلت مَجرى
مراكبك فى مَجرى مراكبي ومشى حوتك على بطنه فى سعد أخبية مضاربى
وغاص ملاحك فى ديار فرحى وهاجرت من القرى الى أم القرى وحملت فلاحى
أثقاله على القرى وقد تلقيتك من الجنادل بصدرى وحملتك الى برزخك على
ظهري وقبلت أمواجك بثغرى وخلقت مقيامى فرحاً بقدمك الى مصرى وقد
جُرت وعدلت وفعلت ما فعلت فلعلمك تفيض ولا يكون ذهابك عن ذهاب

بفيض أو تفارق هذه الفجاج وتختلط بالبحر العجاج وان لم تفعل شكوكاك الى
من أنزلك من السماء وأنعم بك علينا من خزان الماء

إذا لم تكن ترحم بلاداً ولم تغيث عباداً فولاهم يقيث وبرحم
وان صدّرت منهم ذنوب عظيمة فغفوا الذي أجراك يا بحر أعظم
نمداً اليه أيدياً لم تمدّها إلى غيره والله بالخال أعلم
قال (البحر) يا برّ با ذا البرّ ومُنبِت البرّ هكذا تخاطب ضيفك وهو يخصب
شتاءك وصيفك وقد ساقني الله الى أرضك الجزر ومعدن الدرّ والخرز لأُبهِج
زرعها ونخيلها وأُخرج آبها ونخيلها وأُكرّم ساكنك وأنزل البركة في
أماكنك وأثبت لك في قلب أهلك أحكام المحبة وأثبت بك لهم في كل
سُدْبلة مائة حبة وأحييت حياة طيبة يبتهج بها عمرك الجديد ويتلو (كذلك
يُحيي الله الموتى) السِنة العبيد وأطهرتك من الأوساخ وأحمّل اليك الإبل
فأطيك به من عرق السِّباح وأنا هدية الله الى مصرِكَ ومملكِ عصرِكَ القائم
بنصرِكَ ولولا برّكاني عليك ومسيري في كل مسرى اليك لكنت وادياً غير
ذِي زرع وصاديا غير ذِي ضرع

سريت أنا ماء الحياة فلا أذى إذا ما حفظت الصَّحْب فاللألهين
فكن خضراً يا برّ واعلم بانبي الى طينك الظمان بالرّي أحسن
وأسعى اليه من بلاد بعيدة وأحسن أجرى بالتي هي أحسن
إذا طاف طوفاني بمقياسك الذي يسر باتيان الوفاء ويعان
فقم وتلتاه يسطرك التي لروضها فضل على الروض بين
ولعمري لقد تلفت (البرّ) في عتابه وأحسن ودفع (البحر) في جوابه

بالتى هى أحسن وقد اصطَلحا وهما بحمد الله أخوان مُتضافِران على عمارة بلاده ونشر التزوّة ونموّ الخيرات بين عباده فالله تعالى يُخصب مرعاها ويحرُسها ويَرْعاها

﴿ وكتب بعض الادباء مناظرة بين الهواء والماء ﴾

الحمد لله الذى رفع فلك الهواء على عنصر التراب والماء « أمّا بعد » فأنا (الهواء) الذى أُؤلف بين السحاب وأنقل نسيم الأُجباب وأهبُّ نارة بالرحمة وأُخرى بالعذاب وأنا الذى مُتبرّجى الفلك فى البحر كما تسير العيس فى البطاح وطار بجى فى الجوّ كلّ ذى جناح وأنا الذى يضطربُ مِنّى الماء اضطراب الأنايب فى القنّا اذا صفوتُ صفا العالم وكان له نَصرة وزهواً واذا تكدّرتُ انكدّرت النجوم وتكدّرت الجوّ لا أتلون مثل الماء المتلون بلون الإِناء — لولائى ما عاش كلّ ذى نفس ولولائى ما طاب الجوّ من بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس ولولائى ما تكلم آدمي ولا صوّت حيوان ولا غرّد طائر على غصن بان ولولائى ما سُمع كتاب ولا حديث ولا عُرِف طيب المسموع والمشموم من الحبيث ، فكيف يُفاخرنى الماء الذى اذا طال مُكثته ظهر خُبثُهُ وعلت فوقه الجليف وانحطت عنده اللآلى فى الصدف فقال (الماء) الحمد لله الذى خلق كلّ حيّ (أمّا بعد) فأنا أوّل مخلوق ولا فخر وأنا لذّة الدنيا والآخرة ويوم الحشر وأنا الجوهر الشفاف المشبه بالسيف اذا سلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فى جميع الجواهر حَيّ الآلئ والأصداف ، أُحِبّ الأرض بعد مماتها وأُخرج منها للعالم جميع أقواتها وأكسو عرائس الرياض أنواع الخلل وأنثر عليها لآئ الويل والطلل حتى يُضربَ بها فى الحُسْن المثل كما قيل

إن السماء اذا لم تبك مُقلّتها لم تضحك الأرض عن شئ من الزهر

فكيف يُنكرُ فضلي مَنْ دَبَّ أودَرَجَ وأنا البحرُ الذي قيل عنه في
الأمثال (حَدِّثْ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرْجَ) وأما أنت أيها الهواء فطالما أهلكمبت
أُمَّا بِسُوءِ مَكٍ وَزَمِيرِ بَرِّكَ وَلَا تَقُومُ جَنَّتُكَ بِسَعِيرِكَ

وأما قولك لولاى ما عاش إنسان ولا بقى على الأرض حيوان فجوابه « لو شاء
الله تعالى لعاش العالم بلا هواء كما عاش عالم الماء فى الماء » وأنشدك الله أما رأيت
ما حبانى الله به من عظيم المنّة حيث جعلنى نهراً من أنهار الجنة أنا أرفعُ الأحداث
وأطهرُ الأخبار وأجلُّ النظر وأزبلُ الوضر أما رأيت الناس إذا غبت عنهم
يتضرّعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدُّعاء وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى إِرْسَالَى مِنْ
قَبْلِ السَّمَاءِ — واعلم أننى ما نلتُ هذا المقام الذى ارتفعتُ به على أبناء جنسى
إلا بانحطاطى الذى عترتنى به وتواضعى وهضم نفسى

وقد كثُرَ بينهما التّزاع والجِدال حتى حَكَمَ بينهما أميرٌ وقال
إن كُلاًّ منكما مُحِقٌّ فيما يدّعيه فما أشبهكما فى السَّماءِ بالفرقدين وفى الأرض
بالعينين إلا أن مرآة الحقّ أرَتْنى فضيلةً تفضلُ بها أيها الماء أخاك الهواء وحققت لى
بأنكما لَسْتُمَا فى الفضل سواء وهى (أن الله تعالى خلق آدم من الماء) فاعترف
لأخيك بالفضل والدّكاء

﴿ وكتب المقدسى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ مناظرة بين الجمل والحِصان ﴾
قال « الجمل » أنا أحملُ الإحمال الثقّال وأقطعُ بها المراحل الطّوال واكابدُ
السكرال وأصبرُ على مرّ النّسكال ولا يعترينى من ذلك ملال وأصول صولة
الادلّال بل أنقادُ للطفّل الصّغير ولو شئتُ استصمبت على الأمير الكبير فانا الدّلّول
وللا ثقال حول استُ بالخان ولا الغلول ولا الصّائل عند الوُصول أقطعُ فى الوُحول
ما يعجزُ عنه الفحول وأصابر الظّلماء فى المواجه ولا أحول فاذا قضيتُ حقّ صاحبى

وَبَلَغْتُ مَا رَبِّي أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي أُكْتَسِبُ مِنَ
الْحَلَالِ زَادِي فَإِنْ سَمِعْتُ صَوْتَ حَادِي سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي وَوَأَصَلْتُ فِيهِ سُهَادِي
وَوَلَّيْتُ طَيْبَ رُقَادِي وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ عُنْقِي لِبُلُوغِ مُرَادِي فَأَنَا إِنْ ضَلَلْتُ فَالَّذِي لَيْلِ
هَادِي وَإِنْ زَلَلْتُ أَخَذَ يَدِي مِنَ إِلَيْهِ اتِّقِيَادِي وَإِنْ ظَلَمْتُ فذِكْرُ الْحَبِيبِ زَادِي
وَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ (وَنَحْمِلُ أَنْثَالَكُمْ) فَلَمْ أَزَلْ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ حَتَّى أَصِلَ
إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ

فَقَالَ (الْحِصَان) أَنَا أَحْمَلُ عَلَى كَاهِلِي فَأَجْتَهِدُ بِهِ فِي السَّيْرِ وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَالطَّيْرِ
أَهْجُمُ هَجُومَ اللَّيْلِ وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرِكُ فِيَّ طَلَبَهُ وَإِنْ كَانَ
مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْهُ سَبِيلَهُ وَجَعَلْتُ أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُحْتَجِبَةً فَلَا يُدْرِكُنِي مَنِي
إِلَّا الْغُبَارُ وَلَا يَسْمَعُنِي إِلَّا الْأَخْبَارُ وَإِنْ كَانَ الْجَمْلُ هُوَ الصَّابِرُ الْمَجْرَبُ فَأَنَا السَّابِقُ
الْمُقَرَّبُ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ الْآخِقُ فَأَنَا الْمُقَرَّبُ السَّابِقُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْفَقَاءِ قَدِمْتُ
أَقْدَامَ الْوَالِدِ وَسَبَقْتُ سَبْقَ نَبَالِهِ وَذَلِكَ مُتَخَلِّفٌ لثِقَلِ أَحْمَالِهِ وَإِنْ أَوْثَقَ سَائِسِي
قَيْدِي وَأَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي أَوْثَقْتُ بِشَكْلِي لِكَيْلَا أَحُولَ عَلَى أَشْكَالِي وَأَلْجَتُ
بِلِجَامِي كَيْلَا أَغْفَلَ عَنِّي قِيَامِي وَانْعَلْتُ الْحَدِيدَ أَقْدَامِي كَيْلَا أَكِلَّ عَنْ إِقْدَامِي
فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاهِ الْمَعْدُودُ لِئَنِّي لِنَيْلِ الْجَاهِ الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ الْمَقْصُودُ لِلْكَرَامَةِ قَدْ
أَجَزَلْتُ النِّعَمَ عَلَى إِنْعَامِهِ وَأَمْضَيْتُ بِالْعَنَاءِ الْأَزَلِيَّةِ أَحْكَامَهُ فَإِنَّ الْخَيْرَ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي
الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ خُلِقْتُ مِنَ الرِّيحِ وَأَلْهَمْتُ التَّسْيِيحَ وَمَا بَرَحَ ظَهْرِي عِزًّا
وَبَطْنِي كَنْزًا وَصَهْوَتِي حِرْزًا فَكَمْ رَكِضْتُ فِي مَيْدَانِ السَّبَاقِ وَمَا أَبْدَيْتُ عَجْزًا
وَكَمْ حَزَزْتُ رُؤُوسَ أَهْلِ التَّفَاقُ حَزًّا وَكَمْ أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ الْآفَاقَ (هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ
مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رَكْزًا)

الفن الثالث في الامثال

المثل عبارة عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر وقد ضُمنَ باطنه الحكم السَّافية وهي ثلاثة أقسام مُفترضة ممكنة ومُخترعة مستحيلة ومختلطة
فالأمثال المفترضة الممكنة هي ما نُسبَ فيها النطق والعمل الى عاقل. (١)
والمُخترعة المستحيلة ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجمادات فيُعزى لها النطق والعمل لإرشاد الإنسان

والمختلطة ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق
وشروط المثل أربعة « الأول » أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليفضى المقصود منه الى ذهن السامع « الثاني » أن لا يكون مُسهباً مُملأ « الثالث » أن يُبهِج السامع بطلاوته ويُفِكَه فكرته بهزل كلامه وابتكار معانيه ويَضْبُط عقله في فهم الرواية المختلقة وفضْ مشكلها « الرابع » أن يُورَدَ بصورة مُحتملة وفوائد المثل جمّة منها نزهة البال وترويح الخاطر ومنها استقصاء الحكم - وهي قديمة العهد جداً ولا يعرف اسم أول من تكلم بها وكما تكون نثراً تكون نظماً - ولنذكر لك من الأمثال ما طاب وراق فنقول

أمثال القرآن الكريم

أمثال القرآن الشريف قسماً ظاهراً مصرّحاً به وكامناً لا ذكر للمثل فيه
أما أمثاله الظاهرة فكقوله تعالى في شأن المنافقين (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمّ

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين الاول ان لها مغزى والثاني كونها غير واقعة وان كانت في حيز الامكان

بُكُمْ عُنَىٰ فَمَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيْبٍ ^(١) مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ (وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الَّذِي يُنْفِقُ أَمْوَالَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالَّذِي يُنْفِقُهَا رِيَاءً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ^(٢) عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ^(٣) فَتَرَكَهُ صَلْدًا ^(٤) لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمِثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ ^(٥) أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَمْغًا فَمَنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ^(٦) وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيْوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ^(٧) فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

وقوله تعالى في تمثيل الحق والباطل (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً ^(٨) رابياً ومما يُوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء ^(٩) وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال

وقوله تعالى في تمثيل الحكمة وضدها

(١) مطر (٢) حجر املس (٣) مطر شديد (٤) صلباً تقياً من التراب (٥) مكان مرتفع (٦) مطر خفيف (٧) ريح شديد (٨) ما يعلو على وجه الماء من قدر ونحوه (٩) باطلاً مزمياً به

ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت^(١) من فوق الأرض ما لها من قرار) وقوله جل شأنه في حال الكفار وما يعبدون من دون الله

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلفوا دُباباً ولو اجتمعوا له وأن يسئلبهم الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وقوله تعالى في أن عمل الكافر يذهب هباءً تذرّوه الرياح

(مثل الذين كفروا برّبهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء) وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب^(٢) بقيعة^(٣) يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وَوَجَدَ اللهَ عنده فوقه حسابه والله سريع الحساب أو ظلمات في بحر لجي^(٤) يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وقوله تعالى في أن الدنيا ظل زائل وخيال باطل

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً^(٥) تذرّوه الرياح) وقوله تعالى (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب^(٦)

(١) قطعت من أصلها (٢) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار (٣) جمع قلع وهو الأرض المستوية (٤) عميق (٥) يابساً متفرقة أجزاءه

وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ قَتَرًا مُصْفَرًّا أَمْ يَكُونُ حُطَّامًا ^(١)
وأما أمثاله الكامنة فهي الآداب البارعة والحكم الباهرة فمن ذلك قوله تعالى

ليس لها من دون الله كاشفة	لكل نبي مستقر
لن تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
الآن حصحص الحق	كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه	آلآن وقد عصيت قبل
ذلك بما قدمت يداك	نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى
قضى الأمر الذى فيه تستفتيان	ولا ينبئك مثل خبير
أليس الصبح بقريب	كل حزب بما لديهم فرحون
ورحيل بينهم وبين ما يشتهون	ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم
وقليل من عبادى الشكور	ما على الرسول إلا البلاغ
ولا يحيق المكر السى إلا بأهله	ما على المحسنين من سبيل
قل كل يعمل على شاكلته	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير	لا يستوى الخبيث والطيب
لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو	ظهر الفساد فى البر والبحر
شر لكم	لمثل هذا فليعمل العاملون
كل نفس بما كسبت رهينة	فاعتبروا يا أولى الأبصار

جملة من أمثال العرب والمولدين	ما يماثلها من القرآن الكريم
القتل أنفى للقتل	ولكم في القصاص حياة
إن عادت العقرب عدنا لها	وإن عدتم عدنا. وإن تعودوا نعد
إن غداً لناظره قريب	أليس الصبح بقريب
قد وضح الأمر لذي عينين	الآن حصحص الحق
أعطى أخاك تمرة فإن أبى فجمرة	ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
سبق السيف العذل	قضى الأمر الذي فيه تستفتيان
قد رحيل بين العير والتزوان	ورحيل بينهم وبين ما يشتهون
عادت غيث على ما أفسد	ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
لكل مقام مقال	لكل نبياً مستقر
مصائب قوم عند قوم فوائد	وأن نصيبهم سيئة يفرحوا بها
من حفر لآخيه بئراً وقع فيها	ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله
كل البقل لا تسأل عن المبقلة	لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم
الأمول خير من المأكول	والآخرة خير لك من الأولى
لو كان في اليوم خير ما سلم على الصياد	ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم
الكلب لا يصيد كارهها	لا إكراه في الدين
كل شاة ستناط برجليها	كل نفس بما كسبت رهينة
عند الخنازير تنفق العذرة	الخيثات للخيشين والخيشون للخيثات

﴿ الفن الرابع في الاوصاف ﴾

الوصف ^(١) عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته المهيئة له وأصواته ثلاثة « الأول » أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه « الثاني » أن يكون ذا طلاوة ورونق « الثالث » أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والأسهاب ويكتفى بما كان مناسباً للحال وأنواعه كثيرة ولكنها ترجع الى قسمين وهما وصف الاشياء ووصف الأشخاص أما الاشياء الحريّة بالوصف فهي كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة

وأما وصف الاشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفها معاً ولندكر لك فقرة جارية على السنة البلغاء في صفات شتى ثم تتبعها بمقالات في الوصف نثراً ونظماً

﴿ وصف البلدان ﴾

بلدة كأنها صورة جنة الخلد منقوشة في عرض الأرض ، بلدة كأن حارس الدنيا مجموعة فيها ومحصورة في نواحيها ، بلدة تراؤها عنبر وحضباؤها عقيق ، وهواؤها نسيم وماؤها رحيق ، بلدة معشوقة السكنى رجة المثوى ^(٢) كوكبها يقظان وجوها عريان ، يومها غداة وليلها سحر ، بلدة واسعة الرقعة طيبة البقعة ، واسطة البلاد وسرتها ووجهها وغرتها

﴿ وصف القلاع ﴾

قلعة حلقت ^(٣) بالجوّ تناجي السماء بأسرارها ، قلعة تتوشح بالغيوم وتجتلي

(١) احسن طريقة للاجادة في الوصف ان ترسم اولاً في بدأ وصفك نظراً عاماً جامعاً لمجمل الامر الذي تحاول وصفه ثم تأخذ بأيراد مختلف الاجزاء فيها قسماً وذلك اما على تتابع ورود هذه الاجزاء وأما بتقديم أهم الاجزاء او ايثار ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته (٢) الاقامة (٣) ارتفعت

النَّجُوم، قَلْعَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْحَصَةِ مُتَمَتِّعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَقِ الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ، لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا أَيَّامَ الْإِنْبُوءِ^(١)، أَعْطَافَ وَاسْتِصْعَابَ جَوَانِبِ وَأَطْرَافِ، قَدْ مَلَّ الْمُلُوكُ حِصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحِ^(٢) مِنْهَا وَشِمَاسِ^(٣) وَسَمِعَتِ الْجُيُوشُ ظِلَّهَا فَعَادَرَتْنَهَا^(٤)، بَعْدَ قُنُوطِ وَيَاسٍ، فَهِيَ رَحْمِي لَا يُرَاعِ^(٥) وَمَعْتَمِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ، كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَالِحَتَهَا عَلَى الْإِعْفَاءِ مِنْ الْحَوَادِثِ وَالْيَالِي عَاهَدَتَهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ^(٦)

❦ وصف الدور ❦

دَارُ قَرَارٍ تُوسِعُ الْعَيْنُ قُوَّةً وَالتَّنَفُّسُ مَسْرَةً، كَأَنَّ بَانِيهَا اسْتَسَلَفَ الْجَنَّةَ فَعَبَّلَتْ لَهُ، دَارٌ تَنْجِلُ مِنْهَا الدُّورَ وَتَقْصُرُ عَنْهَا الْقُصُورَ، دَارٌ قَدْ اقْتَرَنَ الْيَمْنُ^(٧) يُمْنُهَا وَالْيُسْرُ يُسْرُهَا الْجُسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَالْعُونُ عَلَى سَفَرٍ، دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَازَ بِالْحَسَنِ سَهْمُهَا يَخْدُمُهَا اللَّتْهُرُ وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ وَيَكْنُفُهَا النَّصْرُ، هِيَ مَرْتَعُ النَّوَظِرِ وَمُتَمَتِّسُ الْخَوَاطِرِ، أَخَذَتْ أَدْوَاتِ الْجِنَانِ وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبْقَرِيِّ^(٨) الْحَيَّاسِ

❦ وصف الديار الخالية ❦

دَارٌ لَبَسَتْ الْبِلَى وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَلَى، صَارَتْ مِنْ أَهْلِهَا خَالِيَةً بَعْدَمَا كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً، قَدْ أَنْفَدَ الْبَيْنَ سُكَّانَهَا وَأَقْعَدَ حَيْطَانَهَا، دَارٌ شَاهِدُ الْيَاسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَجِلُّ الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ، كَأَنَّ عُمَرَانَهَا يُطَوِّى وَخَرَابَهَا يُنْشَرُ أَرْكَانَهَا قِيَامٌ وَقُعُودٌ وَحَيْطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ
بَكَتْ دَارُهَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَتَلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَازِ عَيْنِ الْوَمُ

(١) بعدا (٢) كبر وفخر (٣) إباء وامتناع (٤) تركتها (٥) لا يفرع ولا يخاف فيها احد

(٦) الحوادث والنواب (٧) البركة (٨) البسط المعجب شكلها

أُسْتَعْبِرَ أَيَّكِي عَلَى اللَّهِ وَالْإِلَهِ أَمِ آخِرَ أَيَّكِي شَجْوَهُ فَيَتِيمٍ

﴿ وصف أيام الربيع ﴾

يَوْمٌ جَلِيلٌ غُيُومُهُ رَوَاقٌ ^(١) وَأَرْضِيَّةٌ نَسِيمُهُ رِقَاقٌ ، يَوْمٌ سَمَاوُهُ فَاخِئِيَّةٌ
وَأَرْضُهُ طَاوُورِيَّةٌ ، يَوْمٌ مَمَسَّكَ السَّمَاءِ مُعْصِفُ الرُّوْضِ مُعْصِدُ الْمَاءِ ، يَوْمٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوْضُ الْمَرْيَعُ ، يَوْمٌ كَانَ سَمَاءُهُ مُجَدِّدٌ
تَلْبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ تَتَجَلَّى ، يَوْمٌ دَجَنُ ^(٢) تَاكَفٌ وَقَطْرُهُ وَإِكْفٌ ^(٣)

﴿ وصف الرياض ﴾

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَ وَاشْبَهَا ^(٤) رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنْظَمَةِ عَلَى الْبُرُودِ
الْمُنْمَنَةِ ، رَوْضَةٌ قَدَرَضَتْهَا كَفُّ الْمَطَرِ وَدَجَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى ، رِيَاضٌ كَالْعُرَائِسِ
فِي حَلِيهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ ^(٥) فِي وَشْيِهَا وَمَطَارِفِهَا ^(٦) بِاسْطَةِ زَرَّائِبِهَا وَأَنْمَاطِهَا
نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطُهَا زَاهِيَةٌ بِحُمْرَاتِهَا وَصَفَرَاتِهَا نَائِمَةٌ بِعِيدَانِهَا وَغَدَرَانِهَا كَأَنَّمَا
احْتَفَلَتْ لَوْفَدِ أَوْهَى مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ ، رَوْضَةٌ قَدْ تَضَوَّعَتْ ^(٧) بِالْأَرْجِ ^(٨)
الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ ^(٩) فِي ظُلَالِ انْقِمَامِ حُجْرَاتِهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَافِحِ الْمِسْكِ
أَنْوَارُهَا وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا ، بُسْتَانٌ أَنَهَارُهُ مُحْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ
وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِالْمُتَّارِ ، أَشْجَارٌ كَأَنَّ الْخُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودُهَا وَكَسَتْهَا بُرْدُهَا
وَحَلَّتْهَا عُقُودُهَا ، شَقَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَمِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّمَا أَصْدَاغُ
الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرَوَّدَةِ كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ ^(١٠) مِنْ عَمِيقِ أَحْمَرٍ مُلْتَمِثٌ

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من اعلاه الى الارض (٢) النسيم (٣) سائل (٤) حاشتها
ونافستها (٥) جمع قين للغنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه اعلام والزراعي البسط
والانمط الاثواب التي تطرح على الهودج والرباط الاثواب الرقاق (٧) تحركت (٨) نفعه ريح
الطيب (٩) تزييت (١٠) اناء

قَرَارُهُ بِمَسْكٍ أَذْفَرُ ، الْأَرْضُ زُمُودَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشَى وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالطَّيُورُ قِيَانٌ ^(١) قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاهُ الْأَطْيَارُ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

﴿ وصف طول الليل والسهرة وما يعرض فيه من الهموم والفكر ﴾

لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا ، لَيْالٍ لَيْسَتْ لَهَا أَسْعَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَتَخَلَّلُهَا أَنْوَارٌ ، لَيْلٌ ثَابِتٌ الْأَطْنَابُ ^(٢) بِطَيِّبِ الْغَوَارِبِ طَامِحُ الْأَمْوَاجِ وَآفِي الذَّوَائِبِ بَاتَ بَلِيلَةً سَاوَرَتْهُ ^(٣) فِيهَا الْهُمُومُ وَسَاوَرَتْهُ النَّجُومُ وَاكْتَحَلَ الشَّهَادُ وَاقْتَرَشَ الْقَتَادُ اكْتَحَلَ بِمَا ، النَّهْرُ وَتَمَلَّلَ عَلَى فِرَاشِ الْفِكْرِ قَدْ أَقْضَى مَهَادَهُ ^(٤) وَقَلِقَ وَسَادَهُ هُمُومٌ تَفَرَّقَ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْمَهَادِ وَتَجَمَّعَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالشَّهَادِ

﴿ وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأقول النجوم ﴾

قَدْ اكْتَهَلَ ^(٥) الظَّلَامُ قَدْ نَصَفْنَا عُمُرَ اللَّيْلِ وَاسْتَفَرَقْنَا شَبَابَهُ قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ كَادَ يَنْبِغُ النَّسِيمُ بِالسَّحَرِ قَدْ انْكَشَفَ غِطَاءُ اللَّيْلِ وَسَتَرُ الدُّجَى : هَرَمَ اللَّيْلُ وَشَمَطَتْ ذَوَائِبُهُ ، قُوِّضَتْ ^(٦) خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْإِفْقُ ثُوبَ الدُّجَى تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْقِهِ وَأَنْصَبَ أَعْلَامُهُ عَلَى مَنَازِلِ أَفْقِهِ ، اقْتَنَصَ بَازِي الضُّوءِ غُرَابَ الظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ النُّورِ مِنَ الْعَسَقِ مَسْنِكَ الْخَتَامِ طُرُزَ قَيْصُ اللَّيْلِ بُغْرَةَ الصُّبْحِ ، بَاحَ الصُّبْحِ بَسِيرَهُ ، خَلَعَ اللَّيْلُ رِثْيَابَهُ وَحَدَرَ ^(٧) الصُّبْحُ رِنْقَابَهُ بَثَّ الصُّبْحُ طَلَائِعَهُ تَبَرَّقَعَ اللَّيْلُ بُغْرَةَ الصُّبْحِ أَطَارُ مُنَادَى الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ عَزَلَتْ نَوَافِجُ اللَّيْلِ بِجَامَاتِ الْكَافُورِ وَانْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ مَالَتْ الْجُوزَاءُ ^(٨) لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاصِبُ الْكَوَاكِبِ وَتَنَاقَرَتْ عَقُودُ النُّجُومِ وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ وَانْطَفَأَ قَنْدِيلُ الثَّرَيَّا

(١) منبتات (٢) جبال الحيمة (٣) شغلته وقاومته (٤) خشن وترب (٥) صار كهلا تشبيهاً بالرجل الكهل وهو من جاوز الأربعين سنة (٦) هدمت (٧) انزل (٨) برج في السماء

﴿ وصف طلوع الشمس وغروبها ﴾

بدًا حاجبُ الشمس أَلْقَتِ الْفَزَالَةَ ^(١) لُعَابَهَا وَضَرَبَتْ الضُّحَى أَطْنَابَهَا
انتَشَرَ جَنَاحُ الضُّوْءِ فِي أَفْقِ الْجَوِّ اسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ عَلَى رَوْنَقِ الضُّحَى بَلَغَتْ
الْشَّمْسُ كِبَدَ السَّمَاءِ قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَمَرَاتِ الظُّهْرِ اصْفَرَّتْ
غِلَالَةُ ^(٢) الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ يَلْمَعُ فِي قَرَارِ الْمَاءِ نَفَضَتْ تَبْرَأً عَلَى
الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ جَنَحَتِ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا ذَلِكَ كَتَّ ^(٣) ذُلُوحُ ^(٤)
وَاعْبَرِ لَوْحُ اللَّوْحِ ^(٥) تَصَوَّبَتِ الشَّمْسُ لِلغَيْبِ تَضَيَّفَتْ لِلغُرُوبِ قَاذَنُ جَنْبِهَا
بِالْوُجُوبِ ^(٦) شَابَ النَّهَارُ وَأَقْبَلَ شَابُ اللَّيْلِ اسْتَتَرَتْ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالنِّقَابِ وَتَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ كَانَ هَذَا الْأَمْرَ مَنْ مَطْلَعِ الْفَلَاقِ إِلَى مَجْمَعِ الْفَسَقِ

﴿ وصف الرعد والبرق ﴾

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ نَبْضَ ^(٧) عِرْقِ الْبَرْقِ ، سَحَابَةٌ إِرْتَجَزَتْ ^(٨) رُغُودُهَا
وَذَهَبَتْ بِهَرُوقِهَا بُرْدُهَا ، نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ ، فَالْرَّعْدُ ذُو
صَخْبٍ ^(٩) وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ ، ابْتَسَمَ الْبَرْقُ عَنْ قَهْقَهَةِ الرَّعْدِ ، زَارَتْ أَسُودَ الرَّعْدِ
وَلَمَعَتْ سَيُوفُ الْبَرْقِ رَعْدَتِ الْقَمَامُ وَتَرَقَّتْ ، وَانْحَلَّتْ عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَقَتْ
هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرُبَتْ أَبَاعِدُهَا وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

﴿ وصف مقدمات المطر ﴾

لَبَسْتَ السَّمَاءَ مِيرَالِهَا وَسَحَبَتِ السَّحَابُ أَذْيَالَهَا قَدْ احْتَجَبَتِ السَّمَاءُ فِي
مُرَادِقِ الْغَيْمِ ، لَبَسَ الْجَوُّ مَطَرَفَهُ ^(١٠) الْأَذْكَنَ ^(١١) بَاخَتِ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى

(١) الشمس (٢) الثوب (٣) غربت (٤) السحابة (٥) لوح واللوح كلاهما الهواء بين السماء والأرض (٦) وجبت الشمس وجيباً ووجوباً غابت (٧) تحرك (٨) تداركت أصواتها (٩) ذو صوت شديد (١٠) رداء من خز مريع (١١) المائل إلى السواد

ضربت خيمة الغمام، ابتل جناح الهواء، واغرو زقت مُقَلَّة السَّماء هبت شمائلُ
الجنائب لتأليف شمل السَّحائب، تألفت أشنات الغيوم وأسبست الستور على النجوم
﴿ وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء ﴾

مدَّ الشتاء رواقه وألقى أزواقه ^(١) وحلَّ نطاقة أناخ بنوازله وأرستى بكلاكله
وكأح بوجهه وكشَّر عن أنيابه قد عادت الجبال شيبا ولبست من الثلوج ملاء
قشيبا ^(٢) شابت مفارق البروج بترآكم الثلوج ألم الشيب بها وابتضت لِمُها ^(٣)
برْد يُقَضِّض ^(٤) الأعضاء وينقضُّ الأحشاء برد يُجمدُ الرِّيق في الاشدق
والدمع في الآماق يوم كان الأرض شابت لهوله يوم فضى الجلباب مسكى
النقاب عبوس قمطير ^(٥) كشَّر عن ناب الزمير وفرش الأرض بالقوارير ^(٦)
يوم أرضه كالقوارير الالامعة وهوأوه كالزنابير الالامعة

﴿ وصف المطر والماء والسحاب والغدران ﴾

ملا إذا مسَّته أيدى النسيم حكي ^(٧) سلاسل الفضة غدِيرُ ترقرت ^(٨) فيه
دُموع السَّحائب وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب انحَلَّ عقدُ السَّماء وأنهلَّ
دمعُ الأنواء ^(٩) انحَلَّ سلك القطر عن درِّ البحر سحابة تحدو من الغيوم جمالا
وتمد من الأمطار حبالا سحابة ترسل الأمطار أمواجاً والأمواج أفواجا سحابة
يضحك من بُسكائها الرِّوض وتخضر من سوادها الأرض سحابة لا تحف
جفونها ولا يحف أنينها ديمة ^(١٠) روت أديم ^(١١) الثرى ^(١٢) ونبتت عيون النور من
الكرى ^(١٣) سحابة ركب أعناق الرياح وسحت كأفواه الجراح مطر كأفواه القرب

(١) جمع روق وهو الرواق بمعنى (٢) حديثا (٣) جمع لمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن
(٤) يكسر ويضعف (٥) شديد مظلم (٦) جمع قارورة الاناء من الزجاج (٧) شابه (٨) تحركت
(٩) جمع نوء المطر (١٠) المطر بلا رعد (١١) وجه الارض (١٢) التراب (١٣) النوم

﴿ وصف القيظ وشدة الحر ﴾

حرٌّ يُشبه قلب الصَّبِّ ويُذيبُ دِمَاجَ الضَّبِّ ^(١) قَوَى سُلْطَانَ الحَرِّ وَبُسْطَ
بِساطِ الجَرِّ أوقَدَتْ الشَّمْسُ نارَها وأذكت ^(٢) أوارها ^(٣) حرٌّ يلفح حرٌّ
أوجهُ ، ها جرة كأنها من قلوب العُشَّاق إذا اشتعلت فيها نارُ الفِراقِ هاجرة تحكي
نارَ الهجر وتذيب قلب الصَّخَرِ حرٌّ يهربُ لهُ الحِرْباءُ ^(٤) من الشمس قد صهرت ^(٥)
الهجرة إلا بدآن ور كبت الجنادب ^(٦) العيدان حرٌّ يُنضِجُ الجُلُودَ ويُذيب
الجملود أيام كأيام الفُرقة امتداداً وحرٌّ كحرِّ الوجد اشتداداً ها جرة ^(٧) كالستير
الهاجم يجرُّ أذيال السَّماَمِ ^(٨)

﴿ وصف الشيب ﴾

ذَوَى ^(٩) غُصْنٍ شَبَابِهِ بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ أَقْمَرَ لَيْلٍ شَبَابِهِ ظَهَرَتْ
غُرَّةُ الْقَمَرِ وَأَوْمَضَ ^(١٠) البرقُ فِي لَيْلِ الشَّعَرُ رُمِيَ فَاحِمْ الْفُودِ ^(١١) بِضِدَّةٍ وَاشْتَعَلَ
الْمِيبِضُ فِي مُسَوَّدَةٍ لَمَعَ ضَوْؤُهُ فَرَعُهُ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ علاهُ غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ ، بَيْنَا
هُوَ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْقَظُهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ طَوَى مَرَارِجِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ
عُمُرَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَارِجِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ مَنَاهِلَ . فَلَمْ ^(١٢)
الدَّهْرُ شَبَاباً شَبَابَهُ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَاثِهِ طَارَ غُرَابُ شَبَابِهِ إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ آثَرُهُ
إِسْتَبْدَلَ بِالْأَدَمِ ^(١٣) الْأَبْلَقَ ^(١٤) وَبِالْغُرَابِ الْعَمَقَقَ ^(١٥) إِسْتَعَاضَ ^(١٦) مِنَ
الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلْتُهُ أَهْبَةُ الْكِبَرِ نَفَضَ جَبَّةَ الصَّبَا

(١) حيوان برى (٢) أوقدت (٣) نارها (٤) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويلتون الوانا بجر الشمس (٥) اذابت (٦) الجراد (٧) شدة الحر عند الزوال (٨) الرياح الحارة (٩) ذبل (١٠) برق ولمع (١١) معظم شعر الرأس مما يلي الاذن (١٢) هزم (١٣) الاسود (١٤) الابيض واصله للرخام (١٥) طائر على قدر الحماسة (١٦) جملة عوضا

وتولى داعية الحِجَاب^(١) الشَّيْبَ زُبْدَةً مَخَضَتْهَا الْإِيَّامُ وَرَفَضَةً مَحَصَّنَتْهَا التَّجَارِبُ
سَرَى فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ بِمَصْبَاحِ الشَّيْبِ، الشَّيْبُ يَخْطُمُ الْمَنِيَّةَ الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ
﴿ وصف آلات الكتابة ﴾

الدَّوَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عَتَادٌ^(٢) وَلِلْخَاطِرِ زَنَادٌ غَدِيرٌ
لَا يَرُدُّ غَيْرَ الْإِفْهَامِ وَلَا يُنْتِجُ^(٣) بَنِيْرَ أَرْشِيَّةٍ^(٤) الْأَقْلَامُ غَدِيرٌ تَفِيضُ يَنْابِيعُ
الْحِكْمَةِ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَنْشَأُ سُحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ مِدَادُ كَسَوَاءِ الْعَيْنِ وَسُؤْدَاءِ
الْقَلْبِ وَجَنَاحُ الْغُرَابِ وَلُعَابُ اللَّيْلِ وَأَلْوَانُ دُهِمِ الْخَيْلِ، مِدَادٌ نَاسَبٌ خَافِيَةُ
الْغُرَابِ وَاسْتِعَارَ لَوْنَهُ مِنْ شَرْخِ^(٥) الشَّبَابِ أَقْلَامُ جَمَّةِ الْحَاسَنِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعَنِ
أَنَابِيْبُ نَاسَبَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ فِي أَجْناسِهَا وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتْ
الْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا أَقْلَامُ كَانَتْهَا الْأَمْيَالُ اسْتَوَاءً وَالْآجَالُ مَضَاءً بَطِيئَةٌ الْخَفَى قُوَّةُ
الْقُوَى، قَلَمٌ لَا يَنْبُو^(٦) إِذَا نَبَتِ الصِّقَاحُ وَلَا يُجْجِمُ^(٧) إِذَا أَحْجَمَتِ الرِّمَاحُ قَلَمٌ
يَسْكُتُ وَاقْفًا وَيَنْطِقُ سَاكِنًا

﴿ وصف الخطباء ﴾

جَلُّوا بِكَلَامِهِمُ الْأَبْصَارَ الْعَلِيَّةَ وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمُ الْأَذْهَانَ الْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا
الْقُلُوبَ مِنْ رَقَدَتِهَا وَقَلَّوْهَا عَنْ سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَّوْا مِنْ دَاءِ الْقَسْوَةِ وَغِبَاوَةِ الْغَفْلَةِ
وَدَاوَوْا مِنَ الْعِيِّ الْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ
وَلَا تَرْتَمِنُهُ لُسْكُنَةٌ وَلَا تَتَمَشَّى فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ^(٨) وَلَا تَحْيِفُ^(٩) بَيَانُهُ عُجْبَةً
وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةُ خَطِيبٍ جَوَاهِرُ نَفَثَاتِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحُ خَطِيبٍ

(١) العقل (٢) ما يمدد الإنسان لحوادث الدهر (٣) لا ينزع (٤) حبال الدلاء
(٥) ريماته (٦) لا يمدد (٧) لا يتأخر (٨) المعجزة (٩) بمعنى تنقص

تزينت بدُرَر ألفاظه عقود المُلَح ، لا عيب فيه إلا أن لفظه عَطَلُ الياقوت والدرُّ
خطيبٌ مصقَعٌ يَنثُرُ لسانه اللؤلؤ المكنون هو الخطيبُ المصقَعُ الذي أشخص بآيات
خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاهها هو الخطيبُ المصقَعُ الذي تتلاعب بالعقول
معانيه ويصاغ الدرُّ من لفظ فيه هو الخطيب الذي تهتز له المنابر وتنفاد إليه
كلمات السحر متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض

﴿ وصف العلماء ﴾

بَدُرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطَرُهَا الْغَادِي وَالرَّائِحُ وَثَبِيرُهَا ^(١) الَّذِي لَا يُزْحَمُ
وَمُنِيرُهَا الَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيَاهُ الْأَسْحَمُ ^(٢) أَمَّا فُنُونُ الْأَدَبِ فَهِيَ ابْنُ بَجْدَتِهَا ^(٣)
وَأَخُو جَمَلَتِهَا وَأَبُو عَذْرِ تَهْلُو مَالِكُ أَرْمَتِهَا تُسْتَخْرَجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بِحُورِهِ وَتَحْلَى لَمَعَاتُ
الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ تَأْلِفُهُ غُرُورٌ مُنِيرَاتُ أَضَاءَتِ فِي وَجْهِهِ دُهِمُ الْمُسْكَاتِ
عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ السَّحَرِ تَأْلِفُهُ عَقَائِلُ أَصْبَحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِهَا لَهُ بَدَائِعُ
مَائِسَاتُ ^(٤) الْأَعْطَافِ بِحَرِّ الْبَيَانِ الزَّآخِرُ شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا وَمَنْ فِي يَدَيْهِ
زِمَامُهَا لَدَيْهِ تُنَشَّدُ ضَوَالُّ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ شَوَارِدُ الْلُغَةِ وَالْإِعْرَابِ مَالِكُ أَعْنَتِ
الْعُلُومِ وَنَاهِجُ طَرِيقِهَا وَالْمَعَارِفِ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْمِيقِهَا النَّاطِمُ لِعُقُودِهَا الرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا
الْمُجِيدُ لَا رَهَافَهَا ^(٥) الْعَالَمُ بِجَلَالِهَا وَزِفَافَهَا مَلِكُ رِقِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفِ
فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ كَيْفَ شَاءَ عَالِمٌ يَنْفَجِّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ
صَاحِبُ الْمَصْنُفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفَرَةِ إِطْلَاعِهِ وَغَزَاةِ مَادَتِهِ وَحُسْنِ إِيْيَانِهِ لَمْ يَتْرُكْ
مَعْنًى مُغْلَقًا إِلَّا فَتَحَ صِيَاصِيهَ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيهَ

(١) الثَّابِرُ الْمَوَاطِبِ (٢) الْأَسْوَدُ (٣) الْعَالَمُ بِهَا التَّنْقِيطُ لَهَا (٤) مُتَبَحَّرَاتُ مَائِلَاتِ (٥)

لَدَقِهَا وَلَطْفَهَا (٦) جَمْعُ صِيْمَةِ الْحَصَنِ الْمُنْبَعِ

﴿ وصف البلغاء ﴾

فلانٌ يَحْكُ الكَلَامَ عَلَى حَسَبِ الْأُمَانِي وَيَخِيطُ الْأَلْفَاظَ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي
يَجْتَنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا وَمِنَ الْمَعَانِي ثَمَارَهَا يَعْبَثُ ^(١) بِالْكَلَامِ وَيَقْوَدُهُ بِأَلْيَنِ
زِمَامٍ حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَحَاسَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي
الْإِنْشِيَالِ ^(٢) عَلَى أَنْامِلِهِ، بَلِيغٌ نَسَقٌ ^(٣) مِنْ جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَالِئِ مَنْظُومِهَا
سِلْكٌ، بَلِيغٌ تَفَكُّ سِهَامُ أَفْكَارِهِ الزَّرْدُ نَازِمٌ سِلْكُ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ الْبَرَاءَةِ
إِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنَ الْبَلَاغَةِ الْعِقَالُ إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ
الْفِكْرِ أَضَاءَ ظِلَامَ الْأَمْرِ يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ

﴿ وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر ﴾

مَقْدِيفُ حَصَى الْقَرِيضِ وَجِمَارِهِ وَمَطْلَعُ شُمُوسِهِ وَأَقْمَارُهُ نَزْرُهُ سِحْرُ الْبَيَانِ
وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجُمَانِ طَلَعَتْ شَمْسُ الْأَدَبِ مِنْ أَفْقَى أَشْعَارِهِ وَتَفَجَّرَتْ بِنَايِعِهَا مِنْ
خِلَالِ آثَارِهِ، شَاعَرُهُ تَوَقَّدَتْ جَهْرَاتُ أَفْكَارِهِ، شَاعَرُهُ عَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صَبَاحُ إِنْ نَزَرَ
فَالنُّجُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ كَلِمَتُهُ
إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السَّحَرُ أَصْحَابُ انْتِسَابٍ وَنَسَقٌ ^(٤) الْمُعْجَزَاتِ نَسَقُ حِسَابِ
وَأَرَى الْبِدَائِعَ بَيَضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةَ الْأَحْسَابِ إِنْ نَزَرَ رَأَيْتَ بِحَرًّا يَزْخَرُ وَإِذَا
نَظَّمَ أَرَزَى بِنَظْمِ الْعُقُودِ وَآتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ الْبُرُودِ إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمِهَارِقَ ^(٥)
يَا أَيُّهَا السَّحَرُ عِيَانًا هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ الطَّرَازِ سَطُورَ قَلَمِهِ وَيُودِّ
التَّبَرُّ لَوْ كَانَ مِدَادَ كُلِّهِ هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَنْقَادُ إِلَى بَرَأَتِهِ ^(٦) دَقَائِقُ الْمَعَانِي

(١) يلعب (٢) الانصباب (٣) نظم (٤) نظم (٥) جمع مهرق ثوب حرير أبيض يبق
الصنم ويفصل ثم يكتب فيه (٦) أفلامه

صاغرة بزمام، نثر كنثر الورد ونظم كنظم العقيد نثر كالسحر أو أدق ونظم كالماء
أو أرق نثر كما تفتح الزهر ونظم كما تنفس السحر، رسالة تضحك عن غزو
وزهر وقصيدة تنطوي على حبر ودرر كلام كاهب نسيم السحر على صفحات
الزهر، كتاب مطلع مطلع أهلة الأعياد وموقعه موقع نيل المراد، كتاب
حسبه يطير من يدي خفيته ويلطف عن حسي لقلته صحائف انطوت المحاسن
تحت رق منشورها وصدحت حنائم البلاغة على أغصان سطورها صحائف تنوب
عن الصفائح وقراطيس تزف إلى الاسماع عرائس القرائح صحائف ألبسها الحبر
أنواباً من الحبر^(١) ودبجها^(٢) صوب^(٣) الفكر لاصوب المطر

﴿ وصف الأمراء والاشراف ﴾

فلان من شرف العنصر الكريم ومعدن الشرف الصميم^(٤) أصل
راسخ وفرع شامخ^(٥) ومجد باذخ^(٦) قد ركب الله دوحته^(٧) في قرارة المجد
وغرس نبعته^(٨) في منبت الفضل، المجد لسان أوصافه والشرف نسب أسلافه
دوحة راسب^(٩) عرقها وبسق^(١٠) فرعها وطاب عودها واعتدل عمودها وفيأت
ظلالها وتهتات^(١١) ثمارها وتفرعت أغصانها وبرد مقلها^(١٢) أمير جيشه الهمم
دوحة مجده وريقة^(١٣) الظل وريقة^(١٤) أمير لا عيب في نداه^(١٥) إلا أنه
يستعبد كل حر هو غرة الجمال وصورة الكمال عقد المناصب به نصيد، أمير

(١) الحبرات التي تلبسها النساء إذا خرجن (٢) نقشها (٣) المطر (٤) الخالص (٥) المرتفع
(٦) العالي (٧) الشجرة العظيمة (٨) الشجرة أيضاً (٩) ثبت (١٠) ارتفع (١١) تدلت
(١٢) مكانها (١٣) ممتدة متسعة (١٤) مورقة (١٥) عظامه وهذا نوع من أنواع البدير
يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم

ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر
وفي الحقيقة ليس بعيب بل هو نهاية في المدح

عَبَتْ من شمائله نَمَاتِ النَّدِّ وَقَطَّات من سَلَسِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْمَجْدِ جَامِعُ
مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمَلِ الْفَضَائِلِ نَازِلٌ مَا انْتَرَى مِنْ عِقْدِ الْمَآثِرِ ، أُنَارَتْ بِهِ نَجْمُ الْمَعَالِي
وَشَمُوسُهَا ، لَهُ شَرَفٌ بِإِذْخِ تَعَقُّدِ النُّجُومِ ذَوَائِبُهُ ، أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّثَاسَةَ مَقَالِيدُهَا ^(١)
وَمَلَكَتُهُ طَرِيفُهَا وَتَلِيدُهَا ^(٢) أَمِيرُ تَفَرُّعِ مِنْ دَوْحَةِ سَنَا ^(٣) وَتَحَدَّرَ مِنْ سَلَالَةِ
أَكْبَرِ وَرُقَاةِ أُسْرَةٍ وَمَنَابِرِ مُرْتَضِعِ نُدَى الْمَجْدِ وَمُقَرَّشِ حِجَرِ الْفَضْلِ لَهُ صُدْرُ
تَضْيِيقٍ بِهِ الدَّهْنَاءُ ^(٤) وَتَفَرُّعُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ ^(٥) لَهُ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ
وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ وَيَتَرَقَّرُ فِيهَا
مَاءُ الْكَرَمِ وَتَقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبَشَرِ يَنَابِيعُ الْجُودِ تَتَفَجَّرُ مِنْ أُنَامِلِهِ وَرِيْعُ السَّمَاءِ
يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ لَهُ أَخْلَاقٌ خُلِقْنَ مِنَ الْفَضْلِ وَشِيمٌ تُشَامُ ^(٦) مِنْهَا بَوَارِقُ الْمَجْدِ
أَرْجُ ^(٧) الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ ، وَعَقِيمُ النِّسَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمِثْلِهِ مَالُهُ لِلْعُقَاةِ ^(٨) مُبَاحٌ
وَفَعَالُهُ ^(٩) فِي ظُلْمَةِ اللَّتْهِرِ مِصْبَاحٌ ، مَنَاقِبُ تَشْدُخُ ^(١٠) فِي جَيْبِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ
وَتَهَادِي أَنْبَاءُهَا ^(١١) وَقُودُ الرِّيَاحِ سَأَلَتْ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنَّ حَرَّكَتَ الْمَسَكِ
فَتِيْقًا أَوْ صَبَحَتِ الرُّوضُ أَنْيَقًا ^(١٢) هَوْرَائِشُ ^(١٣) نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةٌ ^(١٤) فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةٌ ^(١٥) عَقْدُهُمْ ، لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عِزِّ النُّجُومِ وَامْتَدَّ صَبَاحُهَا مِنْ
شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ هَمَّتْ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطٍ ^(١٦) الْفَرْقَدُ وَأَعْلَى مِنْ مَنَسَكِبِ الْجُوزَاءِ ^(١٧)
مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ مَوْضِعُ الْوَاسِطَةِ مِنَ الْعَقْدِ وَلَيْلَةُ التَّمِّ مِنَ الشَّهْرِ بِلَيْلَةٍ
الْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ هَطَلَتْ عَلَى سَحَابٍ عِنَايَتِهِ وَرَفَرَفَتْ حَوْلَى أَجْنَحَتِهِ

(١) مفاتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجدورضة (٤) الفلاة الواسع (٥) جماعة الناس
(٦) تنظر (٧) فاحت منه راحة طيبة (٨) الطالبون للمطاء (٩) يفتح الفاء كرمه (١٠) تغلق
(١١) اخبارها (١٢) معجبا (١٣) السهم ذو الريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط
العقد وهي احسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج في السماء

رعايته قد استظهرتُ على جَورِ الأيام بعدله واستترتُ من دهرى بظلمه قد غرقتني
نعمه حتى استنفدتُ شُكرَ لساني ويدي ، تنابعتْ نعمه تنابُع القطر على القفر
وترادفتْ مِنْهُ ترادُفُ اليُسْر إلى ذى الفقر له أيا يدِ قد عمتْ الآفاق وطوّقتْ الأعناق
أيادٍ قد حبستْ عليه الشكر واستعبدتْ له الحُرَّ مِنْ تَوالتْ توالى القطر واتّسعتْ
سعة البرِّ والبحر وأثقلتْ كاهل الحُرِّ

(وصف القلم)

القلمُ أحدُ اللسانين وهو المخاطِب للغيوب بسرائر القلوب على لغاتٍ مختلفةٍ
من معانٍ معقولةٍ بحروفٍ معلولةٍ متبايناتٍ الصُّورِ مختلفاتٍ الجهاتِ لِقاحها التفكرُ
ونَتاجُها التدبيرُ مخزّنٌ مُنفرداتٍ وتنطقُ مُزدوجاتٍ بلا أصواتٍ مسموعةٍ ولا
ألسُنٍ محدودةٍ ولا حركاتٍ ظاهرةٍ خلا قلمٍ حَرَفٌ باريه قطعته لیتعلق المداد به
وأرهِفَ جَانِبِيهِ ليرُدَّ ما انتشر عنه اليه وشقَّ رأسه ليحتبس المداد عليه فَمِثْلُكَ
استمدَّ القلمُ بِشَقِّهِ ونثرَ في القرطاسِ مَخْطَه حُرُوفاً أحكمها التفكرُ وأولى الأسماعِ
بها الكلامُ الذى سداه العقلُ وألحه اللسانُ ونهسته اللِّهواتُ وقطعته الأَسنانُ
ولَفِظَتُهُ الشِّفاهُ ووعته الأسماعُ عن أنحاء شتى من صفاتٍ وأسماء — قال البخري
طعانٌ بأطرافِ القوافي كأنه طعانٌ بأطرافِ القنا المتكسر

(وصف الخط لأبي الحسن القيروانى المتوفى سنة ٤٨٨ هـ)

سئل بعض الكتّاب عن الخط متى يستحق أن يُوصفَ بالجودة قال
إذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطورُهُ وضاهى صعوده
حدُوره وتفتّحت عيونه ولم تشبهه رآؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(١)
ولم تختلف أجناسه وأسرع إلى العيون تصوّره وإلى العقول تشمّره وقُدّرت فصوله

(١) جمع قس بكسر النون المداد الذي يكتب به (٢) الطريقة

واندمجت أصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج من نَمَط^(١) الوراقين وبعد عن
تصنع المحبرين وأقام لصاحبه مقام النسبة والخلية
(وصف الكتاب)

الكتابُ نِعَمُ الانيس في سَاعَةِ الوَحْدَةِ ونِعَمُ المعرفة في دار الغُرْبَةِ ونِعَمُ
القرين والتخيل ونِعَمُ الزَّائِرِ والتَّزِيلِ وعَاءُ مُلَىٰ وعِلْمُا وظَرْفًا وإِنَاءُ مُلَىٰ مزجًا وجدًّا
وحبذا بستانٌ يُحْمَلُ في خُرْجٍ وروضٌ يُقَلَّبُ في حَجَرٍ هل سمعت بشجرة تُوَقَّى
أَكْهًا كُلَّ حينٍ بألوانٍ مختلفة وطعومٍ متباينة هل سمعت بشجرة لا تَذْوَى^(١)
وزهر لا يَتَوَىٰ وثمر لا يَفْنَىٰ ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه والجنس وضده
يَنطِقُ عن الموتى وَيُترجم عن الأحياء ان غضبت لم يفضب وان عَزَبَتْ^(٢) لم
يَصْخَبَ^(٣) أَكْتَمُ من الأرض وَأَتَمُّ من الريح وأهوى من الهوى وأخدعُ من
المنى وأمتع من الضحى وأنطق من سحبان وائل وأعيا من باقل^(٤) هل سمعت
بمعلم تحلى بخلال كثيرة وجمع أوصافا عديدة عَرَبِيٌّ فارسيٌّ يونانيٌّ هِنْدِيٌّ
سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ إِنْ وَعَظَ أَسْمَعُ وان أَلْهَىٰ أَمْنَعُ وان أَبْكَى أَدْمَعُ وإن ضرب أو جمع
يُفِيدُكَ ولا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ وَيَزِيدُكَ ولا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ إِنْ جَدَّ فَعَبْرَةٌ وإِنْ مَرَّحَ فَنَزْهَةٌ
قَبْرُ الأَسْرَارِ وَخَزَنُ الوَدَائِعِ قَيْدُ العُلُومِ وَيَنْبُوعُ الحِكْمِ وَمَعْدِنُ المَكَارِمِ وهُوَ نَسْ
لا يَسَامُ يُفِيدُكَ عِلْمُ الأَوَّلِينَ وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أخبارِ المَتَأَخِّرِينَ هل سمعت
فِي الأَوَّلِينَ أو بَلَغَكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ جَمَعَ هَذِهِ الأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْثِقَةٍ

(١) الطريقة (٢) لا تذبل وبابهوى ورضى وقوله يتوى يهلك (٣) عريد الرجل ساء خلقه
عند السكر (٤) لم يصوت (٥) رجل من اباد به يضرب الثل في المي ومن عيه انه اشترى ظلياً
لغله على عنقه فمثل عن ثمنه لغل عنه يديه وقتح اصابعه و اشار بها واخرج لسانه يريد انه بأحد
عشر درهما ولم يلهم ان يخبر من سره بلسانه فصار عيه مثلا

وِخْفَةً مَحْمِلَهُ لَا يَرْزُوكَ ^(١) شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكَ نِعْمَ الْمَدَّخِرُ وَالْعُدَّةُ ^(٢) وَالْمُسْتَقَلُّ
وَالْحَرْقَةُ جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ ^(٣) وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتَهُ فِي النَّهَارِ
وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ إِنْ أَطَلَّتِ النَّظْرُ إِلَيْهِ أَطَالَ أَمْتَاكَ ^(٤)
وَشَحَذَ ^(٥) طِبَاعَكَ وَبَسَطَ لِسَانَكَ وَجَوَّدَ بَيَانَكَ وَفَحَّمَ أَلْفَاظَكَ إِنْ أَلْفَقْتَ خَلْدًا عَلَى
الْأَيَّامِ ذَكَرَكَ وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ وَإِنْ نَعِمْتَ نَوَّهَ عِنْدَهُ بِاسْمِكَ يُقَعِّدُ
الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ وَيُجْلِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ فَأَكْرَمَ بِهِ مَنْ
صَاحِبٌ وَأَعَزَّزَ بِهِ مَنْ مُوَافِقٌ

(وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ)

أَتَى عَارِضٌ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ كَانَتْ فِيهِ ظُلُمَاتٌ
مُتَكَاثِفَةٌ وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ وَرِيَّاحٌ عَاصِفَةٌ فَقَوِيَتْ أَهْوِيَّتُهَا وَاشْتَدَّتْ هُبُوبُهَا فَتَدَا فَعَتَتْ
لَهَا أَعْنَتُهَا مُطْلِقَاتٌ وَارْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُصْعِقَاتٌ فَرَجَفَتْ لَهَا الْجُدُرَانُ وَاصْطَلَقَتْ
وَتَلَاقَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَاعْتَنَقَتْ، وَتَنَارَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَجَاجٌ قَقِيلٌ لَعَلَّ هَذِهِ
عَلَى هَذِهِ أَطْبَقَتْ وَتَحَسَّبَ أَنْ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَايٌ وَعَدَا مِنْهَا عَادِيٌّ وَزَادَ عَصْفُ
الرِّيَّاحِ إِلَى أَنْ انْطَفَأَتْ مَصَابِيحُ النُّجُومِ وَمَزَّقَ أَدِيمُ السَّمَاءِ وَتَحَا مَا فَوْقَهُ مِنَ الرُّقُومِ
لَا عَاصِمَ مِنَ الْخُطْفِ لِلْأَبْصَارِ وَلَا مَلْجَأَ مِنَ الْخُطْبِ إِلَّا مَا قَلَّ الْاسْتِغْفَارُ وَفَرَّ
النَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا وَنَفَرُوا مِنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا فَاعْتَصَمُوا بِالْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ وَأَذْعَنُوا لِلنَّازِلَةِ بِأَعْنَاقٍ خَاضِعَةٍ وَوَجُوهٍ عَانِيَةٍ
وَنَفُوسٍ عَنِ الْإِهْلِ وَالْمَالِ سَالِيَةٍ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَيَتَوَقَّعُونَ أَيَّ خُطْبٍ

(١) لَا يَنْقُصُكَ (٢) مَا يَعِدُهُ الْإِنْسَانُ لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ (٣) لَا يَمْدَحُكَ

(٤) اتِّفَاعَكَ (٥) أَحَدَهَا وَقَوَامَا

جلىّ قد انقطعت من الحياة علقهم وعميت عن النجاة طرُقهم ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون وقاموا إلى صلاتهم وودّوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دأمون إلى أن أذن الله في الرّكود وأسعفَ الهاجدين بالهجود وأصبحَ كلُّ يُسلم على رفيقه ويُهنته بسلامة طريقه ويرى أنه قد بُعث بعد النفخة وأفاق بعد الصيحة والصرخة وأن الله قد ردّ له الكرة وأدّبه بعد أن كاد يأخذه على غرة ووردت الأخبار بأن كسرت المراكب في البحار والأشجار في القفار وأتلفَ خلق كثير من السفار ومنهم من فرّ فلم ينفعه الفرار

(وصف العلم لبديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

العلم شيء بعيد المرام لا يُصاد بالسهم ولا يُقسم بالزلام^(١) ولا يُرى في المنام ولا يُضبط بالجام ولا يُكتب للثام ولا يُورث عن الآباء والأعمام وزرع لا يزكو^(٢) إلا متى صادف من الحزم ثرى طيباً ومن التوفيق مطراً صيباً ومن الطبع جواً صافياً ومن الجهد روحاً^(٣) دائماً ومن الصبر سقياً نافعاً وغرض لا يُصاب إلا باقتراش المدر^(٤) وأستناد الحجر وردّ الضجر ورُكوب الخطر وإدمان السهر وأصطحاب السفر وكثرة النظر وإعمال الفكر

(١) الزلام جمع زلم يفتح الزاي او ضمها مع فتح اللام وهي سهام لا نصل لها ولا ريش كان العرب اذا ارادوا القمار احضروا جذوراً فنجروها وقسموا لها الى ثمانية وعشرين قصبا ثم اتوا بعترة زلام فرسموا على واحد منها خطا وعلى الثاني خطين وعلى الثالث ثلاثة وهكذا الى السابع فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدرح المللى وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شيء ثم يضمون الجميع في خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلماً باسم واحد من القمارين فان كان مرسوماً عليه شيء أخذ من اقسام اللحم بقدره وان كان غفلاً غرم من الجزور . والمقصود من هذه العبارة ان العلم لا ينال بطريق البخت والمصادفة كما ينال اللحم المقسوم (٢) يركو ينمو ويطيب (٣) الروح بفتح فسكون نسيم الريح (٤) المدر قطع الطين اليابس واقتراش المدر

﴿ وصف الامام العادل ﴾

كتب عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة الى الحسن بن أبى الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفة الإمام العادل فكتب اليه الحسن

إعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرقيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى ويدودها عن مراتع المهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالآب الحانى على ولده يسعى لهم صفاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشقيقة البرة الرقيقة بولدها حملته كرهاً ووضعت كرهاً وربته طفلاً تسهر به وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتقطعه أخرى وتفرح بعافيته وتفتن بشكايته والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى وخازن المساكين يربى صغيرهم ويؤن كبيرهم ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسع كلام الله ويستمعهم وينظر إلى الله ويريههم وينقاد إلى الله ويقودهم - فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعباله فبدد المال وشرّد العيال فأفقر أهله وفترق ماله واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الجباث والفواحش فكيف إذا آتاه من يلبها وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص منهم - واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده

و قلة أشياءك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر واعلم
يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثبوتك
ويُنْفَرُ قُلُوبُ أَحِبَّائِكَ يُسَلِّمُونَكَ فِي قَعْرِهِ فَرِيداً وَحِيداً فَتَزُودُ لَهُ مَا يَصْجِبُكَ يَوْمَ يَفْرُ
المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - وأذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعِثَ
مافي القبور وحُصِّلَ مافي الصدور فالأسرار ظاهرة - والكتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
ولا كبيرة إلا أحصاها - فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول
الآجل وأتقطع الأمل - لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين
ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرفقون
في مؤمن إلا ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالاً
مع أثقالك ولا يفرئك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم
بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن أنظر إلى قدرتك
غداً وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في تجمع من الملائكة
والنبيين والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحق القيوم ، إني يا أمير المؤمنين وإن لم
أبلغ بعظمتي ما بلغه أولوا النهي من قبلي فلم آلك شفقةً ونصحاً فانزل كتابي
إليك كدأوى حبيبه يسقيه الأذوية الكريمة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة
والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

﴿ وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﴾
مصر نربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر ^(١) يخط وسطها
نهر ميمون الغدوات مبارك الرّوحات يجري بالزيادة والنقصان كجرى الشمس

(١) أي عشر ليال لان عادة العرب السير في الليل

والقمر له أو ان تظهر به عيُونُ الأرض وَيَتَايَعها حتى اذا اُصلح عَجَاجه وتعظمت
أَمواجه لم يكن وُصول أهل القرى الى بعض إلا في خفاف القوارب ^(١) وصغار
المراكب فاذا تكملت زيادته نكص ^(٢) على عَقْبَيْهِ كأول ما بدأ في شدته
وطأ ^(٣) في حِدْته فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أو ديتهم وروابيهم فيبدرون
الحب ويرجون الثمار من الرب حتى اذا اشرق وأشرف سقاه من فوقه الندى
وغذاه من تحته الثرى فعند ذلك يدور حلابة ويُغنى ذبابه - فينما هي يا أمير
المؤمنين دُرّة يبيضاء اذ هي عنبرة سوداء فاذا هي زبرجدة خضراء فتبارك الله
الفعال لما يشاء

(وصف حرب لأبي منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)
عند ما دارت راحا الحرب صممت الألسنة ونطقت الأسيمة وخطبت السيوف
على منابر الرقاب وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب وتلاصقت القنا والقنابل ^(٤)
وتعانقت الصوارم ^(٥) والمناصل وبلغت القلوب الحناجر وأدركت السيوف
المناحر وضاق المجال ونحكت الآجال فلا ترى إلا رؤوساً تُندَر ^(٦) ودماء تهذر
وأعضاء تتطير وتتناثر وأجساماً تتزائل وتنايل حتى ثملت الرماح من الدماء
فتعثرت في النحور وتكثرت في الصدور فرجوا الأعداء من جواربهم وتمكنوا
من قض مواكبهم

(وصف أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ المطر شعراً)
مع مقدمة لعمر بن علي التطوعي في وصف ذلك المطر نثراً
حكى عمر بن علي التطوعي قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبد الرحمن
(١) السفن الصغيرة (٢) رجع (٣) ارتفع (٤) القنا الرماح والقنابل جمع قبل ما بين الخمسين
فصاعداً من الخيل (٥) السيوف القاطعة وكذا المناصل (٦) تسقط

ابنُ أحمدَ أدام الله عزه أيامَ مُقامِهِ بِجُؤَيْنَ^(١) أن يطالع قرية من قُرى ضِياعِهِ^(٢)
تُدعى نجاب على سبيل التَّنَزُّهِ والتَّفَرُّجِ فكنت في جملة من استصحبه إليها من
أصحابه وآتَقَّقَ أن وصلنا والسماءُ مُصْحِيَّةً^(٣) والجوُّ صافٍ لم يُطرَرْزْ ثوبُهُ بعلَمِ
الغمامِ^(٤) والأفقُ فيروزَجٌ لم يعبق به كافور السحابِ^(٥) فوقَ الاختيارِ على
ظلِّ شجرةٍ بِاسِقَةِ الفروعِ^(٦) متسعةٍ الأوراقِ والفصون قد سترت ما حوَّالَها
من الأرضِ طولا وعرضا فترلنا تحتها مُسْتَظِلِّينَ بِسَاوَةِ أَفْنَانِها مستترين من وهَجِ
الشمسِ بِسَرةٍ أغصانها^(٨) وأخذنا تتجاذب أذيال المذاكرة^(٩) وتتسالب
أهذاب المناشدة والمحاورَةِ^(١٠) فاشعرنا بالسماءِ إلا وقد أُرعدتْ وأَبْرقتْ^(١١)
وأظلمتْ بعدما أشرقتْ ثم جادت بِمطرٍ كأفْوَامِ القَرَبِ فَأَجَادَتْ^(١٢) وحكت
أنا مِلَ الأَجْوَادِ بِلِ أَوْفَتِ عليها وزادت^(١٣) حتى كاد غيبتها يعودُ عَيْثُا^(١٤) وهمَّ
وبلها أن يستحيلَ وَيَلَا^(١٥) فَصَبَرْنَا على أذاها وقلنا: «سحابةٌ صَيْفٌ عَنْ قَلِيلٍ
تَقْشَعُ»^(١٦) «فاذا نحنُ بها قد أمْطَرْتَنَا بِرَدَا كَالثُّغُورِ لَكِنْها من ثُغُورِ الْعَذَابِ»^(١٧)

(١) كورة بخراسان وبلدة بخرس (بلاد فارس) (٢) يطالع قرية يطلع عليها والضباع
جمع ضيعة وهي العقار والارض المغلة (٣) لا غيم فيها (٤) عبارة عن خلو الجو من السحاب
(٥) أي لونه مثل لون الفيروزج وهو الزرقة ولم يعبق به لم يلصق به والكافور طيب يستخرج
من شجر كبير ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عملية تعمل فيه — والمعنى أنه لا يرى شيء من
السحاب في الأفق (٦) طوليتها (٧) الاقنان الفصون وسماوتها يعني اوراقها العريضة المتلاحة
تلاحماً يجعلها تشبه السقوف (٨) وهج الشمس شدة حرها وتوقدها (٩) عبارة عن تذاكرهم
(١٠) عبارة عن تناشدهم الاشعار ومحاور بعضهم مع بعض محاوراً ادياً (١١) يقال رعدت
وبرقت أي جاءت بالرعد والبرق وأرعدت وأبرقت يعني تهددت بالرعد ونوعدت بالبرق
(١٢) جادت تكلمت وأجادت أحسنت (١٣) حكمت شابهت وأنامل الاجواد المقصود أيدي
الكرام ومحاكلتها لا يدي الكرام يعني مشابقتها لا يديهم في السخاء وأوفت وزادت بمعنى واحد
(١٤) الليث المطر — والغيث الافساد (١٥) الويل المطر الشديد العظيم القطرات والويل الشر
(١٦) أي لا تمسك الا قليلا وتذهب (١٧) البرد قطرات المطر المتجمدة التي تنزل على الارض
كالحب — والثغور جمر ثغر وهو ما يرى من الاسنان من فتحة الشفتين — وثغور العذاب فتحاته

لامن الثُّغُورِ الْعَذَابِ ^(١) فَأَيَقُنَّا بِالْبَلَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ ^(٢) فَمَا مَرَّتْ
سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ ^(٣) وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبْنَ ^(٤) وَالْمَاءُ
قَدْ غَمَرَ الْقِيَمَانَ وَالرُّبَا ^(٥) فَبَادَرْنَا إِلَى حِصْنِ الْقَرْيَةِ لِأَثْذِينَ مِنَ السَّيْلِ
بَأَفْنِيَّتِهَا ^(٦) وَعَائِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا ^(٧) وَأَثْوَابُنَا قَدْ صَنَدَلْ كَأَفُورَهَا مَاءُ
الْوَيْلِ ^(٨) وَغَلَفَ طِرَازَهَا طَيْنُ الْوَحْلِ ^(٩) وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ
الْأَبْدَانِ وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْكَأَمِ وَالْأَرْدَانَ ^(١٠) وَنَشْكُرُهُ عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ
وَالْأَرْوَاحِ شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِعَ بِالْأَرْبَاحِ ^(١١) فَبِتْنَا تِلْكَ
الَّيْلَةَ تَحْتَ سَمَاءٍ تَكْفُفُ وَلَا تَكْفُفُ ^(١٢) وَتَبْكِي عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ بِأَدَمَعِ هَوَامٍ ^(١٣)
وَأَرْبَعِ سِجَامٍ ^(١٤) فَلَمَّا سُلَّ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ غَمَدِ الظَّلَامِ ^(١٥) وَصُرِفَ بِوَالِي
الصُّحُوفِ عَامِلُ الْغَمَامِ ^(١٦) رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوَسِّعَ الْإِقَامَةَ بِهَا رَفْضًا ^(١٧)
وَنَتَّخِذَ الْارْتِحَالَ عَنْهَا فَرَضًا فَارْزُلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا إِلَى أَنْ وَافِينَا

(١) لا من الاسنان العذبة الرقي (٢) وخفضنا لاحكام المقادير (٣) يعني جرى الماء بشدة حتى صار يسمع له صوت كموت مياه الأنهار (٤) السيل الماء العظيم الذي يتجمع من المطر ويسيل بشدة — والزبي جمع زيبه وهي الأرض المرتفعة ارتفاعاً عظيماً بحيث لا يملوها الماء عادة — او حفرة تحفر فيها لتصاد فيها الاسد (٥) الربا جمع ربوة وهي الأرض المرتفعة — والقيمان جمع قاع وهو الأرض السهلة المبطنة التي انفرجت عنها الجبال والأكام (٦) فبادرنا اسرعنا : والحصن الموضع الحصين الذي لا يوصل الى جوفه . لا أثذين متحصنين — والافنية جمع فناء وهو المتسع امام الدار (٧) عائذين ملتجئين — والقطر ما تزل من ماء المطر — والابنية نلباني (٨) صندل استعمله متعدداً بمعنى جعل لون الصندل احمر ضارباً الى السواد — والكافور والويل تقدم معناه (٩) غلف الشيء جعل له غلاًفاً اي حجاًياً وستراً والطراز رسم الثوب والمعنى ان رسم الثوب ستره الطين المتناثر من الوحل (١٠) الاردان اصول الاكام (١١) اي اوجع بعدم الارباح وقد المسكاسب (١٢) يكف يقطر ولا يكف ولا ينقطع (١٣) هوام جمع هام من همى يهيم بمعنى سال (١٤) لعله يريد اربع نواح يقطر منها الماء كثيراً (١٥) اي الصبح الشبه بالسيف والظلام الشبه بالغمم (١٦) ازال الصحو الغمام (١٧) اي ان نرفض الإقامة بها رفضاً بانا

المُسْتَقَرَّ رَكُضاً^(١) فلما نفضنا غبارَ ذلك المسير^(٢) الذي جعلنا في رِبْقَةِ الأسير^(٣)
وأفضيننا إلى ساحة التيسير^(٤) بعد ما أصدبنا بالامر العسير وتذاكرنا ما لقيناه
من التعب والمشقة في قطع ذلك الطريق وطى تلك الشقة^(٥) أخذ الأمير السيد
أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الأبيات أرجالاً

دَهَمْنَا السَّمَاءَ غَدَاةَ السَّحَابِ	بَغِيْثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ ^(٦)
نَجَاءَ بَرَعْدٍ لَهُ رَنَّةٌ ^(٧)	كَرَنَةٍ تُسَكِّلِي وَلَمْ تُشْكَلِ ^(٨)
وَتَنَّى بَوْبِلَ عَدَا طَوْرَهُ ^(٩)	فَعَادَ وَبَالاً عَلَى الْمُحْمِلِ ^(١٠)
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مَنْ أَذَاهُ	عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُعْضِلٍ ^(١١)
فَمَنْ لَا يَنْدُبُ بِنِجَاءِ الْجِدَارِ ^(١٢)	وَأَوْ إِلَى نَفَقٍ مُهْمِلٍ ^(١٣)
وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يَنَادِي الْغَرِيقَ	هُنَاكَ وَمِنْ صَارِخٍ مُعْوِلٍ ^(١٤)
وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ	بَدَمْعٍ مِنَ الْوُجْدِ لَمْ يَهْمِلِ ^(١٥)
كَأَنَّ حَرَاماً لَهَا أَنْ يَرَى	يَبِيدُ سَامِنَ الْأَرْضِ لَمْ يَمَلِ ^(١٦)

(١) وافينا اتينا والمستقر السكن وركضا يعني عدوا وجرياً على الاقدام (٢) يعني لما ازلنا
وسخ هذا السير بمعنى استرحنا (٣) الربة عروة تجعل في حبل مع عرى اخرى ويربط في هذا
الحبل (ويسمى الربق) اولاد الضأن والمز والبقر (٤) افطينا وصلنا والسلحة رجة بين الدور
والتيسير اليسر والتسهيل (٥) وطى تلك الشقة أي قطع تلك اللسافة (٦) الفداة اول النهار يعني
دهمتنا السماء في اول النهار الذي كان فيه غيم — والغيث المطر — والسبل الهاطل يعني دهمتنا
السماء بمطر هاطل على الافق الذي كان السحاب مخبئاً عليه (٧) له رنة اي دوى وصوت هائل
(٨) الشكلى التي فقدت ولدها ولم تشكل يعني لم يفقدها الله ولدها والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها
مع أن الله لم يهلكه فهي تصوت على غيابها ولم ينقطع أملها من وجوده (٩) البوبل تقدم تفسيره
(المطر الشديد) وعدا طوره تجاوز حده (١٠) فصار ثقيلاً وخبياً على المكان المحل الجذب
المنقطع عنه المطر (١١) اشرف على كذا قرب منه والمضل الذي لا دواء له (١٢) فمن متحصن
بالاراضي المجاورة للجدران (١٣) ومن لاجئ الى سرب في الارض لم يتعهد احد (١٤) ينادي
الغريق اي يدعو الناس ويقول : الغريق لينقذوه والممول الرافع صوته باليكاء (١٥) لم يهمل
اي لم يترك شيئاً من الوجد اي الجدة والكثرة (١٦) كان حراماً لها أي كأن السماء محرم عليها
ان ترى أرضاً يابسة لم تبل بالماء

وَأَقْبَلَ سَيْلَ لَهُ رَوْعَةٌ ^(١) فَأَذْبَرَ كُلُّ عَنِ الْمُقْبِلِ ^(٢)
يَقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ ^(٣) وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلُ ^(٤)
فَمِنْ غَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا ^(٥) وَمَنْ مُعْلَمٍ عَادَ كَالْمُجْهَلِ ^(٦)
كَفَانَا بَلِيَّتُهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ ^(٧)
فَقُلْ لِلسَّمَاءِ أَرَعُدَى وَابْرُقِ ^(٨) فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ

(ووصف ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ حديقة)

لَمَّا صَدَاتُ مِرَاةُ الْجَنَانِ ^(١) قَصَدْتُ لَجَلَاهَا بَعْضَ الْجَنَانِ ^(٢) فَدَخَلْتُ
إِلَيْهَا وَمَا كَذْتُ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْهَا فَإِذَا هِيَ جَنَّةٌ عَالِيَةٌ ^(٣) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ^(٤)
وَطَلْحُهَا مَنْضُودٌ ^(٥) وَظِلُّهَا مَمْدُودٌ ^(٦) وَأَعْلَامُ أَشْجَارِهَا مَرْفُوعَةٌ ^(٧) وَقَاكِبُهَا
كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ^(٨) تَجُوسُ الْمِيَاهُ خِلَالَ دِيَارِهَا ^(٩) وَتُشْرِقُ
بِأَقْفَاهِ أَنْوَارُ نَوَارِهَا ^(١٠) نَزْهَةُ النَّوَاطِرِ ^(١١) وَشَرَكُ الْخَوَاطِرِ ^(١٢) بِهَا أَشْجَارُ
لَا تُنْحَصَى ^(١٣) وَنِمَارٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُسْتَقْصَى ^(١٤)

(١) الروعة الفزعة (٢) فصار كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله (٣) يقتلع كل ما يريد
من الشجر العظيم (٤) ويحمل كل ما يلقاه من الصخور الضخام (٥) رده غامراً صيره خراباً
(٦) من معلوم صار كالمجهول (٧) كفانا الله شره فوجب الشكر له لافضاله علينا (٨) ابني بالعدد
والبرق (٩) الجنان القلب وصدت مرآته علاها الوسخ والمعنى لما كل القلب ومل العمل (١٠) لجلاها
أى إزالة الوسخ الذى علاها والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر (١١) أى
مرتفعة فاخرة (١٢) عناقيدها متدلية قريبة من الجاني (١٣) الطلح الاشجار العظيم ومنضود
يعنى متراكم بعضه فوق بعض (١٤) أى متسع (١٥) أى اغصانها مرتفعة (١٦) لا تقطع عن
الطالب ولا تمنع من (١٧) أى تتردد بين بيوتها (١٨) النوار الزهر (١٩) تنتزه فيها الميوزن
(٢٠) تصطاد الخواطر وتسي العقول (٢١) لا يمكن الاتيان على عددها (٢٢) لا يتانى
ادراك آخرها

﴿ وصف أمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ البيان ﴾
 أليان تُرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقِلُ الْعُقُولِ ^(١) وَمَجْلَى الشَّبْهَةِ ^(٢) وَمَوْجِبُ الْحُجَّةِ
 وَالْحَاكِمُ عِنْدَ اخْتِصَامِ الظُّنُونِ وَالْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ وَخَيْرُ الْبَيَانِ مَا كَانَ
 مُصَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِيَسْرَعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيَهُ أَوْ مُوجِزًا لِيَخْفَ عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيَهُ
 ﴿ ووصف أيضاً المكارم ﴾

لَنْ تَكْسِبَ أَعَزَّكَ اللَّهُ الْمَحَامِدُ وَتَسْتَوْجِبَ الشَّرَفَ إِلَّا بِالْحُلِّ عَلَى النَّفْسِ
 وَالْحَالِ ، وَالنُّهُوضُ بِحِمْلِ الْأَثْقَالِ وَبَذْلُ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَلَوْ كَانَتْ الْمَكَارِمُ تَنَالُ بِغَيْرِ
 مَوْثِقَةٍ لَا شَرَكَ فِيهَا السِّقْلُ ^(٣) وَالْأَحْرَارُ وَتَسَاهِمُهَا الْوَضَاعُ ^(٤) مِنْ ذَوِي الْأَخْطَارِ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ الْكَرَمَاءَ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ أَهْلًا فَخَفَّفَ عَلَيْهِمْ حَمْلَهَا وَسَوَّغَهُمْ
 فَضْلَهَا وَحَظَرَهَا ^(٥) عَلَى السِّقْلَةِ لِصَغَرِ أَقْدَارِهِمْ عَنْهَا وَبُعْدِ طَبَاعِهِمْ مِنْهَا وَنَفُورِهَا
 عَنْهُمْ وَاقْشَعَرَارِهَا مِنْهُمْ

﴿ ووصف أيضاً القرآن الكريم ﴾

فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ مَعْرُوفٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَظَاهِرٌ غَيْرُ خَفِيٍّ يَشْهَدُ
 بِذَلِكَ عَجْزُ الْمُتَعَاظِينَ وَوَهْنُ ^(٦) الْمُتَكَلِّمِينَ وَهُوَ الْمُبْلَغُ الَّذِي لَا يَمَلُّ وَالْجَدِيدُ الَّذِي
 لَا يَبْغُلُ ^(٧) وَالْحَقُّ الصَّادِعُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالْمَاحِي لظُلُمِ الضَّلَالِ وَلِسَانُ
 الصِّدْقِ النَّافِي لِلْكَذْبِ وَمِفْتَاحُ الْخَيْرِ وَدَلِيلُ الْجَنَّةِ — إِنْ أَوْجَزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ
 أَكْثَرَ كَانَ مَذْكُرًا وَإِنْ أَمَرَ فَنَاصِحًا وَإِنْ حَكَمَ فَعَادِلًا وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا
 سَرَّاجٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ الْقُلُوبُ وَبِحَرِّ الْعُلُومِ وَدِيْوَانُ الْحُكْمِ وَجَوْهَرُ الْكَلِمِ

(١) جلاؤهما (٢) كشفها (٣) السفل جمع سفلة وهم طغاة الناس وغوغاؤهم (٤) جمع
 وضيع وهو الساقط (٥) منها (٦) ضعف (٧) لا يبلى

﴿ ووصف ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ جيوشاً ﴾

وسار فلان في جيوش، عليهم أردية السيوف وأقمصة الحديد وكان رماحهم قرون الوعول^(١) وكان أذراعهم زبد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع سراديقها قد نشرت في وجوهها غرر^(٢) كأنها صحائف الرق^(٣) وأمسكها تحجیل^(٤) كأنه أسورة اللجين وقرط عذراً^(٥) كأنها الشنوف تتلذذ الاعداء أوائلها ولم تنهض أو آخرها قد صُب عليهم وقار الصبر وهبت معهم ريح النصر

﴿ ووصف الحسد الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ﴾

الحسد أبقاك الله داء ينهك الجسد علاجه عسير وصاحبه ضجر وهو باب غامض^(٦) وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فداويه في عناء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (دَب^(٧) اليكم داء الأُم من قبلكم الحسد والبغضاء) الحسد عقيد^(٨) الكفر وحليف الباطل^(٩) وضد الحق ، منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة^(١٠) ومفرق كل جماعة وقاطع كل رحم من الأقرباء^(١١) ومحدث التفرق بين القرناء^(١٢) وملقح الشر بين الحلفاء^(١٣)

ووصف أيضاً أفضل الكلام — وقال

أفضل الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه ظاهراً في لفظه وكان الله قد ألبسه من ثياب الجلالة وغشاه^(١٤) من نور الحكمة على حسب نية صاحبه

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة (٢) جمع غرة وهي يياض في جبهة الفرس (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل يياض في قوائم الفرس (٥) أي البست عذرا جمع عذار وهو ما على خد الفرس من اللجام (٦) أي مسلك خفي يعسر الخروج منه (٧) سرى فيكم (٨) أي معاهده ومحالفه (٩) ملازمه (١٠) انقصال (١١) كل قرابة واتصال (١٢) الناظرين (١٣) مولد الشر بين المتحالفين (١٤) كساه

وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه (١) منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث (١) في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ومنحها من التأيد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهالة

❖ وصف الشعراء المحدثين ❖

قال ابن دُرَيْد سألت أبا حاتم عن أبي نُوَاس فقال ان جَدَّ أحسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يُلقى الكلام على عواهنه لا يبالى من أين أخذه قلت بُشَيْر بن بُرْد قال نظار غواص مطيل مجيد يصف ما لم ير كأنه رآه على أن في شعره خللاً كثيراً . قلت فروان بن أبي حفصة قال شاعر راضٍ عن نفسه يستحسن كلما جاء منه معجب لا يرى ان أحداً يتقدمه كثير الصواب كثير الخطأ ليس لشعره صنعة . قلت فسلم بن الوليد قال خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزند يورى تارة ويصلد أخرى . قلت فأبو العتاهية . قال غناء جَمّ واقْتدار سهل وشعر كخرز الزجاج وربما أشبه الياقوت والبرجد . قلت فعباس بن الأحنف قال يلقي دَلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحياناً والحماة أحياناً على أن كدره أكثر من صفوه . قلت فسلم الخاسر . قال مقلّ مدّاح شعره ديباج وعن بموه الردي حتى يشبه الجيد . قلت فأبو الشَّيْص . قال جدّه كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدره التي نفّضت فقيها المستعذب والمستبشع . قلت فعلى بن جبلة . قال بِحَاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ويجلّ عن منزلة النظراء . قلت

(١) أى من اجبار الفكر (٢) المطر

فأبو تمام . قال سيل كثير الغناء غزير الغمار جمّ النيطاف فاذا صفا فهو السلاف
بلقاء الزلال . قلت فعبد الصمد بن المعتدل . قال خراج ولّاج يعتسف نارة ويهتدى
أخرى . قلت فعلى بن الجهم . قال كلام رصين ومسلك وعرقله أغلب على شعره
من طبعه . قلت فبكر بن النطاح . قال تشبه بالأعراب فأفرط وتجاوز حدّ المولدين
فأسهب فهو الساقط بين القريةين

﴿ ووصف ابن الأثير المتوفى سنة ٧٥٩ هـ أبا تمام والبحتري والمننبي ﴾
قال لقد وقفت من الشعر في كلّ ديوان ومجموع وأنفذت شطراً من المعرفي
المحفوظ منه والمسموع فألفيته بجزراً لا يوقف على ساحله وكيف يحصى قول لم تُخص
أسماء قائله فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثرت فوائده وتتشعب مقاصده ولم
أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم إذ المراد
من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل اللطيف فتى وجدت ذلك
فكل مكان خيّم فهو بابل وقد اكتفيت من هذا شعر أبي تمام والبحتري
والمننبي وهؤلاء الثلاثة هم (لآت الشعر وعزّاه وماناه) الذين ظهرت على أيديهم
حسناته ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء وجمعت
بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء — أما أبو تمام فإنه ربُّ معان وصيقل أذهان
وقد شهد له بكلّ معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الأعراب
الذي برّز فيه على الأضراب ولقد مارست من الشعر كلّ أوّل وأخير ولم أقل
ما أقوله إلاّ بعد التنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره
برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ما قالت حدّام فخذ مني في ذلك
قول حكيم وتعلم (ففوق كل ذي علم عليم) وأما البحتري فإنه أحسن في سبك

اللفظ على المعنى واتقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإيلاق فيينا يكون في شطَف نجد إذ يتشَبَّث بريف العراق - وسئل المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البُحْتَرى ولعمري انه أنصف في حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فإن البُحْتَرى أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بُعد المرام مع قُرْبِهِ إلى الأفهام وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالتوارد العالية ورق في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية وأما المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فتصُرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ولكنه حطى في شعره بالحكم والأمثال واختص بالأيديع في وصف مواقف القتال - وأنا أقول قولاً لست فيه متائماً ولا منه متلماً وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطلها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا والساحين قد تواصلوا فطريقته في ذلك تفضل بسالكة وتقوم بعذر تاركة ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أذاه إليه عيانه ومع هذا فاني رأيت الناس عَادِلين عن سنن التوسط فأما مفرط في وصفه وإما مفرط على أنه كان إذا انفرد بطريق صار أبا عذره - ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة

لا تطلبين كريمةً بعد رؤيته إن الكرام بأسخامهم يداً ختموا

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحيد الصمم

(ووصف المفضل الضبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مرور، ببعض أحياء العرب)

روى المفضل الضبي قال نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغولاً بسماع أخبار العرب وجمعها فأخذت أجول بين خيامهم وأتجسس من أحوالهم وإذا

أنا بامرأة واقفة في فناء خباياها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يسترق السمع ويتشفه القلب فكان أكثر ما أسمعه منها (بُنيّ وأى بُنيّ) وهو يتبسم في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربّات الحجال فلا يحير جواباً ولا يبدى خطاباً فاستحسننت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت فسلمت فردّ عليّ السلام ووقفت أنظر الى المرأة والغلام فقالت لي يا حضري ما حاجتك قلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى فابتسمت وقالت يا هذا إن شئت سُقت اليك ماهو أحسن مما رأيت فقلت هاتي حفظك الله قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربّي بيننا كأنه شبل وكنت أقيه برد الشتاء وحرّ الهجير حتى إذا ماتمت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدّب فحفظه القرآن فتلاه وعلّمه الشعر فرّواه ورغب في مفاخر قومه وطلب ما ثراؤه وأجداده فلما أن اشتدّ عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرّس وتمرّس ولبس السلاح ومشى الخيلاء بين بيوتات الحى وأصغى إلى أصوات ذوى الحاجات فأخذ في قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أحرصه من العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه الى أن نزلنا في بعض الايام منهلاً من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى في طلب ثأرهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق في الحى غيره ونحن آمنون وادعون فوربك ماهو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثواراً لازواراً فما كان إلا هنيئة حتى أحرزوا الأموال وهو يسألنى ما الخبر وأنا أستره عنه اشفاقاً عليه وضناً به حتى اذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الضرغام اذا أغضب فأمر بأسراج فرسه

ولبس درع حربه وأخذ رمح يده وركب حتى لحقُ حِماة القوم وأنا أنظر إليه فطعن
أدناهم منه فرمى به ولحقُ أبعدهم فقتله فانصرف فت إليه وجوه الفرسان فرآه غلاماً
صغيراً لا مدد وراءه فحملوا عليه فأسر عيوماً البيوت حتى إذا خلفهم وراءه وامتدوا
في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثيرهم ومزقهم كل مُمزق
ومرق كما يمرق السهم من الرمية وناداهم خلّوا عن المسال فوالله لارجعت إلّا به
أو لا هلكنّ دونه فتداعت إليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان
وحلوا عليه وقد رفعوا إليه الأسيّة ومالوا عليه بالأعنة فوثب عليهم وهو يزأر
كالأسد وجعل لا يحمل على ناحية الا حطّما ولا كتيبة الا هزمها حتى لم يبق
من القوم الا من نجا به فرسه ففاز بالأموال وأقبلَ بها فكبر القوم عند رؤيته
وفرّحوا فرحاً عظيماً بسلامته فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً وأحسن
رواحاً من ذلك اليوم ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحى هذه الايات

تأملنّ فعلى هل رأيتنّ مثله	إذا حشرجت نفس الكميّ عن الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه	من الخوف مَسلوب العزيمة والقلب
ألم أعطِ كلاً حقّه ونصيبه	من التمهري اللدن والصارم العضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد	سليل المعالي والمكارم والسائب
أبي لي أن أعطى الظلّامة مُرهفٌ	وطرفٌ قوى الظهر والجوف والجنب
وعزمٌ صحيحٌ لو ضربت بحده	شماريح رضوى لانحطّطن الى التّرب
وعِضٌ نقيّ أتقى أن أعيبه	وبيت شريف في ذرى ثعلب الغلب
فان لم أقاتل دُونكُنّ واحتمي	لكنّ وأحميكنّ بالطنن والضرب
وأبدل نفساً دُونكُنّ عزيزةً	على لأطراف القنا وظبي القضب

فلم تصدق الآلئ مَشِين الى أَبِي يُهَيِّنُهُ بالفارس البطل النَّدب
 (وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ)
 أوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) صدقة بلا تعمل
 أصبته على تغير حال وتبلبل بال وزاحم أشغال وعطلة من أعمال فحسبته تسلية
 وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحانه وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات
 ومواضيع متفرقات . وكان يخيّل لى فى كل مقام ان حروباً شبت . وغارات
 سُتت . وان للبلاغة دولة . ولل فصاحة صولة . وان للأوهام عرامة ^(١) وللريب
 دعارة ^(٢) . وان جحافل الخطابة . وكتائب الذرابة . فى عقود النظام وصفوف
 الانتظام . تنافح بالصفيح الأبلج ^(٣) والقويم الأملج ^(٤) وتملج ^(٥) المريج .
 بروائع الحجج . وتفلّ دَعارة الوسوس . وتصيب مقاتل الخوانس ^(٦) فما أنا
 الا والحق منتصر . والباطل منكسر . ومَرَج الشك فى خمود . وهرج الريب فى
 ركود . وان مدبر تلك الدولة . وباسل تلك الصولة . هو حامل لوائها الغالب .
 أمير المؤمنين على بن أبي طالب . بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع
 أحسّ بتغير المشاهد . ونحوّل المعاهد . فتارة كنت أجدى فى عالم يعمره من
 المعانى أرواح عالية . فى حلل من العبارات الزاهية . تطوف على النفوس الزاكية .
 وتدنو من القلوب الصافية . توحى اليها رشادها وتقوم منها منادها . وتنفر بها عن
 مداحض المزال . الى جواد الفضل والسكال . وطوراً كانت تتكشف لى الجمل
 عن وجوه باسرة . وأنياب كاشرة وأرواح فى أشباح التمور . ومخالب النّسور .

(١) العرامة الشراسة (٢) لدعارة سوء الخلق (٣) الصفيح السيف والابلج اللامع
 البياض (٤) الرمل الاملج الأسمر (٥) تملج تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تلك
 من النفس مسالك الخفاء

وقد تَهَفَّزَت للوثاب ثم انقضت للاختلاب . فجلبت القلوب عن هواها . وأخذت
الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء ، وأحياناً كنتُ
أشهد أن عقلاً نورانياً . لا يُشبه خلقاً جسدياً . فصل عن الموكب الآسى .
واتصل بالروح الأنسانى . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الاعلى
ونما به إلى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار جانب التقديس . بعد
استخلاصه من شوائب التليس . وآتات كآنى أسمع خطيب الحكمة . ينادى بأعلياء
الكلمة . وأولياء أمر الأمة . يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارياب .
ويحذّره منزالق الاضطراب . ويرشدهم الى دقائق السياسة ويهديهم طريق الكياسة :
ويرتفع بهم الى منصات الرياسة ويصعدهم شرف التدبير ويُشرف بهم على حسن المصير

﴿ وصف حفلة لمحمد بك المويلحي ﴾

لو كان لليالى لسانٌ ينطق بالفخار وجنانٌ يجرى بنظم الأشعار لا نشدت
كيلة الحفلة (الخديوية) قصيدةً تُسجل لها فى ديوان العصور والدُّهور ما لم تبْلُغه ليلة
قبلها فى تكاملُ الفرح والشُّرور ولو كان الدهر يفصحُ لنا يوماً عن انشراحه
وابتهاجه لا نبأنا بأنه ادّخرها غُرّةً لجبينه ودُرّةً لتاجه لازالت أيام الجناب العالى
ولياليه مُشرقةً بالسعدِ والهناء متألّقةً تالِقَ البدور فى أفق السماء

﴿ ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له ﴾

قال عيسى بن هشام ز ايلنا الأهرام وخليئناها تَنْدُبُ مَنْ شادها وتَنْعِي
مَنْ بَنَاهَا وِملنا إلى دار التحفِ ومُسْتَوْدَعِ الآثار لمشاهدة ما حفظته لنا من
صنوف الطرَفِ وعبونِ الأخبار وما أخرَجَتْهُ الأيام من عالم الخفاء الى عالم الظُّهور
بعد أن كان سرّاً مكتوماً فى خواطر العصور والدُّهور وما صانتهُ بطون القبور من

الفناء والذئور وَحَمَتُهُ أَحْشَاءُ الرُّمُوسِ مِنَ الْعَفَاءِ وَالذُّرُوسِ وَمَا أُخْبِتُهُ أَرْحَامُ الْمَعَابِدِ
والهيا كل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل وما انكشفت عنه سُجُوفُ الْأَحْقَابِ
ودِيعَةُ الْأَسْلَافِ لِلْأَعْقَابِ مِنْ مَكْنُونِ الدَّقَائِنِ وَمَكْنُوزِ الْخَزَائِنِ وَعَجَائِبِ الْفَنِّ
الدَّقِيقِ وَبِدَائِعِ الْبَدْعِ الْأَنِيقِ وَغَرَائِبِ الصَّنْعِ الْعَتِيقِ بَلِمَتٍ فِي أَصْطَحَاحِهَا بِطُونُ
الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَأَنْحَنَتْ فِي أَحْتَضَانِهَا ظُهُورُ الْعُصُورِ الْخَوَالِي وَأَنْقَلَبَتِ الْبِحَارُ وَهَادَأَ
وَأَصْبَحَتِ الْوَهَادُ أَطْوَاداً وَغَدَتِ الْأَغْوَارُ أَتْجَاداً وَأَضْحَى الْعِمَارُ خَرَاباً وَالْخَرَابُ
عِمَاراً وَالنَّيَّارُ سَرَاباً وَالسَّرَابُ غِمَاراً وَتَمَدَّيْنَتْ بَوَادٍ وَتَبَدَّدَتْ مَدَائِنُ وَبَادَتْ
مَوَاطِنُ وَقَامَتِ مَوَاطِنُ وَمَضَتْ دُولٌ بَعْدَ دُولٍ وَذَهَبَتْ أَوَّلٌ أَثَرُهَا أَوَّلُ
وَبَدَتْ أَحْوَالٌ وَحَالَاتُ وَظَهَرَتْ أَعْمَالٌ وَزَالَتْ وَهِيَ كَمَا تَرَكَهَا أَهْلُهَا مَصُونٌ
وَضَعُهَا مُحْفُوظٌ شَكْلُهَا خَيْرٌ صَادِقٌ وَلِسَانٌ نَاطِقٌ يُخْبِرُ بِالْعَبْرِ وَتُحَدِّثُ عَنْ غَيْرِ
مَضَتْ غَبَرَاتُ الْعَيْشِ وَهِيَ غَوَابِرُ عَلَى الدَّهْرِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا حَبَائِصُ

﴿ وصف القونفراف للرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ ﴾

مِثَالُ الْقُوَّةِ النَّاطِقَةِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ سَابِقَةٍ يَقْتَضِيهِ الْأَلْفَاظُ اقْتِطَافًا وَيَخْتَلِفُ
الصَّوْتُ اخْتِطَافًا مَطْبَعَةً الْأَصْوَاتِ وَرِمَاةَ الْكَلِمَاتِ يَنْقَلُ الْكَلَامُ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى
نَاحِيَةٍ نَقْلُ كَلَامِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سَارِيَةٍ ^(١) أَشَدُّ مِنَ الصَّدَى فِي فَعْلِهِ فِي
إِعَادَةِ الصَّوْتِ عَلَى أَصْلِهِ كَأَنَّهُ الْحُرُوفُ عَنْ يَدِ الطَّائِعِ وَالْوَتَرُ عَنْ يَدِ الضَّارِبِ
وَالْقَصَبُ عَنْ فَمِ الْقَاصِبِ يَحْفَظُ الْكَلَامَ وَلَا يُبِيدُهُ وَتَمَّتْ اسْتَعْدَتُهُ مِنْهُ يُعِيدُهُ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يُبْقَى لَفْظًا فِي صَدْرِهِ أَوْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ كَأَنَّمَا حَفِظَ الْوَدِيعَةَ فِي
نَفْسِهِ طَبِيعَةً فَلَوْ تَقَدَّمَ لَهُ الْوُجُودُ فِي مَرْتَبَةِ الزَّمَنِ لَمَّا احْتَجَجْنَا فِي الْأَخْبَارِ إِلَى

(١) ابن زنيم الذي ناداه عمر رضي الله عنه على المنبر

عنقته^(١) ولا في اللعاوى إلى بيته بل كان يُسمِعنا كلامَ السيد المسيح في المهد وصوت عاذر^(٢) من اللحد وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم وأنشدوه كلماتهم فرأينا به غرائب اليونان وبدائع الرُّومان وربما سمعنا خُطْبَ سَحْبَانٍ وشعر سيدنا حسان بذلك اللسان وأصبح وجوده إلا إنسان غير محدود بزمن من الزمان: لله دَرُّه من تلميذ يستوعب ما عند المعلم ويستخلصه في لحظة معيдаً لقوله ناقلًا لصوته ولفظه

لقد وجدتُ مكانَ القولِ ذا سعةٍ فإن وجدتُ لساناً قائلًا فقل
نديم ليس فيه هفوةٌ النديم وسمير لا يُنسبُ إليه تقصيرٌ تُسكتُهُ وتستعيده
وتدِّمه وتستعجده وتنقصه وتستزيده وهو في كل هذه الأحوال راض بما يقال
لا يَكلُّ من تحديث ولا يَمَلُّ من حديث تمام كما ينمُّ عليك وينقلُ غيرك كما
ينقلُ اليك فهو المصورُ لكلِّ فنِّ المتكلمُ بكلِّ لغة المحدث عن كلِّ إنسان
المؤرخ لكلِّ زمان الشاعر النَّاتِرُ المغنى العازف لا تُعجزُه العبارة ولا يُجهدُه الأداء
ولا يضرُّه اختلافُ شكلٍ ولا تباينُ أصل بل تعدَّتْ شدةَ حفظه البشرية من
اللغات إلى حفظ أصوات المعجاوات إلى حركة اصطيكاك الجمادات

﴿ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها﴾

ورد الكتابُ المطرَّزُ بحلى السكِّرم المحلَّى بجميل النعم واستلمت الهدية
فسلَّمت يدُ أهدتها وحفظتُ السجايَا التي لمحاسن الأعمال هَدَتْها ودامت رِحابُ
لمثل هذه الحسنات فيها مجال وللمحسنات بهاء وجمال واللامال مُحط رحال وللمقاصيد
كعبة إقبال وطابت نفسُ تعالى الله أن تماثلها نفس عِصام فانها نسخت اية السكِّر

(١) مراده الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تروى عن فلان عن فلان (٢) هو الذي احياء عيسى عليه السلام

والإقدام بآية الجود والإكرام وفعلت في القلوب بالعطاء والتوال ما قصرت
عنه الرماح الطوال وتأملتها فأرتى مالا عين رأت وأظهرت من محاسن المناظر ما
أعمرت وقربت كل منظور بعيد وتلت (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد) وصفاً وقتي بصفاتها فلم أشته شيئاً إلا جمعت بينه وبينى وصح علينا قول
القائل (رأيت بعينها ورأت بعيني) ثم سرحت نظري في الأطلال والزسوم حتى
نظرت نظرة في النجوم فلم تخف عني شجراً ولا مدرأً ولا نجماً ولا قرأً
يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظراً

بهاء يُخَيِّلُ لي أنها صيغت من ضياء فلا عيب فيها غير أنني نظرت بها في سماء
فضلك الباهر وأفق شرفك الطاهر فلم ينكشف لي بها لجودك آخر: لا زال كرمك
بعيداً حده على كل ناظر وباصر وفضل مناهلك غاية تقصدها الاوائل والأواخر

﴿ وصف سان استقانو باسكندرية ﴾

كتابي والقلم في البنان يُسطر ما يُمليه الجنان عن محاسن ذلك المكان المشهور
(سان استقان) هناك ترى البحر كالمرآة تمثلت فيها السماء فكأنما الماء السماء والسماء ماء
وتخال الشاطئ مرثماً للظبيات الآنسات أو سوق جمال تُباع فيه القلوب على الغانيات
هناك الشيبية واللعب والزهو والطرب وقد اعتل الصبأ وصح الصبأ: حور
وولدان يمرحون بنشاط الشباب ويتهادون بنشوة الدلال والإعجاب فمن «غادات»
روائح غادات قدود هن الرماح الطاعنات ولحاظهن القاتلات المعنويات ومن
« ولدان » يلعبون بالكرة والصولجان فالكرة قلب الحب المتيّم والصولجان
الذي يدفعها شوق العاشق المغرم هناك نغمات الأوتار تدعو الى اغتنام الاوطار
تهدى الارتياح الى الأرواح وتبديل الأفراح من الأتراح

هناك السكّو ومن على قُطْب الخلاعة تدور فهي برشقاتها الثُغور وبنورها
البدور تشرق من الحنان وتغرب في أفواه النُذمان فيعلو الوجوه الشفق فتبارك
المبدع فيما خلق

هناك فريق من أهل الهوى حلفاء الأسي والحوى يَحْتَمِلُونَ النظرات وتحتها
سهام صائبات تقصد قلوبهم ولا راحم لهم يُنادون مَنْ يُحِبُّون فلا يُجابون
ويتذللون لعرّ الجال على أنهم لا يُجابون يتمنون الرضا بعد الهجّ وحلّو القابعد
الصبر وفريق آخر قد وافهم السعد فنالوا الأمان تعلو وجوههم نضرة النعيم بما
نالوه من إشارة أو تسليم يتبادلون التحيات بالحواجب ويشفقون على القلوب
فيضعون الأيدي فوق الترائب حتى إذا الليل سَجَا وسترهم رداءه من الدُجى
يتلاقون إلى جانب اليمّ ويتهامسون والفم قريب من الفم تراهم على الأرائك
جنباً بجنب وعُنقاً على كتف مُبتعدين عن العيون هنا وهناك قد بلغوا الآراب
والمنى يجتنبون الثمر من السمّ ويلثمون الرّاح بالراح ولا يزالون في مسرة وهناك
وأنس وصفاء حتى يُنادى منادى الموائد بحى على شهيّ الطعم وهلموا إلى رائق
المدام فيجلسون مثنى وثلاث ورباع محفوفين بيانع الأزهار مستضيئين بأزهى
الأنوار والعلماء عن يمينهم وشمالهم قائمون بحوائجهم وهم في لباسهم كأقمار وفي
خفتهم كليلج الأبصار فيأكلون ويشربون ويضحكون ويلعبون بين نعمة
بالحديث الرّخيم ونشوة المدام القديم حتى إذا أخذت كل حاسة حظها وتجلجلجت
الأسنة فلا تفهم لفظها هناك كسرب الطّيار رايح وغاد هذه ماثلة وهذا مُتهاد
إلى أن يتمشى النوم في الجفون فتدبل العيون فينصرفون إلى المنام ويحلون
بلذيد الأحلام بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة

﴿وصف الشمس﴾

الشمس كوكبٌ مضيءٌ بذاته . وهي أعظم الكواكب المرئية لنا منظرًا
وأسطعها ضوءًا ، وأغزرها حرارةً ، وأجزأها نفعًا للأرض التي نسكنها ولكثير
من أخواتها سيارات الشمس وبناتها

والشمس كرةٌ متأججةٌ نارا ، حرارتها أشدُّ من حرارةِ أى ساعور ^(١)
أرضي . ويباغ ثقلها ثلثمائةَ وزنٍ من ثقلِ الأرض ، وهي أكبرُ منها جرمًا
بثلثمائةِ ألفٍ وألفِ مرةٍ .

وتدورُ الشمسُ على محورِها من الغربِ الى الشرقِ مرةً واحدةً في نحو
خمسَ وعشرين يومًا . وتبعدُ عنا بنحو اثنين وتسعين ألفَ ألفِ ميلٍ وخمسمائةِ
ألفِ ميل . وهي مع كلِّ هذا العِظَمِ الهائلِ لا تُعدُّ في النجومِ الكبرى ، بل
إن أ كثرَ ما نُشاهدُ من النجومِ الثابتةِ شمسٌ أكبرُ من الشمسِ بألوف
الالوف ، والشمسُ بسيارتها تابعٌ من توابعِ أحدها

وسطحُ الشمسِ مهبٌّ عواصفٌ وزوابعٌ نيرانيةٌ شديدةٌ تُثيرُ في جوِّها
اشوطةً ^(٢) هائلةً ، تندلعُ ^(٣) ألسنتها المتأججة عن محيطِ كرتها أميالاً . وقد
وصفَ بعضُ العلماءِ لها ارتفاعُ من سطحها لأوَّلِ وهلةٍ نحوَ أربعين ألفَ ميلٍ
في الفضاءِ ، ثم ازدادَ بريقًا وتألقًا ^(٤) ، ثم ارتفعَ بعدَ نصفِ ساعةٍ الى خمسين
وثلاثمائةِ ألفِ ميلٍ ، ثم جدلَ يضوُّلٌ ويضعفُ ، فلم تمضِ ساعتانِ حتى أضمحلَّ
أضمحلالاتٍ . غيرَ أن ما وصفه هذا العالم ليس إلا من قبيل النواذر ، ولكنَّ ارتفاعَ

(١) الساعور النار نفسها أو موقدها (٢) الشواظ اللهب (٣) اندلع اللسان خرج منه
اللحم (٤) تلالوأت

أَلَّهَبَ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ مِيلٍ لَيْسَ بِغَيْرِ الْعَادِيِّ . وَكَثِيرًا مَا تَبْلُغُ سُرْعَةُ اللَّهَبِ مِائَةَ مِيلٍ فِي الثَّانِيَةِ . وَكَثُرُ مَادَّةِ الشَّمْسِ مِنْ عُنْصُرِ الْمُحْدَى (الْإِيدْرِجِين) الْمُنْقَذِ وَبَرُصْدِ الشَّمْسِ مَرَرًا بِالْمَرْقَبِ الْمُغَشَّى بِالسَّوَادِ شَوْهَدًا فِي صَفْحَةِ قُرْصِهَا نُسَكْتُ سُودٌ وَكَافُ يَشْوَهُ مُحْيَاها، كَأَنَّمَا هِيَ كُرَةٌ سُودَاءُ الْبَاطِنِ غُلِقَتْ بِسَطِيحِ سَاطِعٍ مِنَ الصَّمَادَاتِ يَتَخَلَّلُهُ تَقَبُّ يُظْهَرُ تَحْتَهَا السَّوَادُ . وَلَا تَزَالُ حَقِيقَةُ هَذِهِ الْبُقْعِ مَوْضُوعَ الْبَحْثِ وَالتَّعْلِيلِ عِنْدَ الْفَلَكَيِّينَ . وَمِنْ تَنْقَلٍ هَذِهِ النُّسَكَةُ عُرِفَتْ دَوْرَتُهَا عَلَى مَحْوَرِهَا وَلِلشَّمْسِ سَيَارَاتٌ أَوْ أَبْنَاءُ انْفِصَاطٍ مِنْهَا مِنْذُ أَزْمَانٍ سَحِيقَةٍ ، عَلِيمٌ مِنْهَا إِلَى الْآنَ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ ، هِيَ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَقْرَبِ مِنْهَا فَلَا قَرَبَ : عَطَّارْدُ فَالْزُّهْرَةِ فَلَا أَرْضُ فَالْمَرِّيخُ فَالْمُسْتَهْرِي فَزُحَلُ فَارَانُوسُ فَنَبْتُونُ . وَلَمْ تَعْلَمْ كُلُّ شُؤْنٍ هَذِهِ السَّيَارَاتِ حَقَّ الْعِلْمِ . وَإِنَّمَا أَلَمَّ الْعُلَمَاءُ بِمَعْرِفَةِ مَوَادِّهَا وَكَثَافَتِهَا وَأَبْعَادِهَا ، وَلَكِنْ أَمْرُ الْحَيَاةِ فِيهَا لَمْ يَزَلْ مُبْهِمًا مُسْتَعْلِقًا اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْأَرْضِ وَقَمَرِهَا

أَمَّا مَقْدَارُ النِّعَمِ الَّتِي سَخَّرَهَا اللَّهُ لَنَا بِوُجُودِ الشَّمْسِ فِيمَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ ، فَهِيَ مَبْعَثُ حَيَاتِنَا وَحَيَاةِ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَعِيشُ مَعَنَا ، وَمَصْدَرُ نُورِنَا وَنَارِنَا وَحَرَّتِنَا وَبَرْدِنَا . وَهِيَ الَّتِي تُحْمِلُ مِيَاهَ الْبَحَارِ بُخَارًا ، وَتُقَلِّهَا فِي الْجَوِّ غُيُومًا ، وَتُنْزِلُهَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْطَارًا ، حَيْثُ تَجْرِي جُدَاوِلُ وَأَنْهَارًا ، فَتَرْوِي زَرْعَنَا ، وَتُسْقِي غُرَاسَنَا ، وَتُثِيرُ الرِّيحَ ، وَتُطْلِعُ الْأَنْوَاءَ ، وَتُرْجِي ^(١) الشُّفْنَ وَالْبَوَاخِرَ فِي عُبَابِ الْمَاءِ ، وَتَدْفَعُ الْقَطْرَاتِ الْحَدِيدِيَّةَ ، وَتُذِيرُ الْأَلَاتِ الْبَخَارِيَّةَ ، وَتُنِيرُ الْمَصَابِيحَ الدُّخَانِيَّةَ وَالزَّيْتِيَّةَ ، إِذْ لَيْسَ الْفَجْمُ الْحَجَرِيُّ وَالزَّيْتُ الْأَرْضِيُّ إِلَّا حَرَارَةُ نَارِهَا الْمُدْخَرَةِ مِنْذُ قَدِيمِ الدَّهْوَرِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا أَحْيَاءُ هَذِهِ الْعُصُورِ ، وَمَا النَّهَارُ الْمُبْصِرُ ، وَاللَّيْلُ

المُظْلِمُ ، الا آيتان من آيات الله المُسَخَّرَة لنا بتسخير هذا المخلوق العجيب :
 ففي النهار نَسَى في مَنَاقِب الأرض لَا بَتَغَاء رِزْقنا ، وتَدْبِيرِ مَعَايِشنا ، وتنْظِيمِ
 شُؤُونِ حَيَاتِنَا ، ونُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّنا ، ونَعْتَبِرُ بِآثَارِ مَنْ سَبَقْنَا ، وفي الليل نَسْكُنُ
 لِرَاحَةِ أَعْدَانِنَا ، وَاسْتِجْمَامِ^(١) قُوَانَا ، وَاسْتِيفَاءِ حَظَّنَا مِنَ النُّومِ الَّذِي بِهِ
 نَسْتَدِيمُ صِحَّتِنَا ، وَنَسْتَعِيزُ مَا فَقَدْنَاهُ بِأَعْمَالِنَا ، وَنَنْظُرُ فِي مَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ
 وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ وَاتِّقَالِهَا ، وَبَدِيعِ صُورِهَا
 وَالْوَانِهَا ، فَتَعْنُو وَجُوهُنَا ، وَتَتَضَاعَلُ كِبَرِيَاؤُنَا ، أَمَامَ قُدْرَةِ خَالِقِنَا الْعَظِيمِ ،
 فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ حَكِيمٍ

وما الألوان التي نراها في نور الأزهار وریش الأطيّار ونفائس المصنوعات
 إلّا أثر وقوع أضوائها على هذه المرئيات وانعكاسها^(٢) على أبصارنا ، فإن نور
 الشمس الأبيض مؤلّف من سبعة ألوانٍ أصلية^(٣) تنشأ منها كلُّ الألوان
 الفرعية ، وهي الأحمر ، والبُرْتَقَالِي ، والأصفر ، والأزرق ، والأخضر ،
 والبَنَفَسَجِي ، والبَنَفَسَجِي . فن الأجسام مالا يمتص شيئاً من هذه الألوان ،
 بل يعكسها كلّها على العين ، فيبدو أبيض ناصعاً كزهرة الياسمين ، ومنها
 ما يمتص بعضها ويعكس باقيها ، فيتلوّن بلون ما يعكس منها ، فإذا أبصرت
 ورقة الشجر خضراء عرفت أنها اختزنّت من ضوء الشمس ستة ألوان ، وردّت
 إلى عينيك سابعها ، وهو الأخضر لأن فيما أدخرتُه نفعاً لها ، وليس بها إلى ما
 لفظته آفتقار ، ومنها ما يردُّ لونين أو أكثر ، فيبدو لونه مزيجاً بين هذه الألوان
 السبعة . وهذه الألوان من عجائب صنع الله في الأرض لتمييز بعضها من بعض

(١) استجماع (٢) انعكس مطاوع عكس كما في الأساس (٣) امكن ارجاع هذه الألوان إلى الصناعة إلى ثلاثة

فقد يتماثل الشيطان شكلاً ، وحجماً ، وصلابةً ، وليناً ، وشماً ثم لا يتباينان إلا من حيث اللون ، فيكون اللونُ آيةً تباينهما ، وأكثرُ ما يكون ذلك في الأزهار وتنوعُ الألوان هو السرُّ في جمالِ المرئياتِ من مشاهدِ الطبيعة وبدائعِ الصناعة ، وإن أعظمَ المصورينَ وأمرَ النقاشينَ لم يُبرزوا على غيرهم ، ويدُلُّوا على ذكائهم ونُبوغهم إلا ببراعتهم في محاكاةِ ألوانِ الطبيعة الموثقة وأشكالها المتجانسة . وإنما يتمُّ لهم ذلك إذا عرفوا كيفَ يمزجونَ من الأصباغِ ما يستخدِمون به ألوانَ النورِ خيرَ استخدامٍ ، وينتفعون به أحسنَ انتفاعٍ . وقد سخرَ علماء الطبِّ تباينَ الألوانِ في كشفِ النقابِ عن حقائقِ الجرائمِ ، فإنَّ منها ما لا يتضحُ للعينِ في المجهرِ إلا إذا القى عليه صبغٌ خاصٌ يُؤثِّرُ فيه لونه فيُصبِغُ به ولا مَواجِ الشمسِ الضوئيةُ سرعةً معلومةً تسيرُ بها ، فإذا انخفضت هذه السرعةُ عما هي عليه لم تعدِ العينُ قادرةً على رؤيتها ، لأنها تستحيلُ إلى مظهرٍ آخرَ غيرِ مظهرِ الضوءِ والحرارةِ ، وليس يُنكرُ ما للضوءِ والحرارةِ معاً من الأثرِ الحسنِ في تنقيةِ المساكنِ مما يقطنها من الجرائمِ القتالةِ والعفنِ المُنْثني . ولذلك قيلَ : إن الدارَ التي تدخلها أشعةُ الشمسِ لا يدخلها الطيبُ

﴿ وصف القمر ﴾

القمرُ أجملُ الكواكبِ صورةً وأينها منظرًا وأسهلها رصداً ، وأكبرها في رأيِ العينِ بُعدَ الشمسِ جرماً وهو سيَّارٌ كُرى أصغرُ من الأرضِ بنحو تسعِ وأربعينَ مرةً . انفصلَ منها زمنَ التكوينِ ، وصارَ تابعاً لها ، طائفاً حولها ، مستمداً نورهَ من الشمسِ مثلاً ، دائراً حولَ الشمسِ معها ، غيرَ أنَّ طوافَ الأرضِ بقمرها

حوالها يتم في سنة شمسية وظواف القمر حول الأرض يتم في شهر قمرى :
أى مدة تسع وعشرين يوماً ونصف يوم تقريباً . ومع أنه خاضع لنظام الأرض
لا يقل بعده عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتى ألف ميل

والذى يسترعى أنظارنا كما استرعى أنظار مَنْ قبلنا اختلاف أشكاله
وتعدد مطالعه . مما جعله مبعث تخيل القدماء ومثار تفكير الحكماء ومقصد
لعبادة الجهلاء ! فتراه يلوح ليلة أول الشهر إثر غروب الشمس ضئيلاً مُقَوَّماً
لا يلبث أن يغرب ويعقب في شفق الشمس ، ثم يهل في الليلة الثالثة أبين
صورة وأبقى زمناً لآزدياد تأخره في الغروب عن الشمس ، ولا يزال نوره في
تزايد ومطالعه في تقدم نحو المشرق ، حتى يطلع من المشرق في الليلة الرابعة
عشرة عند غروب الشمس بدرأ كاملاً بهيئة الطلعة باهر الأنوار ، فتبارك
الله أحسن الخالقين

ولكن الكمال لله وحده ، فإن منتهى الزيادة مُبتدأ النقص ، ففي الليلة
الخامسة عشرة يتأخر طلوعه من المشرق ، وينقص من حافة نوره الى كانت
موضع هلاله الأول زيق لا يشعر به إلا في الليالي التالية ، ولا تزال مطالعه
في تقهقر ونوره في تناقص حتى قرب آخر الشهر ، فيشرق قبيل الفجر هلالاً
ضئيلاً يكاد يكون مقلوب الهلال الأول ، وفي الليلة الأخيرة يكون عند الصبح
في الأفق الشرقى مظليماً لا يرى منه شيء ، وهي ليلة المحاق أو السرار . ويظل
بعض النهار كذلك ، ثم يتولد هلاله الجديد ، ولكنه لا يظهر إلا بعد أن
يعقب قرص الشمس ، فيلوح هلاله ثم يختفى كما قدمنا

وعلة ذلك أن نور القمر كنور الأرض مُستفاد من الشمس . وهو لا يقابل

الأرض إلا بوجه واحد لا يتغير . وهذا الوجه بالنسبة إلى حركته مع الأرض حول الشمس لا يُقابلُ الشمسَ مُقابلةً تامةً إلا في وضع واحد ومرة واحدة هي الليلةُ الرابعة عشرة ، فيغشاه نورُها ، ويصيرُ بدرًا . أما بقيةُ الليالي التي قبلها والتي بعدها فينحرفُ قليلًا أو كثيرًا عنها ، حتى يصيرُ كله ظلامًا ليلةَ المُحاق ، فيطوى خبره ، ويكونُ الوجهُ الآخر الذي لا يرى لنا بدرًا كاملاً . ثم يتولدُ هلالُه خلقًا جديدًا

وكذلك شأنُ الأرض في استمدادِ نورها أو ما نسميه نهاراً ، فلو كان في القمرُ سكانٌ لكانت في رأي أعينهم أكبرُ كوكبٍ في السماء ، ولشاهدوها أكبر من الجرم الذي نشاهدُ القمرَ عليه أضعافاً مضاعفةً ، ولكانت عندهم أروعَ جمالاً وأبدعَ من قرمٍ في نظرنا تشكلاً ، فبدورانها على نفسها يرونها كلها جزءاً فجزءاً ، وتظهرُ قاراتها ومحيطاتها واضحةً عليها في وقت الصبحِ ومُظلاًلاً بعضها بالغمام في وقت الدجى ، وتبدو أهلُها وبدورها ضخمةً باهرةً ولكن لا يراها إلا سُكانُ النصفِ المُقابلِ لنا أو الذين يُريدون التفرُّجَ يرونها من أهل النصف الثاني

ولقرب القمر منا وُخلو جَوْه من الهواء سهلَ رصدُه علينا ، فنرى في صفحته عند الشروق ليلةَ التمامِ كثيراً من المَحْوِ ^(١) يجعل صورته أشبه بوجه إنسان ذى أنفٍ وفمٍ وحاجبين وعينين إحداهما مُغضية . ولا يزال كذلك ، حتى يتمدَّى خط زوالِ مكانِ الناظر . فإذا مال إلى المغرب انحرفت هذه الصورة حتى يصيرَ عاليها سافلها . وليس هذا المَحْوُ إلا ظلامٌ بطون الأودية والسهول

(١) المحو : السواد في القمر

البعيدة الغور وظلال الجبال والهضاب الشاهقة الطول شوقاً يكاد يمنع استدارته
أما قمم الجبال وسطوحها المقابلة للشمس فترى لامعة ساطعة فتبين سلاسل
الجبال طرائق مضيئة وقممها نقطاً لامعة وفوهات جبال ناره الشديدة السعة
البعيدة الغور التي تعد بعشرات الألوف كأنها حلقات وسطها نقط سود

وقد ظن القدماء في علة المحو ظنوناً بعضها صادف الحقيقة وبعضها جانبها
حتى ظهر غاليليو، وأخترع سنة ١٦٠٦ م مرقباً يقرب الأشباح ثلاثين مسافة
فأثبت وجود الجبال والأودية فيه . وزاد عليه غيره في تحسين المراقب
المكبرة حتى أصبح القمر يرى كأنه على بُعد أربعين ميلاً منا . على أن هذا
القرب لا يجعلنا نرى الأشباح الصغيرة التي من نوع الحيوان انتجق القمر
سكان كما للأرض أولاً، ولكن قد أصبح من المرجح إن لم يكن من المحقق
أنه خال من الماء ومن السحاب والضباب الناشئين منه ومن النبات ، إذ لو كان
به شيء منها لتغير شكله من حال إلى حال . ويشك أن له هواء ، وإن كان له
هواء فلعله لا يزيد على قمم جباله . ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوعا الحياة
وتجرده منهما ، وخود جبال ناره وييس جرمه يجعل برده شديداً جداً في الليل
وحاره عظيماً جداً في النهار ، على فرط طولها البالغ فيه خمسة عشر يوماً : مما
يجعل الحياة فيه متعسرة بل مستحيلة ، اللهم إلا أن تكون حياة غير حياتنا

ويرجعون أن القمر كان في أزمان سحيقة على طبيعة تقرب من طبيعة
أمة الأرض ، فكان أهلاً بالحيوان والنبات ، إلا أن صغر جسمه جعله يسبق
الأرض في اليأس والبرودة ، فتقبض وبرد وأنهت دنياءه ، وأصبح كاسقنجة

مُشَقَّة ذاتِ شُعَبٍ وَنَخَارِيبٍ^(١) تَكُونُهَا مِنْ جِنْسٍ تَكُونُ الْأَرْضُ
وَلَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْقَمَرَ مُسَخَّرًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ خَاصَّةً ، فَهُوَ بَعْكَسُهُ نُورُ الشَّمْسِ
عَلَيْهِمْ هِدَايَةٌ لَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَلَقَدْ قَضَى الْإِنْسَانُ عُصُورًا
وَدُهُورًا وَلَيْسَ لَهُ مِصْبَاحٌ فِي جُجْنِ الظَّلَامِ غَيْرُهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ لِأَهْلِ
الْبَدْوِ وَقِبَائِلِ الْهَمَجِ . وَهُوَ بِأَخْتِلَافِ أَشْكَالِهِ تَقْوِيمٌ فِطْرِيٌّ لَهُمْ ، فَبِإِهْلَالِهِ
يُعْرَفُ أَوَّلُ الشَّهْرِ ، وَبِالتَّرْيِيعِ الْأَوَّلُ يُعْرَفُ رُبْعُهُ ، وَبِإِدْرَاهِ^(٢) يُعْرَفُ
نِصْفُهُ ، وَبِالتَّرْيِيعِ الْآخِرِ يُعْرَفُ ثَلَاثُهُ أَرْبَاعُهُ ، وَبِإِيجَاقِهِ تُعْرَفُ نِهَايَتُهُ
وَإِذَا مَرَنَ الْإِنْسَانُ عَلَى النَّظَرِ فِي تَقْدِيرِ ضَوْئِهِ وَأَوْقَاتِ مَطَالِعِهِ عَرَفَ الشَّهْرَ
يَوْمًا يَوْمًا وَاللَّيْلَ سَاعَةً سَاعَةً . قَالَ تَعَالَى « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ
مُؤَاقِبَتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجَجُ »

وَبِاتِّحَادِ جُذْبِهِ مَعَ جُذْبِ الشَّمْسِ لِلْأَرْضِ يَنْشَأُ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ ، وَقَائِدُهُمَا
فِي تَسْهِيلِ الْمَلَاخَةِ لَا تُنْكَرُ ، فَكَمْ مِنْ مَوَانِيءَ وَمَرَاقِيءَ لَوْلَاهُمَا كَسَدَتْ بِرَوَاسِيهِ
الْأَنْهَارِ وَالسِّيُولِ
وَلِضَوْءِ الْقَمَرِ فِي إِنْضَاجِ الثَّمَارِ وَالْبَقُولِ أَثَرٌ أَيْمًا أَثَرٌ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهَا لَا يَنْمُو
وَيَزْهَوُ لَوْنُهُ إِلَّا فِي لَيَالِيهِ الْبَيْضِ

❦ الفن الخامس في المقامات ❦

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف أنيقة التصنيف تتضمن نكتة أدبية
ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تُسند إلى بعض الرواة ووقائع شتى تُعزى إلى

(١) جمع مخروب وهي الثقب التي تكون في مثل بيوت الزناير والنحل
(٢) مصدر بدر البدر بيدر بدرا . وبالمصدر سى هذا الكوكب عند تمام نوره كآلة يادر
للشس بالشروق في ليلة التمام عند غروبها

أحد الأدباء والمقصود منها غالباً جمع دُرَر الألفاظ وغُرر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة والرقائق الأدبية كالرّسائل المُبتكَرة والخطب المحبّرة والمواعظ المُبكية والأضاحيك المُلهية^(١) ولنذكر لك مُنتخبات من مقامات مختلفة فنقول

(قال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ المقامة التاسعة الاسكندرانية^(٢))

أخبر الحارث بن همام قال طحاني^(٣) مَرَحُ^(٤) الشَّباب وهوى الاكِتساب^(٥) الى أن جُبْتُ^(٦) ما بين فرغانة^(٧) وغانه^(٨) أخوضُ الغمار^(٩) لأجنى الثَّمار وأقْتَحِمُ الأخطار^(١٠) لكي أدركَ الأوطار^(١١) وكنتُ لَقَفْتُ من أفواه العلماء وثَقِفْتُ^(١٢) من وصايا الحُكماء أنه يلزمُ الأديبَ الأريبُ^(١٣) اذا دخل البلد الغريب أن يَسْتَمِيلَ قاضيةً^(١٤) وَيَسْتَخْلَصَ مَراضيه^(١٥) ليشدَّ ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جُورَ الحُكَّام فاتخذتُ هذا الأدب^(١٦) إماماً^(١٧) وجعلته لمصالحى زماماً فما دخلتُ مدينة ولا وُلِجتُ^(١٨) عريضةً^(١٩) إلا وامتزجتُ بها كما آمتزاج الماء بالزَّاح وتقويتُ بعنائه تقوى الأجسادِ بالأرواح فينما أنا عند حاكم

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالسكان الذي تجري فيه فيقال المقامة الحليية او الموصلية بناء على ان محل وقوعها حلب او الموصل وربما نسبت الى المروى عنه ويستحب في راوى المقامة ان يمثل رجلاً ظريف النفس كثير الاسفار حسن الروية متفرغاً لفنون الادب جاداً في طلب غمره كاداً ذهنه في تحصيل درره كالخارس بن مام في المقامات الحريرية وعيسى بن هشام في المقامات البديعية ومخترع هذه الفن هو بديع الزمان الهمداني وبعمده الحريري واشتهر بهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يلفوا شأوما (٢) تقدم تاريخه (٣) ذهب بي (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) اي محبة اكتساب المال (٦) قطعت (٧) بلد بأقصى بلاد المشرق (٨) بلد بأقصى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) اي ادخل في القصة بالضم وهي الشدة والاطار الامور العظيمة (١١) الحاجات (١٢) ادركت (١٣) العاقل (١٤) يرغبه ويترضاه ويطلب ميله اليه (١٥) يطلب خالص رضاه (١٦) اي هذا الامر الظريف المستحسن (١٧) قدوة اي عمل بمقتضاه (١٨) دخلت (١٩) مأوى الاسد

الاسكندرية في عشية عتبة^(١) وقد أحضر مال الصدقات ليفضة^(٢) على ذوي
الفاقات^(٣) إذ دخل شيخ عفرية^(٤) تغتله^(٥) امرأة مصبية^(٦) فقالت آيد^(٧)
الله القاضى وأدام به التراضى^(٨) إني امرأة من أكرم جرثومة^(٩) وأطهر أرومة^(١٠)
وأشرف خؤولة وعمومة ميسى^(١١) الصون^(١٢) وشيمتى^(١٣) الهون^(١٤) وخلقى
نعم العون^(١٥) وبينى وبين جارتي بون^(١٦) وكان أبى اذا خطبنى بُناة^(١٧)
المجد وأزباب الجلد سكتهم^(١٨) وبكتهم^(١٩) وعاف وصلتهم^(٢٠) وصلتهم^(٢١)
واحترج بأنه عاهد الله تعالى بحيلة أن لا يصاهر^(٢٢) غير ذى حرفة^(٢٣) فقمض
القدر^(٢٤) لنصبي ووصبي^(٢٥) أن حضر هذا المأذنة^(٢٦) نادى أبى^(٢٧) فأقسم
بين رهطه^(٢٨) إنه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة فباعها بيدرة^(٢٩)
فاعتز أبى بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجنى من كناسى^(٣٠)
ورحلتى عن أناسى ونقلنى الى كسره^(٣١) وحصلتلى تحت أسرته وجدته قعدة
جشمة^(٣٢) وألفيته ضجة نومة^(٣٣) وكنت صحبته برياش^(٣٤) وزى^(٣٥)

(١) أى شديدة البرد أو ذات ريح بارد (٢) يفرقه (٣) أى الفقراء المحتاجين (٤) أى
خيث شديد الدهاء (٥) تجربة بمنف وجفاء (٦) أى ذات صبيان (٧) قوى ونصر (٨) أراد
التراضى بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه الغالب والمثلوب (٩) أى اصل (١٠) الأورمة
اصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (١١) علامتى واصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم
(١٢) الحفظ والمناف (١٣) خلقى وتنادى (١٤) الفرق (١٥) أى الرفيق الظهير (١٦) أى
فرق وتفاوت فى الفضل (١٧) بالضم جمع بان (١٨) أى قال لهم كلاما لا يجدون له جوابا
(١٩) الزمهم الحجة (٢٠) أى كرم قريهم (٢١) أى عطاءهم (٢٢) أى لا يزوج ابنته
(٢٣) صناعة (٢٤) يعنى قدر الله تعالى (٢٥) لتعبي ومرضى (٢٦) الكثير الخداع
(٢٧) مجلس أبى (٢٨) قومه وعشيرته (٢٩) البدره عشرة آلاف درهم (٣٠) أى منزلى
واصله بيت الظبي أو بقى الوحش (٣١) بفتح الكاف وكسرها أى جانب بيته (٣٢) كثير القعود
كثير الجثوم أى يلزم الموضع الذى يقعد فيه (٣٣) الضجة اصله العاجز الذى لا يتصرف
والنومة كثير النوم والمعنى أنه عاطل عن العمل كسول (٣٤) مال ولباس فاخر (٣٥) هيئة حسنة

وأثاث^(١) وري^(٢) فما يريعه في سوق الحضم^(٣) ويتلف ثمنه في الحضم^(٤) والقضم^(٥) الى أن مزق مالى بأسره^(٦) وأنفق مالى في عُسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر^(٧) بيتي أنقى من الراحة^(٨) قلت له يا هذا انه لا يحبباً بعد يوس^(٩) ولا يعطر بعد عروس^(١٠) فانهض للاكتساب بصناعتك واجتني^(١١) ثمرة براعتك^(١٢) فزعم^(١٣) أن صناعته قد رُميت بالكساد^(١٤) لما ظهر في الأرض من الفساد ولى منه سلالة^(١٥) كأنه خلالة^(١٦) وكلانا ما ينال معه شبعة^(١٧) ولا زقا^(١٨) له من الطوى^(١٩) دمة وقد قدته^(٢٠) اليك وأحضرتك لديك لتعجم^(٢١) عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت^(٢٢) قصص عريسك فبرهن الآن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك^(٢٣) وأمرت بحبسك فأطرق إطراق الأفوان^(٢٤) ثم شمه للحرب العوان^(٢٥) وقال إسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شره ويبتحب^(٢٦) أنا امرؤ ليس في خصائصه^(٢٧) عيب ولا في فخاره ريب

(١) هو متاع البيت (٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء في الاصل اسم من روى من الماء يروى رياء (٣) المراد يبيعه بأقل من القيمة (٤) الاكل بجميع الفم (٥) الاكل بأطراف الاسنان وقيل الحضم الاكل بأطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الحضم اكل الرطب والقضم اكل اليابس يريد انه يصرف ثمنه في انواع الاكل واللذات (٦) اي فرق الذي لى (٧) ترك (٨) بطن الكف لتفاته من الشعر (٩) اي قمر (١٠) مثل قالته امرأة من بني عذرة مات عنها زوجها واسمها عروس فتزوجها رجل ابخر وامرها ان تنظر فقالت (١١) اي مكنتي من الجني وهو جمع الشرة (١٢) أي فضلك وفوقائك على اقرانك (١٣) ادعى (١٤) هو مخود السوق وقلة البيع ضد التناق بالفتح (١٥) يعني ولدا (١٦) ما يتغل به (١٧) قدر ما يشبع به مرة (١٨) اي لا تسكن (١٩) الجوع (٢٠) اثبت به (٢١) لتقضي وتختبر (٢٢) فهمت وحفظت ما قمته زوجك (٢٣) اظهرت اشكالك وتمعية امرك (٢٤) ذكر الافاعي او العظيم منها (٢٥) الحرب التي قبلها عربوهي تكون اشد من الاولى (٢٦) الاتحاب رفع الصوت بالبيكاه (٢٧) خصاله وطباعه

سُرُوجُ دَارِي النِّي وَلَدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانُ ^(١) حِينَ أَنْتَسِبُ
 وَشُغْلِي الدَّرْسُ وَالتَّبَجُّرُ فِي الْعِلْمِ طَلَابِي وَحَبْدَا الطَّلَبُ
 وَرَأْسُ مَالِي سِخْرُ الْكَلَامِ ^(٢) الَّذِي مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ ^(٣) وَالْخَطْبُ
 أَغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْشَتَارُ اللَّالِي مِنْهَا ^(٤) وَأَتَخَيَّبُ
 وَأُجْتَنِّي ^(٥) الْيَانِعَ ^(٦) الْجَنِّي ^(٧) مِنَ السَّقُولِ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَلِبُ
 وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةٌ فَإِذَا مَا صَغَنُ ^(٨) قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
 وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أُمْتَرَى نَشَبًا ^(٩) بِالْأَدَبِ الْمُقْتَنِي وَاحْتَلِبُ
 وَيَمْتَلِي ^(١٠) أَخْصَى ^(١١) حُرْمَتَهُ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
 وَطَالَمَا زُقْتُ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي ^(١٢) فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ ^(١٣)
 فَالْيَوْمَ مَنْ يَتَلَقَّى الرَّجَاءَ بِهِ أَكَسَدُ شَيْءٌ فِي سُوقِ الْأَدَبِ ^(١٤)
 لَا عَرَضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ ^(١٥) فِيهِمْ إِلَّا ^(١٦) وَلَا نَسَبُ
 كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ ^(١٧) جَيْفٌ يُبْعَدُ مِنْ نَقْنَحَا وَيُجْتَنَّبُ
 فَخَارُ لَبِّي ^(١٨) لَمَّا مُنِّيتُ بِهِ ^(١٩) مِنَ الْيَالِي وَصَرَفُهَا ^(٢٠) عَجَبُ
 وَضَاقُ ذِرْعِي ^(٢١) لَضَيْقِ ذَاتِ يَدِي وَسَلَوَرَتِي ^(٢٢) الْهَمُومُ وَالْكَرْبُ

(١) اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه منهم بنو جفنة ورهط الملوك وقيل غسان
 قبيلة (٢) هو ما لطب مأخذه ورق (٣) الشر (٤) أي اتعمق في بليغ المعاني واتفق منه
 الملح (٥) اقتطف (٦) الزاهي (٧) الطرى من الثمر الذي جني حديثاً (٨) سبكته (٩) أي
 اكتسب مالا (١٠) أي يركب (١١) ما ارتفع من باطن القدم عن الأرض (١٢) أي حملت
 الجوائز والهدايا إلى منزلي (١٣) أي لم أرض أن أكون تحت منة كل أحد بل لم أقبل إلا من
 العظماء (١٤) أي إن من يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى
 صار ذلك كالسلمة الكاسدة عنده (١٥) يحفظ (١٦) بكسر الهمزة وتشديد اللام العهد والقرايه
 والجوار (١٧) جمع عرصه وهي فناء الدار أي كلهم في مواضعهم (١٨) تحير عقلي (١٩) بليت
 به (٢٠) تقلبها (٢١) اقتبض قلبي (٢٢) واثنتني وغلبتني

وقاذنى دهرى المليم^(١) الى
فبعثت حتى لم يبق لي لبد^(٢)
واذنت^(٣) حتى أثقلت سالقي^(٤)
ثم طويت الحشا على سغب^(٥)
لم أر إلا جهازها عرضا^(٦)
فجلت فيه والنفس كارهة^(٧)
وما تجاوزت^(٨) اذ عبثت^(٩) به
فان يكن غاظها توهمها
أو أنني إذ عزمت خطبتها
فو الذي سارت الرفاق^(١٠) الى
مال الكرم بالمحصنات^(١١) من خلقي
ولا يدي مذ نشأت نيط بها^(١٢)
بل فكرتني تنظيم القلائد^(١٣) لا

سلوك ما يستشده^(١٤) الحسب^(١٥)
ولا بسات^(١٦) اليه أنقلب
بحمل ديني من دونه العطب^(١٧)
خسأ^(١٨) فلما أمضى^(١٩) السغب
أجول في يعبه وأضطرب
والعين عبرى^(٢٠) والقلب مكتئب^(٢١)
حد التراضي^(٢٢) فيحدث الغضب
أن بناني بالنظم تكتسب
زخرفت قولي لينجح الأرب^(٢٣)
كعبته تستحشها^(٢٤) النجب^(٢٥)
ولا شعاري^(٢٦) التمويه^(٢٧) والكذب
إلا مواضى اليراع^(٢٨) والكتب
كفى وشعري المنظوم لا السخب^(٢٩)

(١) الذي يأتي بما يلام عليه (٢) يستبشمه (٣) ما يبد من مفاخر الالباء او الدين وقيل الكرام
(٤) يقال ماله سبد ولا لبد اي شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشي واراد
الحريري انه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (٥) الزاد ومستاح البيت
(٦) تداينت (٧) صفحة العنق وقيل مقدمه (٨) جوع (٩) خمس ليال (١٠) احرقني (١١) حطام
الدنيا وهو المال قل او كثر (١٢) داممة باكية (١٣) حزين (١٤) تمديت (١٥) فعلت به ما
لا يليق فعله (١٦) اي حد الرضا (١٧) الحاجة

(١٨) جمع رفقة وهو جمع رفيق (١٩) تستعجلها (٢٠) جمع نجبية وهي الكريمة من الابل
(٢١) جمع محصنه المعائف (٢٢) تخلق (٢٣) زين الكلام وأصله ان يطلى الممدن غير الذهب
والفضة بأحدهما والفضة بالذهب (٢٤) علق بها (٢٥) جمع يراعه وهي القصبه الجوفاء والمراد
الانلام (٢٦) جمع قلادة أصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ما ينظم من القصائد والاشعار
(٢٧) جمع سخاب وهو القلادة من الترتل والمسلك ليس فيها من الجواهر شي • يحمل في اعناق الاطفال

فهذه الحيرفة المشارُ الى ما مكنْتُ أحوى بها واجتلب
 فأذنُ لشرحي كما أذنتَ لها ولا تُراقبُ^(١) واحكم بما يجب
 قال : فلما أحكم ما شاده^(٢) وأكمل إنشاده عطفَ القاضي إلى الفتاة بعد أن
 شَغِفَ^(٣) بالآيات وقال أما أنه قد بُتَّ عند جميع الحكام وولاية الأحكام
 انقراضُ^(٤) رجيل الكرام^(٥) وميلُ الأيام الى اللثام وإني لا إخال^(٦)
 بعلك^(٧) صدوقا في الكلام برياً من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض
 وصرح عن المحض^(٨) وبين مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم^(٩) وإعنات
 المُعْذِرِ مَلَأَ^(١٠) وجبس المعسر^(١١) مألَمَ^(١٢) وكتان الفقر زهادة وانتظار الفرج
 بالصبر عبادة فارجمي الى خذرك^(١٣) واعذري أبا عذرك^(١٤) ونهني من
 غربك^(١٥) وسلمي بقضاء ربك - ثم انه فرضَ لهما في الصدقات حصّةً وناولهما من
 دراهمها قبصةً^(١٦) وقال لهما تعلّلا^(١٧) بهذه العلالة^(١٨) وتندّيا بهذه البلالة^(١٩)
 وصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فتحضا
 وللشيخ فرحة المطلق من الأسار^(٢٠) وهزة المؤسر بعد الأعسار - قال الراوي

(١) اي لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تملن عن الحق (٢) أي اتقن ما قاله وأنشأ من
 شاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجسم (٣) يروي بالعين المهملة من شغف الحب فؤاده اي علاه
 وشمله - وبالعين المعجمة أي قتن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب (٤) انقطاع وفناء
 (٥) اي جماعة الكرم والجيل أهل زمان واحد (٦) بكسر الهمزة اي لا ظن (٧) زرجك
 (٨) الخالص (٩) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا أخذ ما عليه من اللحم (١٠) الاعنات
 الجمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ في العذر او هو الذي يأتي بما يعذر به ويطلق على المحقق
 العذر وعلى الذي بان عذره والملامة الاثم (١١) العاجز عن قضاء الدين (١٢) اسلام
 (١٣) بيتك وسترك (١٤) ابو عذر المرأة اول زوج لها (١٥) اي كني وازجرى نفسك عن
 الحدة (١٦) مي ما يتناوله الانسان بأطراف أصابعه (١٧) تشاقلا وتلاها (١٨) ما يتعال به
 وأصلها بقية الدين (١٩) قدر ما يبيل به الشيء واسم للبقية أيضاً (٢٠) القيد الذي يشده الاسير.

وكنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَيُوزِيدُ سَاعَةَ بَرَزَتْ شَمْسُهُ وَنَزَعَتْ^(١) عَرْسَهُ وَكَدَتْ^(٢)
أُفْصَحُ عَنْ افْتِسَانِهِ^(٣) وَأَتَمَّارِ أَفْنَانِهِ^(٤) ثُمَّ أَشْفَقْتُ^(٥) مِنْ عُسُورِ^(٦) الْقَاضِي
عَلَى بُهْتَانِهِ^(٧) وَتَزْوِيقِ^(٨) لِسَانِهِ فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ^(٩) أَنْ يَرْشَحَهُ^(١٠)
لِإِحْسَانِهِ فَأَحْجَمْتُ^(١١) عَنْ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرْتَابِ^(١٢) وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ
السَّجَلِ لِلْكِتَابِ^(١٣) إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَّلْتُ^(١٤) وَوَصَلْتُ إِلَى مَا وَصَلْتُ لَوْ أَنَّ لَنَا
مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ لَا تَأَنَّا بَقْصَ خَبْرِهِ^(١٥) وَمَا يُنْشَرُ مِنْ رَحْبَرِهِ^(١٦) فَأَتْبَعَهُ^(١٧)
الْقَاضِي أَحَدَ أَمْنَائِهِ وَأَمْرَهُ بِالتَّجَسُّسِ^(١٨) عَنْ أَنْبَاءِهِ^(١٩) فَمَا لَبَثَ أَنْ رَجَعَ
مُتَدَهِّدًا^(٢٠) وَقَهْقَرُ مُقَهْقَرًا^(٢١) فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي مَهْيَمَ^(٢٢) يَا أَبَا مَرْيَمَ^(٢٣)
فَقَالَ لَهُ لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا وَسَمِعْتُ مَا أَنْشَأَ لِي طَرَبًا فَقَالَ لَهُ مَاذَا رَأَيْتَ وَمَا الَّذِي
وَعَيْتَ قَالَ لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مَذْخَرَجُ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُخَالِفُ بَيْنَ رَجْلَيْهِ^(٢٤) وَيُغَرِّدُ
بِمِلٍّ شَدِيقِهِ وَيَقُولُ

كَدْتُ أَصْلِي^(٢٥) بِلَيْلِيهِ مِنْ وَقَاحِ^(٢٦) شَمْرِيهِ^(٢٧)

(١) خبثت والنزع الذكر بالتبجيل والافساد بين الناس ومعناه خاصته عرسه (٢) يقال
افتن الرجل في حديثه إذا جاء بالافانين وهي الاساليب والمراد هنا تصرفه في الفنون والمعارف
(٣) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الفصن (٤) خفت (٥) اطلع (٦) كذبه (٧) التزويق
التحسين والتزيين مأخوذ من الزادوق وهو الزئبق (٨) معرفته (٩) الترشيح التربية والتأهيل
من ترشيح الظبية ولدها لأنها إذا بالغ ولدها لسمى سمته به حتى يرشح مرة فاقية وى — ويأتي
بمعنى التقوية أيضاً (١٠) تأخرت (١١) الشاك (١٢) السجل الصحيفة فيها الكتابة أي كما
أطوى الصحيفة الكتابة (١٣) ذهب (١٤) بحقيقة حاله (١٥) الخبر أودية بمائيه موشاة جمع
حبرة والمراد ما يذكره من الكلام المسجع الشبيه بالخبر في الحسن (١٦) أي أرسل وراءه من
يتبعه (١٧) أي بالبحث سراً بحيث لا يشعر (١٨) أخباره (١٩) التدهده الاسراع من
دهدته المسجر إذا درجته وتبدل الهاء الاخيرة فيقال تدهدي تدهدياً (٢٠) القهقرة المشي
الى الوراء والقهقرة الضحك بصوت (٢١) أي ما الخبر وهي كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك
وما شأنك (٢٢) يقال لاهل الناضي ابر سرهم (٢٣) أي يرقص (٢٤) احترق (٢٥) الوقاح
قليلة الحياة بينه القهقة والوقاحة وحار وقاح صلب (٢٦) التمري الماضي في الامور الجاد فمما يحاول

وأزورُ السَّجْنَ لولا حاكم الإسكندرية
فضحك القاضي حتى هوت ^(١) دُنَيْتُهُ ^(٢) وذَوَتْ ^(٣) سَكِينَتُهُ ^(٤) فلما
قَاءَ ^(٥) الى الوقار وعَقَّبَ الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بِجُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ
حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَذِّرِينَ ثم قال لذلك الأَمِينُ عَلَى ^(٦) به فانطلق مجذأ في مطلبه
ثم عاد بعد لأبيه ^(٧) مخبراً بِنَآيِهِ ^(٨) فقال له القاضي أما إنه لو حَضَرَ لَكُنْفِي الحَذَرُ ^(٩)
ثم لا وَلِيَّتِهِ ما هو به أَوْلَى ولا رِيَّتَهُ أَنْ الآخِرَةَ خَيْرٌ له من الأولى - قال الحارث
ابن همام فلما رَأَيْتُ صَغُورَ ^(١٠) القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه ^(١١) غَشِيَتْنِي
نَدَامَةُ الْفَرَزْدَقِ ^(١٢) حين أَبَانَ التَّوَارِ ^(١٣) والكُسْعِيَّ ^(١٤) لما استبان النَّهَارَ

﴿ المقامة البشرية لبديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ﴾

حدثنا عيسى بن هشام قال كان بشر بن عوَّانة العبدىُّ صُعلوكاً فأغار
على ركب فيهم امرأة جميلة فزوّج بها وقال مارأيتُ كاليم فقالت

(١) وقت (٢) بتشديد النون والياء جميعاً قلنسوة طويلة بلبسها الفضة كانها منسوبة الى الدن
(٣) ذبكت وفترت (٤) وقارته (٥) وجم (٦) أي أثت به وأخضره (٧) اللائى كالسعي
الابطاء والاحتباس (٨) أي ببعده (٩) ما يحذر منه ويخالف (١٠) ميله (١١) أثنيت وحضرتي
(١٢) هو مام بن غالب التميمي الشاعر (١٣) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق
وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره في ذلك قوله

ندمت ندامة الكسعي لما غمدت في مطاوعة نوار
وكانت جنيتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الفرار
ولو أني ملكت يدي وامري لكان علي للقدر الحيار

(١٤) الكسعي هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حي من بني
ثعلبية كان راعياً وعمل قوساً بعد طول تعب ثم رعى عنها ليلاً فنغذت في الرمية ووقع السهم في
حجر فقدم منه الشرر فظن ان السهم أخطأ الرمية فرمى ثانياً وثالثاً الى اخر الاسهم وكانت خمساً
وهو بظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما اصبح تبين ان اسمه كلها أصابت فندم
ندماً شديداً فضربت العرب المثل به في الندامة

أَعْجَبَ بِشَرِّ حَوْرٍ فِي عَيْنِي وَسَاعِدٌ أَيْضُ كَاللَّجِينِ
وَدُونَهُ مَسْرَحُ طَرْفِ الْعَيْنِ خُمْصَانَةٌ تَرْقُلُ فِي حِجْلَيْنِ
أَحْسَنُ مِنْ يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ لَوْ ضَمَّ بِشَرِّ بَيْنَهَا وَبَيْنِي
أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ يَنِي وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي
لَأَسْفَرَ الصُّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ

قال بشرٌ ويحك من عَنَيْتِ فقالت بنت عمك فاطمة فقال أهي من الحسن
بمحيثُ وصفتِ قالت وأزِيدُ وأكثرُ فأنشأ يقول

وَيْحَكَ يَا ذَاتَ الثَّنَايَا الْبَيْضِ مَا خِلْتَنِي مِنْكَ بِمُسْتَعِيزِ
فَالآنَ إِذْ لَوَحَتْ بِالْتَّعْرِيزِ تَخَاوَتْ جَوْأً فَاصْفِرِي وَبَيْضِي
لَا ضَمَّ جَفْنَتَايَ عَلَى تَغْمِيزِ مَا لَمْ أَرِشْلُ عِرْضِي مِنَ الْحَضِيزِ
فَقَالَتْ كَمْ خَاطَبَ فِي أَمْرِهَا الْحَا وَهِيَ إِلَيْكَ ابْنَةُ عَمِّ الْحَا

ثم أرسل إلى عمه يخطب ابنته ومنعه العم أمنيته فآلى ألا يُزعي على أحد
منهم إن لم يُزوج ابنته ثم كثرت مضراته فيهم واتصلت معراته اليهم فاجتمع
رجال الحي إلى عمه وقالوا كف عنا مجنونك فقال لا تلبسوني عاراً وأهلوني حتى
هلكه يبيض الحيل فقالوا أنت وذاك ثم قال له عمه إني آليت أن لا أزوج
بنتي هذه إلا بمن يسوق إليها ألف ناقة مَهراً ولا أرضاها إلا من نوق خُرَاعة وكان
غرضُ العم أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خُرَاعة فيفترسه الأسد لأن
لعرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق وكان فيه أسد يُسمى « داذاً » وحية
تدعى « شجاعاً » يقول فيهما قائلهم

أَفَيْتُكَ مِنْ دَاذٍ وَمِنْ شُجَاعٍ إِنْ يَكُ دَاذٌ سَيِّدَ السَّبَاعِ
فَانْهَاسِيْدَةُ الْأَفَاعِي

ثم ان بشرأ سلك ذلك الطريق فما نصفه حتى لقي الأسد وقمص مهره
فتزل وعقره ثم اخترط سيفه الى الأسد واعترضه وقطعه ثم كتب بدم الأسد
على قميصه الى ابنة عمه

أَفَاطُمُ لَوْ شَهِدْتَ بِيَطْنٍ خَبْتِ	وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ بُرْ أَخَاكَ بِشِرَا
إِذَا لَرَأَيْتَ لَيْثًا زَارًا لَيْثًا	هَزْبَرَا أَغْلَبَا لَاقَى هَزْبَرَا
تَبْهَذُ حِينَ أَحْجَمَ عَنْهُ مُهْرِي	مُحَادَرَةً فَقُلْتَ عُقِرْتَ مُهْرًا
أَنْلُ قَدْ مَجَى ظَهْرَ الْأَرْضِ إِنْ	رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نَصَالًا	مُحَدَدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهْرًا
يُكْفِسُ كُفَّ غِيلَةٍ إِحْدَى يَدَيْهِ	وَيَسْطُ لَلْوُتُبِ عَلَى أُخْرَى
يَدُلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحِدِّ نَابٍ	وَبِاللَّحْظَاتِ تَحْسِبُهُنَّ جَرَا
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ أَبْغَى	بِضَرْبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثْرَا
أَلَمْ يَسْأَلْكَ مَا فَعَلْتَ ظُبَاةَ	بِكَاطِمَةٍ غَدَاةَ لَقِيتُ عَمْرًا
وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى	مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذُعْرًا
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوَّتَا	وَأَطْلُبُ لَابِنَةِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُؤْتِي	وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا
نَصَحَتُكَ فَالْتِمِسْ يَالَيْتُ غَيْرِي	طَعَامًا إِنْ لَحِي كَانَ مَرًّا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْعَشَّ نَصَحِي	وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرًا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسْدَيْنِ رَامَا	مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعَرَا

هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي سَلَّاتُ بِهِ لَدَى الظُّلَمَاءِ فَجَزَا
وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرَنَّهُ بَأْنَ كَذِبَتُهُ مَا مَتَّعَتْهُ غَدْرًا
وَأَطْلَقْتُ الْمُهَمَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
فَخَذَ مُجَدَّلًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءَ مُشْمَخَرًا
وَقُلْتُ لَهُ يَعْزِ عَلَى أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جِلْدًا وَغَرًّا
وَلَكِنْ رُمْتُ شَيْئًا لَمْ يَرْمُهُ سَوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرًا
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَارًا لَعَمْرُ أَيْكَ قَدْ حَاوَلْتَ نُكْرًا
فَلَا تَجَزَّعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا يُحَازِرُ أَنْ يُعَابَ فَمَتَّ حُرًّا
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْآيَاتِ عَمَّه نَدِمَ عَلَى مَا مَنَعَهُ تَزْوِيحَهَا وَخَشِيَ أَنْ تَقْتَالَهُ الْحَيَّةُ
فَقَامَ فِي أَثَرِهِ وَبَلَغَهُ وَقَدْ مَلَكَتْهُ سُورَةُ الْحَيَّةِ فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ أَخَذَتْهُ حِمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ
فَجَعَلَ يَدُهُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ وَحَكَمَ سَيْفَهُ فِيهَا فَقَالَ

بِشْرُ إِلَى الْمَجْدِ بَعِيدٌ هُمَ لَمَّا رَأَاهُ بِالْعَرَاءِ عَمَّهُ
قَدْ تَكَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةُ نَهْمُهُ
قَامَ إِلَى ابْنِ الْفَلَا يَوْمُهُ قَعَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكُهُ
وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِي سَمُهُ

فَلَمَّا قَتَلَ الْحَيَّةَ قُلَّ عَمُّهُ إِنِّي عَرَضْتُكَ طَمَعًا فِي أَمْرِ قَدْ ثَنَى اللَّهُ عَنَانِي عَنْهُ
فَارْجِعْ لَا زَوْجَكَ أَبْنِي فَلَمَّا رَجَعَ جَعَلَ بِشْرٌ يَمْلَأُ فِيهِ غُرًّا حَتَّى طَلَعَ أَمْرُ دَكْشَقِ
الْقَمَرِ عَلَى فَرَسِهِ مُدَجَّجًا فِي سِدْرِهِ فَقَالَ بِشْرُ يَا عَمُّ إِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَبْدٍ وَخَرَجَ
فَإِذَا بَنُغْلَامٍ عَلَى قَيْدٍ فَقَالَ تَكَلَّمْتُكَ أَمَّا يَا بِشْرُ أَنْ قَتَلْتَ دُودَةً وَبَهِيمَةً تَمْلَأُ
مَا ضَعَيْكَ فخرًا أَنْتَ فِي أَمَانٍ إِنْ سَلَّمْتَ عَمَّكَ فَقَالَ بِشْرُ مَنْ أَنْتَ لَا أُمُّ لَكَ قَالَ

اليومُ الأسودُ والموتُ الأحمرُ فقالَ بشرُ ثِيكَلَتِكَ من سَلَحَتِكَ فقالَ يا بشرُ
ومن سَلَحَتِكَ وكرَّ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه فلمَ يَتِمَكَّنْ بِبَشَرٍ مِنْهُ وَأَمَكَّنَ
الغلامَ عَشْرُونَ طَعْنَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ بِبَشَرٍ كُلَّمَا مَسَّهُ شِبَابُ السِّنَانِ حَمَاهُ عَنْ بَدَنِهِ
إِبْقَاءً عَلَيْهِ — ثُمَّ قَالَ يَا بَشَرُ كَيْفَ تَرَى أَلَيْسَ لَوْ أَرَدْتَ لَأَطَعْتُكَ أَنْيَابُ الرُّمَحِ
ثُمَّ أَلْقَى رُمَحَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ فَضَرَبَ بِبَشَرٍ عَشْرِينَ ضَرْبَةً بِعَرَضِ السَّيْفِ وَلَمْ
يَتِمَكَّنْ بِبَشَرٍ مِنْ وَاحِدَةٍ ثُمَّ قَالَ يَا بَشَرُ سَلِّمْ عَمَّكَ وَأَذْهَبْ فِي أَمَانٍ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ
عَلَى شَرِيطَةٍ أَنْ تَقُولَ لِي مَنْ أَنْتَ فَقَالَ أَنَا ابْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي دَلَّتْكَ عَلَى ابْنَةِ عَمِّكَ فَقَالَ بَشَرُ
تِلْكَ الْعَصَا مِنْ هَذِهِ الْعَصِيَّةِ هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا الْحَيَّةَ
وَحَلَفَ لَا رَكِبَ حَصَانًا وَلَا تَزَوَّجَ حَصَانًا ثُمَّ زَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ لَا بَنَةَ

الفن السادس في الروايات

الرواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعلٍ حدثاً أو أمكنَ حدوثها - وخواصها
أربعة الإيضاح والإيجاز والإمكان والتلطف « فالإيضاح » يكون بتقديم فرش
للحديث وتوطئة للخبر يُقَرَّبُ مأخذ الرواية وبمراعاة الترتيب الطبيعي في إيراد
ظُرُوفِ الخبر ما لم يكن للراوى غرضٌ لتجاوز هذا النظام وبالعدول عن كثرة
الاستطرادات في إنشاء الحديث لأن ذلك يصرفُ العقلَ عن سياق الرواية
ويذهبُ برواقها « والإيجاز » حذفُ فضولٍ وحشو الكلام مع انتقاء أخص
الظُرُوفِ وأنسبها للغاية ولا بأس بالاطناب إذا ما دعا إليه مقتضى الحال « والإمكان »
ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع « والتلطف » في الرواية أن يبلغ الكاتبُ
كُنْهَ القلوبِ ويأخذ بمجامع اللبِّ بأن ينتقل فيها من حال إلى حال لأن النفس
قد جُبِلَتْ على حجة التحول وطبعت على إثارة التنقل والرواية ثلاثة أجزاء صدرها

ويقدّمها وخيّمها « فالصدّر » التّوطئة للواقع بحيث يقيّف السامع على أسماء الأشخاص وطبائعهم وعلى مكان الواقع وسوابق العمل « والعقدة » هي الجزء الذي على محورهِ تدور الرواية وهو المجال الاوسع الذي تتقابل الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم في النفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الأمر فننقل من الرجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن

« والمختام » الجزء الأخير من الرواية الذي به تُفكّ الإربّة ويُحلّ رباق الحديث فتتالّ النفوس بذلك مرآها وتفوزُ بوطرها ورسمة أن يكون فجائيا مُرتبطاً مع ما قبله ارتباطاً مُحكماً وافيّاً بالمراد بحيث ترزّي به النفوس وترتاح اليه القلوب — وشواهد الرواية كثيرة لا نُطيل بذكرها أفردناها الأدياء بالتأليف العديدة — ولنذكر هنا بعض ملح لا يستغنى عنها المقام

﴿ رواية ليلى الاخيلية مع الحجاج ﴾

قال بعضهم بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعد العاصي إذ دخل الحاجب فقال امرأةً بالباب فقال له الحجاج أذِخلها فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد أسنت حسنة الخلق وممها جاريتان لها وإذا هي ليلى الاخيلية فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له فقال لها يا ليلى ما أتى بك فقالت أخلاف النجوم وقلة الغيوم وكأب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرّفد فقال لها صفي لنا الفيجاج : فقالت الفيجاج مغبرة . والأرض مقشّرة والمبرك معتل وذو العيال مختل والهالك للقل والناس مُسندون رحمة الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هُبعا ولا رُبعا ولا عافطة ولا نافطة أذهبت

الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ثم قالت إني قلت في الأمير قولاً : قال
هاني فأنشأت تقول

أحجاجُ لا يُفلل سلاحك إنما	منايا بكف الله حيث براها
أحجاج لا تعط العصاة منهاهم	ولا الله يعطي للعصاة منهاها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة	تتبع أقصى دأها فشفاهها
شفاهها من اللآء العضال الذي بها	غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله	دماء رجال حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج رز كتيبة	أعد لها قبل النزول قرأها
أعد لها مصقولة فارسية	بأيدي رجال يحملون صراها
فما ولد الأ بكر والعون مثله	يبحر ولا أرض يجف نراها

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج قاتلها الله ما أصاب صفتي شاعر منذ
دخلت العراق غيرها ثم التفت الى عنبة بن سعيد فقال والله أني لأعد لأمر
عسى أن لا يكون أبداً ثم التفت اليها فقال حسبك قالت إني قد قلت أكثر من
هذا قال حسبك ويحك حسبك ثم قال يا غلام اذهب الى فلان فقل له إقطع
لسانها فذهب بها فقال له يقول لك الأمير أقطع لسانها قال فأمر بإحضار الحجاج
فالتفت اليه فقالت شكلك أمك أما سمعت ما قال إنما أمرك أن تقطع لساني
بالصلة فبعث اليه يستثبته فاستشاط الحجاج غضباً وهم يقطع لسانه وقال ارددها
فلما دخلت عليه قالت : كاد « وأمانة الله » يقطع مقولي — ثم أنشأت تقول

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد
حجاج أنت شهاب الحرب إن لمحت
الا خليفة والمستغفر الصمد
وأنت للناس نور في الدجى يقد

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه قالوا لا والله أيها
الامير إنا لم نر قط أفصح لساناً ولا أحسن مُحاوراً ولا أملح وجهاً ولا أحرص
شعراً منها فقال هذه ليلى الاخيلية التي ماتت توبة الخفاجي من حُبِّها ثم التفت اليها
فقال أنشدينا ياليلي بعض ما قال فيك توبة قالت نعم أيها الامير هو الذي يقول
وهل تبكين ليلى اذا ماتت قبلها وقام على قبري النساء النوائحُ
كما لو أصاب الموت ليلى بكيها وجاد لها دمع من العين سافح
وأغبط من ليلى بما لا أناله بلى كل ماقرت به العين طامع
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح
ثم قال لها سلى ياليلي تعطي قالت أعط فيثلك أعطى فأحسن قال لك
عشرون قالت زد فيثلك زاد فأجل قال لك أربعون قالت زد فيثلك زاد فأكل
قال لك ثمانون قالت زد فيثلك زاد فتمم قال لك مائة واعلمى انها غنم قالت
معاذ الله أيها الامير أنت أجود جوداً وأجود مجداً وأورى زنداً من أن نجعلها
غنماً قال فما هي ويحك ياليلي قالت مائة من الإبل برعائها فأمر لها بها ثم قال
ألك حاجة بعدها قالت يدفع إلى النابغة الجعدي قال قد فعلت وقد كانت تهجوه
ويهجوها فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائداً بعبد الملك فاتبعته إلى الشام فهرب
إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة يقومس
ويقال بخلوان

﴿رواية بنات الشاعر المقتول﴾

كان لشاعر عدوٌّ فينما هو سائر ذات يوم في بعض الطُّرق إذا هو يمدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتي أن أمضي إلى داري وقِفْ بالباب وقل « ألا أيها البنتان أن أباكما » فقال سمعاً وطاعة ثم إنه قتلته فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ووقف بالباب وقال « ألا أيها البنتان أن أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل « ألا أيها البنتان أن أباكما » أجابته بهنَّ واحد « قَتِيلٌ خُذَا بالثَّارِ مِنْ أُنَاكَمَا » ثم تعلَّقتا بالرجل ورفعته إلى الحاكم فاستقرَّه فأقر بقتله فقتله

﴿رواية المتكلمة بالقرآن الكريم﴾

قال عبد الله بن المبارك خرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فينما أنا في بعض الطُّريق إذا أنا بسوادٍ فتمعَّرت ذاك فإذا هي عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صفوفٍ وخمار من صُوفٍ فقلت السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت « سلامٌ قولاً من ربِّ رحيمٍ » قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت « ومن يُضِلُّ الله فلا هَادِيَ لَهُ » فعلت أنها ضالَّةٌ عن الطُّريق فقلت لها أين تُريدِينَ قالت « سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فعلت أنها قد قَضَتْ حَاجَتَهَا وهي تُريد بيت المقدس فقلت لها أنت مُنْذُ كَمْ في هذا الموضع قالت « ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً » فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قالت « هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ » فقلت فبأي شَيْءٍ تتوضَّئين قالت « فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً » فقلت لها أن معي طعاماً فهل لك في الأكل قالت « ثُمَّ آمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » فقلت ليس هذا

شهر رمضان قالت « وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ » فقلت قد أيسح
لنا الإفطار في السفر قالت « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » فقلت لم
لا تُكَلِّمِينِي مثل ما أَكَلَّمَكِ قالت (ما يُلفظُ من قول إلاَّ لديه رقيبٌ عتيد)
فقلت فمن أىَّ الناس أنت قالت (ولا تَقَفْ ما ليسَ لك به علمٌ أَنْ السَّمْعَ والبَصَرَ
والفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) فقلت قد أخطأت فاجعليني في رحلٍ قالت
(لا تَهِيبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) فقلت فهل لك أَنْ أحملك على ناقتي هذه
فتدري القافلة قالت (وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ) قال فأنحْتُ ناقتي قالت (قل
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) فغضضت بصرى عنها وقلت لها إركبي فلما أرادت
أَنْ تَرْكَبَ نفرت النَّاقَةُ فمزقت ثيابها فقالت (وما أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ) فقلت لها اصبرى حتى أعقلها قالت (فَهَيِّمْنَاهَا سَلِيمَانُ) ففعلت النَّاقَةُ وقلتُ
لها اركبي فلما ركت قالت (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا
إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) قال فأخذت بزمام الدَّيَّةِ وجعلت أسرعُ وأصيحُ فقالت (وَأَقْصِدْ
فِي مَشْيِكَ وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ) فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر فقالت
(فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت (وما
يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) فلما مشيتُ بها قليلاً قلت ألك زوجٌ قالت (يا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُونَ) فسكتُ ولم أَكَلِّمْهَا حتى أدركت
بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)
فعلت أَنْ لها أولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت (وعلاماتٌ وبالْجَنِّ هُمْ يَهْتَدُونَ)
فعلت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن
لك فيها قالت (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا — يَا يَحْيَى خُذْ

الكتاب بقوة) فنادت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار
قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت (فابعثوا أحداكم بورقكم هذه الى المدينة
فليُنظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه) فضى أحدهم فاشترى طعاماً فقَدّموه
بين يدي وقالت (كلُوا واشربوا هنيثاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) فقلت الآن
طعامكم على حرام حتى تخبروني بما مرها فقالوا هذه أمنا لما منذ أربعين سنة لم
تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسُبّحان القادر على ما يشاء
فقلت (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

تم بعون الله سبحانه وتعالى

طبع « الجزء الاول » من كتاب « جواهر الادب » و يليه بمشيئته جل شانه
« الجزء الثاني » وأوله — الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية



جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغت العرب

تأليف

احمد الهاشمي

الطبعة الثلاثون

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية (١) —

التاريخ — هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم، وسياساتهم وأدبهم، ولغتهم

والأدب — (كل رياضة محدودة يَتَخَرَّجُ بها الإنسانُ في فضيلة من الفضائل .) وهذه الرياضة كما تكون بالفعل، وحسن النظر، والمحاكاة، تكون بالأقوال الحكيمة التي تَضُمَّنُها لغةُ أيِّ أمةٍ

واللغة — ألفاظٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم — وهي من الأوضاع البشرية وأدبُ لغةِ أيِّ أمةٍ — هو ما أُودِعَ في شِعْرِها ونَثَرِها من نتائج عقول أبنائها وصُور أخيلتهم وطبائعهم: مما شأنه أن يَهْدِيَبَ النفسَ، وَيُنَقِّفَ العقلَ، وَيَقْوِمَ اللسانَ وتاريخ أدب اللغة — هو العلم الباحثُ عن أحوال اللغة: نَثَرِها ونظَمِها في عصورها المختلفة، وعمّا كان ينبع منها من التأثير البين فيها

واللغة العربية — إحدى اللغات السامية . وهي لغة أمة العرب القديمة العَهدِ الشائعةِ الذِكرِ التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا

(١) من الوسيط في لأدب العربي وتاريخه بتصرف

وهذه الأمة — منها القدماء ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة وينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعاً ، وهم ثلاث طبقات — أولاها العربُ البائدة * وهؤلاء لم يصل اليُناشئُ صحیحٌ من أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم ، والا ما جاء في الحديث النبوی . ومن أشهر قبائلهم طَسْمُ ، وَجَدِيسُ وعَادُ ، وَنَمُودُ وَعَمَلِيقُ - وثانيها العربُ العاربةُ - وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم - ومن أمهات قبائلهم كَمَلَانُ ، وَرَحْمِيرُ - وثالثها العربُ المُستعربةُ وهم بنو اسماعيل الطَّارِثُونَ على القحطانيّين - والمُتَزَجُونَ بهم لغةً ونِسْباً ، والمعروفون بعدُ بالعدنانيّين - ومن أمهات قبائلهم ربيعةُ ، وَهَضْرُ ، وإِيَادُ ، وَأَثَمَارُ

ومنها المحدثون — وهم سلائلُ هؤلاء الأقوام المُتَزَجُونَ بسلائل غيرهم والمُنْتَشِرُونَ بعدَ الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخرى (الأطلسي) إلى ما وراء بحر فارسَ ودِجْلَةَ ، ومن أَعلى النهرين إلى ما وراء جَاوَه وسُومَطْرَة

﴿ عصور اللغة العربية وآدابها ﴾

لما كان تاريخ لغة أي أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التي تقع بين ظهراني هذه الأمة ، ناسب تقسيم تاريخ أدب اللغة خمسة أعصر :

- الأول - عصر الجاهلية - وينتهي بظهور الإسلام ومدته نحو خمسين ومائة سنة
- الثاني - عصر صدر الإسلام ، ويشمل بنى أمية - ويتبدى بظهور الإسلام وينتهي بقيام دولة بنى العباس سنة (١٣٢) هـ
- الثالث - عصر بنى العباس - ويتبدى بقيام دولتهم ، وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦) هـ

الرابع — عصر الذُّولِ التُّركية - ويتبدى بسقوط بغداد ، وينتهي بمسجد
التهضة الاخيرة سنة (١٢٢٠) هـ

الخامس — عصر التهضة الاخيرة — ويتبدى من حكم الاسرة الحمديّة
العلوية بمصر ، ويمتدُّ الى وقتنا هذا

﴿ العصر الاول عصر الجاهلية ﴾

(حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر)

لغة العرب من أغنى اللغات كَلِمًا ، وأَعْرَقَهَا قَدَمًا ، وأَوْسَعَهَا لِكُلِّ مَا يَمُرُّ
تَحْتَ الْحِسِّ ، أَوْ يَجُولُ فِي الْخَاطِرِ : مِنْ تَحْقِيقِ عُلُومٍ ، وَسَنِّ قَوَانِينٍ وَتَصْوِيرِ خَيَالٍ ،
وَتَعْيِينِ مُرَافِقٍ — وَهِيَ عَلَى هَنْدَمَةٍ وَضَعَهَا ، وَتَنَاسُقِ أَجْزَائِهَا لُغَةً قَوْمِ أُمِّيِّينَ ،
وَلَا عَجَبَ أَنْ بَلَّغَتْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ ، مِنْ بَسْطَةِ الثَّرْوَةِ ، وَسَعَةِ الْمَدَى إِذْ كَانَ لَهَا مِنْ
عَوَامِلِ النَّمُوِّ ، وَدَوَاعِي الْبَقَاءِ وَالرَّقْيِ ، مَا قَلَّمَا يَهَيِّئُ لغيرها — وَمَا رَوَاهُ لَنَا مِنْهَا أُمَّةٌ
اللُّغَةُ وَجَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ هُوَ نَتِيجَةُ امْتِزَاجِ لُغَاتِ الشُّعُوبِ الَّتِي
سَكَنَتْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ — وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ امْتِزَاجِ هَذِهِ اللُّغَاتِ مَا يَأْتِي :

- (١) هجرة القحطانيين الى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن
ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كلٌّ مُمَرَّقٌ بظلمهم أنفسهم وتخرُّب بلادهم بِسَبِيلِ الْعَرَمِ (١)
- (٢) هجرة اسماعيل عليه السلام الى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين

(١) العرم جمع عرمة كفرحة وهي سد يمتدُّ به الوادي أو هو جمع بلا واحد ، أو
هو الاحباس والسدود تبني في الوادي لحبس المياه خلفها وهي السماء الآن بالخزانات. وحادثة
سبيل العرم أنه كان لسباً في اليمن عرم تحبس المياه خلفها لتوزع بنظام فهدمت العرم بسبيل
عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الاهلية سبباً
في تفرق قبائل سبأ في انحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل (تفرقوا أيدي سبأ)

بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة — وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تُقيمها العرب في أنحاء بلادها، ومن هذه الأسواق عُكاظُ وبجنتُ وذو المجاز

وأهمها سوق عُكاظ — وكانت تُقام من أول ذي القعدة الى اليوم العشرين منه . وأُقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة وبقيت الى ما بعد الاسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائه . وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ، ومفاداة الأسرى والتحكيم في الخصومات والمفاخرة والمنافرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكمين بها في الشعر النابتة الذُّبْيَانِي . ومن أشهر خطبائها قُتَيْب بن سَاعِدَة الأيادي . وقد لُهِجَ الشعراء بذكرها في شعرهم . وحضرها منهم الرجال والنساء

﴿ كلام العرب ﴾

الغرض من كلام العرب كغيره الاِبانة عما في النفس من الافكار ليكون ممدعاة الى المعاونة والمعاودة . وذريعة الى تسهيل أعمال الحياة ولما كانت هذه الافكار لاتزال متجددة غير متناهية . كانت صور الكلام المبين عنها لاتزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الانشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام فقد تصل صورة الكلام الى الناية القصوى في البلاغة ، وقد تنحط صورة العبارة الى الدرك الأسفل من الاِبانة . بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجماءات

أشبهه ، وبين الحالين مراتب ، وجلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها

وكلامُ العرب بمراتبه : العليا والدنيا وما بينهما تتَوَرَّه كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعيشية والدنيوية ، وتلك الأحوال تتمثل في « أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها »

﴿ أغراض اللغة في الجاهلية ﴾

- (١) كانت اللغة تُستعمل في أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مرافقتها من حِلٍّ وريحالٍ ، واتِّجاعٍ كلاً . واستدراار غيث . واستنتاج حيوان .
- (٢) وفي إثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها من الحُصِّ على ادراك الثَّار . والتفاخر بالانتصار ، والتباهي بكرم الأصل والنِجار
- (٣) شرح حال المشاهدات والكيفيات والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك

﴿ معاني اللغة في الجاهلية ﴾

تُجَمَّل معاني اللغة (١) في قَصْرِ معاني المفردات على ما تقتضيه البدَاوة والفطرة الغضة الخالية من تكاليف أهل الحضرة وتأثُّقهم (٢) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم في (الأُنْشاء) إما في التعقُّل المُستَنبَط من الحسِّ والمشاهدة أو الطَّبِيعَةِ أو التجربة أو الوجدان . من غير مبالغة ولا إغراق . وإما في التَّخِيلُ المنزَعَةُ صَوْرُهُ من المحسوسات بحيث لا تَخْرُج عن الإمكان العقلي والعادي

﴿ عبارة اللغة في الجاهلية ﴾

تُلَخِّص أحوالُ العبارة في الجاهلية فيما يأتي :

- (١) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية. أو معانٍ مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز الذي قد يُصبح بعد قليل وضعاً جديداً
- (٢) كثرة استعمال المترادف — وقلة الأعمى المعبر عنه بالعرب — وخلو الكلام العربي من اللمح — وغلبة الإيجاز عليه كما تراه واضحاً في شعرهم
- (٣) ارسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف

﴿ تقسيم كلام العرب ﴾

ينقسم كلام العرب قسمين : نثراً ونظماً . فالنظم هو الموزون المقفى . والنثر ما ليس مرتبطاً بوزن ولا قافية

﴿ النثر — المحادثة — الخطابة — الكتابة ﴾

الأصل في الكلام أن يكون منشوراً : لا يأنه مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل وهو إما حديث يدور بين بعض الناس وبعض في اصلاح شؤون المعيشة . واجتلاب ضروب المصالح والمنافع وذلك ما يسمى (المحادثة) أو « لغة التخاطب » . وإما خطاب من فصيح نابه الشأن يُلقيه على جماعة في أمر ذي بال . وهذا ما يسمى « الخطابة » . وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لا إرادة عدم التلفظ به . أو لحفظه للخلف . أو لبعد الشقة بين المتخاطبين . وذلك ما يسمى (الكتابة) . إذن فأقسام النثر ثلاثة . محادثة . وخطابة . وكتابة وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقية في أواخر عباراته : وذلك ما يسمى « النثر المرسل » وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة . وهذا ما يسمى « السجع » وهو نوع من الحيلة اللفظية إذا جاء عفواً ولم يعتمد التزامه . ولحسن وقعه في الأسماع . وحو . كه وتأثيره في الطباع

كان أكثر ما يُستعمل في الخطابة . والأمثال . والحِكم . والمفاخرات . والمنافرات .

﴿ المحادثة أو لغة التخاطب ﴾

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هي اللغة العربية المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها . ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة : من نبالة الموضوع والتأنيق في العبارة وأكثر ما وصل إلينا منها ما كان شريف المعنى . فصيح اللفظ

﴿ الخطابة ﴾

لما كان جُلّ العرب في جاهليتها قبائل متبدية . لا يربطها قانون عام . ولا تضبطها حكومة منظمة . ومن شأن المعيشة البدوية شأن الغارات لأزهي الأسباب . والمدافعة بالنفس عن الروح والعرض والمال . والمباهاة بقوة العصية وكرم النجار وشرف الخصال . وللقول في ذلك أثر لا يقل عن الصّول — كانت الخطابة لهم ضرورية . وفيهم فطرية . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم إلا وائل . وشي من خطبهم كما كان ذلك في الشعر . لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة . ولصعوبة حفظ النثر

وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عندما حلت الخطابة بعد منزلة أسنى من الشعر . لا بتذاله بتعاطى السفهاء والعامّة له . وتلوّثهم بالتكسب به والتعرض للحرّم . فنبه بذلك شأن الخطابة . واشهر بها الأشراف وكان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال . والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين . وفي المفاخرات . والمنافرات . والوصايا وغير ذلك

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإيملاء والتزويج أن يخطب قائماً أو على
نَشْرٍ ومرتفع من الأرض أو على ظهر راحلته . لا يبعد مدى الصوت . وللتأثير
بشخصه وإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه ولا يغني له عن لوث وعصب العمامة
والاعتماد على مخضرة أو عصاً أو قنّاة أو قوس وربما أشار بأحداها أو يده
وخطباء العرب كثيرون (من أقدمهم) كعبُ بن لؤي (وكان ذا نفوذ عظيم
في قومه حتى أكبروا موته) وذو الإصبع العدواني وهو حرثان بن مُحَرِّث
(ومن أشهرهم) قيسُ بنُ خارجة بن سنان خطيب حرب داحس^(١)
والغبراء . وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار^(٢) وقسُ بن^(٣)
ماعدة الإيادي خطيب عكاظ . وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم
النعمان على كسرى : وهم أكثم بن صيفي وحاجب^(٤) بن زُرارة التميميان
والخارث بن عباد^(٥) وقيسُ بن مسعود^(٦) البكريان وخالدُ بن جعفر^(٧)

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عيس راحته حذيفة بن بدر الفزاري
على أن يسابقه بفروسيه : الخطار والحنفاء ؛ فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق فظلم وجه
الغبراء وكانت سابقة ؛ فهاجت الحرب بين عيس وفزارة ثم بين عيس وذيان لنصرتها فزارة ؛
وفي القصة روايات أخرى (٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي صلى
الله عليه وسلم وكان عمره أربع عشرة سنة . وسميت كذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم (٣) ستأتي
ترجمة قس وأكثم (٤) سيد من سادات تميم وهو الذي وفد على كسرى حين منع تميمًا من ريف
العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وقعد له حاجب بحسن الجوار ؛ وورهن عنده
قوسه على ذلك قبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف
درهم (٥) كثراب كان خطيباً مؤثراً ؛ وشاعراً بليغاً ؛ وله عمل جليل في الحرب التي انتشبت
بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن أعتزلها ؛ وله فيها قصيدة مشهورة منها
برقا مربط النعامة متى لقت حرب وائل عن حبال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريماً عالي الهمة من أفضل العرب حسباً
ونسباً وكانت له القبائل كلها بذلك بل هي وكسرى أيضاً . وكان له حجرة فيها مائة من
الابل لاضيافه إذا نحرمت ناقة قيدت أخرى مكانها (٧) سيد من سادات بني عامر .
خلص قومه من المبودية لفظان بعد أن قتل سيدها زهير ابن جزيمة

وعلقمة بن ^(١) علاثة ، وعامر بن الطقييل ^(٢) العامريون ، وعمرو بن ^(٣) الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب ^(٤) الزبيدي ، والحارث بن ظالم ^(٥) المرمي

﴿ قس بن ساعدة الأيادي ﴾

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروبُ به المثلُ في البلاغة والحكمة كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العُكوف على الأوثان وبرشدهم إلى عبادة الخالق — ويقال إنه أول من خطب على شرف وأول من قال في خطبه « أما بعد » وأول من أتكا على سيف أو عصا في خطابه ، وكان الناس يتحاضرون إليه وهو القائل « البيئنة على من أئعى ، واليمين على من أنكر » ، وسميه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في عكاظ فأتى عليه وعمر قس طويلاً ومات قبيل البعثة — ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ وهي — أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات : وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ونهارٌ ساج وسما ذات أبراج ، ونجوم تزهَر ، وبحار تَزُخَر وجبال مُرساة ، وأرض مُدحاه وأنهار مُجراه ، ان في السماء خبيرا وان في الأرض لعبدا ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون أَرَضُوا فَأَقَامُوا ؟ أم تُرَكُّوا

(١) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالغة والمحافظة على الجوار والمقل الراجع والحسب الراضح (٢) هو ابن عم لبيد الصحابي شاعر متين ؛ وقارس من اشهر فرسان العرب نجدة ابعدهم اسما ؛ ولقد بلغ من شهرته ان قيصر كان اذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين امر فان كانت بينه وبينه رحمة واشتية قر به وأكرمه (٣) وهو ابو السيدة تماضر الحنساء يميل الى الفخر والصراحة في القول ولقد بلغ من تفاليه في ذلك انه كان يأخذ ابنه معاوية وصغرا في المواسم العامة ، يقول أنا ابو خيرني مضر فمن أنكر فلنير فلا يغير ذلك عليه احد (٤) خطيب شاعر وقارس قاهر وصحابي جليل شهد اليرموك والقادسية وأبلى فيها البلاء الحسن على كبر في سنه وضعف في جسمه (٥) كان شبيعا فاتكا وخطيبا شاعرا يميل الى معارقة الخمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله اياه وكثيراً من قومه

فناموا؟ يُقسم قَسُّ بالله قسماً لا إثم فيه ان لله ديناً هو أَرْضَى لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مَنْكَرًا — وَيُرْوَى أَنَّ قَسًّا أَنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بِصَاثِرٍ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَكْبَارَ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِيَ إِلَى مَ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَبْقَنْتُ أَنِّي لَا تَحَا لَهْ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَاثِرُ

﴿ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي ﴾

هو أعرف الخطباء بالأنساب وأكثرهم ضرب أمثال وإصابة رأي وقوة حجة وقل من جراه من خطباء عصره وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ولقد بلغ من إعجابه به أن قال له: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى: وقد عمّر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وجمع قومه وحشهم على الإيمان به، وفي إسلامه روايات، وكان في خطبه قليل المجاز حسن الإيجاز حلو الألفاظ دقيق المعاني مؤلفاً بالأمثال « راجع خطبته في فنّ المناظرات »

﴿ الْكِتَابَةُ ﴾

يراد بالكتابة عند الأدباء صناعة إنشاء الكتب والرسائل وإذ كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدّى بالنقوش المسماة بالخط فأول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ومنه اشتق الخط الفينيقي ومن هذا اشتق الآرامى والمسند بأنواعه: الصفوى والتمودى واللحيانى شمالي جزيرة العرب والحميرى جنوبها

ورواة العرب يقولون انهم أخذوا خطهم الحجازي عن أهل الحيرة والأَنْبار
 أما الكتابة بمعنى انشاء الكتب والرسائل فهي لازمة لكل أمة متحضرة
 ذات حكومة منظمة ودواوين متعددة — وقد كان بعض ذلك موفوراً في ممالك
 التبابعة جنوباً ومأثوراً عن ممالك المناذرة والفساسنة شمالاً ولذلك استعمل الخط
 المسند الحيري عند الأولين من عهد مديد والأَنْباري الحيري عند الآخرين
 وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم ولا من كتب فنونها ودينها غير قليل
 عثر عليه انتقادُ عهد أهلها وعدم استكمال البحث بعد في بلادها .
 ولم يعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتّاب هذه الصناعة إلا « بعدي بن زيد
 العبادي » الذي كان كاتباً ومترجماً عند كسرى

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مضر وبعض القحطانيين
 فكانوا أميين ومن المعتقد أنهم لم يعرفوا الكتابة الانتشائية إلا بعد أن عرفوا
 الخط آخر عصور الجاهلية وهو ما نقل عنهم فيه : أنهم كانوا يكتبون في بدء
 رسائلهم باسمك اللهم ومن فلان إلى فلان وأما بعد — ولم تقم لهم دولة بالمعنى
 السابق إلا بقيام الإسلام فهو الذي أفشى فيهم الخط والكتابة
 ولما كانت عنوم كل أمة لها الأثر العظيم في تكوين فكر الأديب وخيال
 الشاعر وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ناسب شرح ذلك
 ﴿ علوم العرب وفنونها ﴾

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ومن العرب أهل حضارة دلت عليها
 دُوهُم العظيمة وقَدَمُ تاريخهم وآثارهم الخالدة وهم التبابعة في اليمن والمناذرة
 والفساسنة في الشمال وإذا تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المذن والحساب

والطب والبيطرة والزراعة ونحوها معروفة في الجنوب والشمال مدونة في الكتب وان لم يحفظ لنا الدهر صوراً منها — أما البدو منهم وان كانوا أميين يعمقون الصناعات فلا غنى لهم عن تجربة تُرشدهم الى ما ينفعهم ليعرفوا متى تجود السماء وبهم يتميز الأقرباء من البعداء فكسبهم ذلك علم النجوم والطب الضروري والأنساب والأخبار ووصف الأرض والفراسة والعيافة والقيافة والكهانة والعرافة والزجر وقرض الشعر

علم النجوم — هو معرفة أحوال الكواكب — وقد كانوا أبرع في هذا العلم منهم في كل علم سواه تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للإهتمام به في ظلمات البر والبحر ومعرفة أزمدة الخصب والمحل وبعض معارفهم فيه مُستمدّة من الكلدان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب وبنو مرة بن همام الشيباني)

الطب الأنساني والحيواني (البيطرة) وقد عاناه من الغرب كثيرون ومن مشهورهم (الحارث بن كلدة الثقفي وابن حذيم التميمي)

الأنساب — علم تُتعرف به القرابات التي بين بعض القبائل وبعض فتلحق فروعها بأصولها وانما دعاهم الى العناية به حاجتهم الى التناصر بالعصبية لكثرة حروبهم وتفرق قبائلهم وأنفتهم من ان يكون اعراب عنهم سلطان عليهم وحُبهم الافتخار بأسلافهم ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني وزيد بن الكيس النمرى وابن اسان الحمرة) ولهذا كانوا يحفظون أنسابهم الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين وكانوا يعرفون منها

٣٤٠ وصف الأرض - الفراسة - القيافة - الكهانة العرافة - اعتقاد العرب في الكهان الزجر

ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ووقائع أيامهم المشهورة
كقصة الفيل وحرب البسوس وحرب الفجار

وصف الأرض — هو معرفة كل بقعة وما يجاورها وكيف يهتدى إليها
ومن قرأ شعر العرب في نسيهم واطلع على وصفهم وكيف كانوا يحدثون
الحقير منها بحدود قلما تحدّ به مملكة عظيمة عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم
الفراسة : هي الاستدلال بهيئة الانسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله
ورزائله وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ولهم في ذلك نوادر شتى

القيافة : ضرب من الفراسة وهي الاهتداء بآثار الأقدام على أربابها أو
الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل والمرأة
والشيخ والشاب والأعمى والبصير والأحمق والكيس وإذا نظروا عدّة أشخاص
ألقوا الابن بأبيه والأخ بأخيه والقريب بقربيه وعرفوا الأجنبي من بينهم ومن
اشتهر بالقيافة (بنو مدليج وبنو لهب)

الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب وربما خُصّت الكهانة بالأُمور المستقبلية
والعرافة بالماضي وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث
الآتية لما بينهما من المشابهة الخفية — وللعرب في الكهان اعتقاد عريض لزعمهم
أنهم يعلمون الغيب فيرفعون اليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن الرؤى
ويستطبّونهم في أمراضهم ومن اشتهر من الكهان (شق أنمار وسطيح الذئبي)
ومن الكواهن (طريفة الخير وسلي الممدانيه) ومن العرافين (عراف نجد :
الأباق الأسدي وعراف اليمامة رباح بن عجلّة

الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وسائر أحواله على الحوادث

بقوة الخيال والاسترسال فيه ومن أشهر الزجرين : بنو لهيب وأبو ذؤيب الهذلي
ومرّة الاسدي

ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكلة كلبيد بن ربيعة القائل
لعمرك ما تدرى الطوارق بالخصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وكضائي بن الحارث القائل
وما عاجلات الطير تدنى من القتي نجاحاً ولا عن ريثين يخيب
وربّ أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشآتین وجيب
ولا خير فيمن لا يؤطّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
﴿ النظم والشعر والشعراء ﴾

النظم عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً وبراذه الشعر
عندهم — أما المحققون من الأدباء فيخصّصون الشعر بأنه الكلام الفصيح
الموزون المقفى المعبر غالباً عن صور الخيال البديع . وإذا كان الخيال أغلب مادته
أطلق بعض العرب تجاوزاً لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالاً ولو لم يكن
موزوناً مقفياً — ولجزيه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقفية كان تأثيره في
النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور بسطاً وقبضاً وترغياً وترهيباً لا من قبيل اقناع
الفكر بالحجة الدامغة والبرهان العقلي ولذلك يحتمل أثره في إثارة العواطف وتصوير
أحوال النفس لا في الحقائق النظرية ولا ريب أن النفس ترتاع بصور المحسوس
الباهر وما انتزع منه من الخيال الجلي لحفة مؤونته عليها وراحته لها من المعاناة
والكد فكيف إذا انضم الى ذلك نعم الوزن والقافية الشديد الشبه بتأثير الإيقاع
والتسلحين الذي يطرب له الحيوان فضلاً عن الإنسان — والعرب بفطرتهم
مطبوعين على الشعر لبدائهم . وملاءمة يبتهم لتربية الخيال ، فالبدوى لحريته

واستقلاله بأمر نفسه يغلبُ عَلَى أحكامه الوجدانُ ، ويُسلِّكُ إليه من طريق
الشعور ، ومعيشة البدوي فوق أرض نقيّة التربة وتحت سماء صافية الأديم ، ساطعة
الكواكب ، ضاحية الشمس ، تجلّت لحسة مناظر الوجود ، وعوالم الشهود فكان
لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها ، ولا ينضب معينها ، فهم بها في كلِّ وادٍ
وأفاض منها الى كلِّ مراد ، وكان له من لفته وفصاحة لسانه أقوى ساعد ، وأكبر
معاصد . ويشعرُ الانسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر وإن كانت
واسطة بين النثر والشعر ، فليست إلا السجع لما فيه من معادلة الفقر ، والتزام القافية
والميل الى التغني به فكان من ذلك المقطعات والاراجيز الصغيرة ، يحدّون بها
الابل ، ويُعَدِّدُون بها المكارم ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه
أمامهم ، نوّعوا الأوزان وأطالوا القوافي ، وقصّدا القصيد

وقد خفي علينا « كأكثر الأثم » مبدأ قول الشعر ، وأوّل من قاله
أما ما نسب من الشعر الى آدم وابلis والملائكة والجن والعرب البائدة فهو حديثُ خرافة
والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدمُ
مطولاته الى مهلهل بن ربيعة وأقدم مقطعاته الى نفر لعلمهم لم يبعدوا عنه طويلاً
مثل العنبر بن عمرو بن نعيم وذريد بن زيد بن نهد — وأعصر بن سعد بن قيس
عيلان وزهير بن جناب الكلابي والأفوه الأودي وأبو ذؤاد الأيادي
وقد رَوّا أنه لم يكن لأئبل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته
وأن أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه
كليب فهو أوّل من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً وتبعه الشعراء مثل امرئ
القيس وعلقمة وعبيد من أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة
هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ونشأته في الجاهلية — أما ما يتعلق بمادته

وجوهره فانه يرجع الى أغراضه وفنونه ومعانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه وقوافيه
(١) أغراضه وفنونه

نظم العربُ الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر على قلوبهم من فنونه
وأغراضه الكثيرة كالنسيب — ويسمى التشبيب والتغزل — وطريقته عند
الجاهلية يكون بذكر النساء ومحاسنهن وشرح أحوالهن وكان له عندهم المقام
الأول من بين أغراض الشعر حتى لو انضم إليه غرض آخر قُدِّمَ النسيب عليه
وافتنح به القصيد : لما فيه من كنه النفس وارتياح خاطر ولا أن باعته الفذ هو
الحب وهو السر في كل اجتماع انساني والبدو أكثر الناس حباً لفراغهم
والفخر — هو تمدح المرء بمخصال نفسه وقومه والتحدث بحسن بلائهم

ومكارمهم وكرم عنصرهم ووفرة قبيلهم ورفعة حسبهم وشهرة شجاعتهم
والمدح — وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية
كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة وإن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه
وبتعداد محاسنه الخلقية — وشاع المدح عندما ابتدئ الشعر واتخذ الشعراء مهنة
ومن أوائل مدائحهم زهير والنابغة والأعشى

والرثاء : وهو تعداد مناقب الميت وأظهار التفجع والتسلف عليه واستعظام المصيبة فيه

والهجاء — هو تعداد مثالب المرء وقبيله ونفي المكارم والمحاسن عنه :

والاعتذار — هو ذرء الشاعر التهمة عنه والترفع في الاحتجاج على براءته منها
واستيمالة قلب المعتذر اليه واستعطافه عليه : والنابغة في الجاهلية فارس هذه الحلبة

والوصف — هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لاحضاره

في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به

والحكمة والمثل — فالحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً. والمثل

مِرَاة تُريك أحوال الأُم وقد مضت وتقفك على أخلاقها وقد انقضت - فلا مثال
ميزان يوزن به رقي الأُم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولقتها . وأكثر
ما تكون أمثالُ العرب وحكمها مُوجزة متضمنة حُكماً مقبولا أو تجربة صحيحة
تليها عليها طباعها بلا تكلف - راجع فن الأمثال السابق

(٢) معانيه وأخيلته

قصدُ الشاعر من شعره الإيَّانة عما يُخالج نفسه من المعاني في أيّ غرض
من الأغراض السابقة ونحوها . ومن هذه المعاني ما هو عاديٌّ في البدويِّ
والحضرىِّ والعربيِّ والعجميِّ - كالأخبار الصادقة وأوصاف المشاهدات وشرح
الوجدانات كما يليها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق - ومنها ما هو غريبٌ نادرٌ ينزعه
الخيال من المَرثيات البديعة والأشكال المنتظمة وذلك ما يسمَّى بالمعنى المخترع
الذى تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والاكتثار منه وإذا قسنا الشعر الجاهلى بهذا
المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأُمور الآتية .

(١) جلاء المعانى وظهورها ومطابقتها للحقيقة والواقع (٢) قلة المبالغة والغلو
فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع (٣) قلة المعانى الغريبة المنزع الدقيقة
المأخذ المتجلية في صور الخيال البديع والتشبيه الطريف والاستعارة الجميلة والكنائية
الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك (٤) قلة تأنيثهم في ترتيب المعانى والأفكار على
النظام الذى يقتضيه الذوق فيدخلون معنى في معنى وينتقلون من غرض الى آخر
اقتضاباً بدون تخيل ولا تلطف

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمماً بدوية تنظم الشعر بطبيعتها من غير مُعانة صناعة ولا دراسة

علم - غلب على شعرها صراحة القول وقلة المواربة فيه والبعد عن التكلف وصحة النظم والوفاء بحق المعنى - أضيف الى ذلك الأمور الآتية

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعية لها : لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجوه دلالتها (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة واستعمال الألفاظ الغريبة التي هجرت عند المحدثين (٣) القصد في استعمال ألفاظ المجاز ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادراً (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية ، ومثانة الأسلوب بحسن إيراد المعنى الى النفس من أقرب الطرق إليها واطرافها لديها وإيثار المجاز أو قلة الاسهاب إلا إذا دعت الحال

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية وتعرف أصول وضعية وانما كانت تنظم بطبعها على حسب ما يهينه لها انشادها وقد هدتهم هذه الفطرة الى أوزان أرجعها الخليل الى خمسة عشر وزناً سماها بحوراً وزاد عليها الأخفش بحوراً وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض (راجع كتابنا) ميزان الذهب في بحور شعر العرب

وشعر العرب رجزه وقصيدُه يبنى على قافية واحدة كيما طال القول .

❖ الشعراء ❖

شعراء الجاهلية أكثر من أن يحاط بهم . ومن جهل منهم أكثر ممن عرف . وانما اشتهر بعضهم دون بعض : لنُبُوغِه ، أو كثرة المروى من شعره أو قرب عهده من الاسلام زمن الرواية - وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ وسلطان غالب ، اذ كانوا أسنهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم ، وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرفهم (وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت

القبائلُ فهنَّاتُها ، وصنعت الأُطعمة وأتت النساءُ يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لانه حَماية لأعراضهم ، وذَبُّ عن حياضهم وتخليدٌ لمفاخرهم ، وإشادة بذكركم ، وكانوا لا يُهَيِّئُونَ إلا بَغلام يُولد ، أو شاعر يُنْبِغ . أوفرَس تُنْبِغ)

وكانت طريقةُ نظم الشعر ارتجاله فتأتبهم الفاظه عفواً ، ومعانيه رهواً كما وقع للعارض بن حِزْلَة وعمر بن كاثوم . أما من اتخذ منهم صناعةً يستدرّها ويلتمس به الجوائز ، وينشده في المحافل والمواقف العظام فانه يتعمده بالتهذيب والتنقيح ليجعله رقيق الحاشية حسن الدِّيابة يصح أن يقال فيه انه المثل الأعلى للشعر الجاهلي ، كما ترى ذلك واضحاً في حوَلِيَّات زهير واعتذاريَّات النابغة .

وقد غبر الناس دهرأ طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الاغراض الشريفة لا يمدحون عظيمًا طمعاً في نواله ، ولا يهجون شريقاً تشفيًا منه وانتقاماً حتى نشأت فيهم فئة اُمتَهنت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والأمرأ كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر وملوك غسان ، وزهير بن أبي سُلي مع هَرَم بن سنان وأُمَيَّة بن أبي الصلت مع عبد الله بن جُدعان : أحد أجواد قريش والأعشى مع الملوك والسوقة ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله متَجَرأً يتَجَر به فتحامى الشعر الأشرافُ ، وآثروا عليه الخطابة .

(طبقات الشعراء)

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) طبقة الجاهلين (٢) طبقة المُخَضَّرِمين (وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والإسلام (٣) طبقة الاسلاميين ، وهم الذين نشثوا في الاسلام ولم تفسد سليقتهم العربية ، وهم شعراء بني أُمَيَّة

(٤) طبقة المولدين ، أو المحدثين ، وهم الذين نشئوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالمعجم — وذلك من عصر الدولة العباسية الى يومنا هذا والشعراء الجاهليون يُقسَّمون باعتبار شهرتهم في الشعر للاجادة أو للكثرة الى طبقات كثيرة نذكر منها ثلاثاً (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة (٢) الطبقة الثانية ، الأعشى ، وكبيد ، وطرفة (٣) الطبقة الثالثة ، عنترة ، ومحرور بن الورد واليمر بن قلوب ، ودريد ابن الصمة ، والمركش الأكبر ومن الأدباء من يُقدِّم بعض هؤلاء على بعض ويزيدون غيرهم عليهم

(١) امرؤ القيس

هو الملك أبو الحارث حنْجُج بن حُجْر الكِنْدِيُّ شاعرُ اليمانية وآبؤه من أشرف كندة وسلوكها ، وكانت بنو أسد من المضربة خاضعة للملك كندة وآخر ملك عليهم هو حُجْر أبو امرئ القيس وأمه أخت مُهلِل وكَلْب بن نَشْأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد ، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويُعاقر الخرويفًا والفسان فقتله أبوه ولما لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه ، حتى جاء نَبَأُ ثورَان بنِ أسد على أبيه وقتلهم له . لأنه كان يسيِّف في حكمه لهم ، فقال (ضيَّعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً لا يحوُّ اليوم ولا سُكْرُ غداً ، اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ) وأخذ يجمع العدة ويستعجد القبائل في ادراك ثاره فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيراً ثم اشتدت به علة قروح فمات منها ودُفِنَ بآثَرَةٍ وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن شعره — يُعتبر امرؤ القيس رأسَ غول شعراء الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصخب ، وبكاء الديار ، وتشبيه النساء

بالظباء والمها والبيض، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد وترقيق النسب، وتقريب
مأخذ الكلام، وتجويد الاستعارة، وتنويع التشبيه.

وقد يُفحش في تشبيهه بالنساء وتحدثه عنهن، ويُشَمُّ من شعره رائحة النبل
وتلمح فيه شارات السيادة والملك: من ذلك قوله

فظل العذارى يرمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المُقتل
وقوله: وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيء شواء أو قدير معجل

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يُدرك المجد المؤثّل أمثالي
وشعره وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة، وخشونة الالفاظ وتجهّم
المعاني، تراه أحياناً يخطر في محال من حسن الدِّيابة، وبديع المعنى، ودقة النسب
ومقاربة الوصف وسهولة المأخذ: مما كان منه نلّفه أجمل مثال في محاكاة

فمن النوع الاول قوله في معلته

وفرع^(١) يُعشيّ المتن أسود فاحم أثيث كقِنو النخلة المتعشّكل
غدائره^(٢) مستشزرات إلى العلا تفضل المداري في مُثني ومرسل
وكشع^(٣) لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل

(١) الفرع الشعر التام . المتن الظهر . الفاحم الشديد السواد . الاثيث الكثير الغنو
العلق (السباطة) المتعشّكل الكثير الشماريخ الداخل بعضها في بعض . يريد تشبيه شعر محبوبته
بكباسة النخل الكثيرة الشماريخ (٢) غدائره ذوائبه . مستشزرات مرتفعات . تفضل تنيب .
المداري الامتاط ومقردها مدرى (٣) الكشع ما بين الحاصرة الى الضلع الخلف . الجديل
زمام يتخذ من سيور . المخصر الدقيق الحصر . والانبوب ما بين المقديتين من القصب وغيره
والسقي المذلل يعني البردي المسقى الملين بالارواء . يريد تشبيه كشع محبوبته بنظام الناقة المتخذ
من الجلد . وساقها بنباتة البردي المسقية كثيراً .

وتعطو^(١) برخص غير شئن كأنه اساريع ظبي أومساريك إسحيل
ومن الثاني قوله :

كأن عيون الوحش حول خيائنا وأرحلنا الجزع^(٢) الذي لم يشب

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا لدى وكرها العناب والحشف^(٣) البالي

أغرّك مني أن حبك قاتلي وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
ولا مرئ القيس المطولات والمقطعات ، وأشهر مطولاته مملكته المضروب بها
المثل في الاشتهار ، وأولها :

قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(٤)
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتنا من جنوب وشمال^(٥)
ومنها يصف الليل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى^(٦)
فقلت له لما تمطى^(٧) بصلبه وأردف أعجازاً^(٨) وناء^(٩) بكلكل^(١٠)

(١) العطو التناول . الشئن القليظ . الاساريع جمع أسروع وهو دود يكون في البقل
والاماكن الندية . وظي اسم مكان . والاسحل شجرة تدق أغصانها في استواء يشبه انامل
محبوبته بهذا الصنف من الدود أو هذا النوع من اللوايك (٢) خرز أسود يخالطه يياض
(٣) اردأ النر (٤) قال ياقوت قال السكري الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع ما بين
اصرة واسود العين . اصرة مثل أمة منهل من مناهل خليج البصرة . واسود العين جبل بنجد
يشرف على طريق البصرة الى مكة (٥) لم يعف رسمها لم يذهب أثرها . ونسج الرميح على
بقعة اختلافهما عليها جنوباً وشمالاً يعجب من عدم صفاء رسمها للسبب الذي من أجله تمقو الرسوم
وهو اختلاف الرطاح عليها بسلي التراب (٦) كموج البحر في توحشه ونكارة امرء . والمراد
بالسدول الظلمات الشنيعة بالسور (٧) مدظهره (٨) ماخير (٩) مغلوب فأبي بمعنى بمد
(١٠) الكلكل الصدر . والمعنى افراط في الطول

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا آتِجَلِي^(١) بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ^(٢)
فِيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نُجُومُهُ بِكُلِّ مُغَارٍ^(٣) الْفَتْلُ شُدَّتْ يَدْزُبِلِ^(٤)
ومنها يصف فرسه :

وَقَدْ اغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَايَهَا^(٥) بِمُنْجَرِدٍ^(٦) قَيْدًا وَابِدٍ^(٧) هَيْكَلِ^(٨)
مِكْرٍ^(٩) مِفْرٍ^(١٠) مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلُودٍ^(١١) صَخْرَحَلَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ
(٢) النَّاظِقَةُ الدِّيبَانِي

هو الناطقة الديباني أبو أمانة زياد بن معاوية : أحدُ فحول شعراء الجاهلية، وزعيمهم بمسكاظ، وأحسنهم ديباجة لفظ، وجلاء معنى، ولطف اعتذار ولقب بالناطقة لنبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير وهو من أشرف ذبيان إلا أن تكسبه بالشعر غص من شرفه، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صحبته للنعمان بن المنذر، فأذناه منه إلى أن وثى به عند النعمان أحد بطانته فغضب عليه وهم بقتله. فأسر إليه بذلك حاجبة عصام، فهرب الناطقة إلى ملوك غسان المنافسين للمنادرة في ملك العرب، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش في ظلاله، فتنصّل مرامى به. واعتذر إليه بقصائد عطفت عليه قلبه، وعمر الناطقة طويلاً ومات قبيل البعثة شعره بمتاز برشاقة اللفظ ووضوح المعنى، وحسن النظم، وقلة التكلف، حتى عُدَّ عند المُرَقِّين من الشعراء كجبر أنه أشعر شعراء الجاهلية، وأغراه تكسبه

(١) انكشف (٢) افضل . وذلك لاني ألقى المهدوم نهاراً كما أعانها ليلاً (٣) محكم القتل

(٤) جبل بنجد (٥) التوكات أعشاش الطير (٦) ماض في السير (٧) الوحوش (٨) طويل

(٩) السكر الهجوم والفر المروب وفرس مكر مقر عيسدا (١١) الحجر العظيم

بالشعر أن يَفْتَنَ في ضروب المدح — ومن أبلغ شعره معلقاته التي أولها
 عَوْجُوا فَحَيُّوا نَعْمَ دَمْنَةَ الدَّارِ (١)
 أَقْوَى وَأَقْفَرَ مِنْ نَعْمٍ وَغَيْرِهِ هُوجُ الرِّيحِ بِهَا بِي التُّرْبِ مَوَّارِ (٢)
 وَقَفْتُ فِيهَا سَرَاةَ الْيَوْمِ أَسْأَلُهَا عَنْ آلِ نَعْمٍ أَمُونًا عِزَّ أَسْفَارِ (٣)
 فَاسْتَعَجَمْتُ دَارُ نَعْمٍ مَا تَكَلَّمْنَا وَالِدَارِ لَوْ كَلَّمْنَا ذَاتُ أَخْبَارِ
 ومن جيد قوله في الاعتذار:

أَتَانِي (أَيَّتَ اللَّعْنِ) (٤) أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهَمُّ (٥) مِنْهَا وَأَنْصَبُ (٦)
 فَبِتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ (٧) فَرَشْنَ لِي هَوَّاسًا (٨) بِهِ يُعَلَّى فِرَاشِي وَيُقَشَّبُ (٩)
 حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِفَسَاكِ رِيَّةَ وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ الْمَرْءَ مَذْهَبَ
 لَنَنْ كُنْتُ قَدْ بَلَغْتَ عَنِّي جَنَائَةَ (١٠) لَمَبْلَغُكَ الْوَاشِي (١١) أَغْشَى وَأَكْذَبُ
 وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ (١٢) مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادُ (١٣) وَمَهْرَبُ
 مُلُوكُ (١٤) وَأَخْوَانُ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ أَحْكَمُ (١٥) فِي أُمُومِهِمْ وَأَقْرَبُ
 كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنُبُوا (١٦)
 فَلَا تَتَرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلُي بِهِ الْقَارُ (١٧) أَجْرَبُ

(١) عوجوا تفوا . الدمنة ما اجتمع من آثار الديار . النوي الحفر يكون حول الحباء
 يجمع المطر (٢) اقوى واقفر خلا . هوج الرياح جمع هوجاء وهي الشديدة . الهابي السافي .
 موار يجيء ويذهب (٣) سرادة اليوم وسطة . الامون الاته التي يؤمن عثارها . عبر اسفار اي
 عبر عليها فيها (٤) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية : ومنهاها ايت ان تفعل شيئاً تأمن به .
 وكانت هذه تحية ملوك الحنم وبنام (٥) اصبر لاجبا اذا هم (٦) أتعب (٧) الزائرات في المرض (٨) شوكا
 كانه حلك (٩) يخلط (١٠) ذنباً (١١) (التمام) (١٢) الجانب الناحية وأراد به الشام (١٣)
 موضع يتردد فيه لطلب الرزق (١٤) بدل من مستراد ومهرب او مبتدأ بتقدير فيه ملوك
 (١٥) تعرف كيف أشاء (١٦) قال الاصمعي كما غمات انت بقوم قربتهم وأكرمهم فتركوا
 الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنباً عليهم (١٧) القطران

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً ^(١) تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ ^(٢)
وَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبٌ ^(٣)
وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْدَبِ ^(٤)
فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا ^(٥) فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُنْتَبِ ^(٦) فَتُفْلَكُ يَعْنِي ^(٧)

(٣) زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، ثالثُ فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعظمهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمةً ، وأكثرهم بهذياً لشعره نشأ في غطفان وإن كان نسبة في مزينة ، من بيت جلُّ أهله شعراء : رجالاً ونساءً — واختصر زهير بمدح هريم بن سنان الدثياني المزي — وأول ما أعجبه من أمره وحسب إليه مدحه حسنُ سهيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عيس وذيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت

ثلاثة آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته إحدى المملقات السبع التي أولها
أَمِنْ أَمٍّ أَوْفَى ^(٨) دِمْنَةً ^(٩) لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَلَمَّسَلَمْ ^(١٠)
ثم تابع مدحه كما تابع هريم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستعنيا زهير منه ، فكان إذا رآه في ملا قال : أنعيموا صباحاً غير هريم وخيركم استئتميت

(١) منزله ربيعة وشراً (٢) يتطارب (٣) أراد بهذا البيت والذي قبله تسلياً للنعماذ على ما حصل منه من مدحه لآل جقنة (٤) تلمه تصاحبه . والثمت الفساد . المذهب المنقي من العيوب . يعتذر بذلك عن زلته أو المني أي الرجال يكون مبرأ من العيوب فإن قطعت أخوانك بذنب لم يبق لك أخ (٥) جعل غضبه ظملاً لأنه عن غير موجب (٦) رضا (٧) يرضي (٨) امرأة زهير (٩) ما اسود من آثار الدار بالبر والاماد وغيرها (١٠) حومانة الدراج ماء ينجد على الطريق التي بين البصرة ومكة . والمتلهم موضع قريب منه

وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع مُتَدَيِّناً مؤمناً بالبعث والحساب
كما يظهر من قوله :

فلا تكتمنَ اللهَ ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكتمَ اللهَ يَعْلَمُ
يُؤَخِّرُ فيُوضَعُ في كتابٍ فيُدْخَرُ ليومِ الحسابِ أو يُعْجَلُ فيُنْتَقَمُ

وعمر زهير ومات قبل البعثة بسنة — ومن حكمه في معلقته

وأعلمُ ما في اليومِ والأُمسِ قبله ولكنني عن علمِ ما في غدٍ غم
رأيتُ المنايا خبطَ عشواءٍ ^(١) من تُصيبُ ثِمَّتُهُ ومن تُخطئُ يَعْمَرُ فيهِ رَم
ومن يجعلُ المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ يَفِرُهُ ^(٢) ومن لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيُخْلَ بفضله على قومهِ يُسْتَفَنَ عنه ويذَمُ
ومن يُوفٍ لا يذَمُّ ومن يَهْدُ قلبُهُ إلى مطمئنٍ البرِّ لا يَتَجَمَّعُ ^(٣)
ومن هابَ أسبابَ المنايا يَنَلُّه وإن يرقَ أسبابَ السماءِ بسلامٍ
ومن يجعلُ المعروفَ في غيرِ أهله يكنُ حدهُ ذمًّا عليه ويذَمُ
ومن لم يذُدْ ^(٤) عن حوضه بسلَاحه يَهْدَمُ ومن لا يظْلِمِ الناسَ يَظْلَمُ ^(٥)
ومهما تكنَ عندَ امرئٍ من خَلِيقَةٍ ^(٦) وإن خالها تخفى على الناسِ تُعْلَمُ
شعره — اتفق أكثر الشعراء على أن زهيراً يَفْضُلُ صاحبيه امرأ القيس والذئابة
وكان زهير صاحب روية وتَعَمَلُ وتهذيب لما يقول ولا سيما مطولاته ، حتى
قيل انه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويَهْدِي بها في أربعة أشهر ، ويعرضها

(١) الخبط الضرب باليد . والعشواء الناقة التي لا تبصر ليللاً . يريد أن اللنية كالناقة
المشواء تسير على غير هدى فتصيب الناس على غير نسق معروف أو ترتيب محدود (٢) يصنه
ويحفظ (٣) يتزلزل ويضطرب (٤) يدفع ويكف (٥) من اقتبض عن الناس وكف يده عن
الامتداد اليهم رأوه مهيناً ضعیفاً فاستدلوا عليه وظلوه (٦) طبيعة

على خواصه في أربعة أشهر ، فلا يُظهرها إلا بعد حَوْل ، ولذلك يُسمون بعض
مطلولاته الحوليات ، ومما سبق فيه غيره قوله بمدح هرماً :

قد جعل المُبتَغون الخيرَ في هرَمٍ والسائلون الى أبوابه طُرُقاً
من يلق يوماً على عِلاته هرماً يلق الساحة منه والندى خلُقاً
لو نال حيٌّ من الدنيا بمكرمةٍ افق السماء لثالت كفة الاثقا

(٤) عنتره العبسي

هو عنتره بن عمرو بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغريتها وأجوادها
وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة

وكان أمه أمة حبشية تسمى زَيْبَةَ ، وأبوه من سادات بني عبس
وكان من عادات العرب ألا تُلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عِدَاد
العبيد ولذلك كان عنتره عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يرعى له إبله وخيله فرباً
بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشبه فارساً شجاعاً مهماً
وكان يكره من أبيه استعباده له وعدم الحاقه به ، حتى أغار بعض العرب على عبس
واستاقوا ابلهم ، ولحقهم بنو عبس وفيهم عنتره لاستنقاذ الابل ، فقال له أبوه : كُرْ
يا عنتره فقال : العبد لا يحسن السكر إنما يحسن الحلاب والضّر ، فقال كُرْ وأنت
حر ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الابل ، فاستلحقه أبوه . ومن
ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها وطال عمر عنتره حتى ضعف
جسمه وعجز عن شن الغارات ومات قبيل البعثة

شعره -- لم يشتهر عنتره أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه
الفروسية مكتفياً بها حتى عبّره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر فاحتجّ

لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي كانت تسمى المذهبة أيضاً وأولها .

هل غادر الشعراء من متردٍم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١)
وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه . وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده ، معرجا
فيها على أوصاف امور شتى . ومن قوله في معلقته :

لما رأيت القومَ أقبَلَ جمعهم يتذامرون^(٢) كرتُ غيرَ مذمم
يدعون عنترَ والرماحُ كأنها أشطان^(٣) يثر في لبان^(٤) الأذم^(٥)
ما زلت أرميهم بثغرة^(٦) نحره ولبانهِ حتى تَسربَل بالدم
فازور^(٧) من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بَعيرة وتحننم^(٨)
لو كان يذرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مُكلمي
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك^(٩) عنتر أقدم
والخيلُ تقحمُ الخبار^(١٠) عواباً من بين شَيْطمة^(١١) وأجرَد^(١٢) شَيْطَم
أثني على بما علمت قاتني سَمَحَ مُحالطى إذا لم أظلم
فاذا ظلمت فإن ظلمي باسل مرَّ مذاقته كطعم العلقم

ومن جيد قوله :

بكرتُ تخوفني الختوف^(١) سكتي أصبحت عن غرض الختوف بمزول

(١) تروم الرجل ثوبه رقعه و (أم) بمعنى بل والتوهم التفرس ، والمعنى لم يترك الشعراء على شيئاً أصلحه . ثم خاطب نفسه قائلاً هل عرفت دار محبوتك بعد شدة بحتك عنها (٢) يحض بعضهم بعضاً على القتال (٣) الحبال التي يستقي بها (٤) اللبان الصدر (٥) الحصان الأسود (٦) أعلى نحره (٧) مال (٨) العبرة تردد البكاء في الصدر ولتحننهم من سهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له (٩) وى كلمة يقصد منها التعجب والكاف للاخطاب (١٠) الأرض لينة (١١) الفرس الطويل (١٢) الاجرد القصير الشعر الرقيقة (١٣) الختوف الموت

فأجبتُها ان المنيّة مَنهْلٌ ^(١) لا بد أن أُسقى بكأس المنهل
 فاقنّى ^(٢) حياءك لأبالك ^(٣) واعلمي
 ان المنيّة لو تُمثّل مُثَلّتْ مَثَلِي إذا نزلوا بضنك ^(٤) المنزل
 أني امرؤ من خير عبس منصبا شطري ^(٥) وأحى سائري بالمنصل ^(٦)
 وإذا الكتيبة ^(٧) أحجمت ^(٨) وتلاحظت ^(٩) ألفتُ خيراً من مُعَمّ مخول ^(١٠)
 والخيّلُ تَعَلَّمُ والفوارسُ أنّني فَرَقْتُ جمعهم بضربة فيصُلُ
 والخيّلُ ساهمة ^(١١) الوجوه كأنما تُسقى فوارسها تقيع الحنظل
 ولقد أبيتُ على الطوى ^(١٢) وأظله حتى أثال به كريمة المأكَل

(٥) عمرو بن كلثوم

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي . وأمه ليلي بنت مهلهل
 أخى كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية وساد قومه وهو ابن خمس
 عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً وأكثر ما كانت تغلب مع أخيها بكر بن
 وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلاح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد
 ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحة
 في مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة اليشكري)
 وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمر بن كلثوم أن هوى الملك
 مع بكر ، فأنصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر
 من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأم ليلي بنت مهلهل

(١) مشرب (٢) الرمي (٣) كلمة يراد بها التنبيه والاعلام لا الجفاء والشدّة (٤) ضيق
 (٥) نصق (٦) السيف (٧) الطائفة من الجيش (٨) تأخرت عن الاقدام (٩) نظر بعضهم بعضاً
 بمؤخر عينه من شدة الهول (١٠) كريم الاعمام والاخوال (١١) متفيدة طابسة (١٢) الجوع

وأغرَى هنداً أمه أن تستخديمها في قضاء أمر، فصاحت ليلى واذلاًه، فتاربه
الغضب وقتل ابن هند في مجلسه، ثم رحل تَوّاً إلى بلاده بالجزيرة وأنشد معلقته التي أولها:
ألا هي بصحنك^(١) فأصبحنينا^(٢) ولا تُبقي خموراً إلا نُدرينا^(٣)
ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن

شعره : لم يشتهر إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير : لحسن
لفظها، وانسجام عبارتها، وعُلو فخرها ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته
بالشعر : ومن سامى فخره في معلقته

وقد عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ مَعَدَّةٍ	إذا قُبِّبَ بِأَبْطَحِهَا ^(٤) بُنِينَا
بِأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا	وَأَنَّا الْمُهِلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا	وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ رَشِينَا
وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا	وَأَنَّا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدَنَا الْمَاءُ صَفْوًا	وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا	أَيُّنَا أَنْ نُقَرَّ الذِّلَّةَ فِينَا
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا	وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا
بُعَاةَ ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا	وَلَكِنَّا سَنَبْدُ ظَالِمِينَا
مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَا	وَنَحْنُ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا
إِذَا بَلَغَ الرِّضِيعُ لَنَا فِطَامًا	تَخَرُّ لَهُ الْجِبَابِرُ سَاجِدِينَا

(١) الصحن القدح العظيم (٢) استقينا المصباح وهو ما أصبح عندهم من الشراب (٣) قرية
بالشام (٤) الابطح والبطحاء مسيل واسم فيه دقاق الحصى

(٦) طَرَفَةُ بن العبد

هو عمرو بن العبد البكرى أقصر فحول الجاهلية عُمرأ ومال الى قول الشعر والوقوع به في أعراض الناس ، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع انه كان يَتَطَلَّبُ معروفه وجودَه ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفه له فأضطفتها عليه ، حتى اذا ماجاه هو وخاله المتلّس يتعرضان لفضله أظهر لها البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ويخاها في الطريق ارتاب المتلّس في صحيفته فعرج على غلام يقرؤها له (ومضى طرفه) فاذا في الصحيفة الأثر بقتله ، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفه فلم يدركه وقرّ الى ملوك غسان وذهب طرفه الى عامل البحرين وقتل هناك — وعُمره نحو ست وعشرين سنة

شعره — يُجيد طرفه الوصف في شعره مقتصرأ فيه على بيان الحقيقة بعيداً عن التلوّ والاغراق وكذلك كان هجاؤه على شدّة وقعه — ومطلع معلقته
لِحَوَلَةِ^(١) أَطْلَالٍ بِرُوقَةٍ^(٢) مُهْمَدٍ^(٣) تَلُوحٍ^(٤) كَبَاقِي الْوَشْمِ^(٥) فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
ومنها

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ^(٦) لَا يُنْكِرُونَنِي وَلَا أَهْلُ هَازِلِ الْإِطْرَافِ^(٧) الْمُحَدَّدِ
أَلَا أَيُّهَا ذَا الزَّاجِرِ أَحْضَرِ الْوَغَى^(٨) وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي
فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

(١) اسم محبوته (٢) البرقة مكان اختلط ترابه بحجارة او حصى (٣) موضع في ديار بني عامر (٤) تلوح تلعب (٥) النقش على اليد وغيرها بالنيلج وهو المسمى الآن (بالدق) (٦) الغبراء الارض والمراد الفقراء (٧) البيت من الادم (٨) الا ايها الانسان الذي يلومني على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدني ان كفت عنهما

اله أن قال

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ^(١) الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ « مَا أَخْطَأَ الْفَتَى »
مَتَى مَا يَشَاءُ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتَمِهِ
وَمِنْ آيَاتِهِ السَّائِرَةِ

وظلم ذوى القرْبى أشدَّ مضاضة
أبْرى الْمَوْتَ أَعْدَادَ^(٥) النَّفُوسِ وَلَا أَرَى
سَتَبْدَى لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
عَلَى الْمَرَّةِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُنْدِ
بَعِيدًا غَدًا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

(٧) أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القينسي نشأ في بدء أمره
رأوية لحاله المستب بن علس وقد عمى وطال عمره ، حتى كان الأسلام وعظم
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فأعد له قصيدة بمدحه بها ، وقصده
بالحجاز ، فلقبه كفار قريش وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء
ويرجع إلى بلده : لتخوفهم أثر شعره ففعل ، ولما قرُب من اليمامة سقط عن ناقته
فدُقَّت عنقه ومات ، ودفن ببلده مَنفُوحَةً باليمامة

(١) يختار (٢) كرام المال (٣) الطول الجبل الذي يطول للدابة فترعى فيه (٤) الشئ
الطرف والجمع اثناء ، والمعنى اقسم بحياتك ان الموت مدة مجاوزته للفتى بمنزلة جبل طول للدابة
يرعى فيه وطرقاه بيد صاحبه فكما ان الدابة لا تفلت ما دام صاحبها آخذاً بطرفي طولها فكذلك
الانسان لا يهرب من الموت (٥) جمع عدد اي لكل انسان ميتة فاذا ذهبت النفوس ذهبت
ميتهم كلها ، او جمع عد بالكسر وهو الماء الذي لا تنقطع مادته وكل احد يرد

شعره : يُعدُّ الأعشى رابعاً لثلاثة الفحول : امرئ القيس ، والنابغة وزهير
وان كان يمتاز عنهم بفزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطوال الجياد وثمنه
في كل فن من أغراض الشعر واشهر من بينهم بالمبالغة في وصف الحُر ، حتى قيل :
أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى
إذا طرب . ولشعره طلاوة وروعة ، ليست لكثير من شعر غيره من القدماء
ولقوة طبعه وجلبة شعره سُمي صنّاجة العرب حتى ليُخيل اليك اذا أنشدت شعره
أن آخر ينشد معك

ولجلالة شعره كان يرفع الوضيع الخامل ، ويخفض الشريف النابه ، ومن
الذين رفعهم شعر الأعشى المخلق . وقد كان أبا ثمان بنات عوانس : رغبت عن
خطبتين الرجال لفقرهن فاستضافه على فقره ، فمدحه الأعشى ونوه بذكره في
عكاظ ، فلم يمض عام حتى لم تبق جارية منهن إلا وهي زوج اسيد كريم وكان
الأعشى يتطرف في شعره وعده بعضهم من أصحاب المعلقات ، وذكر قصيدته التي
يمدح بها الأسود الكندي ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما تردُّ سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدها لينشدها بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يمدحه فيها فلم يَفز بذلك — وأولها

ألم تَقْنَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا	وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا
وما ذاك من عَشَقِ النِّسَاءِ وَاتِّمَّا	تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائنٌ	إذا أَصْلَحْتَ كَفَايَ عَادَا فُتْسَدَا
شبابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرَوَةٌ	فَلَا هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وقصيدته في مدح المخلق أولها
أرقت وما هذا الشهاد المؤرق ؟ وما بى من سقم وما بى تعشق
ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في اليفاع تحرق
تُشب لمقرورين يضطليانها وبات على النار الندى والمُحلق
رضيعي لبان ندى أم تقاماً بأصحم داج عوض لا تنفرك
ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كمازان متن الهذيانى رونق
يداه يدا صديق فكف ميدة وكف اذا ما ضن بالمال تُنفق

(V) الحارث بن حلزة

هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري يتصل نسبه الى بكر بن وائل
ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة وقصيدته المعلقة التي مطلعها :

أذنتنا بينها أسماء رب ناور يمل منه الثواء

وكان من أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر
وتغلب بعد حرب البسوس وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبنائهم ليكف
بعضهم عن بعض، وليقيد منها للعتدي عليه من المعتدي فحدث أن سرح الملك
ركبا من تغلب في بعض حاجته، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر
فأجلوهم عنه، وحلوم على المفازة فاتوا عطشا، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم
الطريق فتأهوا وهلكوا وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند وكانت ضلعه
مع تغلب فهاج ذلك الحارث بن حلزة وكان في المجالس مستورا عن الملك باستارة
لما فيه من البرص فارتجل قصيدته هذه ارتجالا يفتخر فيها بقومه وفعلهم وحسن

بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه فما أنتم قصيدته حتى انقلب الملك الى جانب
البكرين وقرب الحارث من مجلسه . وعُمر الحارث طويلاً حتى قيل : انه أنشد
هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة

شعره - أكثر الرواة معجبون بارتجال الحارث قصيدته على طولها وإحكامها
ومن قوله فيها وهو أوجز وصف للتأهب للارتجال وأوضحه تصويراً للحقيقة
أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من منادٍ ومن مناجٍ ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء
(٩) ليبد بن ربيعة

هو أبو عقيل ليبد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء المجيدين وهو من
بنى عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن من مضر وأمه عبسية . نشأ ليبد جواداً
شجاعاً فاتكاً . أما الجود فورثه عن أبيه الملقب بربيعة المعتزّين . وأما الشجاعة
والفتك فمما خصلتا قبيلته اذ كان عمه ملاعب الأُسنة أحد فرسان مضر في
الجاهلية وكان بين قبيلته وبين بنى عبس أخواله عداوة شديدة فاجتمع وفداهما
عند النعمان بن المنذر وعلى العيسيين الربيع بن زياد وعلى العامريين ملاعب
الأُسنة وكان الربيع مقرّباً عند النعمان يؤاكله ويناديه فأوغر صدره على العامريين
فلما دخل وفدُهم على النعمان أعرض عنه فشق ذلك عليهم - وليبد يومئذ صغير
يسرح إبلهم ويرعاها فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره فألح حتى أشركوه معهم
فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالسه بعده
ولا يؤاكله فكان ذلك ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً وأكرم العامريين
وقضى حوائجهم فكان هذا أول ما اشتهر به ليبد ثم قال بعد ذلك المقطعات

والمطولات وشهد النأفة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته اتى أولها:
عَفَتِ الدِّيارُ محلُّها فمقامُها بِمَنَى نَأْبَدَ غَوْلُها فَرِجامُها
ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء أليد
في وفد بني عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن إسلامه، وتسلَّك وحفظ القرآن كله
وهجر الشعر حتى لم يرو له في الإسلام غير بيت واحد وهو
ما عاتب الحرَّ الكريمَ كَنَفِسه والمرءُ يصلحه الجليسُ الصالحُ
وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطَّاب واختارها
دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين
من الهجرة ، وقد قيل انه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره - نبغ فيه وهو غلام وجرى فيه على سَنَنِ الأشراف والفرسان
ومن جيد شعره قوله في معلقته مفتخرًا بفعاله وقوله وقومه :

إِنا إِذا التَّقَّتِ المجامعُ لم يَزَلْ	منا إِزَّازُ عَظِيمةَ جِشامُها ^(١)
ومَقَسِّمٌ يَعطى العَشيَرةَ حَقَّها	ومُعَذِّمٌ لِحَقوقِها هَضامُها ^(٢)
فَضلاً وذو كَرَمٍ يَعبينَ على النَّدَى	سَمَحٌ كَسُوبُ رِغائبِ غَنامُها ^(٣)
مِنَ مَعشَرِ سَنَتٍ لَهم آباؤُهم	ولِكلِّ قومٍ سُنَّةٌ وإِمامُها
لا يَطبِئُ عَونٌ ولا يَيبورُ فَعالُهم	اِذ لا تَعمِلُ مَعَ الهَوَى أحلامُها ^(٤)

(١) رجل لزاز الخصوم يصلح لأن يلزمهم أي يقرن ليظلمهم ويقهرهم ، جشم الامر كسبح
تكلفه على مشقة وجشام مبالغة منه أي لا تخلو المجامع من رجل منا يتعلل بقمع الخصوم ويتكلف
لخصام (٢) الغد مرة الغضب ، والهضم الظلم يريد منا الذي يقسم الغنائم فيوفر على الشعار حقوقها
ويتفض ب عند اضاعة شيء منها ويهضم حقوق عشيرته إذا ظلمت وجارت (٣) الرغائب جمع رغبة
وهي العطاء الكثير ، والامر المرغوب فيه ، وفضلا أي يفعل ذلك تفضلا (٤) الطمع تدنس
المرض وتلطخه ، واليوار الفساد ، والاحلام العقول

فأفنع بما قَسَمَ المليكُ قائما قسم الخلائقَ بيننا علامها
واذا الأمانةُ قَسَمَتْ في معشر أوفى بأوفرِ حظنا قُسامها
فبني لنا بيتاً ربيعاً سمكه فسما اليه كلها وعلامها
وهم السُّعاة إذا العشيرة أفضلت وهم فوارسها وهم حكامها^(١)
وهم ربيعٌ للمُجاور فيهم والمرملات إذا تناول عامها^(٢)
وهم العشيرة أن يُعطى حاسد أو أن يميل مع العدو لثامها^(٣)
وقال يرثي أخاه أربد:

بَلِينَا وما تَبَلَى النجومُ الطَّوَالُحُ وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ^(٤)
وقد كنتُ في أكنافِ جارٍ مَضْنَةٍ ففارقني جارٌّ بأربدٍ نافعٍ^(٥)
فلا جَزَعٌ إن فَرَّقَ الدهرُ بيننا فكل امرئٍ يوماً به الدهرُ فاجعُ
وما الناسُ إلا كالديارِ وأهلها بها يوم خلّوها وراحوا بلاقعٍ^(٦)
وما المرءُ إلا كالشَّهابِ وضوئه يحور^(٧) رماداً بعداذ هو ساطعُ
وما المالُ والأهلونُ إلا ودائعُ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
وما الناسُ إلا عامِلان: فعامل يُتَبَّرُ^(٨) ما بيني وآخر رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبه ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ

(١) أفضلت أصيبت بأمر فظيع (٢) ارمل القوم فقد زادهم أي هم لمن جاورهم ولقنساء
اللاتي نفدت أزواجهن بمنزلة الربيع لم يسمو تفهم وأحياتهم أيهم بجودهم (٣) هم متعاضدون كراهية
أن يعطى أحد من نصيب بعض أو سلبهم أن يميل لثامهم إلى الأعداء (٤) المباني من القصور
والحصون (٥) أكناف ظلام ؛ جار مضنة يضن به ويتنافس فيه — بأربد أي هو أربد
(٦) البلقع الأرض القفر والجمع بلاقع (٧) يرجع (٨) يهلك ويهدم

ومنه قوله في النعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاولُ أنحبَّ فيقضى أم ضلال وباطلُ^(١)
أرى الناس لا يدرون ما قدرُ أمرهم بلى كل ذي لبٍّ إلى الله واسلُ^(٢)
ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل تعيم لا تحالة زائلُ^(٣)
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبةٌ تصغرُ منها الأناملُ^(٤)
وكل امرئ يوماً سيعلم غيبه اذا كُشفت عند الإله الحاصل

﴿ الرواية — والرواة ﴾

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروى من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزوة إلى أهل البدو الأُميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها — وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا التزوير اليسير بوجوه مختلفة وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفظ عليها والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دُوَاد الأيادي ، وزُهَيْر راوية أَوْس بن حجر ، والأعشى راوية المسيب بن عَلس

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رُواة الناس للشعار وعلمائهم بالأنساب وهم مَخْرَمَةُ بن ثَوَفل ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وُحَوَيْطِيب بن عبد العزى وعَقِيلُ ابن أبي طالب

(١) السؤال بمعنى الاستفهام والمحاولة استعمال الحيلة . والنحب النذر . اسألوا هذا الحريس على الدنيا عما هو فيه اهو نذر نذره على نفسه فلا بد من فعله ام هو ضلال وباطل من امره (٢) الواسل الطالب والراغب إلى الله — أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها فالعاقل من يتوسل إلى الله بالطاعة والعمل الصالح (٣) كل شيء غير الله تعالى زائل وفائم ومضجع ليس له دوام (٤) التصغير للتعظيم والمراد الميث . والمقصود من الأنامل الاظفار لان صفرتها لا تكون الا بالوت

﴿العصر الثاني عصر صدر الإسلام ، ويشمل بنى أمية ^(١)﴾

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمماً بدوية ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبصر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو زراعة أو صناعة أو سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لاتعدو أغراض المعيشة البدوية إلا أن روحاً من الله تنقسم بين أرجائها فأيقظها من رقدتها ، وتبهرها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغتها وجماعتها ، فظهر ذلك بيماني الاسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الأذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وتميم وغيرها ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ويتفاهموا بلسان واحد . فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم ، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد الا وقد جاء النبي الكريم لأمم لشعبيهم موحداً لكلمتهم ، مهتدٍ بالطباعهم مبيناً طريق الحق . وجادة الصواب . بشرية عظيمة . فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية مليمة وملاك كبير - وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره . وتقشهم شريعة وكلايته ثم خضوعهم بعد لزعة قومه وخافاته وولاتهم وفتحهم تحت أوابهم ممالك الأنكسرة والقيصرة وغيرها

(١) خلفاء بني أمية هم : مدة الخلافة	٧ : سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩)
١ : معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠)	٨ : عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١)
٢ : يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤)	٩ : يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥)
٣ : معاوية بن يزيد (٦٤ - ٦٤)	١٠ : هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥)
٤ : مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥)	١١ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦)
٥ : عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦)	١٢ : يزيد بن الوليد الاول (١٢٦ - ١٢٦)
٦ : الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦)	١٣ : مروان الجمدي (١٢٧ - ١٣٢)

ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة . جدت في حياتهم الفكرية واللسانية ما يمكن إجماله في الأمور الآتية :

الأول — شيوع اللغة القرشية ثم توحيد لغات العرب ، وتمشُّها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها . وبهذه أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم . وظهور ذلك الداعي العظيم منهم . وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم

وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي اللغة الرسمية بين القبائل

الثاني — انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرها بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها

الثالث — اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينياً . وأتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملوك وسكنى الحضرة

الرابع — ارتقاء المعاني والتصورات وتغيير الألفاظ والأساليب

الخامس — ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالي . وأبناء العرب من الفتيات . وبعض العرب المكثرين من معايشة الأعاجم

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ناسب وصفهما . بقليل من كثير مما ينبغي أن يقال فيهما

﴿ القرآن الكريم وأثره في اللغة ﴾

القرآن (كتابٌ أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فيه آيات بينات . ودلائل واضحة . وأخبار صادقة . ومواعظ راتقة . وشرائع راقية . وآداب عالية . ببارات تأخذ بالآليات . وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً

ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها . أو يفكر في محاكاتها فهو آية الله الدائمة . وحُجَّتُه الخالدة . (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميدٍ) أنزل الله على رسوله ليبلغه قومه وهم خول البلاغة . وأمراء الكلام . وأباة الضيم . وأرباب الأنفة والحمية فبهروهم ببيانهِ . وأذهلهم آفتانهُ فاهتدى به من صح نظره واستخفف^(١) عقله . وأطف ذوقه . وصد عنه أهل العناد والمكابرة واللجاج فتحذوهم أن يأتوا بمثله فنكصوا ثم بعشروا مثله فعجزوا . ثم بسورة من مثله فانقطعوا فحق عليهم اعجازه قال تعالى (قل لئن

اعلم أولا ان اعجاز القرآن من جهة اغراضه ومقاصده — فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الأمانة والجلالة ونهاية في الإصابة واطراد الأحكام : فمن تفرغ خاله ؛ وتهذيب بارع وتعليم جامع ؛ وأدب بالغ ؛ وإرشاد شامل وقصص واعظ ؛ ومثل سائر وحكمة بالغة ؛ ووعد وعيد وإخبار بمغيب ؛ الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد

وقد كان غول البلاغة لا يبرز احدهم الا في فن واحد من أنواع القول فن يبرع في الخطابة لا ينج في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ؛ ومن يستعظم منه المعجز لا يستعذب منه النسيب ؛ ولا مر ما ضربوا المثل بأسرى القيس اذا ركب وزهير اذا رغب ؛ والاعشى اذا طرب ؛ والنابغة اذا رهب

ثانياً — من جهة الفاظة واساليبه — فلا تجد منه الا عذوبة في اللفظ ؛ ودماثة في الاساليب تجاذباً في التراكيب ؛ ليس فيها وحشي متنافر ؛ ولا سوقي مبتذل ؛ ولا تعبير عويص ؛ ولا فواصل متعملة ؛ على شيوخ ذلك في كلام المفلتين وأهل الحبيطة المتروين ؛ حتى انك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جلالاً ؛ وتشمله نوراً ؛ وتكسوه روعة وجلالة الى أجال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة ؛ وتسكنية للبربي ؛ وتصريح للاعجمي — وغير هذا مما يقصر عن احصائه الالمام ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام

ثالثاً من جهة معانيه — فانك تجدها من غير معين الرب الذي منه يستقون : لا طراد صدقها وقرب تناوئها واطمئنان النفوس اليها وإبتكارها البديع على غير مثال معهود : من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تمازج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابير وهو في جلته زهرة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي لا تبدل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقض انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً

وللقرآن فضل على اللغة فقد أثر فيها ما لم يؤثره أى كتاب سماوياً كان أو غير سماوى فى اللغة التى كان بها . اذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً . وصانها من كل ما يشوه خلقها ويدوى غضايتها فأصبحت وهى اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التى انطمست آثارها . وصارت فى عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث فيها علوماً جمّة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب . ولم يخطها قلم منها . اللغة . والنحو . والصرف . والاشتقاق . والمعانى . والبديع . والبيان . والأدب . والرسم . والقراءات . والتفسير . والأصول . والتوحيد . والفقه

﴿ جمع القرآن وكتابته ﴾

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْجِماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال فى بضع وعشرين سنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتابَ وحيه بكتابة ما ينزل وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب ، وفى صدور الصحابة محفوظ . وفى مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء فى الأمصار فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوا تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب السور واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قریش لنزوله بلغتهم

﴿ الحديث النبوى ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً وأفعاله وأقواله جميعها مدداً يستمد منه الخلق سدادهم

وإرشادهم في معاشهم ومعادهم ولهذا حرص المسطون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم يوفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رسولها فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن اللغو والباطل وإنما كان في توضيح قرآن أو تقرير حكم أو إرشاد إلى خير أو تنفير من شر أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى

﴿ النثر - لغة التخاطب - الخطابة - الكتابة ﴾

كانت لغة التخاطب في مبدأ الإسلام بين العرب الخُلص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعربة وكانت لغة الموالى الطارئین عليهم تقرب من الفصيحة أو تباعد عنها على حسب طول إقامتهم فيهم أو قصر مقامهم عندهم - ولما فتح المسلمون الأمصار وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية - وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم . أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم . أما سكّان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المحالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجئة . والخاصة منهم تشددوا في المحافظة على سلاقتهم وتحاموا الزواج بالأعجميات وبالغوا في تربية أبنائهم فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدّين والمعلمين - كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأماؤهم اقتداءً بكبيرهم

معاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد . ومن لحن منهم عدوا ذلك عليه عاراً لا يُمحى وُسْبَةً لا تزول . ومن هؤلاء اللحنين عُبيد الله بن زياد والوليد بن عبد الملك وخالد القسري مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم ومن هنا يُعلم السّر في تسرع القوم الى وضع النحو وتدوينه والشكل والاعجام

﴿ الخطابة في هذا العصر والخطباء ﴾

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أيّة أمة : إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية ، وكانت تلك الدعوة تستدعي السنة قوّالّة من أهلها لتأييدها ونشرها والسنة من أعدائها وخصومها لا دحاضها والصدّة عنها . وذلك لا يكون الا بمُخاطبة الجماعات - كان ظهور الاسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عُمَلها وأثارت الخطابة من مكمنها فوق ما كانت عليه في جاهليتها فكان العملُ الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بادئ أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة . ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال . ولذلك كان دُعاة النبي صلى الله عليه وسلم ورسله الى الملوك وامراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمّاهم كلّهم خطباء مصاقع ولُسنا مَقاول وأن الشرع صرّفهم عن اللهو بالشعر الذي لا ينهض باعباء الخطابة ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب بعبارات تفهمها الخاصة والدامة وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مدد أيّما مدد - ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان . وافترقوا الى عراقيين بزعامة علي - وشاميين بزعامة معاوية . ولكل منهم دعوة يؤيّدونها ورغبة يُناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم يُنكَب الاسلام

بمثلها . ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ولا يُشَقُّ غبارهم - وعلى رأس العراقيين شيخُ الخطباء عليُّ بن أبي طالب - وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان - ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يُؤيدون دعوتها بما أتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان

والخطابة وصلت في هذا العصر الى أرقى ما وصلت اليه في اللسان العربي حتى ممن يُعدُّ عليهم اللحن ولم تَسُدَّ العربيةُ بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما سَعِدَتْ به في هذا الصدر الأول . اذ كان القوم ورؤساؤهم عرباً خلصاً يسمعون القول فيتبعون أحسنه

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتِجار العامة والاشتمال بالرداء واختصار المِخْصَرَةِ والخطبة من قيام

وليس في عصور أدب اللغة عصرٌ أحفلُ بالخطباء من هذا العصر : اذ كانت الخطابة فيه سَليسة القيادة على خلفائه وزعمائه : لفطرتهم العربية ومحلم من الفصاحة والبيان وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم

﴿ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

هو أبو بكر عبد الله عتيق بن أبي قحافة عثمان صاحبُ رسول الله وأول الخُلَفاء الراشدين ويجمع نسبُه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُرة بن كعب . ولد بعد مولد رسول الله لستين وبضعة أشهر ونشأ من أكرم قريش خُلُقاً وأرجحهم حِلماً وأشدهم عِفَّةً وكان أعلمهم بالانساب وأيام العرب ومفاخرها - صحب رسول الله قبل النبوة وكان أول من آمن به من الرجال وصدقَه في كل ما جاء به : ولذلك سُمِّي الصديق وهاجر معه الى المدينة وشهد معه أكثر الغزوات وما زال يُنفق ماله

وقوته في معاضدته حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى واختلفت العرب
وارتدت عن الاسلام فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم - وما مات الا وجيوشه تهزم
جيوش الفرس والروم وتستولى على مدائنهم وحصونهم وكانت وفاته سنة ١٣ هـ
ومدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مفعوفاً قوى الحجة شديد التأثير يشهد بذلك
خطبته يوم السقيفة (وذلك انه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه
خليفة له عليهم : فأبى الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم وأبى المهاجرون من
قريش إلا أن يكون منهم واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة فخطبهم خطبة لم
يلبث الجميع بعدها أن يبايعوه خليفة) وهي

حميد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون ، وأول الناس
إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس
ولادة في العرب وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلنا قبلكم وقد مننا
في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) من المهاجرين
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : اخواننا
في الدين . وشركاؤنا في الفئ وأنصارنا على العدو آوئتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً
فنحن الأئمة وأنتم الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا
على اخوانكم المهاجرين ما منحكم الله من فضله

وخطب أيضاً حين بايع الناس البيعة العامة

حميد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست
بمخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسدّدوني

أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

وخطب أيضاً الناس فقال : (بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه

صلى الله عليه وسلم)

أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهذا كم به فإن جوامع هدي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولأه الله أمركم ، فإنه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح ، وأدّى الذي عليه من الحق . وإياكم وأتباع الهوى ، فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب . وإياكم والفخر ! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت ؟ فاعملوا يوماً يوم ، وساعة بساعة ، وتوقوا دعاء المظلوم ، وعُدُّوا أنفسكم في الموق وأصبروا ، فإن العمل كله بالصبر . واحذروا ، والحذر ينفع . واعمَلوا ، والعمل يُقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته واقبموا وتفهموا ، واتقوا ، وتوقوا فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نجى به من نجى قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه ، وما يجب من الأعمال ، وما يكره ، فإني لا آلوكم ونفسي . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله . واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربكم أطلعكم وحفظكم وحفظتم واعتبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم وتعطوا جرائتكم حين فقركم وحاجتكم إليها . ثم تفكروا عباد

الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا في الشقاء أو السعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يُعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً الا بطاعته واتباع أمره فإنه لا خير في خير بئس النار ولا شر في شر بئس الجنة

﴿عمر بن الخطاب رضي الله عنه﴾

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي ثاني خليفة لرسول الله وأول من تسمى من الخلفاء بأمر المؤمنين وأول من أرتخ بالتاريخ الهجري ومصر الأمصار ودون الدواوين

ولد رضي الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة وحضر مع رسول الله الفزوات كلها، ثم لما قبض أكان أباً بكر على تولية الخلافة، ولما أحسن أبو بكر بالموت، عهد بها إليه، فقام بأعيانها خير قيام وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر: من فتح ممالك كسرى وقيصر

وقتل أبو لؤؤة عبد المغيرة بن شعبة: لأنه لم ينصفه على زعمه في تخفيض ما يدفعه لسيده من أجره عمله. وكان قتله سنة ٢٣ هـ - ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وكان رحمه الله من أبين الناس منطقاً، وأبلغهم عبارة وأكثرهم صواباً وحكمة وأرواهم للشعر، وأنقدم له

ومن خطبه خطبته إذ ولي الخلافة

صعيد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس . اني داع فأمنوا اللهم اني غليظ فليتي لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدّعة والنفاق من غير ظلم مني ولا

أعتداء عليهم ، اللهم اني شحيحٌ فسَخِّنِي في نوائب المعروف قصداً من غير سرفٍ ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خَفَضَ الجناح ولينَ الجانب للمؤمنين اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكّر الموت في كل حين ، اللهم اني ضعيف عن العمل بطاعتك فأرزُقني النشاطَ فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الاً بذكرتك وتوفيقك ، اللهم ثبّني باليقين والبر والتقوى وذكّر المقام بين يديك ، والحياء منك وارزُقني الخشوعَ فيما يُرضيك عني ، والمحاسبة لنفسِي ، واصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه والعملَ بذلك ما بقيت ، انك على كل شيء قدير ومن خطبه في ذم الدنيا :

انما الدنيا أملٌ مُخْتَرَمٌ وأجلٌ مُنْتَقِضٌ وبلاغٌ الى دارٍ غيرها ، وسيرٌ الى الموت ليس فيه تعريجٌ فرحم الله امرأً فكّر في أمره ، ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ، بش الجار القتيّ يأخذك بما لا يعطيك من نفسه فان آيبت لم يمدرك ، اياكم والبطنة فانها مكسلةٌ عن الصلاة ومفسدةٌ للجسم ، ومؤديةٌ الى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يُؤثّر شهوته على دينه

﴿ عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشيُّ الأمويّ ، ثالث الخلفاء الراشدين وموجد نسخ القرآن المبين . وُلد في السنة السادسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وآمن في السابقين الأولين ، وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعوثة المجاهدين

وشهد مغازى رسول الله كلها إلا بدرًا — وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة الى ستة هو منهم — تنتخب الامة أحدهم خليفة ، فانتخبوا عثمان فأكمل مغازى عمر ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباه بولاية الأقاليم ، فحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٣ هـ ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا

وكان رحمه الله من بلقاء الخلفاء وأوجزهم لفظًا وأجزلم معنى ، وأساهمهم عبارة ومن خطبه خطبته بعد أن بويع وهى بعد الحمد والثناء
أما بعد فاني قد حملت وقد قبلت ، ألا وإني مُتَّبِعٌ ولستُ بمُبْتَدِعٍ . ألا وان لكم على بعد كتاب الله عز وجل وُسْنَةً نَبِيَّةٌ صلى الله عليه وسلم ثلاثًا : اتباعٌ من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم وُسْنٌ أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملا . والكفَّ إلا فيما استوجبتم — ألا وان الدنيا خضرةٌ قد شهيت الى الناس ومال اليها كثير منهم فلا تركنوا الى الدنيا ولا تنقوا بها فانها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها

ومن خطبه أيضاً وهى آخر خطبة خطبها
أما بعد — فان الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركتموها اليها — الدنيا تقى والآخرة تبقى فلا تبطلنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية فأبروا ما يبقى على ما يفنى فان الدنيا منقطعة وان المصير الى الله ، اتقوا الله عز وجل فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لاتصيروا أحراباً (وأذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)

﴿ على بن أبي طالب - كرم الله وجهه ﴾

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، وابن عم رسول الله وزوج ابنته ورابع الخلفاء الراشدين — ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة، وهو أول من آمن من الصبيان. وكان شجاعاً لا يشق له عبأ. شهد الغزوات كلها مع النبي الأغرزة تبوك، وأبلى في نصرة رسول الله ما لم يبله أحد. ولما قتل عثمان بايعة الناس بالحجاز وامتنع من بيعته معاوية وأهل الشام شيعة بني أمية غضباً منهم لمقتل عثمان ورقلة عناية على بالبحث عن معرفة القتل على حسب اعتقادهم. فحدث من جرأ ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين واقتراهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعل أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج علياً غيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله، وأكثرهم علماً وزهداً وشدة في الحق، وهو امام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: وخطبه كثيرة: منها خطبته كرم الله وجهه بعد التحكيم وهي

الحمد لله وأن أتى الدهر بالخطب الفاسد، والحدث الجلل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره، وإن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله «أما بعد» فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الخيرة وتعميق الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة^(١) أمرى، ونخلت لكم

(١) أي حكومة الحكيم عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري

مخزون رأيي ، لو كان يُطاع لقصير أمر^(١) فأيتهم عليّ إباء المخالفين الجفاة
والمنايدين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضمن الزندقيذحه ، فكنت وإياكم
كما قال أخوه وازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستينوا النصيح الآ ضحي الغد
ومن خطبه له حين خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبايعا له بالخلافة
أيها الناس شقوا أمواج القتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة
وضموا عن تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح هذا ماء آجن
ولقمة يغص بها آكلها ، ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه فان
أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت ، هيهات بعد
اللتيا والى والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدنى أمه ، بل
اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرضية في الطوى البعيدة

﴿ سَحْبَانُ وَائِل ﴾

هو سَحْبَانُ بن زُفَر بن إِيَاد الوَائِلِي ، الخطيب المصنّع ، المضروب به المثل
في البلاغة والبيان ، نشأ في الجاهلة ولما ظهر الاسلام أسلم وتقلب به الأحوال حتى
التحق بمعاوية فكان يُعِيْده للمامات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة
قدم على معاوية وفد فطلب سَحْبَان ليتكلم فقال : أحضر والى عصا قالوا
وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ - قال ما كان يصنع بها موسى وهو

(١) هو مولى جزيمة الابرش وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جزيمة أن لا يأمن
للزياد ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه فقتلته فقال قصير (لا يطاع لقصير
أمر) فذهبت مثلاً

يُخاطب رَبَّهُ - فضحك معاوية وأمر له بإحضارها ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر، مَا تَنْحَنِّحَ وَلَا تَسْعَلَ وَلَا تَوَقَّفَ وَلَا تَلْكَأَ وَلَا ابْتَدَأَ فِي مَعْنَى وَخَرَجَ مِنْهُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى دَرَّهَشَ مِنْهُ الْحَاضِرُونَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ أَلْخَطَبُ الْعَرَبِ : قَالَ سَحْبَانُ : وَالْعَجَمُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَكَانَ سَحْبَانُ إِذَا خُطِبَ يَسِيلُ عَرَقًا - وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ ٥٤ هـ وَبِمَا يُؤْثِرُ مِنْ خُطْبِهِ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاغٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، أَيُّهَا النَّاسُ فَخُذُوا مِنْ دَارِ مَمَرٍ كَمِ لِدَارِ مَقَرٍّ كَمِ . وَلَا تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا حَيَاتُكُمْ وَلِغَيْرِهَا خَلِيقَتُمْ إِنْ الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمْ ؟ قَدَّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ وَلَا تُخَلِّفُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ

﴿ زياد بن أبيه ﴾

هُوَ أَحَدُ دِهَاتِ الْعَرَبِ وَسَاسَتِهَا وَخُطْبَاتُهَا وَقَادَتُهَا - أُمَةُ سُمِّيَتْ أُمَةُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ النَّقْفَى طَبِيبَ الْعَرَبِ وَقَدْ قَرَنَهَا بِعَبْدِ لَهُ رُوْمِيٍّ يَدْعَى عَبِيدًا فَوَلَدَتْ سُمِّيَةَ زِيَادًا عَلَى فَرَّاشٍ عَمِيدٍ هَذَا (فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ) فَتَشَأُ غُلَامًا فَصِيحًا شَجَاعًا فَمَا افْتَتَحَتْ الْعَرَبُ الْمَمَالِكَ وَالْأَمْصَارَ حَتَّى عَرَفَ مِنْهُ ذَلِكَ فَاسْتَكْتَبَهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَالِىَ الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ عُمرَ

وَلَمَّا وَلِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْخِلَافَةِ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَارَسُ فَسَارَ إِلَيْهَا زِيَادٌ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ وَتَمَكَّنَ بِخِدَاعِهِ مِنْ إِيقَاعِ الشَّقَاقِ بَيْنَ رُؤَسَاءِ الْمَشَاغِبِينَ ، وَمَا زَالَ يَضْرِبُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى سَكَنْتْ نَائِرَتُهُمْ ، وَبَقِيَ يَتَوَلَّى لَعْلَى الْأَعْمَالِ حَتَّى قُتِلَ

على فخافه معاوية فأرسل اليه المغيرة بن شعبة يستقدمه فقدم عليه فادّعاه أخاه له واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان وصار يسمّى زياد بن أبي سفيان — بدل زياد بن عبيد — أو (ابن سُمَيّة — أو ابن أبيه)

وولاه معاوية العِراقين وهو أوّل من جُمع له بينهما فسار في الناس سيرة لم بها الشّعث وأقام المعوجّ وكبح الفتنة واشتطّ في العقوبة وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً وكان الشئ يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه بل كان لا يفلق أحد بابه وكان زياد يقول : (لو ضاع جبل بيني وبين خراسان لعرفت أخذه) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عُنف واللين في غير ضعف، المُحسن يُجازى بإحسانه والمُسيء يُعاقب بإساءته) وتوفّي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ

ومن خطبه البليغة خطبته حين قدم الى البصرة وهي :
أما بعدُ فان الجهالة الجَهْلَاء والضلالة العَيَاء والغنى الموقى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماءكم : من الأمور التي يَنْبُت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن الترمدي الذي لا يزول إنه ليس منكم الا مَنْ طرقت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحدّث الذي لم تسبقوا اليه : من ترَككم الضعيف يُقهر والضعيفة المسلوقة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفرق ، ألم يكن منكم نهاية يمنعون الغواة عن دأج الليل وغارة

النهار اقربتم القرابة ، وابعدم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتفَضُّون على
النكر ، كل امرئ منكم يرد عن سفيبه ، صُنْعٌ من لا يخاف عقاباً ولا يرجو
معاداً ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرّم الإسلام ثم
أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانيس الرّيب ، حرام عليّ الطعام والشراب حتى أضغ
هذه المواخير بالارض هدماً وإحراقاً اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح إلا بما
صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، واني لا قسم بالله
لاخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتي يلقي الرجل أخاه
فيقول « انج سعد فقد هلك سعيد » أو تستقيم لي قنائكم ، إن كذبة الأمير
بلقاء مشهورة ، فاذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ، وقد كان بيني
وبين قوم إحش فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، اني لو علمت أن أحدكم قد
قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتي يبدي لي
صفحته ، فاذا فعل ذلك لم اناظره ، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب
مبتئس بقدمونا سيئس ، ومسرور بقدمونا سيبتئس ، أيها الناس انا قد أصبحنا لكم
ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بني الله الذي
خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا
فاستوجبوا عدلنا وفيتنا بمناسحتكم لنا

﴿ الحجاج ﴾

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي أحد جبابرة العرب وساستها ومؤيد ملك
بني أمية ، وأحدُ البلاغ والخطباء المصاقع ولد سنة ٤١ هـ

وخدم الحجاج بولايته عبد الملك بن مروان ، وابنيه الوليد وسليمان حتى كان

ملكه ما بين الشام والصين ومات سنة ٩٥ هـ في عهد سليمان في مدينة واسط بالعراق وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجّة ، قال الأصمعي أربعة لم يَلَحَنُوا في جِدٍّ ولا هزل ، الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القُرَيْبَة : والحجاج أفصحهم — ومن ما أثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وأرسالها الى بقية الأمصار — ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق فانه دخل المسجد مُعْتَمِلاً بهامة قد غطى بها أكثر وجهه مُتَقَلِّداً سيفاً مُتَنَكِّباً قوساً يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قَبِّحَ اللهُ بَنِي أُمِيّة حيث تَسْتَعْمَلُ مثل هذا على العراق فلما رأى عُيُونَ الناسِ اليه ، حَسَرَ اللّثامَ عن فيه ونهض ثم قال :

أنا ابنُ جِلا وطلائعُ الثّنايا متى أضعُ العِمامةَ تَعْرِفُونِي

ثم قال : يا أهل الكوفة اني لأرى رؤوساً قد أَيْنَعَتْ وحانَ قِطَافُها واني لأصاحِبُها وكأني أنظر الى السماء بين العمام والّحي — ثم قال :

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَ

قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بِمَعْصَلِي أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى

مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

قَدْ شَعَرْتُ عَنْ سَاقِبَا فَشُدُّوا وَجَدَّتْ الْحَرْبُ بِكُمْ فُجِدُّوا

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ

إني والله يا أهل العراق ما يُتَمَقَّعُ لي بالشَّانِ ولا يُعْمَزُ جانبي كَتَمَازِ التَّينِ ولقد
فُرِرتَ عن ذِكَاءٍ وَفُتِّشتَ عن نَجْرِيَّةٍ — وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ثَبَرَ
كِنَانَتِهِ بين يديه فَعَجَمَ عِيدَانَهَا فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مَكْبِرَافَ فرماكم بي
لأنكم طالما أَوْضَعْتُمْ في الفِتْنَةِ واضطجعتُم في مرأقد الضلال والله لأُحْزِمَنَّكُمْ حَرَمَ
السَّلَامَةِ ^(١) ولا أُضْرِبَنَّكُمْ ضرب غرائب ^(٢) إلا بِلَ فأنكم لكاهلِ قريَةٍ كانت آمنة
بمطمئنة يأتيا رِزْقها رَغْدًا من كل مكان فكفَّرتْ بأنعم الله فأذاقها الله لباسَ
الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . واني والله ما أقول إلا وَفَيْتَ ولا أَهْمَ إلا
أَمْضَيْتَ ولا أَخْلَقُ ^(٣) إلا فَرِيتَ ^(٤)

وإن أمير المؤمنين أمرني بأعْطَائِكُمْ أعْطِيَاتِكُمْ وأن أَوْجَّهَكُمْ لمحاربة عدوكم مع
المُهَلَّبِ ^(٥) بن أبي صَفْرَةَ — واني أقسم بالله لا أجِدُ رجلاً تَخَلَّفَ بعد أخذ عَطَائِهِ
بثلاثة أيام إلا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ

﴿ طارق بن زياد ﴾

هو أحد قواد جيوش الوليد بن عبد الملك . كان خطيباً مصقفاً وبطلاً
مقدماً ، بعيد الهمة يعشق المجد وتصبو نفسه إلى الفتوحات . خرج من المغرب
سنة ٩٢ هـ باثني عشر ألف جندي من مواطنيه يقاوم أسطول قوى قد جُهِزَ لذلك
وعبر البحر إلى اسبانيا لفتحها ، فلما علم رودريك ملكها بقُدوم المسلمين إلى بلاده
قابلهم بجيش عظيم هالت طارقا كثرة عدده وكَمال عدده . فبادر وأحرق أسطوله

نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تمسب أغصانها ثم تحتبظ بالمصى لسقوط الورق وهشيم
اليدان (٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب (٣) أقدر (٤)
قطعت (٥) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد
لخوارج ومبتدع الركب الجديد

ليقطع أمل أصحابه في الرجوع وقال لهم « أيها الناس الخ » فاندفعوا على الاسبان اندفاع اليأس وهزمهم شر هزيمة . ثم والى طارق فتوحاته في إسبانيا حتى قبض على رودريك آخر ملوك الفيزيغوط بها وقتله سنة ٩٤ هـ وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد الى دمشق الى أن مات سنة ١٠١ وها هي خطبته

أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصديق والصبر . واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأذبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته مؤفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم ، وتعوّضت القلوب من رعبها عنكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية ، فقد ألقى به اليكم مدينته الحصينة . وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن أن سمحتم لأنفسكم بالموت واني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا سمحتمكم على خطئة أرخص متاع فيها النفوس — أبدأ بنفسي . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالألف طويلاً . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي — وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العيمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهاراً واختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دين المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا أني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وأنى عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسني

على طاعة القوم « لَذَرِيْقَ » فَقَاتِلْهُ اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . فاحملوا معي فان هلك
بعده فقد كُفَيْتُمْ أَمْرُهُ وَلَمْ يُؤْزَكُمْ بِطُلْ عَاقِلٍ تَسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ ، وَاِنْ هَلَكْتَ
قَبْلَ وَصُولِي إِلَيْهِ فَاخْلُفُوْنِي فِي عَزِيْمَتِي هَذِهِ وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاكْتَفُوا لَمْ مِنْ
فَتَحْ هَذِهِ الْجَزِيْرَةَ بِقَتْلِهِ

﴿ الكتابة خطية وانشائية ﴾

الكتابة الخطية — كان الخطُّ في مبدأ ظهور الإسلام هو الخط الأنباري
الحِجَري ، المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازي ، وهو أصل النسخ . وكان
يكتب به التزُّنُّ اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة . فلما انتصر
النبي صلى الله عليه وسلم على قريش في يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض
الكتاب ، فقبل الفداء من أَسْيِيهِمْ — وفادى الكتاب منهم بتعليم عشرة من
صبيان المدينة . فانتشرت الكتابة بين المسلمين وحضَّ النبي على تعلمها — ومن
أشهر كتَّاب الصحابة زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . ولما فتح المسلمون الممالك ونزلات جُمُهرَةُ الكُتَّاب
منهم الكوفة عَنُوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله حتى صار خطُّ أهل
الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط الحجازي واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفي)
وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أُمِيَّة يكتبون بلا اعجام ولا شكل إلا قليلاً
اعتماداً منهم على معرفة المكتوب اليهم باللغة واكتفاهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ
فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم وظهر اللحن والتحريف في الألسنة أشفقَّ
المسلمون على تحريف كَلِمِ الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلي علاماتٍ
في المصاحف « بصَبْغٍ مُخَالَفٍ » فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف والكسرة

نقطة أسفله والضمّة نقطة من الجهة اليسرى وجعل التنوين نقطتين — وكان ذلك في خلافة معاوية

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الأعجام بنفس المداد الذي يكتب به الكلام وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ثم شاع في الناس بعد

﴿ الكتابة الانشائية قسمان كتابة رسائل ودواوين وكتابة تدوين وتصنيف ﴾
١ — (كتابة الرسائل والدواوين)

كان زعماء العرب وفصحاؤهم كلهم كتاباً يُنْشِئُونَ بملكهم ولو لم يخطا يمينهم فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يملون كتبهم على كتابهم بعبارتهم وبعضهم يكتبها يده — ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى انشاء الدواوين لضبط ذلك . فكان عمر أول من دَوَّن الدواوين — وكان كُتِّب الرسائل للخلفاء وعماهم إما عربياً أو موالياً يُجيدون العربية — أما كُتِّب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهله يكتبون بلغتهم — ولما نبغ من العرب من يحسن عملهم حُوِّلَتْ هذه الدواوين الى العربية زمن عبد الملك بن مروان والوليد ابنة وجري خلفاه بنى أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأُمَراء من الخلفاء الراشدين ثم لما اتسعت رقعة المملكة وقوت أمور الدولة ازدادت الأعمال وشغل الخلفاء عن أن يَلُووا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم ، عهدوا بها إلى كبار كتابهم — وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية وهي لغات ام ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم — ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد

الواضعين لنظام الرسائل ، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذي آلت اليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأموية

﴿ مميزات الكتابة الانشائية ﴾

وتتمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية :

- (١) الاختصارُ في أغراضها على القدر الضروري . والاقتصار في معناها على الالمام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل . واستعمال الألفاظ الفعلة والعبارات الجزلة . والاساليب البليغة اذ كان الكاتب والمكتوب اليه عربياً فصحاء
- (٢) مراعاة الإنجاز غالباً الا حيث يستدعى الحال الإِسهاب — وبقي الامر على ذلك حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية ، فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات في أوّلها ، وسلك طريقه مَنْ أتى بعده

﴿ الكتاب ﴾

كُتِبَ هذا العصر كثيرون ، فقد كانت الخلفاء والامراء والقواد كلهم كتاباً بلغاء . ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم : واشتهر من بين هؤلاء

﴿ عبد الحميد بن يحيى الكاتب ﴾

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري الشامي شيخ الكتاب الأوائل كان عبد الحميد في أوّل أمره معلّم صبيان حتى قُطِنَ له مروان بن محمد أيام توليته أرمينية فكتب له مدة ولايته حتى اذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة سجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد فقال له مروان لم لا تسجد ؟

فقال ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ، — قال إذا تطير معي
قال الآن طاب لي السجود وسجد ، فاتخذوه مروان كاتب دولته

لما دَهِمَتْ مروانَ جيوشُ خُرَاسان أنصارُ الدعوة العباسية ونالت عليه
الهزائم كان عبد الحميد يلزمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان قد احتجبت أن
تصيرَ مع عدوِّي وتظهرَ الغدرَ بي ، فإن اعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك
يُجَوِّبُهُم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفغي في حياتي والآن لم تعجزِ
عن حفظ حُرْمِي بعد وفاتي — فقال له : ان الذي أشرت به عليّ أنفعُ الأمرين
لك وأقبحُهُما بي . وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك وأنشد :
أُسِرُّ وفاءً ثم أظهِرُ غَدْرَةَ فَمَنْ لِي بِعَذْرِ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرُهُ
وبقي معه حتى قُتِلَ مروان سنة ١٣٢ هـ وأُخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ

﴿ منزله في الكتابة ﴾

هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل وذلك أنه أوّل من مهّد
سبيلها ، وميّزَ فصولها ، وأطالها في بعض الشئون ، وقصّرها في بعضها الآخر
وأطال التّحميدات في صدرها وجعل لها صوراً خاصّةً بيّنها وختمها على حسب
الاعراض التي تكتب فيها — ويقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني
العباس كتب إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمّنه ما لوقريّ لا دُيّ إلى وقوع
الخلاف والفشل ، وقال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدييره فإن يك ذلك
والآن فالهلاك . وكان الكتابُ لكبير حجمه يحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب
إلى داهية خراسان أبي مسلم أمر بأحرقه قبل أن يقرأه وكتب على جُذاذة منه
إلى مروان

عما السيف أسطار البلاغة وانتجى عليك ليوث الغاب من كل جانب

٣ — التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ولم يدون فيه كتاب الا ما كان من أمر كتابة المصحف . وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فاذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا الى الخلفاء وفقهاء الصحابة ثم لما انتشر الاسلام زمن بني أمية واختلطت العرب ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي وفشا اللحن وأشفقوا على القرآن من التحريف وعلى اللغة من الفساد دونوا النحو وكان أول من كتب فيه أبو الأسود الدؤلي وقد تلقى مبادئه عن الامام علي — وأخذ عنه فتیان البصرة وخصوصاً الموالى إذ كانوا أحوج الناس الى النحو واشتغل أهل الكوفة به بعد أن فشا بالبصرة ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين — ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والذحل وكثرت الفتاوى والرجوع فيها الى الرؤساء ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ويتركوا سنة رسول الله فأذن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابي بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث — وانقضى هذا العصر ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير . أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد ابن معاوية حبيب اليه مطالعة كتب الأوائل من اليونان فترجمت له ونبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن شربة من صنعاء فكتب له كتاب « الملوك وأخبار الماضين » . وان وهب بن منبّه الزهري وموسى ابن عتبة كتباً في ذلك أيضاً كتباً . وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب

قبائل العرب . وأن ماسرجويه متطّلب البصرة تولى في الدولة المروانية ترجمة كتاب أهرؤن بن أعين من السريانية الى العربية وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتاباً في الاغانى ونسبها الي من غني فيها - ولم يبلغ التصنيف شأواً يذكر

﴿ الشعر والشعراء في هذا العصر ﴾

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأنام بالامر العظيم والحادث الخطير ، حاملاً باحدى يديه القرآن يدعو الناس الى توحيد الله والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدّ ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما . فهبوا يتحسّسون الاول ويتمرّسون أساليبه ومعانيه ويتفّسون ألقاظه ومغازيه ، ما بين معاند يتلّس مطعناً فيه ، ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهبوا للثاني : ما بين ضال يناوئه ، ومهتد يعاضده ، فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر محولاً مجزى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المتحرقة عن سنن الشرف والحق . وبغض اليهم تلك الفنون المردولة ازراه القرآن على الشعر بقوله (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كلّ واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن

ولبت الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم ، حتي اذا ما ناروا لاسكان قن أهل الردة وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا الى ما ألفوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المارك ، وأحوال الحصار وآلات القتال ولما آل الامر الى بني أمية وشغبت عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعراء لنا

يعبر عن مقاصد كل حزب، حتى أصبح حرفة عتيقة، وصناعة جديدة ومورد ثروة وأصبحت دراسته ونقده وروايته ذأب العلماء والادباء حتى الخلفاء وأولياء عهدهم ويمكن وصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراته وعباراته بما يأتي :

﴿ أغراض الشعر وفنونه ﴾

- (١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتّباعه وخاصةً زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين :
- (٢) التحريض على القتال ووصفه والترغيب في نيل الشهادة رفعاً للكلمة الله، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها
- (٣) الهجاء — وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حدّ المروءة، وبما رضىه النبي من حسان شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف. وكان يتحرّج عنه المسلمون ولو بالتمريض زمن النبي وخلفائه: ولذلك عاقب عمرُ أمير المؤمنين الحُطَيْيئة وهدّده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين : ثم صار يُتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر وإن لم يصل في الإقذاع والفُحش الى الحدّ الذي وصل اليه في العصر الآتي — ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والاختل :
- (٤) المدح — وقلمًا كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ونشر الحق على يديه . وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تُزهِى به نفوسهم تواضعاً ثم استرسل الشعراء فيه وقيل ذلك منهم الخلفاء الى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاية والإشادة بعظمتهم

﴿ معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه ﴾

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوّرهم وتخيّلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيراً في ترتيب الفكر وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان. بما هذب نفوسهم ورقّق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله — وكذلك لم يتخرّجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومثانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية. وأنما آثروا جزالة اللفظ وفخامته ومؤلفته لسابته ولا حقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومثانته وروعة تأثيره ولا سيما أهل النسيب : — ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدثٌ غير ما عُرِف عنه في الجاهلية وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز والتطويل فيها . واستعملها في جميع أغراض القصيد . حتّى في افتتاحها بالنسيب والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك

﴿ الشعراء ﴾

شعراء هذا العصر ممن خلّصت عربيتهم واستقامت ألسنتهم ولم يمتد إليهم اللحن — ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحةً وبلاغةً وإحكاماً واتقاناً حتّى فضّلهم بعض الرواة على سابقهم من الجاهليين — ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير والخنساء والحطيئة وحسان ابن ثابت والناطقة الجعدي وعمر ابن أبي ربيعة والاختل والفرزدق وجربير والكميت وجميل وكثير ونصيب والراعي ودو الرمة

(١) كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ومادح النبي الأمين ولما ظهر الاسلام ذهب أخوه مجيّر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب

كعب لاسلامه وهجاء وهجا رسول الله وأصحابه فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجيئ إلى النبي مسلماً تائباً فهام كعب يتراعى على القبائل أن تجبره فلم يجزه أحد فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضي الله عنه بالمدينة وتوسل به إلى الرسول فأقبل به عليه وآمن وأنشده قصيدته المشهورة بانث سعاد فقلبي اليوم متبولٌ مُتَمِّمٌ إِرْهًا لم يُفَقَدْ مَكْبُولٌ

فخلع عليه النبي بُردته فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بمشرين ألف درهم . ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً . ومات سنة ٢٤ هـ

شعره — كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وُعُلو الكعب في الشعر، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول لولا قصائد زهير ما فضلت على ابنة كعب، وكفاه فضلاً أن الحُطَيْثَة مع ذائع شهرته رجاء أن يُنَوِّه به في شعره فقال :

فَنَ لِلْقَوَايِ شَانَهَا مِنْ يَحْوُكَهَا إِذَا مَا مَضَى كَعْبٌ وَفُوزَ جَرَّوَلٌ
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ بَانْثَ سَعَادَ :

وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ	لَا إِلَهِيَّكَ أَنِي عَنْكَ مَشْغُولٌ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي «لَا أَبَالِكُمْ»	فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ	يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٌ
أَنْبَثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي	وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً	قِرَآنٌ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ	أَذْنُبْ وَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

ومن قوله :

لو كنت أعجبُ من شيءٍ لا عجبني سعى الفتي وهو محبوبٌ له القدرُ
يسعى الفتي لأُمورٍ ليس يُذكرُها والنفسُ واحدةٌ والهمُّ منتشرُ
فالمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا ينتهى العمرُ حتى ينتهى الأثرُ
ومن قوله أيضاً :

ان كنتَ لا ترهبُ ذِمِّي لما تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخشَ سكوتي اذ أنا منصتٌ فيك لِمَسْمُوعِ خُنا القاتلِ
فالسَّامعُ الذِّمُّ شريكٌ له ومطعمُ المأكولِ كالآكلِ
مقالةُ السُّوءِ الى أهلها أسرعُ من مُنحدرِ سائلِ
ومن دعا الناسَ الى ذِمَّةٍ ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

﴿الخنساء﴾

هي السيدةُ ثَمَارُ خُنَيساءَ بنتُ عمرو بنِ الشَّرِيدِ السُّلَمِيَّةِ ، أرقى شاعرة العرب ، وأحزن من بكى وندب

كان أبوها تمرُّ ، وأخوها : معاوية وصخر ، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فارَسُ جُشَمَ ، فرغبت عنه ، وأثرت الزوج في قومها فترزجت منهم . وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قُتِلَ شقيقها معاوية ثم أخوها لا يها صخر ، جزعت عليهما جزعاً شديداً ، وبكتهما بكاءً مرّاً ، وكان أشد وجداً على صخر : لأنه شاطرهما في وزوجها أمواله مراراً ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يُعجِبُ شِعْرُها وَيَسْتَنْشِدُها ويقول هِيَ يا خُنَيسُ ، ويؤمُّ يده

وما فَيَّاتَتْ تَبْكِي صَخْرًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ حَتَّى عَمِيَتْ . وَبَقِيَتْ إِلَى أَنْ
شَهِدَتْ حَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ مَعَ أَوْلَادِهَا الْارْبَعَةِ . فَأَوْصَتْهُمْ وَصِيَّتَهَا الْمَشْهُورَةَ وَحَضَّتْهُمْ
عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ الزَّحْفِ فَقَتَلُوا جَمِيعًا . فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَفَنِي بِقَتْلِهِمْ . وَلَمْ
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ حَزْنَهَا عَلَى أَخَوَيْهَا . وَتُوفِيَتْ سَنَةَ ٢٤ هـ

شعرها — أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها
أشعرَ منها . ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء وكان بشار يقول
لم تقل امرأة شعراً الا ظهر الضعف فيه فقليل له وكذلك الخنساء فقال تلك التي
غابت الفحول — ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام
فذلك النابغة الذياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :
قَذَى بِمَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ (يعني الأَعشى) أَنَشَدَنِي قَبْلَكَ لَقُلْتُ إِنَّكَ أَشْعَرُ مَنْ
بِالسُّوقِ . وَسُئِلَ جَرِيرٌ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ قَالَ أَنَا لَوْلَا الْخَنْسَاءُ ، قِيلَ فِيمَ فَضْلُكَ
قَالَ بِقَوْلِهَا

إِنْ الزَّمَانَ (وَمَا يَفْنَى لَهُ عَجَبٌ) أَبْقَى لَنَا ذَنْبًا وَاسْتَوْصَلَ الرَّاسُ
إِنْ الْجَدِيدِينَ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

ومن جيد شعرها ترى أخاها صخرًا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخَرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرَى الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَا دُ سَادَ عَشِيرَتِهِ أُمْرَدَا
إِذَا الْقَوْمَ مَدَّوْا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا

فقال الذى فوق أيديهمُ من المجد ثم اتعَى مُصْعِدا
يُحْمَلُهُ القومُ ما عالمُ وان كان أصغرهم مولدا
وان ذُكِرَ المجد ألفيته تأزَّرَ بالمجد ثم ارتدَى
ومن قولها ترثيه أيضاً :

ألا يا صخرُ إن أبكيتَ عيني فقد أضحكتنى زمناً طويلاً
دفعتُ بك الخطوب وأنت حيٌّ فمن ذا يدفع الخطبَ الجليلاً
إذا قبَّحَ البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسنَ الجليلاً
ومن بديع قولها :

يذكرنى طلوعُ الشمسِ صخراً وأذكره لكل غروب شمس
فلولا كثرةُ الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عَجُولا ونائحة تنوح ليوم نحس
هما كلتاهاما تبكى أخاها عشيّة رُزْئِهِ أو غِيبِ أَمْس
وما يبيكين مثل أخى ولكن أسلَى النفس عنه بالتأسى
فقد ودعت يوم فراق صخر أبى حسانَ لذاتى وأنسى
فيا لهمني عليه ولهف أُمى أبيضج فى الضريح وفيه يُمسى
(٣) الحُطِيطَةُ

هو أبو مليكة جرّول الحطيطه العبسى — نشأ كما قال الأصمعي جشعاً سؤولاً
مُلْحَقاً دنىء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلاً قبيح المنظر رث الهيئة مغموز
النسب فاسد الدين — وعاش الحطيطه مدّة فى الجاهلية وجاء الاسلام فأسلم ولم يكن
له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاش متنقلاً فى القبائل يمدح هذه تارة

ويندم تلك أخرى . وينتسب الى عبس طوراً وطوراً الى ذهل ويهجو اليوم من
يمدحه بالامس — وكل قبيلة تخطب وُدّه وتتقي شرّ لسانه حتى أن أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب حبس الحطية فما زال يستشفع اليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه
وهذّده بقطع لسانه ان هجا أحداً واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم
ولكنه نكث وأوغل في الهجاء بعد موت عمر وبقى كذلك حتى مات أوائل
خلافة معاوية

شعره — لولا ما وُصِم به الحطية من خسة النفس ودناءة الخلق وجهالة النسب
لكان باجاده في كل ضرب من ضروب الشعر شاعراً مخضرمين على الاطلاق
الا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله ولا للشرف . وقلماً يوجد في كلام الحطية
مظنة ضعف أو مغمز لغاض من ركة لفظ أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية
ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار قوله

يسوسون أحلاماً بيمداً أناها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدا
أقلوا عليهم (لا أبا لا يكم)	من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا	وان عاهدوا أو قوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها	وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
مطاعين في الهيجم كاشيف للدجى	بنى لهم أباؤهم وبنى الجد
ويعذلنى أبناء سعد عليهم	وما قلت إلا بالذى علمت سعد

ومن أبياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ	زغب الحواصل لا ماله ولا شجر
أليت كاسبهم في قعر مظلمة	فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها أكنّ لا أنفسهم كانت بك الخير
(حسان بن ثابت)

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري شاعرُ رسول الله وأشعر شعراء
المحضرين . وهو من بني النجار من أهل المدينة — نشأ في الجاهلية ونَبّه شأنه
فيها — ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأسلم الأنصار . أسلم معهم
ودافع عنه بلسانه كما دافع عنه قومه الأنصارُ بسيوفهم
وعاش حسان بعد رسول الله مُحبباً إلى خلفائه مرضياً عنه وعُمر قريباً من
١٢٠ سنة — وبقي أكثر حياته ممتعاً بحسه وعقله . حتى وهن جسمه في أواخر
عمره وكفّ بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ

شعره — كان حسان شاعر أهل المدّر في الجاهلية وشاعر الإيمان في الإسلام
ولم يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه — ولذلك
رمى مشركي قريش من لسانه بالدّاهية التي لم يكن لهم قبلُ بها فأوجعهم وأخرسهم
من غير فُحش ولا هُجْر ولما أذن له النبي في هجائهم قال له كيف تمّ جؤهم وأنا منهم . قال :
أسلّك منهم كما تُسلّ الشجرة من العجين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً
بالمسجد ويسمع هجاءه في أعدائه ويقول (أجب عني اللهم أيّده بروح القدس) وكان في
شعر حسان زمن الجاهلية شدّةً وغبابةً لفظ فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه وكثُر
ارتجاله الشعر لأن شعره وسهل أسلوبه — ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تقلّدنا العشيرة أمرها ونسود يوم النّائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاح سادّة ويصيب قائلنا سواء المفصل

وَنَحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمِهْمَ خَطَايَةً فِيهِمْ وَتَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلٍ
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رَكَابُنَا وَمَتَى نُحْكِمُ فِي الْبَرِيَةِ نَعْدِلُ
وَمِنْ شَعْرِهِ فِي الْإِسْلَامِ يَفَاخِرُ وَفَدْتُمِمْ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَنْ الدَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَانِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا سُنَنًا لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
مَسْجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ أَنْ الْخِلَاقَ (فَاعِلٍ) شَرُّهَا الْبِدْعُ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتَا كُفُّهُمْ عِنْدَ الدَّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
أَنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلَّ سَبَقٍ لَا ذَنْبَ سَبَقِهِمْ تَبِعُ
أَعْيَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقْنُهُمْ لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُزْرِي بِهِمْ طَمَعُ
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصَابُوا فَلَا خَوْزٌ وَلَا جَزَعُ

(٥) النايفة الجعدى

هو أبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدى العامرى أحد القدماء المعمرين
والشعراء المخضرمين ، ووصف الخيل المشهورين
قال الشعر فى الجاهلية ثم أجبل دهرأ ، ثم نبغ فى الشعر عند ظهور الاسلام
وبعده : ولذلك سُمى النايفة ، وهو يَمُنْ فسكر فى الجاهلية ، وأنكر الخروما تفعل
بالعقل ، وهجر الأزلام والأوثان ، وذكر دين إبراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعاش طويلاً فى الاسلام ، فأقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضى الله عنه
فأحس بضعف فى نفسه ، فاستأذن عثمان فى الرجوع الى البادية فأذن له . ثم لما

كانت خلافة عليّ شهد معه وقائع صيفين ، وظاهره بيده ولسانه ، وفال من معاوية
 وبني أمية — ومات بأصبهان سنة ٥٨ هـ بعد أن عمر مائة وثمانين سنة
 شعره — كان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والاسلام ، وهو أول
 من سبق الى الكنية في الشعر عن اسم من يعنى الى غيرها وتبعه الناس بعد ، قال
 أكنى بغير اسمها وقد عليم الله خفيات كل مكتّم
 وكان ممن يصفون الخليل فلا يلحق له في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل
 قال الاصمعي : ثلاثة يصفون الخليل فلا يقاربهم أحد : طفيل الغنوي وأبودود
 الأيادي ، والنابغة الجعدي . وله في الفخر والهجاء والمدح والثناء شعر كثير
 ومن أشرف قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي :

خليلي عوجاً ساعةً وتهجراً	ونوحاً على ما أحدث الدهر أودراً
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة	خيفاً لزوعات الحوادث أوقراً
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه	فلا تجزعا مما قضى الله واصبراً
ألم تريا أن الملامة نفعها	قليل إذا ما الشيء ولي وأدبراً
تهيج البكاء والندامة ثم لا	تغير شيئاً غير ما كان قدراً
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى	ويتلو كتاباً كالمجرة نيراً
أقيم على التقوى وأرضي بفعلها	وكننت من النار المحوفة أحذراً

ومنها في الفخر :

وأنا لقوم ما تمود خيانا	إذا ما التقينا أن نحميد وتنفرا
وننكر يوم الرّوع ألوان خيلنا	من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا	وأنا لترجو فوق ذلك مظهرا

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذرُ تحمي صفوه أن يكدرًا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلِيم إذا ما أورد الأمر أصدرًا
ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء — البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى
قال الجنة، قال له أن شاء الله، ولما أتم قصيدته، قال له الرسول أجبت لا يفيض
الله فاك — فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انقضت من فيه سن

(٦) — عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي الخزومي أشعر قريش
وأرق أصحاب الغزل، وأوصف الشعراء لأحوال النساء

وُلد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . وكانت أمه
نصرانية . وكان أبوه تاجراً موسراً وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء
الثلاثة من بعده ، فشبَّ في نعيم وترف — وقال الشعر صغيراً وسلك فيه طريق
الغزل ووصف أحوال النساء وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرض
للمُحْصَنَات المُتَعَفِّفَات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه في بلاء عظيم
وصيرن بخفن الخروج إلى الحج لانه كان يتلقاهن بمكة ويتربح خروجهن للطواف
والسعى ويصفهن وهن مُحْرِمَات . وحلُمْتُ عليه رجالات قريش لمكانة نسبه
منهم ولترقب توبته وإقلاعه — فلما تمادى في أمره وشبب بينات السادات والخلفاء
غضب عمر بن عبد العزيز ونفاه الى جزيرة أمام مدينة مصوَّع ، ثم رأى أن يكفر
عن سيئاته بالتوبة والجهاد فغزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق
هو أيضاً سنة ٩٣ هـ

شعره — رقيق بلفظ رشيق ومعنى أنيق حتى قال فيه جرير هذا والله الذي
أرادته الشعراء فأخطأته وقد سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه : ومن قوله المشهور
ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة أما العاجز من لا يستبد

(٧) الأخطل

هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبي النهراني ، شاعر الأمويين
وأمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين والمتفرد بوصف الخمر دون الاسلاميين قال
الشعر وهو صبي وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتل « كعب بن جميل »
وهاجاه وظهر عليه — ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب
هجاء الانصار لتعرض حسان بن ثابت الانصاري لاخته في شعره أبي عليه ذلك
كعب ، وقال أأنه قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآؤوه : ولكني
أدلك على الأخطل فبعث اليه وأمره بهجائهم فهجأهم بقصيدة منها

ذهبت قريش بالسماحة والندي واللوم تحت عمام الانصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخدوا مساحيكم بني النجار
وبلغ الشعر كبار الانصار ففضبوا وشكوه إلى معاوية فوعدهم بقطع لسانه
فاستجار يزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه — ولما ولي يزيد الخلافة قرّبه اليه
وتابعه في ذلك خلفاء بني أمية ، وبخاصة عبد الملك إذ كان يستعين به على أعدائه
فقرّبه اليه وذناه وسمح له بالدخول عليه بلا إذن وأجرل له العطايا وسماه شاعر الخليفة
ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق وحكم فيهما أيهما أشعر عرض
بتفضيل الفرزدق ، فهجاه جرير ، فردّ عليه الأخطل وكانت الشيوخوخة قد بلغت

منه فلم يلحق جريراً . وكان الأخطل يقيم أزماناً بدمشق وأحياناً ببلاده من أرض الجزيرة ومات سنة ٩٥ هـ وقد نيف على السبعين

شعره : كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الاسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر بعيداً عن التكلف والتعمق فيه وامتاز باجادته المديح والابداع في معانيه — قال يمدح بنى امية ويخص بشر بن مروان :

إن يحلموا عنك فالأحلام شيمهم	والموت ساعة يحصى منهم الغضب
كانهم عند ذاك لم ليس بينهم	وبين من حاربوا قزبي ولا نسب
كانوا موالى حق يطلبون به	فأدركوه وما ملوا ولا لغبوا
إن يك للحق أسباب يمد بها	ففى أكفهم الأرسان والسبب
هم سعوأ بابن عفان الامام وهم	بمد الشماس مروها تمت احتلبوا

ومنها :

إذا أتيت أبا مروان تسأله	وجدته حاضراً الجود والحسب
ترى اليه رفاق الناس سائلة	من كل أوب على أبوابه عصب
يختصرون سجالات من فواضله	والخير مختصر الأبواب منتهب
والمطعم الكوم لا ينفك يهترها	إذا تلاقى رواق البيت واللهب
كان حيرانها فى كل منزلة	قتلى مجردة الأوصال تستلب

ومن أفضل شعره قوله :

والناس همهم الحياة ولا أرى	طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد	ذخراً يكون كصالح الأعمال

(٨) الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي أخضر ثلاثة الشعراء الأمويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء.

ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة — وأتى بها أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه فسأله عنه — فقال هذا ابني يُوشِكُ أن يكون شاعراً مجيداً — فقال له أقرئه القرآن فأقرأه وحفظه ثم رَحَلَ إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم، وأخص من كان يمدحه منهم عبد الملك بن مروان ثم أولاده من بعده — وكان الفرزدق فوق إقداعة في المهجور وفحشه في السباب وقذف المحصنات يُرمى بالفجور وقلة النسك بشعار الدين ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد حسن البصري . وكان فيه تشيعٌ يستره أيام اختلافه إلى بني أمية ثم كاشف به آخر حياته حتى أمام الخليفة هشام عند ما رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة مهابة وإجلالاً لعلي بن الحسين فسأله عنه كالمجاهل لأمره ، فشق ذلك على الفرزدق وأنشد قصيدته الميمية الآتية يُعرِّفُ بعلي ويُسكِر على هشام تجاهله ، فحبسه هشام ثم أطلقه . وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ومات بالبصرة سنة ١١٠ هـ

شعره — يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه ومداخلة بعض ألفاظه في بعض ، ولذلك يُعجَّب به أهل اللغة والنحو وكان يُقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) — ويعتبر الفرزدق من أخضر شعراء العرب وأشدِّهم وكوعاً بتعداد ماثر آياته وأجداده

ومن جيد شعره قوله يمدح على بن الحسين :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم	هذا التقى التقى الطاهرُ الملمُ
وليس قولك من هذا بضائره	الرُبُّ تعرفُ من أنكرت والعجمُ
إذا رآته قريشٌ قال قائلها	الى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
يُغضى حياءً ويُغضى من مهابته	فلا يكلم إلا حينَ يبتسمُ
بكفه خيرُ رانٍ ريجها عيقُ	من كف أروع في عزِّ دينه شممُ
يكادُ يُسيكه عرفان راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
يفشق ثوبُ الدجى عن نور غوته	كالشمس تنجأ عن إشرافها الظلمُ
من معشر حُبهم دينٌ وبغضهم	كفرٌ وقربهم منجى ومغنمُ
إن عدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتهم	أوقل من خير أهل الأرض قِلْمُ

﴿ (٩) جرير ﴾

هو أبو حَزْرَةَ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَطَفِيِّ التَّمِيمِيِّ الْيَرْبُوعِيُّ : أحدُ فُحول الشعراءِ الاسلاميين ، وبلقاء المداحين الهجائين ، وأنسب ثلاثتهم المفلتين ، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم ، وُلد باليمامة سنة ٤٢ هـ ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ . وكان يَخْتَلِفُ إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدقَ وما كسبه الشعرُ من المنزلة عند الامراء والولاة وهو تميمي مثله وودَّ لو يسبقه إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم ف وقعت بينهما المهاجاة عشر سنين كان أ كثر اقامة جرير أثناءها في البادية ، وكان الفرزدقُ مقيماً بالبصرة يعلل عليه الدنيا هجاء وسباً . فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة وانصل

بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره وشرق شعره وغرب
حتى بلغ الخليفة عبد الملك ، فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى
الخليفة بدمشق ومات بالهامة سنة ١١٠ هـ

وكان في جرير على هجائه للناس عفةً ودينٌ وحسن خلقٍ ورقة طبع
شعره - اتفق علماء الادب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد في الشعراء الذين
نشوا في ملك الاسلام أبلغ من جرير والفرزدق والاخلط وانما اختلفوا في أيهم
أشعر ولكلّ هوى وميل في تقديم صاحبه : فمن كان هواه في رقة التسيب وجودة
الفرز والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأسلوب والتصرف في أغراض شتى ، فضل
جريراً ، ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك ، وصلابة الشعر
وقوة أسره ، فضل الفرزدق ، ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى
إجادة المدح والامعان في الهجاء واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها ، حكم
للأخلط - وإن له في كل باب من الشعر ألياناً سائرة هي الغاية التي يضرب بها
المثل فيقال ان أغزل شعر قالته العرب هو قوله

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا
وأن أمدح بيت قوله :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
وأن أفر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو نعيم حسبت الناس كلهم غضابا

وَأَنْ أَهْجَى بَيْتٍ مَعَ التَّصَوُّنِ عَنِ الْفَحْشِ قَوْلُهُ :
 فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمْبِرٍ فَلَا كَمَبًا بَأْمَتَ وَلَا كِلَابًا
 وَأَنْ أَصْدَقُ بَيْتٍ قَوْلُهُ :
 إِنِّي لَا رَجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ
 وَأَنْ أَشَدُّ بَيْتٍ تَهْكَأَ قَوْلُهُ :
 زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبَشِيرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْيَعُ
 وَمَنْ جَدَّ شَعْرَهُ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَرْتِي بِهَا أَمْرَانَهُ وَهِيَ الَّتِي نَدَبَتْ بِهَا نَوَارُ
 أَمْرَأَةَ الْفَرَزْدَقِ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جَنِّي اسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرِي وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
 وَلَهْتَ قَلْبِي إِذَا عَلَتْنِي كِبَرَةٌ وَذُوو النَّمَامِ مِنْ بَنِيكَ صِغَارُ
 لَا يُلَبِّثُ الْقِرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ مَيَّكَّرَ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
 صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَخَيَّرُوا وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ
 فَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ

(١٠) — الكُميتُ

هو الشاعر الخطيب الراوية النسابة أبو المُسْتَهَلِّ الكُميتُ بن زَيْدٍ الاسدي الكوفي أشعرُ شعراء الشيعة الهاشمية ، ومُثير عصبية العدنانية على القحطانية ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد إحدى قبائل العرب الفصحاء من مضر فلقن العربية ، وعرف الادب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمداينة العلم والأخذ عن الاعراب ، وكان له جدتان أدركتا الجاهلية قصصن عليه أخبارها وأشعار أهلها ، فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك وأقر له حماد الراوية بالسبق عليه .

وقال الكُميت الشعر وهو صغير وكان لا يُذِيعه ولا يتكسب به ، ويكتفي بحرفة
تعليم صبيان الكوفة بالمسجد ، ولما حَصَف شعره وقوي أثره ، ولا سيما قصائده التي
أُعلن فيها تشييعه لبني هاشم وآل علي ، أنشده الفرزدق مستنصحا له في امر اذا عته اذا
أعجبه ، فأمره باذاعته فقال قصائده البليغة المطولة المسماة « بالهاشميات » التي يقول فيها

طربت وما شوقاً الى البيض أطربُ	ولا لعباً متى وذو الشيب يلعبُ
ولم تُلْهني دارٌ ولا رسمٌ منزل	ولم يتطربني بناتٌ مخضِبُ
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشية	أمرٌ سليمُ القرن أم مرٌ أعضب
ولكن الى أهل الفضائل والنهي	وخير بني حواء والخير يُطلب
بني هاشم رهط النبي فأنني	بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خففتُ لهم متى الجناح مودة	الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وما لي إلا آل أحمد شيعه	وما لي إلا مذهب الحق مذهبُ
بأي كتاب أم بأية سنة	يرعى حبيهم عاراً علي ويحسب

شعره - لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيئ شتت شملة الوحدة العربية

﴿ الرواية والرواة ﴾

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية :
فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير ، والعلم الكثير فكانت عنايتهم
بمحفظة في الصدور أكثر من كتابتها في السطور . ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف
اليهما من تفسير الصحابة والتابعين ومن أقوالهم في الدين تعددت طوائف الرواة للقرآن
والحديث وفنون الأدب

واذ كان الإنسان عرضةً للنسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق

والكذب تشدد الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية وشدة التوثق من صدق الرواة تخرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه

ولما خاف سيدنا عمر بن عبد العزيز أن تموت السنة الصحيحة بموت رواتها وبما وضعه الزنادقة والشيعية والخوارج ودسوه فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راو أو عدة رواة - ومن أشهر هؤلاء هذبة بن خشرم راوية الخطيئة ، وجميل راوية هذبة وكثير راوية جميل ، وأبو شقيل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ومرثع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان راوية ذى الرومة وذو الرمة راوية الراعي

وبقي الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر فاشتغل العلماء بالرواية وصار الراوي منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر وإن لم يكن هو شاعراً وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك عصر بني العباس فيذكر فيه . ومع تشدد الناس في تصحيح الرواية سنة وأدباً حدث في الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ونحو ذلك

﴿ العصر الثالث — عصر الدولة العباسية ^(١) من ١٣٢ — ٨٦٥ هـ ﴾

أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شيء في دولتهم عربياً الصبغة ، وكانت جمهرة العرب منتشرة في كل مكان امتد إليه سلطانها فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً مثل من وجدت من الفرس وأُم الأمّ الأعاجم ، فاستسحت بهم دولة بني أمية وأسست دولة قوية كان أكثر النفوذ فيها للموالى . فاستخدمهم الخلفاء والأُمراء في كل شيء من سقاية الماء الى قيادة الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل من ذلك الحين شيئاً فشيئاً واختلطوا بالأعاجم وكان من المجموع شعب ممتزج لغة وعادة ومُخلَقاً فأثر ذلك في اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونثراً كتابةً وتأليفاً ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام . أما حال ممالك الغرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعد

خلفاء بني العباس الى سنة ٣٣٣	محمد المتصر (٢٤٧ - ٢٤٨)
أبو العباس عبدالله "سفاح" (١٣٢ - ١٣٦)	أبو العباس أحمد المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢)
أبو جعفر المنصور (١٤٦ - ١٥٨)	أبو عبد الله المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥)
محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩)	محمد المهدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦)
موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠)	أحمد المتصد علي الله (٢٥٦ - ٢٧٩)
هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣)	أحمد المتصد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩)
محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨)	علي المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥)
عبد الله المأمون (١٩٨ - ٢١٨)	جعفر المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠)
أبو اسحق محمد المتصم (٢١٨ - ٢٢٧)	أبو منصور محمد القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢)
أبو جعفر هارون الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢)	أبو العباس أحمد الرازي (٣٢٢ - ٣٢٣)
جعفر لاوكل علي الله (٢٣٢ - ٢٤٧)	إبراهيم التقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣)

كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي ثم سمرت إليها عدوي تقليدها للمشاركة في أكثر الأمور

ويمكن ارجاع جميع هذه التغيرات الى ثلاثة أمور « الأول » ما يتعلق بالاغراض التي تؤدّيها اللغة « الثاني » ما يتعلق بالمعاني والأفكار « الثالث » ما يتعلق بالألفاظ والأساليب

﴿ أغراض اللغة ﴾

لما قامت الدولة العباسية وتشبه الخلفاء بملوك الفرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاً كسهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الاعاجم ، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تُعهد فيها من قبل يُنقل علوم تلك الامم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها — ثم تناولت هذه الاغراض في العرب بعدئذٍ بفرق يسير فكان من تلك الاغراض مايتأتى :

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ولم يُدوّن في صدر الاسلام من ذلك الا نذر يسير، وكذا الترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية
(٢) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصناع وبعد تقرب الاعاجم

(٣) تأدية المقاصد التي استدعاها الانغماس في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الامم عصر الدولة العباسية الى امد بعيد، أو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه — كالأمعان في وصف الاشياء النفيسة مما لم يُعرف للعرب في صدر الاسلام أو عُرِفَ وكان قليلاً ممقوتاً صاحبه — وكوصف البحر والاساطيل الحربية والمعارك البحرية — وامتاز بأكثر ذلك المغرب والاندلس كما امتازت الاندلس

بالاجادة في وصف مناظر الطبيعة ومحاسن الوجود للملازمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها في الوصف صقلية وافريقية إبان ازدهامها
 (٤) تأدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية مما قلّ نظيره في صدر الاسلام
 (٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم

﴿ المعاني والافكار ﴾

إن ما حدث في مشارق الممالك الاسلامية ومغاربها اثناء العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للتكلمين بالعربية ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ، فمنها :

- (١) ازدياد شُيوع المعاني الدقيقة ، والتصورات الجميلة ، والأخيلة البديعة
- (٢) التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفُرية : بالأكثر من الحجج والبراهين العقلية وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ولا سيما بعد عصر الترجمة وأكثر ما كان ذلك بالمشرق وقلما عني به أهل المغرب
- (٣) التهويلُ والغلو في التّفخيم المقتبسُ في المشرق من اللغة الفارسية والسارى بعضُهُ بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس

﴿ الالفاظ والاساليب ﴾

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان : السهولة والمحسنات البديعية . ويشمل ذلك ما يأتي :

- (١) انتقاء الالفاظ الرشيقة السهلة وقلة الحاجة إلى الارتجال
- (٢) لزدياد الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن والاقباس منه والاستشهاد به
- (٣) الاكثار من ألفاظ المجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسنات اللفظية

- (٤) التوسُّعُ في ادخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والامراء والعظماء
- (٥) تفاوُّمُ الخطب في استعمال الكلمات الاعجمية في كثير من الاشياء
- (٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وادارة الحكومة وغيرها
- (٧) التأنق في صوغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع
- (٨) التطرف إلى غاية حدسي الاطناب والايجاز ولكل منهما مقام
- (٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاسُ بـمِيعيار المنطق لا بـمِيعيار البلاغة. واذ كانت اللغة إمانثراً وإماشعراً والنثر محادثة، وخطابة، وكتابة، فاحفظ ما يُتلى عليك

﴿النثر — المحادثة — أو (لغة التخاطب)﴾

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الحالية من اللحن إلا من آحادٌ عيَّروا به، وأن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالمعجم هي العربية المشربة بشيء من اللحن، ولغة المتعربين من المعجم تقلَّ عن هذه في الفصاحة، وتزيدُ عليها في اللحن بمراتب مختلفة فلما تمَّ امتزاجُ العرب بالمعجم عصرَ الدولة العباسية، تكوَّنت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جمهرة العرب لغاتٌ تخاطبُ عاميةٌ — الأُبين أهل جزيرة العرب، فلم يزل تخاطبُهم باللسان العربي الفصيح إلى أواسط القرن الرابع. وبقيت لغاتُ التخاطب في البلاد التي تقلَّ فيها جاليَتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية ممزوجةٌ ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الاسلام

وخاف الخلفاء والخاصة من هَوَل تغلب العامية على الفصيحة فيستغلق على المسلمين فهمُ الكتاب والسنة وهما كلُّ الدين، فخرَّضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة — ولكن ذلك كله لم يوقف تيار

العامة الزاخر، واستمرّ في طغيانه الى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامة خاصة بها — ولكن لم تصبح العامة لغة علم وأدب — كما وأن ذلك لم يكن طويل الأمد

﴿ الخطابة والخطباء ﴾

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق والادريسية في المغرب الأقصى والأُموية الثانية في الاندلس، من الامور التي ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية. وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات ودعوة الناس الى التشيع لزعماء الأحزاب كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها. فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع — ثم لما قترت هذه الدواعي باستقرار الدول. واشتد اختلاط العرب بالأعاجم وتولى كثير من الموالي قيادة الجيوش ورمالة الولايات والمواسم — ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها — فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة الا قليلا في المغرب أيام الحقل وقدم الوفود وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك. وقلّ فيها الارتجال أو عدم جملة، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتدريس في المساجد والمدارس — واشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء أشهرهم داود بن علي، وشبيب بن شيبه

﴿ داود بن علي ﴾

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس خطيب بني العباس، وأحد مؤسسي

دولتهم ، نشأ هو وأخوته (وكانوا اثنين وعشرين رجلاً) في قرية الحُمَيْمَةِ من أعمال عَمَّان - وكان الوليدُ بن عبد الملك أجلى على بن عبد الله بن عباس وأهل بيته إليها سنة ٩٥ هـ غضباً عليه

وكان داود أجدّ النابغين من أخوته - وكان يلينهم ولسانهم وأخطبهم في وقته . وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولآه أبو العباس عقب يبعثه بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولآه إمارة الحج في هذه السنة ولآه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفير بهم من بني أمية في مكة والمدينة سنة ١٣٢ هـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس وخطبهم الخطبة الآتية وهي « شُكْرًا شُكْرًا - إنا والله ما خرجنا لنحفركم فيكم نهراً ولا لنبنى فيكم قصراً أَظُنُّ عدوَّ الله أن ابنَ نقدر عليه إن رُوخى له من خطامه ، حتى عثر في فضل زمانه ، فلا آنَ حيث أخذ القوس باربها وعاد القوسُ الى التَّزَعَةِ ، ورجع الملك في نصابه ، في أهل بيت النبوة والرحمة ، (والله لقد كنا نتوَجَّع لكم ونحن في فُرُشِنَا) أَمِنْ الاسودُّ والاحمرُّ لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكم ذمة العباس ، لا وربِّ هذه البنية - وأوماً يده الى الكعبة لا نهتج منكم أحداً)

﴿ شبيب بن شيبه ﴾

هو شبيبُ بن شيبه بن عبد الله المِقْرِيّ التَّيمِيّ خطيبُ البصرة ونشأ بها وامتاز بنبالة نفس وسخاء كف . وحسن تواضع ونزاهة لسان كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال أنهم لم يروا خطيباً كشبيب بن شيبه . فانه ابتداءً بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة . فلم يزل يزداد منها

حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصارع بكثيره
وقد يطول حتى يقول فيه الراجز

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها
وعرف شبيب أبا جعفر المنصور قبل خلافته ثم اتصل به بعدها . فجعله في
حاشية وليّ عهده المهدي . وبقى كذلك حتى وليّ المهدي الخلافة فصار من خيرة
سُماره وجُلسائه الى أن مات في خلافته سنة ١٦٥ هـ

ومن خطبه القصار ما عرّى به المهدي يوم ماتت ابنته البانوقة وجزع عليها جزعاً
شديداً — « أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً . وأعقبك صبراً
ولا أجهد الله بلاءك بنقمه ولا نزع منك رِعمه ، ثوابُ الله خيرٌ لك منها
ورحمه الله خيرٌ لها منك ، وأحقُّ ما صبرَ عليه مالا سبيلَ الى رده .

﴿ الكتابة - خطية وانشائية ﴾

الخط : تنوع في هذا العصر الخط الكوفي الى أنواع أربت على خمسين نوعاً
ومن أشهرها المحرّر والمشجر والمربع والمدور والمتداخل . وبقى مستعملاً في المباني
والسكة الى حدود الالف . ثم نسي جملة وقد جُددت منه أنواع في عصرنا
أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط « قطبة
المحرّر » من الخط الكوفي والحجّازي خطأً هو أساس الخط الذي يكتب به
الآن ، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها . وقلم الطومار (الورقة
الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسن عمله غيره من كتّاب صدر الدولة العباسية
حتى ظهر ابراهيم الشحري وأخوه يوسف من كتّاب أواخر القرن الثاني : فو

ابراهيم من الجليل قلم الثلثين وولد يوسف من الجليل القلم الزبائسي وهو قلم التوقيع وعن ابراهيم أخذ الأ حول المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النصف . هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطاً يختص كل منها بفرض خاص . واتفقوا على أن طول الالف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الالف مربع مقدار قطعة القلم

وعن الأ حول — أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير « أبو علي محمد بن مقله » وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الاشكال التي نعرفها الآن وأتموا العمل الذي بدأ به « قطبة » فهندسا الحروف وقدرامقاييسها وأبعادها وضبطاها ضبطاً محكماً واخترعا له القواعد وعن الوزير ابن مقله أخذ أبو عبد الله محمد بن أسد القاري المتوفى سنة ٤١٠ هـ — وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام واليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته : كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي — أما الاندلسيون والمغاربة فلم يعبثوا بهذا الاصلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط المجازي الى الآن بنوع من التعديل — واخترع الخليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة وارا صغيرة تكتب فوق الحرف والفتحة ألفاً والكسرة ياء والشدّة رأس شبن والسكون رأس خاء وهمزة القطع رأس عين ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت الى الشكل المعروف الآن

وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور

﴿ ابن مقلة ﴾

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط عن الاحول المحرر صنيعة البرامكة وتم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط من الكوفي الى الشكل المعروف في زماننا . وكان ابن مقلة يتولى في أول أمره بعض أعمال فارس ويحجى خراجها وتنقلت به الاحوال الى أن استوزره الامام المقتدر بالله سنة ٣١٦ ثم كاد له أعداؤه عنده ، فقبض عليه سنة ٣١٨ هـ ونفاه الى فارس ثم وزر للراضي فوثق به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل ثم أطمعه نحسة أن يكيد لابن رائق أمير الامراء ببغداد عند هذا الخليفة فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمني ثم عاد فقطع لسانه أيضاً حتي مات سنة ٣٢٨ هـ ومن قوله في تلك الحوادث

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب
وقوله :

ما سئمت الحياة لكن توتت ت بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى حرّموني دنياهمو بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بمجهدى حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يميني فييني

﴿ الكتابة الانشائية في الرسائل الديوانية والانشائية ﴾

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بني العباس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أمية ، سالكة الطريق التي سلكها عبد الحميد وابن المقفع والقاسم ابن صبيح وعمارة بن حمزة ونظراؤهم : من العناية بجعل عبارتها جزلةً بليغةً

متناسقة الوُضوع والأساليب - وبقيت كذلك بل زادت حسناً وجالاً ومراعاة
لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع . ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلبُ عليها
تدريجاً بتضائل ملكة البلاغة في الكتاب وتقاُصر همهم عن استيفاء أدائها :
لتغلب الأعاجم من الديلم والبُويهيين والترك السَلْجُوقيين على سلطان الخلفاء في
الشرق ، وتغلب البربر على شمالي إفريقيا والأندلس في الغرب ، فلم يعد في الملوك
والأمراء من يعينهم أمرُ العربية وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة
العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة واللغة

❦ الكتاب ❦

كان أكثر كُتّاب المشرق في هذا العصر من سلاسل فارسية أو سوادية
وقد بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين
إلى مرتبة الوزارة - وأول كاتب منهم ارتقى إليها هو أبو سلمة الخلال . وأشهرُ
من بلغ نفوذُه وسلطانُه مبلغاً زاحم فيه الخليفة يحيى بن خالد بن برمك وابناه جعفرُ
والفضلُ ، ثم محمدُ بن الزيات في زمن المعتصم والواثق . وكان كُتّابُ الأندلس
والمغرب أكثرهم من سلاسل عربية . ومن أشهر كُتّاب هذا العصر في الشرق
أبو الفوارس ، ويحيى بن خالد بن برمك . وابناه : جعفرُ والفضلُ ، وإسماعيلُ بن
يحيى ، وعمر بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وأبو الزيات . والحسين بن وهب
إسحاق بن الفرات ، وأبو مقلبة ، وأبو الصيد ، والسياسي بن عباد ، وأبو بكر
الشرارزمي ، والبديع ، والصابي ، والهاد الكاتب ، والقاضي الفاضل
ومن أشهر كُتّابه في الأندلس ابنُ شهيد ، وأبو المعطف بن عميرة ، وابن
زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب

﴿ ابن المقفع ﴾

هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد خول البلاغة وثاني اثنين مهدي للناس طريق الترشل . ورفع لهم معالم صناعة الانشاء أولهما « عبد الحميد »
نشأ بن المقفع بين أحياء العرب . فكان أبوه داذويه المقفع الفارسي يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هـ وسماه (روضة) فنشأ بالبصرة . وهي يومئذ حلبة العرب ومُنْتَدَى البلغاء والخطباء والشعراء . فكان لكل ذلك (فوق ذكائه المفرط وتأديبه أبيه له) أعظم أثر في تربيته وتهيته لأن يصير من أكبر كتّاب العربية وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها . وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمى « عبد الله » وتكنى بأبي محمد . وكان نادرة في الذكاء . غاية في جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس متأدباً متعقفاً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته كثير الوفاء لأصحابه

وكان أئمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة لفظ ورشاقة اسلوب . ولا توصفُ بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة حيث يقول (البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها)
ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعد) فإن أمر الآخرة والدينايد الله هو يُدَبِّرهما ويقضى فيهما ما يشاء لا راد لقضائه ولا مُعَقِّبَ لحُكْمه فإن الله خلق الخلق بقدرته . ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لئلا يطمع أحد من خلقه في مُخلد الدنيا ووقت لكل شيء مِيقَاتَ أَجَلٍ لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليس أحد من خلقه إلا وهو مستيقن بالموت لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد . نسأل الله تعالى خيراً المتقلب

وبلغنى وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب العظام التى يُحْتَسَبُ ثوابها من ربنا
الذى اليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا

فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله فانه جعل لاهل الصبر صلوات
منه ورحمة وجعلهم من المهتدين

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب كيلة وذممة وقيل ان هذا الكتاب
من وضع ابن المقفع وهو قول مقبول لا بأس به — وله كتاب الادب الكبير
والأدب الصغير والبررة اليتيمة — وقتله الى البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ
لانهام بالزندقة والسكيد للإسلام بترجمة كتب الزندقة

﴿ ابراهيم الصولى ﴾

هو أبو اسحق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول كاتب العراق وأشعر
أصحاب المقطعات. نشأ ببغداد فتلقى العلم والادب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر
فى حدائته ، فبرع فيه ، وتكسب به . ورحل الى العمّال والامراء بمدحهم ويستميح
تجدوأم . ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه بخراسان ومدحه
فوهب له ولى العهد عشرة آلاف درهم. وجعله الفضل كاتباً لاحد قواده — وبقي ينتقل
فى أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز فتحامل
عليه وزيره ابن الزيات فعزله وسجنه بها . فكتب اليه يستعطفه ، فلم يزدد
بذلك إلا جفاءً وغاظةً ، ثم اطاع الواثق على ذلك فأطلقه . وتولى ديوان الضياع
والنفقات فى خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٢ هـ . — ومن رسائل تعزية عن لسان
المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين « أما بعد » تولى الله توفيقك
وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك إن أفضل النعم تُلقيت بحق

الله فيها من الشكر وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدري حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر. ومثلك من قدم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها وفي مصيبة فأطاعه فيها وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن اسحق مولى أمير المؤمنين « عفا الله عنه » قضاءه السابق والموقع. وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين « أدلم الله عزه » وتقديم ما يُقدِّمُ مثله أهل الحجج والفهم ما اعتاضه معتاضٌ وقدمه موفقٌ فليكن الله « عز وجل » وما أطعته به وقدمت حقه فيه أولى بك في الامور كلها فانك إن تقرب إليه في المكروه بطاعته يُحسن ولا يتك في توفيقك لشكر نعمة عندك

(ابن العميد)

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق وعماد ملك آل بُويهِ وصدرُ وزراءهم — نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرع في علوم الحكمة والنجوم ونبغ في الادب والكتابة حتى قيل فيه . (بُدِئت الكتابة بعبد الحميد وختمتُ بابن العميد) ثم رحل عن أبيه الى آل بُويهِ وتقاد شريف الاعمال في دولتهم الى أن تولى وزارة ركن الدولة سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها وتشبه بالبرامكة ففتح بابهُ للعلماء والفلاسفة والشعراء والادباء وكان

(بقية خلفاء العباسيين)

عبد الله المستكن بالله (٣٣٣ — ٣٣٤)	المنصور الراشد (٥٢٩ — ٥٣٠)
القاسم المطيع لله (٣٣٤ — ٣٦٣)	محمد المقتني لامر الله (٥٣٠ — ٥٥٥)
ابو بكر الطائغ لله (٣٦٣ — ٣٨١)	يوسف المستنجد بالله (٥٥٥ — ٥٦٦)
احمد القادر بالله (٣٨١ — ٤٢٢)	حسن المستضيء بأمر الله (٥٦٦ — ٥٧٥)
عبد الله القائم بأمر الله (٤٢٢ — ٤٦٧)	احمد الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢)
عبد الله المقتدي بأمر الله (٤٦٧ — ٤٨٧)	محمد الظاهر بأمر الله (٦٢٢ — ٦٢٣)
احمد المستظهر بالله (٤٨٧ — ٥١٢)	منصور المستنصر بالله (٦٢٣ — ٦٤٠)
فضل المسترشد بالله (٥١٢ — ٥٢٩)	عبد الله المستنصر بالله (٦٤٠ — ٦٥٦)

يشاركهم في كل ما يعلمون الا الفقه وما زال في وزارته محطّ الرّحال وكعبة الآمال حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ

ومن رسائله — كتابي اليك وأنا بحال لو لم يُنقصها الشوق اليك ولم يُرَني صفوها التّزوّعُ نحوكَ لعددتها من الاحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجميلة . فقد جمعت فيها بين سلامة عامة . ونعمة تامة . وحظيت منها في جسمي بصلاح وفي سمعي بنجاح ، لكن ما بقي أن يصفولي عيش مع بعدى عنك ويخلو ذرعني مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك وكيف أطعم في ذلك وأنت جزء من نفسي وناظم لشمل أنسي وقد حرمت رؤيتك وعدمت مشاهدتك وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام وينفع انس بيت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلني الله فداك فامتلاّت سروراً بملاحظة خطك وتأمل تصرفك في لفظك وما أقرظها فكل خصالك مقرظ عندى . وما أمدحها فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك فان كان كذلك والأفد غطى هواك وما ألقى على بصرى

﴿ الصاحب بن عباد ﴾

هو كافي الكُفَاة أبو القاسم اسمعيل الصاحب بن عباد وزير آل بُويه ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قزوین . وتعلّم العلم والادب من أبيه ، ثم اتّصل بابن العميد ، فلزم صحبته وأخذ عنه الادب ، وتولّى له كتابة خاصته ثم تنقلت به الاحوال في خدمة ملوك بني بُويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ثم لاختيه فخر الدولة ، وله في ملكها اليد المطلقة والامرُ النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ — ويعدّ

ابن عباد في الكتابة ثانی ابن الحمید فی حلیته وأبلغ من سلك طریقه ، غیر أنه أُلِعَ بالسجع والجناس ، ولا یعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حلٌّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما - ومن رسائله ما كتب به الى بعض السادة وقد أهدى الى ابن عباد مُصحفاً

البرُّ « أدام الله السید » أنواعٌ ، تطولُ به أبواعٌ ، وتقصُر عنه أبواعٌ فإن یکنَ فیها ما هو أكرمُ منصباً وأشرفُ منسباً فتحفةُ السید إذ أهدى ما لا تشاكهُ النعمُ ولا تعادله القیمُ : کتابَ الله وبیانه وكلامه وفُرقانه ووحیه وتزیله وهُدهداه وسیدله ومعجزَ رسولِ الله صلى الله علیه وسلم ودلیله طبعَ دون معارضة على الشفاء وختم على الخواطر والافواه فقصر عنه الثقلان وبقي ما بقي الملوآن . لا تحسَّ سراجُه . واضحٌ منهاجُه . منیرٌ دلیله . عمیقٌ تأویله یقسم كلَّ شیطانٍ مریدٍ یذِلُّ كلَّ جبارٍ عنیدٍ وفضائلُ القرآن لا تُحصي فی مطولات الأسفار فأصیفُ الخط الذي بهر الطرفَ وفاق الوصفَ وجمع صحة الأقسام وزاد فی نخوة الأقلام . بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره وعینه فراره وحقاً أقول انی لا أحسبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع فی استكتابها ما ابتدعت وان هذا المصحف لزائد عن جمیعها زیادة الفرع على الفرعة بل زیادة الحجج على العُمرة

﴿ أبو بكر الخوارزمي ﴾

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة وُلد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها وكان ضليعاً في كل فن من فنون العربية وخاصة الكتابة والشعر - جاب الاقطار ودخل الامصار من الشام الى أقصى خراسان في

استفادة العلم والادب وافادتهما : وكان كثير الحفظ للشعر غزير المادة من اللغة
وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والامراء والوزراء حتى ألقى عصا
التسيار بمدينة نيسابور وطاب عيشه بها الى أن مني في آخر أيامه بمساجلة بديع
الزمان الهمداني ومناظرته ومناضلته وأعاناه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها
فانخذل الخوارزمي انخذالاً شديداً وكشف باله ولم يحل عليه الحول حتى مات
سنة ٣٨٣ هـ

وكان الخوارزمي ممن يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخياً جزالة
الالفاظ مُحْتَفِلاً بصحة المعاني مع ميل فيه الى الغريب - وتقدم له كثير من الرسائل

﴿ بديع الزمان الهمداني ﴾

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع : حافظ
عصره - نشأ بهمدان ودرس العربية والادب ونبغ فيهما وضرب في الارض
يتكسب بأدبه ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعائة مقامة بلفظ رشيق وسجع
رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريري - ثم شجر بينه وبين الخوارزمي ما كان سبباً
في هبوب ريحه وبعث صيته اذ لم يكن في الحُسبان أن أحداً يجترى على الخوارزمي
وعموت الخوارزمي خلا له الجؤ عند الملوك والأمراء ، فتجول في حواضرهم ،
ثم استوطن هرة وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسن حاله ، ونعم باله ، ولكن
المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٨ هـ وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات

« ابن زيدون »

هو الكاتب الشاعر ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن
زيدون الخزومي الأندلسي . نشأ في مدينة قرطبة وتأدب على كبار أئمتها وقال الشعر

وأجاده - ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة اتصل بأبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف ، فخطب عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق ، وحسامها المسلول . فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور ، فاعتقله ومكث في تحبسه مدة استشفع فيها اليه بقصائده أبدعها ، ورسائل استنفذ فيها جهده ، فما ألانت له قلباً فأعمل الحيلة في فراره من سجنه ، وخلص إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية اذ كان أشد ملوك الطوائف رغبة فيه وأكثرهم تمسكاً بالأدباء ، فألقى اليه مقاليد وزارته ، وأصبح صاحب أمره ونهيه - ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتضد كان له كما كان أبوه . وأغدق عليه برّه ونعمته

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ (راجع رسالته الجديدة في فن المكاتبات اذا شئت)

« القاضي الفاضل »

هو أبو علي عبد الرحيم البينساني اللخمي ولد بمدينة عسقلان سنة ٢٢٩ وتعلم على أبيه وغيره . قدم مصر وهو شاب وأواخر الدولة الفاطمية وتعلم في ديوان ابن حديد قاضي الإسكندرية . وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستقدم أيام الظاهر إليها ، وكان من كتّاب ديوانه ، ولازم خدمة أكبر القضاة والكتّاب في الديوان ، وأخذ عنهم ، وحاكمهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسمعة اطلاعه وغرارة مادته وسرعة بديهته وصفاء خاطره

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودبّ المملوكه أحسن تدبيره بقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لابنه العزيز على مصر . ثم وزر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ

ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب الى صلاح الدين
يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي :
أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته، وتقبل عمله بقبول صالح وأثبتته وأخذ
عدوه قاتلاً أو بيته ، وأرغم أنفه بسيفه وكتبته
خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب . ولما نيا به المنزل عنها
وقل عليه المرفق منها . وسمع هذه الفتوحات التي طبق الارض ذكرها . ووجب
على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملحها . ساريا في ليلة أمل كلها
نهار فلا يسأل عن صبحها وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب ، وتوسل
بالمملوك في هذا الملتبس وهو قريب ، ونزع من مصر الى الشام وعن عيذاب
الى الكرك وهذا عجيب والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف وأطف الله
بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام

(التدوين والتصنيف)

كانت الحاجة الى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك
الاسلام فهب العلماء الى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة وما حفظوه في
الصدور ورتبوه وبوبوه وصنفوه كتباً ، وكان من أقوى الاسباب لاقبال العلماء
على التصنيف حث الخليفة أبي جعفر المنصور عليه وحمله الأئمة والفقهاء على جمع
الحديث والفقه ولم يقتصر على معاودة العلوم الاسلامية بل أوعز الى العلماء
والمترجمين أن ينقلوا الى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة
والحكمة والفلك والتنجيم والآداب وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده حتى زخرت
بمحور العلم واخترعت الفنون وتفرعت المسائل ودونت الكتب في كل فن

كتابٌ كليلٌ ودمنةٌ ونحلةٌ الهندُ والفُرسُ كان هذا الكتابُ أولَ كتابٍ ظهر في الأدب العربيّ الخاصّ بموضوعٍ واحدٍ — وأوّلُ كتابٍ ظهر فيه جامعُ لفنون كثيرةٍ منه كتابُ البيان والتبيين . وكتابُ الحيوان للجاحظ — واقتنى أثره أحمد بن طيفور في كتابه العظيم المنظوم والنثور في أربعة عشر جزءاً ثم أبو العباس محمد المبرّد ، في الكامل والروضة — ثم أبو حنيفة الدينوري . وأبو بكر محمد الصولي . وابن قتيبة صاحب أدب الكاتب . وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وأبو علي القالي صاحب الامالي ، وأبو الفرج الاصبهاني صاحب الاغانى وغيرهم — ومن اشهر المؤلفين في الادب الجاحظ ، واحمد بن عبد ربه ، والحريري : وهما ترجمتهم

﴿ الجاحظ ﴾

هو إمام الادب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بَحر بن محبوب الكِنَاني البصريّ وُلِدَ حوالي سنة ١٦٠ بمدينة البصرة . ونشأ بها فتناول كلّ فنٍ ومارس كل علم عُرِفَ في زمانه مما وُضِعَ في الإسلام أو نُقِلَ عن الامم الاوائل فأصبح له مشاركة في علمٍ كلِّ ما يقع عليه الحسُّ أو يخطرُ بالبال فهو راويةٌ متكلمٌ فيلسوفٌ كاتبٌ مُصنّفٌ مُترسِّلٌ شاعرٌ مؤرِّخٌ عالمٌ بالحيوان والنبات والموت ، وصافٌ لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم — ألاّ أنه غلبَ عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة : والأدب المزوج بالفلسفة والفكاهة : وكان غايةً في الذكاء ودقّة الحسّ وحسن الفراسة : وكان سمّحاً جواداً كثير المواساة لا أخوانه : وكان على دمامة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح فيكهِ المجلس غاية في الظُرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام — وهو على الجملة أحدُ أفذاذ العالم وإحدى حُجَجِ اللسان العربيّ — وأقام الجاحظُ أكثرَ عمره بالبصرة يعيش

مَعِيشَةَ الْأَدْبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مُحِبًّا لَوَلَاتِهَا وَأَعْيَانَهَا مُحِبًّا مِنْهُمْ بِالْعَطَايَا وَالْمَنَحِ بِمَا يُصَنِّفُهُ لَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَّفِقَةِ مَعَ أَهْوَائِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ - وَكَانَ كَثِيرَ الْإِتِّجَاعِ لِلْخُلَفَاءِ يَبْعُدَادُ وَسُرًّا مِنْ رَأْيِ حَتَّى فَلَجَ بِالْبَصْرَةِ وَبَقِيَ مَفْلُوجًا بِهَامِدَةَ إِلَى أَنْ انْتَقَلَ إِلَى بَعْدَادَ فَحُفَّتْ بِهَا وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْخِزْرَانِ (أ م الرشد) سَنَةِ ٢٥٥ هـ وَلَهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ كِتَابٍ

﴿ أحمد بن عبد ربه ﴾

هُوَ أَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ وَشَاعِرُهَا أَبُو عَمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ
وُلِدَ سَنَةَ ٢٤٦ هـ وَنَشَأَ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةٍ وَدَرَسَ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ فَنَبَغَ فِي جَمِيعِهَا . وَحَفِظَ
مِنْهَا مَا لَمْ يَحْفَظْهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَقَرَأَ رِسَالَتَ الْمُحَدِّثِينَ مِنَ الْمَشَارِقَةِ وَمَا تُرْجِمُ
مِنْ كُتُبِ الْإِثْنَاءِ فِي أَكْثَرِ الْعُلُومِ ، وَأَوْدَعَ زُبْدَةَ ذَلِكَ فِي « كِتَابِهِ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ »
وَكَانَ يَشْتَغِلُ فِي حَدِّثَاتِهِ بِالشَّعْرِ وَيَجْرِي فِي مَضَامِيرِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ وَنَظَمَ فِي ذَلِكَ مِنْ
الْقَصَائِدِ وَالْمَقْطَعَاتِ الرَّقِيقَةِ الْجَمِيلَةِ مَا جَعَلَ الْمُتَنَبِّيَ عَلَى صَافِهِ وَكَبْرَهُ حِينَ سَمِعَ
شِعْرَهُ يُسَمِّيهِ (مَلِيحَ الْأَنْدَلُسِ) ثُمَّ أَقْلَعَ فِي كَبْرِهِ عَنْ صَبْتِهِ وَأَخْلَصَ لِلَّهِ فِي
تَوْبَتِهِ : فَاعْتَدَتْ أَشْعَارُهُ الَّتِي قَالَهَا فِي الْعَزْلِ وَالْهَوِّ عَمَلًا بِاطْلَالٍ : وَعَمَلَ عَلَى أَعَارِضِهَا
وَقَوَافِئِهَا قَصَائِدَ فِي الزُّهْدِ يُعَارِضُهَا بِهَا ، وَسَمَّاها الْمَحْصِيصَاتِ ، وَنَالَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي
أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ قَبُولًا وَحُلًّا عِنْدَهُمْ فِي الْمَسْكَانِ الْأَسْمَى - وَبَقِيَ بِقُرْطُبَةٍ رَئِيسًا
مُسَوَّدًا حَتَّى فَلَجَ وَعَاشَ كَذَلِكَ عِدَّةَ سِنِينَ ثُمَّ مَاتَ بِهَا سَنَةَ ٣٢٨ هـ

﴿ الحريري ﴾

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَانَ الْحَرِيرِيُّ - الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ اللَّغَوِيُّ
النَّحْوِيُّ صَاحِبُ الْبَدَائِعِ الْمَأْثُورَةِ فِي مَقَامَانِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي نَسَجَهَا عَلَى مِينَوَالِ مَقَامَاتِ
بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ - وَأَنْشَأَ خَمْسِينَ مَقَامَةً أُنِيَ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَوَادِّ اللُّغَةِ

وفنون الادب وأمثال العرب وحكمها بعبارة مُسَجَّعة مزينة بأنواع البديع، ولا سيما الجناس ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها وتفكيكها لهم بمطالعتها - وتُحَلِّقُ وقائعها أبا زيد السُّرُوجي وهو أعرابي فصيحٌ من سُرُوج كان قد قدِمَ البصرة واعجب به علماؤها، وسمى راويها عنه الحارث بن كهَم (يُرِيدُ نفسه) وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المَشْدِدِ العباسي، وله غير المقامات شعرٌ كثير ورسائل بديعة وكتب في النحو واللغة منها كتابه دُرَّةُ الغَوَاصِ في أوهام الخواص ومُلْحَةُ الإِعراب في النحو - وتُوفِّيَ بالبصرة سنة ٥١٥ هـ

﴿ فن التاريخ ﴾

أول ما وُضِعَ في التاريخ باللغة العربية الكتاب الذي وضعه عُبَيْدُ بن شَرِيَّةَ لمعاوية وفي صدر الدولة العباسية وضع كثيرٌ من العلماء كتباً في التاريخ بأقسامه التي من أشهرها

(١) فن السير والمغازي - وأشهر من ألف فيه من الأوائل محمد بن اسحق

(٢) فن الفتوح - وأشهر من ألف فيه منهم الواقدي والمدائني وأبو مخنف

(٣) فن طبقات الرجال - وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدي والبُخَارِي

(٤) فن النسب - وأشهر قدماء علمائه الكلبي وابنه

(٥) فن أخبار العرب وأيامها - وأشهر علمائه أبو عُبَيْدة والأصمعي

(٦) قصص الانبياء - وكتب فيه كثيرون

(٧) تاريخ الملوك - ومن أقدم من كتب فيه ابن قُتَيْبَةَ والهيثم بن عدي

وابن واضح اليعقوبي - ثم شيخ المؤرخين وعمدهم محمد بن جرير الطبري الجامع كتابه هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية

وحاكمه بعده ابن الاثير في تاريخه الكامل

﴿ المروض والقافية ﴾

أَوَّلُ مَنْ اخْتَرَعَ عِلْمَ الْمَرْوُضِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ تَعَلَّمُ عَلَى اسْتَاذٍ أَوْ تَدْرُجٍ فِي وَضْعِ بَلٍ ابْتَدَعَهُ وَحَصَّرَ فِيهِ أَوْزَانَ الْعَرَبِ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بِحْرًا وَزَادَ عَلَيْهِ تَلْمِيزًا تَلْمِيزُهُ الْإِخْفَشُ بِحْرًا آخَرَ - ثُمَّ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِمَا أَحَدٌ شَيْئًا يَعْتَدُّ بِهِ أَمَّا الْقَافِيَةُ فَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ قَبْلَ الْخَلِيلِ يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا - وَلَكِنَّ الْخَلِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَصَّلَ الْكَلَامَ فِيهَا وَجَعَلَهَا عِلْمًا مَدُونًا

﴿ النحو ﴾

جَاءَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَالنَّحْوُ لَمْ يُدْرَسْ فِي الْمَعَاهِدِ وَالْمَكْنَ الْبَصْرِيِّينَ سَبَقُوا الْكُوفِيِّينَ فِي الْإِشْتَغَالِ بِهِ كَمَا سَبَقَهُمُ الْكُوفِيُّونَ فِي الْإِشْتَغَالِ بِالشَّعْرِ وَعِلْمِ الصَّرْفِ وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِالنَّحْوِ وَهَذَا بَوَّهَ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَتَلْمِيزُهُ الْخَلِيلُ وَتَلْمِيزُ الْخَلِيلِ سَيِّبُوكَ الْوَاضِعَ لِأَوَّلِ كِتَابِ جَامِعِ فِي النَّحْوِ ثُمَّ بَعْدَهُ الْأَخْفَشُ شَارِحَ كِتَابِهِ

وَمِنْ الْكُوفِيِّينَ مُعَاذُ الْهَرَاءِ وَالرُّؤَاسِيُّ وَتَلْمِيزُهُمَا الْكَسَائِيُّ وَتَلْمِيزُهُ الْفَرَّاهُ

﴿ علم اللغة ﴾

وَيُسَمَّى مَتْنُ اللُّغَةِ ، وَتَعْنِي بِهِ مَعْرِفَةُ مَعَانِي أَلْفَاظِهَا الْمَفْرَدَةِ . وَأَوَّلُ مَا وَضَعَ الْأَئِمَّةُ فِيهِ رِسَائِلُ وَكُتُبٌ صَغِيرَةٌ فِي مَوْضُوعَاتٍ خَاصَّةٍ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْخَلِيلُ أَحْصَى أَلْفَاظَ اللُّغَةِ بِطَرِيقَةٍ حِسَابِيَّةٍ فِي كِتَابٍ ، وَرَتَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ مَقْدَمًا حُرُوفَ الْخَلْقِ وَمَبْتَدَأًا مِنْهَا بِالْعَيْنِ وَلِذَلِكَ سَمَّى مَعْجَمَهُ « كِتَابَ الْعَيْنِ » ثُمَّ أَلْفَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ رِيْدٍ مَعْجَمَهُ النِّظَامَ الَّذِي سَمَاهُ (الْجَمْهْرَةُ) مُرْتَبًا لَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ بِتَرْتِيبِهَا الْمَعْرُوفِ الْآنَ . وَأَدْرَكَ عَصْرَهُ الْأَزْهَرِيُّ فَأَلْفَ كِتَابَ (التَّهْذِيبِ) عَلَى تَرْتِيبِ الْخَلِيلِ ثُمَّ وَضَعَ الْجَوْهَرِيُّ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى (بِالْمُصْطَحَاحِ) عَلَى تَرْتِيبِ الْجَمْهْرَةِ

وابن سيده الاندلسي كتابه (المُحْكَم) على ترتيب الخليل وابن فارس كتابه (المجمل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط) وهذه هي أصول كتب اللغة وما بعدها من (العباب والتكملة ومجمع البحرين) للصاغاني، والنهاية لابن الأثير ولسان العرب لابن مكرم، والمصباح الفيومي والقاموس للفيروزبادي، فهو جمع لها أو اختصار منها

﴿ علوم البلاغة — المعاني والبيان والبديع ﴾

أول كتاب دُون في علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لابي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء — ولا يُعلم أول من ألف في المعاني بالضبط، وإنما أثر فيها كلامٌ عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ في إعجاز القرآن وغيره — وأول مَنْ دُون كتاباً في علم البديع ابن المعتز وقُدّامة بن جعفر — وقبل ذلك كان البديع يُستعمل في الشعر عملاً، وبقيت هذه العلوم تتكامل ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحلُ البلاغة عبدُ القاهر الجرجاني فآلف في المعاني كتابه دلائل الإعجاز وفي البيان كتابه أسرار البلاغة وجاء بعده السكاكي فآلف كتابه العظيم مفتاح العلوم

﴿ الخليل بن أحمد ﴾

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفراهيدي الأزدي البصري مخترع العروض، ومُبْتَكِر المعجمات، ووضع الشكل العربي المستعمل الآن ولد سنة ١٠٠ بالبصرة ونشأ بها وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه وأكثر الخروج إلى البوادي، وسمع الأعراب الفصحاء، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لاحدٍ من تقدّمه أو تأخر عنه، وكان غايةً في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه وتَمَنَّى ذلك تلميذه سيويو

ومما يشهد له بجدّة الفكر وبُعد النظر اختراعه العروضَ علماً كاملاً لم يحتاج إلى تهذيب بعده ، وابتكاره طريقةً تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة اجنبية واشتغال بهو ، وزاد في الشطر نبح قطعةً سماها جَمَلاً لعبَ بها الناسُ زمناً ، وبقي الخليلُ مُقيماً بالبصرة طولَ حياته زاهداً متعقفاً مُكبّاً على العلم والتعليم حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٤ هـ بصدمة في دِعامَة مسجد أرتج منها دماغه

﴿ سيبويه ﴾

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر — امام البصريين وحجة النحويين ولد بالبيضاء من سُلالة فارسية ونشأ بالبصرة وكان يطلب أوّل أمره الحديث والفقّه فعميت عليه لَحْنَةُ لَحْنِهَا في مجلس شيخه فخبّل ، وطَلَب النحو ولازم الخليل وأخذ عن غيره أيضاً وكان الخليلُ يؤثّرهُ على أصحابه ، فدَوّن جميعَ ما أخذهُ عنه ونقلهُ عن غيره في كتابه الذي لم يُجمَع قبله مثله ولولا هذا (الكتابُ) الذي رواه عنه وشرحه تلميذه الأَخفش ما كان لسيبويه خبر يشهرُ لوفاته كهلاً ولعلّتمن أخذ عنه هذا الكتابَ ولأنّه لا يعرف له كتابٌ غيرُهُ وبحسبك هو — ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٧٧ هـ

﴿ الكسائي ﴾

هو أبو الحسن علي بن حمزة — أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو واللغة — نشأ بالكوفة وتعلّم على الكبير بعد لَحْنَةِ لَحْنِهَا أمامَ جمعٍ من طلبة العلم فلازم أئمة الكوفة حتى أنفد ما عندهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلّته ، وأعجبهُ علمه . فقال له : من أين علمك هذا قال من بوادي الحِجاز ونجد

وتهملة فخرَج إليها ، وأنفدَ خمسَ عشرةَ رَقِيَّةً جَبَر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظَ عنهم . ولما رجع من البادية وجَّهَ إليه المهديُّ فخرَجَ إلى بغداد فخطبَ عنده وضمة إلى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيدُ مؤدِّبَ ولده الأمين ، فكان يُجلِّسه هو والقاضي محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة على كرسيَّين متميزين بحضرتيه ، وما زالَ على هذه الكرامة حتى خرج الرشيدُ إلى الرِّى وهما في صحبته فلما في يوم واحد فبكاهما وقال دفنت الفقه والعريية بالرِّى وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه امامة القراءة والعريية بالكوفة وبغداد — وكان يروى الشعر وليس له فيه جيّدٌ نظيرٌ

﴿ العلوم الشرعية ﴾

التفسير — لم يُدوّن في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلّها إلّا في عصر الدولة العباسية . وكان التفسيرُ عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته ، وأوّلُ طبقةٍ من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو نشأت في صدرها طبقةُ سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج واسحق بن راهوية ومقاتل بن سليمان والقرّاء

﴿ الحديث ﴾

أوّلُ كتابٍ أُجمِعَ في الحديثِ الكتابية الذي أُمِرَ الخليفة الأمويُّ عمر بن عبد العزيز بتدوينه ولم يعرف له خبرٌ بعدُ : ثم أخذ العلماء يدوّنون فيه بعضَ الخليفة أبي جعفر وأولاده ، فدوّن الإمام مالكُ موطأه . ولما اشتدت رغبة الناس فيه طلب الحديث وضع كثيرٌ من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالاسلام كثيراً من لا حادِث فتجرّد لها الأئمةُ الأعلامُ وبينوا هيجبهما من فاسدها كاسحق بن

راهويه وتلميذه محمد بن اسمعيل البخارى الذى دَوَّنَ كتابه فى الأحاديث الصَّحاح فقط، وتبعه تلميذه مسلم بن الحجاج، والامام احمد بن حنبل وأصحابُ كُتُب السنة الصَّحاح وهم - الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه - هذه هى اصول الكتب فى الحديث

﴿ الامام البخارى ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المهيرة ، إمام الحديث ثين وصاحب الجامع الصحيح أجل كُتُب الإسلام بعد كتاب الله العزيز ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبي وحبَّبَ إليه سماعُ الحديث فكان أولُ سماعه من علماء بخارى وهو لم يُناهز البلوغَ حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من أجله أكثر ممالك المشرق وأخذ عنه علماءها وأتَمَّها ومنهم أحمد بن حنبل - ونفقه على مذهب الشافعى واستخرج كتابه « الجامع الصحيح » من ستمائة ألف حديث فى ست عشرة سنة جمع فيه تسعة آلاف حديث مكرَّر بعضها بتكرُّر وجوها وقال إني جعلته حجةً بيني وبين الله فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصحُّ منه ومات سنة ٢٥٦ هـ

﴿ علم الفقه ﴾

لما كان المروى عن رسول الله وظاهر نص القرآن لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان كان الاجتهاد ضرورياً فى الدين وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجعون جانب الأخذ بالحديث لكثرة روايته بينهم ، وإمامهم فى مذهبهم مالك بن أنس ، وأهل العراق يرجعون للأخذ

بالقياس ، وإمامهم في مذهبهم أبو حنيفة لكثرة ما وضعه مترندقة الوراق في الحديث ثم لما دخل أهل الحجاز العراق وتساوى الفريقان في معرفة الأحاديث عملوا بهما ، ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك ومذهب الشافعي ومذهب أحمد بن حنبل وهذه المذاهب الأربعة هي التي ارتضاها معظم الأمة في أمر دينها ودنياها : ثم كان لكل مذهب أئمة مجتهدون فيه :

﴿ الامام أبو حنيفة النعمان ﴾

هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق — ولد سنة ٨٠ هـ من سلالة فارسية ونشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة وأخذ كل علمه عن شافه الصحابة وقَلَّ عنهم — وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم وأكثرهم ورعاً وتوخيًا للكسب من وجه حلٍ ، رضى أن يعيش تاجرًا خزٍ ورغيب عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بني أمية ثم المنصور فأبى فسجنه وآذاه حتى قيل إنه مات في سجنه وكان يعتذر بأنه لا يأت من نفسه أن تزلّ وقرأ عليه علمه الكوفة وبعداد وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كحميد بن الحسن وأبي يوسف وزُفَر — ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ واستنباط فقهه من القرآن والحديث مع استعمال الرأي والقياس

﴿ الامام مالك ﴾

هو أبو عبد الله مالك بن أنس امام دار الهجرة وسيد فقهاء الحجاز من سلالة عربية ولد سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد ورحل اليهم وأخذ عنهم وما زال يدأب في التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حُجج الله في أرضه وضرب به المثلُ فقل (لا يفتى ومالك

بالمدينة) وعَرَفَ الخلفاء قدره فأجلوه ، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده اليه بالحجاز ليسمع موطأه فسمعه وأغدق عليه — وكان مالكٌ أول أمره فقيراً فلما كثرت منحةُ الخلفاء له حسن حاله فأظهر نعمة الله عليه ووصل أهل العلم وأشركهم في ماله ومنهم الشافعي — وأخلاقه : من السكرم والطلاقة والوقار والنبيل والتواضع والحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام تجل عن الوصف حتى انه كان لا يركب دابةً في المدينة اجلاً لآرض ضمت جسد رسول الله وتوفي سنة ١٧٩ بالمدينة ودفن بالبقيع

﴿ الامام الشافعي ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع — عالمٌ قريش وفخرها وامامُ الشريعة وحبرُها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ وحل الى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها فقيراً تربيه امه ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأوأم بالنحو والشعر واللغة ورحل الى البادية في تطُّبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ موطأ مالك وأقرب وهو ابن خمس عشرة سنة . ثم رحل في هذه السن الى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه فقال مالك : ان يكن أحدٌ يُفليح فهذا الغلام . وأضافه وخدمه بنفسه . ثم رجع الى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه . وفي سنة ١٩٩ هـ أو سنة ٢٠٠ هـ خرج الى مصر وسكن القسطنطينية فكانت دار هجرته ، وبها أُملى مذهبه بجامع عمرو — وتوفي سنة ٢٠٤ هـ

﴿الامام أحمد بن حنبل﴾

هو الامام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ولد ببغداد من سلالة عربية سنة ١٦٤ فتعلم العلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته حتى حفظ مئات الالوف من الاحاديث واختار منها نيفاً واربعين الف حديث ضمها كتابه المسند ، واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأى وظهرت في مدته فتنة خلق القرآن ، فامتحن بها في مجلس المعتصم ليحببهم الى القول بخلق القرآن فلم يفعل ، فضرب حتى أغشى عليه ثم عوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد حتى مات سنة ٢٤١ هـ

﴿علم الكلام﴾

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة . وما وقع فيهما من المتشابه أو أوهم التشبيه المنافي لتنزيه المعبود توقفوا فيه خوفاً أن يحيد بهم فهمهم في التأويل عن القصد — غير أن ذلك لم يقنع من دخل في الاسلام فكثرت جدلهم واضطر العلماء أن يعارضوهم وساعدتهم الخلفاء وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام « التوحيد » فافترق المرضى عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين ، فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسُموا الجماعة أو أصحاب الحديث ، وفرقة اعزأتها وخالفاتها في بعض المسائل وسُموا المعتزلة أو أصحاب العدل ، وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فآلف مذهب الكلامي الذي سُمي بعد ذلك بمذهب الاشاعرة وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كذاهدب الشيعة « وبقى كثير منها إلى الآن » ومذاهب الخوارج وبقى منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الاخضر من برقة وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وبلاد البحرين

﴿ أبو الحسن الأشعري ﴾

هو أبو الحسن علي بن اسمعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وامام المتكلمين وُلد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ — ونشأ بها وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجُبائي شيخ المئزلة وتبعه في الاعتزال ، واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث . فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ، ومن المعتزلة غَال في نظره ، فتوسط ، وتغيّب عن الناس مدّة ألف فيها كتيبه في نصرة أهل السنّة والردّ على أكثر عقائد المعتزلة : وكان شافعيّ المذهب — توفي سنة ٣٢٤ هـ وعَمّن نصر مذهبه الفخر الرازي والغزالي وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريدي

﴿ الأمام الغزالي ﴾

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي حجة الاسلام ولد سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بطوس وتعلّم بها مبادئ العلوم ثم رحل إلى نيسابور ، ولازم أَمَامَ الحرمين الجويني وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر متكلمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية — ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقي الوزيرَ نظامَ الملك صاحبَ المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم وأقرّ له فجول العراق بالفضل فتولّى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات — ثم حجّ وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس واشتغل بتأليف الكتب الجليلة التي في مقدمتها كتاب « إحياء علوم الدين » ثم لزم التدريس بنيسابور ثم عاد إلى وطنه حيث مضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البرّ حتى مات بطوس سنة ٥٠٥ هـ .

﴿ نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها وأشهر المترجمين والمشتغلين بها ﴾
وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم - المنطق ، والطبيعيّات
والرياضيّات ، والالهيات - وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة والكيمياء وفن المواليد
الثلاثة والطب والصيدلة والفلاحة

وتشمل الرياضيّات علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات والحيل
(الميكانيكا) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن متعلقاته علم الجغرافيا
الرياضية — ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدير المنزل والمال وعلم الأخلاق
والموسيقى : وتشمل الآلهيات علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدركات العقلية
كالبحت عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ونحو ذلك :

وهذه العلوم فطرية في الانسان من حيث أنه متفكر متمدين لا تختص بها
أمة دون أخرى فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة
ولذلك ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم المنصورُ العباسيُّ كثيراً
من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطب
والفلك والسياسة — ولما مات المنصور قترَ أمر الترجمة الى زمن الرشيد والبرامكة
فختوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية وصححوا بعض ما تُرجمَ زمن المنصور — ثم
جاء عصرُ المأمون فزخرتْ بِمُحَوِّرِ الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعةً من المترجمين
كابن الطريق ، وسألم صاحب بيت الحكمة والحجاج بن مطر وحنين بن اسحاق
فأختاروا كتباً حملوها الى بغداد وتُرجمت وتعلّمها الناسُ وصحّحوا أغلاطها
واستدرّكوا عايبها ولم يمضِ قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في
هذه العلوم كلها ، وظهر منهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحق فلاسفة

علوم الفلك والحكمة والطبيعات والرياضيات والأهليات ٤٤٣

اليونان. ومن هؤلاء فيلسوف الإسلام والعرب أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي وبنو موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن أشهر رياضي هذا العصر — وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ، ومحمد بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة . ومذيع الحساب الهندي بين العرب

ثم ذهب طورُ الترجمة والتصحيح - وتلاه طورُ التأليف والتكامل والاختراع فأتى فيه بالعجب العجائب أبو نصر محمد بن محمد طرخان الفارابي الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون ، والتي استنبط الافرنج بحاكتها آلة المعزف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ٣٦٤ هـ والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغال بهذه العلوم فاشهر في دولهم في الفلك والرياضيات ابن يونس وفي الطب ابن رضوان وغيرهما . ولم يُغنَ أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهر من نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضى أحمد ابن رشد وأبو القاسم الزهراوى ، ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل (أوربا) كثيراً من أصول مدينتهم الحاضرة

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء والقواد سوق نافذة حتى عند رؤساء الاعاجم من الذين لم يتركوا — ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية . وبهذه

العناية العظيمة بل وكثرة قائله ومُتَحَلِّيه تَعَتَّنَ الناسُ وأدخلوا عليه فنوناً لم تُعْهَدَ فيه واستعملوه في كل غرض حتى التَّعَبُّدُ به — وتشكَّلَ أسلوبُه وتنوّعت معانيه بما يطابق أغراض استعماله

ولم يُقْصِر الشعر على الموالى في صدر الدَّولة العباسية كالكتابة — بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ومن سلاثل العرب بالامصار أخرى — غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بشار وأبي نَواس ومُسلم وأبي العتاهية وابن الرُّومي

ومن أشهر شعراء الامصار من العرب أبو تمام والبُحْتَرى وابن المعتز والمتنبي وأبو فراس وأبو العلاء المَعْرى وابن هانئ الاندلسى والشريف الرضى

(١) بشارُ بن بُرد

هو أبو معاذٍ بشارُ المُرْعَثُ بنُ بُرد — أشعرُ مُخَضَّرِمي الدولتين ورأسُ الشعراء المحدثين ، ومُعَهَّد طريق الاختراع والبديع للمُتَعَنِّين ، وأحد البلغاء المكفوفين — وأصله من فرس طُخَّارستان من سَبْيِ المهلب بن أبي صُفرة فنشأ بشارٌ فيهم واختلف الى الاعراب الضاربين بالبصرة حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجفنة ، متوقد الذكاء ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة — لا يَأْلَفُ ولا يُؤَلَّفُ شعره — قد أجمع رُواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأسُ المحدثين وأسبقهم الى مُعاطاة البديع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والمجاء وأنه أولُ من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين وفتقَ عن المعانى الدقيقة والأخيلة اللطيفة حتى عدَّ شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ومجازاً يُعبرُ عليه

الشعرُ من مِراجِ البداوةِ الى مقاصير الحضارة — ومات سنة ١٦٨ هـ

ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غصاةً فإن الخواي قوة للقوادم
وما خيرُ كفٍّ أمسك الغلُّ أختها وما خيرُ سيفٍ لم يؤيد بقاتم
وخلّ الهوينى للضعيف ولا تكن نومةً فإن الحرَّ ليس بنائم
وقوله :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا نعمة
فليس واحداً أو حليلاً أخاك فانه مقارِفُ ذنبٍ مرّةٌ ومُجانبة
إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى ظلمتَ وأيُّ الناس تصفو ومشاربه
وقوله :

خليئاً إن المالَ ليس بنافع إذا لم ينلْ منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ إذا ضاقت على محلة تيممت أخرى ما على مضيقُ
وما خاب بين الله والناس عاملٌ له في التقى أو في المحامد سوقُ
وما ضاق بفضلُ الله من مُتَمَتِّفٍ ولكنَّ أتعابَ الرجالِ تزييقُ

(٢) أبو نواس

هو أبو علي الحسن بن هانيء، الشاعرُ المتميزُ الجليلُ المالحنُّ، صاحبُ الذِي يُمَيِّزُ
الطائرَ، والشعر السائرَ، ورأسُ المحدثين بعد بشارَ، وهو فارسي الأصل
وُلِدَ بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤١ هـ ونشأ يتيماً فقدمت به أمه البصرة
بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب في الأدب فلم تلبأ أمه بحاله وأسلمته إلى

عطار بالبصرة، فكث عنه لا يفتقر عن مُعانة الشعر الى أن صادفه عند العطار « وآلة بن الحباب » الشاعر الماجن الكوفي في إحدى قدماته الى البصرة فأعجب كل منهما بالآخر، فأخرجه والبة معه الى الكوفة فبقي معه ومع ندمائه من خُلفاء الكوفة، وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مَدحه فدحه بقصائد طنانة، ثم انقطع الى مدح محمد الأمين وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ينفد سنة ١٩٩ هـ وكان أبو نواس جميل الصورة، فكية المحضر، كثير اللطافة، حاضر البديهة، متيناً في اللغة والشعر والأدب.

شعره — أكثر علماء الشعر وتقدته وفحول الشعراء على أن أبا نواس أشعر المحدثين بمد بشار وأكثرم تغننا وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر، وامتاز من كل الشعراء بقصائده الخريات ومقطعاته المجونيات. وكان شعره لِقَاحَ الفساد والقُدوة السيئة لنقلة الغزل من أوصاف المؤنث الى الذكر

ومن قوله لما حضرته الوفاة :

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك إلا محسن فيمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت نصرعاً فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم ؟
مالى اليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم

(٣) مسلم بن الوليد

هو حريص القواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري، أحد الشعراء

المفلقين - قال الشعر في صباه ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء مكتفياً بما يناله من قليل العطاء ، ثم انقطع الى يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة هرون الرشيد ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين : الفضل بن سهل وزير المأمون في أول خلافته ، قرّبه وأدناه وولاه أعمالاً بجزر جان ، ثم الضياع بأصنهان . ولما قُتل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحداً حتى مات بجزر جان سنة ٢٠٨ هـ

شعره - قد تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله ، ومزج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة وكساه الألفاظ الظرفية . فله جزالة البدويين ورقة الحضريين ومن جيد قوله :

يجودُ بالأنفس إن ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالأنفس أقصى غايةِ الجودِ

(٤) أَبُو الْعَتَاهِيَةِ

هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم بن سويند ، أطلع أهل زمانه شعراً وأكثرهم قولاً وأسهم لفظاً وأسرعهم بديهة وأرنجلاً وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والزهد في الدنيا والنهي عن الاغترار بها وأكثر من الحكمة ولد بالكوفة سنة ١٣٠ هـ ونشأ في عمل أهله وكانوا باعة جرار الا أنه رباً بنفسه عن علمهم . وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه فذاع صيته وسلك طريق خلفاء الكوفة ثم قدم بغداد ومدح المهدي - ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر حتى حبسه الرشيد لعدم تليته ما اقترحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه ، وترك الغزل والمجاء وبقي

على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ هـ بغداد
ومن شعره يمدح المهدي

أنته الخلافة مُنْقَادَةٌ إليه تَجَرَّرُ أذْيَالُهَا
فلم تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ ولم يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
ولو راحها أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا
ولو لم تُطْعِمُهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لما قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
وإن الخليفة من بَعْضِ لَا إليه لِيُبْغِضَ مَنْ قَالَهَا
وكتب على البديهة في ظهر كتاب

ألا إِنَّا كُنَّا بَائِدٌ وأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدٌ
وبدؤهم كَانِ مِنْ رَبِّهِمْ وكلُّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ
فيا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى إِلَّا أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِلُ
وَاللَّهِ فِي كُلِّ تَخْوِيكَةٍ وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدٌ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

(٥) - أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت
بذكرهم الرُّكبانُ . وخلد شعرهم الزمانُ . ثانيهم البُحْتُريُّ ، وثالثهم المتنبِّيُّ ولد
سنة ١٩٠ هـ بقرية جابيم من أعمال دمشق ونقل صغيراً إلى مصر فنشأ بها فقيراً
وكان يسقي الماءَ بِالْجَرَّةِ في جامع عمرو . وتعلم العربية وحفظ ما لا يُحصى من شعر
العرب ونبع في قوله ، ثم خرج إلى مقرِّ الخلافة فمدح المصمِّمَ وحُظِيَّ عنده ومدح
وزيرَه محمد بن زيات والحسن بن وهب الذي ولَّاهُ بريد الموصل فأقام بها إلى

أن مات سنة ٢٣١ هـ

شعره — يُعدُّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين وظهر والدنيا قد مُلئت بترجمة علوم الأوائل وحكمها فحصف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها — وهو الذي مهد طريق الحكيم والامثال للمتنبي وأبي العلاء وغيرهما ، ولذلك كان يقال إن أبا تمام والمتنبي حكيمان — والشاعر البخنري

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر ، أما مرثيته فلم يعلق بها أحدٌ جاش صدره بشعر ، وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد بن حميد الطائي ومنها

كذا فليَجَلِ الخطبُ وليَفْدَحِ الأَمْرُ فليسَ لعينٍ لم يَقِضْ ماوُثَّها عُذْرُ
تُوقِيتِ الأَمالُ بعدَ محمد وأصبحَ في شُغلٍ عن السَّفَرِ السَّفَرُ
وما كانَ الأَمالُ من قَلِّ ماله وذخراً لمن أَمسى وليسَ له ذخر
وما كانَ يدرى مجتدى جودِ كِفِه إذا ما استَهَلَّتْ أَنَّهُ تُخْلِقُ العُمُرُ
ألاَ في سبيلِ الله من عطَمَتْ له فِجَاجُ مَسِيلِ الله وانتَغَرَ الثَغَرُ
قَيَّ كَلِّما قاضَتْ عيونُ قبيلة دَمًا ضَحَكَتْ عَنْهُ الأَحاديثُ والذِّكر
قَيَّ دهره شطرانَ فيما يَنوبُهُ فني بأَسِه شطر وفي جوده شطر
قَيَّ مات بينَ الطَّعْنِ والضَّربِ مَيَّة تقومُ مقامَ النصرِ إنْ قاتَه النصرُ
وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضْرِبُ سِيفِه من الضَّربِ واعتَلَّتْ عليه القَنَا السُّمُرُ
وقد كانَ فَوْتُ الموتِ سَهلاً فَرَدَّه اليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تَعافَ العارَ حتَّى كَأَنَّما هو الكُفْرُ يومَ الرُّوعِ أو دُونَه الكُفْرُ
فَأَثَبَتْ في مُسْتَنقَعِ الموتِ رِجْلَه وقالَ لها من نَحَتْ أَخْمَصِيكَ الحِشْرُ
غداً غَدْوَةٌ والحَدُّ نَسَجَ رِداءه فلم يَنصَرَفْ إلا وأَكفانُهُ الأَجْرُ

﴿ ٦ — البُحْتَرِيُّ ﴾

هو أبو عُبَادَةَ الْوَايِدُ بْنُ عُبَيْدِ الطَّائِي أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ بَعْدَ أَبِي نُوَّاسٍ وَوُلِدَ سَنَةَ ٢٠٦ هـ بِنَاحِيَةِ مَنْبِيجَ فِي قَبَائِلِ طِيٍّ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَدَوِ الضَّارِبِينَ فِي شَوَاطِئِ الْفُرَاتِ وَنَشَأَ بَيْنَهُمْ فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ فَصَاحَةُ الْعَرَبِ وَخَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَقَامَ فِي خِدْمَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ مُحْتَرَمًا عِنْدَهُمَا إِلَى أَنْ قُتِلَا فِي بَجَاسَ كَانَ هُوَ حَاضِرَهُ فَرَجَعَ إِلَى مَنْبِيجَ ، وَبَقِيَ يَخْتَلِفُ أحيانًا إِلَى رُؤَسَاءِ بَغْدَادِ وَسُرَّ مَنْ رَأَى حَتَّى مَاتَ سَنَةَ ٢٨٤ هـ : وَكَانَ عَلَى فَضْلِهِ وَفَصَاحَتِهِ مِنْ أَبْجَلِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَوْسَخِهِمْ ثَوْبًا وَأَكْثَرِهِمْ فَخْرًا بِشَعْرِهِ حَتَّى كَانَ يَقُولُ إِذَا أَعْجَبَهُ شَعْرُهُ أَحْسَنْتُ اللَّهَ ، وَيَقُولُ لِلْمُسْتَمْعِينَ : مَا لَكُمْ لَا تَقُولُونَ أَحْسَنْتَ . وَالكَثِيرُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ أَبِي نُوَّاسٍ مِنْ هُوَ أَشْعَرُ مِنَ الْبُحْتَرِيِّ وَلَا بَعْدَ الْبُحْتَرِيِّ مِنْ هُوَ أَطْبَعُ مِنْهُ عَلَى الشَّعْرِ وَلَا أَبْدَعَ مِنْهُ فِي الْخَيَالِ الشَّعْرِي شَعْرُهُ — كُلُّهُ بِدِيعِ الْمَعْنَى حَسَنَ الدِّيَاجَةِ صَقِيلَ اللَّفْظِ ، سَاسَ الْأَسْلُوبِ كَأَنَّهُ سِيلٌ يَنْحَدِرُ إِلَى الْأَسْمَاعِ مَجُودًا فِي كُلِّ غَرَضٍ سَوَى الْمَجَازِ وَلِذَلِكَ اعْتَبَرَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ هُوَ الشَّاعِرُ الْحَقِيقِيُّ وَاعْتَبَرُوا أَمْثَالَ أَبِي نَاصِرٍ وَالْمُتَنَبِّئِ وَالْمَعْرِي حُكَمَاءَ ، وَلِسَهُولَةِ شَعْرِهِ وَرَفْقَتِهِ كَانَ أَكْثَرُ الْأَصْوَاتِ الَّتِي يَتَنَقَّى بِهَا فِي زَمَانِهِ مِنْ شَعْرِهِ الْمَطْبُوعِ فِي دِيْوَانِ حَافِلٍ — وَمِنْ قَوْلِهِ يَمْدَحُ الْخَلِيفَةَ الْمُتَوَكِّلَ وَيَصِفُ مُوَكَّبَ خُرُوجِهِ لِمَعْلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ وَخُطْبَتِهِ فِي النَّاسِ

بِالْبَرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ	وَبِسُنَّةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تَفْطَرُ
فَانْعَمْ يَوْمَ الْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ	يَوْمُ أَغْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشْتَرُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِمُجَحِّفٍ	لَحِيبٍ يَحَاطُّ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ
رَخَّلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرَ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ	عُدْدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ

فالخيل تصهلُ والفوارسُ تدعى
والأرضُ خاشعةٌ تميدُ بثقلها
والشمسُ طالعةٌ توقدُ في الضحى
حتى طاعتَ بضوءِ وجهك فانبجلي
فاقتنَ فيك الناظرونَ فاصبحُ
يجدون رؤيتك التي فلزوا بها
ذكرُوا بطلعتك النبيَّ فهللوا
حتى انتهيتَ الى المصلّى لابساً
ومشيتَ مشيةً خاشعٍ متواضعٍ
فلو أن مُشتاقاً تكلفَ فوق ما
أبديتَ من فصل الخطاب بحكمة
ووقفتَ في بُردِ النبيِّ مذكراً
والبيضُ تلمعُ والأسنةُ تزهرُ
والجوُّ معتكراً الجوانبُ أغبرُ
طوراً أو يطفئها العجاجُ إلا كدرُ
ذاك الدُّجى وانجابِ ذاك العيشِ
يوماً اليك بها وعينٌ تنظرُ
من أنعمَ اللهَ التي لا تكفرُ
لما طلعتَ من الصفوفِ وكبرُوا
نورَ الهدى يبدو عليك ويظهرُ
لله لا يزهى ولا يتكبرُ
في وسعه لسعى اليك المنبرُ
تنبي عن الحق المبين وتنبئُ
بالله تُنذر نارةً وتُبشِّرُ

(٧) — ابن الرُّمى

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرُّمى مولى بني العباس الشاعر المكثر
المطبوع، صاحب النظم المعجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المخترعة والأهاجى المقذعة
ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونشأ بها، وأقام كل حياته، وكان كثير التطير جداً
وكان القاسمُ بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وقلبات لسانه فسقط عليه
من دس له السم في الدسم الى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد، وآثاره متفرقة في
أبواب هذا الكتاب

شعره — قاله في كل غرض ولا سيما الوصف والمجاء، ونفع في الشعر نبوغاً

لم يقصر به كثيراً عن درجة البحترى ، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووضعها في أحسن قالب — وله ديوان كبير

(٨) — ابن المعتز

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبدُ الله بن أمير المؤمنين محمد المعتز بالله أشعر بني هاشم ، وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات

ولد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة ، وتربى تربية الملوك وأخذ عن المبرِّد وتعلب ومهر في كل علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفة دهره حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتبها وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك ، وولوا المقتدرَ صديقاً ، ثم حدثت فتنة عظيمة فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلصوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة على غير طلب منه . فلما رأى غلمانُ المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تأمروا على قتله وخنق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ ، وآثاره متفرقة في هذا الكتاب .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم ، وخاتم ثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء وهو من سلالة عربية من قبيلة جعفي بن سعد العشيرة إحدى قبائل الجمانية ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلة كندة ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه وكان أبوه سقياً فخرج به إلى الشام . ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة في البادية فخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظم شأنه بينهم . وكانت الأعراب الضاربون بمشارف

الشام شديدي الشغب على ولاتها فوشى بعضهم الى لؤلؤ أمير حصص من قبل
الأخشيدي بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى
على ملك الشام منه . فخرج لؤلؤ الى بني كلب وحاربهم وقبض على المتنبي وسجنه
طويلاً ثم استتابه وأطلقه

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له . ثم تكسب بالشعر
مدّة انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان فدحه بما خلّد اسمه أبداً الدهر . وتعلم
منه الفروسية وحضر معه وقائمه العظيمة مع الروم حتى عدّ من أبطال القتال رجاء
أن يكون صاحب دولة .

ثم قصد كافوراً الأخشيدي أمير مصر ومدحه ووعده كافور أن يقلّده أمانة
أو ولاية . ولكنه لما رأى تعالىه في شعره وفخره بنفسه عدل أن يوليه . وعاتبه
بعضهم في ذلك فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما
يدعى المملكة بعد كافور ، فحسبكم فعاتبه أبو الطيب واستأذن في الخروج من
مصر فأبى . فتغفله في ليلة عيد النحر وخرج منها يريد الكوفة ومنها قصد عضد
الدولة بن بويه بفارس ماراً ببغداد فدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته
وعاد الى بغداد . وخرج الى الكوفة فخرج عليه أعراب بني ضبة وفيهم فاتك بن
أبي جهل ، وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقدماً فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل المتنبي
وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ هـ

شعره - لاخلاف عند أهل الأدب في أنه لم ينبغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ
شأوه أو دانه . والمعترى على بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه
في المعاني والتصورات الفلسفية يمتدح بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره . ومن قوله

اذا رأيت نُيُوبَ الليث بارزةً فلا تظنَّ أن الليثَ يتسمُّ
 أعيدها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورمُّ
 وما انتفاعُ أخى الدنيا بتأطيرةٍ اذا استوت عنده الأُنوارُ والظلمُ
 يامن يعزُّ علينا أن نفارقهم وجدائنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ
 ان كان سرُّكم ما قال حاسدنا فما لجرحٍ اذا أرضاكم ألمُ
 وبيننا لو رعيتهم ذاك معرفة ان المعارفَ في أهلِ النُهي ذِمُّ
 كم تطلبون لنا عيياً فيعجزكم ويكره الله ما تاتون والكرمُ
 اذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون همُ
 ومن قوله :

ذو العقلِ يشقى في النعيمِ بعقله وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعمُ
 لا يخذعُكَ من عدوٍّ دمه وارحمُ شباكَ من عدوٍّ ترحمُ
 لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يراقَ على جوانبه الدَّمُ
 والظلمُ من شيمِ النفوسِ فان تجدُ ذا عفةٍ فلعلةٌ لا يظلمُ
 ومن البليةِ عدلُ من لا يرعوى عن غيبةٍ وخطابٍ من لا يفهمُ
 ومن العداوةِ ما ينالك نفعه ومن الصداقةِ ما يضرُّ ويؤلمُ
 ومن قوله :

ما كنت أحسبُ قبل دفنك في التُّرى أن الكواكبَ في الترابِ تمورُ
 ما كنت آملُ قبل نعيِّكَ أن أرى رَضُوئِي على أيدي الرجالِ يسيرُ
 خرجوا به ولكلِّ باكِ حوله صعقاتُ موسى يومَ دُكِّ الطُورِ
 حتى أتوا جدًّا كان ضريحه في كلِّ قلبٍ مُوجدٍ محفورُ

كفلَ الثناء له بردَ حياته لما انطوى فكانه منشور

(١٠) — ابن هانيء الأندلسي

هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي شاعرُ الغربِ ومنذبيهِ
والمؤثرُ فخامةُ ألفاظه على رِقَّة معانيه ، وأحدُ المفرطين في غلو المدح واستعمال
الاستعارة والتشبيه

وُلِدَ بأشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامل اشبيلية زمن المستنصر
الأُموي ، ومدحه بغير القصائد فأحلَّه منه منزلة سنية وأغدق عليه العطايا فأكبَّ
عليه اللهو والطرب والاستهتار ، وأتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة
ولما شاع ذلك عنه نَقَمه عليه أهلُ اشبيلية وأشركوا عاملها في التهمة وكادوا
يهيئون به فأشار عليه بالهجرة من اشبيلية فاجتاز البحرَ الى عُدوة المغرب ومدح ولاته
من قبل المعز الفاطمي ، ثم نُمِيَ خبرُه الى المعز فوجه في طلبه فوجد عليه بأفريقية
ومدحه فاصطفاه واتخذه شاعر دوائه

ولما فتح جوهر مصر وبنى القاهرة ورحل اليها المعز ليتخذها دار ملكه شيَّعه
ابن هانيء ، ورجع لآخذ عياله والاتحاق به ، فتجهَّز وتبعه ، فلما وصل الى بَرَقَة
مات بها سنة ٣٦٢ هـ — وعُمره ٣٦ سنة

شعره — لم ينبغ في شعراء جزيرة الاندلس ولا بر المغرب جميعها من يفوق
ابن هانيء في صناعة الشعر أو يساويه فقد كان عندهم في الشهرة والاجادة وشرف
الشعر بمنزلة المتنبي عند المشارقة ويسميه كثير من الادباء بمتنبي المغرب
ومن قوله في وصف الخيل :

وصواهل لا الهَضْبُ يوم مغارها هَضْبٌ ولا البيدُ الحُزُونُ حُزُونُ

عُرِفَتْ بِسَاعَةِ سَبْقِهَا لَا أَنَّهَا عُلِقَتْ بِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ عَيُونُ
وَأَجَلُ عِلْمِ الْبَرْقِ فِيهَا أَنَّهَا مَرَّتْ بِجَانِحَتَيْهِ وَهِيَ ظَنُونُ
وَمِنْ قَوْلِهِ الْمَوْهَمُ الْكَفَرُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمَعْرَى :
مَا شِئْتُ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمِ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

(١١) — أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرَى

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المَدْرَسِيُّ النَّتُونِيُّ الشاعر الفيلسوف
المتفكّر — وهو عربي النسب من قبيلة تَنُوحٍ من بطون قضاة من بيت علم وقضاء
وُلِدَ بِمَعْرَةَ النِّمْنَانِ سَنَةَ ٣٩٨ هـ وَجُدَ فِي اثْنَانِثَةِ مِنْ عَمَرِهِ فَكُفِّ بِصَرِّهِ وَتَعَلَّمَ
عَلَى أَبِيهِ وَغَيْرِهِ مِنْ أُمَّةِ زَمَانِهِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ كُلَّ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ مَرَّةٍ — وَقَالَ الشَّعْرُ
وَعَمْرُهُ أَحَدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى إِقْبَالًا عَظِيمًا
سَمَّاهُ جَفَاهُ — وَارْجَعَ إِلَى الْمَعْرَةِ أَقَامَ وَلَمْ يَبْرَحْ مَنْزِلَهُ ، وَنَسَكَ وَسَمَّى نَفْسَهُ رَهْنَ
الْمَحْبُوسَيْنِ : مَحْبُوسِ الْعَمَى وَمَحْبُوسِ الْمَنْزِلِ وَبَقِيَ فِيهِ مَكْبَةٌ عَلَى التَّدْرِيسِ وَالتَّأْلِيفِ
وَنَظْمِ الشَّعْرِ مَقْتَنًا بِعَشْرَاتٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ فِي الْعَامِ يَسْتَعْلِمُهَا مِنْ عَقَارِهِ ، مُحْتَجِبًا أَكْلَ
الْحَيَوَانِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَدَّةَ ٤٥ سَنَةً ، مَكْتَفِيًا بِالنَّبَاتِ مُتَعَلِّلاً بِأَنَّهُ فَقِيرٌ وَأَنَّهُ يَرْحَمُ
الْحَيَوَانَ . وَعَاشَ عَزَبًا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٤٤٩ هـ بِالْمَعْرَةِ — وَأَوْصَى أَنْ يَكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ بِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

شعره — وله كثير من الشعر يناقض بعضه في حقيقة العالم والشرائع والمعبود
والناس في اعتقاده أقوال كثيرة والظاهر أنه كان شاكاً متحيراً وهو أحكم الشعراء
بعد المتنبي ويفضل عليه في الطبيعيات والاجتماعيات والاخلاق والقوانين والفلسفة
والشرائع والاديان — ومن مراثيه قوله

غبر مُجْدٍ في مِلَّتِي واعتقادي وشيئة صوت النعي إذا قيد
 أبكت تِلْكَ الحامة أم غنّه صاح هذي قبورنا تملأ الرُح
 خفيف الوطء ما أظنّ أديم ال وقبيح بنا وإن قدّم الله
 سير إن استطعت في الهوار ويداً ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
 ودفين على بقايا دفين فاسأل الفرقدين عن أحسن
 كم أقاما على زوال نهار قعب كلّها الحياة فما أعده
 لنّ حزناً في ساعة الموت أضعا خلق الناس للبقاء فضلت
 انما يُنقلون من دار أعما ومنها : بأن أمر الإله واختلف لنا
 والذي حارت البرية فيه فاللييب اللييب من ليس يغتر
 نوح بالك ولا ترثم شادس بصوت البشير في كل ناد
 مت على فرع غصنها المياد مَبَ فأين القبور من عهد عاد
 أرض الآ من هذه الأجساد د هوان الآباء والأجداد
 لا اختيلاً على رُقات العباد ضاحك من تزاحم الأضداد
 في طويل الأزمان والآباد من قبيل وأنسا من بلاد
 وأنارا لمديح في سواد جبّ الآ من راغب في ازدياد
 ف سرور في ساعة الميلاد أمة بحسبهم للنفاذ
 ل إلى دار شقوة أو رشاد من فداع إلى ضلال وهاد
 حيوان مستحدث من جماد رُ بكون مصيره للفساد

ومن قوله :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكّان البسيطة أن ييخوا

تخطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يُعاد لنا سبك
 ﴿١٢﴾ — ابن خفاجة الأندلسي ﴿﴾

هو أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرقي الأندلس وأشهر
 وُصاف الطبيعة : ولد بجزيرة شُقر من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ قتعأم ونظم الشعر
 وكتب الرسائل الاخوانية البليغة ، وما زالت شمس أدبه في صعود حتى صار واحد
 زمانه في الأندلس — وغلب على شعره وصف الحوادث الجوية ومناظر الطبيعة :
 وله غزل رقيق ومدح بارع ورناء بليغ

شعره — يمتاز بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها في اللفظ حتى يحتاج في فهمها الى
 التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين في ذلك : توفي سنة ٥٣٣ هـ : ومن قوله يصف زهرة

ومائسة تزهي وقد خلع الحيا	عليها حلى حمراً وأردية خضراً
يذوب لها ريق القمام فيضة	ويجمد في أعطافها ذهباً نضراً
وقوله: يا أهل أندلس الله درككم	ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم	ولو تخيرت هدى كنت أختار
لا تخشوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً	فليس تدخل بعد الجنة الدار

﴿ الرواية والرواة ﴾

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية واختص كل فريق من الناس
 برواية شيء : فلما دونت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه
 فيها وأخذ أمر الرواية يضممن شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ولا سيما الأدب ثم
 اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء — ولكل علم رواية مشهورون وقد
 سبق الكلام على رواة العلوم والفنون في تاريخ وضعها

وأما رُواة الادب والشعر خاصة فأشهرهم حماد الراوية الكوفي ، وخلفه
الاحمر البصري ، وأبو عمرو الشيباني الكوفي ، والسكري البغدادى
ومن رواة الادب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً أبو عمرو بن العلاء وأبو
عبيدة معمر بن المثني ، والاصمعي ، وأبو زيد الانصاري ، وأبو عبيد القاسم بن
سلام ، ومحمد ابن سلام الجمحي ، وغيرهم - وهالك ترجمة أشهرهم في الرواية

﴿ الأصمعي ﴾

هو شيخ رُواة الادب الامامُ الثبَتُ الحجةُ الثقةُ النقيُّ ، أبو سعيد عبدُ الملك
بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمَع الباهلي البصري
ولد سنة ١٢٣ هـ - ونشأ بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة
البصرة وأخذ عن فصحاء الأعراب وأكثر الخروج الى البادية وشافه الأعراب
وساكنهم وتعلّم من خاف الأحمر نقد الشعر ومعانيه وكان أحفظ أهل زمانه حتي
قال مرةً إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة فقال له رجل : منها البيتُ والبيتان .
فقال : ومنها المائة والمائتان . وعمر حتى أدرك زمن المأمون . وأراد المأمون أن
يقدمه اليه فاعتذر بكبر السن . ومات سنة ٢١٦ هـ وله مؤلفات كثيرة

﴿ العصر الرابع عصر المماليك التركية - ٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ ﴾

(حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر)

لما اكتسح التتار ممالك الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا
وشرقي أوروبا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا وشرعوا يتخذون
الاسلام : بتقريب العلماء اليهم وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في ادامة الحركة
العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العجبة منهم ، أما

علوم العرب وأدبها فلم يكن لها مباءة ترجع إليها إلا البلاد العربية كالشام ومصر غير أنه أصبحت اللغة التركية العثمانية هي اللغة الرسمية للأعمال الدبلوماسية والسياسية في جميع الممالك العثمانية، فزاحت اللغة العربية مزاحمة ظهر أثرها يتنا في تحرير الرسائل الدبلوماسية والمعاهدات السياسية، ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية:

﴿ النثر لغة التخاطب ﴾

كادت تخل محل اللغة العامية العربية (في أعلى الجزيرة وشرق العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الألفاظ العربية أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع فيها حتى الملوك والسلاطين لغلبة العناصر العربية فيها — بل دون بها بعض العلماء ونظم بها الشعراء ثم أخذت العناية بها في الانحطاط

﴿ الخطابة ﴾

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجمع والأعياد وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها أو مع الترجمة إلى الأعجمية

﴿ الكتابة — الكتابة الخطبية ﴾

درج الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت المالكى وياقوت المستعصى، واستعملت فيه أكثر أنواعه وما زال الخط يجري في مضماره حتى قبض على عنانه مكتبو الترك العثمانيين فأبدعوا في تحسينه بما جعل جميع العالم يمتدحون لهم بالسبق — ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماصي إمام الخطاطين العثمانيين، وجلال الدين، والحافظ عثمان

﴿ الكتابة الانشائية - كتابة الرسائل ﴾

انتهت في كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية والتزام السجع والمحسنات البديعة وعضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر شهاب الدين محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ - ومحيي الدين بن عبد الظاهر، وابن فضل الله العمري وأولاده، وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك وصدر حكومة العثمانيين - ولما غلبت اللغة التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في المواضر والأمصار، أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال

﴿ الكتاب ﴾

(١ - القاضي محيي الدين عبد الظاهر)

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري وُلد سنة ٦٢٠ هـ ورباه والده، وبرع في كتابة الرسائل سالكا طريقة القاضي الفاضل وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه، وبعض أيام المنصور قلاوون ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الدين من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظلّ مرعياً في مصر والشام حتى نسخ النظام التركي العثماني، وتوفي سنة ٦٩٢ هـ وله تأليف ومكاتبات سلطانية كثيرة - وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يردُّ على صاحب اليمن في تعزيتة على موت ابنه :

« ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، لأنأسف معه على فائت ولا نأسى على مفقود ، واذا علم الله (سبحانه) حسن الاستنابة إلى قضائه ، والاستكثانة إلى عطائه ، عوض كل يوم ما يقولُ المبشرُ به : هذا موتى مولود ، وليست الأبل

بأغظَ أ كباداً ممن له قلبٌ لا يُبالى بالصدّ مات كُثُرَتْ أو قَلَّتْ ، ولا بالتباريح
 حَقُرَتْ أو جَلَّتْ ، ولا بالأزّ مات إن هي توالَتْ أو تولَّتْ ولا بالجفُون إن أَلَقَتْ
 ما فيها من الدموع والمجوع وتخلَّتْ ويخافُ من الدهر من لا حَلَبَ أَشْطَرُهُ ، ويأسف
 على الفاتت من لا بات بنبأ الخطوب الخطرة على أن الفادح يموت الولد الملك الصالح
 (رضى الله عنه) وإن كان مُشْكِيّاً والنافع بشجوه وإن كان مُبْكِيّاً . والنائح بذلك
 الأَسْف وإن كان إِنْثار الأَسْف مُذْكِيّاً . فإن وراء ذلك من تثبت الله عز وجل
 ما ينسفه نفساً ، ومن إلهامه الصبر ما يُجَدِّدُ لتمزيق القلوب أحق ما به تُرْفى .
 وبكتاب الله (تعالى) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) عندنا حسن اقتداء
 يضرب عن كل رثاء صفحاً »

﴿ ٢ — شهاب الدين بن فضل الله العمرى ﴾

هو الشاعر الكاتب المصنف القاضي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى
 ابن فضل الله العمرى ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب مسالك الأبصار
 وُلِدَ بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ وتفقّه وتادّب على أبيه وغيره ، وكان أعلم أهل
 القطر بن بتاريخ الملوك ، وطبقات العلماء ، والأدباء ، وعلم وصف الأرض ، فوق
 الفقه الذي نال فيه مرتبة الأفتاء وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ومن انشائه في وصف رِقْطٍ
 زباد من رسالة طويلة (و رِقْطُ الزباد الذي لانهكيه الأسود في صورها : ولا تسمح
 غيزلان المسك بما يُخزّنه من عرفة الطيب في سررها كم تنقل في بيوت طابت
 هوطناً ، ومشى من دار أصحابه فقالوا (ربنا عَجَلْ انا قَطَنًا)

ومن فصول رسائله فصل كتبه من رسالة عن لسان سلطانه الى نائب الشام
 مع طيور صيد جوارح أرسلها اليه :

صدرت هذه المكاتبة إلى الجنب العالی بسلام جميل الافتتاح، وثناء يطير إليه وكيف لا تطير قادمة بجَنَاح، ونُعم له ان مكاتبته المتقدمة الورود تضمنت التذكار من الجوارح بما بقي من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب في قسمه وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعد عليها مطار، ولا يوقد للقري في غير حماليتها جذوة نار، ولا تؤم طيراً إلا وترش الأرض بدمه فلا يلحق لها بغبار وهي طائر كرم لها من فتك أخذ الطير من مأمنه، وسلب ما تحلى به من ريش الريش ثم تزياً بأحسنه.

﴿ ٣ — لسان الدين بن الخطيب ﴾

هو ذو الوزارتين الكاتب الشاعر . أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب تآدب وتفقّه واجتمع له من الحكمة والأدب ملكة يلذّ بها ادبائه الأندلس كتابةً وشعراً وتصنيفاً وسياسة ومات سنة ٧٧٦ هـ

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق كتبها إلى ابن خلدون وهي بعد الديباجة (أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبر فسلّ به آية درج ، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرّج ، والمؤمن ينشق من رُوح الله الأريج ، وأتى بالصبر ، على إير الدّبر . بل الضرب المبر . ومطاولة اليوم والشهر حتى حكم القهر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر . عن إنسانها المبصر ، أو تذهل ذهول الزاهد . عن سرّها الرائي والمُشاهد . وفي الجسد مُضغّة يصلح إذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت ، وإذا كان الفراق هو الحِجَام الأول . فعلام المعول ، أعيت مرأوضة الفراق على الرّاق ، وكادت لوعة الاشتياق ، أن تمضي إلى السّياق تركتموني بعد تشييعكم أوسعُ أمر الصبر عصيانا

أَقْرَعُ سَنَى نَدْمًا تَارَةً وَأُسْتَمِیحُ الدَّمْعَ أَحْيَانًا

﴿ التدوين ﴾

أَلَّفَ علماء هذا العصر تَأَلِيفَ جَمَّةٍ أَخْلَفَتْ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ بَعْضَ مَا أَبَادَهُ التَّنَارُ وَالصَّلِيلِيُّونَ : مِنْ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ . وَيَرْجِعُ أَكْثَرُ الْفَضْلِ فِي ذَلِكَ إِلَى عُلَمَاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَجَالِيَةِ الْأَنْدَلُسِ . أَمَّا أَعَاجِمُ الْمَشْرِقِ وَإِنْ أَتَفَوَّاهِ الْعُلُومَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْفَلَسَفِيَّةَ فَإِنْ تَأْثِيرَ يَلِيقُهُمُ الْأَعْجَمِيَّةُ جَعَلَ كِتَابُهُمْ صَعْبَةَ التَّنَاولِ ضَعِيفَةً إِلَّا تَرْتَفِئُ تَقْدُّمُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِمَّا سَتَعْرِفُهُ مِنْ أَحْوَالِ الْعُلُومِ وَمُؤَلَّفِيهَا

﴿ الأدب ﴾

قَدْ كَانَ لِأَدْبَاءِ الْقَاهِرَةِ مِنَ الْكُتُبِ السَّبْقُ فِي وَضْعِ الْكُتُبِ الْجَامِعَةِ الَّتِي تَبْحَثُ فِي عِدَّةِ عُلُومٍ أَدَبِيَّةٍ أَوْ مِلْحَقَةٍ بِهَا : وَمِنْ هَؤُلَاءِ شِهَابُ الدِّينِ التَّوَيْزِيُّ صَاحِبُ نَهَايَةِ الْأَرْبِ ، وَابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ صَاحِبُ مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ ، وَشِهَابُ الدِّينِ الْقَلْقَشَنْدِيُّ صَاحِبُ صُبْحِ الْأَعْشَى - وَبَيْنَ أَلْفٍ فِي الْأَدَبِ بِمَنَاحٍ مُخْتَلِفَةٍ : جَمَالُ الدِّينِ الْوُطَوَّاطُ صَاحِبُ الْفُرُوقِ وَالْعُرُوقِ ، وَشِهَابُ الدِّينِ الْحَلَبِيُّ صَاحِبُ مَنَازِلِ الْأَحْبَابِ ، وَحَسَنُ التَّوَسُّلِ إِلَى صِنَاعَةِ التَّرْسُلِ ، وَشِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْأَبْشَيْهِ صَاحِبُ الْمُسْتَطَرَفِ ، وَالنَّوَاجِي صَاحِبُ حَلَبَةِ الْكَمِيتِ

﴿ بقية العلوم الاسلامية ﴾

لَمَّا أَبَادَ التَّنَارُ بَقِيَّةَ الْعُلَمَاءِ وَالنَّحَاةِ فِي الْمَشْرِقِ ، كَادَ أَفْقُ الْمَشْرِقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ يَصْفَرُ مِنَ النَّحَاةِ وَأَهْلِ اللَّغَةِ ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهَا اللَّهُ بِدُخُولِ التَّنَارِ فِي الْإِسْلَامِ وَمُعَاذَتِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي خَلَقَتْهُمْ لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَبِجَلَاءِ بَعْضِ كِبَارِ النَّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ قَبِيلَ حَادِثِ التَّنَارِ وَبَعْدَهُ كَابُنُ مَالِكٍ وَالشَّاطِطِيُّ وَأَبِي حَيَّانَ

وابن منظور الأفرقي، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام وتخرج عابهم تلاميذاً فاضلاً كانوا
كواكب العصور المتأخرة، فدوّنوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم من نشؤوا في العصور المظلمة
﴿ كتابة التدوين والتصنيف ﴾

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً . وكانت في الشروح
والمطولات مبسطة : ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر ابن خلكان : وابن خلدون
والسيوطي : وابن مكرم : والفيروز ابادي : وعزالدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٦٠هـ
وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١هـ ولسان
الدين بن الخطيب المتوفى ٨١٦هـ ، وسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ ، والسيد
الجرجاني ، المتوفى سنة ٨١٦هـ والشهاب الخفاجي

﴿ ابن خلكان ﴾

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان
الإريلي وُلد سنة ٦٠٨هـ بمدينة أربيل وأقام بها إلى سنة ٦٢١هـ فرحل إلى حلب
ومكث بها سنين ثم إلى دمشق وأقام مدة ، ثم أقام بمصر وتولى القضاء بها وفيها
ألف أكثر تاريخه العظيم (وفيات الأعيان) ثم تقلّبت به الأحوال بين مصر
والشام إلى أن مات بدمشق سنة ٦٨١هـ : وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، حسن
المحاضرة ، لطيف المعاشرة ، واسع الاطلاع ، شديد التحري والضبط (وتاريخه
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) أفضل ما بأيدي الناس من كتب التاريخ لشدة
عنايته بضبط الأعلام واسماء البقاع والبلدان وتحقيق الحوادث بحسب الامكان

﴿ ابن خلدون ﴾

هو حكيم المؤرخين ، وعلم المحققين ، الفقيه القاضي الكاتب الشاعر المصنف
عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون وُلد بثونس سنة ٧٣٢هـ - وتلقى العلم
جواهر - ثاني

والأدب من أليه ومن كبار العلماء ، وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطرُ شاربهُ ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر فخطى عندهم حتى حسده على ذلك صديقه لسان الدين بن الخطيب فأقلع عنها ، وذهب إلى صاحب بجاية بالمغرب الأوسط فوزر له ، وبقي يتردد بين المغرب الأوسط والأقصى وأفريقية والاندلس حتى حسن في عينه التخلي عن السياسة والانقطاع إلى العلم ، فنزل على بعض قبائل العرب على حدود الصحراء أربعة أعوام ألف فيها تاريخه ومقدمته التي لم ينسج أحد من المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها ، ثم عزم على الحج فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ زمن سلطانها بركات . ثم استقدم أهله وولده من المغرب ففرقت بهم السفينة فأقام بمصر حزيناً ، وجلس تدريس بالجامع الأزهر وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٠٨ هـ

﴿ جلال الدين السيوطي ﴾

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخُصَينري السيوطي العالم المحدث المفسر صاحب التصانيف المشهورة — ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ يتيمًا وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، ثم حفظ متون الفقه والنحو ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته وأبتدأ في التصنيف سنة ١٧ سنة ثم لازم الأشياخ وطلب العلم في بقاع الأرض فدخل الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ونبع في كثير من العلوم ، ورزق التبخر في التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع وتولى التدريس والافتاء ولم يكن أشهر منه في زمنه . ويُعد السيوطي من الأئمة الذين حفظوا العلم للخلف وسهلوا سبله للتأخرين ، وقد ترك للناس أكثر من ثلثمائة مُصنّف — وتوفي سنة ٩١١ هـ بالقاهرة

﴿ الشعر ﴾

لما كان أكثر الملوك والأمرأ في هذا العصر أعاجم بالفطرة ، كان ميلهم الى الشعر العربي غير طبعي ، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا وبقيت صُباة منه بالعراق والجزيرة : وبقي على كل شيء من الرُّونق في الشام ومصر والاندلس والمغرب ، غير أنه قلَّ التَّكسُّبُ به فيها ، فال أكثر الشعراء الى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرؤساء وفي اظهار التفصيح والتسلية فُجِّرَ قوله في الاغراض الهامة وُعدِلَ به الى أغراض أخرى

﴿ الشعراء ﴾

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الانصارى المتوفى سنة ٦٦١هـ - وجمال الدين بن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٩٨هـ - وشهاب الدين التلمغري المتوفى سنة ٦٧٥هـ - والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٧هـ - والامام البوصيري المتوفى سنة ٦٩٥هـ - وابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ - وأبو بكر بن حجة المتوفى سنة ٧٧٦هـ - وصفي الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٠هـ - وفخر الدين بن مكائس المتوفى سنة ٧٩٤هـ - وابن عتوق الموسوي المتوفى سنة ١١١١هـ - وهالك

﴿ ١ — البوصيري ﴾

ترجمة بعضهم

هو شرف الدين محمد بن حماد الصنهاجي البوصيري ، صاحب البردة والهمزية ، وُلد بدلاص ونشأ ببُوصير ثم انتقل الى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب فقال الشعر البليغ في جده وهزله ومن أشهر شعره قصيدة البردة الشهيرة التي أولها
 أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِيرَانٍ بِذِي سَلَامٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرِيًّا مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ
 أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْمَعَاءٍ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

فما لمينيك إن قلت أكفأ همتا وما لقلبك ان قلت استفق يوم
أيحبسب الصب أن الحب منكم ما بين منسجيم منه ومضطرم
ومن حكها البديعة المشوبة بمحاسن البديع قوله :

والنفس كالطفل أن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفضله ينظم
فأصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولي يضمن أو يصيم
وراعها وهي في الأعمال ساعة وان هي استطلت المرعى فلا تسيم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخصصة شر من التخم
واستفرغ السمع من عين قد امتلات من المحارم والزم رحمة الندم
وقصيدته الحمزية في مدحه صلى الله عليه وسلم لا تقل عن البردة في
فصاحتها ، وأولها

كيف ترقى رقيق الانبياء يا سماء ما طاوتها سماء
لم يساوروك في علاك وقد حا ل سنا منك دونهم وسنا
وتوفي البوصيري سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية وقبره بها مشهور يزار

﴿ ٢ — صفي الدين الحلي ﴾

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي الحلي شاعر الجزيرة ولد
سنة ٦٧٧ هـ — ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات فتأدب ونظم الشعر وأجاده
وأصبح فيه أشهر شعراء عصره ، وخدم به الملك المنصور نجم الدين غازي بن
قوه ارسلان : أحد ملوك الدولة الأرتقية (ديار بكر)

واتصل بعده بابنه الملك الصالح شمس الدين ، ثم ذهب الى الحج وعرج

مُنْصَرَفَةً مِنْهُ عَلَى مَصْرِ فَدَحَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بْنُ قِلَادُونَ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٧٥٠ هـ
ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعين في أنواعه المغالين في استعماله في
شعرهم بلا كثير تكلف، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع
البديع المسماة بالبديعيات على مثال برودة البوصيري — ومن قوله في الادب :
إِسْمِعْ مَخَاطِبَةَ الْجَالِسِ وَلَا تَكُنْ عَجَلًا يُنْطَلِقُ قَبْلَمَا تَنْفَهُمُ
لَمْ تَعْطَ مَعَ أَذْنِيكَ نُطْقًا وَاحِدًا الْأَ لَيْسَمَ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ

﴿ ٣ — ابن نباتة المصري ﴾

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة، أشعر شعراء المصريين
زمن المماليك — ولد سنة ٦٨٦ ونشأ بالقاهرة، وتلقى العلم والادب وأكسب على
قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله، فرسخت فيه طريقته من الوكوع بالتورية
والتلميح والطباق، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشام من بلغ غايته في لطف
التصور ورقة اللفظ وانسجام العبارة ومات سنة ٧٩٨ هـ ومن شعره قوله :

يَا مُشْتَكِي الهمِّ دَعُهُ وَانْتَظِرْ فَرْجًا وَدَارَ وَقْتُكَ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ
وَلَا تَعَانِدْ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي كَدَرٍ فَأَنَّمَا أَنْتَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ طِينٍ

﴿ ٤ — ابن معنوق الموسوي ﴾

هو شهاب الدين بن معنوق الموسوي شاعر العراق في عصره وسابق حطبه
في رقة شعره — ولد سنة ١٠٢٥ ونشأ بالبصرة وبها تعلم وتأدب وقال الشعر
وأجاده، وكان في نشأته فقيراً فأتصل بالسيد علي خان أحد أمراء البصرة من قبل
الدولة الصفوية الإيرانية وكانت وقتئذ تملك العراق والبحرين، ومدحه مدحاً
رقيقاً — وأكثر شعره مقصوراً عليه وعلى آل بيته فغمره باحسانه — وابن معنوق

٤٧٠ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة - حال اللغة في هذا العصر

من كبار شعراء الشيعة فمدح علياً والشهيدين بما يخرج عن حدة الشرع والعقل
ومات سنة ١١١١ هـ - ويمتاز شعره بالركة وكثرة المجازات

﴿ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة من ١٢٢٠ - إلى الوقت الحاضر ﴾
حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت اليه من
الفساد والاضمحلال - فلما استولى ساكنُ الجنان محمدُ عليّ باشا على مصر رأى
بحكمته أن يربّي مَنْ يكونُ خيرَ واسطة لنقل معارف الاوربيين اليها . فبعث
إلى أوروبا بثلاثة بُعث علمية في أزمنة مختلفة كوّنت بعدُ ثلاث طبقات من
العلماء والاطباء والمهندسين والضباط فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب
الجليلة في العلوم المختلفة فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً ، واكتسبت
من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة
والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة - ورأى العلماء والادباء أنه صارت لهم
دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسنونه من نتيجة كدهم
ومعرة أفكارهم فالتفوا حولها وصار للدولة كتابٌ وشعراء ومنشئون في جريدتها
« الوقائع » أول جريدة عربية ، واقتدى بمصر أهل الشام ، ومن الأسف أن هذه
النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام ، بل ركدت ربحها زمن عباس
باشا الأول وزمن سعيد باشا ، ثم تنسّمت في عصر اسماعيل ، وما لبثت أن صارت
رُخاء طيبة فأعاد سيرة جدّه في نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته وكادت
مصر توشيك أن تكون قطعة من أوروبا

﴿ النثر - المحادثة أو لغة التخاطب ﴾

كانت العامة في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين دخل في عباراتهم كثير من الفصحح ، وانتقل ذلك لمعاشريهم من الاميين وبعض النساء ، ومما ساعد على ذلك أيضاً جعل التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات

﴿ الخطابة ﴾

كان المصريون والسوريون أوائل هذا العصر لا يستعملون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الافكار في عصر اسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجئ السيد جمال الدين الأفقاني إلى مصر ، والتفت حوله لفيف من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته وألف منهم أندية كانوا ينتابون الخطابة فيها في الامور الدينية والسياسية والاجتماعية وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشت بعد عصر اسماعيل في زمن توفيق باشا وصاحب السمو الخديوي عباس باشا الثاني — ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم والشيخ محمد عبده ومصطفى باشا كامل ومحمد بك فريد وسعد باشا زغلول والشيخ عبد العزيز جاويز وغيرهم حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً

﴿ الكتابة الخطية ﴾

وقف الخط في سبيل تقدمه عند الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة في القرن العاشر والحادي والثاني عشر من خطاطى الترك ، وكل من نشأ بعدهم قائما هو متبع طريقةهم - وأشهرهم عبد الله الزهدى ، وهو الذي خط بالقلم الجليل جدران

المسجد النبوى وجدران سبيل والدة عباس باشا الاول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مؤنس افندى ، وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطي قطرنا المصرى

﴿ الكتابة الانشائية ﴾

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في آواخره شأن يذكر لجعل التركية هى اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في الممالك العثمانية إلا قليلاً وشرعت تتغير في مصر ثم لما انشئت المدارس النظامية نشأت طبقة من كتاب الدواوين رقوا كتابتها . وقد هجر السجع الذى أكثر منه الاقدمون إلا أن عبد الله باشا فكرى أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألم به في كثير من مكاتباته الرسمية . كما سبق ذلك في المكاتبات

أما كتابة التأليف والصحف فأخذت تنحو منحى كتابة ابن خلدون في مقدمته . ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع الرسمية والاشراف على تحرير الجرائد ، ترقى كتابتها كثيراً ودرجت في سبيل التقدم إلى الان :

﴿ كتابة التدوين ﴾

كان أكثر الكتب التي ألفت أو ترجمت في مصر علمية ، لشدة احتياجها اليها . أما سورية فكانت حالة الادب فيها في النصف الاول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ولكن مصر نهضت في النصف الثانى واسترجعت حياتها الادبية وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها وألف فيه عدة كتب . وانحط شأن سورية في العربية فلم ينبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم — ومن أشهر العلماء الأزهرين في هذا العصر الشيخ الجبرى الشيخ حسن العطار والشيخ العرومى والشيخ التميمي والشيخ الباجورى

والشيخ عيش والشيخ الاييارى والشيخ السقا والشيخ الانباني والشيخ محمد الاشمونى والشيخ الشريبنى والشيخ سليم البشرى والشيخ محمد البحيرى ووالد مؤلف هذا الكتاب وغيرهم : — ومن غير الازهرين من أهل النهضة الحديثة رفاعه بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلى مبارك باشا مؤسس دار العلوم وأشهر المؤلفين المصريين ، والنظامى الشهير محمد على باشا ، والسيد صالح مجدى بك ومحمود باشا الفلكى ، وأحمد ندا بك ، وعبد الله باشا فكرى ، وقدرى باشا ودرى باشا ، والشيخ ناصيف اليازجى ، والشيخ ابراهيم اليازجى ، وأحمد فارس والشيخ على يوسف وأديب اسحاق وغيرهم — وهالك ترجمة النهضة الحديثة

﴿ ١ — رفاعه بك رافع الطهطاوى ﴾

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعه بك الحسيني الطهطاوى شيخ الترجمة وإمام النهضة الحديثة ، وُلد بطهطا من أسرة شريفة ، وتأدب وتعلّم فى الجامع الازهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ، ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد على باشا إماماً ومعلماً لأول بعث على أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ فراقته علوم أوروبا وعظمتها فأكتب بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ اختاره محمد على باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبى زعبل ، واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار فى انشاء جريدة « الوقائع المصرية » ونحريها ثم نقل إلى مدرسة المدفعية (الطبجية) ثم صار مديراً لمدرسة اللسان والترجمة. ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس وتولى « ادارة مجلة روضة المدارس المصرية » وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفى سنة ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً ثم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز »

﴿ ٢ — عبد الله فكرى باشا ﴾

هو عبد الله فكرى بن محمد بليغ الضابط بن الشيخ عبد الله : وهو أحد أركان النهضة الاديّة في الديار المصرية. وُلد سنة ١٢٥٠هـ وأكّـب على تعلّم علومه بالا زهر مشغلاً أيضاً باللغة التركية واستُخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية في عدّة مناصب آلت الى نقله إلى حاشية سعيد باشا ثم اسماعيل باشا فعهد اليه بتأديب بنفيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك . ثم تقلّب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩هـ وبقي بها حتى زمن الثورة العراقية فسقط مع الوزارة ، واتهم في الثورة فقبض عليه ثم اتضحت براءته فأطلق وردّ اليه معاشه بعد أن استعطف الخديوى توفيقاً بقصيدة طويلة وتوفى سنة ١٣٠٧هـ وكان فكرى باشا كاتباً بليغاً سلك في كتابته طريقة كتاب القرن الرابع كالبيديع الهمداني والخوارزمي من التزام السجع القصير القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين الموصفي مدرس دار العلوم (لو تقدّم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان)

﴿ ٣ — على مبارك باشا ﴾

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرّخ ، المؤلف المترجم ، المُربّي العظيم على بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم ، مصلح العلم والإدارة بالديار المصرية ومؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية : وُلد سنة ١٢٣٩هـ وكان يرسله والده إلى معلّم قاص يتعلّم عليه القرآن الحريم تحفيظاً ، وهرب من المعلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلّم الكتابة على بعض الكتاب حتى عُثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبي زعبل فصحبهم ودخل المدرسة

ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العيني وسنة ١٢ سنة ودرس
الرياضة فبرع فيها فاختير طالباً بمدرسة الهندسة فأكمل في خمس سنوات دروسه،
فن الهندسة وأرسل إلى أوروبا سنة ١٢٦٠ لیتتم دراسته بهاء فمكث نحو أربع سنوات
درس فيها فن الهندسة والحرب، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش، ثم قدم لعباس
باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إليه رياسة ديوانها فقام
به خير قيام، وألف بعض الكتب الدراسية فكان أول من نظم المدارس المصرية
وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً للسكك الحديدية وناظراً للمعارف والأشغال
وللاوقاف والقناطر الخيرية فقام بذلك جميعاً في آن واحد خير قيام — ومن أعماله
العظيمة انشاء دار الكتب وانشاء مدرسة دار العلوم ليوفق بين طلبة العلم القديم
وطلبة العلم الحديث ويحسن تدعيم العربية فجاءت هذه المدرسة بأحسن ما يطلب منها
وتجديد مدينة القاهرة وأمهات مدن القطر الى أن وافته المنية سنة ١٣١١ هـ

﴿ الشيخ محمد عبده ﴾

هو المصالح الكبير والمجتهد الخطير والكاظم البليغ والخطيب المصنف
الأستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده أحد أركان النهضة العربية ومؤسسى
الحركة الفكرية — ولد سنة ١٢٦٦ بإحدى قرى مديرية الغربية ونشأ بين أسرته
بمحلة نصر من مديرية البحيرة، وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ثم رغبه
في التعلم فحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم بالجوامع الأحمدي، ثم انتقل الى
لازهر وتبحر في علومه — ولما قدم مصر البید جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦
وأعاد الى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة والكلام لزمه الشيخ محمد عبده
وكان أنبغ تلاميذه، وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه — ونال درجة العالمية

سنة ١٢٩٤ ، واختير سنة ١٢٩٥ مدرّساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ومدرسة الألسن ، ثم اختير لاصلاح لغة الوقائع المصرية ، ثم صار رئيس تحريرها وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها — وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية ونُفيَ من مصر إلى سورية وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوروبا فالتقى بالسيد جمال الدين ياريس فأنشأ جريدة العروة الوثقى ، ثم عفا عنه الخديوى وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الاهاية ، ثم مقتياً للديار المصرية وتولى التدريس بالأزهر ، وما زال كذلك حتى توفي سنة ١٣٢٢ هـ .

٥ — مصطفى باشا كامل

هو الوطنى الكبير . مصطفى بن على افندى محمد المهندس المولود بالقاهرة فى ١٤ اغسطس سنة ١٨٧٤ . ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الاولى ثم انتقل الى مدرسة والده عباس باشا الاول وفى أثناء وجوده فى هذه المدرسة توفى والده فانتقل الى مدرسة القرية فأنتم فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ ثم تحول الى المدارس الثانوية ونال فى نهايتها شهادة البكالوريا بتعقؤ باهر وذكاء نادر ألقت اليه نظر المرحوم على باشا مبارك وزير المعارف فاخصه بمرتب شهرى يُصرف اليه مساعدة له — وكان منظوراً اليه بعين الاجلال والاحترام من إخوانه ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن اللقاء وفصاحة اللسان وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته فى المسائل العلمية والاجتماعية والكل يعجبون به ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً — ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهراً ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلاً فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية منها فذهب الى طولوز بفرنسا وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية . وفى أثناء دراسته للحقوق تنبّه خاطره الى المسائل

السياسية وأصبح همه انتقاد مصر من الاحتلال . وكان يترددُ على الجرائد الوطنية ليكتب فيها آيات الوطنية . وأنشأ المجلة المدرسية وألف كتاب المسألة الشرقية ورواية فتح الأندلس وكتاباً في حياة الأمم والرق عند الرومان — وكلها ترمى الى تحييب الاستقلال واحياء الشعور الوطنى فى أفكار المصريين — واجتمع مصطفى بالمرحوم عبد الله النديم الخطيب المفوه والكاتب اليلغ ومُشعل نار الوطنية من قبل فاقبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة وأضاف ذلك الى معلوماته الماضية — ونهض نهضة الاسد الى فريسته وأذكى أوار الوطنية فى عقول الشباب الناهض وتطورت مصر الفتاه الى يومنا هذا فى مراقى التقدم والنجاح . وقد صار صيته فى الآفاق وأصبح اسمه مرادفاً للشمس فى رائحة النهار . وحدث عن شجاعته وفصاحته وقوة معارضته مما لا يمكن لقلم وصفه . وقد أنشأ جرائد اللواء العربى والفرنسى والانكليزى لهذا الغرض . وتوفى يوم لاربعا ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ وشيعت جنازته باحتفال كبير لم يسبق له مثيل واشترك فيه عشرات الالوف من جميع طبقات القطر المصرى وعم الحزن الشديد على جميع المصريين وورثاه الكتاب والشعراء وجميع جرائد العالم . وطيرت نعيه الشركات البرقية الاجنبية فى الممالك الأوربية . وخطبه الطنائة كثيرة لا نطيل بذكرها

٦ — محمد بك فريد

هو المحلص الأمين . محمد بن احمد باشا فريد ووالدته أميرة من فضليات سيدات الخلفاء العباسيين . وكان ميلاده فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ وعاش ٥٢ سنة ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا فدرس الدروس الابتدائية ثم دخل المدارس الثانوية فجد واجتهد حتى فاق أقرانه وأحرز شهادة البكالوريا

ثم انتقل الى مدرسة الادارة والالسن ومنها دخل مدرسة الحقوق الخديوية حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة ١٨٨٧ م وعقب ذلك عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الدائرة السنية الذي لم يلبث فيه الا قليلا حتى أصبح رئيسه . وقد أنعم عليه سمو الخديوى بالرتبة الثانية — ثم تدرج في وظائف القضاء الى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية — وفي خلال ذلك كان يكتب أمهات الصحف العربية والافرنجية حتى استقال من خدمة الحكومة في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٦ م واشتغل بالمحاماة وانضم بكل قواه الى الحزب الوطنى لتحرير مصر والسودان . ولازم صاحبه الزعيم الاكبر المرحوم مصطفى باشا كامل . وقد ألف كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية وتاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الرومان — وأنشأ مجلة الموسوعات وكتب الآف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الاوربية — وألقى مئات من الخطب في الشرق والغرب . وتعرف بكثير من كبار ساسة جميع العالم

ولما شعر المرحوم مصطفى باشا كامل بدنوّ الاجل جمع الحزب الوطنى وأوصاهم بانتخاب فريد بعده رئيساً فقام برياسته خير قيام وقد ضحى نفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً في الوطن حتى مات غريباً في برلين يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ م ونقلت جثته من بلاد المانيا لدقها بالقاهرة فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه سنة ١٩٢٠ م . وشيّعت باحتفال مهيب في اسكندرية ومصر لم تر العيون مثله اشتركت فيه العلماء والامراء والوزراء وجميع الاعيان والوجهاء . ورثته الكتاب والشعراء وجرائد ومجلات الشرق والغرب فمن رثاه حافظ بك ابراهيم قال من قصيدة طويلة
 من ليوم نحن فيه من لقد مات ذو العزيمة والرائى الاسد
 أيها النيل لقد جلّ الاسى كن مدداً لى اذا الدمع نفذ

فلقد ولّى فريدٌ وانطوى ركنُ مصر وفتأها والسندُ
خالدَ الآثار لا تخش البلى ليس يبلى من له ذكرٌ خلدُ
قلّ لصّب النيل إن لا قيته في جوار الذائب الفرد الصمدُ
ان مصرًا لا أتى عن قصدِها رَغَمَ ما تَلَقَى ولن طال الأمدُ
فاسترخِ واهناً ونَمَ في غبطةٍ قد بذرت الحب والشعبُ حصدُ

﴿ ٧ — معالى الرئيس المحبوب سعد باشا زغلول ﴾

هو روح مصر الزعيم الأكبر . سعد بن الشيخ ابراهيم زغلول المولود ببلدة ابياتا التابعة لمديرية الغربية سنة ١٢٧٧ هـ قرأ القرآن الكريم ودرس العلوم الابتدائية في بلده . ثم رحل الى مصر ودخل الازهر الشريف وحضر علوم اللغة والادب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع وغيرها على فطاحل العلماء كالشيخ المهدي العباسي . والشيخ ابو النجا الشرقاوى والشيخ احمد الرقاوى والشيخ محمد عبده وخلافهم من كبار الأئمة . ثم تعيّن محرراً لجريدة الوقائع المصرية الرسمية بالداخلية . ثم انتقل معارناً بنظارة الداخلية في مدة وزارة محمود سامى باشا البارودى . ثم تعيّن مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة وذلك في مدة اشتداد الثورة العراقية . ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف . ثم اختاره اللورد كرومر أن يكون وزيراً لوزارة المعارف ثم وكيلاً للجمعية التشريعية الى ان تطورت الحالة الوطنية في القطر المصرى فانتخبته الامة وكيلاً عنها في مطالبة انكسار الجلاء عن مصر والسودان الى يومنا هذا

ومن كلماته الماثورة في الوطنية

(١) لا استعباد . لا استعمار . لا حياة . لا رِقابة . لا تدخل لا حد في

- شأن من شؤوننا . هذا ما نريد وهذا ما لا بد أن نحصل عليه
- (٢) أقسمُ بالوطنية وعزتها لو كنت أعرف أني أقود أمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا ادراك كما يصفها أعداؤها ما رضيت أن أكون قائداً لها
- (٣) ان قوتنا ليست مستمدة من الخارج بل هي في نفوسنا فلتكن نفوسنا قوية تصل الى غايتها
- (٤) الارادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ذلت كل صعب ومحت كل عثرة وقهرت كل مانع مهما كان قويا ووصلت عاجلاً أو آجلاً الى الغاية المطلوبة
- (٥) لا يمكن ان نعتبر للحكموميين مذهباً لان المذهب يقتضى مبادئ وقواعداً أمّا هم فقاعدتهم القوة . وما يعتمد على القوة لا يصح ان يُسمى مذهباً
- ومن كلماته المأثورة في الحرية وحدودها
- (١) كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن تقبله مطلقاً مهما كان مصدره عالياً ومهما كان الأمر به
- (٢) كل تقييد للحرية لا بد ان يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها والا كان ظلاماً
- (٣) الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد فليس من الرأي أن نساألها لم تنتقدنا بل الواجب أن نساأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه
- (٤) نحن نحب الحرية ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها
- (٥) جميل جداً أن يقال لا تحجروا على الناس ولا تقيّدوا حريتهم وانها لنعمة لذيذة بحسن وقعها في الاسماع والقلوب . ولكن لا نريد الحجز على الناس

ولا تقييد حريتهم بل نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه

ومن آرائه في التشريع

- (١) كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة
- (٢) لا تصدقوا أن هناك قاعدة يرجع اليها القاضي في تقدير العقوبة أو أن هناك ميزاناً توزن به الجزاءات وإنما هي أمور اجتهادية يلهم بها القاضي الهاماً
- (٣) الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة
- (٤) اننا اذا احترمنا أمراً للحكومة نحترمه لانه نافع للأمة لا لانه صادر من تلك القوة المسيطرة
- (٥) يجب أن نتقاه للقانون وألا نعتبر الانقياد اليه مهانة ومذلة بل عزاً وشفرة
- (٦) إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفها مدافعين عنها فما عليها الا أن تتبع الحق والعدل وتحترم القانون
- (٧) يُعجبني الصدق في القول والاخلاص في العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون

- (٨) الذي يلزمنا أن نفاخر به هو اعمالنا في الحياة لا الشباعات التي في أيدينا
- (٩) اعاهدكم عهداً لا أحيد عنه . على أن أموت في السعي الى استقلالكم فان فزت فذاك والا تركت اسمك تنميم ما بدأت به

هذا قليل من كثير لا نحيط به جمعاً خصوصاً خطبه المطبوعة الممتعة التي تكاد أن تكون في درجة الاعجاز ولا غرابة في ذلك فعالي الرئيس معروف بالشجاعة والصراحة ويمتلك في يده أعني الالفاظ يتصرف فيها كيف يشاء حتى أنه ليعبر عن

أقصى المعاني وأخشنها بأرقّ الالفاظ وأعذبها وأخفها وقمّا على النفوس والاسماع خصوصاً وأنه قد ير على التأثير على نفس السامع وامتلاكه أزيمة الالهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب واقداره على اسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية او الاخلاقية او السياسية الى قاعدتها العامة التي توضح طريقها وتكشف الغامض منها وبالجملة فغالى الرئيس مُنشرع يبحث النظامات ويدققها . وسياسى يُبارز خصمه بمبارزة الرجل الذى يحسن تقليب الحسام بين يديه فلا كلماته تخرق حجب الآداب ولا تتجاوز حدّ الآيأة — ولقد كنّ كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على أكّام الزهر فلا يرتفع صوت ولا تبدو حركة مع طول خطابه نحو ساعتين نسأله سبحانه وقمالي أن يمسّ على مصر والسودان بالاستقلال التام وأن يمنحها الحرية على يد بطها العظيم وزعيمها الجليل ورئيسها المحبوب « سعد باشا وزغلول » حفظه الله آمين

٨ — الغازي مصطفى باشا كمال

اشهرُ سُحاة الشرق وداهية أقطاب النساء البطل الغازي مصطفى كمال باشا المولود في سلا نيك سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة تُدرّس فيها العلوم الابتدائية على الطراز الحديث . وما لبث أن ترك المدرسة على أثر وفاة المرحوم والده . ثم انتقل الى قرية مع والده الى خاله الذى كَفَله وعهد اليه القيام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مُدَّة ليست بالقصيرة . فأوجست والدته خيفة من ضياع أيامه الدراسية بدون جدوى وصحّت عزيمتها على إرساله الى دار جدّه فى (سلا نيك) فافر اليها ودخل فى المدرسة الملكية الإعدادية . غير أنه لم يُوفّق

للتعلم بها وذلك لشغفه بحب المدرسة الرشدية العسكرية الابتدائية رغم ارادة والدته التي كانت لا توافق على الالتحاق بها . وما زل بها حتى استطاع التأثير عليها وتمكن من التغلب على فكرها وأدى الامتحان المؤهل لدخول المدرسة العسكرية بتفوق باهر وكان أكثر التلاميذ وأشد همجاً في الرياضيات . وقد حصل في زمن يسير بحده واجتهاده على معلومات جمة في هذا العلم بدرجة تساوى درجة أستاذه أوتريد عليه . وصار يشتغل بحل المسائل الرياضية بطرق أوفى وأوسع عما كان يتلقاه وخطى بذلك خطوة واسعة الى الامام وأخذ يتبحر في الرياضيات ويُناقش أستاذه المدعو مصطفى بك القائل له ان بين اسمي واسمك اشتباه فيجدر أن أضيف الى اسمك يا ولدي لفظة « كمال » للتمييز بيننا

وقد أتم الدراسة في المدرسة العسكرية الابتدائية وفاق زملاءه في العلوم الرياضية بحيث لم يُصادف أى صعوبة في المدرسة الاعدادية العسكرية الثانوية في (منستر) غير أنه كان ضعيفاً في اللغة الفرنسية فتحت فرصة العطلة المدرسية ودخل مدرسة الفريز وتزود بقسط وافر في اللغة الفرنسية — وفي خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركي المشهور (عمر ناجى بك) فارتشف من منهل العذب وتأدب بأدبه ودرس عليه آداب اللغة وضرب بسهم فيها حتى صار الشعراء هو المادة التي تنجذب نفسه اليه وترتاح به رغم النصائح التي كانت تلقى عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم « اذا أردت أن تكون جندياً حقيقياً فترك الأدب وخیال الشعراء » وبعد اتمامه الدراسة في تلك المدرسة سافر الى الاستانة سنة ١٣١٩ هـ والتحق بالمدرسة الحربية وكان شغفه العظيم بالرياضيات لا يزال حياً ونامياً نمو اشتغاله بعلوم الادب ومزاولة الخطابة وأساليها فتولد من ذلك توفه واسترعا نظره الى حب الاشتغال

السياسة خصوصاً وقد وقعت في يده كتب الوطنى العظيم «نامق بك كمال» فطالها مراراً ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت في عقيدته الوطنية وكان ذلك في عهد المرحوم السلطان عبد الحميد الداهية العظيم ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برتبة «ملازم نان». ولما انتقل الى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرف مع بعض أخواته من الطلبة ما يكشف ادارة البلاد وسياستها من السوء والفساد. فكان أول ما فكر فيه أن يفهم زملاءه البالغ عددهم ٥٠٠ طالب موقف البلاد الادارى والسياسى. وقد فكروا جميعاً في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم. وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها غير أن «اسماعيل باشا» مفتش المدارس وقف على حركتهم وسلط الجواسيس عليهم ثم وشى بهم الى المرحوم السلطان الغازى عبد الحميد الثانى وقال بجلالته ان ناظر المدرسة رضا باشا هو المسئول عن حركة الطلبة وواجب إدانته فاستدعاه جلالة السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية - واستمر مع رفاقه على اصدار جريدتهم حتى آخر سنتى مدرسة أركان حرب. وبعدها خرج من المدرسة برتبة «يوزباشى» في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً في «بك أوغلى» رغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات واصدار القرارات لصالح الوطن ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى عرف الجواسيس عمله وألقوا القبض عليه واعتقلوه بضعة أشهر ثم أطلق سراحه بواسطة سعى رضا باشا ناظره السابق في المدرسة وأصر على اشتغاله بالسياسة حتى نشته الحكومة الى ولاية الشام للخدمة في الجيش وقد أسس هناك «جمعية الحرية» وأنخبه بعض التداير لتوسيع نطاق هذه الجمعية - فأسس لها فروعا في بيروت ويافا والقدس وفي كل مدينة على نهبها ونزل بها - ولم كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عزم على السفر الى «مقدونيا» حيث تمتلك الأرض صالحة

لبذر تلك المبادئ والعمل على إنمائها وانبثاق نباتها حسناً وأطلع جمعياته على رأيه وعلى ذلك سعى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يستطيع به السفر في بادئ الأمر الى « أزمير » وعلى أثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكرى باشا) المعروف هناك بوطنيته الحارة وطلب منه مساعدته. ولما شد الرحال الى مقدونيا وركب البحر غيّر وجهته الى مصر ومنها الى بلاد اليونان ثم الى سلانيك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس . وقد أسس في مدينة سلانيك فرعاً عاماً للجمعية — وما كادت حكومة الاستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله وأخذت في البحث عنه حتى سافر على وجه السرعة الى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة. فاستصدرت جمعية الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية. وما كاد يصل أمر البحث عنه الى ولاية الشام حتى كان متولياً شؤون وظيفته الجديدة على حدود مصر

وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ثم طلب من الحكومة نقله الى مقدونيا فقبل طلبه بالقبول وعلم بعد وصوله الى سلانيك ان جمعية الحرية غيرت اسمها باسم جمعية الاتحاد والترقي وما وافى اعلان الدستور حتى برز الى ميادين السياسة بفضل اعلانه جميع الأحرار وقد اقترح على الجمعية انسحاب الجيش من ميادينه فقبل بالارتياح غير ان الجمعية لم تتمكن من تنفيذه في ذلك الحين

ولما نشبت الثورة الرجعية في الاستانة سنة ١٩٠٩: أخذها واستتبّ الأمان ثم تعيّن بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس. ثم شرعت الحكومة التركية في الأنظمة الجديدة لضباط الجيش وهي تقضى بتنزيل درجاتهم — ورتبهم وألحق حسب النظام الجديد برتبة ضابط صغير « قول أغاصى » بهيئة أركان حرب في فرقة «سلانيك» فأخذ يبذل جهده في تعليم الجيش وتدريبه على الأصول الحربية الحديثة والأنظمة الجديدة

وكان كثيراً ما يكتب من الاقتراحات النافعة والانتقادات المفيدة لاصلاح شأن الجيش فكان ذلك من الاسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه وكان جزاؤه تعيينه قائداً للألأى الثلاثين فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسي اذ أفسح له مجالاً واسعاً لالقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية وتوضيح المواقف الهامة وغير ذلك مما يحتاج اليه الضباط والقواد - ثم بعد ذلك دعت حكومة الاستانة وعيّنته ضمن أركان الحرب العامة فيها وقام بمسحبة المرحوم شوكت باشا بالحركات الحربية لاختاد الثورة في بلاد البانيا وقد ذهب مع جماعة من اخوانه متشكراً الى مصر على أثر اعلان الحرب الايطالية سنة ١٩١١ وسافر منها الى بنغازى . ثم عاد الى الاستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار وتعين رئيساً لأركان الحرب ثم عاد الى الاستانة وتعين لمحققاً عسكرياً في سفارة « صُ فيا » عاصمة بلغاريا ومكث هناك مدة سنة كاملة

ولما نشبت الحرب العامة سنة ١٩١٤ تعين قائداً للفرقة السادسة عشر في (تكفور طاغ) ثم تعين قائداً لفيلق ديار بكر وبعدها تولي قيادة الجيوش . وتعين بعد ذلك قائداً للقوات الحجازية فتوجه الى الشام وتفاوض مع جمال باشا وأركان حربه وأنور باشا وأركان حربه . وبعد أخذ ورد أقنع الجميع بضرورة الجلاء عن الحجاز مم عاد الى ديار بكر ومنها عاد الى الاستانة وأخذ القيادة على عاتقه وحصل بينهما وبين كبار القواد الالمانيين مناقشات أدت الى استقالته وسافر من الاستانة مع ولي العهد (جلالة الخليفة الاعظم الحالي) الى المانيا وفيها تقابل مع القائدين العظيمين (هيندنبورج ولودندرف) وبعد ذلك عاد فرأى ماحل بالبلاد من المصائب فأقترح على الحكومة اسقاط الوزارة وتشكيل وزارة أخرى حسب برنامج قرره لها

وكان نظره متوجها نحو نقطتين هامتين

(١) التوسل بالاسباب الناجحة في الحصول على ما تمس الحاجة اليه

(٢) انشاء قوة قوية للدفاع عن مصالح الوطن

وقد صحت عزيمته على ترك الاستانة والتوغل في داخية البلاد وبسط موقف البلاد المحفوف بالمخاطر. ولاجل هذا بذل جهده في العمل على انقاذ الوطن خاصة والشرق عامة . وبينما كان مشتغلا بهذه الاسباب لذلك اذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشاً لجيش الصاعقة مع ضرورة ذهابه به الاناضول فتقبل ذلك بالسرور العظيم . وقام الى الاناضول وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معاً لذلك الجيش وكان ذلك من أهم العوامل الفعالة للوصول الى تحقيق انقاذ الوطن (حاجة في نفس يعقوب قضاها) ولما شمرت الحكومة بخطاها استدعته في الحال الى الاستانة فرفض واستقال وسعى في جمع نواب الأمة وتايف المجلس الوطنى الكبير في الاناضول وقد افتتح المجلس الوطنى يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ وأخذ في مباشرة الاعمال والقيام بواجب البلاد وكان شغله الشاغل (كيف تمثل ارادة الامة أحسن تمثيل) فاهتدى بعد أبحاث طويلة أنه لا يتم ذلك الا باجتماع نوابها العظام . وهذا ما دعاه الى وضع مستقبل الامة من حريتها واستقلالها في يد وزارة كبيرة تمثل البلاد وقد تم له ما أراد فغاز بالنصر والسداد ووقعه الله الى ما فيه صلاح العباد

والغازي على جانب عظيم من الفضيلة ومكارم الاخلاق بعيداً عن الزهو وحب النفس متواضعاً محبوباً محترماً صريحاً في قوله وعمله. فصيحاً بليغاً — من كبار الكتّاب ومن فحول الشعراء ينادى المعالي ويناجي الحرية والاخاء والمساواة وقد اجتمع بين يديه امارة السيف والقلم — وخطبه أشهر من أن تُذكر

من أقواله : في الوطن

إنّ وطننا العزيز لا يموتُ ولن يموتَ . وإذا فرضنا المحال وسلّمنا بموته
(لا قدر الله) فكأنّ أهلُ الكرة الأرضيّة لن يستطيع حلّ تابوته الجسيم . نعم
يسقط مهشماً مقطّع الأوصال ما دام فرد منا يتنّسّم نسيم الحياة

ومن آرائه في تعليم المرأة

تعليم المرأة « أمّ الوطن » وتثقيف عقلها بالعلوم الدنيوية والمعارف الأهلية من
أهم ما ترمي إليه نهضتنا العلمية الوطنية

ومن وصفه للفلاح

سيد تركيا بل سيد العالم الحقيقي (الفلاح) لانه هو العنصر الأول في تكوين
عناصر الأمة وكيانها . والوطن بدونه لا شيء بل الوطن هو . فيتميّز أن نعني به
عناية خاصة وأن نضع قبل كل شيء سعادته نصب أعيننا

❖ الشعر ❖

كانت حالة الشعر في النصف الأوّل من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً
على ما كانت عليه في العصر الماضي ، اذ كانت حكومة محمد علي باشا في أوّل
أمرها تركية الصبغة ، وكان هو امياً — ولكنّ الشعر أخذَ بعد ذلك في الترقّي
خصوصاً في عصر اسماعيل باشا، فتقدم خطوات تميّزت في شعر السيد علي أبي النصر
المتوفي سنة ١٢٩٨ ، والشيخ علي اللبني المتوفي سنة ١٣٠٩ ، وعظيم الشعراء البارودي
ولم يزل العلم والعلماء مع ذلك لم المقام الأوّل في مصر حتى كان العصر
الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه فهب أهله يتفكّهون بالأدب
وكتابه والتأليف فيه ويستمعون الشعر ويحضرون المجمع العظيمة لإنشاده

فأقبل الشعراء على نظمه فى كل أغراضه القديمة والحديثة ونحوًا به نحو الشعر الفرنجى من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجدان والمواطف النفسية ومن وصف القطار والكهرباء والميسرة والبرق وغير ذلك

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت خلوه من تكلف البديع والجناس . والرجوع به الى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس

﴿ الشعراء ﴾

شعراء هذا العصر كثيرون وأشهرهم محمود باشا سامى البارودى ، وأحمد بك شوقى ، ومحمد حافظ بك ابراهيم ، واسماعيل باشا صبرى ، وخليل بك مطران وغيرهم

(البارودى)

هو ربّ السيف والقلم ، أمير الشعراء وشاعر الامراء ، محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى ، أحد زعماء الثورة العرابية واشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية — وُلِدَ سنة ١٢٥٥ هـ وتأدب وأُدخِلَ المدرسة الحربية وما زال يترقى حتى ولاهُ المرحوم الخديوى توفيق باشا نظارتى الحربية والاقواف . ثم وُلّى رياسة النظار قبيل الثورة العرابية . فلما اضطرت نيران الثورة أرغمه زعماءها على اصطلاء ناراها فخبّ فيها ووضع . وحُكِمَ عليه بعد انتفاضها بالنفى إلى جزيرة سيلان) حتى عمى وشُفِعَ فيه فأذِنَ له بالتقدم الى مصر بعد مضي ١٧ سنة من منفاه وبقي فى منزله كفيفًا يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ — ومن قوله

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر وإنما صفوه بين الورى لمع
لو كانت للمرء فكر فى عواقبه ما شان أخلاقه حرص ولا طمع
وكيف يدرك ما فى الغيب من حدث من لم يزل بفرور العيش ينخدع

دهرٌ يَفْرُ وآمالٌ تَسُرُّ وآءِ مارَ نَمَرٌ وأيامٌ لها خدع
يسعى القتي لأُمورٍ قد تضرُّ به وليس يعلم ما يأتي وما يدع
يأبها السادر المزور من صلف مهلاً فانك بالأيام منخدع
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له لعل قلبك بالإيمان ينتفع
ان الحياة لثوب سوف تخلعه وكل ثوب اذا مارت ينخلع
ومن قوله في الحماسة والفخر

أنا مصدرُ الكلامِ البوادي بين المحاضر والنوادي .
أنا فارسٌ أنا شاعر في كلِّ ملحمة ونادي
فاذا ركبت فإنتى زِيدُ الفوارس في الجلاد
وإذا نطقت فإنتى قسُّ بن ساعدة الإيادي

وقال يصفُ هَرَمِيَّ الجيزة وأبا الهول :

سل الجيزة الفيحاء عن هَرَمِيٍّ مِصرَ ، لَعَلَّكَ تدري غيب ما لم تكن تدري
بناء ان رداً صولة الدهر عنهما ، ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
أقاما على رغم الخطوب يشهدا لبائنهما بين البرية بالفخر
فكم أم في الدهر بادت وأعصر خلت وهما اعجوبة العين والفكر
تلوح لآثار العقول عليهما أساطير لا تنفك تنجلي الى الحشر
رموز لو استطلعت مكنون سيرها لا بصرت مجموع الخلائق في سطر
فما من بناء كان أو هو كائن ، يُدانيهما عند التأمل والخيبر
يقصر حسناً عنهما صرح بابل ، ويعترف الإيوان^(١) بالعجز والبحر

(١) هو إيوان كسرى كان بهواً عظيماً في قصره بالدائى وسقفه أزج معقود به سمي قصره الأبيض

كأنهما ثديانٍ فاضاً بدرّةٍ من النيل تروى غلّة الأرض إذ تجري،
ويبينهما بآهيب^(١) في زيّ رابضٍ أكبّ على الكفّين منه إلى الصدر
يُقلبُ نحوَ الشرقِ نظرةً واميّ، كأنّ له شوقاً إلى مطالعِ الفجرِ
مصانعُ فيها للعلومِ غوامضُ تدلُّ على أن ابن آدم ذو قدرِ
رسا أصلها، وأمتدّ في الجوّ فرعها، فأصبحَ وكرّاً لئسما كين^(٢) والنسر^(٣)

﴿أحمد شوقي بك﴾

هو ربّ القلم محبّي دولة الشعر بعد العدم شاعر النيل أحمد بن علي شوقي بك

المولود سنة ١٢٨٥ هـ

شعره ، ينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ، وحيث
يشاء ، لا يجهد فكره ولا يكده في معنى أو في مبنى . فأما المعنى فيجيشه على مرامه
أو على أبعد من مرامه ولا ينضب عنده لانه يستخلصه من عقل فوار الذكاء
ومعارف جامعة الى أفانين الآداب في لغات الافرنج والاعراب ، فلسفة الحقوق
وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير يسير إلى مشاركات علمية
وتنبهات فنية استفادها من مطالعته في صنوف المتن ، واتخذها عن ملحوظاته
ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب - وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة
بتعدد مقامات القول : ترى فيه من نسج البحترى ومن صياغة أبي تمام ، ومن
وثبات المتنبي ، ومن مفاجآت الشريف ، ومن مسلسلات مهيّار

ومن قوله : يصف هيكل أنس الوجود

(١) اسم لابي الهول عرف به صدر الاسلام . ولعل ابا الهول محرف عنه (٢) السماء كان
نجمان نيران في السماء احدهما السماء الرابع والثاني السماء الاعزل (٣) النسر كوكبان : الواقع
والطائر . وفي النسر تورية

أيها المُنْتَحَى « بأسوان » داراً
 انْخَلَعَ النُّعْلَ وَأَخْفَضَ الطَّرْفَ وَأَخْشَعَ
 قِفْ بِتِلْكَ الْقُصُورِ فِي الْبَيْمِ غَرَقِي
 كَمَذَارَى آخِنِينَ فِي الْمَاءِ بَضًا
 مُشْرِقَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ . وَكَانَتْ
 شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ . وَشَابَتْ
 رُبَّ نَقْشٍ كَانَمَا نَفَضَ الصَّبَا
 وَدُهَانَ كَلَامِ الزَّيْتِ مَرَّتْ
 وَخُطُوطُ كَاتِبِهَا هَدَبُ رِيَمٍ
 وَضَحَايَا تَكَادُ تَمْشِي وَتَرَعِي
 وَمَحَارِيبَ كَالْبُرُوجِ بِمَنْهَا
 شَيْدَتْ بَعْضَهَا الْفَرَاعِينَ زُلْفَى
 وَمَقَاصِيرَ ابْدَلَتْ بِفَتَاتِهَا
 حَظُّهَا الْيَوْمَ هَدَّةٌ ، وَقَدَّ
 سَقَتْ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْ
 صِنْعَةً تَدْهِيشُ الْعُقُولَ وَفَنٌّ

كَالْثَرِيًّا تَرِيدُ أَنْ تَنْقُضًا
 لَا تَحَاوُلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَمَضًا
 مُمَسِّكًا بَعْضُهَا فِي الدُّعْرِ بَعْضًا
 سَابِحَاتٍ بِهِ ، وَأَبْدِينَ بَصًا
 مُشْرِقَاتٍ عَلَى الْكُوكَبِ نَهَضًا
 وَشَبَابِ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًا
 نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأُمْسِ نَفَضًا
 أَعْصَرَ بِالسَّرَاجِ وَالزَّيْتِ وَضًا
 حَسَنَتْ صِنْعُهُ وَطَوَّلَا وَعَرْضًا
 لَوْ أَصَابَتْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ نَبْضًا
 عَزَمَاتٌ مِنْ عَزْمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى
 وَبَنِي الْبَعْضِ أَجْنَبَ يَتَرْضَى
 مَسْكُ تَرِبًا . وَبِالْيَوَاقِيتِ قَضًا
 صَرَفَتْ فِي الْحُظُوظِ رَفْعًا وَخَفَضًا
 سِ إِلَى أَنْ تَعَاطَتْ النُّحْسَ مَحْضًا
 كَانَ إِنْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرَضًا



يا قصوراً نظرتها وهي تقضي
 أنت طغراء، ومجد مصر كتاب
 وأنا المحتفى بتاريخ مصر
 فسكنتُ الدموعَ ، والحق يُقضى
 كيف سامَ البلي كتابك فضاء
 من يصنُّ مجدَ قومه صانَ عرضاً

لم تُمِتْ أُمَّةٌ ، ولا بادَ شعبٌ
 رَبُّ سِرِّ بِجَانِبَيْكَ مُزَالِ
 قُلْ لَهَا فِي الدُّعَاءِ لَوْ كَانَ يُجْدِي
 حَارَ فَيْكِ الْمُهَنْدِسُونَ عُقُولاً
 أَبْنَى مَلِكٌ حَيَالَهَا وَفَرِيدٌ
 أَبْنَى فِرْعَوْنُ فِي الْمَوَاصِبِ تَتَرَى
 سَاقَ الْفَتْحِ فِي الْمَالِكِ عَرْضاً
 أَبْنَى «إِيزِيسُ» تَحْتَهَا النَّيْلُ يَجْرَى
 أَسْدَلُ الطَّرْفِ كَاهِنٌ وَمَلِكٌ
 يُعْرِضُ الْمَالِكُونَ أَسْرَى عَلَيْهَا
 مَا لَهَا أَصْبَحَتْ بَغِيرَ مُجِيرِ
 هِيَ فِي الْأَسْرِ بَيْنَ صَخْرٍ وَبَحْرِ
 أَبْنَى (هُورُوسُ) بَيْنَ سَيْفٍ وَنَاطِقِ
 لَيْتَ شَعْرَى ! قَضَى شَهِيدَ غَرَامِ
 رَبُّ ضَرْبٍ مِنْ سَوْطِ فِرْعَوْنَ مَضَى
 وَهَلَاكُ بَسِيفِهِ وَهُوَ قَانِ
 قَتَلَهُ فَهَلْ لِيذَلِكَ حَدِيثُ :
 شَيْمَةُ النَّيْلِ أَنْ يَفِي ، وَعَجِيبُ
 حَاشَةُ الْمَسَاكِينِ رَيْدُ كَرِيمِ
 شَيْمَةُ وَالْمَسَالِ ، وَالْمَسْلُومُ قَلِيلُ

أَقْرَضُوا الذِّكْرَ وَالْأَحَادِيثَ قَرَضَا
 كَانَتْ حَتَّى عَلَى الْفَرَاغِ غَمَضَا
 يَا مِمَاءَ الْجَلَالِ لَا صَرَتْ أَرْضَا
 وَتَوَلَّتْ عِزَّائِي الْعِلْمِ مَرْضَا
 مِنْ نِظَامِ النِّعَمِ أَصْبَحَ فُضَا ؟
 يُرْكِضُ الْمَالِكِينَ كَالْخَيْلِ رَكْضَا !
 وَجَلَّ لِلْفَخَارِ فِي السَّلْمِ عَرْضَا
 حَكَمْتُ فِيهِ شَاطِئِينَ وَعَرْضَا !
 فِي ثَرَاهَا وَأَرْسَلَ الرَّأْسَ خَفْضَا
 فِي قِيودِ الْهَوَانِ عَانِينَ جَرَضَا
 نَشْتَكِي مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ عَضَا
 مَسَاكَةً فِي السَّجُونِ فَوْقَ حَضُوضَا
 أَبْهَذَا فِي شَرِّهِمْ كَانَ يُقْضَى !
 أَمْ رَمَاهُ الْوَشَاةُ حَقْدًا وَبُغْضَا !
 دُونَ فَعْلِ الْفِرَاقِ بِالنَّفْسِ مَضَا
 دُونَ سَيْفٍ مِنَ الْوَاحِظِ يُنْضَى
 أَبْنَى رَاوِي الْحَدِيثِ نَثْرًا وَقَرَضَا
 أَهْرَجَرَهُ فَتَضَيَّعَ الْهَدْيُ قَضَا
 لَيْتَ بِالنَّيْلِ يَوْمَ يَقْدُ غَيْثَا
 أَتَقْنُونُ بِالْمَالِ وَالْمِلْهِ قَضَا

﴿ محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

هو الشاعر الكبير محمد حافظ بن ابراهيم أفندي فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ يقول الشعر ، في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج مثال جميل من حجره يؤثر الجزالة على الرقة ، وله فيها آيات ، يطرق الموضوع في الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما بين يديه آمناً أن تهن عزيمته دون الاجادة بعد ذلك عالماً ان الكلام لا بد أن يأتيه في أى مقام طبعاً ولو بعد حين

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسج على منوالها ويتخيّر نفائس مفرداتها وأعلاق حلاها . له غرام باللفظ لا يقلّ عن الغرام بالمعنى . وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فاذا فاته الابتكار حيناً في التصور لم يفته الابتكار حيناً في التصوير أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء فهو على الجلالة أحد الثلاثة الذين هم تجرم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته واضاءته وأثره الخالد

أما شعره فشعر البيان وان من البيان اسحراً - ومن شعره الاجتماعي ، قوله

كم ذا يكابد عاشقٌ ويُلَاقِي	في حبِّ مصرَ كثيرةَ العشاقِ
إني لأحملُ في هوائكِ صِبايةً	يا مصرُ ، قد خرجت عن الأطواقِ
لهفي عليكِ ! متى أراكِ طليمةً	يحمي كرمَ حماكِ شعبٌ راقِ
كَلِيفٌ بمحمود الخيالِ ، مُتَمِّمٌ	بالبذلِ بين يديكِ والإِنفاقِ
إني لتطربني الخيالُ كريمةً	دَرْبَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقِ

وبهزني ذكرُ المروعة والندي
 ما الباطية في صفاء مزاجها
 والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي
 بالذ من خلق كريم طاهر
 فلذا رزقت خليفة محمودة
 فالتاس هذا حظه مال، وذا
 والمال إن لم تدخره محصنا
 والعلم ان لم تكتنفه شمائل
 لا تحسب العلم ينفع وحده
 من لي بتربية النساء فاتها
 الام مدرسة إذا أعدتها
 الام روض إن تعيده الحيا
 الام أستاذ الأساتذة الالى
 أنا لا أقول: دعوا النساء سوافراً
 يدرجن حيث أردن، لا من وازع
 يفعلن أفعال الرجال لوأهيا
 في دورهن شؤونهن كثيرة
 كلاً، ولا أدعوكم أن تسرفوا
 ليست نساؤكم حلى وجواهرأ
 ليست نساؤكم أناثا يقتني
 بين الشمائل هزة المشتاق
 والشرب بين تنافس وسباق
 والبدر يشرق من جبين الساق
 قد مزجت سلامة الاذواق
 فقد اصطفاك قسم الارزاق
 علم وذاك مكرم الاخلاق
 بالعلم كان نهاية الاملاق
 تعليه كان مطية الاخفاق
 ما لم يتوج ربّه بخلاق
 في الشرق علة ذلك الاخفاق
 أعددت شعبا طيب الأعراق
 بالرى، أورق أيما إبراق
 شغلت مآثرهم مدى الآفاق
 بين الرجال يحلن في الاسواق
 يحذرن رقبته، ولا من واق
 عن واجبات نوايس الاحداق
 كشؤون رب السيف والمزراق
 في المحجب والتضييق والارهاق
 خوف الضياع نصان في الاحقاق
 في الدور بين مخادع وطباق

تشكّلُ الزمانُ في أدوارِها دُولاً ، وهنَّ على الجودِ بواق
فتوسّطوا في الحالَتين ، وأنصفوا فالشرُّ في التقييدِ والإطلاقِ
رَبُّو البناتِ على الفضيلةِ ، إنَّها في الموقفينَ هنَّ خيرٌ وثاقِ
وعليكمُ أن تستبينَ بناتكم نورَ الهدى وعلى الحياءِ الباقي

﴿ اسماعيل صبرى باشا ﴾

أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها أو خبر ذى بال
يسمعه أو كتاب يطالعه — ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين عادة الى أربعة
الى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر الا حيث يقصد قصيدة — شديد النقد
لشعره كثير التبديل والتحويل فيه حتى اذا استقام على ما يريد ذوقه من رقة
اللفظ وفصاحة الاسلوب أهمله ثم نسيه — ومن قوله يصف الاهرام

لا القومُ قومي ولا الأعوانُ أعواني إذا ونى يومَ تحصيلِ العلى وانِ
ولستُ ابنُ لم تؤيّدني فراغنة منكم بفرعونَ عالى العرشِ والشانِ
ولستُ جبارُ ذا الوادى إذا سلمت جباله تلكَ من غاراتِ أعواني
لا تقربوا النيلَ إن لم تعملوا عملاً فماؤه المذبُّ لم يُخلق ليكسلانِ
ردُّوا الحجرةَ كدّاً دونَ مَوردهِ أو فاطلبوا غيرهَ رياءَ لظمانِ
وآبئوا كما بنتِ الأجيالُ قبلكمُ لا تتركوا بعدكمُ فخراً لإنسانِ
أمرُكم ، فأطيعوا أمرَ رَبِّكمُ لا يئنُ مُستمعاً عن طاعةِ ثانِ
فالملكُ أمرٌ وطاعاتُ تسابغةُ جنباً لجنبِ الى غاياتِ إحسانِ
لا تتركوا مُستحيلاً في استعالتِه حتى يُميطَ لكم عن وجهِ إمكانِ
مقالةٌ قد هَوّت من عرشِ قُللها على منّا كيبِ أبطالِ وشُجَّهانِ

مادَتْ لها الارضُ من دُعرٍ ودان لها
لو غيرُ فرعونَ ألقاها على ملا
لكنَّ فرعونَ إن نادى بها جَبَلًا
وأزرتُهُ جماهيرٌ تسيلُ بها
يَبْنُونَ ما تَقِفُ الاجيالُ حائرة
من كل مالم يَلِدْ فكر ولا فُتِحَتْ
ويُشبهونَ إذا طاروا الى عمل
برأى بذى الامر لا خوفًا ولا طمَعًا
أهرامُهُم تلك ، حىَّ الفنَّ متخذًا
قد مرَّ دهرٌ عليها ، وهى ساخِرة
لم يأخذِ اللَّيلُ منها والنهارُ سوى
كانها والعوادى فى جوانبها
جاءت إليها وفود الارض قاطبة
فصغرت كل موجودٍ ضخامتُها
وعادَ مُنكَرُ فضلِ القومِ مُعترفًا
تلك الهياكلُ فى الامصار شاهدة
وأن فرعونَ فى حَوْلٍ ومقدرة
إذا أقام عليهم شاهدًا حَجَرًا
كأنما هى والاقوام خاشعة
تستقبلُ العينَ فى أثناها صُورًا

ما فى المقطع من صخر وصوان
فى غير مصرٍ لعدتْ حُلْمٌ يقظان
لبت حجارته فى قبضة البانى
بطاحٍ وادٍ بماضى القومِ ملان
أمامه بين إعجاب وإذعان
على نظائره فى الكون عينان
جنًا تطيرُ بأمرٍ من سليمان
لكنهم خُلقوا طُلابَ إتيان
من الصخورِ بروجًا فوق كيوان
بما يُضعُضُ من صرحٍ وإوان
ما يأخذُ النملُ من أركان هِلان
صرعى بناء شياطين لشيطان
تسعى آشتياقًا الى ما خَلَدَ الفانى
وغضُ بنيانها من كل بُنيان
يُثنى على القومِ فى سِرٍّ وإعلان
بأنهم أهلُ سبقٍ ، أهلُ إمعان
وقومَ فرعونَ فى الإقدام كُفؤان
فى هيكَل قامت الأخرى يبرهان
أمامها صحفٌ من عالم ثان
فصحة الرمز دارت حول جُدران

٤٩٨ خليل بك مطران وقصيدته واصفاً ضرب الاسطول الايطالي لسواحل الشام

لو أنها أُعْطِيتْ صوتاً لسكانَ له صدَى يُرْوَعُ صَمِّ الأِنْسِ والجَانِ
أَيْنَ الأَثَى سَجَلُوا فِي الصَّخَرِ سِيرَتَهُمْ وَصَغُرُ وَ اَكَلْ ذِي مُلْكٍ وَسُلْطَانِ
بَادُوا، وَبَادَتْ عَلَى آثَارِهِمْ دُؤْلٌ وَأُدْرِجُوا طَىْ أَخْبَارِ وَأَكْفَانِ

﴿ خليل بك مطران ﴾

هو شاعر الشعور والخيال. وشاعر يعليك والاهرام. ولد سنة ١٧١٨ بعلبك وتعلم بها
قدم مصر سنة ١٨٩٣م واشتغل بمكاتبة الصحف وأنشأ باسمه « المجلة المصرية »
سنة ١٨٩٩م وأنشأ أيضاً (جريدة الجوائب المصرية) وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل)
شعره - مجمعُ الصُّورِ وملعبُ الخيَالِ. ونفسه كالصَّحيفة الحسنة ينطبع عليها كل
ما يمر بها. بل الفصن الرطب يميل به كل نسيم بل وجه البحيرة الصافي يجرّ كه كل ريح
من قصيدة له يصف ضرب الاسطول الايطالي لسواحل الشام ويستنهض الهمم

بلا دى لا يَزَالُ هَوَاكُ مِثْ كَمَا كَانَ الهوى قَبْلَ الفِطَامِ
أَقْبَلْ مِنْكَ حَيْثُ رَمَى الأَعَادَى رُغَامًا طَاهِرًا دُونَ الرِّغَامِ
وَأَفْدَى كُلَّ جُلُودٍ فَتَيْتِ وَهَى بِقَنَابِلِ القَوْمِ اللَّثَامِ
لَحَى اللهُ المَطَامِعَ حَيْثُ حَلَّتْ فَتْلُكَ أَشَدَّ آفَاتِ السَّلَامِ
تَشَوَّبُ المَاءُ وَهُوَ أَغْرَصَافٌ وَنَمَشَى فِي المِشَارِبِ بِالسَّقَامِ
أَقُولُ وَقَدْ أَفَاقَ الشَّرْقُ ذُعْرًا مِنْ الحَالِ الشَّيْهَةِ بِالمَنَامِ
عَلَى صَحْبِ المِدَافِعِ فِي حِمَاهِ وَرَقَصَ المَوْتَ بَيْنَ طَلِيٍّ وَهَامِ
أَقُولُ بِصَوْتِهِ لُحْمَاءُ دَارِ رَمَاهَا مِنْ بُعَاةِ العَرَبِ رَامِ
أَبَاةَ الضَّيْمِ مِنْ عَرَبٍ وَتُرْكٍ نُسُورَ الشَّمِّ آسَادَ المَوَامِي
قُرُومَ العَصْرِ فَرَسَانًا وَرَجُلًا نُجُومَ الكَرِّ مِنْ خَلْفِ اللَّثَامِ

بنا مَرَضَ النِّعَمِ فَتَسَمُّونا وَغَى يَشْنِي مِنَ الصِّفْوِ الْعُقَامِ
بنا بَدُّ المَكُوثِ فَأَدْفِنونا بِحُمَى الوَثْبِ حَيْثُ الخُطْبُ حَامِ
بنا عَطَلُ السَّمْعِ فَشَنَّفونا بِقَمَقَمَةِ الحَدِيدِ لَدَى الصَّدَامِ
على هذا الرِّجاءِ وَنَحْنُ فِيهِ نَسِيرُ مُوقِّعِينَ إِلَى الأَمَامِ
وقال في نابليون وهو يراقب السماء في آخر أيامه

قالوا لنابليون ذات عَشِيَّةٍ إِذْ كَانَ يَرْقُبُ فِي السَّمَاءِ الأَنْجُمَا
هل بَعْدَ فَتَحِ الأَرْضِ مِنْ أُمْنِيَّةٍ فَأَجَابَ انْظُرْ كَيْفَ أَفْتَحَ السَّمَا

أبواب الشعر العربي

(الباب الاول في المديح)

« قال أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ المتوفى سنة ٩ هـ في العزّة الإلهية »

لَكَ الحُدُ وَالنِّهَامُ وَالْمُلْكُ رَبُّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَعْجَدُ
مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
فَسُبُّحَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الخَلْقُ قُدْرَهُ وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
هُوَ اللَّهُ بَارِئُ الخَلْقِ وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ إِمَامُهُ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
مَلِيكَُ السَّمَوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا يَدُومُ وَيَبْقَى وَالخَلِيقَةُ تَنْفَدُ

(وقال أيضًا)

إِلَهُ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ وَرَبِّ الرِّاسِيَّاتِ مِنَ الْجِبَالِ
بَنَاهَا وَابْتَنَى سَبْعًا شِدَادًا بِلاَ عَمَدٍ يُرَبِّنَ وَلَا رِجَالِ
وَسَوَّاهَا وَزَيَّنَهَا بُنُورَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيَّةِ وَالْمَلَالِ

ومن شهب تلالاً في دُجَاهَا مَرَامِهَا أَشَدُّ مِنَ الْإِنِّصَالِ
وَشَقَّ الْأَرْضَ فَانْبَجَسَتْ عُمُونَا وَأَنهَاراً مِنَ الْعَذْبِ الزُّلَالِ
وَبَارَكَ فِي نَوَاحِيهَا وَزَكَّى بِهَا مَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ وَمَالِ
فَكُلُّ مُعَةٍ لَا بَدْءَ يَوْمَا وَذَى دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ
وَيَفْنِي بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَسْلَى سِوَى الْبَاقِي الْمَقْدَسِ ذَى الْجَلَالِ
وَسِيقَ الْمَجْرُمُونَ وَمِ عُرَاةٍ إِلَى ذَاتِ الْمَقَامِ وَالنَّكَالِ
فَنَادَاوِيلُنَا وَيَلَا طَوِيلَا وَعَجَّوْا فِي سَلَا سِلْهَا الطَّوَالِ
فَلِيسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرْجِحُوا وَكَلَامُ بَحْرٍ النَّارِ صَالِي
وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بَدَارَ صَدَقِ وَعِيشِ نَاعِمٍ تَحْتَ الظَّلَالِ
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمْنَا مِنْ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

(وقال محمود سامي البارودي باشا مادحاً سيد الامة — من كشف الغمة)

« محمد » خاتم الرُّسُلِ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الْبَرِيَّةُ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
سَمِيرٌ وَحَى وَمُجَنِّى حِكْمَةٍ وَنَدَى سَمَاحَةٍ وَقَرَى عَافٍ وَرِىُّ ظَمٍ
قَدْ أَبْلَغَ الْوَحَى عَنْهُ قَبْلَ بَعْثِ مَسَامِيعِ الرُّسُلِ قَوْلًا غَيْرَ مُنْكَرِمٍ
فَذَاكَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ ^(١) خَالَقِ وَسِيرٌ مَا قَالَهُ عِيسَى ^(٢) مِنَ الْقَدَمِ
أَكْرَمَ بِهِ وَبِأَبَاءِ مُحَجَّلَةٍ جَاءَتْ بِهِ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ الدُّهُمِ
كَانَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ مُتَخَرِّجًا لِدَعْوَةٍ كَانَ فِيهَا صَاحِبَ الْعِلْمِ
تَنْقَلُ فِي الْأَكْوَانِ سَاطِعُهُ تَنْقَلُ الْبَدْرُ مِنْ صُلْبِ إِلَى رَحِمِ

(١) يشير الى قوله تعالى (ربنا وابحث فيهم رسولاً منهم) ولعلهم آياتك ويعلمهم الكتاب
(٢) يشير الى قوله جل ذكره (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اصحاباً)

(وقال أحمد بك شوقي مادحا أفضل الخلق على الاطلاق — من نهج البردة)

« محمد » صفوة الباري ورحمته
وصاحب الخوض يوم الرسل سائلة
سناؤه وسناه الشمس طالعة
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته
نموا اليه فزادوا في الورى شرقا
حواه في سبحات الطهر قبلهم
لما رآه بحيرا قال نعرفه
وبقية الله من خلق ومن نسم
متى الورود وجيريل الأمين ظمي
فالجرم في فلك والضوء في علم
من سودد باذخ في مظهر سيم
ورب أصل لفرع في الفخار نبي
نوران قاما مقام الصلب والرحيم
بما حفظنا من الاسماء والتسيم

﴿ وقال أبو تمام مادحا المعتضد بالله ﴾

إلى قطب الدنيا الذى لو بفضله
من البأس والمردوف والجود والتقى
هو البحر من أى النواحي أتية
تعود بسط الكف حتى لو أنه
ولو لم يكن في كفه غير روجه
مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
عيال عليه رزقن شمالكه
فلجته المعروف والجود ساحله
ثناها لقبض لم تطلعه أنامله
لجاد بها فليتيق الله سائله

﴿ وقال فيه أيضا ﴾

السيف أصدق أنباء من الكتب
بيض الصقايح لا سود الصحائف
فتح تفتح أبواب السماء له
غادرت فيهم بهم الليل وهو ضحي
حتى كان جلايب الدجى رغبته
في حده آخذ بين الجدي والعب
متوئين جلاء الشك والريب
وتبرز الأرض في أوابها القشب
يقله وسطها صبح من القهب
عن لونها وكان الشمس لم تغيب

أَجِبَتْهُ مَلْنَا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتَا وَلَوْ أَجِبْتَ بَغِيرِ السَّيْفِ لَمْ يُجِبْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ جُرْئُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ الْآلَانِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامٍ بِذُرِّ أَقْرَبِ النَّسَبِ

﴿ وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ ﴾

إِلَيْكَ تَنَاهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُودَدِ فَأَبْلَى الْآيَالِي وَالْأَنَامَ وَجَدَدِ
لِجَدِّكَ كَانَ الْمَجْدُ ثُمَّ حَوِيَّةَ وَلَا بِنِكَ يُبْنَى مِنْهُ أَشْرَفُ مَقْعَدِ
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كَا وَمَاهُنَّ غَيْرُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْغَدِ
وَمَا الْبَدْرُ إِلَّا وَاحِدٌ غَيْرَ أَنَّهُ يَغِيبُ وَيَأْتِي بِالضِّيَاءِ الْمَجْدِ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَقَارَ خَلْقًا كَثِيرَةً فَجَمَلَهَا مِنْ نَيْرٍ مُتَرَدِّدِ
وَالْحَسَنُ الْخُسَنَى وَإِنْ جَادَ ذِمُّهُ فَذَلِكَ جُودٌ لَيْسَ بِالْمُتَعَمِّدِ

﴿ وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّىُّ مَادِحًا سَيْفَ الدَّوْلَةِ ﴾

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكِ رَمَلُ الزَّمَانِ وَمَلُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ
لَيْتَ الْمَدَائِحُ تَسْتَوِي فِي مَنَاقِبِهِ فَمَا كُلِّيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
خَذُّ مَا تَرَاهُ وَدَعُ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ
وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ
إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي فُخِرَ الْأَنَامُ بِهِ خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَى خَيْرَ الدُّوَلِ
تَمْسِي الْأَمَانِي صَرَغِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشْيَاءَ لَيْتَ ذَلِكَ لِي

﴿ وَقَالَ أَيْضًا يَمْدَحُ أَبَا شُجَاعٍ ﴾

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

واجز الا مير الذي نَعَماء فاجتة
فرُبما جَزَت الاِحسانَ موليّه
وان تكن مُحكمات الشكّل تمنعني
وما شَكَرتُ لأن المالَ فرَحني
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجادَ أَمَا
فكنتُ مُنبتِ رَوْض الحزنِ باكره
غيثٌ يُبَيّن للنظار موقِعُه
لا يُدرك المجدَ الأسيّدَ فطنٌ
لا وارثٌ جهَلتُ يَمناه ما وهبتُ
قال الزمانُ له قولاً فافهمه
تدري القنّاءُ لَذا اهتزّت براحته
كفّاتك ودُخول الكافِ منقَصه
القائدُ الأسدُ غَذّتها بَرائثُه
بغير قولٍ ونَعَمي الناسِ أقوالُ
خَريدةٌ من عَدّاري الحَيِّ مَكسالُ
ظهور جَرى فلي فيهنّ نَصْهالُ
سيّانٌ عندى اَكْثارٍ واقلالُ
وانّا بقضاء الحقِّ بُخالُ
غيثٌ بغيرِ سِباخ الارضِ هَطالُ
أن العيوثَ بما تأتيه جُبالُ
لما يَشقُّ على الساداتِ فَعالُ
ولا كُوبُ بغيرِ السيفِ سَثالُ
أن الزّمانَ على الاِمساكِ عَدالُ
أن الشقيّ بهّا خيلٌ وأبطالُ
كالشمسِ قُلّتُ وما للشمسِ أمثالُ
بمثلها من عَداهُ وهي أشبالُ

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث سنة ٣٤٣ هـ

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ
وتعظمُ في عين الصغير صغارها
يُكلّفُ سيفُ الدّولة الجيشَ همّةً
ويطلب عند الناس ما عند نفسه
يُفدّي أئمّة الطّبر عُمراً سِلاحه
وما ضَرّها خلقٌ بغيرِ مَخالب
وتأتى على قدر الكرام المكارمُ
وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ
وقد عجزت عنه الجيوش الحضارمُ
وذلك ما لا تدّعيه الضّراغمُ
نُورُ الفلّاحِ أهدأها والقشاعِمُ
وقد خُلِقَت أسيافه والقوامُ

هل حَدَّثَ الجُحَاءُ تَعْرِفُ لَوْثَهَا وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِينِ الفَعَامُ
 سَقَّتْهَا الغمامُ الغُرُّ قَبْلَ نَزْوِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا الجَاجِمُ
 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقَرَّعَ الْقَنَا وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْهَا مُتْلَاطِمُ
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ البُحُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَّتِ القَتْلِ عَلَيْهَا تَمَامُ
 طَرِيدَةٌ دَهْرَ سَاقِهَا فَرَدَّدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّ وَالذَّهْرَ رَاغِمُ
 تَفَيْتِ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ فَوَارِمُ
 وَكَيْفَ تَرْجِي الرُّومَ وَالرُّومَ هَذَمَهَا وَذَا الطَّمَنُ آسَاسُهَا وَدَعَامُ

(وقال جرير المتوفى سنة ١١٠ هـ يمدح عبد الملك بن مروان)

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ المَوْرِدِينَ ذَوِي إِقْبَاحِ
 ثَقِيَ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَهِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
 سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَى رِيثِي وَأَنْبَتَ القَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
 أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأُنْدَى العَالَمِينَ بِطُونِ رَاحِ

(وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه)

إَكْمُ بِالْإِمَامَةِ مِنْ شَعْشَاءِ أَرْمَلَةٍ وَمِنْ يَتِيمِ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ
 مِمَّنْ يَمُدُّكَ تَسْكِينِي فَقَدْ وَالِدِي كَالْفَرْخِ فِي العُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرِ
 يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كَانَ بِهِ خَبَلًا مِنَ الجِنِّ أَوْ مَسًّا مِنَ النُّشْرِ
 إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفْنَا مِنَ الخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ المَطَرِ
 تِي الخِلَافَةِ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ
 هَدَى الأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا فَنَ لِحَاجَةٍ هَذَا الأَرْمَلُ الذِّكْرِ

(وقال أيضاً بمدحه)

يَعُودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قَرَيْشٍ وَتُفْرِجُ عَنْهُمْ الْكَرْبَ الشَّدَادَا
وَقَدْ أَمَنْتَ وَجْهَهُمْ بِرَفْقٍ وَيُعَيِّ النَّاسَ وَحْشُكَ أَنْ يُصَادَا
وَتَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا لِتَرْضَى وَتَذَكُرُ فِي رَعِيَّتِكَ الْمَعَادَا
وَمَا كُتِبُ بِنِ مَامَةَ وَأَبْنُ سَعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا
(وقال الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ مادحاً الامير أبا الفضل الميكالى)

لَكَ فِي الْمَفَاخِرِ مُعْجَزَاتٌ جَمَّةٌ أَبَدًا الْغَيْرُكَ فِي الْوَرَى لَمْ تُجْمَعِ
بِحِرَانٍ بِحَرٍّ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَةٌ شَعْرُ الْوَلِيدِ وَحَسَنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِ
وَتُرْسَلُ الصَّابِي يَزِينُ عُلوَّهُ خَطُ ابْنِ مُقَلَّةَ ذُو الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ
كَالنُّورِ أَوْ كَالسَّحَرِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْوَشْيِ فِي بُرْدٍ عَلَيْهِ مُوشَعِ
شُكْرًا فَكَمْ مِنْ فِقْرَةٍ لَكَ كَالنِّي وَافِي الْكَرِيمِ بُعِيدَ فَقْرٍ مُدْقِعِ
وَإِذَا تَقَتَّقَ نَوْرُ شَعْرِكَ نَاضِرًا فَالْحُسْنُ بَيْنَ مُرْصَعٍ وَمُصْرَعِ
أَرَجَلَتْ فِرْسَانَ الْكَلَامِ وَرُضْتُ أَفْ رَاسُ الْبَدِيعِ وَأَنْتَ أَجْدُ مُبْدِعِ
وَتَقَشَّتْ فِي فُصِّ الزَّمَانِ بَدَائِعًا تُرَى بِأَنْوَارِ الرِّيحِ الْمُرْعِ

(وقال أبو محمد اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ بمدح الملك الفائز ووزيره الصالح)

أَقْسَمْتُ بِالْفَائِزِ الْمَصُومِ مُعْتَقِدًا فَوْزَ النِّجَاقِ وَأَجَرَ الْبِرِّ فِي الْقَسَمِ
لَقَدْ حَمَى الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَأَهْلُهَا وَزِيرُهُ الصَّالِحُ الْفَرَّاجُ لِلْعُمَمِ
الْأَيْسُ الْمَجْدِ لَمْ تَنْسُجْ غِلَظَ لَهْ إِلَّا يَدُ الصَّابِئَيْنِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
قَدْ مَلَكَتْهُ الْعَوَالِي رَقًّ مَمْلُكَةٍ تَعْبِيرُ أَنْفِ الثَّرِيَا عِزَّةَ الشَّمِ
أَرَى مَقَامًا عَظِيمَ الشَّانِ أَوْهَمَنِي فِي يَقْظَتِي أَنَّهُ مِنْ جِلَّةِ الْحُلَمِ

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عُقُودَ مَدْحٍ فَأَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي
 خَلِيفَةُ وَوَزِيرٌ مَدَّةً عَدْلُهُمَا ظِلًّا عَلَى مَفْرِقِ الْإِسْلَامِ وَالْأَمِ
 زِيَادَةُ النَّيْلِ نَقْصٌ عِنْدَ فَيْضِهَا فَمَا عَسَى يَتَعَاطَى هَاطِلُ الدَّيَمِ
 ﴿وَقَالَ حَافِظُ بَكِ إِبْرَاهِيمَ بِمَدْحِ أَسَافِئِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِهِ وَبِهِتِهِ﴾
 رَأَيْتُكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشَعٌ قُلْتُ أَبُو حَفْصٍ يُرْذِيكَ أَمْ عَلَى
 وَخَفَضْتَ مِنْ حُزْنِي عَلَى مَجْدِائِمَةٍ تَدَارَكْتَهَا وَالْخَطْبُ لِلْخَطْبِ يَعْتَلِي
 طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمِينِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ وَكُنْتَ لَهَا فِي الْفَوْزِ قَدْخُ ابْنِ مُقْبَلِ
 وَجَرَدَتْ لِلْفَتْيَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ بِحَدِيثِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
 مَحَوَّتْ بِهِ فِي الدِّينِ كُلِّ ضَلَالَةٍ وَاثْبَتَتْ مَا اثْبَتَتْ غَيْرَ مُضِلِّ
 لَنْ ظَفَرَ الْأَقْنَاهُ مِنْكَ بِفَاضِلٍ لَقَدْ ظَفَرَ الْإِسْلَامُ مِنْكَ بِأَفْضَلِ

الباب الثاني في الفخر والحماسة

(قال السموءل بن عادياہ المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرَضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ (١)
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حَسَنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ (٢)
 يُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ (٣)

(١) اللؤم اسم جامع للخصال الذمومة — والمعنى ان الانسان اذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملابس يلبسه بعد ذلك كان جيلا (٢) وان هو لم يحمل الى آخر البيت — أى من لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل الى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لأنهم يأثرون من ذلك ويمدونهم بذلك (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والاول المختار — المعنى أنها أنكرت مناقلة عددنا ضدته عارا فأجيبها ان الكرام يقلون

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكُهُولٌ (١)
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ (٢)
لَنَا جَبَلٌ بِحَنَلُهُ مَنْ يُجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ (٣)
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ النَّرَى وَسَمَاءُ بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ (٤)
هُوَ الْإِبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ (٥)
وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ (٦)
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ (٧)
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ (٨)
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ (٩)
صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْذُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ سَحَابُنَا وَفَحُولُ (١٠)

(١) الشباب جمع شاب كالشبان وقوله تسامى أراد تتسامى غذف إحدى التاءين والكهول جمع كهل ضد الشبان (٢) وما ضرنا يجوز في ما ان تكون نافية والمعنى لم يضرنا ويجوز ان تكون استفهامية على طريق التقرير والمعنى اي شيء ضرنا (٣) قيل انه اراد بذكر الجبل العز والسمو - وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال له الابلق الفرد - يعني من دخل في جوارنا امتنع على طلابه (٤) رسا اصله الى آخر البيت يريد به انه اثبت جبل في الأرض واعلى طود عليها (٥) الابلق الفرد الذي شاع ذكره هو حصن السموءل بناء ابيه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصده الزباء فجزت عنه وعن مارد قتالت تمرد مارد وعن الابلق (٦) السبة المار وعامر وسلول قبيلتان يقول اذا حسب هؤلاء القتل عاراً عده عشرين فغره (٧) يقرب الى آخر البيت يشير به الى انهم يقتبطون لاقتحامهم النايابون عامرا وسلولا يعمرون لمجانبتهم الشكرامة للموت وحبا للحياة (٨) يقال مات فلان حتف انته اذا مات من غير قتل ولا ضرب - قيل ان اول من تكلم بقولهم حتف انته النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى البيت اننا لا نموت ولكن نقتل ودم القتل منا لا يذهب هدرنا (٩) الظبات جمع ظبة وهي حد السيف قيل اراد بالظبات السيوف كلها فأضاف الحد اليها اي انهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الا بالسيوف ولا يقتلون بالمصى ولا بالمجاعة كما يقتل رعاع الناس (١٠) المراد بالسرح هنا الاصل الجيد ومعنى ذلك صفت انساننا فلم يشبهنا كدر

عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطْنَا
فَنَحْنُ كَمَا الْمَزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا
وَنُنْكَرُ إِنْ شَتَمْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ
وَمَا اخْتَدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
مُعَوَّدَةٌ إِلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا
سَلَى إِنْ جَهَلَتْ النَّاسُ عَنْهُمْ
فَإِنْ بَنَى الدِّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ
لَوَقْتُ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نَزُولُ^(١)
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُمَدُّ بِجَيْلٍ^(٢)
وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ^(٣)
قَوْلٌ لَمَّا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ^(٤)
وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ^(٥)
لَهَا غُرٌّ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ^(٦)
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فَكُولُ^(٧)
فَتَغْمَدُ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ^(٨)
فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالَمٍ وَجَهُولُ^(٩)
تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ^(١٠)

(١) علونا الى آخر البيت يشير به الى صريح نسبهم وخلصه مما يحيط بشرفهم (٢) كاه المزن يريد بذلك تشبيه صفاء انسابهم بصفاء ماء المطر والنعاب الاصل ومنه نصاب السكين والسكرام الكليل الحد يقول نحن كاه المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بجيل فيعد (٣) ولا ينكرون الى آخر البيت معناه انهم لشدة بأسهم وحماسهم تخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم (٤) يعني ان السيادة مستقرة فينا حتى اذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعله (٥) وما اخدت نار لنا يشير بذلك الى انهم لكثرة كرمهم يديمون ايقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وانهم يثني عليهم كل نزيل (٦) الحجول جمع حجل وهو الخلخال يقول وقماتنا مشهورة في اعدائنا فهي بين الايام كالأفراس النر المحجلة بين الحيل (٧) القراع بكسر القاف المقارعة والمبارزة والدارعين اصحاب الدروع يقول اسيافا في كل مكان تفلت اي تكسرت مما تضارب بها الاعداء والفلول جمع قل وهو الكسر (٨) القبيل الجماعة من آباء شتى وجمعه قبل والقبيلة الجماعة من اب واحد وجمعها قبائل يقول عودت اسيافنا ان لا تجرد من أعمادها فترد فيها الا بمدان يستباح بها قبيل (٩) عنا وعنهم ويروى عنا فتخبري معناه ان كنت جاهلة بنا فلي الناس تخبري بحالنا قاله الجاهل والجاهل مختلفان (١٠) القطب الحديد الذي في الطبقة الاسفل من الرجا يدور عليه الطبقة الاعلى منها والمعنى ان امر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم الا بهم مثل الرجا لا يتم امرها الا بالقطب

﴿ وقال عنزة العبسي ﴾

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعِلَالَ
لَمَنْ يَلْتَقِ أَبْطَالَهَا وَسَرَاتَهَا
وَيَنْبِي بِحَدِّ السَّيْفِ مَجْدًا مُشِيدًا
وَمَنْ لَمْ يُزِرْ رُحْمَهُ مِنْ دَمِ الْعِدَا
وَيُعْطَى الْقَنَا الْخَطِيئِي فِي الْحَرْبِ حَقُّهُ
يَعِيشُ كَمَا عَاشَ الذَّلِيلُ بَغْضَةً
فَضَائِلُ عِزِّهِ لَا تُبَاعُ لِضَارِعٍ
بَرَزَتْ بِهَا دَهْرًا عَلَى كُلِّ حَادِثٍ
إِذَا كَذَبَ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ لَشَائِمِ

وَنِيلَ الْأُمَانِي وَارْتِفَاعَ الْمَرَاتِبِ
بِقَلْبٍ سَبَّورٍ عِنْدَ وَقَعِ الْمَضَارِبِ
عَلَى قَلْبِكَ الْعَلِيَاءُ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ
إِذَا اشْتَبَكَتْ سُمْرُ الْقَنَا بِالْقَوَاضِبِ
وَيَبْزِي بِحَدِّ السَّيْفِ عَرْضَ الْمَنَاكِبِ
وَإِنْ مَاتَ لَا يَجْرِي دُمُوعُ النُّوَادِبِ
وَأَسْرَارُ حَزْمِهِ لَا تُدَاعُ لِعَائِبِ
وَلَا كُحْلُ إِلَّا مِنْ غِبَارِ الْكِتَائِبِ
فَيَبْزُقُ حُسَامِي صَادِقٌ غَيْرُ كَاذِبِ

﴿ وقال أيضًا في الحاسة والفخر ﴾

سَكَتَ فَعَرَّ أَعْدَائِي السَّكُوتُ
وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي
بِسَيْفِ حَدِّهِ مَوْجُ الْمَنَايَا
خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدُّ قَلْبًا
وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ الْعَوَانُ وَلِدْتُ طِفْلًا
فَمَا لِلرُّمَحِ فِي جِسْمِي نَصِيبُ
وَلِي بَيْتٌ عِلا فَلَمَّا أَتَرِيَا
وَضَنُونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رُئِيتُ
وَنَادَوْنِي أَجِبْتُ مَتَى دُعِيتُ
وَرُمِحَ صَدْرُهُ الْحَنْفُ الْمُعِيتُ
وَقَدْ بَلَغَ الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ
بِأَقْحَافِ الرُّؤُوسِ وَمَا رَوِيتُ
وَمِنْ لَبَنِ الْمَعَامِرِ قَدْ سَقِيتُ
وَلَا لِلسَّيْفِ فِي أَعْضَائِي قُوَّةُ
تَحْجِرُ لَمْ تَحْمِ هَيْبَتُهُ الْبُيُوتُ

﴿ وقال أيضاً في الحماسة والفخر يوم المصانع ﴾

إذا كشف الزمانُ لك القيناعا	ومدة اليك صرْفُ الدهر باعا
فلا تخشَ المنيةَ والتقيها	ودافعْ ما استطعتَ لها دفاعا
ولا تَخْتَرْ فراشا من حريرٍ	ولا تبكِ المنازلَ والبقاعا
وحولك يسوة يندبُن حُرُنا	ويَهْتِكُن البراقعَ والألقاعا
يقول لك الطيبُ دواك عندي	إذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرِفَ الطيبُ دواء داء	يرُدُّ الموتَ ما قاسى التزاعا
وفي يوم المصانع قد تركنا	لنا بفعالنا خبراً مُشاعا
أقمنا بالذوابل سوقَ حَب	وصيرنا النفوسَ لها متاعا
حيصاني كان دلال المنايا	فخاضَ غبارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الميжа طيباً	يُدَاوِي رَأْسَ من يشكو الصداعا
أنا العبدُ الذي خُبِرْتُ عنه	وقد عاينتني فدع السماء
ولو أرسلتُ رُحى مع جَبان	لكانَ بهيئتي يلقى السباعا
مَلَأْتُ الأرضَ خوفاً من حُسامي	وخصمي لم يجدْ فيها اتساعا
إذا الأبطالُ فرَّتْ خوفَ بأسِي	تري الأقطارَ باعاً أو ذراعاً

﴿ وقال أيضاً في الفخر والحماسة ﴾

أُعَادِي صرَفَ دهر لا يُعَادِي	وأَحْتَمِلُ النّظِيمَةَ والبِمَادَا
وأُظْهِرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضِعْمُونِي	وإن خانتْ قلوبهمُ الودادا
أَعْلَلُ بِالنَّيِّ قَلْباً عَلِيلاً	وبالصبر الجليل وإن تَمَادَى
تُغَيِّرُنِي الْعِدَا بَسَوادِ جِلْدِي	ويضُ خَصَائِلِي تَمَحُّو السَّوَادَا

وَرَدَتْ الْحَرْبَ وَالْإِبْطَالَ حَوْلِي تَهَرَّتْ أَكْفُهَا السَّمَرُ الصَّعَادَا
وَحُضَّتْ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا وَنَارَ الْحَرْبِ تَتَقَدُّ اتِّقَادَا
وَعُدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الْأَعَادَى وَكَرَبُ الرِّكَضِ قَدْ خَضَّبَ الْجَوَادَا
وَسَيِّئِي مُرْهَفُ الْحَدِيدِ مَاضٍ تَقْدُّ شِفَارُهُ الصَّخَرِ الْجَمَادَا
وَرُمِحِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا فَعَادَ بَيْنَهُ نَظَرُ الرَّشَادَا
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِينَانُ رُمِحِي لَمَا رَفَعْتُ بَنُو عَبْسٍ عِمَادَا

﴿وقال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقومه﴾

لَا يَجْعَلُ الْحِتْمُ مَنْ تَعْلُوهُ الرُّتَبُ وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْقَضَبُ
لِلَّهِ دَرٌّ بَنِي عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا مِنَ الْأَكَارِمِ مَا قَدْ نَسَلُ الْعَرَبُ
قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جَمَالَهُمْ وَالْيَوْمَ أَحْيَى حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُسِكُوا
لَنْ يَعْيُوا سَوَادِي فَهَوِي نَسَبُ يَوْمَ التَّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ
إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَنَّ يَدِي قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَلَا يَأْتِي تَنْقَلِبُ
إِنَّ الْأَفَاعِيَّ وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامِسُهَا عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا الْعَطَبُ
الْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَيُّ قَتِي يَلْقَى أَخَاكَ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْعُصْبُ
فَتِي يَخْوُضُ غُبَارَ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا وَيَنْثَنِي وَسِينَانُ الرُّمَحِ مُخْتَضِبُ
أَنْ سَلَّ صَاحِمُهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ وَأَشْرَقَ الْجَوُّ وَانْشَقَّتْ لَهُ الْحُجُبُ
وَالْخَيْلُ تُشْهَدُ لِي أَنِّي أَكْفُفُكِفَهَا وَالطَّعْنُ مِثْلُ شَرَارِ النَّارِ يَلْتَهَبُ
إِذَا التَّمَيَّتْ الْأَعَادَى يَوْمَ مَعْرَكَةٍ تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَغْرُورَ يَنْتَهَبُ
لِي النَّفُوسُ وَالطَّيْرِ اللَّحُومُ وَلَا وَحَشِ الْعِظَامُ وَالْخَيْالَةُ السَّلْبُ
لَا أَبْعَدُ اللَّهَ عَنْ عَيْنِي غَطَارِفَةً إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جَنًّا إِذَا رَكِبُوا

أَسْوَدُ غَابٍ وَلَكِنْ لَا نِيُوبَ لَهُمْ الّا الأَسِنَّةُ وَالْمُهَنْدِيَةُ الْقَضْبُ
تَعْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضْمَرَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقَبَبُ
مَا زِلْتُ أَلْقَى صِدْلَوْرَ الْخَيْلِ مُنْدَفِقًا بِالطَّعْنِ حَتَّى يَضِجَ السَّرْجُ وَاللَّبَبُ
فَالْعُمِّيُّ لَوْ كَانَ فِي أَجْفَائِهِمْ نَظَرُوا وَالْخُرْمُسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطَبُوا
وَالنَّقْعُ يَوْمَ طَرَادِ الْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْأَقْلَامُ وَالْكِتَبُ

وقال أيضاً في اغارته على بني حريقة

حَكَمَ سَيُوفَكَ فِي رِقَابِ الْعُذَلِ وَإِذَا نَزَلْتَ بَدَارَ ذَلٍّ فَارْحَلِ
وَإِذَا الْجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرْبِهِ خَوْفًا عَلَيْكَ مِنْ أَرْدَحَامِ الْحَجْفَلِ
فَاعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَجْفَلْ بِهَا وَاقْدِمِ إِذَا حَقَّ الْإِلْقَا فِي الْأَوَّلِ
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ أَوُمْتُ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ الْعَبِيدِ فَهَيْتِي فَوْقَ الثَّرَيَّا وَالْيَتَامَا الْأَعْزَلِ
أَوْ أَنْكَرْتُ فُرسَانُ عَبَسَ نَسَبِي فَيَسَانُ رُحْمَى وَالْحَسَامُ يُقِرُّ لِي
وَبَذَابِي وَمُهَنْدِي نَلْتُ الْعَلَى لَا بِالْقَرَابَةِ وَالْعَدِيدِ الْإِجْزَلِ
وَرَمَيْتُ رُحْمَى فِي الْعَجَاجِ لَخَاضَهُ وَالنَّارُ تُقَدِّحُ مِنْ شِفَارِ الْأَنْصُلِ
خَاضَ الْعَجَاجُ مُحَجَّلًا حَتَّى إِذَا شَهِدَ الْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحَجَّلِ
وَلَقَدْ نَمَكْتُ بَنِي حُرَيْقَةَ نَمَكَةً لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ الْأَخِيلِ
وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَيْبَعَةَ عَنُودَ وَالْمُهَنْدِيَّانِ وَجَابِرَ بْنِ مَهْلِلِ
لَا تَسْقِيْنِي مَاءَ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ بَلْ فَاسْقِنِي بِالْعَزِّ كَأْسَ الْخَمِظَلِ
مَاءَ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمَ وَجَهَنَّمَ بِالْعَزِّ أَطْيَبُ مَسْنَدِ

الباب الثاني في الفخر والحماة - هبة الله بن سناء - حسان بن ثابت ٥١٣

﴿ وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٢٣٥ هـ ﴾

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى
ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا
ولو مدّ نحوي حادث الدهر كفة
توقد عزي يترك الماء بجرة
وفرط احتقاري للأنام لا تني
ويأني إبائي أن يراني قاعدا
وأظن إن أبدى لي الماء منة
ولو كان إدراك الهدى بتدل
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيا
وإنك عبدي يا زمان واتى
وما أنا راض أنتى واطى الثرى
ولو علمت زه النجوم مكانى
أرى الخلق دوني إذ أراهم فوقهم
وبدل نوالى زاد حتى لقد غدا
ولى قلم فى أنملى إن هزته
إذا صال فوق الطرس وقع صريه

وغيري يهوى أن يعيش مخلدا
ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
لحدثت نفسى أن أمد له يدا
وحلية حلى تترك السيف مبردا
أرى كل عار من حلى سوددى سدى
وانى أرى كل البرية مقعدا
ولو كان لى نهر المجرة موردا
رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وبى وبفضلى أصبح الدهر أمردا
على الرغم منى أن أرى لك سيذا
ولى همة لا ترتضى الاقنى مقعدا
ظفرت جميعا نحو وجهى سجدا
ذكاء وعلما واعتلاء وسوددا
من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
فما ضرني ألا أهز المهندا
فإن صليل المشرقى له صدى

﴿ وقال حسان بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٥٥٤ هـ ﴾

اعبر أليك الخير يا شعث ما نبا
لسانى فى الخطوب ولا يدي
لساني وسبى صارمان كلاهما
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودى

وإن أك ذا مال كثير أجذ به
فلا المال يُدسني حياتي وعيّي
أكثر أهلي من عيالٍ سوامي
وإني لمعط ما وجدت وقائل
وإني لقوالٍ لدى البث مرحباً
وإني ليدعوني الندى فأجيبه
وإني لخلوّ تعزيني مرارة
وإني لمزجٍ للعلّي على الوجي
وقال الفرزدق

لنا العزة القعساء^(١) والعدد الذي
ومنا الذي لا ينطق الناس عنده
تراههم قعوداً حوله وعيونهم
تري الناس إن سيرنا يسرون خلفنا^(٢)
ولا عز إلا عزنا قاهر له
وما قام منا قائم في ندينا^(٣)
وقال وقد نزل في بادية وأوقد ناراً فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشد

(١) العزة القعساء أي القوة والمنعة الشائعة الثابتة (٢) يعني عددنا كثير ؛ وعدد الحمى اقل منه (٣) يعني منامن لا يتكلم في مجلسه إلا بأذنه ولا يفعل امر إلا بأمره (٤) يعني ما تنظر بمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته (٥) يعني نحن سادة اشراف نعيش امام الناس (٦) يعني اذا اشرنا الى الناس ان قفوا وقف بعضهم بعضاً طوع اشارتنا (٧) ويطلب منا للضعيف النصفة والعدل فمنكنه من ذلك (٨) الندى كفى والنادى مجتمع القوم (٩) يعني لا ينطق الا حيث يحسن الكلام واذا نطق جاء بالقول الصادق الذي لا يمكن لاحد ان ينكره

وأطلس عسّال وما كان صاحباً^(١) دعوتُ بناري موهياً فأتاني^(٢)
فلما أتى قلتُ أذنُ دُونَكَ^(٣) إتي علىَّ
فَبِتُّ أقدُّ الزَّادَ بيني وبينه^(٤) وإيَّاكَ في زَادِي لمُشْتَرَكٍ
وقلتُ لَهُ لِمَا تَكْشَرُ ضَاحِكاً^(٥) على ضَوْءِ نَارِ مَرَّةٍ ودُخَانِ
تَمْشِ فَانْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي وقَامُ سِنِي في يَدِي بِمَكَانِ^(٦)
وأنتَ امرؤُا يَا ذِئْبُ والغدرُ كُنْتُمَا نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ^(٧)
ولو غَبَرْنَا نَبِهْتَ تَلْتَمِسُ الْقَرَى اخِيْنِ كَانَا أَرْضِيْعَا بِلَبَانِ^(٨)
رَمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شِبَاةٍ سِنَانِ^(٩)

﴿ وقال الشريف الرضي^(١٠) « وقيل لعنترة العبسي » ﴾

لغير العليّ مني القليّ والتَّجَنَّبَ ولولا العليّ ما كنتُ في الحبِّ أَوْغِبَ
إذا الله لم يعذرك فيما ترومه فما النَّاسُ إِلَّا عَاذِلُ أَوْ مَوْتَبِ
ملكْتَ بسِنِي فِرْصَةً مَا اسْتَرْقَمَا من الدَّهْرِ مَقْتُولِ الذَّرَاعِينَ أَغْلَبَ

(١) الأطلس الذئب الخبيث الذي في لونه غبرة مائلة الى السواد ، والصال الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه (٢) للموهن الساعة الاولى بعد نصف الليل اي دعوته بسبب ايقاد النيران في الساعة الاولى بعد نصف الليل فجاء الي (٣) اي لما جاء وقف فقلت له اقرب خذ اشارة الى اعطائه الزاد (٤) اقد اي اقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحماً بدليل القد (٥) لما تكسر لما ابدى استانه ضاحكاً اي كأنه يضحك (٦) يعني ومقبض سيني ثابت في يدي (٧) يعني اذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معي كالمصطحبين (٨) يعني مع اني اعرف انك والغدر متلازمان لا تغترقان ومعناه ان شيمته الغدر (٩) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشيئة السنان حده (١٠) هو ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى الابرش الشريف للقلب بالرضي ذي الحسين نقيب الطالبين المولود سنة ٣٥٩ هـ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكر بلا فدفن عند ابيه ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام ابي المباس احمد ابن المقتدر

عطفاً امير المؤمنين فأتانا في دوحة كالمياه لا تنفرك
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابدأ كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فأنني انا طاعل منها واثم مطوق

لئن تك كفي ما تطاول باعها فلي من وراء الكف قلب مدرب
 فحسبي آني في الأعدى مبعض وآني إلى عزّ المعالي محبب
 وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاني إلى الحلم أقرب
 يصول على الجاهلون وأعلى ويعجم في القائلون وأعرب
 يرون احتمالي غصة ويزيدهم لواعج ضغن أننى لست أغضب
 واعرض من كأس النديم كأنها وميض غمام غائر المزن تخلب
 وقور فلا الألمان تأسر عزمتي ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
 ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها ولا أنطق الموراء والقلب مغضب
 تحلم عن كز القوارض شيمتي كان معيد المدح بالدم مطنب
 لسانى حصاة يقرع الجهل بالحيجا اذا نال منى العاضه المتوثب
 ولست براض أن تمس عزائي فضالات ما يعطي الزمان ويسلب
 غرائب آداب حبابي بحفظها زمانى وصرف الدهر نيم المؤدب
 ترشنا الأيام ثم تهيضنا ألا نعم ذا البادى وبئس المعقب
 نهيتك عن طبع اللثام فأننى أرى البخل يأتى والمكارم تطلب
 تعلم فان الجود في الناس فطنة تقوم بها الا حرار والطبع أغلب

✽ وقال العميد مؤيد الدين الطفراني المتوفى سنة ٥١٣ هـ ✽

أبى الله أن أسمو بغير فضائل اذا ما سما بالمال كل مسود
 وإن كرمت قبلى أوائل أسرتى فآنى بحمد الله مبدأ سوددى
 وما منصب إلا وقد رى فوقه ولو حط رحلي بين نشر وفرقد
 اذا شرفت نفس الفتى زاد قدره على كل أسنى منه ذكراً وأمجداً

الفضل بن العباس بن عتبة - محمد بن عبد الله - حطان بن المعلى ١٧ •

كذلك الحديد السيف إن يصفُ جوهرًا فقيمتُهُ أضعافُهُ وزن عَسَجَدَ
وما المال إلا عارةٌ مُستردةٌ فهلاًّ بفضلِي كاثروني ومُحتدى
إذا لم يكن لي في الولاية بسطةٌ يطول بها باعي وتسطو بها يدي
ولا كان لي حكمٌ مطاعٌ أُجيزه فأرغيمُ أعدائي وأُكبتُ حُسدي
فاعذر إن قصّرتُ في حق مُجند وآمنُ أن يَعْتادني كيدُ معتد
ولولا تكاليفُ العلى ومغارمُ ثقال وأعقاب الا حادِث في غَد
لا عطيتُ نفسي في التخلي مرادها فذاك مرادى مذ نشأت ومقصدي

﴿وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب﴾

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تَبشوا بيننا ما كان مدفونا
لا تطمعوا أن تُهينونا ونُكرمكم وأن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا
مهلاً بني عمنا من نَحْتِ اثْنَيْنَا سيرُوا رويداً كما كنتم تسيرونا
الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم أن لم نحبونا
كلّ له نيةٌ في بُغضِ صاحبه بنعمة الله تَقليكم وتَقْلونا

﴿وقال محمد بن عبد الله الأزدي﴾

لا ادفعُ ابن العم يمشي على شفاً وإن بلفتني من أذاه الجنادرُ
واسكن أواسيه وأنسى ذنوبه ليرجعه يوماً إلى الرّواجمُ
وحسبك من ذلٍّ وسوءٍ صنيعه مُناواة ذى القربى وإن قيل قاطع

﴿وقال حِطّان بن المعلى﴾

أنزلي الدهر على حُكهِ من شامخ عالٍ الى خفضٍ
وغالي الدهر بوفر الغنى فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي

أبكاني الدهر ويا ربِّما أضحكني الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزُغب القطا رُدِدْنَ من بعض الى بعض
لكان لي مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا يَبِنُّنا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريحُ على بعضهم لامتنت عيني من الغمض

﴿وقال أوسُ بنُ حبناء﴾

إذا المرء أولاك الهوان فأولهِ هواناً وأن كانت قريباً أو أصره
فإن أنت لم تقدرْ على أن تهينه فذره إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا لم تكن لك حيلة وصمَّ إذا أيقنت أنك عاقره

﴿وقال سعد بن ناشب﴾

تَعَنَّدُني فيما ترى من شراسي وشدة نفسي أم سعدٍ وما تدرى
فقلت لها إن الكريم وإن خلا ليُلفي على حال أمرٍ من الصبر
وفي اللين ضعف والشراسة هية ومن لم يهب يُحمل على مركبٍ وعر
ومابى على من لأن لي من فظاظة ولكنني فظٌّ أبى على القسر

﴿وقال ابراهيم بن كنيف النبهاني﴾

تَعَزَّ فانَّ الصبرَ بالحرِّ أجل وليس على ريب الزمانُ معول
فلو كان يُعنى أن يُرى المرء جازعاً لحادثه أو كان يُسنى التذلل
لكان التعزى عند كل مُصيبة ونائبة بالحرِّ أولى وأجل
فكيف وكلُّ ليس يعدو حمامة وما لامرئ عما قضى الله مَرَحْلُ
فإن تكن الأيام فينا تبدلت بيؤسى ونُعمى والحوادث تفعلُ

فما ليئت مينا قناة صليية ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلتها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطيع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا فصحت لنا الأعراس والناس هزل

﴿وقال آخر﴾

إن يحسدوني فاني غير لأتهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسيدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرا منها ولا أورد

﴿وقال سالم بن وابصة﴾

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حدة السيف قت به أحبي الذمار وترميني به الحدق
فما زلت ولا أبديت فاحشة إذ الرجال على أمثالها زلقوا

(وقال تأبط شراً)

إذا المرء لم يحتل وقد جد جدّه أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب ألا وهو للقصد مبصر

﴿وقال حبيب بن اوس ابو تمام الطائي﴾

أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم وقد ساد فيهم وهو كهل ويافع
نجوم طواليع جبال فوارع غيوث هوايمع سيول دوافع
مضوا وكأنت المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
فأني يد في المحل مدت فلم يكن لها راحة من جودهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

بِهَا لَيْلٌ لَوْ عَايَنْتَ فَيْضَ أَكْفَهُمْ لَا يُقْنِتُ أَنْ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
إِذَا خَفَقَتْ بِالْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ حَدَاها النَّدَى وَاسْتَنْشَقَتْهَا الْمَدَامِعُ
رِيَّاحُ كَرْبِجِ الْعَنْبَرِ الْغَضِّ فِي النَّدَى وَلَكِنَّهَا يَوْمَ الْقَاءِ زَعَاذِعُ
هِيَ السَّمُّ مَا تَنْفُكُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهُوَ نَاقِعُ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضُ الْعَدُوِّ قَطَائِعًا نَفُوسٌ لِحْدَةِ الْمُرْهِقَاتِ قَطَائِعُ
بِكُلِّ فَتًى مَا شَابَ مِنْ رَوْعِ وَقْعَةٍ وَلَكِنَّهُ قَدْ شَبِنَ مِنْهُ الْوَقَائِعُ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ
فَتَعْطِي الَّذِي تَعْطِيهِمُ الْخَيْلَ وَالْقَنَّا أَكْفٌ لِإِرْثِ الْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

﴿وقال أبو فراس الحمداني (١)﴾

وَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ الْعَلَى وَلَكِنْ كَانَ الدَّهْرَ عَنِّي غَافِلٌ
مَوَاعِيدُ آمَالٍ مَتَى مَا اتَّجَعْتَهَا حَلَبْتُ بِكَيِّاتٍ وَهَنْ حَوَافِلِ
تُدَافِعُنِي الْأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ كَمَا دَفَعَ الدَّيْنَ الْغَرِيمُ الْمُطَاطِلِ
فَمَثَلِي مَنْ نَالَ الْأَعَادَى بِسَيْفِهِ وَيَا رَبِّمَا غَالَتْ عَنْهَا الْغَوَائِلِ
وَمَا لِي لَا تُنْمِئُ وَتُصْبِحَ فِي يَدِي كَرَامَتُ أَمْوَالِ الرِّجَالِ الْعُقَائِلِ

(١) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفى سنة ٣٥٧ هجرية كان فرد دهره وشس عصره اديباً وفضلاً وكرماً ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة فله دره شاعراً من قبل ومن بعد ومثلي يعجز قلعه عن ترجمته وانشد وهو محتضر يخاطب ابنته

ابنتي لا تجزعي كل الانام الى ذهاب
نوحى على بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولى اذا كلمتني فميت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا س لم يمتع بالشباب

أَحْكَمُ فِي الْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا أَحْكَمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
وَمَا زَالَ مَحْمِيًّا الْحَمَائِلَ عَنَوَةً سَوَى مَا أَقَلَّتْ فِي الْجُفُونِ الْحَمَائِلُ
يُنَالُ اخْتِيَارُ الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَنَالُ الْوَسَائِلُ
لَنَا عَقِبُ الْأَمْرِ الَّذِي فِي صُدُورِهِ نَطَاوُلُ أَغْنَاكُمُ الْعَيْدَى وَالْكُوَاهِلُ
أَصَاغَرُنَا فِي الْمَكْرُمَاتِ أَكْبَرُهُ وَآخِرُنَا فِي الْمَأْثُرَاتِ أَوَائِلُ
إِذَا صَلَّتْ صَوْلًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا وَإِنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يَقَاوِلُ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِنَّا إِذَا لَشْتَدَّ الزَّمَا نُ وَنَابَ خَطْبٌ وَأَدْلَهَمُ
الْفَيْتِ حَوْلَ يَوْمَيْنَا عُدَدَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ
لِقَمَّا الْعِدَا يَبِضُّ السَّيُوُ فِي وَلَلْيَدَى حُمُرُ النَّعَمِ
هَذَا وَهَذَا دَأْبُنَا يُودَى دَمٌ وَيَرَأَى دَمُ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَإِنِّي لَنَزَالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرِزُ
وَإِنِّي لَجَرَارٌ إِكْلٍ كَتِيئَةٍ مُعَوَّدَةٌ أَلَّا يُخْلِلَ بِهَا النَّصْرُ
وَلَا رَاحَ يُطْفِئُنِي بِأَثْوَابِهِ الْغَنَى وَلَا بَاتَ يَتَنَبَّئُنِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ
وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ أَبْنَى وَفُورُهُ إِذَا لَمْ أَفِرْ عَرَضِي فَلَا وَفَرَ الْوَقْرُ
أَسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بَعَزَلٍ لَدَى الْوَغَى وَلَا فَرَسِي مَهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غِمْرُ
وَلَكِنْ إِذَا حُمُ الْقَضَاءِ عَلَى أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
وَقَالَ أَصِيحْبَانِي الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقُلْتُ مَهْمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا
وَلَكِنِّي أَمْضِي لَمَّا لَا يَعِينُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرِ نِ خَيْرُهَا الْأَسْرُ

ومنها

يُنُونُ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا
وَقَانِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دُقْ نَصَهُ
سَيِّدَ كَرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَّدَتْ أَكْتَفُوا بِهِ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسَّطَ بَيْنَنَا
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا
وَقَالَ أَيْضًا:

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ الْفِعَالُ الْجَفَافِي
لَا أَرْتَضِي وَدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدْمُ
إِنَّ الْغَنَى هُوَ الْغَنَى بِنَفْسِهِ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا
وَتَعَافُ لِي طَمَعُ الْحَرِيسِ فُتُوْتِي
وَمَكَارِي عِدْدِ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي
وَقَالَ أَيْضًا:

أَتَدْعُو كَرِيمًا مَنْ يَجُودُ بِمَا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ يُنْجِي الْفَرَارُ مِنَ الرَّدَى
لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْذَرْتُ لَوْ أَنَّ مُسْعِدًا
وَمَا بَالُكَ ابْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلَا
وَمَا لَكَ لَا تَلْقَى بِمُجْتِكَ الْفَنَا
وَمَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةَ أَكْرَمُ
عَلَى حَالَةٍ فَالْصَّبْرُ أَرْجَى وَأَحْزَمُ
وَأَقْدَمْتُ لَوْ أَنَّ الْكَتَائِبَ تَقْدِمُ
تَأْخُرُ أَقْوَامٍ وَأَنْتَ مُقْدِمُ
وَأَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ

﴿ وقال أبو الطيب المتنبي ﴾

اطاعنُ خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً وماقولي كذا ومعي الصبرُ
وأشجعُ مني كلَّ يومٍ سلامتي وما ثَبَّتْ إلا وفي نفسها أمرُ
تَمَرَّستُ بالآفاتِ حتى تركتها تقول أَمَاتَ الموتُ أمْ دَعَرَ الذعرُ
وأقدَمْتُ إقدامَ الأبيِّ كأنَّ لي سوى مُهْجتي أو كان لي عندها وترُ
ذَرِ النَّفْسُ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فمُفْتَرِّقُ جارانِ دارُهما العُمرُ
ولا تَحْسَبَنَّ المجدَ زِقاً وقِينَةً فما المجدُ إلا السَّيْفُ والفَتْكَةُ البُكرُ
وتَضْرِبُ أعناقَ الملوكِ وأنْ تُرى لك الهَبْواتُ السُّودُ والعَسْكَرُ الحُجْرُ
وتَرَكْكَ في الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلَ سَمْعُ المرءِ أَمَلُهُ العُشْرُ
إذا الفُضْلُ لم يرفعك عن شُكْرِ ناقصٍ على هَبَةٍ فالْفُضْلُ فيمن له الشُّكْرُ
ومَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ في جَمْعِ مالِهِ خَافَةً فَقِرْ فالذِي فَصَلَ الفَقْرُ

﴿ وقال صفي الدين الحلي ﴾

سَلِ الرِّمَاحَ العواليَ عن مَعَالِينَا واستشهد البيضَ هل خَابَ الرِّجَا فِينَا
وسائلِ العُربِ والأتراكِ ما فَعَلْتِ في أرضِ قَبْرِ عُبيدِ اللَّهِ أَيْدِينَا
لَقَدْ سَعِينَا فَلَمْ تَضْعُفْ عَزَائِمُنَا عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ زَوْرَاءِ العِراقِ وَقَدْ دَنَا الأَعَادِي كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا
بِضُمِّرٍ مَا رِبْطُهَا مُسَوِّمَةٌ إِلَّا انْغَزَوْا بِهَا مِنْ بَاتٍ يَغْزُونَا
وَفِتْنَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فِرَاعِنَةً يَوْمًا وَإِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدْرَعُوا العِقلَ جَلْبَابًا فَإِنْ سَحِمْتَ نَارُ الوَغَى خَلَّتْهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا

إذا ادَّعوا جاءت الدنيا مُصدِّقةً وإن دعوا قالت الأيامُ آمينا
 إن الزَّرازيرَ لما قام قائمها توهَّمت أنها صارت شوَاهينا
 ظنَّتْ تأتي البزاةَ الشُّهبَ عن جَزَعٍ وما درت أنه قد كلفَ تهوينا
 ذُلُّوا بأسِيفنا طولَ الزَّمانِ فمذَّحَكُموا أظهِروا أحقادهم فينا
 لم يفهم مألنا عن نهبِ أنفسنا كأنهم في أمانٍ من تقاضينا
 أخلوا المساجدَ من أشياخنا وبغوا حتى سَحَلنا فأخلينا الدَّواوينا
 ثم اثْنَيْنَا وقد ظَلَّتْ صوارمنا تَمِيسُ عُجْبًا وتهتزُّ القنا لينا
 وللدِّماءِ على أثوابنا علقٌ بنشره عن عبير المسك يُغْنينا
 إنا لقومٌ أبتْ أخلاقنا شرفاً أن نبتدئَ بالأذى من ليس يُؤذينا
 بيضٌ صنائعنا سودٌ وقائعنا خضِرُ مرابعنا حُمُرُ مواضينا
 لا يظهر العجزُ منا دون نيلٍ مُني ولو رأينا المنايا في أمانينا

وقال أبو العلاء المعري

ألا في سبيل المجدِّ ما أنا فاعل عَفَافٌ وإقدامٌ وحَزَمٌ ونائِلٌ^(١)
 أعندي وقد مارستُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصدِّقُ واشٍ أو يُخَيِّبُ سائلٌ^(٢)
 تُعدُّ ذُنُوبِي عند قومٍ كثيرةٌ ولا ذنبَ لي إلا العلأ والفضائلُ^(٣)
 كأني إذا طُلْتُ الزَّمانَ أهله رَجَعْتُ وعندي للأنام طَوَائِلُ^(٤)

(١) أي قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود . وسلوك هذا الطريق هو المجد أي ان
 أفعلى كلها واقعة في سبيل المجد ثم فصل أفعاله وعدها وكانت كلها من خلال المجد (٢) أي بسد
 ان جربت الامور التي تخفى وعرفتها اصدق الساعى بيني وبين اخواني بالافساد او اخيب من
 ترجو معروفي ويطلب نائلي أي اني لا افعل ذلك استنهام بمعنى الانكار (٣) أي ذنوبي كثيرة
 عند من لا يناسبه حالى وذلك لتصوره وتقصه . ولا ذنب لي الا فضائلى وعلو شأنى (٤) الطوائل
 جمع طائلة وهى الترة يقول متى فقت اهل المصر بالفضائل ابغضوني وعادوني وصرت كأني وترت
 الناس وان عندي لهم ترات وديونا يطالبوني بها

وقد سار ذِكْرِي في البلاد فمن لهم بإخفاء شمسِ ضَوْءِها مُتَكَامِل (١)
يُهمُّ الليالي بعضُ ما أنا مُضْمَر وَيَثْقُلُ رَضْوَى دُونِ ما أنا حَامِل (٢)
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ لَأَتَّ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ (٣)
وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأَسْرَى وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ حَجَافِلُ (٤)
وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لَجَامُهُ وَنَصْلُ يَمَانٍ أَغْفَلْتُهُ الصِّيَاقِلُ (٥)
فَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ (٦)
وَلِي مَنَظِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهُ مَنَزَلِي عَلَى أَنتَى بَيْنِ السَّمَاءِ كَيْنِ نَازِلُ (٧)
لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّءٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَنَاقِلُ (٨)

(١) أي يجتهد حسادي في ستر حالي وإخفاء امرئ وكيف يمكنهم ذلك وقد صار صيتي في البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوؤها وشاعها أي ولا يضمن ذلك أحد لانه غير ممكن فكذلك إخفاء ذكرى غير ممكن (٢) الليالي في موضع نصب لانه مفعول بهم وسكن لفرورة الشعر أي بهم بعض ما أضمره من المصنوع الليالي يعني أن الأيام لا تطيق ما أطيقه وكذلك لا يستطيع جبل رضوى حمل ما أحمل من مثقلات الخطوب (٣) أي أتني وإن كنت الذي آخر زمانه أفضل من الأمور العجيبة ما عجزت الأولون زماناً عن أمثاله أي سبقت الأولات في المساعي وإن تأخر زماني (٤) أي لا يصرفني عن همي من الأمور بل أغدو أول النهار لحاجتي ولو كان الصباح سيوماً لم ينتهي عن قصدي والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته وأسرى في الليل المظلم لما يهني ولا تمنعني ظلمة الليل عن همي ولو كان الظلام حجافل وهي جمع حجفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش والجيش بالظلام أيضاً (٥) يصفه اغتراله الأمور وإثاره ملازمة الحمول والتزعم عن الأعمال مع استعداده للانهاض إلى معالي الأمور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبـيف يعني قد صدء لطول عهده بالصقل أي كما أن تمطل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصقل أي كما لا زور بمنق الجواد وجوهر السيف فكذلك إثاره المولة والتزعم عن الأعمال لا يزري بمنصبه ومكانه (٦) أي ليس الشرف في ملاسة الأعمال وليس الفاخر من اللباس ولو كان كذلك لكان قيمة السيف بحسب نقاسة نعمده وحماؤه وليس كذلك إنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلي بأوصاف الشرف ومعالي المجد (٧) أي منطقي لا يرضى لي يفاية منزلي هذه مع ارتفاعها وعلوها فلنأخذ قد بلغت السما كين بلى يقتضى اعلى واشرف منها (٨) أي منزلي عند محل يتنى كل سيد أن يلفه ويرقى إلى حده ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول إليه

ولما رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظنُّ أني جاهلٌ^(١)
فواعجباً كم يدعى الفضل ناقصٌ ووا أسفاً كم يظهرُ النقص فاضلٌ^(٢)
وكيف تنامُ الطيرُ في وكنائِها وقد نصبتُ للفرقدين الحبائل^(٣)
ينافسُ يومى في أمس تشرفاً وتحسُدُ أسحاري على الأصائل^(٤)
وطال اعترافى بالزمانِ وصرفه فلستُ أبلى من تقولِ النوائِل^(٥)
فلو بان عتقى ما تأسفَ منكبي ولو مات زندي ما بكته الأنامل^(٦)
إذا وصف الطائي بالبخل ماذرٌ وعترَ قساً بالفهامة باقل^(٧)
وقال السهي للشمس أنتِ ضئيلةٌ وقال الدجى للصبح لو نك حائل^(٨)

(١) أي لما كثرت الجهل في الناس وعز العلم والفضل وجهل قدره تكلفت الجهل وسرت فضلي تشبهاً بأهل زمانه حتى ظن أني جاهل مثلهم (٢) يتعجب من ادعاء الناقص التعلي بالفضل زوراً ويتأسف من اظهاره النقص مع فضله تشبهاً بالجاهلين في زمانه (٣) الوكنات جمع وكنة وهو الموضع الذي ينام فيه الطير والحبائل جمع حباله وهي الشبكة التي ينصبها الصائد للصيد ضرب لنفسه مثلاً بالفرقدين علواً ولغيره بالطير في اوكارها أي متى كادني الحساد بمكيدة الحسد مع فضلي اوارتفاع مكاني وحالمهم في كيدى انهم ينصبون الشباك لصيد الفرقدين كيف يسلم من دوني من مكايدهم (٤) ينافس يفاعل من قولهم نفست بالشئ انفس اذا صنتت به أي ان الوقت الذي اكون فيه تشرف بي فسائر الاوقات يحسد الوقت الذي اكون فيه فصار امسى المنقضي يحسد يومى لكوني فيه وكذلك تحسد الاصائل مع اعتدالها واضاعتها الاسحار التي اكون فيها مع بردها وظلمتها — والاصائل جمع جمع الجمع فالواحد اصيل ثم اصل ثم آصال ثم اصائل (٥) طالما عرفت الزمان واحواله وقال مني حوادنه وصرفه وتمرت نفسي على نوائبه فصرت لا اجزع على المصائب ولا ابلى بمن تنزل نوازل الدهر وغاله ينوله أي اهلكه والنوائل جمع غائلة (٦) يهون على نفسه خطوط الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو اصاب عضده وبأن لم يتأسف أي لم يجزع منكبه عليه ولو مات زنده لم يبك انامله عليه مع ان السكف لا تبطش الا بواسطة قوة الزند وما دانه (٧) يعني بالطائي حاتماً الطائي وقد سار به المثل في الجود — ومادر رجل من بني هلال بن عاصم ابن صمصة يضرب به المثل في البخل وانما قيل له ماذر لانه سقى ابله من بعض حياض فلما شرت ابله وصدرت عن الماء سلح في الحوض ومدر الحوض به أي لطفه لئلا يشرب غيره فسمي مادراً وقيل انجخل من ماذر (٨) السها كوكب خفي تمتحن به الابصار أي وحين ينكسر الامر بأن يصف

وطاولت الأرض السماء سفاهةً وفاخرت الشهب الحمى والجنادل (٢)
فياموت زُر ان الحياة ذميمةً ويا نفسُ جدي ان دهرك هازل (٣)

وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى

ولى شيمةً تأبى الدنيا وعزمةً تردّ أهام الجيش وهو يثورُ
اذا سرتُ فالارض التي نحن فوقها مرآةٌ لمهرى والمعاقلُ دورُ
فلا عجبٌ ان لم يصرنى منزل فليس لعقبان الهواء وُكور
هامةً نفس ليس ينفى ركايبها رواحٌ على طول المدى ويكور
معودةً ألا تكفّ عنائها عن الحديّ ألا أن تتمّ أمور
لها من وراء الغيب أذنٌ سمعةً وعينٌ ترى ما لا يراه بصير
وفيت بما ظنّ الكرامُ فراسةً بأمرى ومثلى بالوفاء جدير
وأصبحتُ محسود الخلال كائناتى على كلّ نفسٍ في الزمان أمير
اذا صلت كفّ الدهر من غاوائه وان قلت غصت بالقلوب صدور
ملكك مقاليد الكلام وحكمةً لها كوكبٌ فخم الضياء منير
وإني امرؤٌ صعبُ الشكيمة بالغ بنفسي شأواً ليس فيه نكير

وقال أيضا :

سوائى بتحنان الأغاريد يطربُ وغيرى بالذات يأنس ويلعبُ
وما أنا بمن تأسرُ الخمر لبه ويملكُ سمعيه البراع المنقبُ

السمي الشمس بالخفاء مع بهائها ويصف الدجا الصبح بأنه حائل اللون أى متغير (١) أى إذا كانت الأرض تباهى السماء من جهلها وتفاخر الحمى والحجارة الكراكب فى الملو (٢) أى إذا كانت الامور معكوسة كما وصف لم تبق رغبة الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى اللامه ليقطع الحياة الذميمة التي لا يحمدها صاحبها لما يرى من الامر الحال - ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنىها غير مرجحة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته

ولكن أخوهم إذا ما ترجعت به سورة نحو العلا راج يدأب
نفي النوم عن عينيه نفس أبيه لها بين أطراف الأسنه مطاب
لبانة نفس أصغرت كل ما رب فكلفت الايام ما ليس يوهب
إذا أنا لم أعطي المكارم حقها فلا عزتي خال ولا ضمني أب
ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

﴿وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفية سنة ١٣٢٠ هـ﴾

بيد العفاف أصون عز حجابي وبمصمتي أسمو على أنرابي
وبفكرة وقدة وقريحة نقادة قد كملت آدابي
ما ضرتني أدبي وحسن تعلمي الا بكوني زهرة الالباب
ما عاقتني خجلتي عن العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي
عن طي مضمار الزهانة اذا اشتكت صعب السباق مطامح الر كتاب
بل صولتي في راحتي وتفترسي في حسن ما أسعى لخير ما ب

الباب الثالث في شكوى الزمان والحال

« قال الشنفرى ^(١) المتوفى سنة ٥١٠ م »

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّتِكُمْ قَاتِي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا مِيلَ ^(٢)
فَقَدَّ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرٌ وَشُدَّتْ لَطِيَّاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ ^(٣)
وَفِي الْأَرْضِ مَنَاءٌ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلْبَ مُتَعَزِّلٌ ^(٤)
لِعَمْرِكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ ^(٥)
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ زَهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالٌ ^(٦)

(١) هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ ميلادية — والشنفرى هو العظيم الشفتين ؛ وهو شاعر الأزدي من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل ؛ منهم هذا وسليك بن سلكة وعمر بن براق واسير بن جابر وتأبط شرا — وكان الشنفرى حلف ليقتل من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان إذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفرى لطفك ثم يرميه فيصيب عينيه فاحتالوا عليه فأمسكوه ؛ وكان الذي أمسكه اسير ابن جابر أحد العدائين رصده حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلاً ثم قتلوه فمر رجل منهم بمجمعته فضر بها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فأت منها قتلت مائة — والله أعلم بذلك (٢) مطا جدي في السير والمطية الدابة تمطو في سيرها جمعاً مطايا ومطى (المعنى) يخاطب قومه ويقول لهم تهبطوا للرحيل فأتى كاره ما أتم عليه من البقاء وشديد الرغبة في الالتحاق إلى قوم غيركم (٣) حم الأمر حاقضى والطيات جمع طية وهي النية (المعنى) عجلوا بالرحيل فقد قضيت الحاجات وتمهدت الأسباب وتم الاستعداد لقضاء الأغراض (٤) نأى عنه بعد والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتوزل عنه تنحى (المعنى) لماذا المكث مع من يفضونكم ويبغون أساءتكم مع أن في الأرض سمة للكرماء ليتباعوا ممن يرومهم بالأذى وبتنحو ممن يناوئوهم بالكراهة (٥) (أنعى) وحياتك إن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذي يستعمل عقله في درك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب والعلمس بفتح العين والميم واللام المشددة القوى على السير السريع والذئب الخبيث والارقط النمر والزهلول كصنوبر الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شر رقبته الذي هو بمنزلة عرف الفرس وحيالة وحيال ممنوعتان وحيال بلا همزة الضبع (المعنى) أني أفضل عليكم معشر القاعدين معاشره الوحوش العادية من البعاع والذئاب والنمر والضباع .

همُ الأهل لا مُستودع السرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذلُ ^(١)
 وكلُّ أبيٍّ باسلٌ غير أنِّي اذا عرضتُ أولى الطرائدِ أبسلُ ^(٢)
 وإن مُدت الأيدى الى الزَّاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشعَ القومُ أعجلُ ^(٣)
 وما ذاك الا بسطةً عن تفضل عليهم وكان الأفضلُ المُفضلُ ^(٤)
 وإني كفاني فقد من ليس جازياً بحسني ولا في قُرْبهِ مُستلُّ ^(٥)
 ثلاثةُ أصحابِ فؤادٍ مُشيعٌ وأبيضُ إصليتُ وصفراءُ عيطلُ
 هتوفٌ من الملسِ المتون يزيناها رصائعٌ قد نيطتُ اليها ومحملُ ^(٦)
 إذا زلَّ عنها السهمُ حنَّتْ كأنها مرزاةٌ تُكلى ترنُّ وتعملُ
 واستِ بمهيفٍ يُعشي سواه مجدعةٌ سقباها وهي بهلُ ^(٧)

(١) جر على نفسه وغيره وجريرة أى ذنباً والجريرة الذنب والحيانة (المعنى) فهو لاه حقيقة هم الاهل على الاسرار مأمونون وعن جرائر الجاني منهم محامون (٢) الابى كملى من يكره الدنيا ولا يحتمل الضيم والباسل الاسد والشجاع والطريدة ما طرده وابعده من ناحية وضمت اليك من الصيد والفرسان (المعنى) جميعهم يعافون الدنيا ولا يبالون بالدنيا لكني انا اشجع الاقران في ملتنى الطمان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص وأساء وأخذ الانسان نصيبه والطمع في غيره (المعنى) ولى خصلة اخرى هى بالعفيف اخرى وهى تأخر يدى عن الطعام عند تقدم ايدى الاقوام (٤) (المعنى) وما دعاني الى ذلك الا توسع بالفواضل اليهم لان افضل القوم هو المتفضل عليهم (٥) تملل بالامر تشاغل وشيع فلانا شجعهم ويأتي ايضاً بمعنى خرج معه ليودعه والاصليت السيف الصقيل الماضى والميطل القوس الطويلة العنق المتن (المعنى) ما دام لى ثلاثة اصحاب القلب الحرى والسيف الماضى والقوس المتينة فلا ابالى بضياع من لا يشرفهم الجليل ولا ترجى منهم فائدة (٦) قوس هتوف ذات صوت والملس الناعمات والتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة فى سيف او سرج او غيره ونيطت اليها علق بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالارزاي والشكلى الناقدة اولادها وأعول رفع صوته باليكاء والصياح (المعنى) قوس طئانة رانة من نبات النبق موزنة بالحلى والحامل ترن عند خروج السهم منها بمجنين كأنها امرأة عاجها فقد ابها الغالى فى تبيكى وتعمل لنفسه (٧) المهيف السريع العطش والسوام الابل الراعية وناقة باهل بينة البهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمه لها (يقال) بهلت الناقة حل صرارها او مجدعة محبوسة على غير علف

ولا جُبًّا أَكْهَى مُرَبِّ بَعْرِهِ يُطَالِمَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ (١)
 ولا خَرَقٍ هَبَقٍ كَانَ فَوَادَهُ يَظَلُّ بِهِ الْمُسْكَاهُ يَعْلُو وَيَسْفَلُ (٢)
 ولا خَالَفَ دَارِيَةَ مُتَغَزَلٌ يروح ويغدو داهنًا يَتَكَحَّلُ (٣)
 واست بعلٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفٌ إِذَا مَا رَعَتْهُ أَهْتَاجَ أَعَزَلُ (٤)
 واست بِمِجْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ هُدًى الْمَوْجِلِ الْعِسِيفِ يَهْمَاءُ هَوْجِلُ (٥)
 إِذَا الْأَمَزُ الصَّوَّانُ لَاقَى مَنْاسِمِي تَطَايَرُ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَالُ (٦)

وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقة (المعنى) ولست من الناس الذين لا يتحملون العطش فيروحون إلى توقمهم ويحبسون اولادها عنها جائئة ويتمتعون هم بدرها من غير ما نع (١) الجبأ كسكر الحبان والاكهي الجبان الضعيف ورب بمرسه اي زوجته لزمها وقدم معها كارب (والمعنى) ولست بالجبان الضعيف الذي يلزم قرينته ويطلما على امره . يأخذ رأبها فيه (٢) الخرق ككتف الذي يندهش ويبت لا قل شيء والهيقي الواحد من النعام ويسمى بالظلم والمكاء كرماء نوع من الطير (المعنى) ولست من الذين يطيشون بأدنى الامور مثل النعام وترجف قلوبهم كأن المكاء يطير بها الى فوق والى تحت (٣) يقال فلان خالفة اهل بيته وخالفهم بمعنى انه غير نجيب لا خير فيه اذ انه يقعد بدمهم ويأتى خالفة وخالف بمعنى احق والدارية الملازم لبيته (المعنى) ولست من خلف السوء الملازمين للبيوت الذين لا هم لهم في غدوهم ورواحهم الا التنزل بالنساء والتزين لهن بالتدهن والتكحل (٤) المل الصغير الجسم الضعيف والالف الرجل الثقيل اللسان المعنى بالامور والاعزل الخالى من السلاح (المعنى) ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجي خيرهم الذين يرتكبون في الامور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيمهم من الخوف (٥) يقال نجاه وانتجاه بمعنى قصده والهوجل المنازة البعيدة لا علم بها والثاقة بها هوج من سرعتها والرجل الاهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عف في السير خبط فيه خبط عشواء والابهاء عند اهل البادية السيل والجل الهاجح الصؤول وعلى ذلك يمكن ان يقال ناقة يهماء (المعنى) ولست ممن تستولى عليه الحيرة في الظلام اذا اتاه دليل الابل عن الطريق وخبط في السير خبط عشواء وتبعته الناقة اليهفاء (٦) المعز الصلابة مكان امز صلب وارض معزاء صلبة اوالصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، واللهم كيجلس خف البعير والمقلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذي يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر (المعنى) اذا ضربت ناقتي بمناسمها حجارة الصوان في الارض الشديدة الصلابة فتتها فتضاربت الحجارة فيها ما يورى النار ومنها ما يتفتت من شدة اصطدام الحجارة بعضها ببعض

أديم يطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذِّكر صفحاً فأذهل^(١)
 وأسفُّ تُرب الأرض كي لا يرى له على من الطول امرؤاً مُتطوّل^(٢)
 ولولا اجتناب الدّام لم يُنفِ مشربٌ يُعاش به إلا لدى وما كل^(٣)
 واسكن نفساً حُرّة لا تقيم بي على الضيم إلا ريثما أتحوّل^(٤)
 وأطوي على الخوص الحوايا كما انطوت خيوطه ماريّ تغار وتُقتل^(٥)
 وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاده التنايف أطلّ^(٦)
 غدا طاوياً يُعرض الريح هافياً يخوت بأذنان الشّعب ويعسل^(٧)
 فلما لواه القوت من حيث أمّه دعا فأجابته نظائرُ نُحْل^(٨)

(١) صفحاً أما مصدر من صفح عنه اعرض مفعول له على معنى اصرف عنه التذكر اعراضاً عنه وأما ظرف بمعنى الجانب على معنى انحى التذكر عنه جانباً كما تقول صنعه جانباً (المعنى) اني اعود تقى على تحمل ألم الجوع دائماً حتى لا يبق له تأثير واصرف تقى عنه حتى لا يخطر لي على بال (٢) الطول الفضل والانعام وتطول عليه امتن وانعم (المعنى) واني افضل سف التراب على امتنان من يترفع على بالانعام (٣) الدام اليب والدم (المعنى) ولولا ان اخشى العار والمذمة التي تلحق بالاذنين ماء وجوههم لاجل الما كل والمشارب لكان عندي من اشكالها والوانها كل ما تشبهه الانفس (٤) القيم الهضم وريثاً منها مقدار ما (المعنى) ولكن تقى عزيزة لا تبطلء بالاقامة على الامة تضام الا ابطاء تنأه فيه للرحيل عنه (٥) الخوص الجوع والحوايا جمع حوية كقنية ما تحوى وانطوى بعضه على بعض من الامعاء والخيوطة جمع خيط ومارى اسم صانع مشهور يقتل الخيوط وأغار شد القتل (المعنى) واضمر امعاني بالجوع حتى تصير مثل الخيوط التي يشد قتلها ماري المشهور بقتل الخيوط (٦) الزهيد القليل والازل السريع والموصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده والتتوفة المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف او الفلاة لا ماء بها ولا انيس وان كانت معشبة وجمعها تنائف والطعنة بالقم لون بين الغبرة والسواد بيباض قليل ذئب اطلح لونه الطعنة (المعنى) ادور على القوت القليل مثل ما يدور عليه الذئب من فلاة الى فلاة (٧) غدا طاوياً اى يكر بالفرب فى الارض جائئاً ويعارض الريح يسابقه وهافياً خفيفاً مسرعاً وخات البازى اقتض على الصيد وخات الرجل اختطف واذنان الشّعب اطراف الاراضى التي بين الجبال ؛ وعسل الذئب يسئل علا وعسولا وعلانا اشتد اهتزازة فى عدوه (المعنى) خرج الذئب من الجوع مبكراً يقطع اعماق المفاز في طلب القوت بمدو ويبارى الريح (٨) لواه القوت قتله وضمره وامه قصده ونظائر نُحْل يعني امثاله الخزيمة (المعنى) فلما لم يجد فى الامكنة التي

- مُهَالَّةٌ شَيْبُ الوجوه كأنها (١) قِدَاحٌ بِكَفِّيْ بِاسِرٍ تَتَقَلَّقُ (١)
أو الحشرم المبعوث حَشَحَتْ دَبْرَهُ مَحَايِضُ أَرْسَاهُنَّ سَامٌ مُعْسَلٌ (٢)
مُهَرَّتَةٌ فَوْهٌ كَانَ شُدُوقَهَا شَقُوقُ الْعِصِيِّ كَلْحَاتٍ وَبُسْلٌ (٣)
فَضَجٌ وَضَجَّتْ بِالْبِرَاحِ كأنها (٤) وَإِيَّاهُ نَوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءٍ تُكَلِّلُ (٤)
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَى وَأَتَسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَاهَا وَعَزَّتَهُ مُرْمِلٌ (٥)
شَكَوْشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدَ ارْعَوَتْ وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجَلٌ (٦)
وَفَاءٌ وَفَاءَتْ بِأَدْرَاتٍ وَكَأَهَا عَلَى نَكْظٍ مَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلٌ (٧)
وَتَشْرَبُ أَسَارَ الْقَطَا الْكُذْرَ بَعْدَ مَا سَرَتْ قَرَبًا أَحْشَاؤَهَا تَتَصَالُصُ (٨)

قصدها ما يقتات به صاح فصاح معه أمثاله من الذئاب التي انحأها الجوع (١) الهلة الضامرة المنقوشة والقداح جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه فصلة والياسر الذي يلعب بالقداح لعبة كانت للعرب وهي حرام لما فيها من خسارة المال وتقلقل تتحرك (المنى) ذئاب ضامرة وخطها الشيب من يراها في عدوها يخالها سهاماً تتحرك في يدي يأسر (٢) الحشرم كجعفر جماعة النحل وأمير النحل ومأواها وحشمت كحش وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ومحايض جمع مجبض كمنبر عود يشتر به العسل أو يطرد به الدبر وهي هنا منصوبة على نزع الخافض والمنى إلى محايض وأرسي وقف وأوقت وسام مرتفع ومعسل طالب العسل (المنى) أو كأنها جماعة النحل حشأ أميرها على الطير إلى العيدان التي نصبها لها مشتار العسل في الأماكن المرتفعة (٣) المهرة الواسعة والفوه جمع الافوة وهو الواسع الفم أو الذي يخرج أسنانه من الشفتين والشدوق أطراف الفم من باطن الحدين وكلحات شديدة العبوس وبسل كرميات المنظر (المنى) أن افواها واسعة بارزة بالأنياب واشداقها كلها شقوق المعصى قبيحة المنظر نظيفة الرؤية (٤) البراح كسحاب انتسع من الأرض لا زرع بها ولا شجر (المنى) فصاح ذلك الذئب وصاحت معه الذئاب كلها معه نأحات تنوح فوق ربوة عالية على قعد أولادهم (٥) اغضى على الشيء سكت واتى اقتدى والرميل الذي نقد زاده ؛ وعزاها سلاها على مصابها (المنى) ثم سكت فسكت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على تخمته (٦) الارعواء التزوع عن الجبل وحسن الرجوع عنه (المنى) شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنها وصبروا على الجوع والصبر أحسن من الشكوى التي لا تنفيد (٧) فاه رجع وبأدرات مسرعات والتكظ محرك الجوع الشديد (المنى) ورجعت الذئاب مسرعة وجميعها على ما به من شدة الجوع الذي يؤله ويكتسه راض بحالته محسن لها مستعين بالصبر على ما به من الضر (٨) أسار جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا

هممتُ وهمتُ وابتدرنا وأسدتْ وشمرَ مني فارطٌ مُتمهلٌ ^(١)
 فوليتُ عنها وهي تكبو لعقره يُباشره منها ذقونٌ وحوصل ^(٢)
 كأنَّ وغازها حجرتيه وحوله أضاميم من سفر القبائل نُزل ^(٣)
 توافين من شتى إليه فضمها كما ضمَّ أذواد الأصاريم منهل ^(٤)
 فعبتُ غشاشاً نمت مرّتْ كأنها مع الصبح ركبٌ من احاطة مُجفل ^(٥)

نوع من الطير صوته قطاطا وهو ثلاثة اضرب كدرى وجوني وغطاط فالكدري الغبر الالوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلق وهو الطف من الجوني والجوني السود البطون والاجنعة وهو اكبر من الكدري والغطاط كسحاب الغبر الظهور والبطون والابدان سود بطون الاجنعة طوال الارجل والاعناق لطاف لا تجتمع اسراباً اكبر ما يكون ثلاث واثنان الواحدة غطاطة ويقال ان القطا يطلب الماء على بعد مراحل عديدة بعضهم يبلغها الى عشرين (المعنى) اني اسبق القطا الغبر الالوان في السير اتركها تخرج لطلب الماء حتى اذا كانت ليلة اليوم الذي ترد الماء فيه على حين يشتد طيرانها حتى تسع لها صالحة عدوت فسبقها الى الماء وشربت منه وتأني هي بعدى تشرب (١) سدل ثوبه وشعره واسدله ارخاه وارسله وفرط القوم بفرطهم فرطاً وفراطة فهو فارط تقدمهم الى الورد لاصلاح الحوض والدلاء (المعنى) ولقد خرجنا جيماً متسابقين لورود الماء غير انها مع اسدالها اجنحتها ومدتها لها لتدرك الماء على عجل قد تموقت عنه وشمرت عن ساعد الجذ في طلبه فتقدمتها اليه على مهل (٢) تكبو تنكب على وجهها والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء في اقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللجين والحوصلة للطير كالمعدة للانسان (المعنى) وقد انصرفت عنها بعد ما رويت وتركها تنفس بأذقانها وحواصلها في الماء لترتوي من شدة العطش التي اصابها من اجهادها نفسها في الطيران (٣) الوغى كالغنى الصوت والجلبة والحقرة الناحية والاضاميم جمع اضمامة بكسر الهمزة وهي الجماعة والسفر القوم المسافرون (المعنى) كان جليتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر (٤) توافين اليه اى تلاحقن الى الماء ومن شتى اى من جهات متفرقة والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل والاصاريم هنا جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الاعراب (المعنى) اجتمعن عليه على اختلاف الاماكن التي اتين منها كما تجتمع على المنهل ابل الاعراب المتفرقة المنازل (٥) الصب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة في شربها وغشاشا اى عبا قليلا مجلا غير مرني واحاطة كأسماء بن سعد بن عوف ابو قبيلة من حمير واليه ينسب مخلاف احاطة باليمن والمحدثون يقولون وحاطة ؛ واجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها (المعنى) فشربت قليلا ثم عجلت بالطيران اذا رآيتها حسبها فرسانا تطرد النعام من بني احاطة المشهورين بركوب الخيل والصيد عليها

وَأَلْفُ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ اقْتِرَاشِهَا يَأْهَدُ تُنْبِيهِ سَنَاسِنْ قُحْلٌ (١)
وَأَعْدِلُ مَنْحَوْضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِغَابٌ دَحَاها لِأَعِيبٍ فَهِيَ مُثَلٌ (٢)
فَإِنْ تَبْتَنِّسُ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسْطَلٌ لَمَّا اغْتَبَطْتُ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطُولُ (٣)
طَرِيدَ جُنَايَاتٍ تِيَّاسِرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لِأَيْتِهَا حُمٌّ أَوَّلُ (٤)
تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْضَى عَيُونُهَا حَشَانًا إِلَى مَكْرُوهٍ تَنْغَلُغُلُ (٥)
وَالْفُ هُومٌ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَادًا كَحُمَّى الرَّيْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ (٦)

(١) الاهدأ المنكب المسترخى اللحم وتنبيه ترفه والسناسن حروف ققار الظهر وقحل معناها مجردة من اللحم (المعنى) انى الفت ان يكون وجه الارض هو الفراش الذي انام عليه فأدوم على ذلك وان اصيبت ولى منكب استرخى لحمه على ظهره بان عظمه (٢) اعدل معناه هنا اسوى وافرش لرأسى واجعل لها وسادة ومنحوضاً يعنى ساعداً قليل اللحم والفصوص المراد بها هنا الاصابع والكعاب لعب على شكل الاقاع ودحاما يعنى بسطها ومثل منامها مائلة وقائمة بين يدي اللاعب (المعنى) واحب ان اتوسد ساعداً ذاهب اللحم كان عظامه الخارجة كعاب اقامها اللاعب بين يديه (٣) تبتنس تحزن وام قسطل الحرب واغتبطت سرت وقرت عيناً (المعنى) لان تحزن الآن الحرب لاني تركتها فلظالما فرحت من قبل حين كنت انصها قدماً (اسيرها وامضى اليها مقدماً) (٤) كان من عادات العرب غير المحمودة اذا ارادوا ان تحصل لهم ميسرة بدون كبيركد ولا عظيم تعب ان يشترؤا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جلة اقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات انصباء وبعضها غفل بلا تصيب ليستوفوا بيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقتربون بالسهم فيفوز من تخرج لهم ذوات الانصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرماها الدين الحنيفي والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم يسر والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزور لانها تجزور ويقال لها عقيرة لانها تمقر وتنحر ويقال تياسروا اي اخذوا الانصباء من اللحم ويقال حم بمعنى دنا وقرب (المعنى) قد كثرت جنائياتي في الحروب على الناس حتى اصبحت شريداً من سعيهم ورأيت للاخذ بالنار مني ومسايرتهم الى اقتسام لحمي ومسابقتهم في ان يكون كل منهم اول من يفترسني (٥) تنام اي الجنائيات والمراد اصحابها وحشاً سراعاً وتتغلغل تدخل بشدة (المعنى) تبيت ارباب الجنائيات اذا نام الشنفرى وعيونهم ساهرة على كيدهم يديرون في سرعة الوصول الى اذاه وضرره (٦) الالف الاليف الحليف المعاد والعياد العودة والرجوع مرة بعد اخرى وربيت عليه الحمى جاءت ربياً يعنى ترددت عليه في كل اربعة ايام مرة تتركه في الثلاثة وتأتيه في الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربيع (المعنى) ولم ازل حليف الهوم تعاودني مع ثقلها معاودة الحمى الربيعية بل ان تلك الهوم اثقل من الحمى

إذا وردت أصدرتها ثم إنها تؤوب فتأتى من تُحيّت ومن عل^(١)
 فأما ترانى كابتة الرمل ضاحياً على رقة أحق ولا أتعل^(٢)
 فأتى لمولى الصبر أجتأب بزه على مثل قلب النسيم والحزم أفل
 وأعدم أحياناً وأغنى وإنما ينال الغنى ذو البعدة المتبدل^(٣)
 فلا جزع من خلة متكشف ولا مريح تحت الغنى أتخيل^(٤)
 ولا تزدهى الأجهال حلوى ولا أرى سؤولا بأعقاب الأقاويل أنمل^(٥)
 وليلق نحس يصطلى القوس ربها وأقطع الأتقى بها يتنبل^(٦)
 دعست على غطش وبغش وصحبتى سعار وإرزيرو وجرو وأفكل

(١) تؤوب ترجع (المعنى) كلما نارت على جيوش الهموم واحاطت بي من كل جانب رددتها عني
 بعزم ما ضر و صبر جميل (٢) فأما ترانى بإهمال ان حملا على لو كقراءة طلحة فأما ترين بياء ساكنة ونون
 مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية او البقرة الوحشية وضاحياً بارزاً للشمس وعلى رقة معناها سوء العيش
 ومولى الصبر واليه واجتأب القديس لبسه واللبز الثياب والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون
 انه لا يموت حتف الله كالحية وانتهى في عدوه اسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً (المعنى)
 فان ترنى كالحية عارياً حافياً معدماً فان الصبر ثيابي والشجاعة حشو اهابي ولا افل الا ما يوجب
 الحزم (٣) اعدم اعداماً وعدمياً بالضم افتقر وذو البعدة بالضم اى صاحب الابتعاد فى الارض
 والمتبدل الذي لا يصون نفسه (المعنى) أنى أضرب فى الأرض فتارة افتقر وطوراً أغنتى ولا ينال الغنى
 الا من باثر الاسفار ولم يتعاش بنفسه عن اقتحام الاخطار (٤) الجزع تقيض الصبر والحلة
 والحاجة والفقر والمرح والبطر والاختيال (المعنى) الفقر لا يظهر على ترحا والغنى لا يبدي مني
 مرحاً (٥) تزدهي تستخف والاجهال جمع جهل شذوذاً لأن قياسه أجهل وجهول الا انه حسنه
 كون عنه الهاء الشبيهة بحروف الين والباء فى بأعقاب بمعنى عن والزملة مثناة وكسيفة النخسة وهو
 بمل ونامل ومنمل كحسر ومنبر ونمال كشداد نمل وقد نمل ككنصر وعلم وأنمل ثم (المعنى)
 لا يستفز الجاهل حلوى ولا نجدني متبماً للاقاويل الساقطة أنهم بها على الناس (٦) اصطلح استبدأ
 والاقطع جمع قطع وهو الغنيب تبرى منه السهام وتنبل بالاقطع اتخذها نبلا ودغش عليه كمنع
 هجم وفى الظلام دخل والغطش الظلمة والغش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع
 والارزيرو برصغار كاللج والوجر المقد والغل والنيظ والافكل الرعدة (المعنى) وك ليلة طويلة
 مظلمة باردة يضطر السار فيها الى ابتداء قوسه ونبله ليتدفأ بها من شدة القسريت فى ظلامها
 ومطرها وايس يصاحبني غير الجوع والتلج والنيظ والرعدة

فَأَيْمَتْ نِسْوَانًا وَأَيْتَمَّتْ وَلَدَةً وَعُذْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلِ أَيْلٌ (١)
وَأَصْبَحَ عَنَى بِالْغُمِّصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ مُسْتَوِلٍ وَآخِرُ يَسْأَلُ (٢)
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلٌ كَيْلًا بُنَا فَقَلْنَا أَذِئْبُ عَسَّ أَمْ عَسَّ فَرُعْلُ (٣)
فَلَمْ يَكُ إِلَّا نَبَاةٌ ثُمَّ هَوِّمَتْ فَقَلْنَا قَطَاةٌ رِيْعٌ أَمْ رِيْعٌ أَجْدَلُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لِأَبْرَحٍ طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَمَا الْإِنْسُ يَفْعَلُ
وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لَعَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَائِهِ تَتَمَلَّلُ (٤)
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَالْكَنُ دُونَهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمَى الْمُرْعَبِلُ
وَضَافَ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ لِبَائِدَ عَنْ أَعْظَافِهِ مَا تُرْجَلُ

(١) أيمت نسوانا يعني قتلت رجالهن فتركتهن بلا أزواج وايمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعني قتلت آباءهم وابدأت بدأت والليل يعني طويل شديد الظلمة (المعنى) فقتلت الرجال وتركت النساء أياي والاولاد يتأبى ورجعت كما رحت والليل باق على حاله (٢) الغميصاء موضع اوقع فيه خالد بن الوليد رضى الله عنه بيني جذيمة (المعنى) ولما اصبغ الصباح جلس الناس بالغميصاء لشدة ما دهاهم يتساءلون ويتجاوبون عما فلت (٣) هر الكلب مرياً صوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنباة الصوت الخفي ؛ وهوم هر رأسه من النعاس والقطا جمع قطة نوع من الطير صوته قطة قطة والاجدل المقر وريع اخيف ولا برج ممناه لقد اتى بالبرج وهو الشدة والشر ؛ وهاقى كهاضمير الفعة دخلت عليه الكاف شذوذاً (المعنى) فجعلوا يقولون انا لما سمعنا كلامنا تصوت بالليل حسبناها تنبج على ذئب او ولد ضبع ولكنها لما صوتت قليلاً ونامت قلنا ربما كانت نبأها لطيران قطة ارتفعت او لمرو صقر خائف امامها وما علمنا ان الطارق الذي امرها شيء عظيم الا لما رأينا آثار فعله من القتل الذريع كل ذلك فعله في ليلة لئلا كان هذا الطارق من الجن فلقد اتى شيئاً عظيماً وان كان من الانس فما يفعل الانس مثل ذلك (٤) الشعري نجم يطلع في شدة القيظ والاماب منامها مآراء في شد الحر كأنه منحد من السماء اذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار او على هيئة نسج العنكبوت ويسمى ايضاً لعاب الشمس والرمضاء الارض الشديدة الحرارة وتتلد وتقلب والكن الستر والاتحى برد معروف والمرعبل الممزق وضاق صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائد جمع لبدة وهي الشعر المتراكم واعظافه جواربه وترجل تمشط (المعنى) وكل يوم من ايام الشعري التي تتصاعد فيها الاينجرة وتتلد فيها الافاعي من شدة الحر عرضته له وجهي بغير ستر ومشيت فيه ولا شيء

بَعِيدٌ بِمَسِّ الدَّهْنِ وَالْفُلْبِيِّ عَهْدُهُ^(١) لَهُ عَبَسَ عَافٍ مِنَ الْغَسَلِ مُحْوِلٌ^(٢)
وخرق كظفر الترس قفر قطعتُه بَعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ^(٣)
فَأُلْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهُ مُوْفِيَاً عَلَى قُنَّةٍ أَقْبَى مَرَارًا وَأُمَثِلُ^(٤)
تَرُودُ الْأَرَاوِي الضَّخْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهِنَ الْمَلَأَ الْمُذْتَبِلُ^(٥)
وَبَرَكَدُنٌ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنِّي مِنَ الْعُصْمِ أَدْنَى يَنْتَحِي السَّكِيحَ أَعْقِلُ^(٦)

﴿وقال الطُّغْرَائِيُّ يُوَاسِي مُعِينُ الْمَلِكِ فِي نَكْبَتِهِ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٠ هـ﴾

فَصَبْرًا مُعِينُ الْمَلِكِ إِنْ عَنَ حَدَثٌ فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَلِيلِ جَمِيلٌ^(١)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ بَعْدَ ظَلَامِهِ عَلَيْهِ لَا إِسْفَارَ الصَّبَاحِ دَلِيلٌ^(٢)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدَ كُسُوفِهَا لَهَا صَفْحَةٌ تَغْشَى الْعَيُونَ صَقِيلٌ^(٣)
وَأَنَّ الْهَلَالَ النَّضْوُ يُقَمِّرُ بَعْدَ مَا بَدَأَ وَهُوَ شَخْتُ الْجَانِبَيْنِ ضُئِيلٌ^(٤)

على جسدي الا ثوب ممزق وشعر مسترسل اذا هبت عليه الريح لم تطير منه الا لبائس في كل جانب منه لم تمسها الا مشاط (١) الفلئ تنقية الرأس من القمل والعيس محركة ما تعلق بأذنان الابل من ابوالها وابمارها يجف عليها وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذي اتى عليه الحول (المعنى) ان هذا الشعر بقي عاماً من غير ان يفل ولا يغسل ولا يمس بدهن حتى تراكت عليه الاوساخ وصار عليه منها مثل عبس الابل (٢) الحرق الارض الواسعة تنحرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أى ليس يسلك (المعنى) وكم صحراء مقفرة لم يسلكها احد قطعها مشياً على رجلي (٣) اوفى عليه اشرف والقنة بضم القاف قلة الجبل واقعى في جلوسه تساند الى ما وراءه ومثل قام منتصباً (المعنى) فعبرت تلك الصحراء من اولها الى آخرها مشرفاً على قلل الجبال تارة اقمدا وتارة اقوم (٤) الرود الذهب والمجىء والاراوى جمع اروية بالفهم والكسر وهى اثني الوعول والعدارى جمع عذارى وهى اليكر والملاء بضم الم نوع من الاردية والمذين طول الذيل (المعنى) تطوف الاراوى الضخم حولي اذا اربتھا حسبته عذارى تلفت في ملاء طويلات الذبول (٥) الركود السكون والنبات والا صال جمع اصيل وهو المشى والدعم جمع اعصم وهو الوعل الذى في موضع المعصم منه والادنى الذي يميل قرناه ناحيتي ظهره وينتحي يتعمد والكيج ناحية الجبل وأعقل ممتنع في الجبل (المعنى) ويقفن حولي يحسبني وعلا أدنى يتصد الجبل ليمتنع به

فقد يعطف الدهر العسير قيادُهُ فيشقى عليلُ أو يُبلّ غليلُ
ويرتاش مقصوصُ الجناحينِ بعدما تساقط ريشُ واستطار نسيلُ
أسأت إلى الأيام حتى وترتها فعندك أضغاث لها وتبولُ
وصارمتها فيما أرادت مُروفاً ولولاك كانت تنتحي وتصولُ
وما أنت إلا السيفُ يسكنُ غدهُ ليشقى به يوم التزال قتيلُ
أمالك بالصدّيق يوسف أسوة فتحيل وطء الدهر وهو ثقلُ
وما غض منك الحبسُ والذكر سائرُ طليقٌ له في الخافقين ذميلُ

﴿ وقال محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه ﴾

محالّين ما أبت عيونُ المهامني فشئت ولم أقضِ اللبّانة من سني
عناهُ ويأسُ واشتياقٌ وغربةُ ألا شدّ ما ألقاه في الدهر من غبنِ
فإن أك فارقتُ الديارَ فلي بها فؤادُ أضلته عيونُ المهامني
بعثتُ به يوم التوى إثرَ لحظة فأوقعه المقدارُ في شركِ الحسنِ
فهل من قى في الدهر يجمع بيننا فليس كلانا عن أخيه بمستغنى
ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كاللزنِ
أهبتُ بصبري أن يعود فبزني وناديتُ حلّى أن يثوب فلم يُغنِ
وما هي إلا خطرةٌ ثم أقلتُ بنا عن شطوط الحيّ أجنحة السفنِ
فكم مَهجة من زفرة الوجد في لظى وكم مُقلة من غزرة الدّمع في دجنِ
وما كنتُ جربتُ التوى قبل هذه فلما دهنتني كدتُ أقضى من الحزنِ
ولسكنني راجعتُ حلّى وردني إلى الحزم رأى لا يحوم على أفنِ
ولولا بُنيّاتٌ ورشيبٌ عواطلُ لما قرّعت نفسي على قائتِ سني

فياقلبُ صبراً إن جزعتَ فربما جرتْ سُحُحاً طيرُ الحوادثِ باليمنِ
فقد تُورِقُ الأغصانُ بعد ذُبُولها ويبدو ضياءُ البدر في ظُلمةِ الوهنِ
وأى حُسامٍ لم تصبهِ كهامة ولهذِمَ رُمُحٌ لا يُفلّ من الطعنِ
ومن شاعَبَ الأيامَ لأن مريرهُ وأسلمه طولُ المراسِ الى الوهنِ
وما المرءُ في دنياه الا كسالك مناهجٍ لا تخلو من السهل والحزنِ
فان تكن الدنيا نولت بخيرها فأهونُ بدنيا لا تدوم على فنِ
إذا عرف المرءُ القلوبَ وما انطوت عليه من البغضاء عاش على ضغنِ
يرى بصري مَنْ لا أودُّ لقاءه وتسمع أذني ما تعاف من المنِ
تحملت خوفَ النّ كلّ رزينة وحمل رزايا الدهر أحلى من اللحنِ
وعاشرتُ أخذاناً فلما بلوهم تمنيتُ أن أبقى وحيداً بلا خدنِ

﴿ وقال محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

لم يبقَ شيءٌ من الدنيا بأيدينا إلا بقية دَمْعٍ في مآقينا
كنّا قِلادةَ جِيدِ الدهر وانفرطت وفي يمينِ العُلا كُنّا رِياحينَا
كانت منازلنا في العزّ شاحنةً لا تشرق الشمسُ إلا في مغاينَا
وكان أقصى مُنى نهرِ الهجرة لو من مائه مُزجت أقداحُ ساقينا
والشهب لو أنها كانت مُسخرة لرجمَ من كان يبدو من أعادينَا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شُرراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نسب ولا صديق ولا خلّ يؤاسينا

﴿ وقال أيضاً في شكوى الزمان ﴾

سعتُ الى أن كذتُ أتعلمُ الدِّما وعدتُ وما أعقبتُ إلا التندما

سلامٌ على الدنيا سلامٌ مودّع
تبّلع بالصبر الجليل وبالأسى
أضرّت به الأولى فهم بأختها
فهبّ رباح الموت نكباء واطغى
فما عصمتى من زمانى فضالى
فيا قلب لا تجزع إذا عضك الأسى
ويا عين قد آن الجود لدمعى
ويا يد ما كلفتك البسط مرّة
فله ما أحلاك فى أنمل البلى
ويا قدسى ما سرّت بى لذّة
فلا تبطى سيراً الى الموت واعلمى
رأى فى ظلام القبر أنسا ومغتما
زماناً وجادته المني فتادما
وإن ساءت الأخرى فويلاهُ منهما
سراج حياى قبل أن يتحطما
ولكن رأيت الموت للحرّ أعصا
فانك بعد اليوم أن تتألما
فلا سبل دمع تسكين ولا دما
لدى مئة أولى الجليل وأنعمّا
وان كنت أحلى فى الطروس وأكرما
ولم ترتق الا الى العزّ سلما
بأن كريم القوم من مات مكرما

وقال فقيد الأدب حتى بك ناصف

أنقضى معى إن حان حيني تجاربي
وأبذل جهدى فى اكتساب معارف
وبجزئى ألا أرى لى حيلة
إذا ورث الجهال أبناءهم غنى
وما نلها إلا بطول عناء
ويقتنى الذى حصلته بشغاف
لإعطائها من يستحق عطائى
وجاهاً فما أشقى بنى الحكماء

الباب الرابع في الوصف

« قال علي بن محمد القاضي التنوخي المتوفي سنة ٣٤٣ هـ واصفاً مكتوباً »

وصيفة ألفاظها	في النظم كاللؤلؤ النثير
جاءت الى كأنها الـ	وفيق في كل الأمور
بأرق من شكوى وأحـ	سن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأصـ	ببح وهو ذو طرف بصير
وكانها أمل تحة	ق بعد يأس في الصدور
أو كالقيد اذا أتت	بقدومه بشرى البشير
أو كالنم لساير	أو كالغني عند الفقير
أو كالشفاء لمدنف	أو كالأمان لمستجير
وكانما هي من وصا	ل أو شباب أو نشور
لفظ كأسر معاند	أو مثل اطلاق الأسير
وكانه اذ لاح من	فوق المهارق والسطور
ورد الحدود اذا انتقل	ت به على راح الثغور
غرر غدت وكانها	من طامة الظبي الغرير
من كل معنى كالاسلا	مة أو كتييسير العسير
كتبت بحبر كالتوى	أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التوا	صل أو كأعتاب الدهور
أهديتها ياخير من	يختار من كرم وخير

﴿ وقال أيضاً واصفاً الخط والكتابة والبلاغة ﴾

خطٌّ وقرطاس كَأَن هـا السَّوَالِفُ والشُّعُورُ
وَبَدَائِعُ تَدْعُ الْقُلُوبَ بِتَكَادٍ مِنْ طَرَبٍ تَطِيرُ
فِي كُلِّ مَعْنَى كَالْفَنَى يَحْوِيهِ مَحْتَاجٌ فَقِيرُ
أَوْ كَالْفِكَالِ يَنَالُهُ مِنْ بَعْدِ مَا يَأْسُ أَسِيرُ
وَكَانَهَا الْإِقْبَالُ جَاءَ أَوْ الشَّفَاهُ أَوْ النُّشُورُ
وَكَانَهَا شَرَحَ الشَّبَابِ بَ وَعِيشُهُ الْخُضُلُ النَّضِيرُ

﴿ وقال البُحْتَرِيُّ فِي الْمَوْضُوعِ نَفْسَهُ ﴾

وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ اتَّحَتْ بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كُتُبِهِ
فَالْفُظُّ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ مَنَّا وَيَبْعَدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
فَكَانَهَا وَالسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا شَخْصُ الْحَيْبِ بَدَأَ لِعَيْنٍ مُحِبَّةٍ

﴿ وقال الوزير المهابي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ فِي الْمَوْضُوعِ نَفْسَهُ ﴾

وَرَدَ الْكِتَابُ مُبَشِّرًا نَفْسِي بِأَنْوَاعِ السُّرُورِ
وَفَضَضْتُهُ فَوَجَدْتُهُ لَيْلًا عَلَى صَفْحَاتِ نُورِ
مِثْلَ السَّوَالِفِ وَالْخُدُودِ دَ الْبَيْضِ زِينَتٌ بِالشُّعُورِ
أَنْزَلْتُهُ مَنِيَّ بَعْدَ زَلَّةِ الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدُورِ

﴿ الموز — وقال النجم بن إسرائيل : يصفه ﴾

أَنَّهُ مَوْزَا شَهَى الْمَنْظَرِ ، مُسْتَحْكِمُ النَّضِجِ ، لَذِيذُ الْهَجَرِ
كَانَ مَحْتِ جِلْدِهِ الْمَزْعَفَرِ لَقَاتِ زُبْدِ ، عُجْنَتِ بَسْكَرِ

وقال البهاء زهير :

في ريحه ، ولونه ، وطعمه : كالسك ، أو كالتيبر أو كالضرب
وافت به أطباقه مُنضّدا : كأنه مكحل من ذهب ^(١)

وقال آخر :

تحكي إذا قشرته أنياب أفيال صغار
ذو باطنٍ مثل الإقحاح ، وظاهر مثل البهار ^(٢)

الكمثرى :

وكمثرأ بستان شهي الطم والمنظر
له طعم إذا ذيق كماء الورد والسكر
كأنه في شكله ، ولونه ، وطعمه : قوالب من سكر

التفاح — قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لما بدا يرقل في أنوابه الحمر
شهد بماء الورد ، مستودع في أكر من جامد الخمر ^(١)
كأننا حين نُحيّا به نستشق الندم من الجمر ^(٢)

الخوخ :

كأنما الخوخ على دوحه وقد بدا أحمر العندي ^(٣)
بنادق من ذهب أصفر قد خضبت أنصافها بالدم
وخوخة بستان ذكي نسيمها من المسك والكافور قد كسبت نشرها ^(٤)

(١) المكحل هنا اوعية الكحل جمع مكحلة بضم الميم والهاء (٢) الاقحاح جمع اقحوان وهو وهو نبت طيب الريح حواله ورق ابيض ووسطه اصفر ؛ والبهار نبت اصفر ؛ طيب الريح .
(٣) الاكر جمع اكرة وهي لفة في السكر (٤) اند طيب (٥) العندم صينج احمر ٦ ارائحة طيبه

مُلبَّسة ثوبا ، من التبر نصفه مصوغ^(١) ، وباقيه كياقوتة سحرا الشمس :

ومشمش جاءنا من أعجب العجب أشهى إلى من اللذات والطرب
كأنه وهبوبُ الريح ينثره بنادق خرطت من خالص الذهب
وكأنما الأفلاك من طرب به نثرت كواكبها على الأغصان
وقال يحيى الدين بن عبد الظاهر :

جبذا مشمش على الدُّوح أضحى ذا شعاع يستوقف الأَبصارا
شجرٌ أخضر لنا جعل الله « تعالى » منه كما قال نارا^(١)
الرمان :

رُمانة صَبَّغَ الزمان أديمها فتبسَّمت في ناضر الأغصان
فكأنما هي حُقة من عسجد قد أودعت خرزاً من المرجان
كأنها حُقة ، فإن فتحت فصرة من فصوص ياقوت

حِثاق كما مثال العقيق تضمَّنت فصوص بلخش ، في غشاء حرير^(٢)
إذا فُضَّ عنه قشره فكأنه فصوص عقيق ، في حِثاق من الدر
فدُرٌّ ، ولكن لم يدْرِ نَسْهَ عارض واء ، ولكن في مخازن من حجر
النخيل والبلخ :

كَأَنَّ النخيل البامقات وقد بدت لناظرها حسناً قبابُ زبرجد^(٣)
وقد عُلقَتْ من حولها زينة لها قناديلُ ياقوتٍ بأمراس عسجد^(٤)

(١) يشير الى قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا » (٢) البلخش حجر معدنه بنواحي بلخشان التابعة لتركستان واحمره يشبه الياقوت (٣) بسق النخل طال (٤) الامراس الجبال

وقال السرى الرقاء :

فالنخل من باسق فيه وباسقة^(١) يضاحك الطلع في قنوانه الرطبا^(٢)
أضحت شماريخه في النحر مطلعة إما ثرياً ، وإما ممصاً خضبا^(٣)
ترك في الظل عقياناً ، فإن نظرت شمس النهار إليها خلتها لهبا^(٤)
وقل آخر في البلح الأخضر :

أما ترى النخل قد نثرت بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب
مكحلاً من زُمرّد خرطت، مقمّات الروس بالذهب^(٥)
وفي البلح الأحمر :

أنظر إلى البشر إذ تبدى ولونه قد حكي الشقيما^(٦)
كأنما خوصه عليه زبرجد مُشرّ عقيقا^(٧)
البطيخ :

رأيتها في كف جلابها وقد بدت في غاية الحسن
كسلة خضراء محتومة على الفصوص الحمر في القطن
وقال أبو طالب المأموني :

ومُبَيضة فيها طرائق خضرة كما اخضرّ مجرى السيل من صيب المزن^(٨)
كحقة عاج ضُبت بزبرجد حوت قطع الياقوت في عصب القطن^(٩)

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمراً إن كانت انثى ، فأُنْكَرَتْ ذكراً لم يصير ثمراً بل يؤكل طرياً ، ويترك على النخل أياماً حتى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق فيلتصق به الانثى والقنوان جمع قنؤ وهو من الثمر كالمنقود من العنب (٢) المعصم موضع السوار أو اليد وهو المراد هنا (٣) العيان الذهب الخالص (٤) مقممة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى الثمرة (٥) البسر البلح قبل أن يرطب فإذا انتهى نضجه فرطب والشقيق نبت أحمر فيه قمع سوداء (٦) الصيب : المطر والمزن : السحاب أو أبيضه (٧) للتضيق : شدة القبض على الشيء لئلا ينفلت أي كأنها محاطة

وقال في بطيخة صفراء :

وبطيخة مِسْكِيَّةٌ عَسَلِيَّةٌ لها ثوبٌ دِيْباجٌ وعَرَفٌ مُدَامٌ^(١)
إِذَا فُصِّلَتْ لِلأَكْلِ كَانَتْ أَهْلَةً ، وإن لم تفصل فهي بدر تمام
وقال ابن التعاويذي :

ربَّ صفراء أَتَنَّا وهي في أحسن حُلَّةٍ
تعتريها صفرةٌ في لونها ، من غيرِ عِلَّةٍ
حُلوةُ الرِيقِ ، حلال دمها في كلِّ رِمْلَةٍ
نصفها بدر ، وإن قسَّمَتَهَا فهي أَهْلَةٌ

وقال آخر :

ألا فانظروا البطيخ وهو مُشَقَّقٌ وقد حاز في التَّشْتِيقِ كلَّ أُنَيْقٍ
تروه كَبَلُورٌ بدا في زمرد مركَّبَةٌ فيه فصوص عتيق
العنب — قال ابن المعتز :

كَأَنَّ عَنَاقِيدَ الكَرُومِ وَظَلَّهَا كَوَاكِبُ دُرٍّ ، في سماءِ زبرجد
وقال السري الرفاء :

والكرَمُ مُشْتَبِكُ الأَفْنَانِ ، تُوسِّعُنَا أَجْناسُهُ في تَسَاوِيِ شَرْبِهَا عَجَبًا^(٢)
فَكَرْمَةٌ قَطَرَتْ أَغْصَانُهَا سَبَجًا ، وكَرْمَةٌ قَطَرَتْ أَغْصَانُهَا ذَهَبًا^(٣)
كَأَنَّمَا الورقُ المَخْضَرُّ دُونَهُمَا غَيْرَانُ ، يَكْسُوهُمَا مِنْ سُنْدُسٍ حُجْبًا
وقال آخر :

كَأَنَّمَا عَنَقُودُهَا . زَنْجٌ ، جَنُودٌ فِي سِرْقَةٍ

بمخيوط من الزبرجد تمسكها . والمصب جمع مصبة : ما يصب به أي صرد من القطن (١) العرف .
الريح . (٢) الأفنان : الأغصان . والشرب الماء (٣) السبج : خرز اسود .

فأصبحت رؤوسهم على الذرى مُعلَّقة
قصب السكر :

تحكيه سُمر القنا ولكن تراه في جسمه طلاوه (١)
وكَلَّمَا زدتَه عذاباً زادك من ريقه حلاوه
النبق :

وسيدرة كل يوم من حسنِها في فنون (٢)
كانما النبق فيها وقد بدا للعيون
جلاجل من مضار قد عُلقت في الغصون
الجزر : قال ابن المعتز :

أنظر إلى الجزر الذي يحكي لنا لُهب الحريق
كذبة ن سندس ولها نِصاب من عقيق
وقال ابن رافع القيرواني :

أنظر إلى الجزر البديع كأنه في حسنه قُصْب من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها ، وقلوبه صيغت من العيقان
اللوز الاخضر : قال ظافر الحداد :

كانما قلوبه من توم ومُغرِد
جواهره امكنما الـ أصداف من زبرجد

التين : قال ابن المعتز :

أنعم بتين طاب طعما ، واكتسى حسناً ، وقارب منظراً من مخبر

(١) الطلاوة مثلثة الطاء : الحسن والبهجة . (٢) السدرة : شجرة النبق .

في بَرْد ثَلْج ، في نَقَاتِر ، وفي رِيحِ الْعَبِيرِ ، وَطِيبِ طَعْمِ السَّكْرِ (١)
يَحْكِي إِذَا مَا صُفِّ فِي أَطْبَاقِهِ رَحِيماً ، ضَرْبِينَ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَحْمَرِ
الفستق

وَالْقَلْبَ مَا بَيْنَ قَشْرِيهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَلْسُنِ الطَّيْرِ مِنْ بَيْنِ الْمَنَاقِيرِ
زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءُ وَسَطَ حَرِيرَةٍ بِحَقَّةٍ عَاجٍ فِي غِلَافٍ أَدِيمٍ (٢)
زَبْرَجْدَةٌ مَلْفُوقَةٌ فِي حَرِيرَةٍ ، مَضْمِنَةٌ دُرّاً مُغَشًى بِبَاقُوتِ
النارج : قال ابن المعتز :

وَكَأَنَّمَا النَّارَنْجُ فِي أَغْصَانِهِ مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ الَّذِي لَمْ يُخْلَطِ (٣)
كَرَّةً رَمَاهَا الصَّلْجَانُ إِلَى الْهَوَا فَتَعَلَّقَتْ فِي جَوْهٍ لَمْ تَسْقُطْ
وَأَشْجَارُ نَارَنْجٍ كَأَنَّ ثَمَارَهَا حَقَاقُ عَقِيقٍ قَدْ مُلِئَتْ مِنَ الدَّرِّ
وَقَالَ آخَرُ :

انْظُرْ إِلَى مَنْظَرِ تَلْهِيكِ بَهْجَتِهِ بِمَثَلِهِ فِي الْبَرَايَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ
نَارٌ تَلُوحُ عَلَى الْأَغْصَانِ فِي شَجَرٍ لَا النَّارُ تُطْفَأُ ، وَلَا الْأَغْصَانُ تَشْتَعِلُ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الصَّقْلِيُّ :

إِذَا مِيلَتْهَا الرِّيحُ مَالَتْ كَأَنَّ كَرَّةً بَدَتْ ذَهَباً فِي صَوْلْجَانِ زَبْرَجْدِ
الليمون : قال ابن المعتز :

يَا حَبِذُ لَيْمُونَةٍ تَحْدِثُ لِلنَّفْسِ الطَّرْبُ
كَأَنَّهَا كَافُورَةٌ لَهَا غِشَاءٌ مِنْ ذَهَبٍ

(١) العبير اخلاط من الطيب . وتقا : مقصور نقاء . (٢) الاديم : الجلد او احمره ، وهو للراد هنا . (٣) النارج نوعان : احدهما حامض معروف ، والاخر حلز وهو « البرتقال » .

القلم — قال « ابن المعتز » : القلم مُجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل استزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على أرض يياضها مظلم ، وسوادها مضى ، وكأنه يُقبَل بساط سلطان ، أو يفتح نَوَّار^(١) بستان

وقال « علي بن عبيد » أصمُّ يسمع النَجْوَى^(٢) ، أعيا من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ، يجهل الشاهد ، ويُخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الإخوان ألسناً ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضَمَّنْها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة

ومن كلام « أبي حفص بن بُرد الأندلسي » : ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة ، ويلفظ نوراً ! قد يكون قلم الكاتب أمضى من شِبة^(٣) المحارب ، القلم سهم ينقذ المقاتل ، وشفرة^(٤) تطيح بها المفاصل
وقال « محمود بن أحمد الأصبهاني » :

أخرسُ يُنبئك	بإِطراقه	عن كل ما شئت من الأمر ^(٥)
يُذرى على قرطاسه	دومة	يُبدى بها السرُّ وما يدرى ^(٦)
كما شق أخفى هواه	وقد	نمت عليه عبرةٌ تجري
تبصره في كل أحواله		عُريان يكسو الناس أو يُعزى
يُرى أسيراً في دواة	وقد	أطلق أقواماً من الأسر
أخرق ، لو لم تبره لم يكن		يرشق أقواماً وما يبرى ^(٧)
كالبحر إذ يجري ، وكالليل إذ		يغشى ، وكالصارم إذ يفرى

(١) الزهر أو الأبيض منه (٢) السر (٣) الشبة حد كل شيء (٤) سكين (٥) اطرق
ارخى عينه ينظر الى الارض (٦) يذرى يصب (٧) اخرق احرق ، ويبرى يقطع ، وكذا يبرى

وقال « أحمد بن عبد ربه » :

يخاطب الغائبَ البعيدَ بما يخاطب الشاهدَ الذي حضرا
شَحَّتْ ضَيْلٌ ، لفعله خطر ، أعْظِمُ به في مُلِمَّةٍ خطرا ^(١)
تَمَجَّ فَكَاهُ رِيْقَةً صَغُرَتْ وَخَطَبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَبُرَا
يُوقِعُ النَّفْسَ مِنْهُ مَا حَذِرَتْ وَرَبَّمَا جَنَبَتْ بِهِ الْحَذَرَا
مُهْنَفٌ تَزْدَحِي بِهِ صُحُفٌ كَأَنَّمَا حُلِيَتْ بِهِ دُرَرَا

و « لابن المعتز » في قلم الوزير « القاسم بن عبيد الله » :

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ ، أَمْ فَالْكَ يَجِي رَى بِمَا شَاءَ « قَاسِمٌ » وَيَسِيرُ ؟
خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمُّ قَرَطَا سَا كَمَا قَبْلَ الْبَسَاطِ شُكُورُ
وَاطِيفُ الْمَعْنَى ، جَلِيلٌ ، نَحِيفٌ ، وَكَبِيرُ الْأَفْعَالِ وَهُوَ صَغِيرُ
كَمْ مَنَايَا ، وَكَمْ عَطَايَا ، وَكَمْ حَتْفٌ وَعِيشٌ تَضُمُّ تِلْكَ السُّطُورُ
نَقَشَتْ بِالذُّجَا نَهَارًا ، فَمَا أَدْرَى أَخْطَفِيهِمْ أَمْ تَصَوِّرُ !

وقال « أبو تمام » في قلم « محمد بن عبد الملك الزيات »

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَامِلِ ^(٢)
لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنْ وَقَعَهَا بَانَارُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْمَرْبِ وَابِلِ ^(٣)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ، وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلِ ^(٤)
إِذَا مَا امْتَعَلَى الْحَسَنَ الْأَطْلَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ ^(٥)

(١) شحت . ضامر دقيق ؛ وكذا مهنف . (٢) الارى العمل : اشتاره اجتناه : العوامل جمع طامة اى تشتت العمل وتجمعه (٣) الطل اخف المطر : الوابل المطر الشديد الضخم القطر (٤) اعجم . لا يبين كلامه : راجل واقف (٥) الشعاب جمع شعبة : وهي ما عظم من سواني

أطاعته أطراف القنأ ، وتقوّضت
 إذا استغزر الدهنَ الجليَّ وأقبلت
 رأيتَ جليلاً شأنهُ « وهو مرهفٌ
 وقال « ابن الرومي » :

إن يخدمُ القلمُ السيفُ الذي خضعت
 قلموت — والموت لا شيءَ يُقاله —
 كذا قضى الله للأقلامِ مذْبِرِيَت
 وقال « المتنبي » :

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه
 يمجّ ظلاماً في نهارٍ لسانه
 وقال « ابن نباتة السعدي » :

يَرَو إلى الأفكار غيرَ ملاحظ
 ويعلم الآدابَ أفهام الوري
 وقال « ميار الديلمي » في وصف الدواة والاقلام :

وأمّ بنينَ استبطنتهم ، فصدرها
 يعقونها بالضغطة ، وهي عليهم
 يخالُ الافاعي الرقشَ ما ضمّ منهم
 فن ذى لسان مفصح وهو آخر من ،

الاولدية والسيلبي في الرمل حوافل : ملأى . (١) استغززه طلب ما فيه من مادة غزيرة .
 (٢) مرهف دقيق مرقق . ضني مرض مرضاً ملازماً حتى اشرف على الموت . (٣) الشوى
 الاطراف وجلة الرأس . (٤) الدرة اللين . روم عطوف (٥) الرقش جمع رقشاء وهي الحية

وقال « أبو الفتح البستي » :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم !

وقال أعرابي من بني الحرث بن كعب — يصف الشمس :

مُخَيَّاةٌ : أما إذا الليل جَنَّها فتعنى ، وأما بالتهار فتظهر^(١)
إذا انشق عنها ساطع الفجر ، وأنجلي دُجا الليل ، وانجباب الحجاب المستر^(٢) ،
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرق ثوبٌ معصر
تخلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يجلُ للعين البصيرة منظر
بلون ، كدروع الزعفران يشوبه شعاع تلالاً ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وأبيض منها اصفرارها وجالت كما جال المهيج المسهر^(٣)
وجللت الآفاق ضوءاً يُنيرها فخرٌ لها صدر الضحا يتسفر
ترى الظل يطوى حين تعلو ، ونارة تراه إذا مالت إلى الأرض يُنشر
وتدنفُ حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا غابت لمن يقبصر^(٤)
كما بدأت إذ أشرقت ، في مغيها تعود ، كما عاد الكبير المعمر
فأفنت قروناً ، وهي في ذلك لم تزل تموت ونحيا كل يوم وتُنشر^(٥)

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغروب البدر :

وكأنما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يجنح للغروب وما غرب
متحاربان : لَدَ مجنَّ صاعه من فضة ، ولذا مجنَّ من ذهب

المنقطة بسواد وياض والحميم القريب (١) جنها . سترها . (٢) انجباب انكشف (٣) المهيج للفرع (٤) دفنت الشمس دنت للغروب واصفرت (٥) تحيا

وقال ابن خفاجة الأندلسي يصف غروبها في نهر :

وقد ولّت الشمس مُحَنَّةٌ إلى الغرب تزوٍ بطرف كحيل^(١)

كأن سناها على نهره بقايا نجيع بسيف صقيل^(٢)

وقال ابن طاهر الكرخي :

أما ترى الأفق كيف قد ضرب السقيم عليه من مُزَنه قُبيا

وحاجبُ الشمس من رَفارِفها يُضرم فيها بنوره لها^(٣)

كأنه نضّة مُطرقة أطرافها قد تَطَوَّست ذهابا^(٤)

وقال ابن مكي :

كأن الشمس إذ غربت غريق هوى في البحر ، أو وافي مغلصا

فأتبعها الهلال على غروب بزورقه ، يريد لها خلاصا

وقال عبد العزيز القرطبي :

إني أرى شمس الأصيل عابلةً ترنّاد من نحو المغارب مغربا

مالت لتحجب شخصها فكأنها مدّت على الدنيا بساطاً مذهبا

وقال ابن الرومي :

وقد طفلت شمس الأصيل ونفضت على الجانب الغربي ورساً مذعذعا^(٥)

ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خدّاً على الأرض أضرا^(٦)

كما لحظت عوّاده عينٌ مُدنف توجّع من أوصابه ما توجعا^(٧)

(١) محنة مسرعة . تزوٍ تديم النظر . (٢) سناها ضوؤها والنجيع دم يضرب الى السواد
(٣) رفارِفها أطرافها وجوانبها (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة . وتطوست . تزيت (٥) طفلت
الشمس احمرت عند الغروب وتفضت ثرت . والورس نبات اصفر والمدنعع البدد الفرق
(٦) ذليلا (٧) الاوصاب والامراض

وقال ابن أفلح من قصيدة :

والشمس خافضة الجناح مُسِفَّةٌ
أو كالعروس بدت فأسدل دونها
وأبى الظلام على الضياء كما أبى
وقال معروف الرصافي :

نزلت نجر إلى الغروب ذيولا
تهتز بين يد المغيب ، كأنها
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة
غربت فأبقت كالشواظ عقيها
شفق يرُوع القلب شاحب لونه
رقت أعاليه وأسفله الذي
قال ابن المعتز يصف الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة
وكان الهلال نصف سوار
فخ بوسط السماء ملقى
أنظر إلى حسن هلال بدا
كمنجل قد صيغ من فضة
قد أثقلته سحولة من عنبر
والثريا كف تشير إليه
ينظر الصيد للنجوم
يهتك من أنواره الخندسا (٦)
يحصد من زهر الدجا نرجسا

(١) مسفة من أسف البائر إذا ذنا من الأرض في طيرانه. وحية رقطاء من الرقطة وهي سواد يشوبه نقط يابض أو عكسه (٢) الجساد الزعفران (٣) ذاهب العقل (٤) للمرار نبت طيب الريح (٥) الشواظ اللهب لا دخان فيه (٦) يهتك يمزق ومن هنا بمعنى الباء والخذس : الظلمة

يتلو الثريا كفأغر شَرِيرو يفتح فاه لا كل عُنُقود (١)
 في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدئ مثل وقف العاج (٢)
 وقال شاعر :

قلت لما هوت لمغربها الشمسُ ولاح الهلال للنظار
 أقرض الشرقُ ضده الغرب دينا رأ فأعطاه الرهن نصف سوار
 وقال ابن طباطبا :

وكانَّ الهلال لما تبدئ شطر طوق المرأة ذى التذهيب
 أو كقوس قد أحنيت أو كنؤي أو كنون في مُهَرَّق مكتوب (٣)
 وقال أبو عاصم البصري في الهلال والثريا والزهرة :

رأيت الهلال وقد حُلِّقَتْ نجومُ الثريا لكي تلحقه
 فشبهته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
 بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً فأرسل في إثره بنسقه
 وقال في اقتران الثريا بالهلال :

فإذا ما تقارنا قلت طوق من لجين قد علقت فيه دُرَّه
 وقال إبراهيم بن خفاجة في ذلك أيضاً :
 وابن الغزالة فوق النجم منعطف كما تأوَّد عُرْجون بعُنُقود (٤)
 وقال الطبراني :

فسكانه وكأنها في جنبه عُنُقودة في زورق من عَسْجَد

(١) فاجر : قاتم (٢) الحاق : مثلثة الميم آخر الشهر ؛ والوقف سوار من طاج (٣) النؤى
 لغير حول الحية يمنع السيل . المهرق : الصحيفة « مغرب »

وقال أبو الفضل الميكالي :

كأُكْرَة من فضة مجلّوة أوفى عليها صولجان من ذُعَبٍ
وقال شاعر :

وكانّ الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكابل (١)
كأنما النجم قُطِرَ صيغ من ورق معلق من هلال الأفق في أذن (٢)
وقال شرف الدين الحسين :

كانّ الهلال نزيل السماء وقد قارن الزهرة النيرة
سواراً لحساء من عسجد على قفله وضعت جواهره

وقال البدر البشتكي في الهلال والنجوم حوله :

ذُباله شمع عوّج الريح ضوؤها فطار لها بالقرب بعض شرار (٣)
وقال علي بن محمد الكاتب :

بدا مستديق الجانبين كأنه على الأفق الغربي مِخلَب طائر
ولاح لمسرى ليلتين كأنما تفرّق منه الغيم عن إثر حافر
وشمّر عنه الغيم ذيلاً كأنما تكشف منه عن جناح محلق (٤)
قال: والبدر كالملاك الأعلى وأنجمه جنوده ، ومباني قصره الفلك
وقال ابن المعتز :

وكانّ البدر لما لاح من تحت الثريا
ملك أقبل في التا ج يفتدى ويحيا

وقال في البدر مع الشمس :

حتى رأيت الشمس ته لو البدر في أفق السما

(١) التاج (٢) الورق. الفضة (٣). الذبالة الفتيلة (٤) حلق الطائر ارتفع في طيرانه واستدار

فكأنها وكأنه قد حان من خمر وما
والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
وقال السلامي

والبدر في أفق السما ١ كروضة فيها غدير
وقال الشريف العقيلي

والبدر في كبد السماء كوردة بيضاء تضحك في رياض بنفسج
وقد برز البدر المنير ووجهه كجام لجين فيه آثار عنبر (١)
سوادك من حيث تسمى هلا لا إلى حيث تكمل بدرأ منيراً
يقاب لثركية أسود تنزل منه يسيراً يسيراً
وقال سهل بن المرزبان

شبهت بدر سماءها لما دنت منه الثرى في قميص سُنْدَسِي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حيّاه بعض الزائرين بنرجس
وقال الواواء الدمشقي يصف البدر طالماً من خلال السحاب
والبدر أول ما بدا متلماً يُبدي الضياء لنا بنجد مُسْفَر (٢)
فكأنما هو خوذة من فضة قدرُكبت في هامة من عنبر (٣)
وقال احمد شوقي بك يصف أبا الهول ويناجيه

أبا الهول طال عليك العُصْرُ وبُلُغْتَ في الأرض أقصى العُمُرُ
فيا لِدَةَ الدَّهْرُ لا الدَّهْرُ شَبَّ بَ ولا أنت جاوزت حد الصَّغَرِ

(١) الجام اناء من فضة (٢) مضيء مشرق (٣) الخوذة المغفر « زرد ينسج على قدر الرأس » والهامة الرأس .

إِلَامَ رُكُوبِكَ مَتْنِ الرِّمَا
تَسَافِرُ مُنْتَقِلًا فِي الْقَرَوِ
أَيِّنْكَ عَهْدٌ وَبَيْنَ الْحَيَا
أَبَا الْهَوْلِ مَاذَا رِءَاءَ الْبَقَا
عَجِبْتُ لِلْقَمَانِ فِي حِرْصِهِ
وَشَكْوَى لِيَبِيدَ لَطُولُ الْحَيَا
وَلَوْ وَجَدْتُ فِيكَ يَا بَنَ الصِّفَا
فَانِ الْحَيَاةُ تَقِلُّ الْحَدِيدِ
أَبَا الْهَوْلِ مَا أَنْتَ فِي الْمُضَلَا
تَحَيَّرْتُ الْبَدْوُ مَاذَا تَكُونُ
فَكُنْتُ لَمْ صُورَةَ الْعَنْفَوَا
وَسِرُّكَ فِي حَجَبِهِ كَلَّمَا
وَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ رَأْسِ الرَّجَا
وَلَوْ صُورُوا مِنْ نَوَاحِي الطَّبَا
فَيَا رَبَّ وَجْهِ كَهَافِي النَّمِي
أَبَا الْهَوْلِ وَيَحْكَ لَا يُسْتَقَا
تَهَزَّاتِ دَهْرًا بِدِيكَ الصَّبَا
أَسَالِ الْبَيَاضَ وَسَلِّ السَّوَا
فَعُدْتُ كَأَنَّكَ ذُو الْمَجْبَسِي
كَأَنَّ الرِّمَالَ عَلَى جَانِبِي

لِ لَطَى الْأَصِيلِ وَجُوبِ السَّحَرِ
نِ فَأَيَّانَ تُلْقَى غُبَارَ السَّفَرِ
لِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُتَقَطَّرِ
ءِ إِذَا مَا تَطَاوَلَ — غَيْرُ الضُّجَرِ
عَلَى لِبْدِ وَالنُّسُورِ الْآخِرِ
ةِ وَلَوْ لَمْ تَطُلْ لَتَشَكَّى الْقَهْصَرِ
ةِ لَحَقْتُ بِصَانِعِكَ الْمُقَدَّرِ
دَ إِذَا لَبَسْتَهُ وَتَبَلَّى الْحَجَرِ
تِ لَقَدْ ضَلَّتِ السَّبِيلَ فِيكَ الْفِكْرِ
نُ وَضَلَّتْ بَوَادِي الظُّنُونِ الْخَضِرِ
نِ وَكُنْتُ مِثْلَ الْحَجَجِيِّ وَالْبَصَرِ
أَطَلْتُ عَلَيْهِ الظُّنُونِ اسْتَرِ
لِ عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظُّفْرِ
عِ تَوَالَّوْا عَلَيْكَ سَبَاعُ الصُّورِ
رِ تَشَابَهَ حَامِلُهُ وَالنَّمْرِ
لُ مَعَ الدَّهْرِ شَيْءٌ وَلَا يُحْتَقَرِ
حِ فَنَقَرَ عَيْنِيكَ فَيَا نَقَرَ
دِ وَأَوَّغَلَ مِيقَارَهُ فِي الْحُفْرِ
نِ قَطِيعَ الْقِيَامِ سَلِيبَ الْبَصَرِ
كَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشَرِ

كأنك فيها لواء القضا كأنك صاحب رمل يرى
 أبا الهول أنت نديم الزما بسطت ذراعيك من آدم
 تطل على عالم يستهلا فمبين إلى من بدا للوجوه
 فحدث فقد يهتدى بالحديد ألم تبل فرعون في عزه
 طليل الحضارة في الأولي يؤسس في الأرض للغابر
 وراعك مراع من خيل قبه جوارف بالنار تغزو البلا
 وأبصرت اسكندرا في الملا تبلج في مصر إكليله
 وشاهدت قيصر كيف استبد وكيف تجبر أعوانه
 وكيف ابتلوا بقليل العدي رمى تاج قيصر رمي الزجا
 فدع كل طاغية للزما رأيت الديانات في نظمها
 على الأرض أوديد بان القدر خبايا الغيوب خلال السطر
 ن نحى الأوان سدير العصر ووليت وجهك شطر الزهر
 ل وتوفي على عالم يحتضر د وأخرى مشيعة من غير
 ث وخبر فقد يؤتسى بالخبر إلى الشمس معتزياً والقمر
 ن رفيع البناء جليل الأثر ن ويفرس للآخرين الثمر
 يز ترمي سنابكها بالشمر د وآونة بالقنا المشجر
 قشيب العلاء في الشباب النضر فلم يعد في الملك عمر الزهر
 د وكيف أذل بمصر القصر وساقوا الخلائق سوق الحر
 د من الفاتحين كريم النفر ج وفل الجموع وثل السرر
 ن فان الزمان يُقيم الصعر وحين وهى سيلها وانتثر

تَشَادُّ البُيُوتَ لَهَا كَالْبُرُوجِ جَ إِذَا أَخَذَ الطَّرْفَ فِيهَا انْحَسَرَ
تَلَاقَى أَسَاسًا وَشَمَّ الْجِبَا لَ كَمَا تَتَلَقَّى أَصُولُ الشَّجَرِ
(وإيزيس) خَلْفَ مَقَاصِيرِهَا تَخْطِي الْمُلُوكَ إِلَيْهَا السُّتَرُ
تَقْضَى عَلَى صَفَحَاتِ السَّمَاءِ وَتَشْرُقُ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا الْحُجَرُ
وَأَيَّسَ فِي نِيرِهِ الْعَالَمُ نَ وَبَعْضَ الْعَقَائِدِ نِيرَ عَسَرِ
تُسَاسَ بِهِ مُعْضَلَاتُ الْأُمُورِ رَ وَيُرْجَى النِّعَمُ وَتُخْشَى سَقَرُ
وَلَا يَشْعُرُ الْقَوْمُ إِلَّا بِهِ وَلَوْ أَخَذْتَهُ الْمَدَى مَا شَعَرَ
يَقْلُ أَبُو الْمَسْكِ عِبْدًا لَهُ وَإِنْ صَاغَ أَحَدٌ فِيهِ الدُّرُورُ
وَأَنْتَ (مُوسَى) وَتَابُوتُهُ وَنُورُ الْعَصَا وَالْوَصَايَا الْفُرُورُ
وَعِيسَى يَلْمُ رِذَاءَ الْحَيَاةِ وَمَرْيَمُ تَجْمَعُ ذَيْلَ الْخَفَرِ
وَعَمْرُو يَسُوقُ بِمَصْرِ الصَّحَاةِ بَ وَيُزْجِي الْكِتَابَ وَيُحَدِّثُ السُّوَرِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ الْهَدَى وَالضَّلَالَاتِ لَ وَدُنْيَا الْمُلُوكِ وَأُخْرَى عُمُرِ
وَنَبَذَ الْمُتَوَقَّسُ عَهْدَ الْفُجُورِ رَ وَأَخَذَ الْمُتَوَقَّسُ عَهْدَ الْفَجْرِ
وَتَبَدَّلَهُ ظُلُمَاتِ الضَّلَالَةِ لَ بِصُبْحِ الْهِدَايَةِ لَمَّا سَفَرُ
وَتَأَلَّفَهُ الْقَبْطُ وَالْمُسْلِمِينَ نَ كَمَا أَتَفَّتْ بِالْوَلَاءِ الْأُسْرُ
أَبَا الْهَوْلِ لَوْ لَمْ تَكُنْ آيَةً لَ كَانَ وَقَاؤُكَ إِحْدَى الْعِمَرِ
أَطْلَتَ عَلَى الْهَرَمَيْنِ الْوُقُوفُ فَ كَثَاكَلَةٍ لَا تَرِيمُ الْخَفَرِ
تُرْجَى لِبَانِيهِمَا عَوْدَةٌ وَكَيْفَ يَعُودُ الزَّمِيمُ النَّخَرِ
تَجْبُوسُ بَعِينَ خِلَالَ الدَّيَا رَ وَتَرْمِي بِأُخْرَى فُضَاءَ النَّهْرِ
تَرُومُ (بِمَنْفِيسَ) بَيْضَ الظُّبَى وَسُرَّ الْقَنَا وَالْحَمِيسَ الدَّثِيرِ

ومهد العلوم الخطير الجلا ل وعهد الفنون الجليل الخطر
فلا تستبين سوى قرية أجد محاسنها ما اندثر
تكاد لاغراقها في الجو د إذا الأرض دارت بها لم تدر
فهل من يبلغ عنا الأصو ل بأن الفروع اقتدت بالسير
وأنا خطبنا حسان العلى وسقنا لها العالى المدخر
وأنا ركبنا غمار الأمو ر وأنا نزلنا الى المؤتمر
بكل مبين شديد اللدا د وكل أريب بعيد النظر
نطالب بالحق في أمة جرى دمها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
فلم يبق غيرك من لم يخف ولم يبق غيرك من لم يطر
تحرك أبا الهول هذا الزما ن تحرك ما فيه حتى الحجر

﴿ وقال أيضاً يصف مصر قديماً وحديثاً ﴾

قفي يا أخت (يوشع) خبرينا أحاديث القرون الغابرينا (١)
وقصص من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما فعلين
فذلك من روى الأخبار ظراً ومن نسب القبائل أجمعينا (٢)
نرى لك في السماء خضيب قرن ولا نحصى على الأرض الطعنا
مشيت على الشباب شواظ نار ودرت على المشيب رحي طحوتا
نعين الموالد والنسايا وتبين الحياة وتهدمينا
فيالك هرة أكلت بنينا وما ولدوا وتنتظر الجنينا

(١) الخطاب للشمس وقصة وقوفها للنبي صلى الله عليه وسلم معروضة (٢) نسب القبائل ذكر

أُمُّ الْمَالِكِينَ بَنَى (أُمُونِ) لِيَهْنِكَ أَنَّهُمْ نَزَعُوا (أُمُونَا) (١)
 وَلَدَتْ لَهُ (الْمَأْمِينِ) الدَّوَامِي، وَلَمْ تَلِدِي لَهُ قَطَّ (الْأَمِينَا) (٢)
 فَكَانُوا الشَّهْبَ حِينَ الْأَرْضُ لَيْلٌ وَحِينَ النَّاسِ جَدَّةٌ مُضِلَّةٌ لَنَا
 مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الْأَرْضِ (رُومًا) وَمِنْ أَنْوَارِهِمْ قَبَسَتْ (أَثِينَا)
 مُلُوكُ الدَّهْرِ بِالْوَادِي أَقَامُوا عَلَى (وَادِي الْمُلُوكِ) نُحِبِّبُنَا
 فَرُبَّ مُصَفَّدٍ مِنْهُمْ وَكَانَتْ تُسَاقُ لَهُ الْمُلُوكُ مُصَفَّدِينَ
 تَقَيَّدُ فِي التُّرَابِ بَغِيرِ قَيْدٍ وَحَلَّتْ عَلَى جَوَانِبِهِ رَهِينًا
 تَعَالَى اللَّهُ كَانَ السِّحْرُ فِيهِمْ أَلَيْسُوا لِلْحَجَارَةِ مُنْطَقِينَا
 غَدَاوًا يَدْنُونَ مَا يَبْقَى وَرَاحُوا وَرَاءَ الْآبَدَاتِ نُخَلِّدُنَا
 إِذَا عَمِدُوا لِمَاثِرَةٍ أَعَدُّوا لَهَا الْإِتْقَانَ وَالْخُلُقَ الْمُتِينَا
 وَلَيْسَ الْخُلْدُ مَرْتَبَةً تُلْقَى وَتُؤْخَذُ مِنْ شِفَاهِ الْجَاهِلِينَا
 وَلَكِنْ مُنْتَهَى هَمِّ كِبَارٍ إِذَا ذَهَبَتْ مَصَادِرُهَا بَقِينَا
 وَسِرُّ الْعَبَقَرِيَّةِ حِينَ يَسْرِي فَيَنْتَظِمُ الصَّنَائِعَ وَالْفُنُونَا
 وَأَنَارَ الرِّجَالِ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى التَّارِيخِ خَيْرَ الْحَاكِمِينَا
 وَأَخَذَكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءً وَتَرَكَكَ فِي مَسَامِعِهَا طَنِينَا

فَغَالَى فِي بَنِيكَ الصَّيْدَ غَالِي فَقَدْ حُبَّ الْغُلُوِّ إِلَى بَنِينَا
 فَشَيْبٌ قَنَعَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَبُورِكَ فِي الشَّبَابِ الطَّامِحِينَا
 فَجَاجِبِهِمْ بَعْرَشَ كَانِ صَنُوءًا لِعُرْشِكَ فِي شَبِيبَتِهِ سَدِينَا (٣)

(١) نزع إله أشبهه (٢) إشارة للخليفتين الأمين والأُمُون (٣) سنينك اندي من سنك

وكان العِزُّ رَحِيته وكانت قوائم الكَتَائِبِ والسفينة
وتاج من فرائده (ابن سبتي) ومن خرزاته (خوفو) (ومينا)^(١)
علا خدًا به صَعْرٌ وأنفًا ترفع في الحوادث أن يدينا
ولستُ بقاتل ظلموا وجاروا على الأجراء أو جلدوا القطينا^(٢)
فانا لم نُوقِ النقص حتى نطالبُ بالكمال الأولينا
وما (البستيل) إلا بنتُ أمسي ولم أكل الحديدُ بها سَجِينا^(٣)
وربةً يبعه عزت وطالت بناها الناسُ أمس مسخرينا^(٤)
مُشَيِّدة لساني العُمى (عيسى) ولم سَمَلِ القُسوسُ بها عِيونا

أخا (اللوردات) مثلك من تحلى بحلية آله المتطولين^(٥)
لك الأصل الذي نبتت عليه فروع المجد من (كرنارافونا)
ومالك لا يعدّ وكلّ مال سيقى أو سيفني المالكينا
وجدتَ مذاق كلّ تليدٍ مجد فكيف وجدت مجد الكسبين
نشرت صفائحًا فجزتك (مصر) صحائف سُود لا ينطوينا^(٦)
فان تك قد فتحت لها كنوزًا لقد فتحت لك الفتح المينا
فلا (قارون) فوق الأرض إلا تقي لو رضيت به قرينًا
سبيلُ الخلد كان عليك سهلا وعادته يكد السالكينا
رأيت تنكرا وسمعت عتبا فعنرا للفصّاب المحنقينا

(١) ابن سبتي رمسيس (٢) القطين الحديد (٣) البستيل سجن في باريس لم تحمل الارض
اشد منه هدمته الحرية سنة ١٧٨٩ (٤) البيعة الكنيسة (٥) المخاطب اللورد كارنارفون
مكتشف الكنوز (٦) الصفائح حجارة القبور

أَبَوْتَنَا وَأَعْظَمُهُمْ تُرَاثُ نَحَازِرُ أَنْ يُوَوَّلَ لآخِرِينَا
وَنَأْبَى أَنْ يَحُلَّ عَلَيْهِ ضَيْمٌ وَيَذْهَبَ نَهْبَةً لِنَاهِيْنَا
سَكَتَ فِخَامٍ حَوْلَكَ كُلَّ ظَنٍّ وَلَوْ سَرَّحْتَ لَمْ تُثِرِ الظَّنُونَا
يَقُولُ النَّاسُ فِي سِرِّ وَجْهِهِ وَمَا لَكَ حِيلَةً فِي الْمَرْجِفِينَا
أَمَرَ سَرَقَ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ حَىٌّ يَفْعَ عَنْ الْمُلُوكِ مَكْفِينَا



خَلِيلِيَّ اهْبِطَا الْوَادِي وَمِيلًا إِلَى غُرْفِ الشَّمُوسِ الْفَارِيشِنَا
وَسِيرَا فِي مَحَاجِرِهِمْ رُودَا وَطُوفَا بِالْمَضَاجِعِ خَاشِعِينَا
وُخْصَا بِالْعِمَارِ وَبِالتَّحَايَا رُفَاتِ الْمَجْدِ مِنْ (تَوْتَمَخِينَا) (١)
وَقَبْرَا كَادَ مِنْ حُسْنٍ وَطِيبٍ يَضِيءُ حِجَارَةً وَيَضُوعَ طِينَا
يُنْخَالُ لِرُوعَةِ التَّارِيخِ قُدَّتْ جَنَادِلُهُ الْعُلَى مِنْ (طُورِ سِينَا)
وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالْمُلْكِ يُدْعَى فَصَارَ يَلْقَبُ الْكَفْزَ الثَّمِينَا
فَتَمَّ جَلَالُهُ قَرَّتْ وَدَامَتْ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ الْأَرْبَعِينِ
جَلَالَ الْمَلِكِ أَيَّامٍ وَتَمَضَى وَلَا يَمُضِي جَلَالَ الْخَالِدِينِ
يُحِبُّونَ الْبَرْقَ بِاسْمِكَ كُلِّ سَهْلٍ وَيَخْتَرِقُ الْبَخَارُ بِهِ الْحَزُونَا
وَأَقْسَمَ كُنْتُ فِي (لُوزَانِ) شَغْلًا وَكُنْتُ عَجِيْبَةً الْمُتَفَاوِضِينَا
أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلَفُوا وَتَاهُوا وَصَدُّوا الْبَابَ عَنَّا مُوَصَّدِينَا
وَلَوْ كُنَّا نَجْرُ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ عَطْفًا وَلِينًا
سَيَقْضِي (كَرْزَنَ) بِالْأَمْرِ عَنَّا وَحَاجَاتِ (الْكِيَانَةِ) مَا قُضِينَا

تعالى اليوم خَيْرنا أكانت
وماذا جُبِت من ظلمات ليل
وهل تبقى النفوس إذا أقامت
وما تلك القباب وأين كانت
ممرّدة البناء نُحَال بُرجاً
تغطّي بالأثاث فكان قصراً
احملت العرش فيه فهل ترجى
وهل تلقى الميمن فوق عرش
وما بال الطعام يكاد يقدي
ولم تك أمس تصبرُ عنه يوماً
لقد كان الذي حذر الأوالي
يحبُّ المرء نبش أخيه حياً
سُلت من الحفائر قبل يوم
فان تُك عند بعث فيه شك
ولو لم يعصمك لكان خيراً
يضرّ أخو الحياة وليس شيء

نواك سِنات نَوْم أم سِنيناً
بعيد الصّبح يُنْضي المُدْجِينا
هياً كلها وتبلى اب بَلينا
وكيف أضلّ حافرُها القرونا
يطن الأرض مَحْطوطاً دفيناً
وبالصور العِناق فكان زُونا^(١)
وتأملُ دولة في الغابرينا
ويلقاه الملا مُترجّلينا
كما تركته أيدى الصّانِعيْنا^(٢)
فكيف صبرت أحقاباً مثينا
وخاف بنو زمانك أن يكونا
وينبشه ولو في الممالكينا
يسلّ من التراب الماسدينا
فان وراءه البعث اليقيننا
كفى بالموت مُعتصماً حصيننا
بضائره اذا تحب المنونا

زمان الفرد يا (فرعون) ولّى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرّعاة بكل أرض على حكم الرّعية نازلينا

(١) رامت أقامت (٢) اليهين المبارك (٣) الناظم لا يدين بالعلب ولكنه نظر في هذا التشبيه الى العقيدة المسيحية (٤) الزّور مرض الاصنام (٥) الطعام يقدي طابت رائحته

وقال أيضاً يصف مملكة النحل من قصيدة

مملكة	مدبره	بامرأة	مؤمره
نحل في العمال والص	صناع عيب السيطره	ن	عليهم قيصره
نحكمهم	راهبه	ذكارة	مفبره
عاقده	زقارها	عن ساقها مشوره	
تأثمت	بالأرجوا	ن	وارتده مؤثره
وارتفعت	كانها	شرارة	مطبره
ووقعت لم تختلج	كانها	مسمره	
مخلوقة	ضعيفة	من خلق مصوره	
يا ما أقل ملكها	وما أجل خطره		
كيف سائل النحل به	بأي عقل دبره		
يجبك بالأخلاق وه	ي كالعقول جوهره		
تغني قوى الأخلاق ما	تغني القوى المفكره		
ويرفع الله بها	من شاء حتى الحشره		
أليس في مملكة الن	نحل لقوم تبصره		
ملك بناء أهله	بهمة	ومجدره	
تقتل أو تنفي الكسأ	لى فيه غير منذره		
تحكم فيه قيصره	في قومها مؤمره		
من الرجال وقبو	د حكمهم محرره		

الملك للأناث في الدَّ
 أَنَّى ولكن في جنا
 ذائدة عن حوضها
 ما الملك الا في ذَرَا
 ابن الأمور همة
 مالكة عاملة
 وتذهب النحل خفا
 حوالب الشمع من
 جوالب الماذي من
 مشدودة جيوبها
 وكل خرطوم أذا
 وكل أنف قاني
 حتى اذا جاءت به
 وغيبته كالسلا
 فهل رأيت النحل عن
 ما اقترضت من بقله
 أدت الى الناس به
 دَسْتُور لا لِّلذِّكره
 حَيْهًا لِبَاةٌ مُخَذَّره
 طاردة من كدِّره
 الأولوية المنشرة
 لَيْسَ الْأُمُورُ ثَرْثَره
 مُصْلِحَةٌ مُعَمَّره
 فَآ وَتَجِيءُ مُوقِرَه
 خِثَالُ الْمُنُورَه
 زهر الرِّياض النِّيَره
 على الجَنِي مَرْزَره
 هُ الْعِسلُ الْمُقَطَّرَه
 فِيهِ مِنَ الشَّهْدِ يُرَدُّ
 جاست خلال الأدورَه
 ف في اللتان المحضره
 أمانة مُقَصَّره
 أَوْ اسْتَعَارَت زَهْرَه
 سُكْرَةٌ بِسُكْرَه

وللشريف الرضي في وصف السماء والارض والليل والبرق
 سَمَائِي مَذْهَبَةٌ بِالْبُرُوقِ وَأَرْضِي مُقَضَّضَةٌ بِالْجَبَابِ
 وَرَوْضِي مَطَارِفُهُ غَضَّةٌ تُطَرِّزُ أَطْرَافَهَا بِالْقَهَابِ

وَلَيْلٌ تَرَى الْفَجْرَ فِي عِطْفِهِ كَمَا شَابَ بَهْضُ جَنَاحِ الْغُرَابِ
يَغَارُ الظَّلَامُ عَلَى شَمْسِهِ إِلَى أَنْ يُوَارِيَهَا بِالْأَحْجَابِ
وَتَصْقَلُ النُّجُومُ الْعَاصِفَاتُ إِذَا صَدَرَتْ مِنْ عُمُودِ السَّحَابِ

﴿وقال البُحْتَرِيُّ يصف الغيث﴾

ذَاتُ ارْتِجَازٍ ^(١) بِحَيْنِ الرَّعْدِ مَجْرُورَةٌ الدَّيْلُ صَدُوقُ الْوَعْدِ
مَسْفُوحَةٌ الدَّمْعُ لِغَيْرِ وَجْدٍ لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ الْوَرْدِ
وَرَنَةٌ مِثْلُ زَيْبِ الْأَسَدِ وَلَمْ يَرْقِ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ
جَاءَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا مِنْ نَجْدٍ فَانْتَشَرَتْ مِثْلَ انْتِشَارِ الْعَقْدِ
فَرَاخَتْ الْأَرْضُ بِعَيْشِ رَعْدٍ مِنْ وَشْيِ أَنْوَارِ الزُّبَى فِي بُرْدِ
كَأَنَّمَا غُذِرَتْهَا فِي الْوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِالْعَرْدِ ^(٢)

﴿ومن قصيدة لصفي الدين الحلبي يصف فيها الربيع﴾

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَيَّ غُصُونُ الْبَانِ حُلَلًا فَوَاضِلَهَا عَلَيَّ الْكُثْبَانِ
وَنَمَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ حَتَّى صَاخَتْ كَفَلَ الْكُثِيبِ ذَوَائِبُ الْأَغْصَانِ
وَتَنَوَّجَتْ هَامُ الْعُصُونِ وَضَرَجَتْ خَدَّ الرِّيَاضِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
وَتَنَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّيَاضِ فَرَاهَا مُتَبَايِنُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
مِنْ أَيْضٍ يَقِي وَأَصْفَرَّ فَاقِعِ أَوْ أَزْرَقَ صَافٍ وَأَحْمَرَ قَانِ
وَالظِّلُّ يُسْرِعُ فِي الْخَمَائِلِ خَطْوَهُ وَالْفُصْنُ يَخْطُرُ خِطْرَةَ النَّشْوَانِ
وَكَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ سُوقُ رَوَاقِصٍ قَدْ قُبِدَتْ بِسِلَاسِلِ الرِّيحَانِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ الْحَدَائِقِ نِظْرَةَ الْغَيْرَانِ

(١) من ارتجيز الرعد اذا دمد (٢) الرد لعبة تعرف عند العامة بلمب « الطاولة »

وَالْأَرْضُ تَعْجَبُ كَيْفَ تَضْحَكُ وَالْحَيَا
حَتَّى إِذَا أَفْرَتُ مَبَايِمُ زَهْرَهَا
يَسْكِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ أَلْهَمَلَانِ
وَبَكَى السَّحَابُ بِدَمْعٍ هَتَانِ
طَفَحَ الشَّرُّورُ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ
مِنْ عَظَمٍ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
فَاصْرِفْ هُمُوكَ بِالرَّبِيعِ وَفَصْلِهِ
إِنْ الرَّبِيعُ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي

﴿وله من قصيدة في وصف واد﴾

تَعَانَتِ الْأَغْصَانُ فِيهِ فَأَسْبَلَتْ
إِذَا مَا حِبَالُ الشَّمْسِ مِنْهَا تَخْلَصَتْ
عَلَى الرُّوضِ اسْتَارَ مِنْ أَلْوَرَقِ الْخُضْرِ
إِلَى رَوْضِهِ أَلْقَتْ شِرَا كَأَنَّ التَّيْدَ

﴿ومن قول أبي الفتح كشاجم في وصف الجريعا له الرماد﴾

كَأَنَّمَا الْجَمْرُ وَالرَّمَادُ وَقَدْ
وَزَدَ جَنَى الْقِطَافِ أَحْمَرُ قَدْ
كَأَدَّ يُوَارِي مِنْ نَارِهِ النُّورَا
ذَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ كَافُورَا

﴿ومن قصيدة لابی الفرج عبد الواحد البغاف في وصف جيش﴾

قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْجِيَادِ عَوَابِسَا
فِي جَحْفَلٍ كَالسَّيْلِ أَوْ كَاللَّيْلِ أَوْ
شُعْنَا (١) وَلَوْلَا بَاسُهُ لَمْ تَقْدِرْ
كَالْقَطْرِ صَافِحَ مَوْجٍ بِحْرِ مَزِيدٍ
رَدَّ الظَّلَامَ عَلَى الضُّحَى فَاسْتَرْجَعَ م
الْإِظْلَامَ مِنْ لَيْلِ الْعَبَاجِ الْأَرْبَدِ (٢)
وَكَأَنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِهِ
لِلنَّاطِرِينَ أَهْلَةً فِي جِلْمَدٍ
وَكَانَ طَرَفُ الشَّمْسِ مَطْرُوفٍ وَقَدْ
جُمِلَ الْغُبَارُ لَهُ مَكَانَ الْأَيْمِدِ

﴿ولابی فرج الغساني في وصف البدر﴾

وَالْبَدْرُ أَوَّلُ مَا بَدَأَ مُتَلَثِّمًا
فَكَأَنَّمَا هُوَ خُوْدَةٌ (٢) مِنْ فِضَّةٍ
يُبْدِي الضِّيَاءَ أَنَا بِحْدَ مُسْفَرٍ
قَدْ رُكِبَتْ فِي هَامَةٍ مِنْ عَنَبٍ

(١) الاسود (٢) الخوذة النفر وهو زرد ينسج من الدرع على قدر يلبس تحت القلنسوة

﴿وله من قصيدة في وصف روضة﴾

مداهنُ يَحْمَانُ طَلَّ^(١) الندى فها تيكَ تيرُهُ وهذى عَقِيقُ
تنظُمُ أَوْرَاقَهَا دُرَّهَا وتَنثُرُ مِنْهَا الَّتِي لَا نَطِيقُ
يَمِيلُ النسيمُ بِأَغْصَانِهَا فبعضُ نَشَاوِي وَبعضُ مُفِيقُ
ويومٍ سِتَارُهُ غَيْمُهُ وَقَدْ طَرَزَتْ رِفْرِيفُهَا الْبُرُوقُ
جعلْنَا البُخُورَ دُخَانًا لَهُ ومن شرر الراحِ فِيهِ حَرِيقُ
تَظَلُّ بِهِ الشَّمْسُ مَحْجُوبَةً كَأَنَّ اصْطِبَاحَكَ فِيهِ غُبُوقُ
على شَجَرَاتٍ رَافِعَاتِ الدُّيُولِ لِمَاءِ الْجَدَاوِلِ مِنْهَا شَهِيقُ

﴿ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض﴾

أَسْفَرَ عَنِ بَهْجَتِهِ الرُّوضُ الْأَغْرَ وَابْتَسَمَ الدَّوْحُ لَنَا عَنِ الزَّهَرِ
أَبْدَى لَنَا فَصْلُ الرَّبِيعِ مَنَظَرًا يَمِيلُ تَفْتَنُ الْبَابُ الْبَشْرِ
وَشَيْئًا وَلَكِنْ حَاكُهُ صَانِعُهُ لَا لِابْتِدَالِ الْبَشْرِ لَكِنْ لِلنَّظَرِ
عَايَنُهُ طَرْفُ السَّمَاءِ فَأَنْشَى عَشَقًا لَهُ يَبْكِي بِأَجْفَانِ الْمَطَرِ
فَالْأَرْضُ فِي زِي عَرُوسٍ فَوْقَهَا مِنْ أَدْمَعِ الْقَطْرِ نَشَارٌ مِنْ دُرِّ
وَشَيْءٌ طَوَاهُ فِي الثَّرَى صَوَاةُ^(٢) حَتَّى إِذَا مَلَّ مِنَ الطِّيِّ انْتَشَرُ

﴿وله من قصيدة في وصف الربيع﴾

أَنْظُرْ إِلَى زَهْرِ الرَّبِيعِ وَمَا جَلَتْ فِيهِ عَلَيْكَ طَرَائِفُ الْأَنْوَارِ
أَبَدَتْ لَنَا الْأَمْطَارُ فِيهِ بَدَائِعًا شَهِدَتْ بِحِكْمَةِ مُزَلِّ الْأَمْطَارِ
مَا شِئَتْ لِلْأَزْهَارِ فِي صَحْرَائِهِ مِنْ دِرْهَمٍ بَهِيجٍ وَمِنْ دِينَارِ

(١) الطل المطر الضعيف (٢) الصوان الوطاء الذي يسان فيه الشيء

وجواهر لو لا تغتبر حُسْنُهَا جَلَّتْ عَنِ الْأَنْمَانِ وَالْأَخْطَارِ ^(١)
 ﴿وله أيضاً في وصفه﴾

أَلَسْتُ تَرَى وَشَى الرَّبِيعِ الْمُنْعَمَا	وما رَصَعَ الرَّبِيعُ ^(٢) فِيهِ وَنَظْمَا
فَقَدْ حَكَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِنُورِهَا	فَلَمْ أَدْرِ فِي التَّشْبِيهِ أَيُّهُمَا السَّمَاءُ
فَخَضَرَتْهَا كَالْجَوْ فِي حُسْنِ لَوْنِهِ	وَأَنْوَارُهَا تَحْكِي أَعْيُنِيكَ أَنْجَمًا
فَمِنْ نَرَجِسٍ لَمَّا رَأَى حُسْنَ تَقْشِيرِهِ	تَدَاخَلَهُ عَجَبٌ بِهِ فَتَبَسَّسَمَا
وَأَبْدَى عَلَى الْوَرْدِ الْجَنَى تَطَاوُلًا	فَأَظْهَرَ غَيْظَ الْوَرْدِ فِي خَدِّهِ دَمًا
وَلَمْ يَهْرُ شَقِيقِي نَازِعَ الْوَرْدِ فَضْلَهُ	فَزَادَ عَلَيْهِ الْوَرْدُ فَضْلًا وَقَدَّمَ
وَوَظَلَ الْفَرْطُ الْحَزْنَ يَلْطِمُ خَدَّهُ	فَأَظْهَرَ فِيهِ اللَّطَمُ جُحْرًا مُضْرَمًا
وَمِنْ سَوْسَنِ لَمَّا رَأَى الصَّبْغَ كَأَنَّ	عَلَى كُلِّ أَنْوَارِ الرِّيَاضِ تَقْسِمًا
تَجَلْبَبُ مِنْ زُرْقِ الْيَوَاقِيتِ حُلَّةً	فَأَغْرَبَ ^(٣) فِي الْمَلْبُوسِ مِنْهُ وَأَحْكَمَا
وَأَنْوَارُ مَشُورٍ تَخَالَفَ شَكْلُهَا	فَصَارَ بِهَا شَكْلُ الرَّبِيعِ مُتَمَمًا
جَوَاهِرُ لَوْ قَدْ طَالَ فِينَا بَقَاؤُهَا	رَأَيْتُ بِهَا كُلَّ الْمُلُوكِ مَخْتَمًا

﴿وللقاضي محمد بن النعمان في وصف الهلال﴾

أَنْظُرْ إِلَى حُسْنِ ذَا الْهَلَالِ وَقَدْ	بَدَأَ إِسِيَّتَ مَضِينٍ مِنْ عُمْرِهِ
وَقَدْ أَطَافَتْ بِهِ كَوَاكِبُهُ	حُسْنًا فَيَنْتَنُهُ لِمَعْتَبَرِهِ
مِثْلَ زِنَادٍ ^(٤) قَدْ صَيَّغَ مِنْ ذَهَبٍ	يَقْدَحُ نَارًا وَهْنٌ مِنْ شَرِّهِ
ثُمَّ تَوَلَّى يُرِيدُ مَغْرِبَهُ	فِي شَفَقِ ^(٥) الشَّمْسِ وَهْنٌ فِي أَثَرِهِ

(١) جمع خطر وهو المثل والمديل في الملو (٢) الربيع نسبة إلى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع (٣) اغرب أي يضيء غريب (٤) الزناد جمع زند (٥) الشفق الحمرة في الاقنى من الغروب إلى قريب من العتمة

فخلت غائصاً ببحر دم يقذف بالرائعات من درره
فلم أزل ليأتي أراجعه لحظي وأبكي للوقت من قصره
حتى تبدى الصباح منتهياً قبل انتباه المخور من سكره

﴿ ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصبي في وصف شمعۃ ﴾

وَمَجْدُولَةٌ مِثْلُ صَدْرِ الْقَنَا تَعَرَّتْ وَبَاطِنُهَا مُكْتَسِي
لَهَا مُقَلَّةٌ هِيَ رُوحُ لَهَا وَتَاجٌ عَلَى الرَّاسِ كَالْبُرْسِ
إِذَا رَنَقَتْ ^(١) لِنُعَاسٍ عَرَا وَقُطِعَتْ مِنَ الرَّاسِ لَمْ تَنْقَسِ
وَإِنْ غَاظَلَتْهَا الْعَبَا حَرَكَتْ لِسَانًا مِنَ الذَّهَبِ أَلْمَاسِ
وَتُنْتَجِجُ فِي وَاقْتِ تَلْقِيحِهَا ضِيَاءٌ يُجَلِّي دُجِي الْجِنْدِ
فَنَحْنُ مِنَ النُّورِ فِي أَسْعَدِ وَتِلْكَ مِنَ النَّارِ فِي أَنْحَسِ
تَوَقَّدَهَا نَزْهَةً لِلْعِيُو نِي وَرُؤْيُهَا مُنِيَّةُ الْآنَفِ
تَكِيدُ الظَّلَامَ كَمَا كَادَهَا فَتَفْنِي وَتُفْنِيهِ فِي تَجْلِسِ
فَيَأْخُذُ حَامِلَ الْعُودِ حُتَّ الْغِنَا وَيَأْخُذُ الْكَأْسَ لَا تَحْبَسِ
وَيَأْصِلُ ^(٢) أَنْعَمَ وَعَيْشَ سَالِمًا عَلَى الدَّهْرِ فِي عَزِّكَ الْأَقْسِ ^(٣)

﴿ ولأبي الحسن العقبلي في وصف الصبح والبرق ﴾

الصُّبْحُ يَنْشُرُ فَوْقَ مِسْكَ اللَّيْلِ كَافُورَ الضِّيَاءِ
وَالْبَرْقُ يَذْهَبُ مَا تَفِضُضُهُ الْغُيُومُ مِنَ السَّمَاءِ
فَأَشْرَبَ عَلَى دِيْبَاجِ نَبْتٍ قَدْ أَحَاطَ بِشَرْبِ مَا ^(١)
فَأَلْعَيْشُ فِي زَمَنِ الرَّيْسِ رَقِيقُ حَاشِيَةِ الرِّدَا ^(٢)

(١) كدرت (٢) اسم المدوح (٣) الثابت المنيع (٤) الشرب المورد

﴿ وله أيضاً في وصف نارنجة ﴾

وَنَارِنْجَةٌ^(١) بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظَرَتْهَا عَلَى غُصْنٍ رَطْبٍ كَقَامَةِ أَغْيَدٍ
إِذَا مِيلَتْهَا الرِّيحُ مَالَتْ كَأُكْرَةٍ بَدَتْ ذَهَابًا فِي صَوْبِ لُجَانِ زُرْجٍ

﴿ ولا بن أبي عمرو الطرازي في وصف نار ﴾

نَارٌ جَرَتْ فِي غَايَةِ تَرْمِيِ الْعُلَى بِالشَّهْبِ
كَأَنَّهَا جَيْشٌ وَغَى فُرْسَانُهُ مِنْ ذَهَبٍ

﴿ ولعلي بن لؤاؤ الكاتب في وصف الصبح والليل ﴾

رُبَّ صُبْحٍ كَطَلْعَةِ الْوَصْلِ جَلَى جَنَحَ لَيْلٍ كَطَلْعَةِ الْهَجْرَانِ
زَارٍ فِي حُلَّةِ الْبُرْزَةِ فَوَلَّى الْلَيْسَلُ عَنْهُ فِي حُلَّةِ الْغُرْبَانِ

﴿ ولا بن العباس الكندي في وصف الندى على البحر ﴾

كَأَنَّ النَّدَى فِي الْبَحْرِ بَحْرَانِ مَائِعٌ عَلَى مَائِعٍ هَذَا عَلَى ذَاكَ مُطْبِقُ
فَهَذَا لِحَيْنٍ سَاحِجٌ مُتَرَفِّقُ^(٢) وَذَاكَ لِحَيْنٍ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقُ
إِذَا أَبْصَرَتْهُ الشَّمْسُ بَعْدَ احْتِجَابِهَا بِهِ سَاعَةً أَبْصَرَتْهُ يَتَمَرِّقُ

﴿ والاسري بن احمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة ﴾

وَرَكَائِبٍ يَخْرُجْنَ مِنْ غَالِسِ الدُّجَى مِثْلَ السَّهَامِ مَرْقَنُ^(٣) مِنْهُ مَرُوقَا
وَالْفَجْرُ مَصْقُولُ الرَّدَاءِ كَأَنَّهُ جَلْبَابُ خَوْدٍ أَشْرَبَتْهُ خُلُوقَا^(٤)

﴿ وله من أخرى في وصف سحابة ﴾

وَبَكْرٍ إِذَا جَنَّبَتْهَا الْجَنُوبُ حَسِبْتَ الْعِشَارَ تَوْءُمَ الْإِشَارَا^(٥)

(١) النارنجة واحدة النارنج وهو شجرة روقها املس ليس بشديد الحفزة يحمل حملاً مدوراً في جوفه حامض كحامض الانرج وورده ابيض نهاية من طيب الرائحة (٢) متلايه (٣) خرجن وتغدن من الحجاب الآخر (٤) الخود المرأة الحسناء الخلق الشابة والخلق ضرب من الطيب مائع (٥) البكر السحابة العززة وجنبها دفعتها والعشار النوق

ترى البرق يسيماً مبرراً بها إذا انتحب الرعدُ فيها جهارا
يُمارضُها في الهوائِ النَّسِيمُ يَمُفِنْثِرُ في الأرضِ دُرّاً صِغارا
فطوراً يشقُّ جُيُوبَ الحيا وطوراً يسحُّ الدُّمُوعَ الغزارا
﴿وله من أخرى﴾

غيومٌ تمسكُ أفقَ السَّما وبرقٌ يكتبُهُ بالذهب
وخضر لا ينثرُ فيها الندى^(١) فريدندى^(٢) ماله من ثقب
فأوراقها مثلُ نظمِ الحلي وأنهارها مثلُ نِيضِ القصب
حلتُ بها مع ندامي سلوا عن الجدِّ واشتهروا بالآعب
وأغنتهم عن بديعِ السما ع بدائعِ ماضتِهُ السكتب
وأحسنُ شئٍ ربيعُ الحيا أضيفُ إليه ربيعُ الأدب

﴿ولابي بكر الخالدي في وصف الجو واديار الليل وقبال الفجر﴾

والجو يسحب من عليل هوائه ثوباً يجود بطله المتفرق
حتى رأينا الليل قوس ظهره هراً وأثر فيه شيب المفرق
وكان ضوء الفجر في باقي الدجى سيفٌ حلاه من اللجين المحرق

﴿واسعيد بن هاشم الخالدي في وصف المطر والصبح والليل والبرق﴾

أما ترى الطلل كيف يلَمَعُ في عيون نوري تدعو إلى الطرب
في كلِّ عينٍ للطللِ لؤلؤةٌ كدُمعةٍ في جفونٍ منتحِبِ
والصبح قد جرَدَتِ صوارمه والليل قد همَّ منه بالهرب
والجُو في حلةٍ ممسكةٍ قد كتبتَها البروقُ بالذهب

(١) السكّال (٣) الندى ما سقط في آخر الليل . والفريد الجوهر النفيس والدر

﴿ولهلبي الوزير في وصف الربيع﴾

الوردُ بينَ مُضْمَخٍ وَمُضْرَجٍ ^(١) وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُكَلَّلٍ وَمُنَوَّجٍ
وَاللَّجُّ تَهْبِطُ كَالنَّارِ قَمِيمًا نَلَمَدَ بَابِنَةَ كَرَمَةٍ لَمْ تَمُزَّجِ
طَلَعَ الْبَهَارُ وَلَا حَ نَوْرُ شَقَائِقِ وَبَدَتْ سَطُورُ الْوَرْدِ تَلَوَّ بِنَفْسِجِ
فَكَانَ يَوْمُكَ فِي غِلَالَةٍ ^(٢) فِضَّةٍ وَالنَّبْتُ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى فَيْرُوزِجٍ ^(٣)

﴿وللقاضي التنوخي أبي القاسم علي في وصف طول الليل والفجر﴾

وَلَيْلَةٌ مُشْتَاقٌ كَأَنَّ نَجُومَهَا قَدْ اغْتَضَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى وَهِيَ نَوْمٌ
كَأَنَّ عَيْنُونَ السَّاهِرِينَ لَطَوَّاهَا إِذَا شَخَصَتْ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرُ أَنْجَمٌ
كَانَ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَا حَكٌ يُلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

﴿وله أيضاً في وصف وحشة الليل والنجوم والسماء﴾

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ كَصُدُودٍ وَفِرَاقَ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مَوْحَشٍ كَالْتَقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَانَ النُّجُومُ بَيْنَ دُجَاهُ سُنَنٌ لَاحَ يَنْهَنُ ابْتِدَاعُ
وَكَانَ السَّمَاءُ خَيْمَةً وَشَيْ وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شِرَاعُ

﴿وله أيضاً في وصف رياض﴾

وَرِ يَاضٍ حَاكَتْ لَهَا الثَّرِيَا حُلَالًا كَانَ غَزَلُهَا لِلرُّعُودِ
نَدَّرَ الْغَيْثُ دُرَّ دَمْعٍ عَلَيْهَا فَتَحَلَّتْ بِمِثْلِ دُرِّ الْعُقُودِ
أَقْحَوَانٌ مُعَانِقٌ لِشَقِيقِ كَنْغُورٍ تَعُضُّ وَرَدَ الْخُدُودِ

(١) مضخه بالطيب لطخه به حتى كاد يقطر . وضرجه صبغه بالحمرة (٢) الغلالة شعار يلبس

تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً (٣) الفيروزج حجر كريم

وَعَيُونٌ مِنْ رِزْجٍ تَتَرَاءَى كَعَيُونُ مَوْصُوْلَةٍ التَّسْمِيْدِ
وَكَانَ الشَّقِيْقَ رَحِيْنَ تَبَدَّى ظُلْمَةُ الصَّدْعِ فِي خَدُوْدِ الْعَيْدِ
وَكَانَ النَّدَى عَايَهَا دُمُوعٌ فِي جَفُونٍ مَفْجُوْعَةٍ بِقَمِيْدِ

✽ وكتب محمد بن عبد الله السلامي الى صديق له يصف النارنج ✽

اَتَشْطُ لِلصَّبُوحِ اَبَا عَلِيٍّ عَلَى حُكْمِ الْمُنَى وَرَضَى الصَّدِيقِ
بَنَهْرٍ لِلرِّيَّاحِ عَلَيْهِ دِرْعٌ تَذْهَبُ بِالْغُرُوبِ وَبِالشَّرُوقِ
اِذَا اَصْفَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ صَبَّتْ عَلَى اَمْوَاجِهِ مَاءُ الْخُلُوقِ (١)
وَجَزَّ شَبٌّ فِي الْاَغْصَانِ حَتَّى اَضَاعَ الْمَاءُ فِي وَهَجِ الْحَرِيقِ
فَدَهَمُ الْخَيْلِ فِي مَيْدَانِ تَبْرِ يُصَاغُ لَهَا كُرَاتٌ مِنْ عَقِيْقِ

✽ وكتب اليه في وصف نهر حوله اشجار الجَلَنَارِ (٢) ✽

وَنَهْرٍ تَمْرُحُ الْاَمْوَاجُ فِيهِ مِرَاحُ الْخَيْلِ فِي رَهَجِ (٣) الْغُبَارِ
اِذَا اَصْفَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ خَانَا نَمِيرَ الْمَاءِ يُمَزَّجُ بِالْهَقَارِ (٤)
كَأَنَّ الْمَاءَ اَرْضٌ مِنْ اُجَيْنِ مُغْشَاةٌ صَفَاحٍ مِنْ نَضَارِ
وَأَشْجَارٌ مُحْمَلَةٌ كُؤُوسًا تَضَاحِكُ فِي احْمِرَارٍ وَاخْضِرَارِ
اِذَا اَبْصُرْتَ فِي نَهْرٍ مِمَّا وَهَبْنَ اَهْ نَجْمُ الْجَلَنَارِ

✽ وله من قصيدة في وصف الرياض والبرق ✽

نَسَبُ الرِّيَاضِ اِلَى الْعَمَامِ شَرِيفٌ وَمَحَلُّهَا عِنْدَ النَّسِيمِ اَطِيفٌ
فَاشْرَبْ وَثَقُلْ وَزَنْ جَالِكَ (٥) اِنَّهُ يَوْمٌ عَلَى قَلْبِ الزَّمَانِ خَفِيفٌ

(١) الخلق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان اعظم اجزائه من الزعفران (٢) زهر
الزمان (٣) ما اثير من الغبار (٤) الحر (٥) الجام انه من فضة

اوما ترى طُرُر^(١) البُرُوق توسّطت أَوْقَا كَانَ المَزَن^(٢) فِيهِ شَفُوف^(٣)
واليومُ من خَجَلِ الشَّقِيقِ مُضْمَرَجٌ خَجَلٌ ومن مرضِ النَسِيمِ ضَعِيفٌ
وَالْأَرْضُ طَرَسٌ وَالرِّيَاضُ سُطُورُهُ وَالزَّهْرُ شَكْلٌ بَيْنَهَا وَحُرُوفُ

❦ ولأحمد صبي الدين بن صالح بن أبي الرجال يصف بها روضة صنعاء ❦

رَوْضَةٌ قَدْ صَبَا لَهَا السَّعْدُ شَوْقًا وَصَفَا لَيْلُهَا وَطَابَ الْمَقِيلُ
جَوْهَا سَجَسَجٌ وَفِيهَا نَسِيمٌ كُلُّ غُصْنٍ إِلَى لِقَاءِ يَمِيلُ
صَحَّ سَكْنُهَا جَمِيعًا مِنَ الدَّاءِ وَجَسَمُ النَسِيمِ فِيهَا عَلِيلُ
إِيهِ يَا مَاءَ نَهْرِهَا الْعَذْبَ صَلَاحُ حَبْدًا يَا زُلَّالُ مِنْكَ الصَّلِيلُ
إِيهِ يَا وَرْقَهَا الْمُرْنَةَ غَفَى نَفْسَا النُّفُوسِ مِنْكَ الْهَدِيلُ
رَوْضُ صَنْعَاءُ فَتَتْ طَبْعًا وَوَصَفًا فَكَثِيرُ الثَّنَاءِ فِيكَ قَلِيلُ
نَهْرٌ دَافِقٌ وَجَوْهُ فَتِيقٌ زَهْرٌ قَاتِقٌ وَغُلٌّ ظَلِيلُ
لَسْتُ أَنْسَى انْتِعَاشَ شُحُورِ غُصْنٍ طَرَبًا وَالْقَضِيبُ مِنْهُ يَمِيلُ
وَعَلَى رَأْسِ دَوْحَةٍ خَاطِبُ الْوُرُ قِ وَدَمْعُ الْغُصُونِ طَلًّا يَسِيلُ
وَأَسَانُ الرُّعُودِ يَهْتِفُ بِالسَّحَابِ مَبِ فَكَانَ الْخَفِيفُ مِنْهَا الثَّقِيلُ
وَقَمُّ الشَّجَبِ بِأَسِيمٍ عَنِ بُرُوقِ مُسْتَطِيرٌ شِعَاءُهَا مُسْتَطِيلُ

❦ ولابن سكرة الهاشمي في وصف روضة ❦

أَمَا تَرَى الرُّوزَةَ قَدْ نَوَّرَتْ وَظَاهَرَ الرُّوزَةَ قَدْ أَعْشَبَا
كَأَنَّهَا الْأَرْضُ سَمَاءًا لَنَا نَقِطُفٌ مِنْهَا كَوَكِبَا كَوَكِبَا

(١) الطرر جمع طرة وهي علم الثوب وطراره (٢) السحاب (٣) جمع شف وهو الثوب الرقيق

﴿ ومن زهرة لابن الراجح الحلبي ﴾

نثرت عقود سماها النداء بيد النسيم فللنرى إثراء
وبدت تباشير الزبيع كأنما نشرت مطارف وشيها صنعا (١)
والأرض قد رُهِيت بحلى نباتها والجو حلة سحبه دكناه (٢)
والرؤى في نشوات مكرته وقد طافت عليه الديمة الوطفاء
وثنى الحيا عطف الغدير فصنعت أطرافه وتغنت الورقاء
فكان أعطاف الغصون منابر والورق في أوراقها خطباء

﴿ ومن زهرة لبدر الدين الذهبي ﴾

ترنح عطف البان في الحلال الخضر وغنى بالحن على عوده القمري (٣)
ورافت أزاهير الحدائق بالضحي نواظر أحداق بنوارها النضر (٤)
وأشرق خدّ الوردي يبدى نضاره وأشرق جلد الفصن في لؤلؤ القطر
وبات سقيط الطل في كل روضة وبات سقيط الطل في كل روضة
وما ذهبت شمس لأصيل عشيّة إلى الغرب حتى أذهبت فيضة التهر
وغنت قيان الطير في كل أيكّة وقد راق كحل الطل في مقل العدر
أقامت لها دوح الأراك أرائكا وأرخت لها أوراق أستارها الخضر
وأسمى أصيل اليوم ملقى من الضحى على فرش الأزهار في آخر العمر
بكته حمامات الأراك وشقت فكم من نحيب الحمام بالضحي
فكم من نحيب الحمام بالضحي عليه وللأنواء من دمة تجرى

(١) صنعا قصبه بلاد اليمن (٢) الدكناه الغارب لونها الى السواد (٣) ضرب من الحمام
(٤) اصله بكسر الميم وتسكينها لفرورة

﴿ولعلي بن احمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث﴾
 زَرَّ الصَّبَاحَ عَلَيْنَا شَمْلَةَ السَّحَبِ ^(١) وَمَدَّتِ الرِّيحُ مِنْهَا وَاهِيَّ الطُّنْبِ
 صَهَكَ النَّسِيمُ فِرَاحَ الْغَيْثِ فَأَنْزَعَجَتْ يَنْفُضُنَ أَجْنَحَهُ مِنْ عَنَبِ الزُّغْبِ ^(٢)

﴿ولابي معمر بن أبي سعيد الاسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج﴾
 فَرَحْنَا وَقَدْ بَاتَ السَّمَاءُ مَعَ الثَّرَى وَغَابَ أَدِيمُ الْأَرْضِ عَنَّا فَمَا يُرَى
 كَأَنَّ غَيُومَ الْجَوِّ صُورُغُ فِضَّةٍ تَوَاصَوْا بِرَدِّ الْحُلِيِّ عَمْدًا إِلَى الْوَرَى
 ﴿ولابي العلاء السروى في وصف روض﴾

مَرَرْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي قَدْ تَبَسَّمتْ ذُرَاهُ وَأَوْدَاجُ السَّحَابِ تُسْفِكُ ^(٣)
 فَلَمْ نَرِ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنَ الرَّوْضِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ
 ﴿وله أيضًا في وصفه من قصيدة﴾

أَمَّا تَرَى قَضَبَ الْأَشْجَارِ قَدْ لَبَسَتْ أَنْوَارَهَا تَلْتَقِي بَيْنَ جُلَاسٍ
 مَنَظُومَةً كَسُمُوطِ الدَّرِّ لَا بَسَةَ حَسَنًا يُبَيِّحُ دَمَ الثَّنَقُورِ لِلْحَامِي ^(٤)
 وَغَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الطَّيْرِ سَاجِعَةً عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ وَرْدٍ وَمِنْ آسٍ

(ولابي الفياض سعد بن احمد الطبري من قصيدة في وصف رياض)

أَصْبِيحَةَ النَّيْرُوزِ خَيْرَ صَبِيحَةٍ حَيَّتْ بِهَا الْأَنْوَاءُ وَالْأَنْوَارُ
 فَبِكَلِّهِ شَعْبٌ رَوْضَةً وَمِطَارٌ تَفْتَرُّ عَنْهَا دِيمَةٌ مَذَرَارُ
 مَاسَتْ بِهَا الْأَفْنَانُ فِي أَسْحَارِهَا نَشَوَى فَمَا سَتْ تَحْتَهَا الْأَشْجَارُ
 وَتَبَرَّجَتْ أَزْهَارُهَا وَتَبَلَّجَتْ فَكَأَنَّمَا أَزْهَارُهَا أَبْصَارُ

(١) زر بمعنى نفخ والشملة كساء يشتغل به . وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر
 (٢) الزغب صغار الشجر (٣) الأوداج جمع وديج وهو عرق في العنق (٤) من حسا الشراب إذا
 شربه شيئاً بعد شيء وفي مهلة

(ولا بى قاسم الدينورى في وصف جواد)

وَمُطَهَّمٍ طَرَفُ الْعَيْنَانِ ^(١) مُعَوَّدٍ خَوْضَ الْمَهَالِكِ كُلِّ يَوْمٍ بَرَّازٍ
وَإِذَا تَوَغَّلَ فِي ذُرَى مُتَمَتِّعٍ صَعِبَ بَعِيدِ الْعَهْدِ بِالْمَجْتَازِ
تَرَكْتُ سَنَابِكُهُ بِصَمِّ صَخُورِهِ أَثَرًا يُلَوِّحُ كَنَقَشِ صَدْرِ الْبَازِي
وله في وصف سفرجل وتفاح ورمان واذريون *

بَعَثْتُ إِلَيْكَ ضَحَى الْمَهْرَجَا نِ بِمَعشُوقَةِ الْعَرَفِ وَالْمَنْظَرِ
مَعْطَرَةٍ صَانَهَا فِي الْحِجَا لِمَطَارِفِ مَنْ سَدَسَ أَخْضَرَ
وَبَيْضَاءَ رَائِقَةٍ غَضَّةٍ مَقْطَعَةِ الْوَجْهِ بِالْمُصْفَرِ
وَحَقٌّ عَقِيقٍ مَلَأَهُ الْمَجِيءُ مِنْ الْجَوْهَرِ الرَّائِقِ الْأَحْمَرِ
وَأَقْدَاحَ تَبَرَّحَتْ قَعَرَهَا يَدُ الشَّمْسِ بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ
فَكُنْ ذَا قُبُولِهَا إِنَّمَا هَدَايَا مُقَلِّ إِلَى مُكَيَّرِ
وَعِشْ مَا تَشَاءُ كَمَا تَشْتَهِي بَعِزِّ يَدُومُ إِلَى الْحَشْرِ
وله في النارنج *

أَمَا نَرَى شَجَرَ النَّارَنْجِ طَالِعَةٍ نَجُومُهَا فِي غُصُونِ لَذَنَةِ مِيلِ ^(٢)
كَأَنَّهَا يَبْنُ أَوْ رَاقٍ تَحَفُّ بِهَا زُهْرُ الْمَصَائِيحِ فِي خُضْرِ الْقِنَادِيلِ
وله بى الفضل الميكالى في وصف الشقائق *

تَصُوعُغٌ لَنَا كَفُّ الرِّبْعِ حَدَائِقًا كَمَقْدَرِ عَقِيقٍ يَبْنُ سَمَطٍ لَا لِي
وَفِيهِمْ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَتْ خَدُودَ عَذَارَى ذَبَطَتْ بِغَوَالِي
وله في اقتران الزهرة والهِلال *

أَمَا نَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هِلَالٍ لَوْنُهُ يَحْكِي اللَّهَبِ

(١) طرف العينان بمعنى خفيف والمطهم البارع الجمال والتام من كل شيء (٢) جمع اميل

كَكَرَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَجْلُوءَةٍ اَوْفَى^(١) عَلَيْهَا صَوْلُ لُجَانٍ مِنْ ذَهَبٍ

﴿وله في الفجر﴾

أَهْلًا بِفَجْرِ قَدْ نَضَا ثَوْبَ الدُّجَى كَالسَّيْفِ جُرِّدٍ مِنْ سَوَادٍ قِرَابٍ

﴿وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر﴾

نَثَرَ السَّحَابُ عَلَى الْغُصُونِ ذُرَارَةً أَهْدَتْ لَهَا نُورًا يَرُوقُ وَنُورًا
شَابَتْ ذَوَائِبُهَا فَعَدَنَ كَأَنَّهَا أَجْفَانُ عَيْنٍ تَحْمِلُ الْكَافُورَا

﴿وقال في الجليلد﴾

رُبَّ جَنِينٍ مِنْ جَنَى نَمِرٍ مُهْتَكُ الْأَسْتَارِ وَالضَّبِيرِ

سَلْتُهُ مِنْ رَحِيهِ الْغَدِيرِ كَأَنَّهُ صَحَائِفُ الْبُلُورِ

أَوْ أَكْرَهُ تَجَسَّمَتْ مِنْ نُورٍ أَوْ قَطَعَ مِنْ خَالِصِ الْكَافُورِ

لَوْ بَقِيَتْ سَلْسَكَا عَلَى الدُّهُورِ لَعَطَلَتْ قَلَائِدَ النَّحُورِ

وَأَخْجَلَتْ جَوَاهِرَ الْبَحُورِ- وَسُيِّمَتْ ضَرَائِرُ^(٢) الثَّنُورِ

يَا حُسْنَهُ فِي زَمَنِ الْحُدُورِ إِذْ فَيْضُهُ مِثْلُ حَشَا الْمُهْجُورِ

يُهْدِي إِلَى الْإِلَاكِ بَادٍ وَالصَّدُورِ رُوحًا تَحَاكِي نَفْثَةَ الْمَصْدُورِ^(٣)

﴿ولابي طاهر بن الهاشمي في وصف روضة﴾

وَرُوضَةٌ زَارَهَا النَّدَى فَعَدَتْ لَهَا مِنَ الزَّهْرِ أَتَجَمُّ زَهْرُ

تَنْشُرُ فِيهَا أَيْدِي الرَّيِّعِ- لَنَا ثَوْبًا مِنَ الْوَشْيِ حَاكِ الْقَطْرِ

كَأَنَّمَا شَقٌّ مِنْ شَقَائِقِهَا عَلَى رُبَاهَا مَطَارِفُ خَضِرِ

ثُمَّ تَبَدَّتْ كَأَنَّهَا حَلَقٌ أَجْفَانُهَا مِنْ دِمَائِهَا حُمُرِ

(١) اشرف (٢) جمع ضرة وهي إحدى زوجي الرجل واراد بضرائر الثنور الاسنان
(٣) النفثة ما ينثه المصدور من فيه

﴿ ولا بى نصر سهل بن المرزبان في وصف البدر ﴾

كم ليلة أحييتها وموئسني طرف الحديث وطيب حث الأكوئس
شبهت بدر سماها لما دنت منه الثريا في قيص سندمى
ملكاً مهياً قاعداً في روضة حياه بعض الزايرين بنرجس

« وللحسن بن احمد اليرجردى في حوض لبعض الرؤساء »

حوض يجود بجوهر متسلسل ساد الجواهر كلها بنفاسته
لا زال عذباً جارياً بقاء من هو مثله في طبعه وسلاسته

« ووصف ابن انيس سيف عمرو بن معدى كرب فقال »

أخضر المتن بين حدبه نور من فرند تحار فيه العيون
أوقدت فيه للصواعق نار ثم ساطت^(١) به الزخاف المنون
فاذا ما سلته بهر الشمس ضياء فلم تكدر تستبين
فكان الفرند والروثق الجا رى في صفحتيه ماء معين^(٢)
وكان المنون نيطت إليه فهو من كل جانبيه منون
ما يبالي من انتضاه لحرب أشمال سطت به أم يمين

﴿ وقال ابن عبد ربه في وصف الرمح والسيف ﴾

بكل رديني كان سينانه شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال في طول منيه وعادت به الآمال وهي لجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه فهن لجبات القلوب قوارع
وذى شطب^(٣) تقضى المنايا لحكمه وليس لما تقضى المنية دافع

(١) خلطت (٢) جار (٣) جمع شطب وهي طريقة السيف الواحدة من الخطوط التي في نصله

﴿ وقال ايضاً في وصف الحرب ﴾

ومُعْتَرِكٌ تَهَزُّ بِهِ الْمَنَابِيا ذُكُورَ الْمُهَنْدِ فِي أَيَدِي ذُكُورِ
لَوَاعٍ يُبْصِرُ الْأَعْمَى سَنَاهَا وَيَعْمَى دُونَهَا طَرَفُ الْبَصِيرِ
يَجُومُ حَوْلَهَا عِقْبَانُ مَوْتٍ تَخْطِفُ الْقُلُوبَ مِنَ الصَّدُورِ

(ومن قوله في وصف الحرب وأبطالها)

سَيُوفٌ يَقْبِلُ الْمَوْتَ تَحْتَ ظُلُمَاتِهَا لَهَا فِي الْكُلِّي طَعْمٌ وَبَيْنَ الْكُلِّي شَرْبٌ
إِذَا اصْطَفَتْ الرَّايَاتُ حُمْرًا مُتُونَهَا ذَوَائِبُهَا تَهْفُو فِيهِفُو ^(١) لَهَا الْقَلْبُ
وَلَمْ تَنْطِقِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِفَعْلِهَا فَالَسُنْهَا عَجْجٌ وَأَفْعَالُهَا عُرْبٌ
إِذَا مَا التَّقَوَا فِي مَازِقٍ وَتَعَانَقُوا فَلْتَقِيَاهُمْ طَعْنٌ وَتَعْنِيْفُهُمْ ضَرْبٌ

(ولا بن قلاقس في وصف السحاب والبرق والغيث)

سَرَى وَجَبِينَ الْجَوْرِ بِالطَّلِّ يَرْشَحُ وَثُوبُ الْغَوَادِي بِالْبُرُوقِ مُوشِحُ
وَفِي طَيِّ أَرْبَادِ التَّسِيمِ خَمِيلَةٌ ^(٢) بِأَعْطَافِهَا نُورُ الْمُنَى يَتَشَحُّ
يَضَاحِكُ فِي مَثْنَى الْمَعَاطِفِ عَارِضٌ مَدَامَةٌ فِي وَجَنَةِ الرَّوْضِ تُسْفَحُ
وَتُورَى بِهِ كَفُّ الصَّبَا زَنْدٌ بَارِقٌ شِرَارَتُهُ فِي خَمَةِ اللَّيْلِ تَقْدَحُ

(ومن قصيدة لابي القاسم عبد الصمد بن بابك في الصاحب)

(يصف له فيها اضرام النار في بعض غياض طريقه)

وَلَيْلَةٍ بَتَّ أَشْكُو الْهَمَّ أَوَّلَهَا وَعُدْتُ آخَرَهَا أَسْتَنْجِدُ الطَّارِبَا
فِي غَيْضَةٍ ^(٣) مِنْ غِيَاضِ الْحَزَنِ دَانِيَةٍ مَدَّ الظَّلَامُ عَلَى أَوْرَاقِهَا طُنْبَا
حَتَّى إِذَا النَّارُ طَاشَتْ فِي ذَوَائِبِهَا عَادَ الزُّمْرُدُ مِنْ عِيدَانِهَا ذَهَبَا

(١) هفت الراية خفتت وهنا القلب ذهب في اثر الشيء (٢) الخيلة الشجر الكثير المتلف وللوضع الكثير الشجر (٣) النيسة الاجرة ويجتمع الشجر في مفيض ماء

مَرَقْتُ مِنْهَا وَتَغَرُّ الصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ إِلَى أَغْرِ يَرَى الْمَذْخُورَ مَا وَهَبَا
يَا أَغْزَرَ النَّاسِ أَنْوَاءَ وَتَحْتَلِبَا وَأَشْرَفَ النَّاسِ أَعْرَاقًا وَمُنْتَسِبَا
أَصْبَحْتُ ذَائِقَةً بِالْوَفْرِ مِنْكَ وَإِنْ قَالَ الْعَوَازِلُ ظَنُّ رُبَّمَا كَذَبَا
فَحَسَنُ ظَنِّي بِكَ اسْتَوْفَى مَدَى أَمَلِي وَحَسَنُ رَأْيِكَ لِي لَمْ يَبْقَ لِي أَرْبَا
(ومن قصيدة لابي سعيد الرستمي يصف بها داراً بناها الصاحب بن عباد)

وساميةً الاعلام تاحظُ دونها سَنَا النِّجْمِ فِي آفَاقِهَا مُتَضَائِلًا
نَسَخْتُ بِهَا إِيوَانَ كَسْرَى بْنِ هَرْمُزٍ فَأَصْبَحَ فِي أَرْضِ الْمَدَائِنِ عَاطِلًا
فَلَوْ لَحِظْتُ جَنَاتُ تَدْمُرُ حُسْنَهَا دَرْتُ كَيْفَ تَبْنِي بَعْدَهُنَّ الْمَجَادِلَا
تَنَاطَحُ قَرْنَ الشَّمْسِ مِنْ شَرْفَاتِهَا^(١) صَفُوفُ ظِبَاءٍ فَوْقَهُنَّ مَوَائِلَا
وَلَوْ أَصْبَحْتُ دَارًا لَكَ الْأَرْضُ كُلُّهَا لَضَاقَتْ بَيْنَ يَنْتَابُ دَارِكَ أَمِلَا
وَأَغْنَى الْوَرَى عَنْ مَنْزِلٍ مِنْ بَنَاتِ لَهْ مَعَالِيهِ فَوْقَ الشَّعْرَيْنِ مَنَازِلَا
وَلَا غَرَوْا أَنْ يَسْتَحْدِثَ اللَّيْثُ بِالْثَرَى عَرِينًا وَأَنْ يَسْتَطِرْقَ الْبَحْرَ سَاحِلَا
وَلَمْ تَعْتَمِدْ دَارًا سِوَى حَوْمَةِ الْوَغَى وَلَا خَدَمًا إِلَّا الْقَنَّا وَالْقَنَابِلَا
وَوَاللَّهِ مَا أَرْضَى لَكَ الدَّهْرَ خَادِمًا وَلَا الْبَدْرَ مُتَنَابًا وَلَا الْبَحْرَ نَائِلَا
وَلَا الْفَلَكَ الدَّوَارَ دَارًا وَلَا الْوَرَى عَيْدًا وَلَا زُهْرَ النُّجُومِ قَبَائِلَا
فَإِنَّ الَّذِي يَبْنِيهِ مِثْلُكَ خَالِدٌ وَسَائِرُ مَا يَبْنِي الْأَنْامُ إِلَى بَلَى

❖ ولخليل مطران بك في وصف روض ❖

أَيُّهَا الرُّوضُ كُنْ لِقَلْبِي سَلَامًا وَمَلَاذًا مِنْ الشَّقَاءِ الْمَلَاذِمِ
زَهْرٌ ذَا بِلٍّ كَأَنِّي أَرَاهُ ثَمَلًا مِنْ أَنْفَاسِهِ فِي الْكَلَامِ

(١) شرفات البناء مثلثات تبني متقاربة في اعلى القصر

وَغَدِيرٌ صَافٍ أَقَامَ سِيَاجًا حَوَاهُ بَاسِقٌ مِنَ الدَّرَّحِ قَائِمٌ
 تَتَنَاقَى يَبِضٌ مِنَ الطَّيْرِ فِيهِ سَابِحَاتٌ وَتَحْتَهَا النُّجُومُ عَامٌ
 كَيْفَمَا سَرْنَ قَالَطَرِيقُ عُقُودٌ نُظِمَتْ مِنْ مَحَاجِرٍ وَمِبَاسِمِ
 حَبْدًا الْبَدْرُ مُؤْنَسًا يَتَجَلَّى كَحَيِّبٍ بَعْدَ النَّغِيبِ قَادِمٌ
 حَبْدًا رَسْمُهُ الْبَرَايَا كَأَبْهَى مَا تَرَى الْعَيْنُ فِي صَحِيفَةِ رَاسِمِ
 حَبْدًا الْمَاءُ وَالْمَصَايِيحُ فِيهِ كَبَنَاتٍ بَزِينَهَا بِخَوَاتِمِ
 جَنَّةٌ بَانَتْ الْمَكَارَهُ عَنْهَا وَهِيَ بَكْرٌ مِنَ الْأَذَى وَالْمَحَارِمِ
 إِنَّمَا أَهْلُهَا طُيُورٌ حِسَانٌ إِنْ دَعَاها الصَّبَاحُ قَامَتْ تُنَادِمِ
 وَضِيَاءٌ يَمْوُجُ فِي الْمَاءِ حَتَّى لَنَرَاهُ كَأَنَّهُ مُتَلَاطِمِ
 وَمَرْوُجٌ مُدَبَّبَاتٌ كَوْشِي أَتَقَنَتْ صُنْعُهُ حِسَانُ الْمَعَاصِمِ
 وَغَصُونٌ تَهْزُهَا نَسَمَاتٌ كَمْ هُوَ تَهْزُهُنَّ رَوَائِمِ (١)

(وقال البُخْتَرِيُّ واصفًا صناعة الكتابة والانشاء)

تَقَنَّنَتْ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى عَطَّلَ النَّاسُ فَنَ عَبْدَ الْحَمِيدِ
 فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَدَّ لَكَ أَمْرٌ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ
 وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاءُ حَكَ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
 مَشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْ لَقِيَ عَوْدَهُ عَلَى الْمُسْتَفِيدِ
 مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بَطُونُ الْقَرَاظِيدِ سَ وَمَا حَمَلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ
 حُبَّجٌ تَخْرُسُ إِلَّا لَدَّ بَا فَمَا ظُفُرَادِي كَالْجَوْهَرِ الْمَدِيدِ
 وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَهَا الْقَوَافِي هَجَنْتُ شَعْرَ جَرَّوَلٍ وَلَيْدِ

(١) جمع الرائغة وهي الوالدة العاطفة على ولدها اللازمة له

حينَ مستعمل الكلام اختياراً وتجنّبَ ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فأدرَكَ نَ به غاية المراد البعيد
كالغداری غدوَن في الحُلل البِي ض اذارُحن في الخطوط السود

(وقال ابن حمد يس الصقلي يصف داراً بناها المنصور)

أعمرَ بقصر الملك ناديك الذي أضحي بمجدك بيته معمورا
قصرٌ لو أنك قد كحلت بنوره أعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتقّ من معنى الجنان نسيمة فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نُسى الصَّبِيح مع الفصيح بذكره وسما ففاق خورتقا وسديرا
أبصرته فرأيت أبداع منظر ثم آثنتُ بناظري محسورا
فظننتُ آني حاليّ في جنة لما رأيت الملك فيه كبيرا
لو أنّ بالايوانِ قوبل حسنة ما كان شيئا عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا ملوكهم شهباً له ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا غرّفا رفعت بناءها وقصورا
ومحصّب بالدرّ تحسبُ ترّبة مسكاً تضيّع نشره وعبرا
تستخلف الأَبصار منه اذا آتى صبغاً على غسق الظلام منيرا

(ووصف اعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منهما فقال)

تزوّجتُ اثنتين لفرط جهلي بما يشق به زوجُ اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفاً أنعمُ بين أكرم نعتين
فصرت كنعجة تُضحى وتُمسى تداولُ بين أخبث ذئبتين

رضا هذى يُهَيِّجُ سُخْطَ هذى فما أعري من إحدى السخطين
وَأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلَّ ضَرٍّ كَذَاكَ الضَّرَّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ
لهذى لَيْلَةٌ وَاتْلُكَ أُخْرَى عَتَابٌ دَائِمٌ فِي اللَّيْلَتَيْنِ
فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَبْقَى كَرِيماً مِنَ الْخَيْرَاتِ مَمْلُوءِ الْيَدَيْنِ
فَعَشْ عَزَباً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ فَضَرْباً فِي عَرَاضِ الْجَحْفَلَيْنِ

(وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في وصف الربيع)

يَا صَاحِبِي تَقْصِيَا نَظْرِيكُمَا تَرِيَاوُجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُضَوِّرُ
تَرِيَا نَهَاراً مُشْهِساً قَدْ زَانَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مَقْمَرُ
دُنْيَا مَعَاشٍ لِلْوَرَى حَتَّى إِذَا حَلَّ الرَّبِيعُ فَأَيْنَمَا هِيَ مِنْظَرُ
أَضْحَتْ تَصَوُّغُ بَطُونِهَا لظُهُورِهَا نَوْرًا تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تَنَوِّرُ
مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرْقُقُ بِالنَّدَى فَكَأَنَّمَا عَيْنٌ لَدَيْكَ تُحَذِّرُ

(وقال أبو عبادَةَ البَحْتَرِيُّ يَصِفُ قَصْرَ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ) .

لَا كَلْتَ رَوِيَّةٌ وَعَزِيمَةٌ أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي إِبْتِنَاءِ الْكَامِلِ
وَعَدَوْتَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ مُوَفَّقاً مِنْهُ لَا يَمُنُّ حَلَّةٌ وَمَنَازِلُ
دُعَرَ الْحَمَامُ وَقَدْ تَرْتَمُ فَوْقَهُ مِنْ مَنْظَرٍ خَطَرَ الْمَرَّاتِ هَائِلِ
رُفِعَتْ لِمُخْتَرَقِ الرِّيَّاحِ سُمُوكُهُ وَزَهَتْ عَجَائِبُ حُسْنِهِ الْمُتَعَايِلِ
وَكَانَ حَيْطَانُ الرُّجَاجِ بِجُوهٍ لَجُجٌ يَمْجُنُّ عَلَى جَنُوبِ سَوَاحِلِ
وَكَانَ تَغْوِيفَ الرُّخَامِ إِذَا التَّقَى تَأْلِيْفُهُ بِالْمَنْظَرِ الْمُتَعَايِلِ
حَبْكُ الْغَمَامِ رُصِيفِنِ بَيْنَ مُنَمَّرٍ وَمُسَيَّرٍ وَمَقَارِبٍ وَمَشَاكِلِ
لَيْسَتْ مِنَ الذَّهَبِ الصَّقِيلِ سُقُوفُهُ نَوْرًا يَضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ الْخَافِلِ

قترى العيون يحلمن في ذى رونق - مُتَلَهِّبِ العالمِ أُنِيقِ السَّافِلِ
وكأنما نشرت على بُستانه - سِبراهِ وشى اليُمُنة المتواصلِ
أغنته دجلة إذ تلاحقَ فيضها - عن صُوبِ منسحبِ الرِّبابِ الهاطلِ
وتنفست فيه الصَّبَا فتعطفت - أشجاره من حَوْلِ وحواملي

(وقال المتنبي في وصف جواد)

ويوم كلون المدنفين كينته - أراقب فيه الشمس أيان تغرب
وعني إلى أذنى أغر كأنه - من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه في إهابه - تجى على صدرٍ رحيبٍ وتذهب
شقت به الظلماء أدنى عنانه - فيطغى وارخيه مراراً فيلعب
وأصرع أئى الوحش قفيته به - وأنزل عنه مثله حين أركب
وما الخيل إلا كالصديق قليلة - وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها - وأعضائها فالحسن عنك مغيب

(وقال صفي التين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ في وصف الزريع)

ورد الزريعُ فمرحباً بوروده - وبُنُورٍ بهجتِه ونُورٍ وروده
وبحُسن منظره وطيب نسيمه - وأنيق مبسمه وشى بروده
فصل إذا افتخر الزمانُ فائته - إنسانٌ مُقلنه وبَيْتُ قصيده
يُغنى المزاج عن العلاج نسيمه - باللطفِ عند هُبوبه ورُكوده
يا حَبذاً أزهاره وثماره - ونباتُ ناجمه وحبٌ حصيده
والغصنُ قد كسى الغلائل بعد ما - أخذت يدا كانوا في تحریده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى - ما الشببة في منابت عوده

والوردُ في أعلى الغصون كأنَّه ملكٌ نَحِيفٌ بهِ سِراةُ جُنوده
وانظر لترجسِه الجنيَّ كأنَّه طرفٌ تَنَبَّهٌ بعد طول هُجوده
وانظرُ إلى المنثور في منظومه مُتنوعاً بفصولِه وعقوده
« وقال أيضاً في وصف حديقة »

وأطلق الطَّيرُ فيها سجعَ منطقِه ما بين مختلفٍ منه ومتفق
والظِّلُّ يسرقُ بين الدَّوحِ خطوئَه والعياءِ ديبٌ غيرُ مسترق
وقد بدا الوردُ مُقتراً مباسمِه والترجس الغض فيها شاخص الحدق
والسُّحبُ تُبكي وتغر البرق مبتسمٌ والطَّيرُ تسجع من تيهٍ ومن أنق
فالطير في طربٍ والسُّحب في حرب والماء في هرب والغصن في قلق

« وقال احمد شوقي بك في وصف الطبيعة »

تلك الطَّيِّعة قِف بنا يا سارى حتى أريك بديع صنع البارى
الأرض حولك والسماء اهتزنا لروائع الآيات والآثار
ولقد نمرَّ على الغدير تخاله والنبت مرآة زهت بأطار
حُلُو التسلسل موجه وخريره كأنامل مرَّت على أوتار
ينساب في مخضلة مبتلة منسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى منشقة عن أنهر وبحار
في كل ناحية سلسكت ومذهب جيلان من صخر وماء جار

« وقال محمد حافظ بك ابراهيم يصف النيل »

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان
يجرى على قدر في كل منحدر لم يحفُ أرضاً ولم يعمد لطفيان

كَأَنَّهُ وَرِجَالُ الرِّمَى تَحْرُسُهُ مَمْلُوكٌ سَارَ فِي جَنْدٍ وَأَعْرَانِ
قَدْ كَانَ يَشْكُو ضِيعًا مَذْجَرَى طَلَقًا حَتَّى أَقَمْتَ لَهُ خَزَانِ أَسْوَانِ

« وَقَالَ أَيْضًا عَنْ لِسَانِ حَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاصِفًا لَهَا »

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَانِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزِعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
وُلِدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي رِجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدَّتْ بَنَاتِي
وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضَيَّقَتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِي
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءِ الْمُخْتَرَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدَّرَكَامُنُ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَقَاتِي
فِيَا وَيْحَكُمْ أَيْلِي وَتَبْلَى مُحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاهُ أَسَاتِي
فَلَا تَكِدُونِي لِلزَّمَانِ فَانِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينُ وَقَاتِي
أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لَفَاتِي
أَتَوْا أَهْلَهُمُ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنَّنَا فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُّطِرُ بِكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبُ يَنَادِي بِوَادِي فِي رُبْعِ حَيَاتِي
وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَنَاتِ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتَهُ لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحُسْرَاتِ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مَطْرُقُ حَيَاءٌ بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخْرَاتِ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا مِنَ الْقَبْرِ يَدِينُنِي بِغَيْرِ أُنَاةِ
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرٍ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي

أيهجرني قومي عفا الله عنهم
سرت لونة الأعجام فيها كما سرى
فجاءت كشوب ضم سبعين رقعة
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
فأما حياة تبعث الميت في البلى
وأما ممات لا قيامة بعده
إلى لفة لم تتصل بروائي
لأب الأفاعي في مسيل فرات
مشكلة الألوان مختلفات
بسطة رجائي بعد بسط شكائي
وتنبت في تلك الرموس رفاي
مات لعمري لم يقس بمات

« وقال شاعر العراق معروف الرصافي واصفاً قطار البخار »

وقاطرة ترمي الفضأ بدخانها
تمشت بنا ليلاً تجر وراءها
خطوراً كعصف الريح تجري شديدة
نساوى لديها السهل والصعب في السرى
تدك متون الحزن دكاً وانها
يمر بها العالي فتعلو تساماً
طوت بالمسير الأرض حتى كأنها
هو العلم يعلو بالحياة سعادة
وتنملا صدر الأرض في سيرها رعباً
قطاراً كصف الدوح تسحبه سحباً
وطوراً رخاء كالنسيم اذا هب
فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعباً
لتنهب سهل الأرض في سيرها نهبا
ويعترض الوادي فتجتازه وثبا
تسابق قرص الشمس أن تدرك الغربا
ويجعلها كالعلم محودة العنبي

« وقال ابن حمد يس الأندلسي في وصف بركة عليها أشجار من ذهب »

وفضة وعلى حافاتها أسود قاذفة بالمياه

وضراغم سكنت عرين رآسة
فكأنما غشي النضار جسومها
أسد كأن سكونها متحرك
فكأنما غشي النضار جسومها
ترك خري الماء فيه زئيرا
وأذاب في أفواها البلورا
في النّس لو وجدت هناك مشير

وتذكرت فتكاتها فكأنما أقمت على أدبارها لنورها
وتخالها والشمس تجلو لونها نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ذابت بلا نار فعُدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه درعا فقدر سردها تقديرا



وبديعة الثمرات تعبُرُ نحوها عيناى بحر عجائب مسخورا
شجرية ذهبية نزعَت إلى سحر يُوتَرُ في النهي تأثيرا
قد سُرَّجت أغصانها فكأنما قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تابى لوقع طيرها أن تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ماء كلسال الأجين نميرا
خرس تعدن الفصاح فان شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضة لانت فارسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهرج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منشورا



ضحكت محاسنه اليك كأنما جهأت لها زهر النجوم ثغورا
ومصنح الأبواب تبرا نظروا بالنقش فوق شكله تنظيرا
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضا في السماء نصيرا
وضعت به صناعها أقلامها فارتك كل طريدة تصويرا
وكأنما الشمس فيه ليقة مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما اللازورد فيه مخزّم بالخط في ورق السماء سطورا

وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى يصف حرب سُكان جزيرة اقریطش

« كريد » حين خرجوا عن الطاعة سنة ١٢٨٢ هـ ويتشوق إلى مصر

أَخَذَ الْكَرَى بِمَا قَدِ الْأَجْفَانِ وَهَفَا الشَّرَى بِأَعْنَةِ الْفُرْسَانِ
وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذُّوَابِ ضَارِبِ فَوْقَ الْمَتَالِيعِ وَالرُّبَى بِحِرَانِ
لَا تَسْتَبِينَ الْعَيْنُ فِي ظُلُمَاتِهِ إِلَّا اشْتَغَالَ أَسِنَّةَ الْمَرَّانِ
تَسْرَى بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةٍ فَتْنَةٍ تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ
فِي كُلِّ مَرَبَّاءَ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ تَهْدَارُ سَامِرَةٌ وَعَزْفُ قِيَانِ
تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَصْهَلُ أَجْرَدُ وَتَصِيحُ أَجْرَاسُ وَيَهْتَفُ عَانِ
قَوْمٌ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا خَسِرَهُمْ فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السَّاطَانِ
مَلَأُوا الْفُضَّةَ فَمَا يَبِينُ لِمَا طَرِبَ غَيْرُ التَّمَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ
فَالْبِدْرُ أَكْدَرُ السَّمَاءِ مَرِيضَةً وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ الرَّمَاكِ دَوَانِ
وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا لَطِرَادُ يَوْمِ كَرِيهِتِهِ وَرِهَانِ
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَنِ النَّيْرَانِ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ وَارْتَمَتْ عَيْنَايَ بَيْنَ رُبَى وَبَيْنَ بَحْجَانِ
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسْنَتْ وَإِذَا الْوِهَا دُ أَعْنَتِ وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِ
فَتَوَجَّسَتْ فَرْطَ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا بَاقِيَةٌ فَاتَمَّتْ عَلَى الْأَرْسَانِ
فَزَعَتْ فَرَجَّعَتِ الْحَيْنِ وَأَتَمَّا تَحْنَانِهَا شَجَنَ مِنْ الْأَشْجَانِ
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ وَأَيْنَ مِنْ مَاءِ بِمِصْرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ
وَالنَّفْسُ لَاهِيَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ خَلْفًا بِأَوَّلِ صَاحِبِ وَمَكَانِ
فَسَقَى السَّمَاءَ مَحَاةً وَمَقَامَةً فِي مِصْرَ كُلِّ مُرْنَةٍ مِرْنَانِ

حتى تعود الأرض بعد ذبولها شتّى النماء كثيرة الألوان
 بللّ خلعتُ بها عذار شبيبتي وطرحْتُ في يَمْنَى الغرامِ عناني
 فصعيدُها أحوى النَّباتِ وسرحُها ألعى الظلال وزهرُها مُتَداني
 فارقَها طلباً لما هو كأن والمرء طوع تقليب الأزمان
 حمل الزمان على ما لم أجنه إن الأمانل عُرْضة الحداث
 نعموا على وقد فتكتُ شجاعتي إن الشجاعة حلية الفتيان
 فليمنأ الدهر الغيور برحلي عن مصر وتهدأ صروف زماني
 فلئن رجعت وسوف أرجع واثقا بالله أعلمتُ الزمان مكاني
 صادقت بعض القوم حتى خانتني وحفظت منه مغيبه فرماني
 زعم النصيحة بمد أن بلغت به غشا وجازى الحق بالبهتان
 فليجر بعد كمال أراد بنفسه إن الشقي مطية الشيطان
 وكذا الأئيم إذا أصاب كرامة عادى الصديق ومال بالاخوان
 كل امرئ يجري على أعراقه والطبع ليس يحول في الإنسان
 فعلام يلتمس العدو مساوتي من بعد ما عرف الخلائق شاني
 أنا لا أذل وإنما يزغُ الفتى فتدُ الرجاء وقلة الإخوان
 فليعلمن أخو الجهالة قصره عني وإن سبقت به قدمان
 فلربما رجح الخسيس من الحصى بالدرّ عند تراجع الميزان
 شرف خصصت به وأخطأ حاسدي مسعاته فهدي به وقلاني

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخاريّاً «
 نظر الحكيم صفاته فتحيراً شكلاً كطود البخار مُستِراً

دوماً يمين^١ إلى ديار أصوله بحديد قلب بالأهيب تسعراً
 ويظل^٢ يبكي والدموع تزيده وجداً فيجري في الفضاء تستراً
 تلقاه حال الستير أفعى تلتوى أو فارس الهيجا أنار العثيرا
 أو أكرة^٣ أرسلتها ترمى بها غرضاً فجلت أن ترى حال السرى
 أو سبع غاب قد أحس بصائد في غابه فعدا عليه وزمجرأ
 فكأنه المديون جاء غريمه فأنسل منه وغاب عن تلك القرى
 أو أنه شهب هوت من أفقها أو قبة المنطاد تنبذ بالعرأ
 لا عجب للنيران اذ يمشى بها فن اللظى تجرى الورى كي تحشرا

﴿ وقال أحمد بك شوقي يصف الجسر الواصل بين أضفتي البسفور ﴾

أمير المؤمنين رأيت جسراً أمر^١ على الصرط ولا عليه
 له خشب يجمع السوس فيه وتمضى الفأر لا تأوى إليه
 ولا يتكلف المنشار فيه سوى مرّ الفطيم بساعديه
 ويلى نعل^٢ من يمشى عليه وقبل النعل يدمى أخصيه
 وكم قد جاهد الحيوان فيه وخلف في الهزيمة حافيه
 وأسبح منه في عيني جياة ترام وسطه وبجانبيه
 إذا لاقيت واحد تصدئى كعفريت يشير براحتيه
 ويمشى (الصدر) فيه كل يوم بموكبه السن وحارسه
 ولكن لا يمر عليه إلا كما مرّت يدها بعارضيه
 ومن عجب هو الجسر المعلقى على (البسفور) يجمع شاطئيه
 يفيد حكومة السلطان مالا ويعطيها الغنى من معدنيه

بجود العالمون عليه هذا بعشرته وذاك بعشرته
وغاية أمره أنا سمعنا لسان الحال يذشدنا لديه
(أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه)

وقال حَفَنِي بِكَ نَاصِفِ المتوفى سنة ١٩١٩م يصف حريق عابدين ﴿

وَأَفْنَى يُقْبَلُ رَاحَتِكَ الْعَامُ وَحَنَتْ إِلَيْكَ رُؤُوسَهَا الْأَيَّامُ
وَالْتَهَرَأَقَسَمُ لَا يَجِيءُ بغير ما تَرْضَى وَكَمْ بَرَّتْ لَهُ أَقْسَامُ
فَاقْبَلْ مَعَاذِيرَ الزَّمَانِ فَطَالَمَا قَبِلْتَ مَعَاذِيرَ الْمُنِيبِ كَرَامُ
وَاعْفُ جُنَايَتَهُ عَلَى الْقَصْرِ الَّذِي لَمْ تَحْوَ مَصْرَ نَظِيرِهِ وَالشَّامُ
شَبَّتْ بِهِ النَّيْرَانُ فَارْتَاعَتْ لَهَا مُهِجُ الْأَنَامِ وَهَالَهَا اسْتِعْظَامُ
لَوْلَا الدِّخَانُ أَحَاطَ حَوْلَ لَهَبِهَا مَا شَكَّ فَرْدُ أَنَّهَا أَعْلَامُ
أَمْرٌ بِهِ نَفَذَ الْقَضَاءُ وَلَيْسَ فِي أَحْكَامِهِ نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ
بَلْ حِكْمَةٌ شَاءَ الْإِلَهِ بَيَانُهَا عِبَادَهُ لِيَذِيعَ الْاسْتِسْلَامُ
حَتَّى يَرَوْا أَنَّ الْمُلُوكَ وَإِنْ عَلَوْا قَدَرًا تَسِيرُ عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامُ
فَإِذَا اقْتَنَدَى بِهِمُ الرِّعْيَةُ أَحْسَنُوا صَبْرًا وَخَفَّتْ عَنْهُمْ الْآلَامُ

عَيْنُ السَّمَاءِ لِعَابِدِينَ تَطَلَعَتْ حَسَدًا عَلَيْكَ وَالْأَمِيونُ سَهَامُ
وَتَشْوَقُ الْقَصْرَ الْكَرِيمَ لَا هَلْ وَالشَّوْقُ فِي قَلْبِ الْمَحَبِّ ضَرَامُ
لَمْ يَسْتَطِعْ صَبْرٌ أَعْلَى طَوْلِ النَّوَى وَالصَّبْرُ فِي شَرِّعِ الْغَرَامِ حَرَامُ
فَتَصَعَّدَتْ زَفْرَانُهُ وَتَأْجِجَتْ جَمْرَاتُهُ وَالصَّبَّ كَيْفَ يُبْلَامُ
لَوْلَا الدِّمُوعُ مِنَ الْمَطَافِي مَا انْقَضَى مِنْهُ الْهَيَامُ وَلَمْ يُبَلِّ أَوَامُ

خَرَقَتْ طَباقَ الْجَوِّ إِلَّا أَنَّهَا بَرَزَتْ قُصَارَى أَمْرَهَا وَسَلَامَ
هَذَا — وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِي نِقْمَةٍ طَوِيَتْ فَلَمْ تَفْطَنْ لَهَا الْأَفْهَامَ
﴿ وَقَالَ يَصِفُ ابْتِهَاجَ الْأُمَّةِ بِالْأَمِيرِ ﴾

طَارُوا سُرُورًا مِنْ شُهُودِ أَمِيرِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ حَوْلَ الْقَطَارِ حَمَامٌ
يَتَسَابِقُونَ إِلَى اجْتِلَاءِ سُمُومِهِ وَبِهِمْ زَفِيرُ نَحْوِهِ وَهَيْبَامٌ
لَوْ لَمْ تَكُنْ نَارُ الْقَطَارِ لَجَرَّهُ وَجَدُّهُ يَجِيشُ بِصَدْرِهِمْ وَغَرَامٌ
فِي كُلِّ رَسَنَاتٍ وَكُلِّ مَدِينَةٍ شَوْقًا إِلَيْكَ تَجْمَعُ وَزَحَامٌ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ يَنْسَلُونَ فَاتْرَعَتْ بِهِمُ الْوَهَادِ وَمَاجَتْ الْآكَامُ
وَالنُّورُ أَمْسَى أَبْجَرًا غَرِقَ الدُّجَى فِيهَا وَمَاتَ بَلَجُهَا الْإِظْلَامُ
فَكَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ وَجْهَهُ بَلَجٌ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْغَمَامِ لثَامٌ
وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ هَتَفَ عِشٌّ يَاعِزُّ بِمُحُوطِكَ الْإِعْظَامِ

﴿ وَقَالَ حَافِظُ بَكِ إِبْرَاهِيمَ يَصِفُ خَزَانَ أَسْوَانَ وَيَمْدَحُ الْخِزْفَةَ الْخَدْيَوِيَّةَ ﴾
أَخْزَانُ مِصْرَ أَنْتَ أُمُّ هَرَمًا مِصْرَ أَجَلٌ وَأَسْمَى فِي الْمَكَانَةِ وَالْقَدَرِ
أَعَدْتَ لَنَا مَجْدَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ وَجَدَدْتَ مِنْ عَهْدِ الْفَرَاءِنَةِ الْغُرِ
وَهَيْبَاتَ مَا أَهْرَامُ مِصْرَ وَإِنْ سَمَتْ بَارَفَعَ رَأْسًا مِنْ حَضِيضِكَ لَوْ تَدْرَى
وَلَيْسَ سَنَانُ بْنُ الْمُشَلَّلِ خَالِدًا بِأَنْبَةِ مِنْ «عَبَّاسٍ» عَصْرِكَ فِي الذِّكْرِ
وَمَا قَطَرَاتُ السَّحْبِ كَالدَّرِّ تَنْهَمِي بِالطَّفِّ وَقَعًا مِنْ عَقِيْقِكَ إِذَا يَجْرِي
وَمَا أَنْتَ خَزَانُ الْمِيَاهِ وَطَمِهَا وَإِبَائِزِهَا بَلْ خَازِنُ الدَّرِّ وَالتَّبْرِ
تَدَفَّقَتْ بِالْخَيْرَاتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَجَمَعْتَ أَقْطَارَ الْمَنَافِعِ فِي قَطَرِ
فَقُلْ لِلْغَوَادِي وَالرَّوَاثِحِ تَنْجَلِي وَفِي غَيْرِ مِصْرٍ فَلْتَسِيحْ عَلَى قَفَرِ

إذا ما جرت أمواها دُونَ حاجةٍ وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربت على آثار مصر ولم يكن ليطمسها لولا جلالك من إثر
ألا فلتسد مصر على كل بقعةٍ به وليطاول قطرها مسقط القطر
بناء من الدهر استعار بقاءه وأقسم ألا يسترد من الدهر

الباب الخامس

في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات - قل النابغة الذبياني

يا دار مية بالعياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد^(١)
وقفت فيها أصيلاً أسألها عيت جواباً وما بالربع من أحد^(٢)
إلا أوارى لآياً ما أبيتها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد^(٣)
ردت عليه أقاصيه وأبدته ضرب الوليدة بالمسحاة في الثرد^(٤)
خلت سبيل آتي كان يحبسها ورقعتها الى السجفين فالنضد^(٥)

(١) العياء المكان العالي ؛ والسند محركة ما قالك من الجبل وعلا عن السنج واقوت الدار
خلت من السكان والابد الزمان الماضي (٢) اصل اصيلاً اصيلاً بالنون تصغير اعلان جمع اصيل
وهو العشي ابدت النون لا ما وعيت اى حصرت وعجزت عن الجواب (٣) اوارى منصوب على
انه مستثنى منقطع وهو جمع آري بمعنى الاخيه والاخيه كانية التود الذي في رأسه حلقة يدق
في الحائط او يدفن في الارض لتربط فيه الدواب ولاياً ما أى بعد جهد ما انظرها والنوى الحفير
حول الحباء او الخيمة بمنع السيل والمظلومة الارض التي حفر فيها حوض وليست بموضع حفر كان
حفر الحوض فيها مع انها ليست بموضع ظم لها والجلد الارض الصلبة المستوية المتن (٤) ردت
بالبناء للمجهول ولبدته الصق بعضه يبعس والمسحاة هي آلة يجرف بها الطين التأد الطين
(٥) الآتي الجدول الذي تؤتية الى ارضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود الى
النوى والسجفين الستارتان اللتان يلقان على الباب او الشباك والمراد بهما هنا اللتان يلقان على
باب والنضد متاع البيت النظم

أضحتُ خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخني عليها الذي أخني على لبد^(١)

﴿ وقال المغيرة بن حنبل ﴾

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ولا تك في كل الأمور تعاتبه
فانك لن تلقى أخاك مهذباً وأى امرئ ينجو من العيب صاحبه
أخوك الذي لا ينقض النأي عهده ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذي يلقاك في البشر والرضا وان غبت عنه لستك عقاربه

﴿ وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ ﴾

أقل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل مرة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألت فرجة ولكل حال أقبلت تحويل
والمستمون الى الصفاء جماعة إن حصلوا أفتاهم التحصيل
وأجل أسباب المنية والردى يوم سيقطع بيننا ويحول
فلن سبقت لتفجعن بصاحب جبل الصفاء بجبله موصول
لعل أيام البقاء قليلة فعلام يكثرت عتبنا ويطول

﴿ وقال شاعر الحجاز المخضرمي معن بن اوس المزني المتوفى سنة ٢٩٩ هـ ﴾

أعمرك ما أدرى وإني لأوجل على أينما تعدو المنية أول
وإني أخوك الدائم العهد لم أخن إن أبزأك خصم أو نبأ بك منزل
أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل

(١) احتملوا ذهبوا من دار الى اخرى واخني عليها أهلكها يقال ان لقمان بن عاد طاش بمقدار عمر سبعة نور كما هلك نسر خلته نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن ورد

وإني على أشياء منك تُرييني
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني
إذا أنت لم تُنصيف أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تُضيمه
وكننت إذا ما صاحب رام ظنتي
قلبت له ظهر الحزن فلم أدم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
قدماً لذنو صفح على ذاك مجل
يمينك فانظر أي كفت تبدل
على طرف الهجران إن كان يعقل
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وبدل سوء بالذي كنت أفعَل
على ذاك إلا ريثما أتحوّل
إليه بوجه آخر الدهر تُبل

﴿ وقال بهاء الدين زهير معتذراً لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه ﴾

على الطائر الميمون يا خير قادم
قدمت بحمد الله أكرم مقدم
قدومابه الدنيا أضاءت وأشرقت
فيا حسن ركبي جئت فيه مسلماً
أمولاي سألني فأنك أهله
والله ما حالت عهود مودتي
مقيم ، وقلبي في رحالك سائر
ولو كنت عنه سائلاً لوجدته
وإلا فسل عنه ركابك في الدُّجي
لقد برئت من نكته للياسم
وإن لم تسألني فما أنت ظالم
وتلك يمين لست فيها بآثم
لعلك ترضاه لبعض المواسم
على بابك الميمون أول قادم
لقد برئت من نكته للياسم

﴿ وقال محمد بن زريق البغدادى نادماً علي الإفراط في طلب الدنيا ﴾

« وكان قصد الأندلس في طلب الغنى فلم يرجع ابغداد رحمة الله عليه »
لا تعذلي به فان العذل يؤلعه قد قلت حقاً ولكن ايس يسمعه

جاوزت في لومِهِ حدًّا أَضَرَّ بِهِ
 فاستعلمي الرِّزْقَ في تَأْنِيهِ بدلاً
 قد كان مُضْطَلًّا بِالْخَطْبِ يَحْمِلُهُ
 يَكْفِيهِ من لَوْعَةِ التَّقْنِيدِ أَنْ لَهُ
 مَا أَبَّ من سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ
 كَأَنَّمَا هُوَ من حِلٍّ وَمُرْتَحِلٍ
 إِذَا الزَّمَانُ أَرَاهُ في الرَّحِيلِ غَنَى
 تَأْبَى الْمَطَامِعُ إِلَّا أَنْ تُجَشِّمَهُ

وما مُجَاهِدَةُ الْإِنْسَانِ تَوْصِيْلُهُ
 وَاللَّهُ قَسَمٌ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقُهُمْ
 لَكِنِّهِمْ مُلْثُوا بِحِرْصٍ فَلَسْتُ تَرَى
 وَالسَّعْيُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قَسِمَتْ
 وَالذَّهْرُ يُعْطَى الْفَتَى مَا لَيْسَ يَطْلُبُهُ
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قُرَا
 وَدَّعَيْتُهُ وَبُودَيْتِي لَوْ يُودَّعُنِي
 وَكَمْ تَشْفَعُ أُنِي لَا أَفَارِقُهُ
 وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحِي
 لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الْعُدْرِ مُنْخَرِقٍ
 أَنِّي أَوْسَعُ عُذْرِي فِي جِنَايَتِهِ
 أُعْطِيتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهُ

من حيث قَدَّرْتَ أَنْ الْيَوْمَ يَنْفَعَهُ
 من عُنْفِهِ فَهُوَ مُضْئِي الْقَلْبِ مُوجَعُهُ
 فَضِيقَتِ بِخَطُوبِ الْبَيْنِ أَضْلَعُهُ
 من النَّوَى كُلِّ يَوْمٍ مَا يُرْوَعُهُ
 رَأَيْتُ إِلَى سَفَرٍ بِالْعَزْمِ يَجْمَعُهُ
 مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ الْأَرْضِ يَذَرَعُهُ
 وَلَوْ إِلَى السِّنْدِ أَضْحَى وَهُوَ يُزِمُّهُ
 لِلرِّزْقِ كَدًّا وَكَمْ مِنْ يُودِّعُهُ

رِزْقًا وَلَا دَعَا الْإِنْسَانَ تَقْطَعُهُ
 لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مَخْلُوقًا يُضَيِّعُهُ
 مُسْتَرْزَقًا وَسِوَى الْغَايَاتِ يُقْنِيهِ
 بَقِيَّةُ الْأَيَّامِ إِنِّي بَقِيَّةُ الْمُرَّةِ يَصْرَعُهُ
 يَوْمًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْعِمُهُ
 بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَاحِ الْأَزْوَارِ مَطْلَعُهُ
 صَفُو الْحَيَاةِ وَأَنِّي لَا أُودِّعُهُ
 وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشْفَعُهُ
 وَأَدْعِي مُسْتَهْلَاتِ وَأَدْمُهُ
 عَنِّي بَفَرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقُومُهُ
 بِالْبَيْنِ عَنْهُ وَقَابِي لَا يُوسِّعُهُ
 كَذَلِكَ مِنْ لَا يَسُوسُ الْمُلُوكَ يُخْلَعُهُ

وَمَنْ غَدَا لَا بِسَا ثُوبِ النَّعِيمِ بِلَا شُكْرِ الْإِلَهِ فَعَنَهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ

*

اعْتَصَمْتُ عَنْ وَجْهِ رِخْلِي بَعْدَ فِرْقَتِهِ
كَمْ قَاتِلٍ لِي ذَنْبُ الْبَيْنِ قَلْتُ لَهُ
هَلَّا أَقَمْتُ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُ
إِنِّي لَا أَقْطَعُ أَيَّامِي وَأَنْفِدُهَا
بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النَّوَامُ بَتُّهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لِي لُجْبِي مُضْجَعٌ وَكَذَا
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي
حَتَّى جَرَى الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بَيْدِ
كَأَمَّا أُجْرَعُ مِنْهَا مَا أُجْرَعُ
الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَدْفَعُهُ
لَوْ أَتَنَى يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أَتْبَعُهُ
بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقْطَعُهُ
بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لَهُ مُدُّ بَاتٍ مُضْجَعُهُ
بِهِ وَلَا أَنْ بِي الْأَيَّامُ تَفْجَعُهُ
عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ

*

**

بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْقَصْفِ الَّذِي دَرَسْتُ
هَلِ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فَيْكَ لَدُنَّا؟
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصْبَحَتْ مَنْزِلُهُ
مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ
وَمَنْ يُصَدِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا
لَا ضَبْرَنَ لَدَهْرٍ لَا يَمْتَعُنِي
عَلِمَا بَأَنَّ اصْطِبَارِي مُعْتَبَرٌ فَرَجًا
عَلَّ اللَّيَالِي الَّتِي أَضُنْتُ بِفِرْقَتِنَا
وَإِنْ تَمَلَّ أَحَدًا مِنَّا مَنِيَّتُهُ
آثَارُهُ وَعَفْتُ مَذْغِبَتُ أَرْبَعُهُ
أُمُّ اللَّيَالِي الَّتِي أَمَضْتُهُ تَرْجِعُهُ
وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْدَاكَ يَمْرَعُهُ
كَمَا لَهُ عَهْدٌ صَدَقَ لَا أُضَيِّعُهُ
جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
بِهِ وَلَا بِي فِي حَالٍ يُمْنَعُهُ
وَأَضْيَقُ الْأُمُورَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ
جَسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ
فَمَا الَّذِي يَقْضَاءُ اللَّهُ يَصْنَعُهُ

وقال حافظ بك ابراهيم « بين اليقظة والمنام » في استعطف الزمان
 أشرق فدنتك مشارق الاصباح واميط لثامك عن نهار ضاح
 بورك يا يوم الخلاص ولا وئت عنك السعود بغدوة ورواح
 بالله كن ثمنا وكن بشري لنا في رد مغرب وفك سراح
 اقبلت والايام حولك مثل صفين تخطر خطرة المياح
 وخرجت من حجب الفيوب محجلا في كل لحظ منك ألف صباح
 لو صح في هذا الوجود تناسخ رأيت فيك تناسخ الأرواح
 ولكنك يوم « الأبرنت » بعينه في عزة وجلالة وسماح
 يوم يريك جلالة ورواؤه في الحسن قدرة فالق الاصباح
 خلعت عليه الشمس حلة عسجد وجباه آذار أرق وشاح
 الله أثبتة لنا في لوحه أبد الايدي فما له من ماح
 حيه عنا يا أزهري واملى أرجاء بأريجك الفياح
 وانفعه عنا يا ربيع بكل ما أطلعت من رند ونور اقاح
 للنيل مجد في الزمان مؤتل من عهد « آمون » وعهد « فتاح »
 فسل العصور به وسل آثاره في مصر كم شهدت من السباح
 قد قال عمرو في تراعا آية مأثورة نقشت على الألواح
 بينا تراها لآلئنا وكأتمـا نثرت بثرته عقود ملاح
 واذا به للـ اظرين زمرد يشفيك أخضره من الأتراح
 واذا به مسك تشق سواده شق الاديم محـ ارث الفلاح
 قم يا ابن مصر فانت حر واستعيد مجد الجدود ولا تعد إمراح

شمة وكافح في الحياة فهذه
 وأنهل مع النّهل من عذب الحيا
 واذا ألح عليك خطب لا تمن
 وخض الحياة وان تلامم موجها
 واجعل عيانك قبل خطوك رائدا
 واذا احتوتك محلة وتنكرت
 في البحر لا تشيك نار بوارج
 وانظر الى الغريبي كيف سمت به
 والله ما بلغت بنو الغرب المني
 ركبوا البحار وقد تجمد ماؤها
 والبر مصهور الحصى متاججا
 يلقي فيتهم الزمان بهمة
 ويشق أجواز القفسار مغمرا
 وابن الكنانة في الكنانة راكد
 لا يستغل ، كما علمت ، ذكاه
 أمسى كماء النهر ضاع فرائه
 فتهض ودع شكوى الزمان ولا تسخ
 وأرخ لمصر برأس مالك عزة
 وإذا رزقت رياسة فانسج لها
 واشرب من الماء القراح منقما

دنياك دار تناحر وكفاح
 فاذا رقا فامتح مع المتاح
 واضرب على الإلحاح بالألحاح
 خوض البحار رياضة السباح
 لا تحسبن القمر كالضخضاح
 لك فاعدها وأنزح مع النزاح
 في البر لا يلويك غاب رماح
 بين الشعوب طبيعة الكداح
 إلا بنيات هناك صحاح
 والجو بين تناسخ الأرواح
 يرمى بنزاع الشوى لوائح
 عجب ووجه في الخطوب وقاح
 وعر الطريق لديه كالصحصاح
 يرون بعين غير ذات طماح
 وذكاره كالحافظ اللماح
 في البحر بين أجابه المنذاح
 في فادح البؤسى مع الأنواح
 إن الذكاء حيلة الارباح
 بردين من حزم ومن إسجاج
 فلكم وردت الماء غير قراح

الباب السادس

﴿ في التهاني والتهادى والاغراء - قال أبو الطيب المتنبي ﴾

المجد عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتِ وَالسَّكْرُمُ	وزال عنك إلى أعدائك الأَلُمُ
صَحَّتْ بِصِيحَتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ	بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَتْ بِهَا الدَّيَمُ
وَرَجَعَ الشَّمْسُ نَوْرٌ كَانَ قَارِقَهَا	كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جَسَمِهَا سَقَمُ
وَلَا حَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكُ	مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يُسَمَّى الْحُسَامُ وَلَيْسَتْ مِشَابَهُ	وَكَيْفَ يَشْتَبِيهِ الْمُخْدُومُ وَالْخَدَمُ
تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمُحْتَدِهِ	وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ
وَأَخْلَصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ	وَأَنْ تَقْلَبَ فِي آلَانِهِ الْإِمَمُ
وَمَا أَخْصُكُ فِي بُرٍّ بِتَهْنِئَةٍ	إِذَا سَلِمْتَ فَكُلِّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

﴿ وقال الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ﴾

هَذِي الْمَكَارِمُ وَالْعِلْيَاءُ تَفْتَخِرُ	يَوْمَ مَأْتِرَةِ سَاعَاتِهِ غُرُرُ
يَوْمَ تَبْسَمُ مِنْهُ الدَّهْرُ وَاجْتَمَعَتْ	لَهُ السُّعُودُ وَأَغْضَتْ دُونَهُ الْغَيْرُ
حَتَّى كَأَنَّا نَرَى فِي كُلِّ مُلْتَقَى	رَوْضًا تَفْتَحُ فِي أَثْنَائِهِ الزَّهْرُ
لَا تَجْلِي عَنِ الْآمَالِ مُشْرِقَةً	قَالَ الْعَلِيُّ بِكَ أَسْتَعْلَى وَأَقْتَدِرُ
وَإِنِّي عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ يُبَشِّرُنَا	بَأَنْ سَتَتَبِعُهُ أَمْثَالُهُ الْآخِرُ
أَهْنَا الْمَسْرَاتِ مَا جَاءَتْ مَفَاجَأَةً	وَمَا تَنَاجَى بِهَا الْأَفْظَاظُ وَالْفِكْرُ
لَوْ أَنَّ بَشَرِي تَلَقَّيْتُهَا بِمُورِدِهَا	لَأَقْبَلْتُ نَحْوَهَا الْأَرْوَاحَ تَبْتَدِرُ
وَمَا تَعْنَفُ مِنْ يَسْخَوْ بِمُهِجَتِهِ	فَإِنَّ يَوْمَكَ هَذَا وَحْدَهُ عُمُرُ

فما غدوت وما للعين منقلبٌ إلا الى منظر ييهى ويحتبر
ثُذت مهابتك الأَبصار حاسرة حتى تبين في الحاظها خزر^(١)
إذا تأملتهم غصوا وإن نظروا خلال ذاك فادنى لفظة نظروا
فى ملبس ما رآته عين معترض فشكٌ فى أنه أخلاقك الزُّهر
ألْبسته منك نوراً يستضاء به كما أضاء ضواحي مُزْنه القمر^(٢)
وقد تقلدت عضباً أنت مضر به وعنك يأخذ ما يأتى وما يذر
ما زال يزدد من إشراق غُرته زهراً ويشرق فيه التيه والأشر^(٣)
والشمس تحسد طرقاتك أنت راكبه حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
حتى لقد خلت أن الشمس أزعجها شوقاً وظلت على عطفيه تنتثر

وقال أبو أذينة يغرى الأسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه له
ما كلُّ يوم ينالُ المرء ما طلبا ولا يُسوِّغه المقدارُ ما وهباً
وأحزَمُ الناسِ مَنْ إنْ فُرْصَة عرضت لم يجعل السببَ الموصول متقضياً
وأنصفُ الناسِ فى كلِّ المواطنِ مَنْ سقى المعادين بالكس الذى شرباً
وليس يظلمهم مَنْ راح يضربهم بحدِّ سيفٍ به مَنْ قبلهم ضرباً
والعفو إلا عن الأَكفَاء مكرمة مَنْ قال غير الذى قد قلته كذباً
قتلتَ عمراً وتستبقى يزيدَ لقد رأيتَ رأياً يجرُّ الويلَ والحرباً
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنتَ شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جرّدوا السيف فاجعلهم لجزراً وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطباً

(١) الخزر ضيق العين وصفها (٢) المزن السحاب أو ابيض ويقال لللال بن مزنة وهو للقطعة من المزن لخروجه منها (٣) الاشر بفتح الشين المرح والاختيال

إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَمْ يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوَهُ رَهْبًا
هُمْ أَهْلَةٌ غَسَّاتٌ وَمَجْدُهُمْ عَالٍ فَإِنْ حَاوَلُوا مُلْكًا فَلَا عَجَبًا
وَعَرَّضُوا بِفَدَاءٍ وَاصْفَيْنَا لَنَا خِيَلًا وَأَبْلًا تَرُوقُ الْعُجَمُ وَالْعَرَبَا
أَجْلِبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلِبُهُمْ رِسَالًا لَقَدْ شَرَفُونَا فِي الْوَرَى حَلَبًا

﴿ وَقَالَ صَفَى الدِّينَ الْحَلِّيُّ يَحْرَضُ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الصَّالِحَ ﴾

(عَلَى الْإِحْتِرَازِ مِنَ الْمَعُولِ وَمَنَافَرَتِهِمْ عِنْدَ اقْبَالِهِمْ وَبِهْنِيهِ بَعِيدَ النَّحْرِ)

لَا يَمْتَطِي الْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْخَطَرَا وَلَا يَنَالُ الْعَلَاءَ مَنْ قَدَّمَ الْحَذَرَا
وَمَنْ أَرَادَ الْعَلَاءَ عَفْوًا بَلَاءَ تَعَبٍ قَضَى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرَا
لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلِ بَمْتَعَةٍ لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا
لَا يُبْلَغُ السُّؤْلُ إِلَّا بَعْدَ مُؤَلَمَةٍ وَلَا يَتِمُّ الْمَنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
وَأَحْزَمَ النَّاسَ مَنْ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَاءٍ لَا يَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدْرَا
وَأَغْزَرُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَا بِالْغَيْرِ مَعْتَبَرَا
فَقَدْ يَقَالُ عِيَارُ الرَّجُلِ إِنْ عَثَرَتْ وَلَا يَقَالُ عِيَارُ الرَّأْيِ إِنْ عَثَرَا
مَنْ دَبَّرَ الْعَيْشَ بِالْأَرَاءِ دَامَ لَهُ صَفْوًا وَجَاءَ إِلَيْهِ الْخُطْبُ مُعْتَدَرَا
يَهُونُ بِالرَّأْيِ مَا يَجْرِي الْقَضَاءُ بِهِ مِنْ أَخْطَأِ الرَّأْيِ لَا يَسْتَذِيبُ الْقَدْرَا
مَنْ فَاتَهُ الْعِزُّ بِالْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ بِالْبَيْضِ يَقْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا الشُّدْرَا
بِكُلِّ أَيْبُضٍ قَدْ أَجْرَى الْفَرِنْدَ بِهِ مَاءَ الرَّدَى فَلَوْ اسْتَقَطَرَتْهُ قَطْرَا
خَاضَ الْعِمَاجَةَ عُرْيَانًا فَمَا انْقَشَعَتْ حَتَّى أَتَى بِدَمِ الْأَبْطَالِ مُؤَنَزَرَا
لَا يَحْسُنُ الْحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ وَلَا يَلِيقُ الْوَفَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرَا
وَلَا يَنَالُ إِلَى الْآفَتَى شَرُفَتْ خِلَالَهُ فَاطَاعَ الدَّهْرُ مَا أَمَرَا

كالصالح الملك المرهوب سوطه
 لما رأى الشرّ قد أبدى نواجذه
 رأى القسى إناثاً عن حقيقتها
 فجرد العزم من قبل الصفاح لها
 يكاد يُقرأ من عنوان همنه
 كالبحر والدهر فى يومى ندى وردى
 ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا
 لاموه فى بذله الأموال قلت لهم
 إذا غدا الغصن غصاً من منابته
 من آل أرتقى المشهور ذكرهم
 الحاملين من الخطى أطوله
 لم يرحلوا عن رحى أرض اذا نزلوا
 تبقى صنائعهم فى الأرض بعدهم
 لله درّ سما الشهباء من فلّك
 يا أيها الملك البانى لدوائه
 كانت عداك لها دست فقد صدعت
 فأوقع اذا غدروا سوط العذاب بهم
 ظنوا تأنيك من عجز وما علموا
 أحسنّتهم فبغوا جهلا وما اعترفوا
 واسعك بعيدك ذا الاضحى وضّح به

فلو توعّد قلب الدهر لانفطرا
 والغدر عن نابه للحرب قد كسرا
 فعافها واستشار الصّارم الذكرا
 ملك عن البيض يستغنى بما شهرا
 ما فى صحائف ظهر الغيب قد سطرا
 والليث والغيث فى يومى وغى وقرى
 ولا عفا قط إلا بعد ما قدرا
 هل تقدير السحب ألا ترسل المطرا
 من شاء فليجن من أفنانه الثمرا
 اذ كان كالمسك إن أخفيته ظهرا
 والناقلين من الأسياف ما قصرا
 ألا وأبقوا بها من جودهم اثرا
 والغيث ان سارا بقى بعده الزهرا
 وكلما غاب نجم أطلعت قمرا
 ذكر أطوى ذكرا أهل الأرض وانتشرا
 حصاة جدك ذاك اللست فانكسرا
 بطل ينشاك صرف الدهر ان غدرا
 أن التاني فيهم يعقب الظفرا
 بصنعكم ومن جحد النعمى فقد كفر
 وصل وصل رب العرش مؤثرا

وانحروا عداك فبالإنعام ما انصلحوا ان كان غيرك للأنعام قد نحروا
وقال المرحوم عبد الله باشا فكري يهني الخديوي توفيق بتولية مصر
اليوم يستقبل الآمال راجيها وينجلي عن سماء العز داجيها
وتزدهى مصر والنيل السعيد بها والمملك والدين والدنيا وما فيها
قد أطلع الله في سعد السعد سني بدر بلا لائه أبيضت ليا لها
ذو همة دون أدنى شأوها قصرت غايات من رام في أمر يدانيها
وراحة لو تحاكيها السحاب في فيض الندى هطلت تبراً غواديها
ورأفة بعباد الله كافلة بخير ما حدثت نفساً أمانها
تربو على وصف مطريه محاسنه وهل يعد نجوم الأفق راعيها
توفيق مصر وولاهها وموئلاها وركنها ومفدأها وقادها
وعصنها النضر أتمته منابها من دوحة أينعت فيها مجانيها
خديوها ابن خديوها ابن فارسها أميرها البطل الشهم ابن والها
لله يوم جلا عن نور غرته كالشمس مرق برداليم ضاحيها
يسير في مصر والبشرى تسابقه من حيث سار وتسرى في نواحيها
فلتفتخر مصر إعجاباً بحاضرها على محاسن باضيتها وآتيها
هذا الذي كانت الآمال ترقب دهرأ وتعتسده أقصى مراميها
ما زال في قلب مصر من محبه سر تبوح به نجوى أهاليها
تصبو له وأمانها تطاوعها في حبه ولياليها قعاصيها
وترجييه من الرحمن سائلة حتى استجيب بما ترجوه داعيها
فالحد لله شكرانا لأنعمه فالشكر حافظ نعماء وواقها

وقال مؤلف هذا الكتاب مهنئاً صديقه المرحوم الشيخ علي يوسف بك (صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من أوروبا)

(عليّ) القدر ذو الشرف المؤيد	شديد العزم (يوسف) قد تفرّد
وحيد الفضل والعلماء تشهد	رفيع المجد في عزّ وسوءد
شريف النفس محمود السجيا	عريق الأصل في المعروف أوحد
همام ماله أبداً مشيلاً	بلغ النطق في الكتاب مفرد
محب العدل مشكور المساعى	علم بالسياسة بل (مؤيد)
قوى البأس بسام الثنايا	سعيد الجد ذو قدر منجد
فن يك راقياً شرف الممالى	كذلك في الورى لاشك بمحمد
وكيف وأنت أعظم من تصدى	لنايد الصحافة (بالمؤيد)
وكيف وأنت أفوق كل رام	بهم للكتابة قد تجرّد
وليس الشمس تخفى عن عيون	سوى أن كان صاحبين أرمذ
وان البذر بالأنوار زاو	ويأبى الله الا أن تؤيد
فسبحان الذى أمرى (عليّاً)	الى التأميز والسبين المنصد
تهنيك المناصب كلّ وقت	وتخدمك السعادة ما تجد
فدُم ياسيدى بداراً منيراً	وحصناً للمعالى قد تشيّد
وهالك من المحبّ قصيد شعر	تثير الى وفائى بل وتشهد
تفاخر مصر أهل الشرق فيها	تقول الهاشمى شداً وأشد

وقال محمد حافظ بك ابراهيم مهنئاً أبناء وطنه بالعام المجرى ﴿
 أهلاً بنابتة البلادِ ومرحباً جددتمُ العهد الذى قد أُخلفاً
 لا تأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
 مدت له الآمال فى أفلاكها خيط الرجاء الى العلا فتسله
 فتجشموا للمجد كل عزيمة انى رأيتُ المجد صعب المرتقى
 من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبياً الى آماله وتعلقاً
 عار على ابن النيل سباق الورى مهما تغلب دهره أن يسبقاً
 أو كلما قالوا تجمع شمله لعب الخلاف بجمعنا فتفرقا
 فتدققوا حجباً وخوضوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدققاً
 حملوا علينا بالزمان وصرفه فتائقوا فى سلبنا وتأنقاً
 فتعلموا فالعلم مفتاح العلا لم يبق باباً للسعادة مغلقاً
 ثم استمدوا منه كل قواكم أن القوى بكل أرض ممتقى
 وابنوا حوالى حوضكم من يقظة سوراً وخطوا من حذار خندقاً
 وزنوا الكلام وسدوه فانهم خبوا لكم فى كل حرف مزلقاً
 وامشوا على حذر فان طريقكم وعر أطاف به الهلاك وحلقاً
 نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا للسالكين بكل فيج موبقاً
 الموت فى غشيانه وطروقه والموت كل الموت ألا يطرقة
 فتحيّنوا، فرص الحياة نمينه وتمجلوها بالمزائم والرقى
 أو فاخلقوها قديرين فانما فرص الحياة خليفة أن تخلقا

الباب السابع في المراثي

﴿ قال المهلهل التغلبي يرثي أخاه كليباً وهو جاهلي توفي سنة ٥٣١ م ﴾
أهـاجَ قـذآءَ عـيـنـيَ الـأـدـيِّ كـارُ؟ هـدُوءاً قـالـدـمـوع لـها اـنـهـمـارُ
وـصـار الـلـيـل مُـشـتـمـلاً عـلـيـنـا كـأنَّ الـلـيـلَ لـيـسَ لـهُ نـهـار
وـبـتُّ أـرـاقـبَ الجـوزاءِ حـتى تـقـارـبَ من أـوائـلِها اـنـحـدـار
أـصـرِفُ مُـقـلـتى فـي إـثـرِ قـوم تـبـايـذت الـبـلـادُ بـهـم فـقـاروا
وَأبـكى والنـجـومُ مُـطـلـعـات كـأن لـم تـمـحـوها عـنـيَ البـحـارُ
عـلى من لو نـعـيت وـكان حـياً لَقـاد الخـيـلَ يـحـجـبُها الغـبارُ



دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبَ فَلَمْ يَجِبْنِي وَكَيْفَ يَجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقَفَّارُ ؟
أَجِبْنِي يَا كَلِيبَ خَلَكَ ذَمُّ ضَنِينَاتِ النَفُوسِ لَهَا مَزَارُ
أَجِبْنِي يَا كَلِيبَ خَلَكَ ذَمُّ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا زَرَارُ
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيُسَارُ
أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا كَأَنَّ غَضَا الْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحُلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَلَعَفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانٌ مَخَافَةٌ مِنْ يَجِيرٍ وَلَا يُجَارُ
وَكُنْتَ أَعْدُّ قُرْبَى مِنْكَ رَجُلًا إِذَا مَا عَدَّتِ الرِّيحُ التِّجَارُ
فَلَا تَبْعُدُ فَكُلُّهُ سَوْفَ يَلْقَى شَعُوبًا يَسْتَدِيرُ بِهَا الْمَدَارُ
يَعْمِشُ الْمَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ وَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ بِحَيْثُ صَارُوا
أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَقَدْ تَوَلَّى كَمَا قَدْ يُسْلَبُ الشَّيْءُ الْمُعَارُ

كَأَنِّي إِذْ نَمَى النَّاعَى كَلْبِيَا تَطَايَرُ بَيْنَ جَنِيَّةِ الشَّرَارِ
فَدُرْتُ وَقَدْ غَشَى بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارِ
سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ فَقَالُوا لِي بِأَقْصَى الْحَيِّ دَارِ
فَسَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بِلَدِي حَثِيثًا وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارِ
وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ نَوَى فِيهِ الْمَكْرَمُ وَالْفَخْرُ
لَدَى أَوْطَانِ مُرُوعٍ لَمْ يَشْنُهُ وَلَمْ يَحْدِثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
أَتَغْدُو يَا كَلِيبَ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ أَتَجَاهُ الْفِرَارِ
أَتَغْدُو يَا كَلِيبَ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ
أَقُولُ لَتَنْلُبَ وَالْعَزَّ فِيهَا أَثِيرُهَا لِذَلِكَ أَتَنْصَارُ
تَتَابَعَ اخْوَتِي وَمَضَوْا لِأَمْرِ عَلَيْهِ تَتَابَعَ الْقَوْمُ الْحِسَارُ
خَذِ الْعَهْدَ الْكَدَّ عَلَى عُمُرِي بَتَرَكِي كُلَّ مَاحُوتِ الدِّيَارِ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسِيفِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ التَّهَارُ

﴿ وَقَالَ صَفِي الدِّينِ الْحَلِّيُّ بَرْنِي غَرِيبًا ﴾

أَصْفِيحُ مَاءٍ أَمْ أَدِيمُ سَمَاءٍ فِيهِ تَغُورُ كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ مَوْتِكَ مُوقِنًا أَنَّ الْبَدْرَ غَرُوبُهَا فِي الْمَاءِ
وَلَقَدْ عَجِبْتَ وَقَدْ هَوَيْتَ بَلَجَةً فَجَرَى عَلَى رِسْلٍ بَغِيرِ حَيَاءِ
لَوْ لَمْ يُشَقْ لَكَ الْعَابَابُ وَطَالَمَا أَشْبَهْتَ مُوسَى بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
أَنِفَ الْعُلَاءِ عَلَيْكَ مِنْ لَمَسِ الثَّرَى وَحُلُولِ بَاطِنِ مُحْفَرَةِ ظِلْمَاءِ
وَأَجَلَ جِسْمِكَ أَنْ يَغْيَرَ لُطْفَهُ عَفْنُ الثَّرَى وَتَكَاثُفُ الْأَرْجَاءِ
فَاحْلَهُ جَدْنًا طَهُورًا مَشْبَهًا أَخْلَاقَهُ فِي رَقَّةٍ وَصَفَاءِ

ما ذاك بدعاً أن يضمّ صفاؤه نوراً يضنّ به على الغبراء
فالبحر أولى في القياس من الثري بجوار تلك الدرّة الغبراء

﴿وقال أيضاً يرثي الملك ناصر الدين عمر﴾

بكي عليك الحُسام والقلمُ وانفجع العلمُ فيك والعلمُ
وضجّت الأرضُ فالعبادُ بها لاطيمة والبلادُ تلطمُ
تُظهِرُ أحزانها على ملكٍ جلُّ ملوكِ الوري له خدَمُ
أبلغُ غصنِ الشَّبابِ مُقتَبِلُا عُمُرٍ ولكنَّ مجده هَرَمُ
محكمٌ في الوري وآمله يحكمُ في ماله ويحتكمُ
يجتمعُ المجدُ والثناءُ له وماله في الوفودِ يُقتسمُ
قد سَمِيَتْ جودُهُ الأَنامُ ولا يلقاه من بذله الندي سأمُ
ما عُرِفَتْ منه لا ولا نَمَ أواهبُ الألفِ وهو مبتسمُ
أوالهبُ الألفِ وهو مبتسمُ والقاتلُ الألفِ وهو مُقتحمُ
مبتسمُ والكُماةُ عابسةُ وعابِسُ السيفِ تبتسمُ
لم يعلمِ العالمونُ ما فقدُوا منه ولا الأقربونُ ما عَدِمُوا
ما فقدُ فردٍ من الأَنامِ كَنَ إن مات ماتت لفقده أُمَمُ
يا طالِبَ الجودِ قد قُضِيَ عَمْرُ فكلُّ جودٍ وجودُهُ عَدَمُ
فالناسُ كالعينِ إنْ نَقَدَتْهُمُ تفاوتتْ عندَ نقدِكَ القيمُ
مضى الذي كانَ للأَنامِ أبا فاليومُ كلُّ الأَنامِ قد يَتِمُوا
وحلَّ داراً ضاقت بساكنها ودون أدنى دياره إرَمُ

وقال أبو الحسن التهامي برثي صغيراً له ويفتخر بفضله ويشكو زمانه وحاسديه ﴿

حكُمُ النية في البرية جار	ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا يُرَى الإنسان فيها مخبراً	حتى يُرَى خبراً من الأخبار
طُبِعَتْ على كَدِّ رِوَانَتْ تَريدُها	صفواً من الأقدار والا كذار
ومكَلَّفَ الأيامِ ضدَّ طِبَاءِها	مُتَطَلِّبٍ في الماءِ جَذْوَةَ نار
وإذا رجوتَ المستحيلَ فأنما	تَبْنِي الرجاءَ على شَفِيرِ هار
فالعيشُ نومٌ والمنية يقظةٌ	والمرءُ بينهما خيَالٌ سار
فاقضوا ما رَبِّكم عِجالاً إنما	أعماركم سَفَرٌ من الأسفار
وترا كضواخيل الشباب وبادروا	أن تُستَرَدَّ قانَنٌ عَوَّار
فالدَّهرُ يُخَدِّعُ بالمني ويُنْغِصُ أن	هنا وَيَهْدِمُ ما بَنَى بيوار
ليس الزمان وان حَرَصْتَ مسالماً	خُلِقَ الزَّمانُ عداوةَ الأحرار
إني وَتَرْتُ بِصارِمٍ ذِي رَوْقِي	أَعَدَّتهُ لطلابَةِ الأوتار
والنفس ان رَضِيتَ بذلك أو أَبَتْ	مُنْقَادَةً بِأُزْمَةِ المِقْدَار
أَتْنِي عَلَيْهِ بِأَثَرِهِ وَلَوْ أَنَّهُ	لَمْ يُغْتَبِطْ اثْنَيْتُ بِالْآثَار
يا كوكباً ما كانَ أَقْصَرَ عَمْرُهُ	وكذلكَ عَمْرُ كواكبِ الاسحار
وهلالُ أيامٍ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ	بَدْرًا وَلَمْ يُمَهِّلْ لوقتِ سِرَّار
عَجَلَ الخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ	فجاءهُ قَبْلَ مَظِنَّةِ الإِبْدَار
واسْتَلَّ من أَتْرَابِهِ وَلَدَاتِهِ	كالمُتَلَقِّ اسْتَلَّتْ من الأشعار
فكانَ قَلْبِي قَبْرَهُ وَكَأَنَّهُ	في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأسرار
ان يُعْتَبِطُ صَغِيرًا فَرُبَّ مُقَمِّمٍ	يبدو ضئيلُ الشَّخصِ للنظار

إن الكواكب في علو محلها
 ولد المعزى بعضه فاذا مضى
 أبكيه ثم أقول معتذراً له
 تجاوزت أعدائي وجاوز ربه
 أشكو بعد ذلك وأنت بموضع
 والشرق نحو الغرب أقرب شقة
 هيئات قد علقنتك أسباب الردى
 ولقد جريت كما جريت لغاية
 فاذا نطقت فأنت أول منطقي
 أخفى من البرحاء ناراً مثل ما
 واخفى من الزفرات وهي صواعد
 وشهاب نار الحزن أن طاوعته
 وأكف نيران الأسى ولربما
 ثوب الرياء يشف عمتاحته
 قصرت جفوني أم تباعد بينها
 جفت الكرى حتى كأن غراره
 ولو استزارت رقدة لطمحها
 أحيى الليالى السيم وهي تمني
 حتى رأيت الصبح تهتك كفه
 والصبح قد غمر النجوم كأنه
 أترى صفاراً وهي غير صفار
 بعض الفتى فالكل في الآثار
 وقفت حين تركت ألام دار
 شتان بين جواره وجواري
 لولا الردى لسمعت فيه مزارى
 من بعد تلك الحمة الأشبار
 واغتمل عمرك قاطع الأعمار
 فبلغتها وأبوك في المضمار
 واذا سكت فأنت في أضمارى
 يخفى من النار الزناد الوارى
 وأكفك العبرات وهي جوار
 أوزى وإن عاصيته متوارى
 غلب التصبر فارتدت بشرار
 واذا التحفت به فانك عار
 أم صوّرت عيني بلا أشفار
 عند اغماض العين وخز غرار
 ما بين أجفاني من التيار
 ويميمهن تبليج الأسحار
 بالضوء رفرف خيمة كالقار
 سئل طفى فطفا على النوار

لو كنت تمنع خاض دونك فتية
ودحوا فويق الارض ارضا من دم
قوم اذ البسوا الدروع حسبتها
لو شرعوا ايمانهم في طولها
جنبوا الحيات الى المطى وراوحوها
وكانما ملؤا عياب دروعهم
وكانما صنع السوابع عزه
زردا فاحكم كل موصل حلقة
ففسر بلوا بمنون ماء جامد
اسد ولكن يؤثرون بزادهم
يتزبن النادى بحسن وجوههم
يتعطفون على المجاور فيهم
من كل من جعل الظبي انصاره
واذا هو اعتقل القناة حسبتها
واليث ان ناورة لم يعتمد
زرد الدلاص من الطعان بريجه
ما بين ثوب بالدماء مضطج
والهون في ظل الهوينى كامن
تندى ابرة وجهه ويمينه
ويمد نحو المكرمات انا ملاما
منا بحار عوامل وشفار
ثم اثنوا فبنوا سماء غبار
خلجا تمد بها اكف بحار
طعنوا بها عوص القنا الخطار
بين الشروج هناك والاكوار
وغمود انصلهم سراب قفار
ماه الحديد فصاغ ماء قرار
بجبابية في موضع المسمار
وتقنعوا بجباب ماء جار
والاسد ليس تدين بالايتار
كتزبن الهالات بالاقار
بالمنفسات تعطف الاظفار
وكرم من واستغنى عن الانصار
صلا تابطه هزبر ضار
الا على الانياب والاظفار
في الجحفل المتضايق الجرار
زلق وتقع بالطراد مشار
وجلالة الاخطار في الاخطار
في حالة الايسار والايسار
للرزق في اثباتهم بحجار

يَحْوِي الْمَعَالَى كَارِسِبًا أَوْ غَالِبًا
 قَدْ لَاحَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ كَوَاكِبُ
 وَتَلَهَّبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفَرِّقِي
 شَابِ الْقَدَالِ وَكُلُّ غَصْنٍ صَائِرٌ
 وَالشَّبَّهُ مُنْجَذِبٌ فَلَيْمَ بِيضُ الدُّمَى
 وَتَوَدَّ لَوْ جَعَلَتْ سَوَادَ قُلُوبِهَا
 لَا تَنْفَرُ الظُّبَيَّاتُ عَنْهُ فَقَدَرَاتُ
 شَيْثَانٍ يَنْقَشَعَانِ أَوَّلَ وَهَلَةٍ
 لَا حَبْذَ الشَّيْبِ الْوَفَى وَحَبْذَ
 وَطَرَى مِنَ الدُّنْيَا الشَّبَابِ وَرَوْقُهُ
 قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاتُهُ
 نَزْدَادَ هَمًّا كَلَّمَا أزدَدْنَا غِنَى
 مَا زَادَ فَوْقَ الزَّادِ خَلْفَ ضَائِعًا
 إِنِّي لَا رَحِمَ حَاسِدِي لِحَرَمًا
 نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ فِي فَعْيُونِهِمْ
 لَا ذَنْبَ لِي قَدَرْتُمْ كُنْتُمْ فَضَائِلِي
 وَسَتَرْتَهَا بِتَوَاضُعِي فَتَطَلَّعَتْ
 وَمِنَ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلُ
 وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ
 عَمْرَى لَقَدْ أَوْطَأْنَهُمْ طَرُقَ الْعَلَا

أَبْدًا يُدَارَى دُونَهَا وَيُدَارَى
 إِنْ أَهْلَتْ آلتُ إِلَى الْإِسْفَارِ
 هَذَا الضِّيَاءُ شَوَاطِلُ تِلْكَ النَّارِ
 فَيَنَائُهُ الْأَحْوَى إِلَى الْإِزْهَارِ
 عَنْ بِيضٍ مَفَرِّقَهُ ذَوَاتُ نِفَارِ
 وَسَوَادَ أَعْيُنِهَا خَضَابَ عِذَارِ
 كَيْفَ اخْتِلَافِ النَّبْتِ فِي الْأَطْوَارِ
 ظِلُّ الشَّبَابِ وَخُذْلَةُ الْأَشْرَارِ
 ظِلُّ الشَّبَابِ الْخَائِنُ الْغَدَّارِ
 فَإِذَا انْقَضَى فَقَدْ انْقَضَتْ أَوْطَارِي
 عِنْدِي وَلَا آلاؤُهُ بِقِصَارِ
 وَالْفَقْرُ كُلُّ الْفَقْرِ فِي الْأَكْثَارِ
 فِي حَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ أَوْ عَارِ
 ضَمِنْتُ صَدُورَهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ
 فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبِهِمْ فِي نَارِ
 فَكَأَنَّمَا بَرَقَتْ وَجْهَ نَهَارِ
 أَعْنَاقُهَا تَعْلُو عَلَى الْأَسْتَارِ
 وَمِنَ النُّجُومِ غَوَاضٌ وَدَرَارِي
 وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ فِي الْإِصْدَارِ
 مَعْمُوا فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى آثَارِي

لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصار
هلاً سهواً سعى الكرام فأدركوا أو سلّموا لمواقع الأقدار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار
ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير في يُمتنى بغير يسار

﴿ولأبي البقاء صالح بن شريف الرندي المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثي الأندلس﴾

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصانٌ فلا يُغفرُ بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دُولُ مَنْ سرّه زمنٌ ساءتْهُ أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزّق الدهر حتماً كلَّ سابعةٍ اذ انبت مشرفيات وخرُصانُ
وينتفضي كلّ سيفٍ للفناء ولو كان ابن ذى يزنٍ والنعمد غمضان
أين الملوك ذروا التيجان من يمين وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ما شاده شدّاد في إرَمٍ وأين ما ساسه في الفُرس ساسان
وأين ما حازه قارونُ من ذهب وأين عادٌ وشدّاد وقحطان
أتى على الكلّ أمرٌ لا مرَدَّ له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن مُلكٍ كما حكى عن خيال الطيف وسنانُ
دار الزمان على دارٍ وقائمهٍ وأمّ كسرى فما آواه إيوان
كانما الصعْب لم يسهلْ له سببٌ يوماً ولا ملكٌ لدنيا سليمان
نجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوعةٌ وللزمان مَسراتٌ وأحزان
وللحوادث سُلوَانٌ يُسهلها وما يُلما حلٌّ بالاسلام سُلوَان
ذهي الجزيرة أمرٌ لا عزاء له هوى له أحدٌ وانهدتْ بهلان

أصابتها العين في الإسلام فارتزأت
فاسأل بلذسية ما شأن مرسية
وأين قرطبة دار العلوم فكم
وأين رخص وما تحويه من نزه
قواعد ككن أركان البلاد فما
تبكى الحنيفة البيضاء من أسف
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
حتى المحارب تبكى وهي جامدة

حتى خلت منه أقطار وبلدان
وأين شاطبة أم أين جيتان
من عالم قد سما فيها له شان
ونهرها العذب فيض وملائن
عسي البقاء اذا لم تبقى أركان
كما بكى لفراق الألف هيمان
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المنابر ترفى وهي عيدان

يا غافلاً وله في الدهر موعظة
وماشياً مراحاً يلبيه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدتها
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف الهند مرهفة
ورائعين وراء البحر في دعة
أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبيات لها هم

ان كنت في سيرة الدهر يقظان
أبعد رخص تغر المرء أوطان
وما لها من طوال الدهر نسيان
كانتها في مجال السبق عقبان
كانتها في ظلام النقع نيران
لهم بأوطانهم عز وسلطان
فقد سرى بحديث القوم ركبان
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
وأنتم يا عباد الله إخوان
أما على الخير أنصار وأعوان

يا من لَذَّةِ قومٍ بعد عزِّهم أحال حالهم جَوْرَ وطغيان
بالأُمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبْدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم في ثياب الذلِّ ألوان
ولو رأيتُ بكاهم عند يثيهم لهالك الأمرُ واستهوتك أحزان
ياربِّ أُمِّ وطفيلٍ حيل بينهما كما تُفرِّقُ أزواج وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العليج للمكرهه مُكرهه والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كد ان كان في القلب إسلام وإيمان

❦ وقال أبو الطيب المتنبي يرى أبا شجاع قتيلاً ❦

الحزن يُلقُ والتجملُ برَدَعُ والدَّمْعُ ييمها عَصِي طيع
يتنازعان دُموعَ عينٍ مُسَهَّدِ هذا يجيئ بها وهذا يرجع
الثوم بعد أبي شجاع نافرَ والليلُ معي والكواكب طلع
إني لاجنُّ من فراق أحبِّي وتحسُّ نفسي بالميماء فاشجعُ
ويزيدي غضبُ الأعدى قسوةً ويُلِمُّ بي عتبُ الصديق فأجزعُ
تصفو الحياةُ لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقعُ
ولأنَّ يُقالُ في الحقائقِ نفسهُ ويسووها طَلَبُ المُحال فتطمعُ
أين الذي الهرمان من بُنيانه ما قومه ما يوبه ما المضرعُ
تتخلفُ الآثار عن أمِّ ما بها حيناً ويُدرِكها الفناء فتنبعُ

﴿ وقال عبد المجيد بن عبدون الفهرى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ راثياً ملوك ﴾

« بنى الأفتس من قصيدة ممتعة في التاريخ والادب »

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكْلَةُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ
أَنْهَكَ أَنْهَكَ لَا أَنْهَكَ وَاحِدَةً عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالِمَةً فَالْبَيْضُ وَالسَّمَرُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسَّمَرِ
وَلَا هَوَادَةٌ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ يَدُ الضَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
فَلَا يُغَرِّنُكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا فَمَا صَنَاعَةُ عَيْنِهَا سِوَى السَّهْرِ
فَبِالْإِلَى أَقَالَ اللَّهُ عَثَرْتَا مِنَ الْإِلَى وَغَالَتْهَا يَدُ الْعِيدِ
فِي كُلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِمَّا جَرَّاحَ وَإِنْ زَاغَتْ عَنِ الْبَصَرِ
نَسَرَ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَقَرَّ بِهِ كَلَايِمُ تَارٍ إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهْرِ
كَمْ دَوْلَةٍ وَلَيْتَ بِالنَّصْرِ خَدَمَتُهَا لَمْ تُبْقِ مِنْهَا وَسَلْ دُنْيَاكَ عَنْ خَبَرِ

﴿ وقال أبو ذؤيب يرثى أولاده ﴾

أَمِنْ الْمَذُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالِدَهُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ أَمَامَةَ مَا لَجَسْمِكَ شَاحِبًا مِمَّا ابْتَدَلَتْ وَمِثْلُ مَا لَكَ يَنْفَعُ
وَلَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمْ وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ جَفُونَهَا كَحِيلَتْ بِشَوْكِ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْفَعُ
وَتَجْلِدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعَهُمْ أَيْ لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَنْضَعُضِعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ نِصْفَ الْمَشْقَرِ كُلِّ يَوْمٍ تُقَرَّعُ
لَا بُدَّ مِنْ لَفٍ مُقِيمٍ فَاَنْتَظِرْ أَبْأَرْضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأَخْرِي الْمَضْجَعِ

ولقد أرى أن البكاء سفاهةٌ ولسوف يوزع بالبكا مَنْ يُفْجَعُ
وليأتينَّ عليك يوماً مرةً يبكي عليك معنفاً لا تسمع
فلئن بهم نجح الزمان ورِيه أنى بأهل مودتي لمفجع
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُرِدُّ إلى قليل تقنع

وقال أبو الحسن الانباري المتوفي سنة ٣٢٨هـ يرثى أبا طاهر بن بقية وزير
عز الدولة لما قتل وصلب — وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب حتى
ان عضد الدولة الذي صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه ✽

علوٌ في الحياة وفي الماتِ حوًّا أنتَ إحدى المعجزاتِ
كانَّ الناسَ حولك حين قاموا وفودُ نَدَاكَ أيامَ الصَّلَاتِ
كانَّكَ قائمٌ فيهم خطيباً وكثُرَ قِيَامُ الصَّلَاةِ
مددت يديكَ نحوهم احتفاءً كمدَّهما إليهم بالهباتِ
ولما ضاق بطنُ الأرضِ عن أنْ يضمَّ علاكَ من بعد الوفاةِ
أصاروا الجوَّ قبرك واستعاضوا عن الأَكْفَانِ ثوبَ السَّافِياتِ
لعظمتِكَ في النفوسِ تبيدُ رُعي بحرَّاسٍ وحُفَاطِ ثِقَاتِ
وتوقدُ حولك النيرانُ ليلاً كذلك كُنْتَ أيامَ الحياةِ
ركبتَ مطيةً من قبلُ زينةً علاها في السنينِ الماضياتِ
وتلكَ قضيةٌ فيها ناسٌ تباعدُ عنكَ تغييرُ العِزَّةِ
ولم أرَ قبلَ جذعك قطُّ جذعاً تمكَّنُ من عناقِ المَكْرُمَاتِ
أسأتُ إلى النوائبِ فاستنارت فانتَ قَتِيلُ ثَأْنِ النَّائِبَاتِ
وكنْتَ تجيرُنا من صرفِ دهر فعاد مطابِ لكَ بالثِّراتِ

وَصَبَّرَ دَهْرُكَ الْإِحْسَانَ فِيهِ
وَكُنْتُ لِمُعْشَرٍ سَعْدًا فَلَمْ
غَلِيلٌ بَاطِنُكَ فِي فُؤَادِي
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامِ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَائِي
وَلَكِنِّي أَصْبَرْتُ عَنْكَ نَفْسِي
وَمَالِكَ تَرْبَةٍ فَأَقُولُ تُسْقَى
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتَرَى
إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ
مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْجِسَاتِ
يُخَفِّفُ بِالذُّمِّ مَوْعِ الْجَارِيَاتِ
بِفَرَضِكَ وَالْحَقُّوقِ الْوَاجِبَاتِ
وُنُحِتَ بِهَا خِلَافُ النَّائِحَاتِ
خُفَافَةٌ أَنْ أَعْدَتْ مِنَ الْجُنَاقِ
لَأَنَّكَ نُصِبَ هَظْلُ الْهَاطِلَاتِ
بِرَحْمَاتِ غَوَادٍ رَائِحَاتِ
﴿ وَقَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرُ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٦٥٦ هـ ﴾

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتُ غَدْرًا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِن
فِي أَمْنٍ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
أَيَّزَ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
نَمَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
أَوَا أَسْفَى لَجْسِمِكَ كَيْفَ يَبْلَى
يَاقْبَرَ الْحَبِيبَ وَدَدْتُ أَنِّي
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي
وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
وَتَعَصَى فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ
فَسَكَلُ النَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَ
دَهَاكَ مِنَ الْمَنِيَّةِ مَا دَهَاكَ
وَكَيْفَ أَطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفَكَ
أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بِهِجْتِهِ سَنَاكَ
تَحَمَلْتُ وَلَوْ عَلَيَّ عَيْنِي ثُرَاكَ
يُزَفُّ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذِرَاكَ

﴿ وقالت السيدة ثمارُ ضرُ الخنساء المتوفاة سنة ٢٤ هـ ﴾

قَدْ بَعَيْتُكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ أَقْفَرَتْ أَذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيَضُّهُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَدْرَارُ
تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَأَى الْبَهْلُ الدَّهْرُ أَنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
لَا بَدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا عِبْرُ وَاللَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَرَّادَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَاوِينَا وَسَيِّدَنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوْنَاهُ نَحَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لَنَأْتِيَهُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لَرِيبةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
مِثْلَ الرُّدْنِيِّ لَمْ تَنْفَعْدِ شَيْبَتَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَلْحٍ الْبُرْدِ أَسْوَارُ
طَلَّقُ الْيَدَيْنِ بِفَعْلِ الْخَيْرِ مُعْتَمِدُهُ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْجَيْرَاتِ أَمَارُ
حَمَالُ أَلْوِيَةِ هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ شَهَادَةُ أُنْدِيَةِ لِلجَيْشِ جَرَارُ

﴿ وقالت أعراية ترى ابنها ﴾

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَلَهُّبًا وَقَدْ حَرَّقَتْ نَارُ الشُّوْنِ الْمَدَامُ
وَقَدْ أَضْرَمْتُ نَارُ الْمَصِيبَةِ شُعْلَةً وَقَدْ حَمَيْتُ مَنَى الْحَشَا وَالْأَضَاعُ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّكْبَ هَلْ يُخْبِرُونَنِي بِحَالِكَ كَيْفَمَا تَسْتَكُنُّ الْمَضَاجِعُ
فَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مُخْبِرٌ عَنْكَ صَادِقُ وَلَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَيَا وَلَدِي مُذْغِبَتْ كَدَّرْتُ عَيْشَتِي فَقَلْبِي مَصْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَفَرَى مَسْقُومٌ وَعَقْلِي ذَاهِبُ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بِلَاقِعُ

﴿ وقالت ليلى الاخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ ﴾

أَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ

وما أحدٌ حَيٌّ وإنْ عاشَ سالماً
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً
وليس لدى عيش عن الموت مقصر
ولا الحيُّ مما يحدث الدهر معتب
وكل شباب أو جديد إلى بلى
وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

بأخلد ممتن غيبته المقابر
فلا بد يوماً أن يري وهو صابر
وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الميت أن لم يصبر الحي ناسر
وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

✽ وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ✽

إن سال من غرب العيون بحور
فلكل عين حق مذارار الدما
سُتر السناو وتحجبت شمس الضحى
ومضى الذي أهوى وجرعني الأسا
يا ليتك لما نوى عهد النوى
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي
لو بث حزني في الوري لم يلتفت
طافت بشهر الصوم كاسات الردى
فتناولت منها ابنتي فتغيرت
فدوت أزاهير الحياة بروضا
لبست ثياب السقم في صغر وقد
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفاء
وصف التجرع وهو يزعم أنه
فتدفست للحزن قائلة له

فلدهر باغ والزمان غدور
ولكل قلب لوعة وثبور
وتقيبت بعد الشروق بدور
وغدت بقايا جذوة وسعير
وافى العيون من الظلام تدير
نار لها بين الضلوع زفير
لمصاب قيس والمصاب كبير
سحراً وأكواب اللامع تدور
وجنات خد شاتها التغير
وانقادت منها مائس ونصير
ذاقت شراب الموت وهو موير
ان الطبيب بطبه مغرور
بالبرء من كل السقام بشير
عجل يبرئى حيث أنت خير

وارحم شبابي إن والدي غدت
 وارأف بعين حرمت طيب الكرى
 لما رأته يا أس الطيب وعجزه
 أماء قد كل الطيب وفاتني
 لو جاء عراف الإمامة يبتغي
 ياروع روجي حلها نزع الضنا
 أماء قد عز اللقاء وفي غد
 وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي
 قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي
 وتجلدي بإزاء لحدى برهة
 أماء قد سلفت لنا أمنية
 كانت كأحلام مضت وتخلقت
 عودى إلى ربيع خلا وما نر
 صوني جهاز العرس تذكراً فلي
 جرت مصائب فرقي لك بعد ذا
 والقبر صار لغصن قدي روضة
 أماء لا تنسى بحق بنوتي
 ورجاء عفو أو تلاوة منزل
 فلعلم أحظى برحمة خالق
 فأجبتها والد مع يحبس منطقي

تكلى يشير لها الجوى وتشير
 تشكو الشهاد وفي الجفون فتور
 قالت ودمع المقلتين غزير
 مما أو مل في الحياة نصير
 برى لرد الطرف وهو خسير
 عما قليل ورقتها ستطير
 ستزين نعشى كالعروس يسير
 هو منزلى وله الجموع تصير
 جاءت عروساً ساقها التقدير
 قتراك روح راعها المقدور
 ياحسبها لو ساقها التيسير
 مذ بان يوم البين وهو عسير
 قد خلقت عني لها تأثير
 قد كان منه إلى الزفاف سرور
 لبس السواد ونفذ المسطور
 ربحانها عند المزار زهور
 قبري لئلا يحزن المقبور
 فسواك من لي بالحنين يزور
 هو راحم برى بنا وغفور
 والدمع من بعد الجوار يحور

بنثاء يا كبدي ولوغة مهبتي قد زال صفو شأنه التكدير
لا توصي ثكلى قد أذاب فؤادها حزنٌ عليك وحسرةٌ وزفير
قسماً بغض نواظري وتلهفي منذ غاب إنسانٌ وفارق نور
وبقبلي ثغراً تقضى نحيبه فحُرمت طيب شذاه وهو عطر
والله لا أسلو التلاوة والدُّعا ما غرّدت فوق الفُصون طيور
كلّا ولا أنسى زفير توجعي والقدر منك لدى الثرى مدثور
إني ألفتُ الحزن حتى أني لو غاب عني ساءني التأخير
قد كنت لا أرضى التباعد برهةً كيف التصبّر والبعاد دهور
أبكيك حتى نلتقي في جنة برياض مُخلد زيتنها الحور
إن قيل عائشة أقول لقد فني عيشي وصبري والإله خبير
ولهي على «توحيد» الحسن التي قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالقي راض وبالك شاكراً وغفور
مُتمت بالرضوان في خلد الرضا ما أزيّدت لك غُرقة وقصور
وسمعت قول الحق للقوم ادخلوا دار السلام فسعيكم مشكور
هذا النعيم به الأجابة تلتقي لا عيش إلا عيشه المبرور

❖ وقالت المرحومة ملك حفني ناصف تربي عائشة هائم تيمور ❖
ألا يا موتُ وينحك لم تراع حقوقاً للطُروس ولا اليراع
تركت السكتب باكية بكاء يُشيبُ الطفل في عهد الرضاع
ولم تهب الفضائل والمعالي وطول السعي في خير المساعي
ولم يمنعك ممّا رُمت نثر ولا شعير ولا حسن ابتداع

تَراكَ تجودُ بالأرزاءِ حتى عدَدنا البخلَ من كرمِ الطِّباعِ
فدُبُّ يا قلبُ لا تَكُ في جودِ وزِدْ يا دمعُ لا تَكُ في امتناعِ
ولا تبخلِ على وكن جموداً فكُنزِ العلمِ أمسى في ضياعِ
سَنَبَقِي بعدَ عائِثَةِ حَيَّارِي كَيرُبِ في الفَلَاةِ بغيرِ راعِ
لقد فُقدتَ ولم تَفْقِدْ علَّها وهل شمسٌ تُغيبُ بلا شُعا
هي الدُّرُّ المصون بيطنِ أرضِ وقد كانت كذلك في قناعِ
هي البحرُ الخِضمُ وما سمعنا بأن البحرَ يُدفنُ في التَّلَاعِ
وكانت المكارمُ خيرَ عونِ وللخيراتِ كانت خيرَ داعِ
لها القيدُحُ المَعْلَى في العوَالِي وفي نشرِ المعارفِ طولِ باعِ
فيا شمسَ المحامدِ رَغِبْتَ عَنَّا وخَلَفْتَ البِكاةَ لِكُلِّ ناعِ
ويا خيرَ النساءِ بلا خلافِ وقد وتنا بلا أدنى نزاعِ
لقد أُحييتِ ذِكرَ نساءِ مصرِ وجَدَدْتَ العَلا بعدَ انقطاعِ
وشِدَّتْ صُروحُ طُهرٍ باذخاتِ مُحَصَّنَةً كَتَحَصِينِ القِلاعِ

❦ وقال المرحوم حقني بك ناصف راثياً عبد الله باشا فكرى ❦

لِذِّعِ المدَّعونِ العلمِ والادبا فقد تَغَيَّبَ عبدُ الله واحتجَّبا
ولِئَن تَسِيبَ أدعياءُ الفضلِ كيف قضت آراؤهم إذا قَضَى من يَحْفَظُ النِّسبا
وليفغُرُ اليومُ قومٌ بالِتراعِ ولا خوفٌ عليهم فمن يَخْشَوْنَهُ ذَهبا
وليرقَ مَنْ شاءَ أعوادِ المنابرِ إذ مات الذي يَتَّقِيهِ كُلٌّ من خطِّبا
لو عاش لم يَطْرُقِ الأسماعُ ذِكرُهمُ في طَلَمَةِ الشَّمْسِ من ذا يُبْصِرُ الشُّهبا
فليَسْمُ مَنْ شاءَ بالأِشْاءِ لا عَجَبُ مَنَحَى الذي كانَ من آيَاتِهِ عَجبا

طود من الفضل من بعد الرُّسوخ هوى
أجل فقد مات عبدُ الله والأسفا
فكل نفس لمعناه شكت وبكت
قضى الحياة ونصر الحق ديدنه
لا كان عيد رأينا صفوه كدراً
سارت جنازته والعلم في جزع
وكوكب بعد أن أبدي الهدى غرباً
واوحشت مصر من فكري فواحرّبا
وكل فكرٍ بفكري ماج واضطربا
لا ينشئ رهبا عنه ولا رغبا
بقديه واثنت راحته تعباً
والفضل يندب في ضمن من ندبا

✽ وقال أحمد بك شوقي يرثي مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ✽

المشرقان عليك ينتحبان
يا خادم الإسلام أجر مجاهد
الله يشهد أن موتك بالحيجا
إن كان للأخلاق ركن قائم
بالله فتش عن فؤادك في الثرى
وجدانك الحى المقيم على المدى
الناس جار في الحياة لغاية
والخلد في الدنيا وليس بهتين
فلو أن رسل الله قد جبنوا لما
المجد والشرف الرفيع صحيفة
وأحب من طول الحياة بذلة
دقات قلب المرء قائلة له
فارفع نفسك بعد موتك ذكرها
قاصيهما في مآتم والداني
في الله من خلد ومن رضوان
والجدة والاقدام والعرفان
في هذه الدنيا فأنت الباني
هل فيه آمال وفيه أمان
ولرب حتى ميت الوجدان
ومضال يجري بغير عيان
عليا المراتب لم تنح لجان
ماتوا علي دين ولا إيمان
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
قصر يربك تقاصر الأقران
إب الحياة دقائق وثوان
فالتذكر للانسان عمر ثاني

للمرء في الدنيا وجَمَّ شؤونها
 فهي الفضاء لراغبٍ مُتَطَلِّعٍ
 الناس غادر في الشقاء ورائح
 ومُنْعَمٍ لم يلقَ إلا لذة
 فاصبر على نعم الحياة وبُؤسها
 ياطاهر الغدوات والروحانيات
 هل قَامَ قبلك في المدائن فاتحاً
 يدعو إلى العلم الشريف وعنده
 لفوك في عِلْمِ البلاد مُنْكَسّاً
 ما احمر من خجل ولا من رتبة
 يزجون نعشك في السناء وفي السنا
 وكأنه نعش (الحسين بكر بلا)
 في ذمة الله الكريم وبرّه
 (ومشى جلال الموت وهو حقيقة
 شقّت لمنظرك الجيوب عقائله
 والخلق حولك خاشعون كهمهم
 يتساءلون بأى قلب ترتقي
 فلو ان أوطاناً تصوّر هيكلها
 أو كان يحمل في الجوارح ميت
 أو صيغ من غرر الفضائل والعلی

ماشاء من ربح ومن خسران
 وهي المضيق لمؤثر السلوان
 يشقى له الرحماء وهو الهاني
 في طيها شجن من الأشجان
 نعم الحياة وبُؤسها سيّان
 خطرات والأسرار والإعلان
 غار بغير مُهند ورسنان
 ان العلوم دعائم العمران
 جزع الهلال على فتي الفتیان
 لكننا يبكي بدمع قاني
 فكأنما في نعشك القمران
 يختال بين بكى وبين حنان
 ماض من عرف ومن احسان
 وجلالك المصدوق يلتقيان
 وبكتك بالدمع الهتون غواني
 اذ ينصتون لخطبة وبيان
 بعد المنابر أم بأى لسان
 دفنوك بين جوائح الأوطان
 حملوك في الأسماع والأجفان
 كفن لبست أحسن الأكتافان

أَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَيِّنَةٌ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ رُثِيَّتَ فِي الْقُرْآنِ
يَا صَبَّ مِصْرَ وَيَا شَهِيدَ غَرَامِهَا هَذَا تُرَى مِصْرَ قَتَمَ بِأَمَانِ
اخْلَعْ عَلَى مِصْرٍ شَبَابَكَ عَالِيَا وَابْسُ شَبَابَ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ
فَلَعَلَّ مِصْرًا مِنْ شَبَابِكَ تَرْتَدِي مَجْدًا تَتِيهُ بِهِ عَلَى الْبِلْدَانِ
فَلَوْ أَنَّ بِالْهَرَمَيْنِ مِنْ عِزَمَاتِهِ بَعْضُ الْمَضَاءِ تَحْرُكُ الْهَرَمَانِ
عَلِمْتَ شُبَّانَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى كَيْفَ الْحَيَاةُ تَكُونُ فِي الشَّبَّانِ
مِصْرُ الْأَسِيفَةِ رِيْفَهَا وَصَعِيدُهَا قَبْرُهُ أْبْرُ عَلَى عِظَامِكَ حَانِي
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ فِي التُّرَابِ طَهَارَةٌ مَلِكُ يَهَابٍ سُؤَالُهُ الْمَلِكَانِ

﴿ وَقَالَ ابْنُ هَانِيءٍ الْأَنْدَاسِيُّ يَرْثِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ ﴾

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفْسًا فَاسْتَرَدَّ رَبِّمَا جَادَ بِخَيْلٍ فُخْسَدِ
خَابَ مَنْ يَرْجُو زَمَانًا دَائِمًا تُعْرِفُ الْبَاسَاءَ مِنْهُ وَالنَّكَدِ
فَلَقَدْ أَذْكَرَ مَنْ كَانَ سَهَاً وَلَقَدْ نَبَّهَ مَنْ كَانَ رَقْدِ
قُلْ لِمَنْ شَاءَ يَقْلُ مَا شَاءَ إِنَّ خَصَمِي فِي حَيَاتِي لِأَلْدِ
مُسْتَضِيًّا نَصْلًا إِذَا شَاءَ مَضَى رَأَيْتُ سَهْمًا إِذَا شَاءَ قَصْدِ
مَاتَ مَنْ لَوْ عَاشَ فِي سِيرْبَالِهِ غَلَبَ النُّورُ عَلَيْهِ فَاتَّقْدِ
إِنَّمَا كَانَ شَهَابًا ثَاقِبًا صَعَقَ اللَّيْلُ لَهُ ثُمَّ خَدِ
لَا رَجَاءَ فِي خُلُودِ كَلْمِنَا وَارِدُ الْمَاءِ الَّذِي كَانَ وَرْدِ

﴿ وَقَالَ شَاعِرُ النَّيْلِ أَحْمَدُ بْنُ شَوْقِي رَئِيًّا ﴾

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلِّ الْحَادِثَاتِ
وَمَنْ يُولَدُ يَعِشُ وَيَمُتُ كَأَنْ لَمْ يَمُرَّ خِيَالَهُ بِالْكَائِنَاتِ

وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الزَّوْاقِي كَنَعَشَ الْمَرْءُ بَيْنَ النَّاعِثَاتِ
وَمَا سَلِمَ الْوَلِيدُ مِنْ اسْتِكَاءٍ فَهَلْ يَخْلُو الْمَعْمَرُ مِنْ أَدَاةٍ
هِيَ الدُّنْيَا قِتَالٌ نَحْنُ فِيهِ مَقَاصِدُ لِلْحَسَامِ وَلِلْقَنَاقَةِ
وَكُلُّ النَّاسِ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِ كَمَا دُفِعَ الْجَبَانُ إِلَى الثِّيَابِ
نُرُوعٌ مَا نُرُوعُ ثُمَّ نُرُوعِي بِسَهْمٍ مِنْ يَدِ الْمَقْدُورِ آتٍ

وقال محمد بك حافظ ابراهيم راثياً الامام الشيخ محمد عبده
سلامٌ على الاسلام بعد مُحَمَّدٍ سلامٌ على آيَّامِهِ النَّصْرَاتِ
على الدِّينِ والدُّنْيَا على الْعِلْمِ والحِجَابِ على الْبِرِّ والتَّقْوَى على الْحَسَنَاتِ
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَادِي الْمَوْتِ قَبْلَهُ فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
فَوَالْهَفْيِ وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى نَظَرَةٍ مِنْ تِلْكَ النُّظَرَاتِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي حِيَالَ الْقَبْرِ فِي عِرْقَاتِ
أَبْنَيْتُ لَنَا التَّنْزِيلَ حِكْماً وَحِكْمَةً وَفَرَّقْتَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
وَوَقَفْتَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ والدُّجَى فَأَطْلَعْتَ نُوراً مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
وَقَفْتَ (لَهَا نَوْتُ وَرَيْنَانٌ) وَقَفَةً أَمْدُكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالنَّفْعَاتِ
وَخِفْتُ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ فَخَافَكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالتَّنْزَعَاتِ
وَأَرَصَدْتُ لِلْبَاغِي عَلَى دِينِ أَحْمَدَ شَبَابَةَ بَرَاعٍ سَاحِرِ النِّفْعَاتِ
مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عُجْباً بِرَبِّهِ وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّمَسِ وَالْقُبُلَاتِ
بِكَيِّ الشَّرْقِ فَارْتَحِلَتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَةً وَضَاقَتْ عَيُونُ الْكُفْرِ بِالْعِبْرَاتِ
بِكَيِّ عَالَمِ الْإِسْلَامِ عَالِمِ عَصْرِهِ سَرَّاجِ الدِّيَاغِيِّ هَادِمِ الشُّبُهَاتِ
فَيَاوِيحُ لِلشُّوْرَى إِذَا جَدَّتْ جَدُّهَا وَطَاشَتْ بِهَا الْآرَاءُ مَشْتَجِرَاتِ

ويا ويح للفتيا إذا قيل مَنْ لها ويا ويح للخيرات والصدقات
بكِيننا على فرد وإن بكاءنا على أنفس الله منقطعات
تمهدا فضل الأمام وحاطها بأحسانه والذهر غير مؤآتي

الباب الثامن في الحكم والنصائح

﴿قال عبيد بن الأبرص﴾

كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتفتدى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم فعيّة ولا تطلب بجهد فتتكبد
عسى سائل ذو حاجة إن منعه من اليوم سوّلاً أن يسرك في غد
ولا تقعدن عن سعى ما قد ورثته وما استطعت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهله وقام جناسة الشرّ بالشرّ فاقعد
وبالعدل فانطق إن نطق ولا تجر وذا الدمّ فاذمّمه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
ولا أبتغي ودّ امرئ قلّ خيره وما أنا عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حملت الخؤون أمانة فانك قد أسندتها شرّ مسند
ولا تظهرن ودّ امرئ قبل خُبّره وبعد بلاء المرء فاذمّم أو أحمد

﴿وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ﴾

يا ظيئة أشبه شيء بالهأ ترعى الخزامى بين أشجار النقا^(١)

(١) الظيئة الإنثى من النزلان . المهاجع مهة وهى الإنثى من البقر الوحشى الخزامى نبات معروف طيب الرائحة . النقا اسم موضع

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ طَرَّةٌ صُبْحٌ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى (١)
 واشتعلَ المَبْيَضُ فِي مُسْوَدِّهِ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزَلِ النَّفَى (٢)
 فَكَانَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَلٌّ فِي أَرْجَائِهِ ضَوْءٌ صَبَاحٌ فَانْجَلَى (٣)
 وَغَاضَ مَاءُ شِرَّتِي دَهْرٌ رَمَى خَوَاطِرَ الْقَلْبِ بِتَبْرِيحِ الْجَوَى (٤)
 وَأَضَى رَوْضُ اللَّهِ وَيَساً ذَاوِيَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَجَاجَ الثَّرَى (٥)
 وَضَرَمَ النَّأْيُ الْمُشْتِ جَذْوَةً مَا تَأْتَلِي تَسْفَعُ أَثْنَاءَ الْحَشَى (٦)
 وَانْخَذَ التَّسْمِيدُ عَيْنِي مَالَفًا لَمْ أَجْأُ أَجْفَاهَا طَيْفُ الْكَرَى (٧)
 فَكَلُّ مَا لَاقِيْتُهُ مُغْتَفَرٌ فِي جَنْبِ مَا سَأَرَهُ شَحَطُ النَّوَى (٨)
 لَوْلَا بَسُّ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ بَعْضُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي فَضَّ أَصْلَادَ الصَّفَا (٩)
 إِذَا ذَوَى الْغَصْنُ الرُّطِيبُ فَاعْلَمَنَّ أَنَّ قُصَارَاهُ نَفَادٌ وَتَوَى (١٠)

(١) اما اصلها ان ماكان شرطية وما زائدة ترى اصلها ترين وترى فعل الشرط وجوابه قوله فيها بعد فكل ما الخ . حاكي اشبه . طرة صبح يعني وجه صبح وطرة كل شيء حافته وجانبه . اذيال جمع ذيل وهو الطرف . الدجى جمع دحية وهي الظلمة (٢) اشتعل فشا وانتشر ، جزل ما غلظ من الحطب . النفى جمع غضاة وهي نوع من الشجر يبق جمره طويلا (٣) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً . والبهيم هو الاسود الذي لا ضوء فيه . حل نزل ارجائه جمع رجا بالقصر الطرف . فانجلى فانتكشفت وظهر (٤) غاض نقص او ذهب . الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب . التبريح البلوغ في المشقة الى غايتها . الجوى سقم في الجوف من طول المرض (٥) أض رجع . يساً يساً . ذاوياً ذابلاً . مجاج من قولهم مج الغصن الماء اذا القاه . الثرى بالقصر التراب الندى وبالمد الفنى والسعة (٦) ضرم اشعل واوقد . النأى البعد . المشت المفرق . جذوة هي الجمرة العظيمة ما تأتلى ما تقصر تسفع تحرق وتملك . اثناء الحشى يعني ما رق من البطن واراد به القلب والحوف (٧) التسميد والسهاد السهر وهو عدم النوم . مالفاً صاحباً والمألوف هو الموضع الذي تقع فيه الألفة أى الاجتماع والصحبة . جفا هجر . الاجفان اغطية العيون واحدها جفن . الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب . الكرى النوم (٨) مغتفر متجاوز عنه . أسأره ايقاه . شحط البعد النوى البعاد (٩) لابس خالط الاصم الصلب . فض كسر . واصل الانقضاء التفرق اصلا دمج صله وهي الحجارة الصلبة الشديدة . الصما الصخر الصلاب جمع صفاة والمذكر صفوان (١٠) ذوى

شجيتُ لا بلْ أَجْرَضَتْنِي غُصَّةٌ عَنْوُدُهَا أَقْتَلُ لِي مِنَ الشَّجَى (١)
 إِن يَحْمَ عَنْ عَيْبِ الْبُكَاءِ تَجَلَّدِي فَالْقَلْبَ مَوْقُوفَ عَلَى سُبُلِ الْبُكَاءِ (٢)
 لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاهُ يَقْظَانُ لِأَصْنَانِي الرَّدَى (٣)
 منزلة ما خلقتها يرضى بها لنفسه ذو أدبٍ ولا حِجَابِ (٤)
 شيمُ سحابٍ خَلَبَ بَارِقُهُ وَمَوْقِفٌ بَيْنَ آرْتِجَاءٍ وَمَنْى (٥)
 في كلِّ يوم منزلٌ مُسْتَوْبِلٌ يَشْتَفُ ماءً مُهَجَّتِي أَوْ مُجْتَوَى (٦)
 ما خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَشْنِي عَلَيَّ ضَرَاءَ لَا يَرْضَى بِهَاضِبِ الْكُدَى (٧)
 أَرَمَقُ الْعَيْشَ عَلَى بَرَضٍ فَإِنْ رُمْتُ ارْتِشَاءً قَارُمْتُ صَعْبَ الْمُتَنَسَّى (٨)
 أراجعُ لى الدَّهْرُ حَوْلًا كَامِلًا إِلَى الَّذِي عَوَّدَ أَمْ لَا يُرْتَجَى
 يا دهرُ إِن لم تَكْ عُنْبِي فَاتَّيِدْ فَإِنْ إِرْوَادَكَ وَالْعُنْبَى سَوَى (٩)
 رَقَّةٌ عَلَيَّ طَالَمَا أَنْصَبْتَنِي وَاسْتَبَقَ بَعْضُ مَاءِ غُصْنٍ مُلْتَحَى (١٠)

جف وذبل . الرطيب الناعم الرطب . قماراه آخر امره وغايته . نفاذ فناء وذهاب . وتوى بالهاء
 الحلاك (١) شجيت حزنت او قصصت وانفصمت بالاختناق باللقمة يقال شجيت بالمظم اى اختنقت
 به . اجرصتني خذفتني غصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق عنودها معارضتها (٢) ان حرف
 شرط يحم فعل الشرط يمنع تجلدي تصبرى فالقلب جواب الشرط سبل الطرق واحدها سبيل وعنى
 بذلك الهوى الذي يأتي البكاء من اجله وسببه (٣) الاحلام جمع حلم وهو ما يراه الانسان في
 منامه . ناجتني اخبرتني لاصحابي لقتلني مكاني بلا تأخير . الردى اهلاك (٤) منزلة درجة . ما خلقتها
 ما حسبها ادب ظرف الحجا العقل (٥) شيم النظرة الى البرق خاصة خلب الذى لا ماء فيه ارتجاء
 امل منى بالضم جمع منية وهى المطلوب (٦) مستويل ومجتوى يقال اجتويت البلاد اذا كرهتها
 وان كانت موافقة لك واستويلتها اذا لم توافقك وان كنت غير كاره لها يشتف يستقى
 (٧) يثلى يعطفنى ضراء الصخرة العمياء السكدي بالضم جمع كدية وهى ما ارتفع من الصخور
 (٨) ارمق العيش اعطى منه بقدر ما يسد رمق . برض المطاء القليل . الارتشاق ان يستقى
 شرب ما فى الاناء المتنى المطلب البعيد (٩) العنبي الرضى . فاتتد ارفق . الارواد الرقى . سوى
 مثل (١٠) رقه وسع انصببتنى انعبتني . استبق ابق . ملتحنى الذاهب لحاء اى قشره الظاهر

لا تحسبن يا دهر أتى ضارع ^(١)	لنكبة تهرقني عرق المدى ^(١)
مارست من لوهوت الأفلاك من	جوانب الجو عليه ما شكا ^(٢)
لكنها نفثة مصدور إذا	جاش لغام من نواحيها غما ^(٣)
رضيت قسراً وعلى القسر رضى	من كان ذا سخط على صرف القضاء ^(٤)
إن الجديدين إذا ما استوليا	على جديد أدنياء لليلى ^(٥)
ما كنت أدري والزمان موع	بشت مأوم وتنكيث قوى ^(٦)
إن القضاء قاذفى في هوة	لا تسبيل نفس من فيها هوى ^(٧)
فإن عثرت بعدها إن وألت	نفسى من هانا فقولاً لا أما ^(٨)
وإن تكن مدتها موصولة	بالحتف ساطت الأسى على الأسا ^(٩)
إن امرء القيس جرى الى مدى	فاعتاقه حيامه دون المدى ^(١٠)

(١) ضارع ذليل خاضع خاشع (لنكبة) لمصيبة وشدة . تهرقني تزيل الحمى عن عضى .
المدى بالضم جمع مدينة وهى السكن (٢) مارست بناء الخطاب عالجت . هوت سقطت . الاملاك
جمع فلك وهى التى تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم . جوانب الاطراف . الجوى القضاء الذى
بين السماء والارض (٣) لكنها الضمير فيها كناية عن هدم القصيدة التى قالها . النفثة ما يلقيه
الرجل من فيه اذا بصق . مصدور الذى يشكى صدره . جاش علا وارتفع اللغام الزبد وهو ما
يلقيه البعير من فيه . نواحيها جوانبها غما سقط . (٤) القسر القهر السخط الغضب (٥) الجديدين
الليل والنهار . استوليا غلبا وملكاً ادنياء قرباء . لليل الاحلاق (٦) ما كنت ادري ما كنت
اعلم وجاء بالعمول فى البيت الذى بعده وهو ان القضاء الخ والزمان الواو الحال . مولى ملازم
ومغرى به : بشت بتفريق . مدموم بمجوع . التنكيث النقص . قوى جمع قوة (٧) قاذفى رام بى
هوة الحفرة التى يتسع اسفلها ويضيق اعلاها . لا تسبيل لا تبرا ولا تتيق . هوى سقط
(٨) عثرت زلت والت بحت وخلصت . هانا عائد على العثرة المضرة الذى دل عليها قوله فان عثرت
لا لما لا نجا دعاء للمأثر بدم السلامة (٩) ضمير مدتها عائد على النكبة . بالحتف بالموت . الاسى
بضم الهمزة جمع اسوة وهى التعزى والتأسى . الاسا بدخ الهمزة الحزن (١٠) امرؤ القيس
معلوم كان هو طريد ابيه لقوله الشعر خلاصة قصته ان بنى اسد قتلت اياه وكان ملكاً عليهم فبعد
عناؤه توجه الى قيصر ملك الروم واستنجد به على قتله اياه فوعده وكان قد نسي ابنة قيصر
فغض احد اعدائه من بنى اسد واخبر قيصر بمشقه لها فكره ذلك وكره ان يقتله او يخذله بعد

وخامرت نفس أبي الجببر الجوى حتى حواه الخنف فيمن قد حوى (١)
وابن الأشج القيل ساق نفسه الى الردى حذار إثمات العدى (٢)
واخترم الوضاح من دون التى أملها سيف الحمام المنتضى (٣)
فقد سما قبلي يزيد طالبا شأوا العلا فما وهى ولا ونى (٤)
فاعترضت دون الذى رام وقد جد به الجد اللهم الأربى (٥)
هل أنا بدع من عرائن علا جار عليهم صرف دهر واعتدى (٦)
فان أنا لثنى المقادير الذى أكيدته لم آل فى راب الثأى (٧)
وقد سما عمرو الى أوتاره فاحتط منها كل على المستمى (٨)

ما وعده أرسل معه عسكرياً ثم اردفه بحلة ملوكة مسدومة فلبسها فأتى . مدى الغاية . فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه : حمامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالطت . أبو الجبر من ملوك كندة . خلاصة قصته انه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من أساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسبوه فرض وعندها طلبوا الاذن بالجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمى بالمرض الذى أنشأ من السم . الجوى داء فى الجوف . حواه حازه . الخنف الموت (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث — خلاصة قصته انه قد ولاء الحجاج سجستان فخرج عليه ثم هرب الى ريتقل ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالا فسله الى اعوان الحجاج وكان فى الطريق مقيداً معه رجل من بني تميم على سطح برج فرمى بنفسه من اعلى البرج فأتى هو والتبسمي وحمل رأسه الى الحجاج . القيل الملك دون الملك الاعظم . الردى الهلاك . حذار خوف (٣) اخترم اهلك وانتطمع . الوضاح يعنى به جذيمة الابرش وكان قتل ابا الزباء فبعد مدة خطبته لنفسها فلما حضر قتلته فى قصة طويلة . امل قاعه يعود على الوضاح وفاعل اخترم سيف الحمام الموت ؛ المنتضى السلول (٤) سماعلا يزيد بن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بنى امية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فندست بنو امية رجلاً من كلب فقتله واستتب الامر لهم . شأوا الغاية . الملا الشرف . فما وهى فما ضعف ولا ونى ولا فتر (٥) فاعترضت طارضت رام طلب . جد بالفتح اسرع . الجد بالكسر التزم . اللهم بالتصغير الاربى اسماء من اسماء الداهية وما فاعل اعترضت (٦) بدع الذى يكون اول من كل امر . عرائن الاشراف واحدها عرين وهو الانف . جار عدل عن الحق . اعتدى ظلم (٧) أنا لثنى اعطيتنى . المقادير جمع مقدار وهو القدر أكيدته اطلبه . واحال عليه ؛ لم آل لم اقصر . راب الاصلاح . الثأى الفاسد (٨) سماعلا فوتار جمع وتر وهو طلب الدم فاحتط ؛ فانزل المستمى المكان العالى المرتفع ؛ الزباء اسم امرأة

فاستنزل الزباء قسراً وهي من عقاب لوح الجوّ أعلى مُنتهى
 وسيفٌ استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرّعى (١)
 فخرج الأجبوش سماً ناقماً واحتل من غمّدانٍ معزّاب الدّمي
 ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أوارات تميماً بالصلا (٢)
 ما اعتنّ لي يأس يُناجي همّي إلا نحداه رجلاً فاكتمى (٣)
 آليّة باليعملات يزّمي بها النّجاء بين أجواز الفلا (٤)
 خوص كأشباح الحمايا ضمّر يرعفن بالأمشاج من جذب البري (٥)

قسراً بالسّين القهر والغلبة . عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان لوح الهواء الذي بين السماء والأرض ؛ منتهى . موضع مرتفع اليه وخلاصة قصة الزباء وعمر بن الزباء لما قتلت جذيمة الأبرش قعد عمرو بن اخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لحاله وكان وقت قتل خاله نجبا على فرس تسمى العصا فطلب قصير ان يجده عمرو اتفه واذنيه دماء منه لاخذ ثار خاله فرحل قصير الى الزباء على هذه الحاله فاستأمنت له ثم بمدة مدة وعناء اتى بالرجال مدججة بالسلاح في جوالق على ظهور الجبال فهربت الزباء الى تقق لها لتهرب منه فرأت عمراً على باب الفتق فصمت خائفاً مسموماً كان يدها وقالت يدي لا بيدك يا عمرو وماتت مكانها فاستولى على ملكها (١) سيف يعني به سيف بن ذى يزن ملك اليمن . استعلت علت . شأو الفاية . المرتعى موضع المرى وهو الذي يقال له الغرض والهداف والقرطاس ؛ فخرج فسق والجرج القليل من الماء ؛ الاجبوش ملك الحبش ؛ ناقماً بالغا ؛ احتل نزل بالمكان ؛ غمدان موضع بصنعاء اليمن محراب ههنا غرفة بصنعاء ؛ الدما الصور جمع دمية — خلاصة قصة الحبش ان الملك سيفاً ؛ لما غلبت عليه الحبشة استعان بهرمن احد الاكسرة فأرسل معه جيشاً من المسجونين ورأس عليه وزيراً من الاساورة المتقدمين فأجلوا الاحباش عن اليمن وملكوا سيفاً في قصة طويلة (٢) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له اخ مسترضع من بني تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمر المذكور ان يقتل من بني تميم مائة فأجج ناراً والى فيها واحداً واحداً منهم الى تسعة وتسعين فيبينها هم كذلك يرجون تمام المائة اذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى في النار تماماً للمائة ؛ باشرت خالطت يوم اوارت يوم معروف من ايام العرب . اوارات اسم موضع ؛ تميم قبيلة ؛ الصلا بالفتح وهج النار (٣) ما اعتنّ ما اعترض ؛ تحداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتغطى (٤) الية قسماً باليعملات جمع يملة وهي الناقة الصلبة الشديدة ؛ النجاء للسرعة ؛ اجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه ؛ والفلا جمع فلاة وهي الصحراء (٥) خوص

الباب الثامن في الحسك — أبو بكر محمد بن دريد ٦٤١

يَطْفُونُ فِي الْآلِ إِذَا الْآلُ طَفَا ^(١)	يَرْسُبْنَ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَبِالضُّحَى
مَرْتُومَةٌ تَخْضِبُ مُبْيَضَ الْخَصَا ^(٢)	أَخْفَاهُنَّ مِنْ حَمًا وَمِنْ وَجَى
مِنْ طَوْلِ تَذَابِ الْغَدْوِ وَالسَّرَى ^(٣)	يَحْمَانُ كُلَّ شَاخِبٍ مُحْقُوقٍ
فَهُوَ كَقَذْحِ النَّبْعِ مَحْنَى الْقَرَا ^(٤)	بَارٌّ بَرَى طَوْلُ الطَّوَى جُثْمَانَهُ
لَمَّا دَحَا ثُرْبُهَا عَلَى الْبُنَى ^(٥)	يَنْوِي الَّتِي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعَلَى
يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى ^(٦)	حَتَّى إِذَا قَابِلَهَا اسْتَعْبَرَ لَا
ثُمَّتَ جَاءَ الْمَرْوَتَيْنِ فَسَعَى ^(٧)	ثُمَّتَ طَافَ وَأَثْنَى مُسْتَلَمًا
مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا ^(٨)	وَأَوْجِبَ الْحَجَّ وَثْنَى عُمَرَةَ
حَيْثُ تَحْجِي الْمَازِمَانَ وَمَنَى ^(٩)	ثُمَّتَ رَاحَ فِي الْمَلْبَيْنِ إِلَى

الابل الفائرة العيون من الهزال . والاشباح الاشخاص جمع شبح . والحنايا جمع حنية والحنية القوس . وضرب جمع ضامر وهو المهزول . ويرعق يسيل مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الانف . والامشاج الاخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الاتوف . ومن جذب من سوق والبرى جمع برة وهي الحلقة التي تكون في اتف البعير (١) يرسين يقين والرسوب الخوض في الماء والغيب فيه . والدجى جمع دحية وهي الظلمة ويطفون يعلون . والآل ما يرى كالماء عند ما ترتفع الشمس . والسراب انما يكون في انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء . وطفًا ارتفع (٢) اخفاهن جمع خف للابل بمنزلة الخوافر للخيول . وحمًا مقصور هو رقة اخفاف الابل من كثرة المشي . ووجي وجع في الرجل يصيبها من الحفا . ومرقومة مشقوقة من الحجارة . وتخضب تصبغ (٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره . ومحقوق معوج . وتذاب مداومة والسرى سير الليل (٤) بار مطيع والجمع ابرار نعت للشاحب وبرى من برى القلم وهو اضاعفه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقذح عود صلب تعمل منه السهام والنبع شجر تعمل منه القسي واحدها نبعة ومحنى معوج القرا الظهر (٥) ينوى يقصد والى فضلها رب العلى يعنى مكة . ودحا بسط والبنى جمع بنية وهو النوى اللبنى (٦) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبرة وهي الدمعة (٧) ثممت هى ثم زيدت عليها تاء التأنيث . واثنى انمطف . ومستلما ماسا الحجر الاسود يده او بدمه . والمروتين المراد بهما الصفا والمروة . فسعى فشي (٨) اوجب الحج الزمه نفسه وثنى عمرة الزم نفسه مع الحج عمرة ؛ عج رفع صوته بالدعاء والتلبية (٩) راح خرج بالروح وهو الخروج بالعشى ؛ الملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية ؛ تحجى أقام ؛ المازمان جيلان بين مزدلنة

نَمْ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرُؤُ مُخْبِتًا مَوَاقِفًا بَيْنَ الْآلِ فَالْتَفَا (١)
 وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا وَالسَّعَى مَا بَيْنَ الْعِتَابِ وَالصَّوِي (٢)
 وَرَاحَ لِلتَّوَدِيعِ فِيمَنْ رَاحَ قَدْ أَحْرَزَ أَجْرًا وَقَلَى هُجْرَ اللَّغَا (٣)
 بِذَلِكَ أُمٌّ بِالْخَيْلِ تَعْدُو الْمَرْطَى نَاشِزَةً أَكْتَادُهَا قُبَّ الْكُلَى (٤)
 شُعْنًا تَمَادَى كَسْرَاحِينَ الْغَضَا مَيْلَ الْحَمَالِيقِ يُبَارِينَ الشَّبَا (٥)
 يَحْمَانُ كُلَّ شَمْرَى بِاسْلَ شَهْمِ الْجَنَانِ خَائِضٍ غَمْرُ الْوَغَى (٦)
 يَفْشَى صَلَاَ الْحَرْبِ بِجَدْيِهِ إِذَا كَانَ لَظَى الْحَرْبِ كَرِيهِ الْمُصْطَلَى (٧)
 لَوْ مَثَلُ الْحَتَفُ لَهُ قَرْنًا لَمَّا صَدَتْهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا انْتَنَى (٨)
 وَلَوْ حَمَى الْمِقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةٌ لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَيْسِحُ مَا حَمَى (٩)
 تَعْدُو الْمَنَايَا طَائِعَاتٍ أَمْرُهُ تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْتِي مَا تَبَى (١٠)

ومنى ؛ ومنى محل رمى الجمار بحكمة (١) التعريف وعرفات واحده وهو اسم موضع من مناسك الحج
 يقر ويتنعم المواضع ؛ مخبتاً متواضعاً مخلصاً لله تعالى ؛ الآل موضع بمرقات ، النفا الرمل
 (٢) استأنف ابتداء ؛ السبع رمى الجمار السبع سبباً أراد الثانية التي تلى الاولى ؛ السعى ما بين
 العتبات جمع عتبة ؛ الصوى السكدي تقدمت جمع صوة (٣) راح للتوديع التوديع البيت الحرام
 كما يفعل الحجاج بأن يطوف به سبباً ويسعى بين الصفا والمروة . أحرز أجراً ملكه واصابه
 قلى ابنض . هجر بضم الهاء القبيح من الكلام . اللغا الباطل من الكلام (٤) اقمم بذلك ام
 بالخيال تعدو تجرى المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه . وناشزة مرتفعة ومنه قولهم قدمت
 على نشز من الارض اى مرتفع . واكتادها جمع كتد وهو العظم الذي يكون في رأس الكتف
 وقب ضامرة . والكلى جمع كاوة (٥) شعناً منبرين يعنى مقرين من الله تعالى . تعادى اصله
 تتعادى تسابق . سراحين ذئاب الواحد سرحان . الغضا شجر يدوم جره . ميل الحماليق مائلة
 العيون . يبارين يمارضن . الشبا جمع شباة وشباة كل شىء حده يريد بها هنا اطراف الرماح
 (٦) يحملن اى الخيل . شمري مأخوذ من التشمير . باسل شجاع . شهيم الجنان حديد القلب . خائض
 داخل غمر الماء الكثير . الوغى صبيعة الناس في الحرب (٧) يفشى يدخل . صلا حر النار كلظى
 (٨) مثل صور . الحتف الهلاك قرنا الذى يقارنك في بطش او قتال او علم . صدته منفعته
 هيبة مخافة . انتنى رجع (٩) حمى منع . المقدار القدر . مهجة النفس . لرامها لطلبها او بمعنى
 حتى . يستيسح يدرك ذلك الشىء نافذاً امره فيه منصوبة بأن مضمره بعداً و (١٠) تعدو تأتي بالقدوة

بل قَسَمًا بِالشَّمِّ مَنْ يَغْرُبَ هَلْ
 هُمُ الْاَوَّلَى اِنْ سَحَرُوا قَالَ الْعُلَا
 هُمُ الْاَوَّلَى اَجْرُوا يَنْابِيعَ الذِّى
 هُمُ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنْ اَنْتَخَى
 هُمُ الَّذِينَ جَرَّعُوا فَمَا حَلَّوْا
 اَزَالَ حَشَوَ زَيْدَةَ مَوْضُونَةَ
 وَصَاحِبِي صَارِمٌ فِي مَتْنِهِ
 اَبْيَضُ كَالْمِلْحِ اِذَا اَنْتَضِيَتْهُ
 كَانَتْ بَيْنَ عَيْرِهِ وَغَرَبِهِ
 يُرَى الْمَنُونُ حِينَ تَقْفُو اِثْرَهُ
 لِقَسِيمٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا مَنْتَهَى (١)
 بِفِي اَمْرٍ فَاخْرَكُم عَفَرَ الْبَرَا (٢)
 هَامِيَةً يَأْنِ عَرَا اَوْ اَعْتَقَى (٣)
 وَقَوَّمُوا مِنْ صَعَرٍ زَيْنَ صَفَا (٤)
 اَفَارِقَ الضَّيْمِ مُمَرَّةَ الْحَسَا (٥)
 حَتَّى اُوَارَى بَيْنَ اَثْنَاءِ الْحَتَّى (٦)
 مِثْلُ مَدَبِ النَّمْلِ يعلُو فِي الرَّبِّي (٧)
 لَمْ يَأَقِ شَيْئًا حَدُّهُ اِلَّا فَرَى (٨)
 مُفْتَادًا تَا كَلَّتْ فِيهِ الْجُدَى (٩)
 فِي ظُلَمِ الْاَكْبَادِ سَبَلًا لَا تُرَى (١٠)

وورد تعدو اى تسرع ؛ تأبى تكره (١) قسما يميناً بالشِّم بالطوال او اشراف الناس ؛ يعرب
 قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشجب بن قحطان ؛ لقسم لحالف ؛ منتهى الغاية (٢) الاولى
 بمعنى هؤلاء ؛ الملا الفخر والرفعة بقى امرىء اى بفيه ؛ عفر وجه الارض ؛ البرى التراب
 (٣) ينابيع جمع ينبوع ؛ الذى الجود والكرم ؛ هامية سائلة ؛ عرا قصدت عرض للطلب ؛ او اعتقى
 او طلب من غير تعرض (٤) دوخوا اذلوا ؛ انتخى تكبر ؛ صعر تكبر ايضاً واصل الصعر الليل
 وهو ان يميل الانسان من التكبر ؛ صفا الليل (٥) جرعوا سقوا ؛ ما حلوا خاصبوا ؛ اطوق
 هو شرب مقطع نفس بعد نفس ؛ الضيم الذل ؛ ممرأة مدرة ؛ الحسا جمع حسوة وهو اخذك
 الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً قليلاً (٦) ازال جواب القسم محذوف منه لا ؛ حشو ما ادخل في
 جوفه فكأنه صار حشواً اذا لبسها ؛ نثرة درع واسع ؛ موضونة محكمة النسيج. او ارى اغطى
 اثناء جمع ثنا وهو ما تثنى منها اى تراكب على بعض ؛ الحنى جمع حنوة وهو الثوب المتجمع
 (٧) صاحبي يعنى سيفه وفرسه ؛ صارم قاطع ؛ فى متنه الجار والمجرور خبر مقدم لقوله مثل
 والجملة صفة لصارم ؛ ومنتنه اى ظهره ؛ مدب النمل وديبه مشيه يريد فرند السيف يعلو يرتفع
 والرَّبِّي جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض (٨) انتضيته جردته من غمته ؛ فرى قطع
 (٩) الميز؛ هنا الموضع الناقى فى وسط السيف ؛ الغرب الحد يعنى حد السيف ؛ مفتاداً موضع النار
 تأكلت اكل بعضها بعضاً الجدى جمع جذوة وهى الجرّة اية (١٠) المنون النية تقفوتبع

إذا هوى في جثة غادرها	من بعدما كانت خسا وهي زكا ^(١)
ومشرف الأقطار خاط نخضة	حابي القصيرى جرشع عزد النسي ^(٢)
قريب ما بين القطاة والمطا	بعيد ما بين القذال والصلأ ^(٣)
سامى التبايل فى دسيع مفعم	رحب اللبان فى أمينات المعجى ^(٤)
ركبن فى حواشب مكتنة	إلى نسور مثل ملفوظ النوى ^(٥)
يرضخ باليد الحصى فان رقى	الى الربنى أوزى بها نار الحبأ ^(٦)
يدبر أغليطين فى ملمومة	الى لموحين بالحاظ اللأى ^(٧)
مداخل الحلق رحيب شجرة	مخلوق الصموة ممسود وأى ^(٨)

سيلاً طرماً يريد ان هذا السيف دليل النية فهو يريها طرق الموت وهذا من رقيق الشعر
(١) هوى وقع ؛ فى بمعنى على ؛ جثة الجسد ؛ غادرها تركها ؛ خسا فردا ؛ زكا الزوج يعنى به
انه اذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد ان كانت قطعة واحدة (٢) مشرف مرتفع
عال ؛ الاقطار النواحي ؛ خاط غليظ ؛ النخص اللحم ؛ حابي مرتفع ؛ القصيرى ضلع فى الجنب
وهى الضلع السفلى ؛ جرشع غليظ الاصلع او الضخم الصدر وهو محمود فى الخيل عرد الشديد
من كل شىء ، النسي عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ (٣) القطاة
مكان الردف والمطا الظهر كله سمي بذلك لانه يعطى اى يركب والقذال من رأس الفرس معقد
عذاره اى حيث يتمقد عذاره وهو ما بين الاذنين والندار وهو اللجام ؛ الصلا المعجز وهو آخر
الوركين (٤) سامى هو العالى المرتفع والتلبلى المتق ؛ دسيع مغز المتق فى الظهر ؛ مفعم ممتلىء
رحب الواسع ؛ اللبان الصدر امينات القويات الصحاح المسالمات الصلاب ؛ المعجى جمع عجاية وهى
عصب مركب به شىء كفص الحاتم (٥) ركنن يعنى المعجى ، حواشب جمع حوشب وهو عظم فى
باطن الحافر ؛ مكتنة مستورة او مكتنزة ؛ نسور جمع نسر وهى لحة نائمة يابسة فى باطن الحافر
شبهها بالنواة لصلابتها ؛ ملفوظ النوى ما لفظه منه اى روى به وطرح والنوى جمع نواة وهى التى
داخل الثمرة (٦) يرصخ يكبر ؛ اليد جمع ييداء وهى القفر ؛ رقى ارتفع ؛ الربنى جمع ربوة
أورى اوقد بها ؛ الحبأ دابة تضىء بالليل اسمها الجبابب فرخم لضرورة الشعر (٧) الاغليط
وعاء ر المرخ شبه اذن الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقي الرطب تشبه آذان الخيل ؛ وملومة
هى الهامة المجمعة المستوية والموحين العينان ؛ والحاظ نظرات جمع لحظة ؛ واللأى الثور
الوحشى والائنى لاة (٨) مداخل الحلق مجموع الحلق ؛ رحيب واسع ؛ شجر هو مجتمع عظم

لا صَكَكَ يَشِينُهُ ولا فجا
يَجْرِي فَتَكْبُو الرِّيحُ فِي غَايَاتِهِ
لو اَعْتَسَفَتِ الْأَرْضُ فَوْقَ مَتْنِهِ
أَظَنُّهُ وَهُوَ يُرَى مُجْتَمِعاً
إِذَا اجْتَهَدْتَ نَظْراً فِي إِثْرِهِ
كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَائِهِ
هُمَا عِتَادِي الْكَافِيَانِ فَقَدْ مِنْ
فَإِنْ سَمِعْتَ بِرَحَى مَنْصُوبَةٍ
وَأَنْ رَأَيْتَ نَارَ حَرْبٍ تَلْتَطِي
خَيْرُ النُّفُوسِ السَّائِلَاتِ جَهْرَةً
أَنْ الْعِرَاقَ لَمْ أَفَارِقْ أَهْلَهُ
ولا دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلَا شَطَاً (١)
حَسْرَى تَلُودُ بِجَرَائِمِ السَّحَا (٢)
يَجُوبُهَا مَا خِفْتُ أَنْ يَشْكُو الْوَجَى (٣)
عَنِ الْعِيُونِ إِنْ دَأَى أَوْ إِنْ رَدَى (٤)
قُلْتُ سَنَأُ أَوْ مَضُ أَوْ بَرَقَ خَفَاً (٥)
وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ (٦)
أَعْدَدْتُهُ فَلَيْسَ عَنِّي مِنْ نَأَى (٧)
لِلْحَرْبِ فَاعْلَمْ أَنِّي قُطْبُ الرِّحَى (٨)
فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُسَمَّرٌ ذَاكَ اللَّظَى (٩)
عَلَى طُوبَاتِ الْمَرْهَفَاتِ وَالْقَنَا (١٠)
عَنْ شَنَّانٍ صَدَّقَنِي وَلَا قَلَى (١١)

البحين : مخلوق املس ؛ الصهوة من الفرس موضع السرج ؛ ممسود مقتول ؛ واى الصلب الشديد او هو السريع من الخيل (١) الصكك احتكاك العرقوين احدهما بالآخر ؛ يشينه يبيبه جفا تباعد ما بين العرقوين كثيراً وهو الفجج ايضاً والفجا ايضاً تشقق المصّب وانتشاره لفساده وهو عيب ؛ دخيس تراكم اللحم على حافر الفرس ؛ واهن ضئيف ؛ شطا عظم لاصق بالذراع (٢) فتكبو فتعثر ؛ غايات جمع غاية وهي منتهى جريه ؛ حسري منكشفة تلود تلجأ جرائيم جمع جرثومة وهو التراب الذي يجتمع في اصول الشجر ؛ السحاضرب من الشجر (٣) اعتسفت الارض قطعها باعتساف منك اى على غير مدى متنه ظهره ؛ يجوبها يقطعها ويخرقها ؛ الوجى ان يبلغ الوجع الى باطن الرسغ (٤) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأياً وردى يردى ردياً اذا جرى جرياً سريعاً (٥) سنا الضوء او مض اضاء اى لمع لمعاً خفيفاً ؛ الحقولع البرق في نواحي القيم (٦) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان وارساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة ؛ والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيلة وبدا ظهر (٧) المتاد ما يتخذ عدة للدهر ؛ فليناً ظليعه من نأى اذا بعد (٨) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة اهلها اذا تماركوا ؛ قطب الحديد او الخشب لاقى تدور عليها (٩) تلتطى تشتعل مسمر موقد ؛ الظى الذهب (١٠) جهرة عياناً ؛ وظاية جمع ظلية كنية حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق القنا الرماح واحدها قنات (١١) العراق قطرم معروف على شاطئ دجلة والفرات

ولا أطبي عني مُسَدِّ فارقتهم^(١) شئ يبروق العين من هذا الورى^(١)
 هم الشناخيبُ المنيفاتُ الذرا^(٢) والناسُ أذحالٌ سواهمُ وهوى^(٢)
 همُ البحورُ زاخِرٌ اِدْبِها^(٣) والناسُ ضَحَضَاحٌ يُعَابُ وأضى^(٣)
 ان كنتُ أبصرتُ لهم من بعدهم^(٤) مثلاً فأغضيتُ على وخزِ السفا^(٤)
 حاشا الاميرين الذين أوقدا^(٥) على ظلاً من نعيمٍ قد ضفا^(٥)
 هما اللذان أثبتا لي أملاً^(٦) قد وقف اليأسُ به على شفا^(٦)
 تلافياً العيش الذى رنعه^(٧) صرفُ الزمانِ فاستساغَ وصفا^(٧)
 وأجريا ماءَ الحيا لي رعداً^(٨) فاهتزَّ غصني بعدما كان ذوى^(٨)
 هما اللذان سموا بناظرى^(٩) من بعد اغضائي على لذعِ القذى^(٩)
 هما اللذان عمرا لي جانبا^(١٠) من الرجاء كان قدماً قد عفا^(١٠)
 وقلداني مئةً لو قرنت^(١١) بشكر أهل الأرض عني ما وفى^(١١)

وشأن ينض وصدني منعتي وصرفتي؛ والقلى البفض (١) اطبي استمال؛ ويروق يعجب
 (٢) الشناخيب اطراف الجبال واحدها شخوب؛ والمنيفات المرتفعات الطوال وهي الشواهي؛ والذرا
 جمع ذروة وهي اعلى الجبال؛ واذحال جمع دحل وهي الحفير الغامض من الارض يتسع اسفله
 ويضيق اعلاه؛ وهوى جمع هوة بمعنى الدحل (٣) زاخر الماء الكثير الفائض والادى الموج
 وضحضاح الماء القليل؛ وتعايب جمع تعب وهو الموضع المظلم في اعلى الجبال يستنقع فيه ماء المطر
 أضى جمع أضاء وهي التدراى الصغار يعني انهم البحور والناس ضحضاح اي ماء قليل (٤) اغضيت
 صبرت على المكروه وخز طمن غير نافذ وقيل الوخز الطمن بسرعة؛ السفا شوك شجر يوجد
 في البادية يدعى البهمي (٥) اوقدا ارسلنا كثيرا من قولهم ضفا ذيل الفرس اذا كثر وطال
 (٦) شفا الشيء طرفه وحرفه (٧) تلافياً تداركا؛ رنعه كدره والرنق الماء الكدر؛ صرف
 الزمان قلبه من حال الى حال استساغ سلس في الحلق وطاب (٨) الحيا مقصور النيت والحصب
 رعدا السمة في العيش؛ فاهتز غصني طال واصل الهز التحريك؛ ذوى ذيل (٩) سموا بناظرى
 وضع ناظرى والباء التعدية؛ اغضائي تغافل؛ لذع حرقه؛ القذى ما يقع في العين (١٠) قدماً
 قديماً؛ عفا درس (١١) وقلداني مئة اي جملاها في عني وهو موضع التلادة؛ مئة نمة وجمها مئة

بالعشر من معشارها وكان كما	حسوة في آدي بخر قد طمى ^(١)
إن ابن ميكال الأمير اثناشنى	من بعدما قد كنت كالشئ ^(٢) الاتقا
ومدّ ضبى أبو العباس من	بعد انقباض الذرع والباع الوزى ^(٣)
ذاك الذى ما زال يسمو للعلّا	بفعله حتى علا فوق العلّا ^(٤)
لو كان يرقى أحد بجوده	ومجده الى السماء لارتقى ^(٥)
ما إن أتى بحر نداه مُعْتَفٍ	على أو أرى علم إلا ارتوى ^(٦)
نفسى الفداء لا مسيرى وهن	تحت السماء لا ميرى الفدا
لا زال شكري لها مواصلاً	لفظى أو يعتاقنى صرف المنى ^(٧)
إن الأولى فارقت من غير قلى	ما زاع قلبى عنهم وما هفا ^(٨)
لكن لى عزماً اذا امتطيته	لمبهم الخطب فاه فانفأى ^(٩)
ولو أشاء ضم قطريه الصبا	على فى ظل نعيم وغنى ^(١٠)
ولا عبتنى غادة وهنّانة	تضنى وفي ترشافها بر الضنى ^(١١)

قرنت قيس : ما وفى ما قام ولا عدل شكرهم (١) الحسوة الجرعة مما يشرب ؛ آدي للوج طمى امتلاً وارفع (٢) ابن ميكال وهو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسى من امراء فارس اثناشنى نكشنى واللقا الشئ المطروح (٣) ضبى عضدى ؛ وابو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فدىح الاب والابن والذرع والذراع واحد ؛ والباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والسكرم والوزى القصير (٤) يسمو يرتفع (٥) يرقى يرتفع (٦) الندى السكرم ؛ معتنى طالب للرفد ؛ او اري حرارة الشمس والنار علم جيل صغير ؛ ارتوى اكتنى من الماء وقره (٧) او يتاقى ؛ او يصرفنى واو بمعنى حتى ؛ وصرف القلب ؛ والمضى يفتح اللب مقصور المقدر (٨) من غير قلى من غير بغض ؛ ما زاع ما مال ؛ ولا هفا ولا زل (٩) عزماً عقداً على فعل امر ؛ امتطيته ركبته ؛ المبهم من الامور المطلق فاه شقه (١٠) ضم قطريه جمع فاحليه ؛ نعيم ما امتد عليه منه والنعيم ضد البؤس وهو طيب العيش وسمنه (١١) لا عبتنى من اللعب ومعناه ما زحتنى ؛ غادة الفتاة الناعمة ؛ وهنّانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث ؛ تضنى تسقم والضنى الهزال من المرض الترشاف المس او فوقه ؛ بر الضنى ذهاب السقم اي هى تضنى ولّى

تَفْرِى بِسَيْفٍ لَحَظَهَا اِنْ نَظَرْتُ نَظْرَةَ غَضَبِي مِنْكَ اَثْنَاءَ الْحَشَا (١)
 فِي خَدِّ هَارُوسٍ مِنْ الْوَرْدِ عَلَى الْيَدِ مَرَيْنَ بِالْأَلْحَاطِ مِنْهَا يُجَنِّئِي (٢)
 لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لَانْحَطَّ لَهَا طَوَّعَ الْقِيَادِ فِي شَمَارِيحِ الذُّرَا (٣)
 أَوْ صَابَتِ الْقَائِنَتِ فِي مُخْلَوَاتِي مُسْتَصْعَبِ الْمَسَالِكِ وَعِزِّ الْمُرْتَقَى (٤)
 أَلْهَاهُ عَنْ تَسْنِيحِهِ وَدِينِهِ تَأْنِيسُهَا حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا (٥)
 كَأَنَّمَا الصَّهْبَاءُ مَقْطُوبٌ بِهَا مَا جَنَى وَرَدٌ إِذَا اللَّيْلُ عَسَا (٦)
 يَمْتَحَاهُ رَاشِفٌ بَرْدٍ رِيْقَهَا بَيْنَ بَيَاضِ الظَّالِمِ مِنْهَا وَالْأَمَى (٧)
 سَقَى الْعَقِيقَ فَالْحَزِيزَ فَالْمَلَا إِلَى النَّحِيتِ فَالْقُرَيَاتِ الدُّنَا (٨)
 فَالْمُرِيدَ الْأَعْلَى الَّذِي تَلْقَى بِهِ مَصَارِعَ الْأَسَدِ بِالْحَاطِظِ أَلْمَا (٩)
 مَحَلًّا كُلِّ مُقَرِّمٍ سَمَتْ بِهِ مَا ثَرَّ الْأَبَاءُ فِي فِرْعِ الْعَلَا (١٠)
 مِنَ الْأُولَى جَوْهَرُهُمْ إِذَا اعْتَزَوْا مِنْ جَوْهَرِ مَنْهُ النَّبِيُّ الْمَصْطَفَى (١١)

تقبيلها البرء من السقم (١) تفري تقطع؛ لاحظ النظر؛ غضي مقتاظة؛ أثناء الحشا ما اثني منها اي ما انعطف والحشا الكبد وما اتصل بها (٢) التسرین النور الايض؛ الالحاظ النظرات جمع لحظة؛ يجتنى يقتطف (٣) ناجت كمت؛ الأعصم الوعل الذي في احدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسار بدنه اسود او احمر؛ لانحط لتزل؛ القياد التنازل؛ شماريح رؤس الجبال واحدها شمراخ؛ الذي اعلى الجبال واحدها ذروة (٤) صابت صادفت القانت القائم بالعبادة مخولق الجبل الاملس مستصعب صعب؛ وعز الصعب والمرتقى المصعد (٥) الهاء شغله؛ تأنيسها انسها وحديثها؛ صبا مال ولها (٦) الصهباء الحمرة مقطوب ممزوج؛ ماء جنى ورد اي ما اخذ من الورد طرياً؛ عسا الليل اظلم (٧) يمتاحه يستقيه؛ راشف المتناول الشراب بشفتيه؛ الظلم بفتح الظاء الاسنان البياض حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد؛ اللمى سمرة الشفتين (٨) العقيق والحزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها القرىات جمع قرية مصفرة؛ الدنا جمع دنيا مؤنث ادنى بمعنى القريب (٩) المرید موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء؛ مصارع الاسد مواضع سقوطها عند الموت واراد بالاسد الرجال واراد انهم صرعوا بالحفاظ المما اي قتلهم الحافظ للنساء الحسان البياض المشبهة بالمها وهي البقر الوحشي الواحدة مهاة والحافظ نظرات (١٠) مقمر السيد الكريم واصله غل الابل وماثر جمع مأثرة الصنعة الحسنة وفرع كل شيء اعلام (١١) من الاولى من الذين؛ وجوهرهم اصلهم واذا اعتزوا اذا انتسبوا؛ والمصطفى المختار

صلى عليه الله ما جنَّ الدُّجَى وما جرت في فلك شمس الضحى (١)
 جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الْجُنُوبُ جَانِبَ منها وواصتْ صَوْبُهُ يَدُ الصَّبَا (٢)
 نَأَى يَمَانِيًّا فَلَمَّا انتشرتْ أَحْضَانُهُ وَاَمْتَدَّ كَسْرًا غَطَا (٣)
 لَجَلَّ الْأَفَقُ فَكُلُّ جَانِبٍ منها كَانَ مِنْ قُطْرِهِ الْمُرْنِ حَبَا (٤)
 وَطَبَقَ الْأَرْضَ فَكُلُّ بُقْعَةٍ منها تَقُولُ الْغَيْثُ فِي هَاتَا تَوَى (٥)
 إِذَا خَبَتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا رِيحُ الصَّبَا تُشِبُّ مِنْهَا مَا خَبَا (٦)
 وَأَنْ وَنَتْ رُعُودُهُ حَدَا بِهَا رَاعِي الْجُنُوبِ لَخْدَتْ كَمَا حَدَا (٧)
 كَانَ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرَكَهِ بَرَكَا تَدَاعَى بَيْنَ سَجَرٍ وَوَحَى (٨)
 لَمْ تَرَ كَالْمُرْنِ سَوَامًا بِهِلَا تَحْسِبُهَا مَرْعِيَّةً وَهِيَ سُدَا (٩)
 تَقُولُ لِلْأَجْرَازِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بِسَوْقِهِ ثَقِي بَرِي وَحْيَا (١٠)

صلى الله عليه وسلم (١) جن الدجى اظلم وستر؛ والدجى الظلمة (٢) جون فاعل سقى المتقدمة وهى هنا السحاب الاسود وتأتى للابيض ضده وأعارت ازلت والجنوب الريح القبلية تجيء بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح للشرقية (٣) نأى يمانياً اي طلع من ناحية اليمن يريد الغنم وانتشرت كثرت واحضانه نواحيه واصل الحظن ما دون الابط الى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طنب الحبا وانما كنى بالكسرين عن اذيال السحاب ويريد ان السحاب جرت على الارض اذيالها وغطا ارتفع او انبسط (٤) لجال فغطى والافق الناحية وجهها آفاق من قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه اقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحيا امتلا ودنا يريد السحاب (٥) طبق الارض غطي الارض؛ فكل بقعة فكل مكان وفي هاتا في هذه وثوي اقام (٦) خبت بروقه اي خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد (٧) وان ونت ضمعت وفترت؛ وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذي يسوق الابل بالغناء؛ وراعى الذي يرعى الابل اي يحفظها والجنوب الريح القبلية؛ لخدت فسات؛ كما حدا كما ساق (٨) كان في احضانه في نواحي هذا الافق فالضمير عائد على الافق او على السحاب وهو احسن والبرك الاول الصدر والثاني الابل؛ وتداعى تداعى والتداعى هو ان يدعو بعضها بعضاً؛ وسجر حنين وهو طلب الناقة الى ولدها وهو صوت شجى؛ ووحي الصوت (٩) المزن السحاب وسواماً بلا راعية وبهلا هي التي لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من البانها؛ وسدي المهمة التي لا راعى لها (١٠) الاجراز جمع جرز وهى الارض الصلبة التي لم يحبها المطر واستوسقت حملت ما يكفيها

فَأَرْسَعَ الْأَحْدَابَ سَيْبًا مُحْتَسِبًا وَطَبَّقَ الْبُطْنَانَ بِالْمَاءِ الرَّيَّانِي (١)
كَأَنَّمَا الْيَبْدَاءُ غَيْبٌ صَوْبِهِ بِحَرٍّ طَمًا تَيَّارُهُ نَمَّ سَجَا (٢)
ذَاكَ الْجَدَا لَا زَالَ مَخْصُوصًا بِهِ قَوْمُ هُمُ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجَدَا (٣)
لَسْتُ إِذَا مَا يَهْطُنِي غَمْرَةٌ مِمَّنْ يَقُولُ بَلِّغِ السَّيْلُ الزُّبِّي (٤)
وَأَنْ ثَوْتُ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةٌ تَمَلُّ مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا (٥)
نَهْنَهْنُهَا مَكْظُومَةٌ حَتَّى يُرَى مُخْضُوضِعًا مِنْهَا الَّذِي كَانَ طَلْعًا (٦)
وَلَا أَقُولُ أَنْ عَرَّتْنِي نَكْبَةٌ قَوْلِ الْقَنُوطِ انْقَدِ فِي الْبُطْنِ السَّلَا (٧)
قَدْ مَارَسْتُ مَنَى الْخَطُوبِ مَارِسًا يُسَاوِرُ الْهَوْلُ إِذَا الْهَوْلُ عَلَا (٨)
لِيَ الْتَوَاءُ إِنْ مُعَادِيَّ الْتَوَى وَلِيَّ اسْتَوَاءُ أَنْ مُوَالِيَّ اسْتَوَى (٩)
طَعْنِي شَرِيٌّ لِلْعَدُوِّ تَارَةً وَالرَّاحُ وَالْأَرَى لِمَنْ وَدَّيَ ابْتَغَى (١٠)
لَدَنْ إِذَا لُوِيذْتُ سَهْلٌ مَعْطَفِي أَلْوَى إِذَا خُوشِنْتُ مَرْهُوبُ الشَّدَا (١١)

من الماء وثق بري اطمئن بري اي يشع من الماء وحيا خصب (١) الاحداب جمع حذب وهو ما ارتفع من الارض وغلط وسبباً غطاء : محسباً كفاً وطبق غطى والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الارض والروي الماء الكثير (٢) اليبداء القفر وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظرف والصوب نزول المطر وطما ارتفع وتياره موجه وسجا سكن (٣) الجدَا الاول النائل والمطاء والذي في آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء باللد وهو الغناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل ان يكون المراد به المعنى الاول (٤) بهطنتي شقت على غمرة هي الكربة والشدة واحدة الغمرات الزبي جمع زبية وهي حفرة تحفر للاسد في المسكان العالي من الارض وليس يياقها الا سبل عظيم وهو مثل تضربه العرب اذا اشتد بأحدهم الامر (٥) ثوت اقامت : زفرة هي ترجيع الصوت بالكاء الرجا الجانب (٦) نهنتها اكففتها وزجرتها مكظومة متجوعة مخضوضعاً متدللاً طفا كثر او تكبر (٧) عرتني اصابتني : نكبة مصيبة : القنوط اليأس : انقد انقطع السلا بفتح السين المشيمة التي تتعلق بالولد وتسقط معه (٨) مارست طاركت وضاربت الخطوب الامور : مارساً شديداً : يساور الهول يغالبه ويطاوله والهول الشدة : علا ارتفع (٩) التواء انماج : معادي العدو : الموالي الصديق الذي يوالي : استوى اعتدل (١٠) شري حنظل الارى العسل الايض : ابتغى طلب (١١) لدن لين : لويذت اخذت بالعين

يَعْتَصِمُ الحَلمُ بِجَدِّي حَبَوِي إِذَا رِيَّاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالْحُبَا (١)
 لَا يَطْبِينِي طَمَعُ مُدَنَسٍ إِذَا اسْتَمَالَ طَمَعٌ أَوْ اطْبَى (٢)
 وَقَدْ عَلَتْ بِي رُبَّهَا تِجَارِي أَشْفَيْنَ بِي مِنْهَا عَلَى سَبْلِ النُّهَى (٣)
 إِنْ امْرُؤٌ خِيفَ لِإِفْرَاطِ الْأَذَى لَمْ يُخْشَ مِنِّي نَزَقٌ وَلَا أَذَى (٤)
 مِنْ غَيْرِ مَا وَهَنَ وَلَكِنِّي امْرُؤٌ أَصُونُ عَرَضًا لَمْ يَدْنَسُهُ الطَّخَا (٥)
 وَصَوْنُ عَرَضٍ الْمَرْءُ أَنْ يَبْذُلَ مَا ضَنَّ بِهِ مِمَّا حَوَاهُ وَانْتَضَى (٦)
 وَالْحَدَّ خَيْرٌ مَا اتَّخَذْتَ عُدَّةً وَأَنْفُسَ الْأَذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التَّقَى (٧)
 وَكُلُّ قَرْنٍ نَاجِمٍ فِي زَمَنِ فَهُوَ شَيْءٌ زَمَنٌ فِيهِ بَدَأَ (٨)
 وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ فَهُمْ رَائِقٌ غَضٌّ نَضِيرٌ عُدُّهُ مَرُّ الْجَنَى (٩)
 وَمَنْهُ مَا تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ فَإِنْ ذُقْتَ جَفَاءً أَنْسَاغَ عَذَابِي الْهَامَا (١٠)
 يُقَوِّمُ الشَّارِخُ مِنْ زَيْفَانِهِ فَيَسْتَوِي مَا أَنْعَاجَ مِنْهُ وَانْحَى (١١)
 وَالشَّيْخُ إِنْ قَوَّمَهُ مِنْ زَيْفِهِ لَمْ يُقِمِ التَّشْقِيفَ مِنْهُ مَا التَّوَى (١٢)

وضده : معطى رجوعى الوري شديد المحسومة ، خوشفت اخذت بالحشونة وهى الصعوبة او صرعت مرهوب مخوف والشدا الحدة او الاذى (١) يتصم يتمسك : بجني بناحي : حبوتي شد الازار على الركبتين والظهر : الطيش خفة العقل : بالجا جمع حبة (٢) لا يطبيني لا لستبيلني : مدنس موصغ اذا استمال قاد وجذب : اطبي استمال ايضاً (٣) تجاربي جمع تجربة الاختبار ، اشفين بي اشرفن بي ، التهي العقول (٤) الافراط ان يبلغ الامر فوق حده نزق خفة (٥) وهن ضعف : لم يدنس لم يوسخه والطخا العيب (٦) انتضى اختار (٧) عدة عمدة والاذخار جمع ذخر وهو الخبوة (٨) وكل قرن اي وكل امة وناجم مرتفع (٩) رائق معجب وغض الطري الاخضر الناعم وكذلك النضير والجنى ما قطف من الثمر (١٠) تقتحم العين تتركه كرهاً له وتعدوه الى غيره وجناه ما اجتني منه وانساغ سهل بلعه وعذباً حلواً والهاما جمع لهامة وهى اللحمة المعلقة بأصل الحنك (١١) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرح الشباب اوله : زيفانه يقال زاغ الشيء اذا مال انعاج انعطف انحى مثله (١٢) من زيفه من ميله لم يقيم اي يقوم : التشقيف التقويم : ما التوى ما انوج

- كذلك العُصْنُ يَسِيرُ عَطْفُهُ (١) لَدَنَا شَدِيدٌ غَمْرُهُ إِذَا عَسَا (٢)
 مِنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ (٣) وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِبَاهُ وَأَحْتَمَى (٤)
 وَهُمْ لِمَنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ (٥) أَظْلَمُ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاثِ السَّفَا (٦)
 عَيْبِدُ ذِي الْمَالِ وَإِنْ لَمْ يَطْمَعُوا (٧) مِنْ غَمْرِهِ فِي جُرْعَةٍ تَشْقَى الصَّدَى (٨)
 وَهُمْ لِمَنْ أَمْلَقَ أَعْدَاؤُهُ وَإِنْ (٩) شَارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى (١٠)
 عَاجَمْتُ أَيَّامِي وَمَا الْفَرَّ كُنْ (١١) تَأَزَّرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَأَعْتَدَى (١٢)
 لَا يَرْفَعُ أَلْبٌ بِلَا جَدِّ وَلَا (١٣) يَحْطُكُ الْجَهْلُ إِذَا أَلْجَدُّ عَلَا (١٤)
 مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعِهِ مَا (١٥) رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ غَدًا (١٦)
 مَنْ لَمْ تُفْعِدْهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ (١٧) كَانَ الْعَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الْهُدَى (١٨)
 مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا يَرَى (١٩) أَرَاهُ مَا يَدْنُو إِلَيْهِ مَا تَأْتِي (٢٠)
 مَنْ مَلَكَ الْخُرُصَ الْقِيَادَ لَمْ يَزَلْ (٢١) يَكْرَعُ مِنْ مَاءٍ مِنَ الذَّلِّ صَرَى (٢٢)
 مَنْ عَارِضَ الْأَطْلَاعَ بِالْيَأْسِ رَنَتْ (٢٣) إِلَيْهِ عَيْنُ الْعَزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَّا (٢٤)
 مَنْ عَطَفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُورِهَا (٢٥) كَانَ الْغِنَى قَرِينَهُ حَيْثُ اتَّوَى (٢٦)

(١) لدينا لينا العنصن التقويم ؛ عسا صلب (٢) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ؛ عز عنهم امتنع عنهم والعزة القوة والشدة ؛ احتسى امتنع (٣) لان ضعف وسهل . الانباث التراب المستخرج من البئر ؛ السفا ما تسفه الريح (٤) النمر الماء الكثير ؛ الجرعة القليل من الماء ؛ تشقى تبرأ ؛ الصدا العطش (٥) املق افتر (٦) عاجت ايامى ما ضقتها واختبرتها ؛ الفر الذى لم يجرب الامور تأزر من الآزار (٧) لا يرفع اللب من الرفعة اى لا تملو منزلته واللب العقل وجه الباب الجدد بالفتح الحظ والبخت (٨) راح اتى بالعشى ؛ غداً اتى بالغدو (٩) من لم تفده اى تكسبه ؛ عبراً جمع عبرة وهى التذكرة (١٠) من قاس من مثل ؛ وراه ما يدنو اى ما يقرب ؛ ما تأتى ما بمد (١١) القياد الطاعة ؛ يكرع يشرب بفيه بدون آلة ؛ صرى الماء الدائم الذى قد طال مكثه جمع سراة (١٢) الاطلاع جمع طمع ؛ والياس انتقطاع الرجاء ورنت نظرت (١٣) عطف امال ورد وقرينه صاحبه ؛ وحيث اتوى اى حيث نوى من النية بمعنى القصد وقيل من النوى وهو النوى

من لم يقف عند انتهاء قدره	تقاصرت عنه فسيحات الخطا ^(١)
من ضيع الحزم جنى نفسه	ندامة الذع ^(٢) من سفح الذكا ^(٣)
من ناط بالعجب عرى أخلاقه	نيطت عرى المفت إلى تلك العرى ^(٤)
من طال فوق منتهى بسطته	أعجزه نيل الدني بله القصا ^(٥)
من رام ما يعجز عنه طوقه	ملعب ^(٦) يوما آس تجزول المطا ^(٧)
والناس ألف منهم كواحد	وراحد كالألف إن أمر غنى ^(٨)
والفتى من ماله ما قدم	يداه قبل موته لا ما أقتنى ^(٩)
وإنما المره حديث بعده	فكن حديثا حسنا لمن وعى ^(١٠)
إني حلبت الدهر شطريه فقد	أمر لي حينا وأحيانا حلا ^(١١)
وفر عن تجربة نائي فقل	في بازل راض الخطوب وامتنع ^(١٢)
والناس للوت خلا يلسمهم	وقل ما يبقى على اللس الخلا ^(١٣)
عجبت من مستيقن أن الردى	إذا أتاه لا يداوى بالرقى ^(١٤)

(١) تقاصرت قصرت وفسیحات واسمات والخطا جمع خطوة (٢) الحزم الاحتراس بالافعال
ندامة حسرة ؛ الذع اشد حرقة ؛ سفح الاحراق ؛ الذكا التهاب النار (٣) ناط علن والعنى ؛ عري
جمع عروة وهي ما يتمسك به . اخلاقه طبائمه ؛ نيطت عقلت . المقت اشد الغضب (٤) من طال
من ارتفع . البسطة الفضيلة . اعجزه اضعفه نيل ادراك . الدني جمع الدنيا وهي الشيء القريب
بله بمعنى غير اودع القصا جمع القصوة وهو الشيء البعيد (٥) رام طلب . ما يعجز عنه ما يقصر
عنه . طوقه طاقته . ملعب اصله من اللعب وهو الثقل وجه اعياه . آس رجع . تجزول مقطوع
المطا الظهر (٦) غنى قصد او لزم (٧) اقتنى اكتسب (٨) لمن وعى لمن حفظ (٩) حلبت الدهر
جربته شطريه نصفيه . واراد بشطريه اول زمانه وآخره او نعيه وبؤسه (١٠) وفر عن تجربة
نائبي اي كشف عن امره وهذا مأخوذ من قولهم فر عن الدابة اذ فتح فاهها ليعرف سنها وينظر
صفرها من كبرها . بازل من الابل التي اتت عليه تسعة اعوام راض الخطوب اذ لما . امتنع
الدابة ركبا (١١) الخلا الحشيش الرطب . يلسمهم يأكلهم (١٢) مستيقن عالم . الردى الهلاك
الرقى جمع رقية للتعوطة من مداوة والحسد

وهو من الغفلة في أهوية كخابط بين ظلام وعشا^(١)
 نحن ولا كفران لله كما قد قيل للسارب اخلى فارتعي^(٢)
 إذا أحس نبأ ربيع وإن تطأمنت عنه تهادى ولها^(٣)
 كثلة ريعت لليث فانزوت حتى اذا غاب اطمانت إن مضى^(٤)
 نهال للسبر الذي يرونا ونرتعي في غفلة اذا انقضى^(٥)
 إن الشقاء بالشقى مولع لا يملك الرد له اذا أتى^(٦)
 واللوم للحر مقيم رادع والعبد لا يردعه إلا العصا^(٧)
 وآفة العقل الهوى فن علا على هواه عقله فقد نجا^(٨)
 كم من أخ مسخوطة أخلاقه أصفية الود خلق مرتضى^(٩)
 اذا بلوت السيف محموداً فلا تدممه يوماً أن تراه قد نبا^(١٠)
 والطرف يجتاز المدى وربما عن لعداه عثار فكبا^(١١)
 من لك بالمذهب النذب الذي لا يجد العيب اليه مخطي^(١٢)

(١) الأهوية الغامض من الأرض . الخابط الذي يمشى ليلاً بغير مصباح
 المشايع في البصر (٢) كفران والكفر واحد واصل الكفر التغطية . السارب الظاهر بماله
 من الماشية وكل متصرف في حوائجه فهو سارب أي ذاهب . اخلى يقال اخلى الله الماشية انبت
 لها الحشيش (٣) احس يعني السارب أي علم . نبأ الصوت الحثي . ربيع فرع (٤) ثلة بالفتح
 الجماعة من الغنم وبالضم الجماعة من الناس والمراد الاول . ريعت فرغت . انزوت انقبضت
 اطمانت هدأت وسكنت (٥) نهال نفزع يرونا يفزعنا . نرتعي نرعى . انقضى ذهب (٦) مولع
 المغم بالشيء لا يملك الرد أي لا يملك الدفع والصرف (٧) اللوم بالفتح من الملامة وهي العتاب
 مقيم مصلح . رادع كاف (٨) آفة العقل مضرته ومفسده . الهوى الشهوة . علا ارتفع (٩)
 مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا . أخلاقه طبائعه . أصفية الود أخانت له الود . مرتضى
 مستحسن (١٠) بلوت اختبرت . نبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئاً (١١) الطرف بالكسر
 الكريم من الخيل . يجتاز يجوز . المدى الغاية . عن عرض . لعداه لجريه عثار مصدر عثر
 يعثر عثاراً . اذا كبا أي سقط لوجهه (١٢) المذهب العاقل الطرف النذب الرجل الخفيف في

إذا تصفحت أمور الناس لم
عول على الصبر الجميل أنه
وعطف النفس على سبل الأسي
والدهر يكبو بالفتى وتارة
لا تعجب من هالك كيف هوى
إن نجوم المجد أمت أفلأ
إلا بقايا من أناس بهم
إذا الأحاديث انتضت أنباءهم
لا يسمع السامع في مجالسهم
ما أنعم العيشة لو أن الفتى
أو لو تحلى بالشباب عمره
هيهات مهما يستعز مسترجع
وفتية سامرهم طيف السكرى

تلف امرأ حاز الكمال فاكتفى^(١)
أمنع ما لا ذ به أولوا الحيجا^(٢)
إذا استغفر القلب تبريح الجوى^(٣)
ينهض من غمرة إذا كبا^(٤)
بل فاعجب من سائم كيف نجا^(٥)
وظله القاصض أضحى قد أزى^(٦)
إلى سبيل المكر مات يقتدى^(٧)
كانت كنشر الروض غداة السدى^(٨)
هجرأ إذا جالسهم ولا خنأ^(٩)
يقبل منه الموت أسناء الرشا^(١٠)
لم يستبيله الشيب هاتيك الحلى^(١١)
وفي خطوب الدهر للناس أسي^(١٢)
فسامروا النوم وهم غيد الطلى^(١٣)

الحاجة . مختطى ممشى وهو من خطى بخطو إذا مشى (١) تصفحت نظرت واستقصيت . لم تلف
لم تجد . اكتفى أى اجتزأ به (٢) عول على الصبر أى أرجع إليه واعتمد عليه . أمنع أحمى
وأقوى . الحجا العفل (٣) إلا الصبر . استغفر استغف . تبريح شدة . الجوى فساد الجوف
(٤) يكبو يعثر (٥) هوى سقط (٦) أفلا غائبات . القاصض المرتفع وفرس قالس طريل
القواثم . إذا نصر ونقص (٧) يقتدى يتبع فاعلمهم (٨) انتضت أظهرت من نضا الشيء إذا ظهر .
الأنباء الأخبار . النشر الرائحة الطيبة . الروض الموضع الذى يكون فيه شروب من النبات .
غداة بأكراه . السدى الندى في هذا الموضع وهو المطر (٩) هجرأ يضم الهاء القبيح من
القول وكذا الخنا أيضاً (١٠) العيشة الحياة . أسناء الرشا أرفها وأعلاها والرشا جمع رشوة وهي
العطية التي يجابى بها الإنسان (١١) تحلى بالشباب لبسه وتزيا به . لم يستبيله لم يجرده . الحلى جمع
حلية (١٢) هيهات بمعنى ما أبعد مسترجع مردود . أسي جمع أسيرة وهي ما يتأسى به الإنسان مما
منزل بغيره (١٣) سامرهم حادهم ليلا . غيد جمع أغيد وهو النام . الطلى الافئاق

والليل مُلاني بالموامي بركة^(١) والعيس يُنبئن أفاحيص القطا^(٢)
 بحيث لا تهدي لسمع نبأ^(٣) إلا نعيم اليوم أو صوت الصدى^(٤)
 شايعتهم على السرى حتى إذا مالت أداة الرجل بالجلس الدوى^(٥)
 قالت لهم إن الموينا غيبها وعن نجدوا نصدوا غيب السرى^(٦)
 وموحش الأقطار طام مأوه^(٧) مدعثر الأعضاء مزوم الجبا^(٨)
 كأنما الريش على أرجائه زرق نصال أرهفت لئتمهي^(٩)
 وردته والذنب يعوي حوله مستك سم السمع من طول الطوى^(١٠)
 ومنتج أم أيه أمه لم يتخون حسنه مس الضوى^(١١)
 أفرشته بنت أخيه فأننت عن ولد يورى به ويشتموي^(١٢)
 ومرقب مخلوق أرجاؤه مستصعب المسلك وعز المرتقى^(١٣)

(١) الموامي جمع مومة وهي الففر . البرك الصدر . العيس الابيض من الابل . ينبئن يخرجن : أفاحيص القطا أو كرها واحدها أفوص (٢) نبأ الصوت الخفي نعيم اليوم صوته واليوم الهام . الصدى ذكر الهام (٣) شايعتهم تابعتهم على رأيهم في سير الليل . أداة الرجل حوائج الرجل . المجلس الرجل الثقل . الدرى الأحق (٤) وهن صنف . نجدوا فاجتهدوا (٥) موحش الاقطاري يعنى به بئراً أوحوشاً والوحش ضد المؤنس والاقطار النواحي . طام مرتفع . مدعثر مهدوم . الاعضاء ما حواله من صفايح الحجارة التي تمضده . الجبا بنتج الجيم ما حول البئر أو الخوض (٦) أرجائه نواحيه زرق نصال بيض نصال . أرهفت رقت . تتمهي تسقى بالماء (٧) وردته يعنى وردت هذا الماء والهاء عائد على الماء في قوله طام مأوه . يعوي يصيح . من الجوع . مستك ضيق سم السمع . ولا مستكاك الصمم سم الذنب . والطوى الجوع . وايضاً خمس البطن وهو ضوره (٨) ومنتج يريد رب غصن منتج أي مولود . أم أيه أم امه . يريد غصناً قطع من فرع من شجرة فذلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للفصن بمنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الفصن لانها منها فصارت أما لا ييه وأما له . لم يتخون لم يتعاهد . الضوى الهزال (٩) أفرشته بنت أخيه حككت به غصناً آخر . وعن ولد يريد عن شرار . ويورى يشعل . يشتموي أي يشتموي به يقال شويت اللحم واشتمويته (١٠) مرتب الوضع العالي الذي ينظر منه الى بعد ومخلوق املس . وأرجاؤه نواحيه . ومستصعب صعب . والمالك الطريق

والشخص في الآل يرى لناظر
أوفيت الشمس تَمَجُّ ريقها
وطارق يُونِسُهُ الذئبُ اذا
آوى الى نارى وهى مَأْلَفٌ
لله ما طيفُ خيال زائرٍ
يجوبُ أجواز الفلا محترقاً
سائله أن أفصح عن أنبائه
أو كان يدرى قبلها ما فارسٌ
وسائلى بمزعجى فى وطنى
قلتُ القضاء مالِكُ أمر الفقى
لا تسألنى وأسأل المقدار هل
ترمقه حيناً وحيناً لا يُرى (١)
والظلُّ من تحت الحذاء يحتذى (٢)
تضوّر الذئبُ عِشاءً وأنضوى (٣)
يدعو العفّاء ضوؤها الى القرى (٤)
تَرْفُهُ للقلب أحلام الرؤى (٥)
هولٌ دُجى الليل اذا الليل انبرى (٦)
أتى تسدى الليل أم أتى اهتدى (٧)
وما مَوَامِيها القِفَارُ والقرى (٨)
ما ضاق بي جَنَابُهُ ولا نَبَا (٩)
من حيث لا يدرى ومن حيث درى
يُعصمُ منه وَزَرٌ ومُزْدَرَى (١٠)

(١) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد . والآل السراب . وترمقه تنظره . وحيناً وقتاً (٢) أوفيت اتيت ووصلت اى اليه وتمج تلى . وريقها لعابها ولعاب الشمس انما يكون فى وقت الظهيرة وهو مثل نسج العنكبوت يتراءى فى الشمس . والحذاء النعل ويحتذى ملصق (٣) وطارق الذى يجيئ بالليل . وتضوّر صاح من الجوع (٤) اوى الى نارى انضم الى نارى ومألف الموضع الذى يجتمع فيه الاحباب والعفّاء الفقراء (٥) لله ما طيف اللام فى هذا بمعنى التمج وما زائدة . والطيف ما يراه النائم فى صورة محبوبه . خيال الشخص الذى يتخيل لك وترفه تحمله (٦) يجوب يقطع واجواز اوساط والفلا جمع فلاة وهى القفر من الارض . ودجى جمع دجية وهى الظلمة وانبرى اعترض (٧) سائله يعنى الخيال . وعن انبائه يعنى عن اخباره وان افصح اى ان ابان . واتى كيف تسدى قطع الليل بالسير . وام اتى اهتدى معناه من اين اهتدى (٨) او كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الذروة . وما فارس يريد فارس . والموامى واحدها مومة وهى الارض المقفرة (٩) بمزعجى بمزىل ومخرجى والباء بمعنى عن فكانه قال وسائلى عن مزعجى . الجباب بفتح الجيم الناحية ولا نبا ولا ضاق (١٠) لا تسألنى يخاطب السائل الذى حكى عنه سؤاله عن ارتطاجه عن وطنه . والمقدار القدر . يعصم يمنع . وزر الجبل المنيع والملاجئ مزدري محترق

لا بُدَّ أن يلتقى امرؤ ما خطه (١)
 لا غرور إن ليج زمان جائر (٢)
 فقد ترى القاحل مخضراً وقد
 يا هوليّاً هل نشدتن لنا (٣)
 ما أنصفت أم الصبيّين التي
 استحي بيضاً بين أفودك أن (٤)
 هيات ما أسفع هانا زلة
 يارب ليل جمعت قطريه لي (٥)
 لم يملك الماء عليها أمرها
 حيناً هي الداء وأحياناً بها (٦)
 قد صانها الخمار لما اختارها
 ضنابها على سواها واختبى (٧)

(١) وحي مطوف على خطه ومعنى وحي ككتب (٢) لا غرو لا عجب . لج عرض
 فاعترق العظم أي ازال عنه اللحم . المخ الذي فيه المخ . اتنى استخرج منه النقي وهو المخ
 (٣) القاحل اليابس . اخا الاقتار المقل من اثال نما زاد واستثنى (٤) يا هوليّا تصغير هؤلاء
 نشدتن طلبتن . نابة البرقع أي التمتع به . طلا بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية (٥) ما انصفت
 م الصبيّين هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل . والصبيان ما يتخايل في يؤبؤ
 العين . اصبت اخا الحلم أي رددته الى الصبا وهو اللهو والحلم والعقل . نولاً يصطبي أي لم
 يرد الى الصبا ؛ فلما آخت لم النانية (٦) استحي فعل امر من الاستحياء بمعنى الحياء ؛ بيضاً شياً
 بين افودك جمع فود والفودان جانباً الرأس أي ناحيته من يمين وشمال ويقنادك يقودك
 البيض الثانية النساء ؛ المهتدى الاسير (٧) هيات كلمة تبعيد دانا اشارة للمؤن ؛ زلة خطيئة
 وسقطة ؛ الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (٨) جمعت قطريه أي جانبه اول الليل
 وآخره ؛ بنت ثمانين دنا الخمر وانما سماها بنت ثمانين لانه من ثمرها اوجبت عليه ثمانين جلدة
 تجتلي تجلي من جلوت العروس وهو اظهارها (٩) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تنزع بالماء
 فتكسر حدتها وسورتها ولم يدنسها أي ولم يغيرها ؛ الضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ
 المحتضى العود الذي تحرك به النار (١٠) صانها - قطعها ؛ ضناباً بخللاً ؛ اختبى ستر

فهي ترى من طولٍ عهدٍ إن بدتْ في كاسِها لأعينِ الناسِ كلاً (١)
 كأنَّ قرنَ الشمسِ في ذُرُورها ينعِمُ بها في الصَّحنِ والكاسِ اقتدى (٢)
 نازعتها أروغَ لا تسطو على نديمِ شرِّه إذا انتشى (٣)
 كأن نورَ الرّوضِ نظمٌ لفظه مرَّجلاً أو منشيداً أو إن شدا (٤)
 من كلِّ ما نال الفتى قد نلتهُ والمرءُ يبقى بعده حُسنُ الثنا (٥)
 فإن أمتْ فقد تناهت لذتي وكلُّ شيءٍ بلغ الحدَّ انتهى (٦)
 وإن أعيش صاحبِ دهرى عالمياً بما انطوى من صرفه وما انتشى (٧)
 حاشا لي أساره في الحيجا والحلم أن أتبع رُوادِ الخنا (٨)
 أو أن أرى لنكبةً مُختضماً أو لا بهاجٍ فرحاً ومزدهى (٩)

﴿ وقال المنقب العبدى الجاهلى المتوفى سنة ٥٨٧ م من قصيدة ﴾

لا تقولن إذا ما لم تُردِّ أن تُتِمَّ الوعد في شيء (نعم)
 حسن قول (نعم) من بعد (لا) وقبيح قول (لا) بعد (نعم)
 إن (لا) بعد (نعم) فاحشةٌ فبلا فابداً إذا خيفت الندم
 وإذا قلت نعم فاصبر لها بنجاز الوعد إن الخلفَ ذم

(١) كلاً عَمى يعنى انه يعنى من نظر اليها فكيف من شربها (٢) قرن الشمس شعاعها؛ ذروها طلوعها يقال ذرت الشمس اذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع؛ والكاس القدح اذا كان فيه خمر؛ اقتدى اتبع اثره (٣) نازعتها ناولتها وادرتها؛ اروع الحسن المنظر الجميل؛ لا تسطو لا تمدو؛ النديم الصاحب؛ الشرة الحدة؛ انتشى سكر (٤) نور الروض زهر الروض؛ مرَّجلاً الذى يأتي بما يحظر على باله على البديهة بغير استعداد؛ وشدا غنى ومنه الشادى (٥) الثنا المراد به هنا الثناء وهو فى الاصل اعم للخير والشر (٦) تناهت لذتي بلغت النهاية؛ الحد هو الشيء الذى لا يتجاوزه (٧) انطوى استتر؛ انتشى ظهر (٨) حاشا كلمة تربة؛ أسأره ابقاه الحيجا العقل؛ الحلم التنازل عن كل مكروه يقابل به ويواجه؛ رواد جمع رائد ورائد القوم رسولهم الخنا الفجس فى النطق (٩) مختضماً متذلاً؛ الابتهاج السرور مزدهى المستخف وقيل المعجب

أَكْرِمِ الْجَارِ وَرَاعِ حَقَّهُ إِنَّ عِرْفَانَ الْفَتَى الْحَقُّ كَرَمٌ
لَا تَرَانِي رَاتِمًا مِنْ مَجْلِسٍ فِي لَحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الضَّرِمِ
إِنْ شَرَّ النَّاسُ مِنْ يَمْدُخْنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبَتْ شَمُّ
وَكَلَامِي سَيِّءٌ قَدْ وَقَرْتُ عَنْهُ أَذْنَانِي وَمَا بِي مِنْ صَمَمِ
وَلِبَعْضِ الصَّفْحِ وَالْأَعْرَاضِ عَنْ ذِي الْخَنَاءِ أَبْقَى وَإِنْ كَانَ ظَلَمٌ

﴿ وَقَالَ الْإِفْوَه الْأُودِي الْجَاهِلِي الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥٧٠ م ﴾

الْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا عَلَى عَمَدٍ وَلَا عِمَادٌ إِذَا لَمْ تَرَسْ أَوْتَادُ
فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمَدَةٌ يَوْمًا فَقَدْ بَلَغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لِمَرْأَةٍ لَهُمْ وَلَا سَرَاةٌ إِذَا جَهَّاهُمْ سَادُوا
تَهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلُحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَثَرِ تَنْقَادُ
إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ النَّاسِ أَمْرُهُمْ نَمَا عَلَى ذَلِكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا
كَيْفَ الرِّشَادُ إِذَا مَا كُنْتُ فِي بَقَرٍ لَهُمْ عَنِ الرَّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ
أَعْطَوْا غَوَاتَهُمْ جَهْلًا مُقَادَتَهُمْ فَكَاهَهُمْ فِي حِبَالِ الْغَى مُنْقَادُ

﴿ وَقَالَ الْأَمَامُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ ﴾

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شَوْمٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّينَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مَنْ الْمَلُومُ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَازَةُ عَنْ أَنَامِي مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الِهْمُومُ
لَأَمْرٍ مَا نَصَرَّمَتْ الْإِيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ التَّجُومُ
سَلِ الْإَيَّامُ عَنْ أُمِّ تَقَضَّتْ سَتُنْبِيكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تروم الخلد في دار الدنيا فكم قد رام غيرك ما تروم
تنام ولم تتم عنك المنايا تنبّه العنينة يا نووم
لهوت عن الفناء وأنت تقى فما شئ من الدنيا يدوم
تموت غداً وأنت قرير عين من الشهوات في لجج تعوم

﴿وقال أيضاً﴾

عليك ببرّ الوالدين كليهما وبرّ ذوى القربى وبرّ الأبعد
ولا تصحبن الاّ تقياً مهذباً عفيفاً ذكياً منجزاً للمواعيد
وقارن اذا قارنت حرّاً مؤدّباً فتى من بنى الأحرار زين المشاهد
وكف الأذى واحفظ لسانك واتق فديتك في ودّ الخليل المساعد
ونافس ببذل المال في طلب العلى بهمة محمود الخلائق ماجد
وكن واثقاً بالله في كل حادث يصنّك مدى الأيام من شرّ حاسد
وبالله فاستمعهم ولا ترجّ غيره ولا تك في النماء عنه بجاحد
وعضّ عن المكروه وطرفك واجتنب أذى الجار واستمسك بحبل المحامد
ولا تبني في الدنيا بناء مؤمّل خلوداً فما حيّ عليها بخالد

﴿وقال أيضاً﴾

قدّم لنفسك في الحياة تزوداً فلقد تفارقها وأنت مودّع
واهتمّ للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد وأشنع
واجعل تزودك المخافة والتقى فاعمل حثّة في مسالك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى والفقر مقرون بمن لا يقنع
واحذر مصاحبة اللثام فانهم منعوك صفو ودادهم وتصنعوا

أهل المودة ما أنلّتهم الرضا
لا تُفش سرّاً ما استطعت إلى امرئ
فكما تراه بسرّ غيرك صانعاً
لا تبدّ أن بمنطق في مجلس
فالصمت يُحسن كلّ ظنّ بالفتى
ودع المزاح فربّ لفظة مازيح
وحفاظ جارٍ لا تُضيعه فانه
واذا استقالك ذوالإساءة عشرة
واذا اتّمت على السرّاء فافخها
لا يحجز عن من الحوادث إنما
وأطع أباك بكلّ ما أوصى به

واذا منعت فسمهم لك مُنقَع
يُفشي اليك سرّاً رأ يستودع
فكذا بسرّك لا محالة يصنع
قبل السؤال فان ذلك يشمّع
ولعله خرّق سفيّه أرقع
جلبت اليك بلا بلا لا تُدفع
لا يبالغ الشرف الجسم مضيع
فأقله إن ثواب ذلك أوسع
واسرّ عيوب أخيك حين أطلع
خرّق الرجال على الحوادث يحجز
إن المطيع أباه لا يتضعضع

﴿وقال أيضاً﴾

صنّ النفس واحملها على ما يزيئها
ولا تُرينّ الناس إلا تجملأ
وان ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
يعزّ غنيّ النفس ان قلّ ماله
ولا خير في ودّ امرئ متلون
جواد إذا استغثت عن أخذ ماله
فما أكثر الإخوان حين تعدهم

تعشّ سالماً والقول فيك جميل
نبا بك دهر أو جفاك خليل
عسى نكبات الدهر عنك تزول
ويقني غنى المال وهو ذليل
إذا الرّيح مالت مال حيث تميل
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
ولكنهم في النّائبات قليل

﴿وقال عبد الله بن جعفر الطالبي المتوفي سنة ٨٠ هـ﴾

إذا كُنْتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأرسل حكيماً ولا تُوصِه
وانْ بابُ أمرٍ عليك التوى فشاوِرْ لبيباً ولا تَعَصِه
وانْ ناصحٌ مِنْكَ يوماً دنا فلا تَنَأْ عنه ولا تَقْصِه
وذا الحق لا تَنْقُصْ حقّه فانْ التقطيعه في نَقْصِه
ولا تذكر الدهر في مجلسٍ حديثاً اذا أنت لم تُحْصِه
ونصّ الحديث الى أهله فانْ الأمانة في نصّه
وكم من فتى عازب لُبّه وقد تعجب العين من شخصِه
وآخر تحسبه أنوكاً ويأتيك بالأمر من فصّه

﴿وقال أبو الأسود الدؤلي﴾

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالتوم أعداء له وخصومُ
وترى اللبيب مُحْسداً لم يحترم شتم الرجال وعرضه مشتمُ
وكذاك من عظمت عليه نعمة حساده سيفٌ عليه ضرؤمُ
فاترك مجارة السفية فانها ندمٌ وغيبٌ بعد ذاك وخيمُ
فاذا جريت مع السفية كما جرى فيكلاً كما في جزيه مذمومُ
واذا عتبت على السفية ولمته في مثل ما تأتي فأنت ظالمُ
يأبها الرجلُ المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء الذي السقام وذو الضنى كما يصحُّ به وأنت سقيمُ
وأراك تُصلحُ بالرشاد عقوانا أبداً وأنت من الرشاد عقيمُ
لا تنه عن خالق وتأتى مثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

ابدأ بنفسك فأنها عن غيبتها
 فهناك يُقبل ما وعظت ويُقتدي
 لا تسكين عرض ابن عمك ظالماً
 وحرمة أيضاً حريمك فاحمه
 وإذا اقتضت من ابن عمك كلمة
 وإذا طلبت إلى كريم حاجة
 فإذا رآك مسلماً ذكر الذي
 ورأي عواقب تحذ ذاك وذمه
 فارح الكريم وإن رأيت جفائه
 إن كنت مضطراً ولا فانخذ
 وأركه واحذر أن تمر بيا به
 فالناس قد صاروا بهائم كلهم
 عُمى وبكم ليس يرجى نفعهم
 وإذا طلبت إلى لئيم حاجة
 والزم قبالة بيته وفينائه
 وعجبتُ للدنيا ورغبة أهلها
 والأحمق المرزوق أعجب من أرى
 ثم آنقضى عجبى لعلمي أنه
 فإذا آتته عنه فانت حكيم
 بالعلم منك وينفع التعليم
 فإذا فعلت فعرضك المكلوم
 كيلا يُباع لديك منه حريم
 فكلوه لك إن عقلت كلوم
 فلقاؤه يكفيك والتسليم
 كلمته فكانه ملزوم
 للمرء تبقى والعظام رميم
 فالعقب منه والكريم كريم
 نفقاً كأنك خائف مهزوم
 دهرأ وعرضك إن فعلت سليم
 ومن البهائم قاتل وزعيم
 وزعيمهم في الثابتات ملهم
 فألح في رفيق وأنت مديم
 بأشد ما لزم الغريم غريم
 والرزق فيما بينهم مقسوم
 من أهلها والعامل المحروم
 رزق موافق وقته معلوم

﴿ وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ﴾

تري الرجل النحيف فتزدرية وفي أثوابه أسد مزير

ويعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظلك الرجل الطير
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير
بغاث الطير أكثرها فراخاً وأتم الصقر مقلات نزور
ضعاف الطير أطولها جسوماً ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
يُصترفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الحسف الجير
فان أك في شرارك قليلاً فاني في خياركم كثير

وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

دع الأيام تفعل ما تشاء وطيب نفساً اذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً وشيمتك السماحة والاستخاء
يعطى بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه الستخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور ولا بأس عليك ولا رخاء
ولا ترى الأعدى قط ذلاً فان شامة الأعداء بلاء
ولا ترج السماحة من بخيل فما في النار للظمان ماء
ورزقك ليس ينقصه التاني وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت وما لك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن اذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين ولا يغني عن الموت الدواء

﴿ وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ ﴾

أَبْنِيَّ إِنِّي قَدْ كَبَّرْتُ وَرَأَيْتُ	بَصْرَى وَفِي لَمَنْظَرٍ مُسْتَمْتَعٍ
أَوْصِيكُمْ بِتَقَى الْإِلَهِ فَإِنَّهُ	يُعْطَى الرِّغَائِبَ مِنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
وَيَبِزُّ وَالِدَكُمْ وَطَاعَةَ أَمْرِهِ	إِنَّ الْآبَرَ مِنَ الْبَنِينَ الْأَطْوَعُ
إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ	ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ
وَدَعَا الضُّعْفَانِ لَا تَكُنْ مِنْ شَأْنِكُمْ	أَنَّ الضُّعْفَانِ لِلْقَرَابَةِ تَوْضِعُ
يُزْجِي عَقَارَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ	حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقُ الْأَخْدَعُ
إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْهُمْ إِيْخْوَانَكُمْ	يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
وَإِذَا مَضَيْتُ إِلَى سَبِيلِي فَابْعَثُوا	رَجُلًا لَهُ قَلْبٌ حَدِيدٌ أَصْمَعُ
إِنَّ الْحَوَادِثَ تَحْتَرِمُنِي وَإِنَّمَا	عَمْرُ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ مُسْتَوْذَعُ
يَسْعَى وَيَجْمَعُ جَاهِدًا مُسْتَهْتَرًا	جَدًّا وَابْنَ بَا كَلِّ مَا يَجْمَعُ

﴿ وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م من قصيدة ﴾

وَمَا بَعْضُ الْأَقَامَةِ فِي دِيَارِ	يُهَافُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بِلَاءَ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءُ	كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ	وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةِ نَزَاتٍ بِقَوْمِ	سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غَنًى لِحَرَصِ	وَقَدْ يَنْحِي عَلَى الْجُودِ الثَّرَاءُ
غَنَى النَّفْسِ مَا عَمَرَتْ غَنًى	وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمَرَتْ شَقَاءُ
وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ	وَلَا مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ
وَبَعْضُ الدَّاءِ مَلْتَمَسٌ شِفَاءُ	وَدَاءُ الذُّلِّ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وبعض القول ليس له عِناجٌ
ولم أرَ كادريءَ يَدُنُونُ الحَسَفِ
يصوغ لك اللسان على هواه
ألا من مُبْلِغِ الشَّعْرَاءِ عَنِّي
ولستُ بغائِظٍ إلا كُفَاءَ ظِلْمًا
وعندي للهِلِمَاتِ اجْتِراء

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

المرءُ يَجْمَعُ والزَّمانُ يُفَرِّقُ
ولأنَّ يَدَايَ عاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فأرْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا
وزن الكلام إذا نطقتَ قائما
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم
حتى يَحُلُّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
لا أَلْفَيْتُكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
ما النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشِ وَإِنَّمَا
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
وإذا الجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقِيَا
سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعُرُوسَ مُبْهَتًا
وإذا امرؤٌ أَسْمَعْتَهُ أَفْعَى مَرَّةً
تركته حينَ يَجْرُ حَبْلُ يَفَرِّقُ

ابن الذين اذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

﴿وقال أيضاً﴾

مرمت جبالك بعد وصالك زينب
وكذلك وصل الغانيات فانه
فدع الصبا فلقد عداك زمانه
ذهب الشباب فما له من عودة
دع عنك ما قد فات في زمن الصبا
وأخش مناقشة الحساب فانه
والليل فاعلم والنهار كلاهما
لم يذسه الملسكان حين نسيته
والروح فيك وديعة اودعتها
وغرور دنياك التي تسعى لها
وجميع ما حصلته وجمعه
تباً لدار لا يدوم نعيمها
فاسمع هديت نصائحاً أولاً كما
أهدى النصيحة فاتعظ بمقاله
لا تأمن الدهر الخوون لانه
وكذلك الايام في غصاتها
ويفوز بالمال الحقير مكانة
ويسر بالترحيب عند قدومه
والدهر فيه تصرم وتقلب
آل يلقه ويرق خلب
وأجهد فعمرك مر منه الأطيب
وأنى المشيب فأين منه المهرب
واذكر ذنوبك وابكم يا مذهب
لا بد يخلص ما جنيت ويكتب
أنفاسنا فيه تعد وتحسب
بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
سردوها بالرغم منك وتسلم
دار حقيقة متاع يذهب
حقاً يقيناً بعد موتك يذهب
ومشيدها عما قليل يخرب
بر نصوح للأنام مجرب
فهو التقي اللوذعي الادرب
ما زال قديماً للرجال يهذب
مضض يذل له الاعز الانجب
فتراه يرجي ما لديه ويرغب
ويقام عند سلامه ويقرّب

واقعد كُفَى ثوبَ المَذَلَّةِ أَشَبَّ	فاقنَعْ في بعض القناعة راحة
في الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الحَرِيصَ وَيُتَعِبْ	لا تَحْرِصَنَّ فَالحَرِصَ لَيْسَ بِزَائِدٍ
رَغْدًا وَيُحَرِّمُ كَيْتَسَ وَيُخَيِّبْ	كَمْ عاجِزٍ في الناسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
إِنْ التَّقَى هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبْ	فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّهْمُ تَفَرُّ
إِنْ المَطِيعُ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبْ	وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمِ طَيْبُ الْمَكْسَبِ	أَدَّ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَعْلَمْ بِأَنْ دَعَاؤُهُ لَا يُجِيبْ	وَاحْذَرِ مِنَ المَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا
بِتَذَلٍّ وَاسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنِبُوا	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبْ	وَإِذَا بَلَيْتَ بِنِكَبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَأَصَابَكَ الخُطْبُ الْكَرِيمُ الْأَصْعَبْ	وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
يَدْعُوهُ مِنْ جَبَلٍ الْوَرِيدُ وَأَقْرَبْ	فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
يَعْدِي كَمَا يَعْدِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبْ	وَاحْذَرِ مَوَآخَاةَ الدَّيْقِ لِأَنَّهُ
إِنْ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبْ	وَاخْتَرِ صَدِيقَكَ وَاصْطَفِيقَهُ تَفَاخُرًا
إِنْ الْكَذُوبُ لِبُئْسَ خِيَلًا يُصْحَبْ	وَدَعْ الْكَذُوبَ وَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصَّدُورِ مُغَيَّبْ	وَذَرِ الْحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبْ	وَاحْفَظْ أَسَانَتَكَ وَاحْتَرِمْ مِنْ لَفْظِهِ
ثُرْنَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تُخْطَبْ	وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبْ	وَالسِّرَّ فَاكْتُمْهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعُبْ	وَاحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبْ	إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدُهَا

واحذر عدوك إذ تراه باسمًا
 وإذا الصديق رأيتُه مُتملِّقًا
 لا خير في ودّ امرئ مُتملِّق
 يُعطيك من طرف اللسان حلالة
 يلقاك بحليف أنه بك واثق
 وإذا رأيت الرزق ضاق بيلدة
 فارحل فأرض الله واسعة الفضا
 فالآيثُ يبدو نابه إذ يغضب
 فهو العدو وحقه يُشجنب
 حلو اللسان وقلبه يتلهب
 ويروغ منك كما يروغ الثعلب
 وإذا توأرى عنك فهو العقرب
 وخشيت فيها أن يضيق المكسب
 طولاً وعرضاً شرّ قها والمغرب

﴿وقال أبو الفتح البستي المتوفى سنة ١١٢٢ هـ﴾

زيادة المرء في دنياه نقصان
 وكلُّ وجدانٍ حظٌّ لا ثبات له
 يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً
 ويا حريصاً على الاموال تجمعها
 دع الفؤاد عن الدنيا وزينتها
 وأرعِ سمعك أمثالاً افصلها
 أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
 يا خادماً الجسم كم تسعى لخدمته
 أقبل على النفس واستكمل فضائلها
 وكن على الدهر معوئاً لذي أملٍ
 واشدّد يديك بحبل الله معتصماً
 من يتق الله يُحمّد في عواقبه
 ويربحه غير محض الخير خسران
 فان معناه في التحقيق فقدان
 بالله هل لخراب العمر عمران
 أنسيت أن سرور المال أحزان
 فصفوها كدر والوصل هجران
 كما يفصل ياقوت ومرجان
 فطلما استعبد الإنسان احسان
 أنطلب الربح ممّا فيه خسران
 فأنت بالنفس لا بالجسم انسان
 يرجو نداءك فان الحرّ معوان
 فانه الركن ان خانتك أركان
 ويكفه شرّ من عزّوا ومن هانوا

مَنْ استعان بغير الله في طلب
 مَنْ كَانَ لِلتَّخِيرِ مَنَاعاً فَلَيْسَ لَهُ
 مِنْ جَادِ بِالمَالِ مَا لِنَاسِ قَاطِبَةٍ
 مِنْ سَالمِ النَّاسِ يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
 مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
 مِنْ مَدَّةٍ طَرَفًا يَفْطِرُ الْجَهْلُ نَحْوَهُوِي
 مِنْ اسْتِشَارِ صُرُوفِ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
 مِنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ
 مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشَرِ إِنْ الْحَرِّ هَمَّتْ
 وَرَافِقُ الرَّفَقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَفْرُتْكَ حَظٌّ جَرَّهَ خَرَقٌ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدُورَةٌ
 فَالْرَوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاغْنِمِهِ
 صُنْ حَرٌّ وَجْهَكَ لَا تَهْتِكْ غَلَالَتَهُ
 دِعِ التَّكْسَلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا يَظِلُّ لِلْعَرِيِّ عَرَى مِنْ نُهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مِنْ وَالَّتِهِ دَوْلَتُهُ
 سَجْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصْرٌ
 لَا تُودِعِ الشَّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذِلًّا

فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخِذْلَانُ
 عَلَى الْحَقِيقَةِ اخْوَانٌ وَأَخْدَانُ
 إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ قَتَانُ
 وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
 وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرَصِ سُلْطَانُ
 أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
 عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
 نَدَامَةٌ وَلِحْصِدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ
 قَمِيصُهُ مِنْهُمْ صَلٌّ وَثَعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عُنْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَدْمُمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْخَرَقُ هَدْمٌ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُذْيَانُ
 فَإِنْ يَدْرُمُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحَرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حَرٍّ لِحَرِّ الْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعُدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْنَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبِأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَخْبَانُ
 فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لَوَارِدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمَظَلِّ وَجْهِ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقْظُ
 فَلْتَدَايِرِ فُرْسَانَ إِذَا رَكَضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَدَ مِنْ عَوَزٍ
 وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
 حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خَلَا يُمَاشِرُهُ
 هُمَا رَضِيْعَا لِبَانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى
 إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُهُ فَلَهُ
 يَافِظًا لِمَا فَرِحَ بِالْعَزِّ سَاعَدَهُ
 مَا اسْتَمَرَّ الظُّلُمُ أَنْصَفَتْ آيَاتُهُ
 يَأْتِيهَا الْعَالَمُ الْمَرِيضُ سِيرَتُهُ
 وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي الْجُحْرِ
 لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
 يَا أَفْلَاكُ فِي الشَّبَابِ الْوَحْفُ مُنْتَشِيًا
 لَا تَغْتَرَّرْ بِشَبَابٍ رَاقٍ خَضِلُ
 وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ

غَرَاثُ لَسْتُ تُحْصِيهِنَّ "لَوْ أَنَّ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 قَالِبٌ يُخْدِشُهُ مَظَلُّ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى فِيهِ اسْرَارُ وَاعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحَمَّدُ قَبْلَ الذُّخْرِ بُحْرَانُ
 فَعِيهِ لِلْحَرِّ قُنْيَانُ وَغُنْيَانُ
 وَصَاحِبُ الْحَرْصِ إِنْ أَتَى فَنُضْبَانُ
 إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخُلَّانُ
 وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٍ وَطُغْيَانُ
 وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَّهْرِ يَقْظَانُ
 وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
 أَبْشُرْ فَأَنْتَ بَغِيرِ الْمَاءِ رِيَانُ
 فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَانُ
 مِنْ سُرِّهِ زَمَنُ سَاءَتِهِ أَزْمَانُ
 مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدُ نَشْوَانُ
 فَكَمْ تَقْدَمُ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
 يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ

هَبَ الشَّيْبَةَ تُبْلَى عُدْرَ صَاحِبِهَا مَا عُدْرُ أَشْيَبَ يَسْتَمُوهُ شَيْطَانُ
وَكُنْ كَسِيرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ وَمَا لِكَسِيرٍ قَنَاةَ الدِّينِ جِبْرَانُ

﴿ وقال ابن أبي بكر المقرئ المتوفى سنة ١٠٠١ هـ ﴾

زيادة القول تحكي القصص في العمل ومنطق المرء قد يهديه للزَّلَلِ
إِنَّ اللِّسَانَ صَغِيرٌ جِرْمُهُ وَلَهُ جُرْمٌ كَبِيرٌ كَمَا قَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ
عَقْلُ الْفَتَى لَيْسَ يَفْنَى عَنْ مَشَاوِرِهِ كَهَيْدَةِ السَّيْفِ لَا تَفْنَى عَنِ الْبَطَلِ
إِنَّ الْمَشَاوِرَ إِمَّا صَائِبٌ غَرَضًا أَوْ مُخْطَلٍ يُزِيلُ مَسْئُومًا إِلَى الْخَطَلِ
لَا تَحْقِرِ الرَّأْيَ يَا تَبِيعَ الْخَفِيرِ بِهِ فَالْمَحَلُّ وَهُوَ ذِيَابُ طَائِرِ الْعَسَلِ
وَلَا يَخْرُنْكَ وَدٌّ مِنْ أَخِي أَمَلٍ حَتَّى تُجَرِّبَهُ فِي غَيْبَةِ الْأَمَلِ
لَا تَجْزَعَنَّ لِحُطْبٍ مَا بِهِ رَحِيلٌ تَفْنَى وَإِلَّا فَلَا تَعْجِزَنَّ مِنَ الْحِيلِ
وَقَدَّرْ شُكْرَ الْفَتَى لِلَّهِ نِعْمَتُهُ كَقَدْرِ صَبْرِ الْفَتَى لِلْحَادِثِ الْجَلَلِ
وَإِنْ أَخَوْفَ نَهْجٍ مَا خَشِيتَ بِهِ ذَهَابَ حُرِّيَّةٍ أَوْ مُرْتَضَى عَمَلٍ
لَا تَفْرَحَنَّ بِسَقَطَاتِ الرِّجَالِ وَلَا تَهْزَأْ بِغَيْرِكَ وَاحْذَرِ صَوْلَةَ الدُّوَلِ

أَحَقُّ شَيْءٍ بَرْدٌ مَا تَخَالَفَهُ شَهَادَةُ الدِّينِ فَافْهَمِ صُنْعَةَ الْجَدَلِ
وَقِيْمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَا تَعْلُو بِهِ وَصِلِ
وَكُلُّ عِلْمٍ جَنَاهُ مُمْكِنٌ أَبَدًا إِلَّا إِذَا اعْتَصِمَ الْإِنْسَانُ بِالْكَسَلِ
وَالْمَالُ صُنْعُهُ وَوَرَثَتُهُ الْعُدْوُ وَلَا نَحْتَجُّ حَيَاتِكَ لِلْإِخْوَانِ فِي الْأَكْلِ
خَيْرٌ مَالُ الْفَتَى مَالٌ يَصُونُ بِهِ عَرْضًا وَيَنْفَقُهُ فِي أَشْرَفِ السُّبُلِ
وَأَفْضَلُ الْبِرِّ مَالًا مَنْ يَتَّبِعُهُ وَلَا تَقْدِّمَهُ شَيْءًا مِنَ الْمَطْلِ
فَإِنَّمَا الْجُودُ بِذَلِكَ لَمْ تَكُفْ بِهِ صُنْعًا وَلَمْ تَنْتَظِرْ فِيهِ جَزَا رَجُلِ

إن الصنائع أطواق إذا شُكرت وإن كفرت فأغلال لِيَسْتَحِلَّ
وإن عندى الخطأ أفضل من إصابة حصلت بالمنع والبخل
خير من الخير مسديهِ اليك كما شرٌّ من الشرِّ أهل المظلِّ والدَّخَلِ
ظواهرُ العُتبِ للأخوان أيسرُ من بواطنِ الحقدِ في التَّسديدِ للخللِ



دعِ الجُوحَ وسامعهُ تَغِيظُهُ ولا تَصَحَّبْ سِوَى السَّمَحِ واحذرْ سَقَطَةَ الْعِجَلِ
والقَى الأُحِبَّةَ والأِخوانَ إن قطعوا حبلَ الودادِ بحبلِ منك مُتَّصِلِ
فأعجزُ النَّاسُ حرُّ ضاعٍ من يده صديقٍ ودٍّ فلم يردده بالحيلِ
من يَقْطَعُ بِالْفَتَى إظهارُ غفلته مع التَّحَفُّظِ من غدرٍ ومن ختلِ
وكن مع الخاق ما كانوا لخالقهم واحذرْ معاشرَةَ الأوغادِ والسَّفَلِ
واخشِ الأذى عندَ كرامِ اللِّيمِ كما تخشى الأذى إن أهنت الحرَّ ذالَّ النَّبْلِ
واصبرِ لواحدةٍ تأمَنَ تَوابعها فربما كانت الصَّغْرى من الأولِ
ولا يفرِّنك من مرقى سهواته فربما ضيقتَ ذرعاً منه فى التَّزُلِّ



من للرَّوءة تركُ المرءِ شَبْوَةً فأنظرْ لآيَهما آثرتْ فاختملِ
شرُّ الوردى من يعيب الناسَ مشغلاً مثلُ الدُّبابِ يُراعى وَوَضْعُ الْعِلَلِ
لو كنتَ كالرَّمحِ فى الأَعْمالِ معتدلاً لقاتلَ النَّاسُ هذا غَيْرُ مُعْتَدِلِ
يا ظالماً جارِ فيمن لا نصيرَ له إلا الميِّمِمْ لا تَغْتَرَّ بِالْمَهْلِ
غداً تموتُ ويقضى اللهُ بينكما بِحُسْكِه الحقِّ لا بالزَّيغِ والميلِ
وإن أولىَّ المَلأِ بالعفوِ أقدرُهم على العقوبةِ إن يظنُّ بذى زَلِّ

﴿ وقال تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ﴾

« أرجوزة استخلصها من كتاب الصادح والباغم »

العيشُ بالرزق وبالتقدير	وليس بالرأى ولا التدبير
في الناس مَنْ تُسَعِّدُهُ الأقدار	وفعلهُ جميعه إِدبار
مَنْ عَرَفَ اللهَ أَزَالَ التَّهمه	وقال كُلُّ فعلِه للحِكْمه
مَنْ أَنْكَرَ القَضَاءَ فهو مُشْرِك	ان القَضَاءَ بالعباد أَمَلَكُ
ونحن لا نُشْرِكُ بالله ولا	تَقْنَطُ مَنْ رَحْمَتُهُ إِذْ نُبْتَلَى
عارٌ علينا وقبيحٌ ذِكْرُ	أَنْ نَجْعَلَ الكُفْرَ مَكَانَ الشُّكِّ
وليس في العالمِ ظَلَمٌ جَارِي	إِذْ كَانَ مَا يَجْرِي بِأَمْرِ الْبَارِي
وَأَسْعَدُ الْعَالَمِ عِنْدَ اللهِ	مَنْ سَاعَدَ النَّاسَ بِفَضْلِ الْجَاهِ
ومن أَغَاثِ الْبَائِسِ الْمَلْهُوفا	أَغَاثُهُ اللهُ إِذَا أُخِيفَ
إِنَّ الْعَظِيمَ يَدْفَعُ الْعَظِيمَا	كَمَا الْجَسِيمَ يَحْمِلُ الْجَسِيمَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ	رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وإنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعَالِ	الْعُطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُو
قَدْ قَضَتْ الْعُقُولُ أَنَّ الشَّفْعَةَ	عَلَى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ صَدَقَهُ
وقَدْ عَلِمْتَ وَالْيَدِيبُ يَعْلَمُ	بِالطَّبْعِ لَا يُرْحَمُ مَنْ لَا يُرْحَمُ
فَلِمَ لَا يَدْرِي مَتَى يُمْتَحَنُ	فَإِنَّهُ فِي دَهْرِهِ مَرَّتَيْنِ
وإنْ نَجَا الْيَوْمَ فَسَا يَنْجُو غَدَا	لَا يَأْمَنُ الْآفَاتُ إِلَّا ذُو الرَّدَى
لَا تَغْتَرَّرْ بِالْخَفْضِ وَالسَّلامه	فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَأْسِ وَاللَّهْرُ الْقَدَرُ	وَالصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْكُدْرِ

وكلُّ إنسانٍ فلا بُدَّ له من صاحبٍ يحمل ما أثقله
 جهد البلاء صُحبة الاضداد فانها كئٍ على الفؤاد
 أعظم ما يلتقى الفتى من جهد أن يُبتلى في جنسه بالضد
 فأنما الرجال بالآخوان واليد بالساعد والبنان
 لا يحقر الصُحبة الا جاهل أو مارق عن الرِّشاد غافل
 صُحبة يومٍ نسب قريب وذمةٌ يحفظها اللبيب
 وموجب الصداقة المساعدة ومقتضى المودة المعاضدة
 لا سيما في النوب الشدائد والمحن العظيمة الأوابد
 فالمرء يحسب أبداً أخاه وهو إذا ماعدت من أعداه
 إن من عاشر قوماً يوماً ينصرهم ولا يخاف يوماً
 وإن من حارب من لا يقوى لحربه جَر إليه البأوى
 فخارب الاكفاء والأقرانا فالمرء لا يحارب السلطانا
 واقنع إذا حاربت بالسلامة واحذر فيما لا توجب الندامة
 فالتاجر الكيس في التجاره من خاف في متجره الخسارة
 يجهد في تحصيل رأس ماله ثم يروم الربح باحتياله
 وإن رأيت النصر قد لاح لك فلا تقصر واحترز أن تهلكا
 واسبق الى لأجود سبق الناقد فسبقك الخصم من المكائد
 واتهز الفرصة إن الفرصة نصير إن لم تلتهمزها غصة
 كم بطر الغالب يوماً فترك عنه التوق واستهان فهلك
 ومن أضاع جُنده في السلم لم يحفظوه في لقاء الخصم

وإن من لا يحفظ القلوبا يُخَذَّل حين يشهد الحروباً
 والجند لا يرعون من أضعافهم كلاً ولا يحمون من أجامعهم
 وأضعفُ الملوك طرّاً عقداً من غرة السلم فأقصى الجندا
 والحزم والتدبير رُوح العزم لا خير في عزم بغير حزم
 والحزم كلّ الحزم في المطاوله والصبر لا في سرعة المزاولة
 وفي الخطوب تظهر الجواهرُ ما غلب الأيام إلا الصابر
 لا تياسن من فرج ولطف وقوة تظهر بعد ضعف
 فربما جاءك بعد اليأس رُوح بلا كد ولا التماس
 في لمحة الطرف بكاء وضحك وناجذ بادٍ ودمع يذسفك
 ينال بالرفق وبالتأني ما لم تنل بالحرص والتعني
 ما أحسن الثبات والتجلداً وأقبح الخيرة والتبليداً
 ليس الفتى إلا الذي ان طرقة خطب تلقاه بصبر وثقه
 اذا الرزايا أقبلت ولم تقف فثم أحوال الرجال تختلف
 وكم لقيت لذة في زمني فأصبر الآن لهذي الميحن
 فالموت لا يكون إلا مره والموت أحلى من حياة مره
 انى من الموت على يقين فأجهد الآن لما يقين
 صبراً على أهوالها ولا ضجر وربما فاز الفتى اذا صبر
 لا يجزع الحر من المصائب كلاً ولا يخضع للنوائب
 فالحر للعبء الثقيل يحمل والصبر عند النائبات يحمل
 لكل شيء مدة وتنقضي ما غلب الأيام إلا من رضى

قد صدق القائلُ في الكلام	ليس النُّهى بعِظَمِ العظام
لا خيرَ في جَسامةِ الأجسام	بل هو في العقول والأفهام
فالخيلُ الحربُ والجَمالُ	والإبلُ للحملِ وللترحال
لا تحتقرُ شيئاً صغيراً يُحتقرُ	فربما أسالتِ الدَّمُ الإبرُ
لا تُخرجَ الخصمَ في إخراجِه	جميعُ ما تَكَرَّه من لجأِه
لا تطلبِ الفائتَ باللباج	وكنْ إذا كَوَيْتَ ذا إنضاج
فماجز من تركِ الموجودِ	طماعةً وطلبَ المفقودِ
وقش الأمورَ عن أسرارِها	كم نكتةٌ جاءتْكَ مع إظهارِها
لزمتَ للجهلِ قبيحَ الظاهرِ	وما نظرتَ حسنَ السرِّائرِ
ليس يضُرُّ البدرَ في سنَّاه	أنَّ الضَّيرَ قطُّ لا يراه
كم حِكْمَةٌ أضحتَ بها المحافلُ	ناقصةً وأنتَ عنها غافلُ
ويفلونَ عن خفي الحكمةِ	ولو رأوها لأزالوا التَّهمه
كم حسنَ ظاهره قبيحُ	وسميجِ عُنوانه مليحُ
والحقُّ قد تعلَّه ثَقِيلُ	أَبْوَه إلا نَفَرٌ قليلُ
فالماعلُ الكاملُ في الرجالِ	لا يَنْثني لَزُخرفِ المقالِ
إنَّ العدوَّ قولُه مردودُ	وقلما يُصدِّقُ الحسودُ
لا تُقبلُ الدَّعوى بغيرِ شاهدِ	لا سيما إن كان من مُعاندِ
أَيُؤخذُ البرِّ بالسَّقيمِ	والرَّجلُ المحسِنُ بالثَّميمِ
كذاك من يستنصح الأعدى	يُرْدونه بالغشِّ والفسادِ
إنَّ أَكَلَّ من ترى أذهانا	من حَسِبَ الإِسَاءَةَ الإِحسانا

فادفع اساءة العبدى بالحسنى ولا تخلُ يُسراك مثل اليمنى
والرجال فاعلمن مكايدهُ وخدعُ منكرةُ شدائدُ
فالنذب لا يخضع للشدائد قط ولا يغتاض بالمكائد
فوقع الخرق بلطف واجتهد وامكر اذا لم ينفع الصدق وكيد
فهكذا الحازم اذ يكيدُ يبلغ في الأعداء ما يريد
وهو يرى منهم في الظاهر وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح امر نفسه ولو بقتل ولده وعمره
فان من يقصد قلع ضرره لم يعتمد الا صلاح نفسه
وان من خص الثيم بالندى وجدته كن يرقي أسدا
وليس في طبع الثيم شكر وليس في أصل الدنى نضر
وان من أزمه وكلفه ضد الذي في طبعه ما أنصفه
كذلك من يصطنع الجهالا ويؤثر الأردال والأندالا
لو أنكم أفاضل أحرار ما ظهرت بينكم الأسرار
ان الأصول تجذب الفروع والعرق دساس اذا اضيعا
ما طاب فرع أصله خبيث ولا زكا من مجذبه حديث
قد يدركون رتباً في الدنيا ويلغون وطراً من بقيا
لكنهم لا يبلغون في الكرم مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تماثلت أطرافه في طيبها وكرمت أسلافه
كان تخليقاً بالعلی وبالكرم وبرعت في أصله حسن الثيم
لولا بنو آدم بين العالم ما بان للعقول فضل العالم

فواحدٌ يُعطيك فضلاً وكرم	فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحدٌ يُعطيك للمُصانعة	أو حاجة له اليك واقعه
لا تشهرن إلى حطام عاجل	كم أسكاة أودت بنفس الآكل
واحدٌ راخي يافتي من الشره	وقس بما رأيته ما لم تره
فليس من عقل الفتى أو كرمه	إفساد شخص كاملٍ لقرمه
فالبغي دائم ما له دواء	ليس لملكٍ معه بقاء
لا تُعطين شيئاً بغير فائده	فانها من السجايا الفاسده

﴿وللامام على الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ﴾

واعجباً للمرء في ذاته	يجر ذيل التيه في خطره
يزجره الوعظ فلا ينتهي	كانه الميت في سكرته
يسارز الله بعصيانه	جهرأ ولا يخشاه في خلوته
وان يقع في شدة يتهمل	فان نجا عاد الى عادته
ارغب لمولاك وكن راشداً	واعلم بأن العز في خدمته
واتل كتاب الله تهدي به	واتبع الشرع على سُننه
لا تحرصن فالحرص يُزري بالفتى	ويذهب الرّونق من بهجته
والحظ لا تجلبه حيلة	كيف يخاف المرء من فوته
ما فاتك اليوم سيأتي غداً	ما في الذي قدّر من حيلته
قضاؤه المحتوم في خلقه	وحكمه النافذ مع قدرته
والرزق مضمون على واحد	مفتاح الأشياء في قبضته
قد يرزق العاجز مع عجزه	ويحرم الكيس مع فطنته

لا تَنْهَرِ الْمُسْكِينَ يَوْمًا أَتَى فَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنْ نَهْرِهِ
أَنْ عَضَّكَ الدَّهْرُ فَكُنْ صَابِرًا عَلَى الَّذِي نَالَكَ مِنْ عَضَّتِهِ
أَوْ مَسَّكَ الضَّرُّ فَلَا تَشْتَكِي إِلَّا لِمَنْ تَطْمَعُ فِي رَحْمَتِهِ

لَسَانُكَ احْفَظْهُ وَصُنْ نَظْقَهُ *
فَالصَّمْتُ زَيْنٌ وَوَقَارٌ وَقَدْ *
مَنْ أَطْلَقَ الْقَوْلَ بِلَا مُهْلَةٍ
مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا سَالِمًا
مَنْ أَظْهَرَ النَّاسَ عَلَى سِرِّهِ
مَنْ مَارَحَ النَّاسَ اسْتَخَفُّوا بِهِ
كُنْ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ فِي مَعَزِلٍ
وَاحْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ عَثْرَتِهِ *
يُؤْتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ لَفْظَتِهِ *
لَا شُكَّ أَنْ يَعْتُرَ فِي عَجَلَتِهِ
لَا يَنْدُمُ الْمَرْءُ عَلَى سَكْمَتِهِ
يَسْتَوْجِبُ السُّكُوتَ عَلَى مُقْلَمَتِهِ
وَكَانَ مَذْمُومًا عَلَى مَرْحَتِهِ
قَدْ يَسْلَمُ الْمَعْرُوفُ فِي عُرْلَتِهِ

مَنْ جَعَلَ الْحَزْنَ شِفَاءً لَهُ *
مَنْ نَازَعَ الْأَقْيَالَ فِي أَمْرِهِ *
مَنْ لَاعَبَ الثَّعْبَانَ فِي كَفِّهِ
مَنْ عَاشَرَ الْأَحْقَاقَ فِي حَالِهِ
لَا تَصْحَبِ النَّذْلَ فَتُرْدَى بِهِ
مَنْ أَعْتَرَاكَ الشُّكُّ فِي جَنْسِهِ
مَنْ غَرَسَ الْحَنْظَلَ لَا يَرْتَجِي
مَنْ جَعَلَ الْحَقَّ لَهُ نَاصِرًا
وَاقْنَعْ بِمَا أَعْطَاكَ مِنْ فَضْلِهِ *
فَلَا شَفَاءُ لِلَّهِ مِنْ عُلَّتِهِ *
بَاتَ بَعِيدَ الرَّأْسِ عَنْ جُثَّتِهِ *
هَيْهَاتَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ لَسَعَتِهِ
كَانَ هُوَ الْأَحْقَقُ فِي عِشْرَتِهِ
لَا خَيْرَ فِي النَّذْلِ وَلَا صُحْبَتِهِ
وَحَالَهُ فَانْظُرْ إِلَى شِيمَتِهِ
أَنْ يَجْتَنِيَ السُّكْرَ مِنْ غَرَسَتِهِ
أَيَّدَهُ اللَّهُ عَلَى نُصْرَتِهِ
وَاشْكُرْ لِمَوْلِيكَ عَلَى نِعْمَتِهِ

﴿وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ﴾

أَنَلَهُوْ وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ وَنَلْعَبُ وَالمَوْتُ لَا يَلْعَبُ
عَجِبْتُ لَدَى لَعْبٍ قَدْ لَهَا عَجِبْتُ وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ
أَيَلُّوْ وَيَلْعَبُ مَنْ نَفْسُهُ نَمُوتُ وَمَنْزِلُهُ يَتَخَرَّبُ
نَرَى كُلَّ مَا سَاءْنَا دَائِمًا عَلَى كُلِّ مَا سَرَّنا يَغْلِبُ
نَرَى اللَّيْلَ يَطْلُبُنَا وَالتَّهْمَا وَلَمْ نَدْرِ أَيُّهُمَا أَطْلُبُ
أَحَاطَ الْجَدِيدَانِ جَمْعًا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَنْهُمَا مَهْرَبُ
وَكُلُّهُ لَهْ مُدَّةٌ تَنْقُضِي وَكُلُّهُ لَهْ أَثَرٌ يُكْتَبُ

﴿وقال صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٢٦٤ هـ﴾

الْجَدُّ فِي الْجِدَّةِ وَالْحَرِمَانِ فِي الْكُسَلِ فَانصَبْ تُصِيبُ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَأَصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ صَبِرَ الْحُسَامُ بِكَفِّ الدَّارِعِ الْبَطْلِ
وَجَانِبِ الْحَرِصِ وَالْأَطْمَاعِ تَحْطُّ بِمَا تَرْجُو مِنَ الْعَزِّ وَالتَّائِيدِ فِي عَجَلِ
وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى مَا فَاتَ ذَا حَزَنِ وَلَا تُظَلِّ بِمَا أُوتِيَتْ ذَا جَذَلِ
وَاسْتَشْعِرِ الْحَلْمَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا تُسْرِعْ بِبَادِرِهِ يَوْمًا إِلَى رَجُلِ
وَإِنْ بُلِيَتْ بِشَخْصٍ لَا خَلَقَ لَهُ فَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلْ
وَلَا تَمَارِ سَفِينَهَا فِي مَحَاوِرَةٍ وَلَا حُلِيَاءَ لَكِ تُقْصَى عَنْ الزَّلَلِ
وَلَا يَغُرُّكَ مِنْ يُبْدِي بِشَاشَتِهِ إِلَيْكَ خَدْعًا فَإِنَّ السَّمَّ فِي الْعَسَلِ
وَإِنْ أَرَدْتَ نَجَاحًا فِي كُلِّ آوْتَةٍ فَاصْكُمْ أُمُورَكَ عَنْ حَافٍ وَمَنْتَعِلِ
إِنْ الْغَتَّى مِنْ بِمَاضِي الْحَزْمِ مُتَصِفٍ وَمَا تَعَوَّدَ نَقْصَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَلَا يَقِيمُ بِأَرْضٍ طَابَ مَسْكَنُهَا حَتَّى يَقْدَأَ أَدِيمَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

ولا يُضَيِّعُ ساعات الزَّمانِ فإن
ولا يراقبُ إلا مَنْ يراقبه
ولا يَعُدُّ عيوباً للورى أبداً
ولا يظنُّ بهم سوءاً ولا حسناً
ولا يُؤْمَلُ آمالاً بصُبحِ غدٍ
ولا يصدُّ عن التَّقوى بصيرته
فمن تكن حُلَّةُ التَّقوى ملابسةً
مَنْ لم تفدِه صرُوفُ الدَّهرِ تجربةً
مَنْ سالمته اللَّيالي فليثق عَجلاً
مَنْ ضيَّعَ الحِزْمَ لم يظفرْ بِحاجته
من جاد ساد وأحيا العالَمون له
من رام نيلَ العلى بالمال يجمعه
من لم يصن نفسه ساءت خَليقته
من جالس الوغدَ والحَمقى جنى ندماً
لخذ مقالَ خبير قد حوى حِكماً

يعود ما فات من أيَّامه الأوَّل
ولا يُصاحبُ إلاَّ كُلَّ ذى نُبلٍ
بل يعتنى بالذى فيه من الخلل
بل التجاربُ تهديه على مهل
الا على وجَلٍ من وثبة الأجل
لأنها للمعالى أوضحُ السُّبل
لم يخش في دهره يوماً من العطل
فيما يحاولُ فليسكن مع الهَمَلِ
منها بحرب عدوٍّ جاء بالحيلِ
ومَنْ رَمَى بِسهامِ العُجبِ لم يَنلِ
بديعَ حميدٍ يمدح الفعل متَّصل
مِنْ غيرِ حِلٍّ بلى من جهله وبلى
بكلِّ طبعٍ ردىءٍ غيرِ منتقل
لنفسه ورُمى بالحادث الجلل
إذ صُعُتُهُ بعدَ طولِ الخُبرِ فى عَمَلِ

وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ

مَنْ ضَيَّعَ الحِزْمَ فى أفعاله نَدِما
ما المرء إلا الذى طابت فضائله
والعلم أنفس شىء أنت ذاخره
تعلم العلم واجلس فى مجالسه
وظلَّ مُكْتَنِباً والقلبُ قد سَقِما
والدينُ زَيْنٌ يزِينُ العاقلَ الفهِما
فلا تكن جاهلاً تستورث الندما
ما خاب قطَّ لبيبٌ جالسَ العلمِ

والوالدين فأكرم تنج من ضرر
ولا زيم الصمت لا تنطق بفاحشة
واحذر من المزح كم في المزح من خطر
وصبر النفس وارشد لها إذا جهلت
أس الآهيف إذا ما كنت مقتدراً
وصد نفسك عن لهو وعن مراح
ولا تكن نكيداً تستوجب العقما
وأكرم الجار لا تهتك له حرماً
كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وإن حضرت طعاماً لا تكن منهما
على الزمان وكن للخير مقتوماً
وان حضرت مقاماً كنت فيه سماً

❦ وقال عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده ❦

إعزل ذكر الأغاني والغزل
ودع الذكركر لآيام الصبا
واترك العادة لا تحفل بها
وافسرك في منتهى حسن الذي
واهجر الخزة إن كنت فتى
واتق الله فتقوى الله ما
ليس من يقطع طرقاتاً بطلاً
كتب الموت على الخلق فكم
أين تمرود وكنعان ومن
أين من سادوا وشادوا وبنوا
أين أرباب الحجى أهل النهى
سيعيد الله كلاً منهم
يا بني اسمع وصايا جمت
وقل الفصل وجانب من هزل
فلأيام الصبا نجم أفل
نمس في عز رفيع ونجل
أنت تهواه تجد أمراً جلال
كيف يسعى في جنون من عقل
جاورت قلب امرئ إلا وصل
انما من يتقى الله البطل
فل من جيش وأقوى من دول
ملك الارض وولى وعزل
هلك الكل ولم تكن القل
أين أهل العلم والقوم الأول
وسيجزى فاعلاً ما قد فعل
حكماً خصت بها خير الملل

اطْلُبْ الْعِلْمَ وَلَا تَكُنْ سَلَفًا
وَأَحْتَفِلْ لِفَقْهِ الدِّينِ وَلَا
وَاهِجُرِ النَّوْمَ وَحِصِّلْهُ فَمَنْ
لَا تَقِلُّ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَا
بِجَمَلِ الْمُنْطَقِ بِالنَّحْوِ فَمَنْ
إِنْظَمَ الشَّعْرَ وَلَا زَمَ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
أَنَا لَا أَخْتَارُ تَقْيِيلَ يَدِي
مُلْكًا كَيْسَرِي عَنْهُ تَغْنَى كِسْرَةُ
إِطْرَاحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتُهَا
عَيْشَةُ الرَّغْبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جُهُولٌ بَاتَ فِيهَا مُسْكِنًا
كَمْ شُجَاعٌ لَمْ يَنْلُ فِيهَا الْمُنَى
فَاتَرَكَ الْخَيْلَةَ فِيهَا وَاتَّكَلْ
لَا تَقُلْ أَصْلَى وَفَصْلَى أَبَدًا
قَدْ يَسُودُ الْمَرَّةُ مِنْ دُونِ أَبٍ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوْكِ وَمَا
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
يَنْ تَبْذِيرٍ وَيُخْلِ رُبَّةً

أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ بِحَقِّهِ مَا بِذَلِكَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَالَ الْعِلْمَ أَصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرَمُ الْأَعْرَابُ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلَ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلَ
أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
قَطْعُهَا أَجْلٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبْلِ
وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزَاءٌ بِالْوَشْلِ
تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلَّ
وَعَلِيمٌ بَاتَ مِنْهَا فِي عِلَلٍ
وَجِبَانٌ نَلَّ غَايَاتِ الْأَمَلِ
أَمَّا الْخَيْلَةُ فِي تَرْكِ الْجَيْلِ
إِنَّمَا أَصْلُ الْغَنَى مَا قَدْ حَصَلَ
وَبِحَسَنِ السَّبَكِ قَدْ يُنْفَى الدَّغْلُ
يَنْبَغِي التَّرْجِسُ إِلَّا مَنْ بَصَلَ
أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقَلَّ
وَكَلَّا هَذِينَ إِنْ زَادَ قَتَلَ

ليس يخلو المرء من ضده ولو حاول العزلة في رأس الجبل
دار جار سوء بالصبر وإن لم تجد صبراً فما أحلى النقل
جانب السلطان واحذر بطشه لا تُعاند من إذا قال فعل
لا تل الأحكام ان هم سألوا رغبة فيك وخالف من عدل
ان نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا ان عدل
قصر الآمال في الدنيا تفز فديل العقل تقصير الأمل
غب وزر غباً تزد حُباً فمن أكثر التردد أقصاه الملال
لا يضر الفضل أقلال كما لا يضر الشمس اطباق الطفل
خذ بنصل السيف وأترك غمده واعتبر فضل الفتى دون الخلل
حبك الاوطان عجز ظاهر فاعترب تلق عن الأهل بدل
فمكث الماء يبقى أسفا ومُرى البدر به البدر اكتمل

﴿ وقال العميد أبو اسماعيل الطفرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ ^(١) ﴾

أصالة الرأي صانتني عن الخطأ وحياة الفضل زانتني لدى العطل ^(٢)
تجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل ^(٣)
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جمل ^(٤)

(١) هو العميد أبو اسماعيل الحسين بن علي الملقب مؤيد الدين المشهور بالطفرائي المتوفى سنة ٥١٣ هجرية (٢) صانتني حفظني . والخطل الخطأ (المعنى) جودة عقلي حفظني من الخطأ في قول وفعل . وصفة زيادتي في العلم والادب حسنتني عند الخلو من الامارة (٣) مجد شرف وشرع سواء . ورأد الوقت الذي فويقه الضحى . والطفل الوقت الذي بعد العصر وقبل الغروب (المعنى) شرفي وقت تجردى من الامرة وشرقى وقت تسربلى بهما سواء كالشمس في كون ضوئها او ارتفاعها لم ينقص منه شيء في هذين الوقتين المختلفين ، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الازمان (٤) الزوراء اسم لبغداد . وناء بعيد . وصفر خالى وعرى جرد . ومتناه جانباه والخلل

ناء عن الاهل صيف الكف منفرد^(١) كالسيف عري متناه عن الخلال
 فلا صديق اليه مشتكى حزني ولا أنيس اليه منتهى جذلي^(٢)
 طال اغترابي حتى حن راحتي وراحها وقر العسالة الذبل^(٣)
 وضج من آنب فضوى وعج لما ألقى ركباني ولج الركب في عدلي^(٤)
 أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي
 والدهر يعمس أمانى ويقنني من الغنيمة بعد الكد بالقفل^(٥)
 وذى شطاط كصدور الرمح معتقل بمثله غير هيب ولا وكل^(٦)
 حلو الفكاهة مر الجدة قدمزجت بشدة البأس منه رقة الفزل^(٧)

كسوة عمد السيف (المعنى) لاى شيء مكثى ينفداد مبتوت العلائق بعيداً فيها عن اقاربي فقيراً
 وحيداً رث المنظر كالسيف تجرد جانباً غمده من البطائن التى يتحليان بها (١) الجزل السرور
 (المعنى) اعتزلت الناس ينفداد فلم يأو الى بها حبيب ابث اليه كدرى من جور الزمان فيفرجه
 عنى ويساعدني على صرفه ولا سبى اوصل اليه فرحى فيزيد سرورى ويدفع وحشتى (٢) حن
 مال . والراحلة ما يرحد عليه من الابل مذكراً كان او مؤنثاً . والرحل العدة التى يركب عليها
 وفرا ظهره . والعسالة الامتزاز والذبل الجافة (المعنى) امتد بعدى عن وطنى بموالاتي السقر الى
 ان مالت ناقتى للرجوع الى وطنها وحن القتب لشدة تأثره بالرياح (٣) ضج صوت . والغب التعب
 فضوى اى منضو بمعنى مهزول وعج صوت . ولج تمادى . والمذل اليوم (المعنى) امتد بعدى
 حتى صوت من اجل تعب ركوبتى وصوت لئلى ما اصادف من تعب السفر بل اصحابى الذين ممي
 فيه وتمادوا فى لومى على هذا السفر الذى امتد ولم ينته الاطلب بامتداد بعدى عن وطنى ثروة
 اتساعد بسببها على اداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتي (٤) يعمس يرد . ويقنني يرضيني والكد
 التعب . والقفل الرجوع (المعنى) والزمن يرد على ما ارجوه ويجعلنى بعد التعب فى السفر والتغرب
 راضياً بالرجوع بدل الغنيمة التى هى مطمح نظرى فى تكبد المصاعب (٥) شطاط اعتدال القامة
 ومعتقل قابض . وهيب خواف ووكلى عاجز (المعنى) ورب صاحب اعتدال قامة كاعتدال صدر
 لرمح معتقل برميج مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شيء من شؤونه . التفت الى وصف
 صاحب له بهذه الاوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن الى آخر
 تنشيطاً للسامع (٦) مزجت خلطت . والبأس الشجاعة . ورة الفزل لطف الكلام (المعنى) يصف
 صاحبه ايضا بأنه قد ركب فيه لطف المزج بقوة الشجاعة (يضم كلا منهما فى موضعه)

طَرَدْتُ سَرْحَ الْكَرَى عَنْ وَرْدٍ قَلَنِهِ وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمَثَلِ (١)
وَالزَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرْبِ صَاحٍ وَآخِرُ مَنْ خَرَّ الْكَرَى ثَمَلِ (٢)
قَقْلْتُ أَدْعُوكَ لِأَجَلِي لِيَنْصُرَنِي وَأَنْتَ تَحْدُثُنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ (٣)
تَنَامُ عَنِّي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاعِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ وَصَبْنُ اللَّيْلِ لَمْ يَحِلْ (٤)
فَهَلْ تَعِينُ عَلَيَّ غَيِّ هَمَّتْ بِهِ وَالغَيُّ يَجْرُ أحياناً عَنِ الْفَشْلِ (٥)
إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ وَقَدْ سَمَّاهُ رُمَاءً مِنْ بَنَى ثَمَلِ (٦)
يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ الْأَذَانَ بِهِ سُودُ الْغَدَائِرِ حُمْرُ الْحَلِيِّ وَالْحَالَ (٧)
فَسِرْ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا فَتَفْحَةُ لَطِيبٍ تَهْدِينَا إِلَى الْحَيْلِ (٨)
فَالْحَبِّ حَيْثُ الْعِدَا وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ حَوْلَ الْكِفَافِ لَهَا غَلَبٌ مِنَ الْأَسَلِ (٩)

(١) طردت ابعدت . وسرح وثبات . والكرى النوم والورد الوفرة شحمة العين الجامعة للسواد والبياض واغرى اولع . وسوام وثبات (المعنى) ابعدت عن رفيق وثبات النوم من وصولها عينه والليل اولع وثبات النوم بالعيون (٢) ميل متعني . وطرب نشط وتمثل سكران (المعنى) واصحابي متحنون على رحلهم — فريق منهم نشط يقظ لم يتقلب عليه النوم : وفريق آخر خمل متناقل من قلبه عليه (٣) الجلى الامر العظيم . وتحدثني تتركني . والحادث الجلال الحقيق (المعنى) ققلت له موبخاً أطلبك للامر العظيم لتساعدني عليه وانت تترك نصرتي في الامر الحقيق مع ان النفوس الكريمة مجبولة على تحقيق ما يرجى فيها (٤) تستحيل تتحول . وصبن ظلام ويحل ينتقل (٥) غي ضلال . ويزجر يمنع (المعنى) قد شغرت ما حصل من تقصيرك في شأني بنومك فهل تساعدني على ضلال اردته ولا تتخش عقابه بالذم على فعله (٦) الطرود الجي . ليلاً والحى للقبيلة . واضم اسم جبل وجماء منعه . ورماء كسعاة خفراء . وسمل قبيلة من طييء (المعنى) اني ارجو النزول بالقبيلة المهودة ليلاً من طريق هذا الجبل وقد منعه من يسطو عليها رجال مجيدون رمي النبال من ابنا قبيلة سعد (٧) البيض السيوف والرمح اللينة نساء سود الضفائر متعليات بالذهب الاحمر وملابس الحرير الحمراء (٨) زمام كفالة : ومعتسفاً طريقاً غير مأثوف : والحلل بيوت القوم التي يحلوها (المعنى) اذهب بنا في ضيافة الليل غير سالك طريقاً مأثوفاً خشية من قطاع الطريق ولا تتخش الضلال في الوصول الى الحي فان راحة طيبة تدلنا عليه (٩) الحب المحبوب

الباب الثامن في الحكم — العميد أبو اسماعيل الطغراني ٦٨٩

نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجَرْعِ قَدْ سُقِيَتْ نِصَالُهَا بِمِاءِ الْفُتُجِ وَالْكَحْلِ^(١)
 قَدْ زَادَ طَيْبُ أَحَادِيثِ الْكَرَامِ بِهَا مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخْلِ
 تَبَيَّتْ نَارُ الْهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَبَدٍ حَرَّى وَنَارُ الْقَرْى مِنْهُمْ عَلَى الْقُلَلِ^(٢)
 يَقْتُلْنَ أَنْصَاءَ حُبٍّ لَا حَرَكَ بَيْنَهُنَّ وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ^(٣)
 يُشْفَى لِدَيْغِ الْعَوَالِي فِي يَوْمِهِمْ بَنَهْلَةً مِنْ غَدِيرِ الْحَرِّ وَالْعَسَلِ^(٤)
 لَعَلَّ الْمَامَةَ بِالْجَرْعِ ثَانِيَةً يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرَى فِي عَالِي^(٥)
 لَا أَكْرَهُ الطُّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شَفَعَتْ بَرَشَقَةً مِنْ نِبَالِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٦)
 وَلَا أَهَابُ الصَّفَاحِ الْبَيْضِ تُسَعِدُنِي بِاللَّمْعِ مِنْ خَلَلِ الْأَسْتَارِ وَالْكَلِ^(٧)
 وَلَا أَخْلُ بِغَزْلَانِ تَغَاذَلْنِي وَلَوْ دَهْتَنِي أَسْوَدُ الْغَيْلِ بِالْفَيْلِ^(٨)

ورابضة واقفة ؛ والكناس بيت الطي ؛ والغاب شجر يسمى بالاسل . تلف على بعضه ويكون
 ، أوى الاسود (المعنى) المحبوب في مكان به الرقباء ورجال الحمى مقيمة حول مكانه مستعدة
 برماح تصول بها على من يقرب منه (١) نَوْمٌ تقصد والجرع منعطف الوادى ؛ والنصال السيوف
 والفتج حسن شكل العيون والكحل سواد يملو جفون العين خفة (المعنى) تقصد بسيرنا قبيلة
 تربت في منعطف الوادى قد اعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٢) القرى الكرم والقلل
 جمع قلة اعلى الجبل (المعنى) يمكث طول الليل وجد الحب من كرام هذه القبيلة ملتها في كبد
 مجهن الحارة بسببه وتمكث نار الاكرام ملتهبة على اعلى الجبال ليهتدى بها الضال في الليل
 (٣) ان نساء هذه القبيلة يقتلن ببراءة جمالهن عشاقهن حتى اعدم حركتهم عشقهم لهن ؛ ورجالها
 بفرط كرمهم يذبجون حياد الافراس والجمال لضيوفهن (٤) اى يبرأ من قتل في حين بأول
 شربة من ريق ثمرهن (٥) المامة نزولا ويدب يسرى (٦) اكره ابفض ؛ والطعنة الانجلاء الجرح
 المتسع برمح ؛ وشفت قرنت ورشقة رمية ؛ ونبال السهام ؛ المراد بها هنا الحماظ ؛ والنجل
 الواسعات (المعنى) لا ابفض الوحشة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من
 لحاظ الاعب الواسعات لنسائها (٧) الصفاح السيوف ؛ وخلل الثقب الخفيف النافذ في الشيء
 والكال ستر يخاط به شبه الناموسية (المعنى) ولا اخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة
 مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقوب استار بيوتهن وحجراتهن (٨) اى لا اترك النظر من
 خلل الاستار الى نساء هذه القبيلة التى تحادثنى ولو اصابتني شجعانها باهلاكلها فجأة

مُحِبُّ السَّلاَمَةِ يَتَنَبَّأُ عَزَمَ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحَتْ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَى لِلْمَقْدِمِينَ عَلَى
يَرْضَى الذَّلِيلَ بِخَفْضِ الْعِيشِ مَسْكِنَةً
فَإِذْ رَأَى بِهَا فِي نَحْوِ الْبَيْدِ جَافِلَةً
إِنْ الْعُلَى حَدَّثَتْكَ وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مَنَى
أَهْبَتْ بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتَ مُسْتَمِعًا
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَتَقْصِيهِمْ
أَعْلَى النَّفْسِ بِالْأَمَالِ أَرْقَبَهَا
لَمْ أَرْضَ الْعِيشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً
غَالِيً بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيَمَتِهَا
وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَزْهِيَ بِجَوَاهِرِهِ
مَا كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
تَقَدَّمَ مَتْنِي أَنَا مَسْمُومٌ كَانَ شَوَاطِئُهُمْ
هَذَا جَزَاءُ أَمْرِي أَقْرَانَهُ دَرَجُوا

عَنِ الْمَعَالَى وَيُغَرِّى الْمَرْءَ بِالْكَسْلِ (١)
فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَزِلْ (٢)
رُكُوبَهَا وَاقْتَنَعْ مِنْهُمْ بِالْبَلَلِ (٣)
وَالْعِزِّ عِنْدَ رَسِيمِ الْأَيْتَنِ الذُّأَلِ (٤)
مَعَارِضَاتٍ مِثْلَى الْأَجْمِ بِالْجُدْلِ (٥)
فِيمَا تَحْدُثُ أَنَّ الْعِزَّ فِي النُّقْلِ (٦)
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ
وَالْحَظُّ عَنِّي بِالْجَهَالِ فِي شُغْلِ
لَعِينِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
مَا أَضْيَقَ الْعِيشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
فَكَيْفَ أَرْضِي وَقَدْ وَاتَّ عَلَى عَجَلٍ
فَصَانَتْهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدَرِ مِثْلَ ذَلِكَ
وَلَيْسَ يَفْعَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلًا
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسُّقُلِ
وَرَاءَ خَطَطِي لَوْ أَمْشَى عَلَى مَهَلٍ
مَنْ قَبْلَهُ فَتَمَعْنِي فَسْحَةُ الْأَجَلِ

(١) أي الرغبة في النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولاه بالتناقل والتور عنها (٢) النفق كجبل سرب في الأرض له منفذ من مكان آخر (المعنى) فإن ملك إلى حب السلامة فأجمل لك سرباً في الأرض تسكنه أو سلباً ترق عليه في الجو فتسكن (٣) ثمار كثير والبلل القليل (٤) رسيم سرعة ؛ والايقن الدكل أي الابل المروضة التي ليست بجوحه (٥) ادفع بهذه الايتن في اوائل الصحارى ؛ بسرعة مقابلات بأزمته اعنة الخيل التي تصحبها في السير أي غير متأخرة عنها فيه (٦) النقل التحول والانتقال

فان علاني من دوني فلا عجب
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر
أعدى عدوك أدنى من وثقت به
فأتما رجل الدنيا وواحد لها
وحسن ظنك بالايام معجزة
غاض الوفاء وفاض العذر وانفرجت
وشان صدقك عند الناس كذبهم
ان كان ينجع شيء في ثباتهم
يا وارداً سور عيش كله كدر
فيم اقتحامك ليج البحر تركبه
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا
ترجو البقاء بدار لا ثبات بها
ويا خبيراً على الاسرار مطلعاً
قد رشحك لامر إن فطنت له

لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
في حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
نخاير الناس واصحابهم على دخل
من لا يعول في الدنيا على رجل
فطن شراً وكن منها على وجل
مساقة الخائف بين القول والعمل
وهل يطابق معوج بمعدل
على العهود فسبق السيف للعدل
أنفقت صفوك في أيامك الاول
وأنت تكفيك منه مصة الوشل
يحتاج فيه الى الانصار والخول
فهل سمعت بظل غير متقل
أصمت في الصمت منجاة من الزال
فاربأ بنفسك أن ترعى مع العمل

✽ وقال المرحوم عبد الله باشا فكري يخاطب نجله أمين باشا ✽

إذا نام غر في دجى الخطب فاسهر
وخل أحاديث الاماني فانها
وسارغ إلى مارمت ما دمت قادراً
ولا تأت أمراً لا ترجى تمامه
وأكثر من الشورى فانك ان نصيب

وقم المعالي والعوالي وشتر
علالة نفس العاجز المتحير
عليه فإن لم تبصر النجج فاصبر
ولا مورداً ما لم تجد حسن مصدر
تجد مادحاً أو تخطي الرأي تعذر

ولا تَسْتَشِيرْ فِي الْأَمْرِ غَيْرَ مُجَرَّبٍ
ولا تَبْتَغِ رَأْيًا مِنْ خَوْثُونَ مُخَادِعٍ
فمن يَتَّبِعْ فِي الْخَطْبِ خِدْعَةَ خَائِنٍ
وَمَنْ يَتَّبِعْ فِي أَمْرِهِ رَأْيَ جَاهِلٍ
ولا تَصْنَعْ فِي وَدِّ الصَّدِيقِ لِكَاذِبٍ
ولا تَعْتَرِزْ تَسَدُّمَ وَلَا تَكُ طَامِعًا
وعود مقال الصديق نفسك وارضه
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن
ولا تَفُتْ زَلَّاتِ الرِّجَالِ تَعَدَّهَا
ولا تَعْرِضْ لَاعْتِرَاضِ عَلَيْهِم

لا مِثَالَهُ أَوْ حَازِمٍ مُتَبَقِّرٍ
ولا جَاهِلٍ غَيْرَ قَلِيلٍ التَّدْبِيرِ
يَعُضُّ بَنَاتِ النَّادِمِ الْمُتَحَسِّرِ
يَقْذُهُ إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْغَيِّ مُنْكَرٍ
نَمُومٍ وَإِنْ يَعْزُضُ لَكَ الشُّكُّ فَاخْبِرْ
تُذَلِّ وَلَا تَحْقِرْ سِوَاكَ تُحْقِرْ
تَصَدِّقْ وَلَا تَرْكُنْ إِلَى قَوْلِ مُفْتَرٍ
لِكَفِّكَ فِي الْإِنْفَاقِ أَمْسَاكَ مُقْتَرٍ
فَلَسْتَ عَلَى هَذَا الْوَرَى بِمُسْتَيْطِرٍ
دَعِ الْخَلْقَ لِلْخَلْقِ تَسْلَمُ وَتُؤْجِرْ

❦ وقال عبد القيس بن خفاف البرجمي المتوفى سنة ٥١ هـ ❦

أُبْنَى إِنْ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ
أَوْصِيكَ إِصْبَاءَ أَمْرِي ذَلِكَ نَاصِحٌ
اللَّهُ فَاتَّقِهِ وَأَوْفِ بِنَذْرِهِ
وَالضَّيْفَ أَكْرَمُهُ فَإِنْ مَيَّيْتَهُ
وَأَعْلَمْ أَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ
وَدَعِ الْقَوَارِصَ لِلصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ
وَصِلِ الْمَوَاصِلَ مَا صَفَا لَكَ وَدَّهِ
وَاحْذَرْ مَحَلَّ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِهِ
وَاسْتَأْنِ تَظْفَرُ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا

فَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْمَكَارِمِ فَاعْجَلْ
طَبْنِ بَرِيْبِ الدَّهْرِ غَيْرِ مَغْفَلٍ
وَإِذَا حَلَفْتَ مُمَارِيًا فَتَحَلَّلْ
حَقٌّ وَلَا تَكُ لَعْنَةً لِلنَّزْلِ
بِمَيْتِ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُسَأَلْ
كَيْلًا يَرَوْكَ مِنَ اللَّثَامِ الْعُدْلِ
وَاجْذُذْ حِبَالَ الْخَائِنِ الْمُتَمَدِّدِ
وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلْ
وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهَدَى فَتَوَكَّلْ

الباب الثامن في الحكم - الشيخ ناصيف اليازجي - السيد علي أبو النصر ٦٩٣

واستغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصببك خصاصة فتحمّل
وإذا افتقرت فلا تكن متخشعاً ترجو الفواضل عند غير المفضل
وإذا تشاجر في فؤادك مرة أمران فاعمد للأعف الأجل
وإذا هممت بأمر سوء فأتشد وإذا هممت بأمر خير فاعجل

﴿ وقال فقيد اللغة الشيخ ناصيف اليازجي ﴾

دع يوم أمس وخذ في شأن يوم غدٍ واعدد لنفسك فيه أفضل العدد
واقنع بما قسم الله الكريم ولا تبسط يديك لنيل الرزق من أحد
والبس لكل زمان برودة حضرت حتى تحاك لك الأخرى من البرد
ودر مع الدهر وانظر في عواقبه حذار أن تبلى عينك بالرمد
متى ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك أطواقاً من الزرد
واعلم بأن عليك العار تلبسه من عضة الكلب لا من عضة الأسد
لا تأمل الخير من ذى نعمة حدثت فهو الحريص على أثوابه الجدد

﴿ وقال السيد علي أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ ﴾

بقدر الرأى تعتبر الرجال وبالأمال ينتظر المآل
وإفراط البليغ إذا تمادى على حال بخالطه ابتذال
وامساك الأديب يفيد علماً بأحوال الغبي كما يقال
ومن عرف الحقائق مات غمّاً وإن طلب الإقالة لا يقال
وبالإقدام يسهل كل صعب وبالتمويه يتسع المجال
وبالتحقيق تتضح الخفايا وعند الشك ينتظر الهلال
ومن لم يتنذ في كل أمر تخطاه التدارك والمنال

وهضمُ النفس أقبحُ كلِّ شيءٍ على حرٍّ له فيها كمال
ومن لزم القناعة نال عزًّا وهل بالذلِّ منقبةٌ تُنال

﴿وقال مؤلف هذا الكتاب معارضاً لامية الطغرائي﴾

عليك بالصبر والإخلاص في العمل ولازم الخير في حلٍّ ومرتاح
وجانب الشرِّ واعلم أن صاحبه لا بدَّ يجرّاه في سهل وفي جبل
واثبت ثبات الرّواصي الشّائعات ولا تركزنْ الى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعرّوك من نوب ولا تكن جازماً في الحادث الجلل
واصبر على مفض الأيّام مُحتملاً ففيه قرعٌ لباب النّجح والأمل
تأنّ مُتنبِّداً فيما تروم ولا تعجل وانْ خُلق الإنسان من عجل
لا تطلب العزَّ في دار وُلدت بها قالعزُّ عند رسم الأينق الذال
شمرْ وجِدْ لأمر أنت طالبه إذ لا تنال المعالي قط. بالكسل
واحذر مساوي أخلاق تشان بها وأسود السوء سوء الخلق والبخل
واخفض جناحك للعولى وجِدْ ونل ما أسمع الكبير والإمساك بالرّجل
لا تسأل النذل واقصد ماجداً حدياً في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحل
تور بليّك من تلقى نواظره ولا تكن كالقذى في العين النّجل
ولا تجادل جهولاً ليس يفهم ما تقول فالشرُّ كلُّ الشرِّ في الجدل
ولا تكن لنزول الخطب مضطرباً في حادث الدّهر ما يُغني عن الحيل
الجود أحسن ما أوليت من خُلق والعفو أنقى لداء الضغن والدّخل
والحلم ملحُ فسادِ الامر يُصلحه والبذل خيرُ فِعال الماجد البطل
لا تقتحم غمرات البحر مُرتكباً وأنت يكفيك منه مَصّة الوشل

ولا تعاشر سوى حزم أخا ثقة
لا تمنخدع لصديق يدعي ملقاً
لا تأمن أحداً واحذر مكائدهم
لا تغرنك الدنيا بزهرتها
إن الغنى غنى النفس في كرم
إن الصنعة للأندال تفسدهم
مرارة النصيح تحلو لي مضاضتها
دع التكلف لا يجديك منفعة
أرى الزعاء رعاء الشاء في ترف
وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم
تحكموا في قضايا الناس واحتكموا
من كل غر جهول لا يرى رشداً
تمساً لشر زمان ظل طوع يد الله
أقبض والبسط في أيدي ذوى شطط
تسطو الكلاب على أسد الشرى سقها
والقرود يضحك من نمر على هزؤ
نال المرام علوج لا خلاق لهم
أملى لهم دهرهم فاستمهاوا أمدأ
شر العصور زمان يستمد به
لا يعلم الرشد من غنى وليس له

وارباً بنفسك أن ترعى مع العمل
فخاذر الناس واصحبهم على دخل
وظن شراً وكن منهم على وجل
فهل سمعت بطل غير منتقل
بالطبع لا باقتناء الشاء والإبل
كما تضر رباح الورد بالجميل
وربما صحت الأجسام بالعيال
ليس التكمّل في العينين كالتكمّل
في أخفض العيش بين الخيل والحوّل
إلى الطفاة شرار الناس والسفل
وحكموا كل ذي جهل أخى خبل
كباقل مثلاً في العي والخطل
ثم يسقيهم علأ على نهل
من كل سكران من خمر الهوى تمل
والباز الاشهب يخشى صولة الحجل
والكلب يوعد لبث الغيل بالغيل
فوق المؤمل من شب ومكنهل
مرخى لهم في مروج العيش والطول
خب لثيم غداً في الشر كالثمل
سوى الشرارة في قول وفي عمل

يشكو الطوى كل ذى فضل وذى أرب
 ناهيك من غمة غمَاء ما سمعت
 أشدُّ بها أزمة ، الله يفرجها
 مالى والبلدة الحقاء أسكنها
 وليس لى ناقة فيها ولا بجل
 لا يستقيم وفاق لى بمثلهم
 قد ذقتهم وبلوت الحال عندهم
 لیسوا كراماً ولكن من مكارمهم
 إني ابتليت بأخلاق فوصلهم
 لا يفعلون اذا قالوا فقد تعدت
 أضحت مواعيد عروقوب لهم مثلاً
 أخلاقهم صحت انجازاً لموعدهم
 أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم
 ساءت سريرتهم حالت طريقتهم
 علم بلا عمل حكم بلا حكم
 الإفك والزور والبهتان عندهم
 الكذب مستحسن والصدق عندهم
 أهني الطعام لحوم الناس عندهم
 نكث اليهود سجاياهم ودأبهم
 ان السعاية في التضرير أحسر من

وسوقه الناس في خفض وفي جدل
 بمثلها أذن في الأعصر الأول
 ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
 مساكننا لذوى خرق أولى حيل
 وليس لى ثم من نور ولا سحر
 وهل يطابق معوج بمقتدل
 فما حصلت على صاب ولا غسل
 ما بالكرايم من جبن ومن بخل
 وعد ومطل وارجاء على مدل
 مسافة الخلف بين القول والعمل
 وما مواعيدهم الا على دخل
 اذ كان وعدهم كذباً من الخجل
 اذ سوء أفعالهم أوفى على القل
 زانت بصيرتهم عن أقوم السبل
 ظلم على عجل وعد على مهل
 والسعى في الأرض بالافساد والخلل
 مستهجن من صفات العاجز والكل
 ألتم فيما لديهم شربة العسل
 خلف الوعود وذا من أسوأ الثقل
 ضرب من الخدق والعرفان في الزجل

يا دهرُ مالك والأحرار تقهرُهمُ
حتى متي يا زمانَ السوءِ تفعل ما
تؤخرُ الفاعلَ المرفوعَ تحفظه
وساقة الجيش قد أضحت مقدمة
فلست أحفظُ في ذى الدهر من أسف
وها لقلبي يوم البين إذ ظعنوا
كيف التصبر من نارٍ نوى وجوى
فقد فقدتُ الألى كانت بهجتهم
لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا
لم يبق لي الدهر بعد البين من جلد
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به
قلبي على لهب والجسم في نصب
حسبي الغرام حليف والجوى أبداً
خذها محبرة غيداء غانية
جاءت من (الهاشمي) لا تبتغي مهراً

تذكَ كلَّ كريم الأصل مُقبل
تشيب فيه النواصي غير مُحتمل
مقدماً لمفاعيل على البدل
مثل التليل غدا في مؤخر الكفل
أطال أيام عمري أو دنا أجلى
فالعين في لجج والقلب في شمل
وفي الحشا أنكلا جرح غير مُندمل
نور النواظر في الاحداق والمقل
ولا ابتغيت لهم في الناس من بدل
ما أستطيع به توديع مُرتحل
ولا من اللطم ما أبكى على طلل
والروح في وصب واللب في ذهل
منادماً وسمير غير مُنفصل
أتت على عجل كالقابس العجل
من خاطب لبنات النظم في عطل

﴿وقال محمد اليمني الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ﴾

ولا تحتقر كيد الضعيف فرتما
وقد هددت ما عرش بلقيس هدهد
إذا كان رأس المال عمرك فاختر
فبين اختلاف الليل والصبح معرك

تموت الأفاعي من سُوم العقارب
وخرب حفر القار سد ما رب
عليه من الإغراق في غير واجب
يكره علينا جيشه بالعجائب

وما راعى غدرُ الشبابِ لآتى
وغيرُ الفتى فى عهده ووفائه
أَنِسْتُ بهذا الخالقِ من كلِّ صاحب
وغدرُ الموضى نُبوُّ المضاربِ
﴿ وقال مهذب الدين المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ﴾

وإذا الكريمُ رأى الخولَ نزيله
كالبدْرِ لما أنْ تضاءَلَ جُدهُ فى
رَفَقِ ورزقِ اللهِ قد مَلَأَ المَلَأَ
أَفْلاً فَلَيْتَ بِهِنَّ ناصيةَ الفَلَأِ
فارقِ ترقُّ كالسيفِ سُلَّ فَبانِ فى
لا تَحْسَبَنَّ ذهابَ نَفْسِكَ مِيتَةً
لِلْفَقْرِ لا لِلْفَقْرِ هَبْهَا إِنَّمَا
لا تَرْضَ مِنْ دُنْيَاكَ ما أَدْنَاكَ مِنْ
وَصِلِ الهَجِيرَ بهجرِ قومِ كَلِّمَا
أَنَا مِنْ إِذَا ما الدَّهْرُ هَمَّ بِخَفْضِهِ
فى مَنْزِلِ فَالْحَزْمُ أَنْ يَتَرَحَّلَا
طَلَبَ النِّكَمَالِ فَخَازَهُ مُتَنَقِّلَا
رَفَقِ وَرَزَقِ اللهِ قد مَلَأَ المَلَأَ
أَفْلاً فَلَيْتَ بِهِنَّ ناصيةَ الفَلَأِ
مَتَنَبِّهِ ما أَخْفَى القَرَابُ وَأَخْمَلَا
ما المَوْتُ إِلَّا أَنْ تَعِيشَ مُذَلَّلَا
مَغْنَاكَ ما أَعْنَاكَ أَنْ تَبْوَسَلَا
دَنَسَ وَكُنْ طَيْفًا جَلَا ثُمَّ أَنْجَلِي
أَمْطَرْتَهُمْ شَهْدًا جَنَوا لَكَ حَنْظَلَا
سَامَتْهُ رِهْمَتُهُ السَّمَاءُ الْإِعْزَلَا

﴿ وقال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ ﴾

سَامِحٌ أَخَاكَ إِذَا خَلَطَ
وَتَجَافٍ عَنْ نَعْنِيهِ
وَاحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَهُ
وَاطْعَةً إِنْ عَاصَى وَهُنْ
وَاقِنِ الْوَفَاءَ وَلَوْ أَخْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ ابْنُ طَلَبِ
مَنْ ذَا الَّذِي مَاسَاءَ قَطَّ
مَنْهُ الْإِصَابَةُ بِالْغَلَطِ
إِنْ زَاغَ يَوْمًا أَوْ قَسَطَ
شَكَرَ الصَّنِيعَةَ أَوْ غَمَطَ
إِنْ عَزَّ وَأَدْنَى إِذَا شَحَطَ
لِئَلَّا اشْتَرَطْتَ وَما اشْتَرَطَ
مَتَّ مَهْذَبًا رُمْتَ الشُّطَطَ
وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى قَطَّ

﴿ وقال أيضاً ﴾

استمع اخي وصية من ناصح ما شاب محض النصيح منه بعثته
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفه في حالي رضاه وبطشه
فهنالك إن تر ما يشين فواره كرمًا وإن تر ما يزين فافشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحه نقشه
ومن العباوة أن تُعظم جاهلاً لصقال ملبسه وروثق رقبته
أو أن تُهين مهذباً في نفسه لدروس بزته وريته فرشه

﴿ الباب التاسع في العلم ﴾

(قال مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي المتوفي سنة ٥١٣ هـ)
من قاس بالعلم الثراء فانه في حكه أعمى البصيرة كاذب
العلم تخدمه بنفسك دائماً والمال يخدم عنك فيه نائب
والمال يسلب أو يبيد لحادث والعلم لا يخشى عليه سالب
والعلم نقش في فؤادك راسخ والمال ظل عن فنائك ذاهب
هذا على الاتفاق يغزو فيضه أبداً وذلك حين تنفق ناضب
العلم أشرف شيء قاله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلاً
تعلم العلم واعمل يا أخي به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا
العلم مبلغ قوم ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من تحلف

والجهل يهديم بيت العز والشرف	العلم يرفع بيتاً لا عماد له
لو كان نور العلم يُدرك بالمنى	ما كان يبقى في البرية جاهل
إجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً	فندامة العقبى لمن يتكسل
وفي الجهل قبل الموت موت لأهله	وأجسادهم دون القبور قبور
وإن أمراً لم يُحْيِ بالعلم قلبه	فليس له حتى النشور نشور
لكل مُجِدِّ في الورى نفع فاضل	وليس يُفيد العلم من دون عامل
يُسابق بعض الناس بعضاً بمجدهم	وما كل كَرٍّ بالهوى كَرٌّ باسل
إذا لم يكن نفعٌ لذي العلم والحِجَا	فأهو بين الناس إلا كجاهل
كذلك إذا لم ينفع المرء غيره	يعدّ كشوك بين زهر الحنازل
ياساعياً وطلاب المال همته	إني أراك ضعيف العقل والدين
عليك بالعلم لا تطلب له بدلاً	واعلم بأنك فيه غير مغبون
ألم يجدى ويبقى للفتى أبداً	والمال يفتى وإن أجدي إلى حين
هذا عِزٌّ وذا ذُلٌّ لصاحبه	ما زال بالبُعد بين العز والهون
العلم زينٌ وتشرِيفٌ لصاحبه	فاطلب هديت فنون العلم والآداب
كم سيدٌ بطل أباه نجبٌ	كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرِفٌ خامل الآباء ذى أدب	نال المعالي بالآداب والرُتبا
العلم كنزٌ وذخرٌ لا فناء له	نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يجرمه	عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوطٌ به أبداً	ولا يحاذر منه الفتوت والسلبا

يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به دُرّاً ولا ذهباً
 بالعلم والعقل لا بالمال والذهب فالعلم طوق النّهي يزهو به شرفاً
 كم يرفع العلم أشخاصاً الى رتب العلم كنز فلا تفنى ذخائره
 فالعلم فاطلب لى يجديك جوهرة يزاد رفع الفى قدراً بلا طلب
 والجهل قيد له يبلية بالغيب وينخفض الجهل أشفاقاً بلا أدب
 والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب كالتموت للجسم لا تطلب غنى الذهب
 العلم زين فكن للعلم مكتسباً وكن له طالباً ما عشت مقتسباً
 اركن اليه وثق بالله واغن به وكن حليماً رزين العقل محترساً
 وكن فتي سالكاً بحض التقي ورعاً للدين مقتماً فى العلم منعمساً
 فمن تخلق بالآداب ظل بها رئيس قوم اذا ما قارق الرؤسا
 الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والائم حواء
 فان يكن لهم فى أصلهم شرف يفأخرون به فالطين والماء
 ما الفخر إلا لأهل العلم انهمو على الهدى لمن استهدى أدلاء
 وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم أعداء
 وان أتيت بجود فى ذرى نسب فان نسبنا جود وعليا
 ففر بعلم تعيش حياً به أبدأ الناس موتى وأهل العلم أحياء
 ألدلم يغرس كل فضل فاجتهد ألا يفوتك فضل ذاك المغرس
 واعلم بأن العلم ليس يناله من همه فى مطعم أو ملبس
 ألا أخو العلم الذى يزهو به فى حالته عارياً أو مكتسباً
 فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً واهجر له طيب الرقاد وعبس

فلعلّ يوماً ان حضرت بمجلس كنتُ الرَّئيسَ وفخر ذاك المجلس

﴿ الباب العاشر في العقل ﴾

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان
ولربما طعنَ الفتي أقرانه بالرأى قبلَ تطاعنُ الاقران

ألم تر أن العقلَ زينٌ لاهله ولكن تمام العقل طولُ التجارب
يقول لك العقل الذي زينَ الفتي اذا لم تكن تقدر عدوك داره
ولاقيه بالترحيب والبشر والقرى وبارك له ما دمت تحت اقتداره
وقبل يدَ الجاني التي لست قادراً على قطعها وراقب سقوطَ جداره

العقل حلةٌ فخر من تسربلها كانت له نسباً تغني عن النسب
والعقل أفضلُ ما في الناس كلهم بالعقل ينجو الفتي من حومة الطلب

وأفضل قسم الله المرء عقله فليس من الخيرات شئ يقاربه
يعيش الفتي بالعقل في الناس أنه على العقل يجري علمه وتجاربه
يشين الفتي في الناس قلة عقله وان كرمت أعراقه ومناسبه
اذا أكل الرحمن المرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهب الله لامرئ هبةً أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتي فان عدما فان فقدَ الحياة أجمل به

يعدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً وان لم يكن في قومه بحسب
وان حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقلٌ في بلدة بغريب
ومن كان ذا مال ولم يك عاقلاً فذاك حمار حملوه من التبر

أَرَى الْعَقْلَ مِرَاةَ الطَّبِيعَةِ إِذْ بِهِ نَرَى صُورَ الْأَشْيَاءِ فِي عَالَمِ الْفِكْرِ
ذُو الْعَقْلِ فِي مَعْتَرِكِ الْأَقْدَارِ مُقْتَدِرٌ لَكِنْ ذَا الْجَهْلِ مَغْلُوبٌ وَمَغْلُولٌ
وَعَقْلُ ذِي الْحَزْمِ مِرَاةُ الْأُمُورِ بِهَا يَرَى الْحَقَائِقَ ، وَالْجَهُولُ بِجَهُولٍ
وَعَقُولُ الْأَنَامِ لَوْ تَسْتَوِي لَمْ يَكْ فَرْقٌ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالنَّبِيِّهِ
مَحْوَرُ الْأَرْضِ لَوْ عَدَا مُسْتَقْبَا لَتَسَاوَى النَّهَارُ وَاللَّيْلُ فِيهِ

﴿الباب الحادي عشر في الادب﴾

﴿قال أبو تمام﴾

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيئًا فَأَنْتَ وَمَنْ تِجَارِيهِ سَوَاءٌ
رَأَيْتَ الْحُرَّ يَجْتَنِبُ الْحَازِي وَيَحْمِيهِ عَنِ الْغَدْرِ الْوَفَاءُ
وَمَا مِنْ شِدَّةٍ إِلَّا سِيَأَى لَهُ أَمِنْ بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
لَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا الدَّهْرَ حَتَّى أَقَادَتْنِي التَّجَارِبُ وَالْعَنَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ الْآيَالِ وَلَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

(وقال أيضاً)

مَاصِرْفٌ وَجْهِي عَنْ بِلَادِ غَدَا بِهَا لِسَانِي مَعْقُولًا وَقَلْبِي مُمَقَلًا
وَأَنْ صَرِيحُ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ لِأَمْرِي إِذَا بَلَغْتَهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

(وقال أبو فراس الحمداني)

لَا أَشْتَرِي بَعْدَ التَّجَارِبِ صَاحِبًا إِلَّا وَدِدْتُ بِأَنْفِي لَمْ أَشْرِهِ

وتركتُ حُلُو العيش لم أحفل به لما رأيتُ أعزّه في مرّة
والمره ليس بغنمٍ في أرضه كالصقر ليس بصائدٍ في وكره
(وقال أبو العلاء المعري)

لئن قَدَرْتَ فلا تفعلْ سوى حَسَنِ بين الأتام وجانب كلِّ ما قُبِحَا
فكم شيوخ غَدُوا ييضاً مفارقهم يسبحون وباتوا في الخنا سَبِحَا
وليس عندهم دينٌ ولا نَسْكٌ فلا تفرِّك أيدٍ تحمل السَّبِحَا
لو تغفلُ الأرض ودَّت أنها صَفَرَتْ منهم فلم يرَ فيها ناظرٌ شَبِحَا
(وقال الطغراني)

جاملُ عدوك ما استطعتْ فأنه بالرِّفق يطعمُ في صلاحِ الفاسِدِ
واحذرِ حسودك ما استطعتْ فأنه إن نمتْ عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراد تودُّداً منه أضرَّ من العدوِّ الحاقِدِ
ولربما رضي العدوُّ إذا رأى منك الجليلِ فصار غير مُعاندِ
ورضا الحسود زوالُ نعمتك التي أوتيتها من طارفٍ أو تالدِ
فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمى حشاه بالعذاب الخالدِ
أو ما رأيت النار تاكل نفسها حتى تعود إلى الرماد الهامدِ
تضعفُ على الحسود نعمة ربِّه ويدوب من كمدِ فؤاد الحاسدِ

❦ وقال ابن الرومي ❦

عدوك من صديقك مستفدٌ فلا تستكثرنَّ من الصَّحابِ
فإن الدَّاءَ أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشرابِ
إذا انقلبَ الصديق غداً عدواً مبيتاً والامور إلى انقِلابِ

ولو كان الكثير يطيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب

﴿ وقال في الانفراد والوحدة ﴾

ذُقت الطُعمومَ فما التذذت براحة
أما الصديق فلا أحبُّ لِقَاءَهُ
وأرى العدوَّ قَذَى فأكره قُربَهُ
من جور اخوان الزمان سرورهم
لو أن اخوان الصفاء تناصفوا
أحبَّ قومًا لم يحبُّوا ربَّهم
من صُحبة الأخيار والأشرار
حَذَرَ الْفَلَى وكراهة الاعوار
فهبجت هذا الخلق عن اعذار
بتفاضل الأحوال والأخطار
لم يفرحوا بتفاضل الأعمار
الا إفردوس لديه ونار

﴿ وقال المتنبي ﴾

إذا غامرتَ في شرف مَرُومٍ
فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ
يرى الجبناء أن العجز عقل
وكلَّ شجاعة في المرء تُغنى
وكم من عائب قولاً صحيحاً
وأقنه من الفهم السقيم

﴿ وقال بشار بن بُرد ﴾

خبرُ اخوانك المُشارك في المرء
الذي إن شهدت سرك في الحية
مثل سرِّ الباقوت إن مسَّ النَّارُ
أنت في معشر إذا غبت عنهم
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً
ما أرى للأنام ودّاً صحيحاً
رِ وأين الشَّرِّيك في المرء أينا
وإن غبتَ كانا ذناباً وعينا
رجلاه البلاء فازداد زِيناً
بدلوا كلَّ ما يزينك شينا
أنت من أكرم البرايا علينا
عاد كلَّ الوراء زُوراً وميناً

﴿ وقال أبو العتاهية ﴾

خير أيام الفتي يوم نفع واصطناع الخير أبقى ما صنم
ما ينال الخير بالشر ولا يحصد الزارع الا ما زرع
خذ من الدنيا الذي درت به واسل عما بان منها وانقطع
إنما الدنيا متاع زائل فاقصد فيه وخذ منه ودع
وارض للناس بما رضى به واتبع الحق فيم المتبع
كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
إن الفتي من يقول ها نذا ليس الفتي من يقول كان أبي
لكل شيء زينة في الورى وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بأدابه فينا وإن كان وضيع النسب

﴿ وأنشد ابو عبد الله نبطويه لنفسه ﴾

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر واست بنائس ما تعلمت في الصغر
وما العلم الا بالتعلم في الصبا وما الحلم الا بالتعلم في الكبر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا لألقى فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كل قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء إلا اثنان : عقل ومنطق فمن فاته هذا وهذا فقد دمر (١)

﴿ ومما ينشد لخلف الأحمر (٢) ﴾

خير ما ورث الرجال بينهم أدب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأوز راق في يوم شدة ورخاء (٣)

(١) أى هلك (٢) كان رواية للشعر والأدب وشيخاً من شيوخ النحويين البصريين
توفي سنة ١٨٠ هـ (٣) جمع ورق مثله وهي الدراهم المضروبة من الفضة

تلك تفتي والدين والأدبُ الصَّامُ لَسِحْ لَا يَفْنِيَانِ حَتَّى الْإِقَاءِ ^(١)
 إِنْ تَأَذَّبْتَ يَا بُنَيَّ صَغِيرًا كُنْتُ يَوْمًا تَعْدُ فِي الْكِبَرِ
 وَإِذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ الْفَقِيرَ ^(٢) تَ كَبِيرًا ^(٣) فِي زُمْرَةِ الْفَوَاحِشِ
 لَيْسَ عَطْفِي لِلْعُودِ إِنْ كَانَ رَطْبًا وَإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاءٍ

﴿ ومن شعر المنصور الفقيه ﴾

أَيُّهَا الطَّالِبُ الْحَرِيصُ تَعَلَّمْ إِنْ لِلْحَقِّ مَذْهَبًا قَدْ ضَلَّاهُ
 لَيْسَ يُجَدِّي عَلَيْكَ عِلْمُكَ إِنْ لَمْ تَكْ مُسْتَعْمِلًا لِمَا قَدْ عَلِمْتَهُ
 قَدْ لَمْ يَرِ اغْتَرَبْتَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَحَاوَلْتَ جَمْعَهُ فَجَمَعْتَهُ
 وَلَقِيتَ الرِّجَالَ فِيهِ وَزَاحَمَهُ تَ عَلَيْهِ الْجَمِيعَ حَتَّى سَمِعْتَهُ
 ثُمَّ ضَيَّعْتَ أَوْ نَسِيتَ ، وَمَا بَدَّ فَعُ عِلْمٌ نَسِيَتْهُ أَوْ أَضَعْتَهُ
 وَسِوَاهُ عَلَيْكَ عِلْمُكَ إِنْ لَمْ يُجَدِّ نَفْعًا عَلَيْكَ أَمْ مَا جَهَلَهُ
 كَمْ إِلَى كَمْ تُخَادِعُ النَفْسَ جَهْلًا ثُمَّ تُجَرِّي خِلَافَ مَا قَدْ عَرَفْتَهُ
 تَصِفُ الْحَقَّ وَالطَّرِيقَ إِلَيْهِ فَإِذَا مَا عَمِلْتَ خَالَفْتَ سَمْعَهُ

﴿ وقال محمود سامي باشا البارودي ﴾

بَادِرِ الْفُرْصَةَ وَاحْذَرْ فَوْتَهَا فَبُلُوغِ الْعِزِّ فِي نَيْلِ الْفُرْصِ
 وَاعْتَنِ عُمْرَكَ إِبَانِ الصَّبَا فَهُوَ أَنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقْصُ
 وَابْتَدِرْ مَسَاكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ بَادِرَ الصَّيْدِ مَعَ الْفَجْرِ قَنْصُ
 وَأَجْتَنِبْ كُلَّ غَيْبٍ مَاتِقٍ فَهُوَ كَالْمَبْرُ ^(١) ، إِذَا جَدَّ قَنْصُ
 إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِي الْعَيْنِ قَذِي حَيْثُمَا كَانَ ، وَفِي الصَّدْرِ غُصْنُ

(١) يوم اللقاء أي لقاء الله وهو يوم القيامة (٢) أي وجدت (٣) نصب على الحال (٤) الحمار

وَأَخْتَبَرْتَنِي شَيْئًا تَعْرِفُهُ، فَمَا يَعْرِفُ إِلَّا خَلْقُ الْإِنْسَانِ مَنْ خَفِصَ
 أَنْ ذَا الْحَاجَةِ إِنْ لَمْ يَغْتَرِبْ عَنْ حِمَاهِ مِثْلَ طَيْرٍ فِي قَفْصٍ
 ﴿وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ الْغَزَّيُّ^(١)﴾

بِمَسِيرِهِ نَقَصَ الْهَيْلَالُ ، وَزَادَا فَاجْعَلْ كَرَاكُ^(٢) إِذَا اعْتَزَمْتَ سَهَادَا^(٣)
 لَوْلَا أَنْصَلَاتُ^(٤) الْبَيْضِ^(٥) مِنْ أَعْمَادِهَا^(٦) مَشْحُودَةٌ لَمْ تَفْضُلِ الْأَعْمَادَا
 وَفَضِيلَةُ الْحَيَوَانِ فِي حَرَكَاتِهِ لَوْلَا مَنَافِعُهُ لَسَكَنَ جَادَا
 مَا الْعَمْرُ الْأَرَاخِلُ ، وَأَظْنَهُ آتٍ خَذَّ الشَّبِيهَةَ لِلْمَسَافَةِ زَادَا
 لَا تَخْلَعَنَّ عَنِ اللِّسَانِ الْجَامَةِ وَتَوَقَّ فِرْطَ جَمَاحِهِ الْمُعْتَادَا
 قَالَهُ خَصَّ السَّمْعَ بِاللَّيْلِ مِثْنِي ، وَجَارِحَةَ الْكَلَامِ فُرَادَى
 ﴿وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيُّ^(٧)﴾

حَاوِلْ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَلَا تَقُلْ أَنْ الْحَامِدَ وَالْعُلَا أَرْزَاقُ
 وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ^(٨) أَنْ تَكُونَ مُقْصَرًّا عَنْ غَايَةِ فِيهَا الطَّلَابُ سِبَاقُ
 لَا تَشْفِقَنَّ^(٩) فَإِنْ يَوْمُكَ أَنْ آتَى مِيقَاتُ لَمْ يَنْفَعِ الْإِشْفَاقُ
 وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فِدَارِهِ وَأَمْرِجْ لَهُ أَنْ الْمِزَاجَ وَفَاقُ
 قَالَنَارُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا تُعْطَى النُّضَاجُ ، وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ

(١) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلابي شاعر مجيد صاحب مطولات ، وله ديوان اختاره لنفسه ، ولد بنزة سنة ٤٤١ هـ ونصرفت به الأحوال فذهب الى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٥٢٤ هـ (٢) الكرى النوم (٣) السهاد السهر (٤) فجرد (٥) السيوف (٦) جمع محمد وهو قراب السيف (٧) هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباته ، وينسب الى سمد تميم ، وعد في شعراء سيف الدولة الحمداني ، وله ديوان حافل تولى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد . وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحد
 (٨) من نفسك (٩) لا تخف.

عَوْدَ بَنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُكَ فِي الْكِبَرِ
فَانَّمَا مِثْلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عَنُقِ الْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكَنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يَخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
أَنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوَى عَلَى فَرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرَرِ
النَّاسُ صَيِّفَانِ ذُو عِلْمٍ وَمُسْتَمْعٍ وَاعٍ وَسَائِرُهُمْ كَاللَّغْوِ وَالْعَكْرِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ مُؤَدِّبَهُ لَمْ يَغْنَهُ وَاعِظُهُ مِنَ النَّسَبِ
كَمْ مِنْ وَضِيعِ الْأَصُولِ فِي أَمٍّ قَدْ سَوَّدُوهُ بِالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ
لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى نُحُولِكَ أَنْ تَرُقِيَ إِلَى الْفَلَكَ
فَيَنْمُو الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ مَخْطَاطٌ بِالتُّرْبِ إِذَا صَارَ أَكْلِيلاً عَلَى الْمَلِكِ
السَّبْعُ سَبْعٌ وَلَوْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَالْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ بَيْنَ السَّبَاعِ رَبِيْ
وَهَكَذَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ خَالِطُهُ صَفَرُ النِّحَاسِ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلذَّهَبِ
لَا يَعْجِبُكَ أَثْوَابٌ عَلَى رَجُلٍ دَعَا عَنْكَ أَثْوَابُهُ وَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ
وَلَيْسَ يَسْوَدُ الْمَرْءُ إِلَّا بِنَفْسِهِ وَإِنْ عَدَّ آبَاءُ كَرَامًا ذُرِّيَّ حَسَبِ
إِذَا انْعَوَدُ لَمْ يَشْمَرْ وَلَوْ كَانَ شَعْبَةً مِنَ الْمَشْمَرَاتِ اعْتَدَهُ النَّاسُ مِنْ حَطَبِ

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ مِنْ صَفَرٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ
أَنَّ الْعُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْحَشَبُ

﴿الباب الثاني عشر في الصبر والثاني﴾

تَصَبَّرْ فِي الْأَوَّاءِ قَدْ يَحْمَدُ الصَّبْرَ وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَعْرِفِ الْحَزْرَ
وَأَنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَانْتَدِبْ جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقِ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكْ جَازِعًا فَلَيْسَ بِحَزْمٍ أَنْ يَرَوْغَكَ الضَّرُّ

فلا نيمٌ تبقى ولا نيمٌ ولا يدوم كلا الحالين عسرٌ ولا يسرٌ
تقلب هذا الامر ليس بدائمٍ لديه مع الايام حلولٌ ولا مُرٌ

اصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح الى الطاعات في البكر
انى رأيت وفي الايام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يومه واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

ان الامور اذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح كل ما ارتجى
لا تأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

عليك باظهار التجلّد للعدي ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الرّيحان يشم ناضراً ويطرح في اليبدا اذا ما تغيرا

صبراً على نوب الزمان وإن أبى القلب الجريح
فكل شيء آخر إما جميل أو قبيح

الدّهر أذنبى والصبر ربانى والقوت أقنعنى والياس أغنانى
وحنكتنى من الايام تجربة حتى هبت الذى قد كان ينهانى

إنى رأيت الصبر خير معول فى النّائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة كدت بعزى الغنى فجعلتها لى معقلا
فاذا بنا بى منزل جاوزته وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

اذا ما أذاك الدّهر يوماً بنكبة فافرع لها سبراً وأوسع لها صدرها
فان تصاريف الزمان عجيبة فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عُسراً

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه
 ويحمد منه الصبر مما يصيبه
 فرب قل فيما يتقيه اضطباره
 لقد قل فيما يرتجيه نصيبه
 إصبر قليلاً فبعد العسر يسير
 وكل وقت له أمر وتدير
 والمؤمن في حالتنا نظير
 وفوق تدبيرنا لله تدبير
 إصبر ففي الصبر خير لو علمت به
 لكنت باركت شكراً صاحبك
 واعلم بأنك إن لم تصبر كرمًا
 صبرت قهراً على ما خط بالقلم
 كن حليماً إذا بليت بغيط
 وصبوراً إذا أتتك مصيبه
 فالإيالي من الزمان حبالى
 متعلات يلدن كل عجيبه
 تصبر أيها العبد الأيب
 لعلك بعد صبرك ما تخيب
 وكل الحادثات إذا تناهت
 يكون وراءها فرج قريب
 أي صاحب إن رمت أن تكسب العلا
 وترقى إلى العلياء غير مؤاحم
 عليك بحسن الصبر في كل حالة
 فما صابر فيما يروم بنادم
 بنى الله للأخيار بيتاً سماؤه
 هموم وأحزان وحيطانه الضر
 وأدخلهم فيه وأغلق بابيه
 وقال لهم مفتاح بابكم الصبر
 إصبر قليلاً وكن بالله معتصماً
 لا تمجلن فإن العجز بالعجل
 الصبر مثل اسمه في كل نائبة
 لكن عواقبه أحلى من العسل
 إذا جرحتم مساوهم فؤادى
 صبرت على الإساءة وانطويت
 وجئت إليهم طاق المحيا
 كأنى لا سمعت ولا رأيت
 تأنت ولا تضق للامر ذرعاً
 فكم بالنجح يظفر من تأتى

تَانَّ فالمرء إن تَأْتَى أدرك لا شك ما تَمَيَّ
تَانَّ ولا تَعَجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا لعل له عُدْرًا وأنتَ تَلُومُ
﴿الباب الثالث عشر في الصدق﴾

الصدق عزٌّ فلا تعملْ عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق
عليك بالصدق ولو أنه أحرقتك الصدقُ بنار الوعيد
عليك بالصدق في كلِّ الأمور ولا تكذب فأقبح ما يُزرى بك الكذب
ما أحسنَ الصدق في الدنيا لقائله وأقبح الكذب عند الله والناس

﴿الباب الرابع عشر في الكذب﴾

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْيَمُ مُ وليس في الكذاب حيلة
مَنْ كَانَ يَخْفِقُ مَا يَقُولُ لِي خِيَاتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

نعم نعم إنما النمام ذو ضرر لكن الكذاب الجاني أشدَّ ضررًا
أخوال النيمة إن يسمعَ نِيَمٌ ومن يكذب يقل ما يشاقولاً بغير أثر
لذلك لي حيلة في مَنْ يَنِيَمُ وما لي حيلة في كذوب ملء فيه شرر

لِي حِيلَةٌ فِي مَنْ يَنِيْمُ فَأَتِي أَطْوَى حَدِيثِي دُونَهُ وَخَطَابِي
لكنما الكذاب يخلق قوله ما حياي في المفترى الكذاب

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو فعله السوء أو من قلة الأدب
أبعضُ حيلة كاذب خيرُ رائية من كذبة المرء في جد وفي لعب

إياك من كذب الكذوب وإفكه فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه

إذا عُرِفَ الإنسانُ بالكذبِ لم يزلْ لدى الناسِ كَذًّا بآو لو كان صادقاً
فإن قال لم تصغ له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

الباب الخامس عشر في التواضع

إن شئت أن تبني بناءً شامخاً يلزم لذا البنیان أسّاً راسخاً
إن البناء هو السكّالُ وآسُهُ الصَّخْرَةُ فهو الاتِّضاعُ الباذخُ

تواضع لرَبِّ العرشِ علَّكَ تُرْفَعُ فما خابَ عبدُ اللهِ يمينُ يُخْضَعُ

تواضع تَكُنْ كالنَّجْمِ لاحِ لناظرِ على صَفَحَاتِ المَاءِ وهو رَفِيعُ

ولا تَكْ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ إِلَى طَبَقَاتِ الجَوِّ وهو وَضِيعُ

إذا شئت أن تزدادَ قدرًا ورَفْعَةً فلنْ وتواضعْ وانزُكْ اليكبر والعُجْبَا

تواضع إذا ما نلتَ في الناسِ رَفْعَةً فإنَّ رَفِيعَ القَوْمِ من يتواضعُ

تواضع إذا ما كانَ قدرُكَ عَالِيًا فإنَّ اتِّضاعَ المرءِ من شِمْ العَقْلُ

الباب السادس عشر في الكرم والكرماء

ونكرمُ ضيفنا ما دام فينا ونُتَبِّعُهُ الكَرَامَةَ حيثُ مَالَا

ففي كدات خيراتهُ غيرَ أَنه جَوَادُّه فما يُبْقَى من المسالِ باقيًا

إن الكِرَامَ إذا ما أيسرُوا ذكروا مَنْ كانَ يَأْلُفُهُمْ في المنزلِ الحُشْنُ

أبى الجُودُ في الدُّنْيَا سِوَاكَ لِأَنه تفرَّعَ من جُودِ وَأنتَ أبو الجُودِ

وأضدادك الوادي لهم سال واستوتْ سَفِينَةُ بَحْرِ العِلْمِ منك على الجُودِ

إن الكريمَ الذي لا مَالَ في يده مثل الشُّجَاعِ الذي في كَفِّهِ شَلٌّ

والمالِ مثل الحَصَى ما دام في يدنا فليسَ يَنْفَعُ إِلَّا حينَ يَنْتَقِلُ

لا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَجِي إِنِّي انْ فَعَلْتُ ضَيِّعْتُ مَالِي
 لَوْ بِمَسِّ الْبَخِيلِ رَاحَةٌ يَجِي لَسَخْتُ نَفْسَهُ بِبَذْلِ النَّوَالِ
 لَوْ أَشْبَهْتُكَ بِحَارِ الْأَرْضِ فِي كَرَمٍ لَأَصْبَحَ الدُّرَّةَ طَرُوحًا عَلَى الطَّرُقِ
 أَوْ أَشْبَهَ الْغَيْثَ جُودًا مِنْكَ مُنْهَمِلًا لَمْ يَنْجُ فِي الْأَرْضِ مَخْلُوقٌ مِنَ الْفَرَقِ
 مَنْ قَاسَ جَذْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُسْكِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
 أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعٌ الْعَيْنِ
 مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتُ رَيْعٍ كَنَوَالُ الْأَمِيرِ وَقْتُ سَخَاءِ
 فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَذْرَةٌ مَالٍ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةٌ مَاءِ

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يُنْفِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مَدَّتَهُ وَالْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مَا يَدْعُ
 كَدُّودَةَ الْقَرْيَةِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وغيرها بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ
 إِنْ هَذَا الْفَتَى يَصُونُ رَغِيْفًا مَا إِلَيْهِ مِنْ نَازِلٍ مِنْ سَبِيلِ
 فِي جَرَابٍ فِي جَوْفِ نَابُوتٍ مُوسَى وَالْمَفَاتِيحُ عِنْدَ مِيكَائِيلِ
 شَرَابِكَ مَخْتُومٌ وَخُبْرُكَ لَا يَرَى وَلِحْمُكَ بَيْنَ الْفَرَقْدَيْنِ مُتَاقٍ
 نَدِيمُكَ عَطْشَانٌ وَضَيْفُكَ جَائِعٌ وَكَلْبُكَ نَبَاحٌ وَبَابُكَ مُغْلَقٌ
 نَوَالُكَ دُونَهُ شَوْكُ الْقَتَادِ وَخُبْرُكَ كَالْأَثَرِيَا فِي الْبَعَادِ
 وَلَوْ أَبْصَرْتَ ضَيْفًا فِي مَنْسَامٍ لَحَرَمْتَ الرُّقَادَ عَلَى الْعِيَادِ
 قَدْ شَابَ رَأْسِي وَرَأْسُ الدَّهْرِ لَمْ يَشِبْ إِنَّ الْحَرِيصَ عَلَى الدُّنْيَا لَفِي تَعَبٍ
 وَذِي حَرَصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفَرًا لَوَارِثُهُ وَيُدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ

ككلب الصيد يمسك وهو طار فريسته ليأكلها سواه
حسبي بعلمى إن نفع ما الذل إلا في الطمع
ممن راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس من خبز إذا وضعا
خبز البخل لمكتوب عليه ألا لا بارك الله في ضيف إذا شبعنا
إني أحذركم من خبز صاحبنا فقد تررن اليوم بحلقى ما صنعنا
إياك والحرص إن الحرص متعبة فإن فعلت فراع القصد في الطلب
قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب
فازجر فؤادك عن حرص وعن نصب فما وحقك يأتي الرزق بالنصب

إذا كسر الرغيف بكى عليه بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت في عرض المقال
على اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

رغيف في الحجاب عليه قفل وحرأس وأبواب منيمة
رأى في بيته ضيف رغيفاً فقال لضيفه هذا وديمه

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعاً سخاؤه

رأى الصييف مكتوباً على باب داره فصحفه ضيفاً فقام إلى السيف
فقلنا له خيراً فظن بأننا نقول له خبزاً فمات من الخوف

﴿وقال أبو محمد اسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ في ذم البخل﴾
 وَأَمْرُهُ بِالْبُخْلِ قَلَّتْ لَهَا أَقْصَرَى فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
 أَرَى النَّاسَ خِلَانِ الْجَوَادِ لَا أَرَى بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَزِيلُ
 وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرَى بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بِخِيلُ
 وَمَنْ خَيْرَ حَالَاتِ الْفَقْرِ لَوْ عَلِمْتَهُ إِذَا نَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يَنْزِيلُ
 عَطَائِي عَطَاهُ الْمُسْكِرِينَ تَجْمُلًا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
 وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ وَأُحْرِمُ الْغَنَى وَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

الباب الثامن عشر في وصف الدنيا

أَيَّامُنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَقْبَى الْعُمُرِ فِي قِيلٍ وَقَالَ
 وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي مَا سَيَفْتِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالِ
 هَبِ الدُّنْيَا تَقَادِ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مُصِيرُ ذَاكَ إِلَى انْتِقَالِ
 إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَعَافُوا الْفِتْنَا
 فَكُتِرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَى وَطِنَا
 جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنَا
 عَجِبْتُ الْهَرَّ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْمُحْتَوِّمِ يَقْطَعُهُ
 يَمْسَى وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْبِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالِ تَخْدَعُهُ
 يَغْتَرُّ بِالذَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الذَّهْرَ يَصْرَعُهُ
 وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
 تَرَاهُ يَشْفَقُ مِنْ تَصْبِيحِ دِرْهِمِهِ وَلَيْسَ يَشْفَقُ مِنْ دِرْهِمٍ يُضَيِّعُهُ
 وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْيِيرًا لِعَاقِبَتِهِ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمُرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خيرُ عيش لا يكون بدائم
 تأمل إذا ما نلت بالأمر لذة ففتيتها هل أنت إلا كحالم
 فمن غافل عنه وليس بفاعل ومن نائم عنه وليس بنائم
 ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها وسبق اليها عذبتها وعذابها
 فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سراها
 وما هي إلا جيفة مستحيلة عابها كلاب همهن أجتذباها
 فان تجتنبها كنت سيلمأ لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها
 قدغ عنك فضلات الأمور فانها حرام على نفس التقى ارتكابها
 ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
 اذا أدبرت كانت على المرء حسرة وان أقبت كانت كثيراً هموما
 هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
 فلا يفرركو مني ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى
 سألت عن الدنيا الدنية قيل لي هي الدار فيها الدائرات تدور
 اذا أضحكت أبكت وان أحسنت أست وان أعدلت يوماً فسوف تجور
 باخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الزدى وقرارة الأكدار
 دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً تباً لها من دار

الباب التاسع عشر في السر

ولست بمبند للرجال سرى برى ولا أنا عن أسرارهم بسؤل
 لا يكتم السر إلا كل ذي ثمة والسر عند خيار الناس مكنوم
 فالسر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

صُنِ السِّرُّ عَنْ كُلِّ مُسْتَخْبِرٍ وَحَافِزُهُ فَمَا الرَّأْيُ إِلَّا الْخَذِرُ
أَسِيرُكَ سِرُّكَ إِنْ صُنَّتْهُ وَأَنْتَ أَسِيرُهُ لَهُ أَنْ ظَهَرَ

كُلَّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي الْقُرْطَاسِ ضَاعَ كَلَّ سِرٍّ جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ شَاعَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْوَرَى صَاحِبٌ وَفِيهِ ثَلَاثُ خِيَالٍ حَمِيدَةٍ
وَفَالٍ وَسِرٌّ وَحَفْظُ الْوَلَا فَصُحْبَتُهُ قَطٌّ لَيْسَتْ مُفِيدَةٌ
عَلَيْكَ بِكُتْمِ السِّرِّ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ أَلْفِ حُجَّةٍ
إِذَا دَخَلَ اثْنَانِ الْحَدِيثَ فَمِصْرُهُ يَشِيعُ وَصُنَّتِ الْمَرْءُ أَعْظَمُ حِكْمَةٍ

الباب العشرون في اللسان

لَا يُعْجِبُكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلًا
إِنَّ الْكَلَامَ إِنِّي الْفَوَادُ وَإِنَّمَا جُمِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدُغْنُكَ أَنَّهُ ثِمْبَانُ

كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانَهُ كَانَتْ نَهَابُ لِقَاءِهِ الشَّجْعَانُ

الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسَّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِكَثَارًا

فَإِذَا نَدِمْتَ عَلَى سَكُوتِكَ مَرَّةً فَلْتَنْدَمْ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا

إِنْ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرَهُ تَمَقُّوتٌ

مَا زِلَ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكَاثِرٍ إِلَّا يَزِلُ وَمَا يُعَابُ صَمُوتٌ

إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فِضَّةٍ فَالْصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ الْيَاقُوتُ

احفظ لسانك واستعد من شره
 وزن الكلام اذا نطقت بمجلس
 والصمت من سعد السعد بمطلع
 عود لسانك قول الخير تنج به
 واحذر لسانك من خل تناديه
 ان اللسان هو العدو الكاشع
 فاذا استوى فهناك حلك راجع
 تحيا به والنطق سعد راجع
 من زلة اللفظ أو من زلة القدم
 ان التديم لمشتق من الندم

الباب الحادى والعشرون فى المعاشرة

قال الامام الشافعى رضى الله عنه

اذا المرء لا يردك إلا تكلفاً
 فدعه ولا تكنز عليه التأسفا
 ففى الناس أبدال وفي الترك راحة
 وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
 فما كل من تهواه يهواك قلبه
 ولا كل من صافيته لك قد صفا
 اذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
 فلا خير فى ود يجيئك تكلفا
 ولا خير فى خل يخون خليله
 ويلقاه من بعد المودة بالجفا
 وينكر عيشاً قد تقدم عهده
 ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا
 سلام على الدنيا اذا لم يكن بها
 صديق صدوق صادق الوعد منصفا
 صاف الكرام فخير من صافيته
 من كان ذا أدب وكان ظريفا
 واحذر مؤاخاة اللئيم فانه
 يبدى القبيح وينكر المعروفا
 إن الكريم وإن تضرع حاله
 فالخلق منه لا يال شريفا
 والناس مثل دراهم قلبها
 فأصبت منها فضة وزبوا
 وما المرء الا حيث يحمل نفسه
 فأبصر بعين منك أمراً فيعتمد
 وإن يصحب إلا إنسان إلا تخليعه
 وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

وما الغنى إلا أن تصاحب غاويًا وما الرشد إلا أن تصاحب مرتشد
 آخر الفسق لا يفررك منه تودد فكل حبال الفاسقين مهين
 وصاحب إذا ما كنت يومًا مصاحبًا أخا ثقة بالغيب منك أمين
 اجعل قرينك من رضىت فعالة واحذر مقارنة اللئيم الشائن
 كم من قرين شائن لقرينه ومهجن منه لكل محاسن
 وعينك إن أبدت إليك مساويًا من الناس قل ياعين للناس أعين
 وعاشر بمعروف وكن متوذرًا ولا تلق إلا بالتي هي أحسن

﴿ الباب الثاني والعشرون في القناعة ﴾

وأكل كسيرة في جنب بيتي أحب إلى من أكل الزغيف
 ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف
 هي القناعة فالزمها تعيش ملكا لو لم يكن منك الراحة البدن
 وانظر لمن ملك الدنيا بأجمها هل راح منها بغير القطن والمكفن
 قمت بالقوت من زمانى وصنت نفسى عن الهوان
 خوفا من الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان
 من كنت عن ماله غنيًا فلا أبالي إذا جفانى
 ومن رآنى بعين تقيص رأيتُه بالتي رآنى
 ومن رآنى بعين تم رأيتُه كامل المعانى
 اذا المرء عوفى فى جسمه وملكه الله قلبا قنوعا
 وألقى المطامع عن نفسه فذاك الغنى ولو مات حوفا
 النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطعها

وغنى النفوس هو الكفاف فان أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها
 إن القنوع نفيس النفس راشد لها وهو الغنى الذي يحيا بلا نصب
 وذو المطامع مغرور ومفتقر ولو حوى ملك سلطان وعلم نبي
 أفادتني القناعة كل عزي وهل عز أعز من القناعة
 ولقد طلبت رضا البرية جاهدا فإذا رضاهم غاية لا تدرك
 وأرى القناعة للفقى كنزا له والبر أفضل ما به يتمسك

الباب الثالث والعشرون في الحسد

نخلق الناس بالأدناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسدا
 كرهت منظرهم من سوء مخبرهم فقد تعاميت حتى لا أرى أحدا
 اضرب على كيد الحسود د فان صبرك قاتله
 كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله
 دع الحسود وما يلقاه من كمد يكفيك منه لهيب النار في كبده
 ان لمت ذا حسد نفثت كربته وان سكت فقد عذبت به بيده
 أيا حاسدا لي على نعمتي أتدرى على من أسأت الادب
 أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
 فأخزأك ربي بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب
 ان شئت قتل الحاسدين تمدا من غير مادية عليك ولا قود
 وبغير سم قاتل وصورم وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
 عظم تجاه عيونهم تحسودهم فتراهم موتى النفوس مع الجسد
 ذوب المعادن بالظلي لكنما ذوب الحسود بمر نيران الحسد

﴿ الباب الرابع والعشرون في الحلم ﴾

إلا إن حلم المرء أكرمُ نسبة تسمى بها عند الفخار حلِيم
 فيارب هب لي منك حلماً فإني نى أرى الحليم يندم عليه كريم
 أحبُّ مكارم الأخلق جُهدى وأكره أن أعيب وأن أعابا
 وأصفح عن سباب الناس حلماً وشرُّ الناس من يهوى السبابا
 ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يُهابا
 ولا خير في حلم إذا لم يكن له بؤادر تحمى صفوه أن يكذرا
 ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلِيم إذا ما أورد الأمر أصدرأ
 إذا كنت محتاجاً إلى الحليم أني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوجُ
 ولي فرسٌ للحلم بالحلم ملجئ ولي فرسٌ للجهل بالجهل مُسَرَّجُ
 فمن شاء تقوى فإني مقومٌ ومن شاء تعوى يجى فإني مُعَوَّجُ
 وما كنت أرضى الجهل خيلاً وصاحباً ولكننى أرضى به حين أُخرَجُ
 إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئاً وخيرت أنى شئت فالحلم أفضلُ
 ولكن إذا أنصفت من ليس مُنصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثلُ

﴿ وقال الامام الشافعى رضى الله عنه ﴾

وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ كما أن عين السخط تُبدي المساويا
 ولستُ بهيبابٍ لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى لياً
 فإن تدن منى تدن منك مودتى وإن تأسأ عني تلقى عنك نائياً
 كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا ميتا أشدُّ تغانياً

﴿ الباب الخامس والعشرون في الحماقة ﴾

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستطبّ به إلا الحماقة أعيت من يداويها
لا تياسن من الليب وإن جفأ واقطع حبالك من حبال الأحمق
فمداوة من عاقلٍ منجّل أولى وأسلم من صداقة أخرق

﴿ الباب السادس والعشرون في الوطن ﴾

﴿ قال ابن الرومي ﴾

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهر مالكا
تمرتُ به شرخُ الشباب مُنعما بصحبة قوم أصبحوا في ظلالِكَ
وحبّ أوطانَ الرجال اليهمُ ما ربُّ قضاها الشباب هُنالِكَ
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ عهد الصبا فيها فحنوا لذلك
قد ألفتُ النفسُ حتى كأنه لها جسدٌ إن بان غودر هالِكَ

﴿ الباب السابع والعشرون في المال ﴾

إن الدّرام كالرا هم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهنّ ثُعيبٌ في صُبْحِه أضْحى أميرا

إن قلّ مالي فلا خلّ يُصاحبني إن زاد مالي فكلّ الناس خيلاني
فكم عدوّ لا أجل المال صَاحِبني وكم صديقٍ لَقَدِ المال عاداني
لعمرك إن المال قد يجعلُ الفتي سريّا وإن الفقر بالمرّة قد يُزري
وما رفع النفسُ الدّنية كالغني ولا وضع النفسُ النّفيسة كالفقير
وإذا ما رأيتُ صُعوبةً في مطلب فاحملْ صُعوبته على الدّينار

وابسته فيما تشبهه فانه حجر يلبث قسوة الأحجار
 الناس أتباع من دامت له نعم والويل للمرء إن زلت به القدم
 المال زين ومن قلت دراهمه حتى كمن مات إلا أنه صنم
 لما رأيت أخلاقي وخالصتي والكل مستتر عني ومحتشم
 أبدوا جفاء وإعراضاً فقلت لهم أذنبت ذنباً فقالوا ذنبك العدم
 فصاحة حسن وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن آدم
 إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لا يباع ب درهم
 إذا كنت في حاجة مرسلأ وأنت بها كلف مغرم
 فأرسل حكماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الترم
 أظهروا للناس زهداً وعلى الدينار داروا
 وله صاموا وصلوا وله حجوا وزاروا
 لو يرى فوق الثريا ولهم ريش لطاروا
 المال يفرق بين الأم والولد فذلك أدنى نسيب عند كل يد
 عهدى به خادماً كالعبد فملكه فما يعينى تراه سيد البلد
 مال يميل إلى المرء من صغير وكلما شب شب الحب في الكبد
 لو يجمع الله مافي الأرض قاطبة عند امرئ لم يقل حسبي فلا تزد
 كل بروح من الدنيا الغرور كما أتى بلا عدد منها ولا عدد
 لو كان يأخذ شيئاً قبلنا أحد لم يبق شيء لنا من سالف الأمد
 إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو ماله
 ألا إنما مالي الذي أنا مُنفق وليس لي المال الذي أنا تاركة
 من كان يملك درهمين تعلمت شفاته أنواع الكلام فقالوا

وتقدّم الإخوان فاستمعوا له ورأيت بين الورى مختلا
 لولا دراهمه التي يزهر بها لوجدته في الناس أسوأ حالا
 إنّ الغني إذا تكلم بالخطا قالوا صدقت وما نعلقت محالا
 أما الفقير إذا تكلم صادقا قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
 إنّ الدّراهم في المواطن كلها تكسو الرّجال مهابة وجمالا
 فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

﴿ الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة ﴾

وإذا البلاد تغيّرت عن حالها فدّع المقام وبادر التحويلا
 ليس المقام عليك فرضاً واجباً في بلدة تدعُ العزيز ذليلاً
 تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل صافٍ لا تقف عند منهل
 ففي الارض أحباب وفيها مناهل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
 تقرّب عن الاوطان في طلب العلا وسافر في الأسفار خمس فوائد
 تفرّج همّهم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد
 وان قيل في الأسفار ذلٌ ومحنة وقطع الفياق واكتساب الشدائد
 فموت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واشٍ وحاسد
 ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
 من ذلّ بين أهاليه يبلّده فلا غتراب له من أحسن الخلق
 الكحل نوع من الاحجار منطرحاً في أرضه كالثري يرى على الطرق
 لما تقرّب نال العزّ أجمعه وصار يُحمّل بين الجفن والحدق

﴿ وقال لا مام الشافعي ﴾

مافي المقام لدى عقل وذى أدب من راحة فدّع الاوطان واغترب

سافر تجد عوضاً عن نصاحبه وانصب فان لذيد العيش في النصب
 اني رأيت وقوف الماء يفسده ان سال طاب وان لم يجز لم يطب
 الا سد لولا فراق الغاب ما قصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب
 والشمس لو وقفت في الفلك دائمة لعلها الناس من عجم ومن عرب
 والبدر لولا اقول منه ما نظرت اليه في كل حين عين مرتقب
 واليبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب
 فان تغرب هذا عز مطلبه وان اقام فلا يعلو على رتب
 اذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحل طالباً أرضاً سواها
 عجبت لمن يقيم بدار ذل وأرض الله واسعة فضاها
 فذاك من الرجال قليل عقل بليد ليس يعلم ما طحاها
 ففسك فز بها ان خفت ضيا وخل الدار تنعى من بناها
 فانك واجد أرضاً بأرض ونفسك لم تجد نفساً سواها
 ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
 ان قل نفعك في أرض حلت بها سافر لتدرك قصداً أم ترى أملا
 فالبيض لو لازمت أعماها تلفت والشمس لو لم تيسر ما حلت الحلا

وقل الحريري في الحث على السفر من مقامة له ﴿

لا تقعدن عن ضري ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مضطرب
 وانظر بعينيك هل أرض معلقة من النبات كأرض حقا الشجر
 فعُد عما تشير الاغبياء به فأئ فضل لعود ما له ثمر
 وارحل ركابك عن ربع ظمئت به الى الجناب الذي يهني به المطر
 وستنزل الرئي من دَر السحاب فان بلى يدك به فليمنك الظفر

بلادُ الله واسعةٌ فضاء ورزقُ الله في الدنيا فسيحٌ
 فقلْ للقاعدين على هوان إذا ضاقتْ بكم أرضٌ فسيحوا
 وإذا رأيتَ الرزقَ ضاقَ ببلدةٍ وخشيتَ فيها أن يضيقَ المكسبُ
 فارحلْ فأرضُ الله واسعةُ الفضا طولاً وعرضاً شرقاً والمغربُ
 إذا ما كنتَ في قومٍ غريباً فعاملهم بفعلٍ يُستطاب
 ولا تحزنْ إذا فاهوا بفحشٍ غريبٍ الدار تنبهُ الكلاب
 وما طلبُ المعيشةِ بالتمني ولكنْ ألقِ دلوك في الدلاءِ
 تجيءُ بمثلها طوراً وطوراً تجيءُ بحمأةٍ وقليلِ ماءٍ
 ولا تقعدْ على كسلِ التمني تحيلُ على المقتدرِ والقضاءِ
 فإنْ مقاديرَ الرحمنِ تجري بأرزاقِ الرجالِ من السماءِ
 مقدرةٌ قبضُ أو يبسطُ وعجزُ المرءِ أسبابُ البلاءِ

الباب التاسع والعشرون في الغدر

لا أشتكى زمني هذا فأظلمه وإنما أشتكى من أهلِ ذا الزمن
 هم الذئاب التي تحت الثياب فلا تكنْ إلى أحدٍ منهم بمؤمن
 وزهدني في الناس معرفتي بهم وطولُ اختباري صاحباً بعد صاحب
 فلم ترفني الأيامُ خيلاً تسرّني مباديه إلا ساعني في العواقبِ
 ولا قلتُ أرجوه لدفعِ مِلمةٍ من الدهرِ ألا كان إحدى المصائبِ
 اني بلوتُ الناس أطلبُ منهمو أخا ثقةً عند اعتراضِ الشدائدِ
 فلم أرَ فيما ساعني غيرَ شامتٍ ولم أرَ فيما سرّني غيرَ حاسدٍ
 وقال علي بن الجهم وهو مسجون ﴿
 قالوا حبستَ فقلتُ ليس بضائري حبسي وأنى مُهندٌ لا يُغمدُ

أوما رأيت الليث يألف غيـلـه كـبـراً وأوباش السباع ترـدـد
والشمس لولا أنّها محبوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقـد
والبدر يدركه السرار فتتجلى أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحسره الغمام فما يرى الا وريقه يراع ويرعد
والزاعية لا يقيم كعوبها الا الثقاف وجدوة تتوقد
والحبس ما لم تغشه لدنية شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجتد لاكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجاً ومات طيبه والعود

﴿ الباب الثلاثون في الختام بالدعاء ﴾

﴿ قال البحتري ﴾

حاطه الله حيث أسمى وأضحى وتولاه حيث سار وحلا

﴿ وقال ابن الرومي ﴾

لا زلت نجماً يهتدى بك في الضلال ويُسْتَدَل
ينبوع عزم يُستقى منه الصواب ويُسْتَمَل

﴿ وقال الوزير المهلبی ﴾

أراني الله وجهك كل يوم صباحاً للتيمن والشروع
وأمتع مقلتي بصفحتيه لأقرأ الحسن من تلك السطور

﴿ وقال آخر ﴾

بقيت مدى الدنيا وملوكك راسخ وطودك ممدود وبابك عامر
بود سنالك البدر والبدر زاهر ويقفو نذاك البحر والبحر غامر
وهنئت أياماً تالت سعودها كما تتوالى في العقود (الجواهر)

فهرست جواهر الادب

مصحفة	مصحفة
٢٨ حل الشعر	٢ فائحة الكتاب
٣٢ التخلص والاقتضاب	٣ اليكم معشر الكتاب
٣٣ كيفية افتتاح مواضيع الانشاء	٨ تمهيد في مبادئ علم الادب
٣٦ تقسيم الانشاء	١٠ مقدمة في علم الانشاء
٣٧ كيفية عمل الشعر	١٠ الباب الاول في أصول الانشاء
٣٩ الباب الثاني في فنون الانشاء	١٠ مواد الانشاء
٣٩ الفن الاول في المكاتبات	١٢ خواص الانشاء
٤٠ ابواب الرسائل	١٤ عيوب الانشاء
٤٠ الرسائل العملية	١٥ طبقات الانشاء
٤١ الفصل الاول في رسائل الشوق	١٦ محاسن الانشاء
٤١ رسائل الثعالي	١٦ كيفية الشروع في عمل مواضيع الانشاء
٤٣ رسالة البسطامي	١٨ أركان الكتابة
٤٤ » عبد الرحمن بن طاهر	١٩ كيفية نظم الكلام
٤٥ » ابو الفضل بن العميد	٢١ الطريق الى تعلم الكتابة
٤٥ » بدیع الزمان الهمذاني	٢٢ كيفية تهذيب الكلام
٤٥ » البطليومي	٢٣ محاسن الانشاء ومعاينه
٤٦ » الشيخ ابراهيم اليازجي	٢٤ فصاحة الالفاظ
٤٧ » أبو العباس الفسافي	٢٥ حقيقة الفصاحة
٤٨ » صاحب بن عباد	٢٧ الانسجام

صحيفة	صحيفة
٤٩ رسالة الشيخ حمزة فتح الله	٧٠ رسالة الثعالبي
٥٠ » محمد بك دياب	٧٠ » عبد الله بن معاوية
٥ » وفا افندي محمد	٧١ » ابن جبيب الحلبي
٥١ » مؤلف هذا الكتاب	٧٣ » الجاحظ
٥٣ الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء	٧٤ » ابن مكرم
٥٣ رسالة الثعالبي	٧٤ » الخوارزمي
٥٣ » الشيخ حمزه فتح الله	٧٥ » بعضهم الى رئيسه
٥٥ رسالة حفنى بك ناصف	٧٥ » ابراهيم اليازجى
٥٦ » احمد افندي سمير	٧٧ » زبيدة زوجة الرشيد
٥٧ » الشيخ احمد مفتاح	٧٨ » المأمون
٥٨ » الشيخ طه محمود	٧٨ » بعضهم
٦٠ » محمود بك ابو النصر	٧٩ » الجاحظ
٦٠ » السيد محمد الببلاوي	٨٠ الكلام على الرسائل المتداولة
٦١ » عبد الكريم سلمان	٨١ الفصل الثاني في رسائل الطلب
٦٢ » مؤلف الكتاب	٨١ رسالة ابي العيناء
٦٣ الفصل الثالث في رسائل الهدايا	٨١ » عبد الخالق ثروت باشا
٦٣ رسالة سعيد بن حميد	٨٢ » احمد بك رافت
٦٤ » حفنى بك ناصف	٨٣ » عبد العزيز محمد بك
٦٦ » محمود بك ابو النصر	٨٤ » حسن افندي توفيق
٦٧ » عبد الله بك الانصاري	٨٦ الفصل الثالث في رسائل الشكر
٦٧ » احمد مفتاح	٨٦ رسالة الثعالبي
٦٨ » مؤلف هذا الكتاب	٨٦ » الحسن بن وهب
٧٠ الفصل الرابع في الاستعطاف	٨٦ » الامير ابو الفضل الميكاىلى
	٨٧ » الشيخ محمد عبده

صحيفة	صحيفة
٩٠ الفصل الرابع في النصيح والمشورة	١١٩ كتاب الثعالبى
٩٠ رسالة الهمذاني	١١٩ » بديع الزمان الهمذاني
٩١ » الاسكندر المقدوني	١٢٠ » الثعالبى تهنئة بقدم
٩٢ » ارسطو الى الاسكندر	١٢٠ » » » برمضان
٩٣ » الامام على	١٢١ » ابى الفرج
٩٤ » السيد عبد الله النديم	١٢١ » الوطواط » بقدم
٩٧ » الشيخ محمد عبده	١٢٢ » الشيخ حمزة
٩٩ الفصل الخامس في رسائل العتاب	١٢٤ » محمود بك ابو النصر
٩٩ كتاب الهمذاني	١٢٥ » عبد الله باشا فكري
١٠٢ » الجاحظ	١٢٦ الفصل التاسع في رسائل
١٠٢ » الخوارزمي	التعازى
١٠٣ » عبد الله بن معاوية	١٢٦ كتاب الثعالبى
١٠٣ » الشيخ عبدالعزيز جاويز	١٢٦ » الهمذاني
١٠٧ » حنفى بك ناصف	١٢٧ » اليازجي
١١٠ الفصل السادس في رسائل	١٢٨ الفصل العاشر في الاجوبة
الشكوى	١٢٨ رسالة عبد الله باشا فكري
١١٠ كتاب الامير الميكالى	١٣٠ » حنفى بك ناصف
١١٠ » عبد الحميد بن يحيى	١٣٢ » الشيخ على اللبثى
١١١ » الشيخ محمد عبده	١٣٣ الفصل الحادى عشر في الوصايا
١١٥ » حافظ بك ابراهيم	١٣٣ من كلامه عليه السلام
١١٨ الفصل السابع في رسائل العيادة	١٣٤ من وصاياه عليه السلام
١١٨ كتاب بن الرومي	١٣٨ عهد الامام على للاشترا
١١٨ » الخوارزمي	١٥٠ كتاب ابى بكر الصديق
١١٩ الفصل الثامن في رسائل التهاني	١٥١ » عمر بن الخطاب

صحيفة	صحيفة
١٩٧ مناظرة علقمة بن علاثة	١٥٢ وصية ابن سعيد المغربي
١٩٧ » قيس بن مسعود الشيباني	١٥٧ » هرون الرشيد
١٩٨ » حاصر بن الطويل العامري	١٥٧ » ابن شداد لابنه
١٩٨ » عمرو بن معدي كرب	١٥٨ » بعض نساء العرب لابنها
١٩٩ » الحارث بن ظالم المري	١٥٩ الفصل الثاني حشر في التنصل والتبرؤ
١٩٩ » رواية الكلبي عن كسرى	١٥٩ كتاب ابن الرومي
٢٠٠ » حذيفة بن بدر	١٦٠ » ابن زيدون
٢٠٠ » الاشعث بن قيس	١٧٧ مكاتبات متفرقة
٢٠١ » بسطام بن قيس	١٧٧ كتاب الدولة العلية
٢٠١ » حاجب بن زراة	١٧٧ » ابن العميد
٢٠٢ » قيس بن حاصم	١٧٨ » السيد توفيق البكري
٢٠٢ مناظرات ومشاورات المهدي	١٨٢ » السيدة وردة اليازجية
لاهل يتيه في حرب خراسان	١٨٣ » السيدة طائشة تيمور
٢٠٣ مناظرة سلام وجواب المهدي	١٨٤ » السيد عبد الله النديم
٢٠٤ » الربيع	١٨٦ » المويلحي بك
٢٠٥ » الفضل بن العباس	١٨٧ الكلام على الرسائل العلمية
٢٠٦ » علي بن المهدي	١٨٨ الفن الثاني في المناظرات
٢٠٨ » موسى بن المهدي	١٨٨ مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى
٢٠٩ » هارون للمهدي	١٩٤ » اكثم بن صيفي
٢١٢ » صالح للمهدي	١٩٤ » حاجب بن زراة
٢١٣ » محمد بن الليث	١٩٥ » الحارث البكري
٢١٤ » معاوية بن عبد الله	١٩٦ » عمرو بن الشريد
٢٢٠ وفود بكارة الهلالية على معاوية	١٩٦ » خالد بن جعفر الكلبي

صحيفة	صحيفة
٢٦٧ وصف الرياض	٢٢١ مناظرة السيف والقلم لابن الوردي
٢٦٨ » طول الليل والسر »	٢٢٥ مناظرة صاحب ابى تمام
٢٦٨ » انتصاف الليل وتناهيه »	٢٢٥ » » البحتري
٢٦٩ » طلوع الشمس وغروبها »	٢٣٠ » السفينة والوابور
٢٦٩ » الرعد والبرق »	٢٣٤ » الليل والنهار
٢٦٩ » مقدمات المطر »	٢٤٦ » الارض والسماء
٢٧٠ » الثلج والبرد وأيام الشتاء »	٢٥٢ » بين فصول العام
٢٧٠ » المطر والماء والسحاب »	٢٥٢ » الربيع
٢٧١ » القيقظ وشدة الحر »	٢٥٣ » الصيف
٢٧١ » الشيب »	٢٥٤ » الخريف
٢٧٢ » آلات الكتابة »	٢٥٤ » الشتاء
٢٧٢ » الخطباء »	٢٥٥ » البر والبحر
٢٧٣ » العلماء »	٢٥٧ » الهواء والماء
٢٧٤ » البلقاء »	٢٥٨ » الجمل والحصان
٢٧٤ » الشمر والمنشئين »	٢٦٠ الفن الثالث في الامثال
٢٧٥ » الامراء والاشراف »	٢٦٠ امثال القرآن الكريم
٢٧٧ » القلم »	٢٦٠ امثال العرب و لموادن
٢٧٧ » الخط »	٢٦٥ الفن الرابع في الاوصاف
٢٧٨ » الكتاب »	٢٦٥ وصف البلدان
٢٧٩ » حاصفة »	٢٦٥ » القلاع
٢٨٠ » العلم »	٢٦٦ » الدور
٢٨١ » الامام العادل »	٢٦٦ » الديار الحالية
٢٨٢ » مصر »	٢٦٧ » ايام الربيع
٢٨٣ » حرب »	

صحيفة	صحيفة
٣٢٤ المتكلمة بالقرآن	٢٨٣ وصف المطر
٣٢٨ الجزء الثاني من جواهر الادب	٢٨٧ » حديقة
٣٢٨ الفن السابع في التاريخ	٢٨٨ » البيان
٣٢٩ عبور اللغة العربية وآدابها	٢٨٨ » المكارم
٣٣٠ العصر الاول عصر الجاهلية	٢٨٨ » القرآن الكريم
٢٣١ أسواق العرب	٢٨٩ » جيوش
٣٣١ كلام العرب	٢٨٩ » الحسد
٣٣٢ اغراض اللغة في الجاهلية	٢٨٩ » افضل الكلام
٣٣٢ معاني اللغة في الجاهلية	٢٩٠ » الشعراء المحدثين
٣٣٢ عبارة اللغة في »	٢٩١ » ابي تمام والبحتري والتمني
٣٣٣ تقسيم كلام العرب	٢٩٢ » بعض احياء العرب
٣٣٤ المحادثة أو لغة التخاطب	٢٩٥ » نهج البلاغة
٣٣٤ الخطابة	٢٩٦ » حفلة — ومتحف
٣٣٦ قس بن ساعدة	٢٩٧ » الفونوغراف
٣٣٧ اكثم بن صيفي	٢٩٨ » نظارة
٣٣٧ الكتابة	٢٩٩ » سان اسقيفانو
٣٣٨ علوم العرب وفنونها	٣٠١ » الشمس
٣٣٩ علم النجوم	٣٠٤ » القمر
٣٣٩ الطب الانساني والحيواني	٣٠٨ الفن الخامس في المقامات
البيطرة	٣٠٩ المقامة الاسكندرانية
٣٣٩ الانساب	٣١٦ » البشرية
٣٣٩ الاخبار والتاريخ والقصص	٣٢٠ الفن السادس في الروايات
٣٤٠ وصف الارض — الجغرافيا	٣٢١ رواية ليلى الاخيلية
٣٤٠ الفراسة والقيافة	٣٢٤ » بنات الشاعر المقتول

فهرست جواهر الادب

صحيفة	صحيفة
٣٦٢ لبید بن ربیعة	٣٤٠ الکهاة والعراة
٣٦٥ الرواة والرواة	٣٤٠ الزجر
٣٦٦ خلفاء بني امية	٣٤١ النظم أو الشعر والشعراء
٣٦٦ العصر الثاني عصر صدور	٣٤٣ أغراضه وفنونه
الاسلام	٣٤٣ الفخر والمدح والهجاء
٣٦٦ حالة اللغة في ذلك العصر	٣٤٣ الرثاء
٣٦٧ القرآن الكريم	٣٤٣ الاعتذار
٣٦٨ اعجاز القرآن الشريف	٣٤٣ الوصف
٣٦٨ جمع القرآن وكتابته	٣٤٣ الحكمة والمثل
٣٦٩ الحديث النبوي	٣٤٤ معانيه وأخيلته
٣٧٠ النثر لغة التخاطب	٣٤٤ ألفاظه وأساليبه
٣٧١ الخطابة في هذا العصر	٣٤٥ اوزانه وقوافيه
٣٧٢ ابو بكر الصديق وخطبه	٣٤٥ الشعراء
٣٧٥ عمر بن الخطاب وخطبه	٣٤٦ طبقات الشعراء
٣٧٦ عثمان بن عفان وخطبه	٣٤٨ الشعراء الجاهليون
٣٧٨ علي بن أبي طالب وخطبه	٣٤٨ امرؤ القيس
٣٧٩ سحبان وائل وخطبه	٣٥٠ النابغة الذبياني
٣٨٠ زياد بن أبيه وخطبه	٣٥٢ زهير بن أبي سلمى
٣٨٢ الحجاج الثقفي وخطبه	٣٥٤ عنتره العبسي
٣٨٤ طارق بن زياد وخطبه	٣٥٦ عمرو بن كلثوم
٣٨٦ الكتابة الخطية	٣٥٨ طرفة بن العبد
٣٨٧ الكتابة الانشائية	٣٥٩ اعشى قيس
٣٨٨ مميزات الكتابة الانشائية	٣٦١ الحارث بن حزنه
٣٨٨ الكتاب في هذا العصر	

صحيفة	صحيفة
٤١٣ الالفاظ والاساليب	٣٨٨ عبد الحميد الكاتب
٤١٤ النثر — المحادثة	٣٩٠ التدوين والتصنيف
٤١٥ الخطابة والخطباء	٣٩١ الشعر والشعراء
٤١٥ داود بن علي	٣٩٢ أغراضه وفنونه
٤١٦ شبيب بن شبة	٣٩٣ معانيه وأخيلته
٤١٧ الكتابة الخطية	٣٩٣ الشعراء
٤١٩ ابن مقلة	٣٩٣ كعب بن زهير
٤١٩ الكتابة الانشائية	٣٩٥ الخنساء
٤٢٠ الكتاب في هذا العصر	٣٩٧ الخطيئة
٤٢١ ابن المقفع	٣٩٩ حسان بن ثابت
٤٢٢ ابراهيم الصولي	٤٠٠ النابغة الجعدي
٤٢٣ ابن العميد	٤٠٢ عمر بن أبي ربيعة
٤٢٣ بقية خلفاء العباسيين	٤٠٣ الاخطل
٤٢٤ الصاحب بن عباد	٤٠٥ الفرزدق
٤٢٥ أبو بكر الخوارزمي	٤٠٦ جرير
٤٢٦ بديع الزمان الهمذاني	٤٠٨ الكميث
٤٢٦ ابن زيدون	٤٠٩ الرواية والرواة
٤٢٧ القاضي الفاضل	٤١١ العصر الثالث عصر الدولة
٤٢٨ التدوين والتصنيف	العباسية
٤٢٩ كتابة التصنيف والتدوين	٤١١ أحوال اللغة وآدابها في هذا
٤٢٩ العلوم اللسانية	العصر
٤٣٠ الجاحظ	٤١١ خلفاء بني العباس
٤٣١ احمد بن عبد ربه	٤١٢ أغراض اللغة
٤٣١ الحريري	٤١٣ المعاني والافكار

صحيفة	صحيفة
٤٤٧ أبو المتاهية	٤٣٢ فن التاريخ
٤٤٨ أبو تمام	٤٣٣ المروض والقافية
٤٥٠ البحتري	٤٣٣ النحو
٤٥١ ابن الرومي	٤٣٣ علم اللنة
٤٥٢ ابن المعتز	٤٣٤ علوم البلاغة
٤٥٢ أبو الطيب المتفني	٤٣٤ الخليل بن احمد
٤٥٥ ابن هاني الاندلسي	٤٣٥ سيويه
٤٥٦ أبو العلاء المعري	٤٣٥ الكسائي
٤٥٨ ابن خفاجة الاندلسي	٤٣٦ العلوم الشرعية
٤٥٨ الرواية والرواة	٤٣٦ الحديث
٤٥٩ الاصمعي	٤٣٧ الامام البخاري
٤٥٩ العصر الرابع عصر المماليك	٤٣٧ دلم التقه
التركية	٤٣٨ الامام ابو حنيفة
٤٥٩ حالة اللنة وآدابها في ذلك العصر	٤٣٨ » مالك
٤٦٠ النثر لغة التخاطب	٤٣٩ » الشافعي
٤٦٠ الخطابة	٤٤٠ » احمد بن حنبل
٤٦٠ الكتابة الخطية	٤٤٠ علم الكلام
٤٦١ الكتابة الانشائية	٤٤١ ابو الحسن الاشعري
٤٦١ الكتاب في هذا العصر	٤٤١ الفزالي
٤٦١ القاضي محيي الدين	٤٤٢ نشأة العلوم الكونية
٤٦٢ شهاب الدين العمري	٤٤٣ الشعر والشعراء
٤٦٣ لسان الدين بن الخطيب	٤٤٤ بشار بن برد
٤٦٤ التدوين والتصنيف	٤٤٥ أبو نواس
٤٦٤ الادب	٤٤٦ مسلم بن الوليد

صحيفة	صحيفة
٤٧٩ سمد باشا زغلول	٤٦٤ بقية العلوم الاسلامية
٤٨٢ الفايزي مصطفى باشا كمال	٤٦٥ كتابة التدوين
٤٨٨ الشعر والشعراء	٤٦٥ ابن خلكان
٤٨٩ محمود البارودي باشا	٤٦٥ ابن خلدون
٤٩١ احمد شوقي بك	٤٦٦ جلال الدين السيوطي
٤٩٤ محمد حافظ ابراهيم بك	٤٦٧ الشعر في هذا العصر
٤٩٦ اسماعيل صبرى باشا	٤٦٧ الشعراء
٤٩٨ خليل بك مطران	٤٦٧ البوصيري
٤٩٩ ابواب الشعر العربي	٤٦٨ صفى الدين الحلبي
٤٩٩ الباب الاول في المديح	٤٦٩ ابن نباتة المصري
٥٠٦ الباب الثانى في الفخر والحاسة	٤٦٩ ابن معتوق الموسوى
٥٢٩ الباب الثالث في شكوى الزمان	٤٧٠ العصر الخامس عصر النهضة
٥٤٢ الباب الرابع في الوصف	٤٧٠ حالة اللغة وآدابها في هذا العصر
٥٤٢ وصف مكتوب	٤٧١ النثر — المحادثة
٥٤٣ » الخط والكتابة والبلاغة	٤٧١ الخطابة
٥٤٣ » الموز	٤٧١ الكتابة
٥٤٤ » الكثرى	٤٧٢ الكتابة الانشائية
٥٤٤ » التفاح	٤٧٢ كتابة التدوين
٥٤٤ » الخوخ	٤٧٣ رفاعة بك الطهطاوى
٥٤٥ » المشمش	٤٧٤ عبد الله فكري باشا
٥٤٥ » الرمان	٤٧٤ على مبارك باشا
٥٤٥ » النخيل والبلح	٤٧٥ الشيخ محمد عبده
٥٤٦ » البطيخ	٤٧٦ مصطفى باشا كامل
٥٤٧ » العنب	٤٧٧ محمد بك فريد

صحيفة	حيفة
۵۷۳ وصف شمة	۵۱ وصف قصب السكر
۵۷۳ » الصبح والبرق	۵۱ » النبق
۵۷۴ » نارنجة	۵۱ » الجزر
۵۷۴ » نار	۵۱ » اللوز
۵۷۴ » الصبح والليل	۵۱ » التبن
۵۷۴ » الندى على البحر	۵۱ » الفستق
۵۷۴ » الفجر	۵۱ » النارنج
۵۷۴ » سحابة	۵۱ » الليمون
۵۷۵ » الجواد بارالليل	۵۱ » القلم
۵۷۵ » المطر والصبح اولليل	۵۱ » السيف
۵۷۶ » طول الليل والفجر	۵۱ » الشمس والبدر
۵۷۶ » وحشة الليل والنجوم	۵۱ » الهلال
۵۷۶ » رياض	۵۱ » ابي الهول
۵۷۷ » النارنج	۵۰ » مصر قديماً وحديثاً
۵۷۷ » نهر	۵۰ » مملكة النحل
۵۷۷ » الرياض والبرق	۵۰ » السماء والارض والليل
۵۷۸ » روضة صنعاء	۵۰ » الغيث
۵۷۹ » زهرية	۵۰ » الربيع
۵۸۰ » الغيث	۵۱ » واد
۵۸۰ » الثلج	۵۱ » جمر يعلوه رماد
۵۸۱ » جواد	۵۱ » جيش
۵۸۱ » سفرجل ورماني	۵۱ » بدر وهلال
۵۸۱ » الشقائق	۵۱ » روضة وريبع
۵۸۱ » اقتران الزهرة والهلال	۵۱ » الهلال

صحيفة	صحيفة
٦٣٥ الباب الثامن في الحكم	٥٨٢ وصف الجليد والثلج
٦٩٩ الباب التاسع في العلم	٥٨٣ » الرمح والسيف
٧٠٢ الباب العاشر في العقل	٥٨٤ » الحرب وأبطالها
٧٠٣ الباب الحادي عشر في الادب	٥٨٦ » الكتابة والانشاء
٧٠٩ الباب الثاني عشر في العبر	٥٨٧ » دار بناها المنصور
٧١٢ الباب الثالث عشر في الصدق	٥٨٧ » زوج اثنتين
٧١٢ الباب الرابع عشر في الكذب	٥٨٨ » قصر المعتر
٧١٣ الباب الخامس عشر في التواضع	٥٨٩ » جواد
٧١٣ الباب السادس عشر في الكرم	٥٩٠ » حديقة
٧١٤ الباب السابع عشر في البخل	٥٩٠ » الطبيعة
٧١٦ الباب الثامن عشر في الدنيا	٥٩٠ » النيل
٧١٧ الباب التاسع عشر في السر	٥٩١ » حال اللغة العربية
٧١٨ الباب العشرون في اللسان	٥٩٢ » قطار البخار
٧١٩ الباب الحادي والعشرون في العاشرة	٥٩٢ » بركة عليها اشجار
٧٢٠ الباب الثاني والعشرون في القناعة	٥٩٤ » جزيرة
٧٢١ الباب الثالث والعشرون في الحسد	٥٩٥ » قطار السكة الحديد
٧٢٢ الباب الرابع والعشرون في الحلم	٥٩٦ » البسفور
٧٢٣ الباب الخامس والعشرون	٥٩٧ » حريق طابدين
في الحماسة	٥٩٨ » ابتهاج الامة بالخديوي
٧٢٣ الباب السادس والعشرون في الوطن	٥٩٨ » خزان الحوان
٧٢٣ الباب السابع والعشرون في المال	٥٩٩ الباب الخامس في الاستعطاف
٧٢٥ الباب الثامن والعشرون في الغربة	والمعائب والاعتذارات
٧٢٧ الباب التاسع والعشرون في الغدر	٦٠٦ الباب السادس في التهاني والتهادي
٧٢٨ الباب الثلاثون في الختام بالدعاء	٦١٣ الباب السابع في المراثي

